

FOUNDED 1876 BY DRS. Y. SARRUF & F. NIMR



مجلة علمية صناعية زراعية

لمنشئيها

الدكتور يعقوب صرّوف والدكتور فارس نمر

المجلد الخمسون

يناير الى يونيو سنة ١٩١٧

قيمة الاشتراك في السنة جنيه افرنجي (٢٥ فرنكاً) يدفع سلفاً

AL-MUKTATAF

AN ARABIC SCIENTIFIC REVIEW

EDITED BY DR. Y. SARRUF

Vol. L

January — June, 1917.

PUBLISHED MONTHLY

AL-MUKTATAF PRINTING OFFICE
CAIRO, EGYPT.

فهرس المجلد الخمسين



الامبراطور فرنسيس جوزف

مقتطف يناير ١٩١٧
امام صفحة ١

المقتطف

الجزء الاول من المجلد الخمسين

١ يناير (كانون الثاني) سنة ١٩١٧ — الموافق ٧ ربيع الاول سنة ١٣٣٥

الامبراطور فرنسيس جوزف

ثار النمسويون سنة ١٨٤٨ وطلبوا قلب الحكومة المطلقة وابدالها بحكومة دستورية واستولوا على ڤينَّا فهرب منها الامبراطور فردينند وسائر الاسرة المالكة والبطانة الامبراطورية وكبار رجال الحكومة الى مدينة اولمتز احدى مدائن مورافيا واقاموا في مضارب نصبوها في ارباض المدينة ما عدا الاسرة المالكة . والذي يراجع تاريخ الثورة يرى ان جنود الحكومة استرجعت فينَّا من ايدي الثوار بعد قتال شديد ولكنهُ يرى ايضاً ان الاهالي لم يذعنوا الاَّ مكرهين وان السخط على البرنس مترنيخ وزير الامبراطورية المستبد وعلى الامبراطور فردينند الذي كان ضعيف الارادة على حسن طويتهِ لم يخفَّ مثقال ذرة . وان الامم المختلفة التي كانت اسرة هبسبرج تحكمها قد سئمت ذلك الحكم وملَّتهُ

وكانت المفاوضات قد دارت في مجامع الاسرة المالكة منذ الربيع السابق اي منذ فرَّ مترنيخ هارباً من فينا ولجأ الى انكلترا وقرَّ قرار المتفاوضين على ان يتنازل الامبراطور فردينند عن سرير الملك ويخلفهُ ابن اخيهِ الارشيدوق شارل فرنسيس جوزف . ولكن لم يجاوز هذا القرار ستةً كانوا جميع من عرف بهِ . والغريب ان الارشيدوق اخي الامبراطور لم يكن منهم ولا مترنيخ صاحب الحول والطول — الذي قضى اربعين سنة وهو كاتب سرّ الدولة ومستودع اسرارها . وفي ربيع السنة المذكورة كتبت الارشيدوقة صوفيا ام صاحب الترجمة كتاباً الى مترنيخ وهو في لندن تقول فيهِ :

« لقد كان فرانزي عزائي الوحيد في محنتنا . ولطالما حمدت الله في وسط شدائدنا لانهُ اعطانيهِ كما هو . فان شجاعتهُ ورباطة جاشهِ وصراحتهُ في فكرهِ وفعلهِ تحيي فينا الرجاء ان الله يفتح في وجههِ باب المستقبل ما دام قد خصهُ بما خصهُ بهِ من المواهب » . فاجابها مترنيخ

جواباً قال فيهِ « اني خلقت اشتراكياً بحتاً . وكنت دائماً احسب السياسة ترفة من الترف بازاء المخاطر الاشتراكية . وليس الذنب ذنبي ان لم ألقَ تأييداً يذكر في الاتجاه الذي يتجه اليهِ عقلي والذي سارت فيهِ افعالي »

وفي صباح اليوم الثاني من ديسمبر اتت ارتال المركبات على اختلاف انواعها تؤُمُّ القصر الذي نزلت فيهِ الاسرة المالكة في مدينة اولمتز وكانت هذه المركبات تقلُّ الوزراء والسفراء والحشم بملابسهم الرسمية بين صفوف الجند على جانبي الطريق . ولم يكن احد خارج القصر يعلم مغزى تلك الحفلة حتى الوزراء والسفراء الذين دعوا اليها وكلُّ ما كانوا يعلمونهُ انهم دعوا بتذاكر الى غرفة العرش في القصر ليكونوا هناك الساعة الثامنة صباحاً . فلما بلغوها لم يروا شيئاً غير عاديّ فيها سوى دكة عليها كرسيان زينا بشعار بيت هبسبرج وامامها كرسي اسود من الخشب ومائدة صغيرة عليها بعض اوراق وقد وقف بجانبها شابٌ يجرّب الاقلام ويرتب الاوراق

وسأل احد الارشيدوقين وزير الحربية قائلاً « ماذا نحن صانعون هنا » . فاجابهُ الوزير « ستعلمون عن قريب » . وما كاد يفرغ من جوابهِ حتى فتحت الابواب فدخل الامبراطور فردينند والامبراطورة واخوهُ الاكبر وابناء اخيهِ وسائر رجال الاسرة المالكة والحاشية الامبراطورية بالابهة المعتادة . وكان الارشيدوق فرنسيس جوزف بكر اخي الامبراطور بلباس كولونل في الجيش ووجههُ ممتقع والامبراطور عمهُ في اضطراب بادي الاثر على ملامحهِ ولاسيما ان مرضهُ والحوادث الاخيرة زادتهُ ضعفاً على ضعف

فتبوأ الامبراطور والامبراطورة مقعديهما ووقف الارشيدوقون والارشيدوقات حولها . ثم دنا البرنس شوارزنبرج القائد المشهور من الامبراطور وسلَّم اليهِ رزمة مختومة . ففكها بيدين مرتجفتين وقرأ رسالة فيها بصوت خافت لكنهُ واضح . والرسالة وجيزة قال فيها انهُ تنازل عن الملك لابن اخيهِ الارشيدوق فرنسيس جوزف . وبذلك كشف السرُّ الذي بقي مكتوماً كلّ الكتمان سبعة اشهر فوقع اعلانهُ هذا موقعاً عظيماً . وبعدما امضى كبار الحاضرين صكّ التنازل دنا الامبراطور الجديد والدموع تترقرق في عينيهِ من عمهِ وخرّ امامهُ راكعاً كأَنما يستمدّ دعاءهُ ويعتذر عن الحلول محلَّهُ . ثم انفضّ الجمع وامتطى الامبراطور الجديد صهوة جوادهِ واستعرض الجيش في ساحة القصر فكان ذلك اول عمل عملهُ في منصبهِ الجديد

وفي اليوم التالي لهذه الحفلة نفخ في الصور في جميع مدن الامبراطورية اعلاناً لجلوس

الامبراطور الجديد . ولم يكن التلغراف قد اخترع حينئذٍ فلم يبلغ فينَّا نبأ جلوسهِ الاَّ بعد مضي يوم ونصف يوم على الحفلة . فابتهج القوم بهذه البشرى وصاحوا ليحيي فرنسيس جوزف الاول الامبراطور الدستوري . ولم تكن مهمة الامبراطور باليسيرة ولا التاج الذي لبسهُ بالخفيف فانهُ دعي ليملك على شعب ساخط لم يكن الحلم يرضيهِ ولا الجهل يخيم فيهِ — شعبٍ يطلب حق انتخاب حكامهِ وان يُحكَم طبقاً لاساليب الحكم الدستوري الحديث

***

ولد الامبراطور فرنسيس جوزف في ١٨ اغسطس سنة ١٨٣٠ في لكسنبرج على مقربة من فينَّا . وكان جدّهُ الامبراطور فرنسيس الاول يحبهُ حبًّا جمًّا . وكثيراً ما كان يدخل غرفة جدهِ وهو مشتغل بشؤُون المملكة فيلعب ساعات طوالاً وكان جدّهُ يترك شغلهُ احياناً ليلاعبهُ . يحكى انهُ في عيد ميلادهِ الرابع كان يلعب في حديقة القصر مع جدّهِ باللُّعب والدمى التي جاءَتهُ في عيدهِ فرأى على مقربة منهُ الديدبان فنظر اليهِ محدقاً ثم التفت الى جدهِ سائلاً أليس بصحيح ان هذا الجندي فقير يا جدّي . فقال الامبراطور وما الذي يجعلك تظنهُ فقيراً . قال لانهُ مضطرٌ ان يقوم بعملهِ . فقال الامبراطور كلٌّ منّا الغني والفقير مضطر ان يقوم بعملهِ حتى الامراءُ . ولكن هذا الرجل فقير كما قلت فخذ واعطهِ هذه النقود . فهبَّ الى الجندي جذلاً ليناولهُ اياها قائلاً ان جدّي ارسل اليك هذه النقود . فانغض الجندي راسهُ علامة الرفض لان الاوامر العسكرية تمنعهُ من اخذ شيءٍ . فجعل الامير اصبعهُ في فيهِ علامة الخيبة والاستحياء وهو يقلّب عينيهِ بين جدّهِ والجندي فقال لهُ جدّهُ ضع النقود في علبة الخرطوش . وكانت العلبة عالية لا يبلغ اليها مهما تطالَّ وتطاول فتقدم الامبراطور اليهِ ورفعهُ بين يديهِ هو والامبراطورة حتى وضع النقود في العلبة وهو يقول لم يبقَ الجندي فقيراً يا جدي

ولما بلغ الخامسة من سنهِ توفي جدّهُ فربتهُ امهُ هو واخوتهُ الثلاثة ومنهم مكسيمليان امبراطور المكسيك العاثر الجدّ . وامراءُ هبسبرج يربون على قاعدة وضعها الامبراطور جوزف الثاني وهي « يستطيع كلٌّ نمسوي ان يقول انهُ اذا كان ابنهُ من المفلحين نفع الحكومة بخدمتهِ واذا كان من المخفقين لم يلحق بها ضرَّا اذ لا يولَّى منصباً من مناصبها اما الارشيدوق الوارث لسرير الملك فليس في مثل هذا المركز لانهُ لما كان سيتولى يوماً ما اعظم مناصب الامبراطورية فليست المسئلة هل يكون صالحاً لذلك المنصب او غير صالح بل المسئلة انهُ يجب ان يكون صالحاً لهُ لان كلَّ دخيلة من دخائل عملهِ لا يتعلمها تماماً ولا يشرب في

نفسهِ رأياً صحيحاً فيها ولا يتروض جسمهُ وعقلهُ على قضائها انما هي ضربة ولعنة على بلادهِ »

وكان همُّ والدتهِ في اختيار مربيهِ ومعلميهِ ان يكونوا كاثوليكاً حسان الايمان لا معلمين متقنين للعلوم المختلفة احسن اتقان. فكانت النتيجة انهُ نشأ غير متقن لتلك العلوم وخصوصاً الطبيعة والتاريخ على شدة لزوم هذا الاخير للملوك فاضطر فيما بعد ان يسدَّ هذا النقص بدرس التاريخ لنفسهِ. ولكنهُ تفقه في الثماني اللغات التي يتكلمها رعاياهُ فكان يتكلمها ويقرأها جيداً منذ صغرهِ ثم درس فيما بعد الفرنسوية واللاتينية واليونانية القديمة

وكانت تربيتهُ هو واخوتهِ على غاية ما يكون من الشدة حتى قلما كان يسمح لهم باللعب والرياضة البدنية فكانت النتيجة ان السوداء تسلطت عليهِ فنشأ سكوتاً قليل الكلام كثير الحياء عصبي المزاج الى الحد الاقصى حتى كان يرتعد فرقاً كلما جيءَ اليهِ بفرس يركبهُ ويبكي بدموع سخينة. ولم يكن في بادىء امرهِ يميل الى الدروس العسكرية ولكن معلمهُ كان معروفاً بالمقدرة الفائقة والكفاءة النادرة فوضع خطةً لتعليمهِ نحواها ان يخدم في جميع فروع الخدمة العسكرية كسائر « الانفار » بحجة ان من يقود الجيوش يجب ان يعرف جميع دخائل الخدمة من ادق دقائقها الى اكبرها

ولما بلغ السادسة عشرة عُين لهُ معلّم من طراز آخر. ولم يكن معلمهُ هذا قسيساً ولا جندياً بل اعظم سياسي في زمانهِ واقدر رجال السياسة على رسم الخطط السياسية واوسعهم حيلة وهو البرنس مترنيخ المتقدم ذكرهُ ولكن ضغط الرأي العام وتيقظ روح الوطنية في الصدور وغير ذلك من الاحوال الجديدة لم تسمح لهُ بالانتفاع من دروسهِ وتطبيق العلم فيها على العمل

وكان قبل ارتقائهِ الى سرير الامبراطورية قد انتدب من قبل عمهِ الامبراطور سنة ١٨٤٧ لينوب عنهُ في احتفال اقيم في بودابست عاصمة المجر. وكانت الحركة المجرية الوطنية اذ ذاك في اول ادوارها والغلاة من المجر يعلقون اعظم شأن على احلال لغتهم الوطنية محل الجرمانية او اللاتينية في الاشغال الرسمية. ولم يكن امير من امراء البيت المالك حتى ذلك العهد قد كلّف نفسهُ تعلم المجرية. فلما وقف في الحفلة وخاطب السامعين بلغتهم الوطنية نهضوا من مجالسهم نهضة رجل واحد وهم يصيحون « أَلجن الجن » ويلوحون بسيوفهم علامة الفرح الشديد على عادة المجر. وبعد ذلك ببضعة اشهر ثارت المجر على الامبراطور فرديننند كما تقدمت الاشارة فنهض في مجلس النواب نائب ذكَّر اخوانهُ خطبة الارشيدوق الصغير بالمجرية واقترح ان ينتخب ملكاً للمجر. وما كاد يتمُّ كلامهُ حتى صاح رجال المجلس مؤَمّنين عليهِ وبلغت اصواتهم العنان وكان هذا النائب كوسوث المشهور. وامتدَّ خبر ما جرى في المجلس

الى النمسا فرددت صداهُ في ثورة سنة ١٨٤٨ وكانت النتيجة انهُ بينما كان امراء هبسبرج يهانون جهرة في كل مكان كان الارشيدوق فرنسيس جوزف يُقابَل بالاحترام حيثما سار وايان كان

ولما جُعل امبراطوراً اتخذ شعاراً لهُ كلمتين لاتينيتين معناهما الاتحاد قوة علماً منهُ بلزوم اتحاد جميع القوى لحسم الامبراطورية النمسوية المتنافرة الاجزاء الحاوية لجميع الاجناس وجمع شتاتها وجعلها جزءًا واحداً لا يتجزأ · وقد رأى بعين بصيرتهِ ان النمسا العجوز لا بدَّ ان تموت ثم تنتفض من قبرها فتبعث شابة متجددة الصبا وان هذا الغصن الغضّ الشباب لا بدَّ ان ينشأ من ذلك الجذع القديم الناخر · وقد سرَّ شعبهُ منهُ اتخاذهُ اسم فرنسيس جوزف مذكراً اياهم باكرم ملوكهم جوزف الثاني الذي لا يزال اهل النمسا يرددون ذكراهُ وفرنسيس زوج ماريا تريزا الذي صيَّر النمسا عظيمة رغم ما اصابهُ من الرزايا والمحن

ولما دخل عاصمتهُ دخلها متنكراً بلا ابهة ولا تخفخة واندفع في مهام الملك لا يحولهُ عنها رغبة او رهبة · وكان يقضي معظم وقتهِ مكبًّا على الدرس والعمل واقتصرت رياضتهُ الجسمية على مشية قصيرة وركبة سريعة وحضور التمثيل المرة بعد المرة · قال البرنس شوارزنبرج يصف رغبتهُ في العمل «اذا كانت المسئلة مسئلة شغل من اشغال الدولة استطعت مقابلة الامبراطور معها تكن الساعة» · وقد لخص الكونت باول فاسيلي صفات الامبراطور بقولهِ ان اصدق وصف ينطبق عليهِ ما وصف بهِ نفسهُ اذا صحَّت رواية الكونت اندراسي · فقد قال في بعض احاديثهِ «اني اشكر الله لان الذين اتهموا بخيانة الدولة وحكم عليهم بالقتل لم يقتلوا كلهم لاني جعلتهم فيما بعد رؤساء للوزارة»

ويقال ان الغضب والحدة لم يأخذا منهُ مأخذاً في شبابهِ ولا في شيخوختهِ بل عرف كيف يعالج الامور بالصبر والتأني · وقد جمع في كثير من صفاتهِ واخلاقهِ بين الاضداد فكان أتعس الملوك حظًّا واكثرهم نجاحاً · وكان مكروهاً ومطاعاً في وقت معاً · قال فيهِ بعض معارفهِ انهُ لم يفلح في مسألة كبيرة عالجها وطرق بابها ولكنهُ صار في اخريات ايامهِ عشرة اضعاف ما كان في اوائلها في قوتهِ وامتلاك قلوب رعيتهِ واحترامهم اياهُ · فقد غُلب في معركة اثر معركة وكان غرض الرماة من دهاة الفرنسويين والايطاليين والالمان على التوالي ولكن بقي جيشهُ الضخم يقتفي كل خطوة من خطاهُ طائعاً ملبياً · وبلغ من نفوذ النمسا في عهدهِ انها صارت اذا ارادت امراً لم يشك سياسي من الساسة انها تنالهُ · فقد غلبتهُ فرنسا سنة ١٨٦٠ فاخرجتهُ من لمبارديا · وغلبتهُ بروسيا سنة ١٨٦٦ فاخرجتهُ من المانيا · واضطر سنة ١٨٤٨ ان يستعطي من روسيا وسنة ١٨٦٧ ان يذعن لقومهِ المجر ولكنهُ بقي الى اخريات

ايامهِ عظيماً كما كان في اوائلها وعدد رعيتهِ لم ينقص وزاد جيشهُ وكثر دخلهُ · ولم ينتصر في زمانهِ في معركة ولكن قوتهُ الحربية بقيت عظيمة · ومع كثرة اخفاقهِ في السياسة اضاف الى بلادهِ مقاطعات كبيرة من غير ان يستل سيفاً او يطلق بندقية · وقد اطلق النار على عاصمتهِ في اول ملكهِ ولكنهُ بقي يجوس خلالها ويمشي في ارباضها مرحاً وهو لا يخشى بأساً · وارهق نصف رعيتهِ ظلماً ثم اكتسبهم ثانية فصاروا بذلك اعظم ولاء واخلاصاً لهُ وبقي ذلك الولاء اللحمة الوحيدة التي تلاءم ممالكهُ المختلفة

زار بلدة ايشل سنة ١٨٥٣ للاحتفال بميلادهِ بين اسرتهِ فاقامت امهُ الارشيدوقة صوفيا مرقصاً لهُ ولاخوتهِ لانهم كانوا يحبون الرقص كسائر اهل ڤينا · وكان بين الاضياف الدوقة لويز الباڤارية وابنتاها الكبيرتان هلانة واليزابت فدعاهنَّ الى الليلة الراقصة فلبت الدوقة الدعوة وسمحت لابنتها هلانة ان تذهب معها اما ابنتها الاخرى فاعتذرت عنها بان ليس عندها ثياب تليق بالحفلة · ولكنهُ كان قد رأى هذه الاميرة هنيهة وافتتن بجمالها فالحَّ على امها في احضارها الى حفلة العيد معها ولم يقبل عذراً وقال ان ابسط الملابس ووردة في شعرها يجعلانها ملكة العيد

فلم يسع امها سوى الامتثال بعد هذا البيان فكانت اليزابت ملكة العيد فعلاً وعادت منهُ ملكة قلب صاحبهِ وامبراطورة النمسا العتيدة · يحكى ان الامبراطور رقص معها طول ليلة الحفلة ولم يرقص مع سواها فلحظ الحضور ذلك وتقولوا فيهِ الاقاويل الكثيرة · وعندمنتصف الليل قُدّم الشاي فاغتنم الامبراطور والاميرة هذه الفرصة ودنوا من منضدة عليها كتاب صور للازياء المختلفة التي تلبس في ولايات النمسا الثاني عشرة · فجعل الامبراطور يقلبهُ ويري الاميرة ما فيهِ ثم قال لها « هؤلاء رعيتي فقولي كلمة واحدة تملكي عليهم مثلي » · ثم مد يدهُ اليها فصافحتهُ ولم تنبس بكلمة · وعلى اثر ذلك قال لها « ساقدم اليك طاقة الخطبة فيما بعد » · ولم يلبث طويلاً ان برَّ بوعدهِ وقدم اليها طاقة من الازهار جمعها بيدهِ من جبال الالب

وفي اليوم التالي وقفت مركبتهُ عند باب النزل حيث كان الدوقة مقيمة هي وابنتاها فسأل هل البرنسس اليزابت فيهِ فقيل لهُ انها تلبس ملابسها فقصد غرفة امها وخطب اليها ابنتها · ثم لم يمضِ نصف ساعة حتى دعي اعضاء بيت الملك الذين كانوا في ايشل الى كنيستها وهناك أُعلنت رسميًّا خطبة امبراطور النمسا للبرنسس اليزابت الباڤارية

وفي شهر ابريل من سنة ١٨٥٤ دخلت هذه الاميرة ڤينا رسمياً حيث احتفل بزواجها

احتفالاً نادر المثال · وكان الوئام رائدهما حتى في مصائبهما المشتركة وخصوصاً مقتل ابنهما الوحيد · ففي تلك المدة كتب الامبراطور كتاباً الى احد اصدقائهِ قال فيهِ « لو تعلم كم لقرينتي الحبيبة من الدَّين عليَّ في هذه الايام المرَّة وكم أَلقى من العون منها · قل هذا لكلّ احد وكلما اذعتهُ كان ثنائي عليك اجزل »

وقد كان من فضائلها عدم تعرضها للسياسة حتى قالت مرة لجوكاي الروائي المجري المشهور انها لا تبالي بالسياسة ولا تفقه لها معنى · فاجابها « ان اسمى السياسات اكتساب القلوب وهذا تعرفينهُ جلالتك تمام المعرفة »

وولد لهما اربعة اولاد البكر ابنة عاشت سنتين · والثاني البرنسس جيزلا قرينة البرنس ليوبولد البافاري · والثالث البرنس رودلف ولي العهد الذي اشتهر بانتحارهِ · وكان ميَّالاً الى الآداب والتأليف دون السياسة والعسكرية كثير الافتكار في الموت · نعي اليهِ ذات يوم احد رجالهِ لحزن وقال « من يعلم من يتلوهُ منَّا » وكان ذلك بلهجة فهم منها سامعوهُ انهُ يلمّح الى انهُ هو نفسهُ قد يكون التالي · و يقال ان خيبة رجائهِ من ولادة ابن لهُ يكون وارث الملك بعدهُ صغرت هذه الدنيا في عينيهِ وحببت الآخرة اليهِ · اما حكاية موتهِ فتلخص بما يأتي

تزوج سنة ١٨٨١ البرنسس ستيفاني احدى بنات ملك البلجيك وكانت على احسن ما يكون من الخَلق والخُلق محبوبة لدى الامة واهل البلاط الامبراطوري ولم يرزق منها سوى ابنة وهي الارشيدوقة اليزابت ولا ترث الملك بعدهُ بموجب قانون البلاد · على ان زواجهما لم يكن هنيئاً ولم يعرف سبب ذلك تماماً · وكانت وساوس المتطيّرين قد ملأَت الآفاق في اثناء خطبتهما ثم طارت الانباء تترى من فينا الى ابوي الارشيدوقة بما بينهما من الشقاق والنزاع · ثم شكت قطيعة الارشيدوق لها واستأْذنت في الرجوع الى قومها وطلبت الطلاق بموافقة الارشيدوق ولكن طلبها لم يجدها نفعاً لانهُ مخالف لقانون الكنيسة الكاثوليكية ولاسيما ان اهل الاسرتين النمسوية والبلجيكية اشتهروا بتشبثهم بعقائد كنيستهم

وسعى كثيرون في اصلاح ذات البين مراراً فاخفقوا · وفي ٣١ يناير سنة ١٨٨٩ ذاع نبأُ وجود ولي العهد ميتاً في قلعة ميرلنج حيث كان يقضي موسم الصيد · ولم يسع الدوائر الرسمية كتم الحقيقة فشاعت وهي ان الارشيدوق انتحر هو والبارونة ماري فتسيرا وهي التي وافق على الطلاق من اجلها · وكان قد التمس من ابيهِ اذا لم يسمح لهُ بالطلاق ان يتنازل عن الملك و يعيش مع خليلتهِ هذه في عزلة

ومما عرف بهِ الامبراطور المتوفى ميلهُ الى الانفراد وعدم اشتراكهِ في المظاهرات والحفلات العمومية الكثيرة التي اقيمت في عهد ملكهِ الطويل ما عدا مرتين الاولى سنة ١٨٦٧ يوم توج ملكاً على المجر. فانهُ ركب جواداً اشهب واستحثهُ صعدًا الى راس العدوة المطلّة على بودابست وهناك ضرب الهواء بسيف مثياس كورفن[1] شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً اشارة الى استيلائهِ على تاج سان استفانوس[2] والى ان المجر اصبحت من ذلك العهد مستقلة في ملكها و برلمانها مع بقائها جزءا متحداً بالسلطنة النمسوية

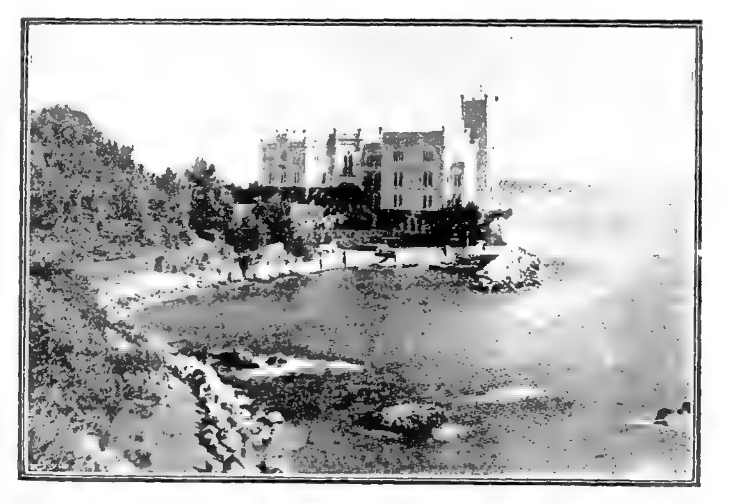
والثانية سنة ١٨٧٩ لما احتفل هو وقرينتهُ بعيد زواجهما الفضي. فاقامت فينّا احتفالاً شائقًا يفوق في ابهتهِ ومجالي فخفختهِ ومظاهر الثراء والرخاء التي تجلت فيهِ كلّ ما عرف قبلهُ. ثم قامت تحاول الاحتفال بعيد جلوسهِ الاربعيني في ٢ دسمبر سنة ١٨٨٨ ولكنهُ نشر منشوراً على شعبهِ طلب منهم الامتناع عن اقامة معالم الافراح وقال انهُ يعرف ولاءهم واخلاصهم وشكرهم على حسن ظنهم وقال اذا شئتم مسرتي فاليكم عن الاسراف في النفقات وعن الخطب الفارغة وعن كل ما ليس لهُ قيمة حقيقية دائمة وقفوا الاموال التي تريدون انفاقها في هذا السبيل على اعمال البرّ ورفع شأن الفنون والعلم والصناعة وسائر ما يرمي الى الخير العام . وليبرهن لقومهِ على انهُ يريد منهم تطبيق العمل على القول في هذه النصيحة سافر الى قصرهِ في ميرامار على ساحل الادرياتيك حيث قضى يوم العيد في عزلة تامة ولم يصحبهُ اليهِ سوى قرينتهِ

وكان اعظم الضربات عليهِ بعد انتحار وليّ عهدهِ قتل قرينتهِ الامبراطورة بيد فوضوي ايطالي في جنيف سنة ١٨٩٨ وقتل اخيهِ مكسيمليان امبراطور المكسيك بقرار مجلس حربي

ومما يدلُّ على شدة تعلق شعبهِ بهِ اعتقادهم بان الرزايا التي المت بالدولة والاسرة في عهدهِ انما جرتها احوال لم يكن لهُ طاقة بها وان المعارك التي خذلت النمسا فيها مثل ماجنتا وسولفرينو وسادوى لم تكن من يدهِ بل من يد غيرهِ . وان كانوا قد اسفوا لخذلان جيشهم في تلك المعارك فقد كان اسفهم لانها كلمت فوءاد مليكهم كما كلمت افئدتهم وحسبوهُ غرض المعارك الاول وكلّ الصيد فيها فلذلك اقبلوا بكليتهم عليهِ يفدونهُ بالمهج والارواح ويحسبون ان واجبهم المقدّم الامتناع عن كل ما من شأنهِ ان يشمّ منهُ رائحة تعنيفهم اياهُ على تلك الملمات . وقد كانت وفاتهُ في الحادي والعشرين من شهر نوفمبر الماضي

---

(١) احد ملوك المجر القدماء (٢) القديس المحامي للمجر



قصر ميرامار مصيف امبراطور النمسا

مقتطف يناير ١٩١٧
امام الصفحة ٨

الشيخوخة واماليُّ حيوية

نقلاً عن العلامة متشنيكوف

(٣) طول الحياة في الرتب الحيوانية

تختلف المدة التي تحياها الحيوانات اختلافاً كبيراً والحدود بينها متباعدة كثيراً فمنها ما لا تتجاوز مدة حياتهِ الكاملة من البيضة الى الموت خمسين ساعة او ستين كذكور بعض العوامات ومنها ما يعيش مئة سنة او مئتين كبعض الزحافات

وقد حاول العلماء وضع قوانين لتعيين مدة الحياة الكثيرة التباين والاختلاف وذهبوا في ذلك مذاهب شتى سنأتي على بيانها في ما يلي وعلى ما يقوم عليها من الاعتراض ولكنهم لم يصلوا الى وضع قاعدة يصح الاعتماد عليها

اذا نظرنا الى الحيوانات الداجنة نظراً سطحيًّا ظهر لاول وهلة ان الصغرى منها اقصر عمراً من الكبرى لان حياة الجرذان وخنازير الهند والارانب اقصر من حياة القطط والكلاب والغنم . وحياة هذه اقصر من حياة الحصان والوعل والجمل واطولها عمراً الفيل وهو اكبرها جسماً فنشأ من ذلك الزعم ان كبر الجسم يستلزم طول العمر . الاَّ ان النسبة بين كبر الجسم وطول العمر ليست ثابتة كما يظهر باقل نظر لان بعض الحيوانات الصغيرة كالببغاء والغراب والاوز تبلغ عمراً اطول من عمر كثير من ذوات الثدي واطول من عمر بعض الطيور التي هي اكبر منها بكثير

ومما هو عام في الحيوانات ان دور البلوغ في الكبيرة اطول منهُ في الصغيرة فقالوا بوجود نسبة بين هذا الدور و بين طول العمر. وذهب بوفون الى ان مدة الحياة الكاملة يمكن تقديرها بمدة دور النمو و بما ان هذا الدور ملازم للنوع فمن الضروري ان يكون لطول العمر قاعدة ثابتة وكما ان نوعاً من الحيوان لا يستطيع ان يتجاوز الحجم المحدود لهُ فهو لا يستطيع ايضاً ان يتجاوز حدَّ عمرهِ القانوني . وذهب بناء على هذا الى ان مدة العمر لا تتوقف على العادات ولا على الاخلاق ولا على نوع الغذاء وان لا شيء يستطيع ان يغير نواميس العمل الذي يحدد سني العمر وان تلك النواميس لا تتغير الاَّ بالافراط في التغذية او بالانقطاع عنها مدة طويلة . واتخذ بوفون سن البلوغ قياساً وجعل قاعدتهُ ان يضرب عدد سنيهِ بستة او سبعة فتحصل مدة العمر الكامل الذي يستطيع ان يصل اليهِ الانسان او الحيوان . مثال ذلك ان سن البلوغ في الانسان هو ١٤ سنة فاذا ضربنا ١٤ في ٦ او ٧

حصل ٨٤ او ٩٨ وهي المدة التي يستطيع ان يعيشها الانسان ٠ وسن البلوغ في الحصان ٤ سنوات فيعيش ٢٤ او ٢٨ سنة وفي الوعل ٥ او ٦ سنين فيعيش ٣٥ او ٤٠ سنة

ووافقهُ فلوران على هذا المبدإ وخالفهُ بتحديد سن البلوغ فجعلهُ المدة التي يكمل فيها نمو العظام الطويلة عند التحامها بكراديسها وزعم انهُ اذا اخذت هذه المدة قاعدة وضربت بالعدد ٥ امكن الوصول الى نتيجة اوضح واصح فمدة نمو الانسان اي مدة التحام عظامهِ بكراديسها ٢٠ سنة فيعيش ١٠٠ سنة ومدة نمو الجمل ٨ سنين فيعيش ٤٠ سنة ومدة نمو الحصان ٥ سنين فيعيش ٢٥ سنة وقس عليهِ

على ان فلوران لم يستشهد الاَّ بذوات الثدي فلا يصح الاعتماد على قاعدتهِ وقد استشهد وسمان بحصان بلغ في اربع سنوات وعاش ٤٨ سنة فضلاً عن ان كثيراً من الشواهد يفسد هذه القاعدة لان الجرذ يبلغ سريعاً وينتج بعد ١٤ شهراً فاذا فرضنا مدة بلوغهِ ستة اشهر وجب ان يعيش بحسب قاعدة فلوران ٣٠ شهراً مع انهُ يعيش ٥ سنين ٠ ومدة بلوغ الغنم النسبية طويلة لان الخروف لا يكمل تسنينهُ الاَّ بعد ٥ سنين وهو لا يبلغ الاَّ حينئذٍ ولكنهُ يفقد اسنانهُ بعد ٨ سنوات او ١٠ وتبتدئ شيخوخته بهذا العمر ويهرم بعد ١٤ سنة فحياتهُ لا تكاد تبلغ ثلاثة اضعاف مدة نموهِ

واذا التفتنا الى بقية ذوات الفقرات وجدنا النسبة بين مدة النمو وطول العمر متباعدة كثيراً لان الببغاء طائر من الطيور التي تبلغ بسرعةٍ وتعمر طويلاً فهو يبلغ في سنتين اذ يكمل ريشهُ ويقوم بوظيفة التفريخ ٠ والتباينات الصغيرة منهُ تبلغ في سنة ولا تتجاوز حضانتها ٢٥ يوماً وبعضها ثلاثة اسابيع فقط ومع ذلك فطائر الببغاء يعيش عمراً طويلاً جدًّا كما يعرف من المشاهدات الكثيرة والثابتة ٠ والاوز يبلغ في مدة قصيرة وحضانتهُ ٣٠ يوماً وهو مع ذلك يعمر كثيراً وقد يبلغ ٨٠ سنة او ١٠٠ ٠ ومن الطيور ما يسير بعكس ذلك فتكون حضانتهُ من ٤٢ — ٤٩ يوماً ويبلغ في ثلاث سنوات وهو مع ذلك قصير الحياة بالنسبة الى سواهُ كما ترى فيما يأتي

يستحيل ان نسلم بوجود نسبة ثابتة بين كبر الجسم ومدة النمو من جهة وبين طول العمر من جهة اخرى كما زعم بوفون وفلوران ولكننا لا ننكر ان الاحوال الداخلية لنوع من انواع الحيوان تضع حدًّا لحجمهِ ومدة حياتهِ لا يستطيع ان يتجاوزهما الاَّ ان تلك الاحوال وهي فسيولوجية محضة تبقي مجالاً واسعاً لاختلاف النسب في طول العمر بحيث يتضح ان العمر صفة تتنوع بتنوع الظروف الخارجية والى ذلك وجه ومنان اهتمامهُ في بحثهِ المشهور

وذهب الى ان طول العمر وان كان متوقفاً على صفات الحو يصلات التي يتألف الجسم منها فهو ينطبق على ظروف الكيان و يكتسب بالانتخاب الطبيعي الصفات الموافقة لحياة النوع ٠ ولكي تدوم حياة الحيوان يجب ان ينتج وان يدرك نتاجهُ سن البلوغ ثم ينتج هو ايضاً ٠ على ان الشواهد في العالم العضوي على قلة النتاج وحفظ النوع كثيرة ومنها الطيور الكبيرة التي تطير رغماً من كبر جسمها فانها لا تبيض الاَّ قليلاً والكواسر كالنسر والعقاب وغيرهما لا تحضن الاَّ مرة في السنة ولا تفرخ الاَّ فرخاً او اثنين فطول العمر في هذه الظروف وسيلة ضرورية لتطبيق النوع على دوام البقاء وتزيد هذه الضرورة بكون البيض والفراخ معرضة كثيراً للاخطار فالبيض معرض لهجوم الاعداء التي تأكلهُ والفراخ معرضة للموت الباكر بالبرد فلو لم يكن النوع اهلاً لان يعيش طويلاً في هذه الاحوال السيئة لوجب ان ينقرض ولهذا ترى ان الحيوانات الكثيرة النتاج قصيرة العمر كالفيران والجرذان والارانب وكثير غيرها من الحيوانات القراضة التي لا تطول حياتها اكثر من خمس سنوات الى عشر سنين فيستعاض بكثرة مواليدها عن قصر حياتها

يجوز القول بوجود روابط متينة اي فيسيولوجية بين طول العمر وقلة النتاج حملاً على المتعارف من ان الانتاج يضعف جسم الام وان الامهات اللواتي يلدن اولاداً كثيرين يشخن باكراً ولا يعمرن كثيراً الاَّ انهُ لا ينبغي التسليم بهذه النظرية على علاتها لان طول العمر وخصوصاً في ذوات الفقرات متعادل في الجنسين ومع ان خسارة الاناث بتوليد النسل اكثر كثيراً مما هي في الذكور فانهن يبلغن غالباً عمراً اطول وهذا ثابت بنوع خصوصي في الانسان لان عدد اللواتي يبلغ المائة اكثر مما هو في الرجال

فقلة النتاج ليست سبباً لطول العمر لان كثيراً من الحيوانات كثير النتاج وهو طويل العمر كالببغاء التي تحضن من ٦ — ٩ بيضات في المرة الواحدة ٠ والبط الذي يحضن من ٦ — ١٦ بيضة والاوز الذي يحضن من ٧ — ١٤ بيضة وكلها طويلة العمر حتى ان الدجاجة المشهورة بكثرة تفريخها قد تعيش ٢٠ و ٣٠ سنة ٠ وقد يعترض على ذلك بان صغار تلك الطيور معرضة للهلاك لان فراخ الدجاج والاوز تختطفها العقبان وتفترسها الثعالب والكواسر فيكون طول عمرها من قبيل تطبيق النوع على دوام البقاء ٠ والجواب على ذلك ان طول العمر لا علاقة لهُ في هذه الاحوال بالاخطار التي تتعرض لها الفراخ والاَّ لوجب ان تنقرض كما انقرضت الحيوانات الكثيرة في الادوار الجيولوجية السابقة فيجب ان يبحث عن مصدره في الاحوال الفسيولوجية الخاصة بالبنية

ذهب اوستاله بعد بحثهِ في بعض الآراء عن مدة الحياة الى وجود علاقة بين النظام الغذائي وطول العمر وارتأى ان الحيوانات التي تقتات بالنبات تعيش اكثر من التي تقتات باللحوم وعلل ذلك بان الاولى تجد طعامها بسهولةٍ وتسير فيهِ بترتيب فيحفظ كيانها . والثانية لا تجدهُ الاَّ بعد جهد وعناء فهي تارةً متخمة بالنهم وتارةً طاوية خاوية واستشهد لتأييد رأيهِ بالفيل والببغاء اللذين يقتاتان بالنبات ويعيشان عمراً طويلاً . على ان الشواهد التي تنفي هذا الرأي كثيرة لان كواسر الطير التي تقتات باللحوم تعمر كثيراً والغراب الذي يقتات بلحم الجيف يمتاز بطول عمرهِ فيجب اذاً ان نطرق غير هذا السبيل للبحث عن الاسباب الحقيقية لطول العمر . وللوصول الى ذلك يجب ان نوجه نظرنا الى العالم الحيواني ونبحث في اعمار انواعهِ لنستوضح الاسباب الفاعلة في اختلافاتها

ان في حياة الحيوانات غرابة كبيرة من حيث العمر لان بينها اختلافاً كبيراً فيهِ ولا بد ان يكون هذا الاختلاف ناشئاً عن عوامل كثيرة . وقد رأينا فيما سبق ان كبر الجسم في الحيوانات العليا لا علاقة لهُ بطول العمر واذا نظرنا الى الحيوانات الدنيا رأينا ان كثيراً منها يعيش مدة طويلة كالاكتينيا وهي من الحيوانات الرخوة ومن طائفة الأخطبوط دنيئة التركيب لا اعضاء هضمية لها وجهازها العصبي قليل النمو ومشتت فيها تشتيتاً فانها اذا أُسرت عاشت في الاسر مدة طويلة وقد شاهدت واحدة منها عند مدير حوض الاسماك في همبورغ كان عمرها بضع عشرات من السنين وكان يحفظها في اناء مخصوص كذخيرة ثمينة . ومنها شقيق بحري عاش ٦٦ سنة (سمي بالشقيق لمشابهتهِ لشقائق النعمان) وبالرغم من هذا العمر الطويل فهو سريع النمو وكثير النتاج وقد روقب نوع من انثى شقيق البحر بلغت بعد ١٥ شهراً من ولادتها وانتجت بمدة ٢٠ سنة ٣٣٤ شقيقاً ثم عقمت عدة سنوات وعادت فولدت بعدها ٢٣٠ في ليلة واحدة ثم ضعف خصبها الزائد بتقدمها في السن ومع ذلك فقد انتجت وهي في الثامنة والخمسين ٢٠ اكتينا مرة واحدة وانتجت بعد سبع سنوات اخرى ١٥٠ وعليهِ فهذا الحيوان الصغير الذي لا يزيد وزنهُ على $\frac{1}{4}$ الى $\frac{1}{5}$ من وزن الارنب البالغ قد عمّر اضعاف عمر الارنب . وروقب انموذج من شقيق البحر عمرهُ ٥٠ سنة فلم يظهر عليهِ فرق عن ابناء نوعهِ الصغار سوى ضعف الانتاج . ومن الاخطبوط ما لا يعيش اكثر من ٢٤ سنة ولا يعرف سبب هذا الفرق . ومن الامثلة على طول عمر الحيوانات الدنيا ذوات الصدفتين البحرية التي تعيش ٦٠ سنة او ١٠٠ سنة وقس عليها

والحشرات كالحيوانات الرخوة منها ما لا يعيش الاَّ بضعة اسابيع كالحشرات التي تلصق

بورق النبات وتغتذي بعصارهِ فانها تموت بعد شهر من ولادتها ومنها ما يعيش طويلاً كالزيز الذي يعيش ١٣-١٧ سنة اي ان عمرهُ اطول من عمر الحيوانات القراضة الصغيرة كالفيران والارانب وخنازير الهند . وكالجراد الاميركي الذي يعيش بالحالة الدودية ١٧ سنة مدفوناً تحت الارض بجوار شجر التفاح الذي يغتذي من عصارة جذورهِ فهو يبلغ بعد هذه المدة الطويلة ويخرج الى سطح الارض فيعيش عليهِ شهراً فقط وهو الوقت اللازم لاخلاف النسل فيخلف نسلهُ ويموت والنسل يغور في جوف الارض ولا يخرج منهُ الاَّ بعد ١٧ سنة . والجراد الكبير يعيش عمراً اقصر من عمر الجراد الصغير واناث النحل الكثيرة النتاج تعيش سنتين او ثلاثاً وقد تبلغ خمساً والعاملات العقيمات لا تعيش الاَّ سنة واحدة واناث النمل الصغيرة الجرم والكثيرة النتاج تعيش الى ٧ سنين

وعليهِ لا سبيل للعلم في حالتهِ الحاضرة وفي هذه الظروف المتباينة ان يضع قياساً لطول العمر وكل قياس ينطبق بعض الانطباق على الحيوانات عموماً يسقط في عالم الحشرات . ونظراً لجهلنا بفيسيولوجية الحيوانات الدنيا عموماً والحشرات خصوصاً يستحيل علينا ان نقف على اسباب الاختلاف في اعمارها ويسهل علينا البحث في ذوات الفقرات لان المعلومات عنها كثيرة وراهنة ولهذا نعود الى البحث فيها هنا استجلاء لغوامض هذه المسئلة

ان ذوات الفقرات بانتقالها من صف الاسماك الى صف ذوات الثدي ارتقت ارتقاء كبيراً الاَّ انها خسرت بهذا الارتقاء من عمرها اذ اصبح اقصر من عمر اسلافها لانهُ معروف ومقرر ان ذوات الفقرات الدنيا تعيش اكثر كثيراً من ذوات الثدي فالاسماك طويلة العمر وكان الرومانيون يربون نوعاً منها في الاحواض (Murènes) فيعيش فيها اكثر من ٦٠ سنة . والسومون Saumon يعيش قرناً كاملاً . والبلطي Carpes ١٥٠ سنة . وسمكة من نوع البروشه Brochet عاشت ٢٦٧ سنة وقس عليهِ

والحيوانات الامفيبية اي التي تعيش في الماء والهواء تعمّر كثيراً ولو كانت من صغار الجسم فالضفادع تعيش من ١٢ الى ١٦ سنة ومن انواعها ما يبلغ ٣٦ سنة والسلاحف تمتاز بطول عمرها فان سلحفاة عاشت في حديقة حاكم مستعمرة الكاب ٨٠ سنة ويظن انها بلغت القرنين واخرى من جزر غالاباغوس عاشت ١٧٥ سنة واخرى في قسم الزحافات في حديقة الحيوانات في لوندرا عمرها ١٥٠ سنة واخراها اهداها المطران لاند الى حديقة القصر الاسقفي في نولهام عاشت فيهِ ١٢٨ سنة الخ . وعليها نقاس حياة الافاعي والضبّان . واما التمساح وامثالهُ من الحيوانات الامفيبية الكبيرة الجسم فالمعلومات عنها قليلة ويرجح انها تعيش عمراً طويلاً

وعللوا طول العمر في ذوات الفقرات الدنيا بكونها من ذوات الدم البارد التي تتم وظائفها الفيسيولوجية ببطوء كلي لان دورتها الدموية بطيئة جدًّا حتى ان قلب السلحفاة لا ينبض اكثر من ٢٠ الى ٢٥ نبضة في الدقيقة . وذهب بعضهم الى ان السرعة او البطوء في سير الحياة وبعبارة اخرى ان الوقت اللازم للتبادل بين المواد الغذائية والظواهر الحيوية هو من العوامل التي تؤَثر في طول الحياة

على ان الشواهد التي تنفي هذا الزعم كثيرة والمشاهدات تدل صريحًا على ان ذوات الدم الحار هي ايضاً طويلة العمر بالرغم من سرعة حركاتها وسرعة اتمام وظائفها الفسيولوجية . وقد سبق فذكرنا عدة امثلة على ذلك على ان اهمية الموضوع تدعو الى التفصيل وزيادة الايضاح . فقد جمع غورني في جدول واحد اكثر من ٥٠ نوعاً من الطيور مع صفوفها وتبايناتها فثبت منهُ ان الطيور الصغيرة الجسم تعيش عمراً طويلاً بالنسبة الى صغر جسمها . فالكنار يعيش من ١٧ الى ٢٠ سنة والحسون اكثر من ٢٣ سنة والسماني ٢٤ سنة وطير البحر الاسمر المفضض ٣٠ الى ٤٤ سنة . والطيور المتوسطة الحجم تعيش عشرات من السنين فمتوسط عمر الببغاء ٤٣ سنة واقلهُ ١٥ سنة واكثرهُ ٨١ سنة . وذكرت ببغاء بقيت ذاكرتها محفوظة الى سن ٦٠ سنة ونظرها الى سن ٩٠ وماتت وعمرها ٩٣ . والببغاء ذات العرف الاصفر تعيش من ٥٠ الى ٨١ سنة وببغاء الامازون تبلغ ١٠٢ وكان عندنا اثنتان من نوعها بلغت احداها ٨٢ سنة وظهرت عليها بعدها علامات الشيخوخة والثانية ٧٥ وبقيت بعدها قوية ولم تظهر عليها دلالة الشيخوخة وماتت بذات الرئة الحادة

ولا تنفرد الببغاء بطول العمر لان في جدول غورني امثلة كثيرة على ذلك فقد ذكر فيهِ غراب عاش ٦٨ سنة وبوم عاش ٦٩ سنة وعقاب اميركي عاش ٥٢ سنة ونسر عاش ٥٦ سنة واوزة برية عاشت ٨٠ سنة وبجعة اهلية عاشت ٨٠ سنة الخ . على ان في هذا الجدول لم تجمع اعمار الطيور كلها ففي حديقة الحيوانات في قصر شنبرن بالقرب من فينا عقاب رأسهُ ابيض بلغ ١١٨ سنة ونسر ذهبي عاش ١٠٤ سنين واسرت انثى نسر في النورويج سنة ١٨٢٩ ونقلت الى انكلترا حيث عاشت ٧٥ سنة وفرخت اثناء الثلاثين سنة الاخيرة ٩٠ فرخًا وذكر بعضهم عقاباً بلغت ١٦٢ سنة

ويستدل من مجموع هذه الامثلة على ان عمر الطيور عموماً طويل الاَّ انهُ اقصر من عمر الزحافات ولا يصل على الاطلاق الى عمر التمساح والسلحفاة ومعنى ذلك انهُ حصل تقهقر في عمر ذوات الفقرات وهو اظهر في ذوات الثدي . والمئة لا يبلغها الاَّ الانسان ولا

يبلغها الفيل الأ نادراً وما يروى عن عمر الفيل وادراكه ثلثمائة سنة او اربعمائة سنة انما هو من الروايات الملفقة التي لا تستند الى حقيقة وما يذكر عن الفيل البري لا يركَنَ اليهِ واما الفيل الداجن الذي يعتنى بهِ اعتناء خاصًّا في حدائق الحيوانات فيعيش فيها من ٢٠ الى ٣٠ سنة والفيل الذي اهداهُ محمد علي الى حديقة الحيوانات عاش فيها ٣٠ سنة وظهر من القوائم الرسمية لحكومة الهند الانكليزية التي تعين فيها وفيات الفيلة ان من ١٣٨ فيلاً عاش واحد فقط ٢٠ سنة بعد مشتراهُ . ومثلهُ الرينوسيروس وهو اضخم ذوات الثدي جثة عاش واحد منهُ في حديقة لوندرا ٢٥ سنة وآخر ٣٧ سنة . ويقول سكان البلاد التي يقطنها الفيل ويعرفون طبائعهُ جيداً ان الشيخوخة تبدو عليهِ بين سن ٥٠ و ٦٠ فهو يقرب من الانسان وان يكن الانسان اصغر منهُ جسماً

والخيل والبقر قصيرة العمر رغماً عن ضخامة جثتها فالخيل تعيش من ١٥ الى ٣٠ سنة وتشيخ في سن ١٠ ويندر ان تبلغ ٤٠ والبقر تعيش من ٢٥ الى ٣٠ وتبدو الشيخوخة عليها في سن ٥ اذ تصغر اسنانها ثم تسقط او تحت في سن ١٦ و١٨ والبقرة ينقطع لبنها في هذه السن والثور يخسر قوة الانتاج والبقر مع ذلك قليلة النتاج ومدة حمل البقرة ٢٤٢ يوماً فهي تقرب من مدة حمل المرأة التي هي ٢٨٦ يوماً وعمرها اقصر كثيراً من عمر المرأة

والحيوانات المجترة كالغنم قصيرة العمر فالخروف لا يعيش الأ ١٢ سنة ويندر ان يبلغ ١٤ وتقع اسنانهُ بين ٨ و١٠ سنين وربما عاشت بعض المجترات كالجمل والوعل اكثر من البقر ولكن ليس لدينا معلومات دقيقة عنها

والضواري الداجنة قصيرة العمر ايضاً فالكلب يعيش ١٦ الى ١٨ سنة ويندر ان يبلغ ٢٢ سنة وتبدو الشيخوخة عليهِ من سن ١٠ الى ١٢ والقط يعيش من ١٠ الى ١٢ وقد يبلغ ٢٣ سنة ولكن الشيخوخة لا تبدو عليهِ باكراً كما تبدو على الكلب

والحيوانات القراضة عموماً والداجنة منها خصوصاً كثيرة النتاج وقصيرة العمر فالارنب لا تبلغ السنة العاشرة الأ نادراً واقصى حياة الكوباي (خنزير الهند) ٧ سنوات ولا تبلغ الفيران اكثر من ٦ سنوات

يتضح من ذلك ان ذوات الثدي كبيرة كانت او صغيرة اقصر عمراً من الطيور ويحمل ذلك على الاعتقاد بانهُ طرأ على بنيتها عامل خصوصي عمل في تقصير عمرها تقصيراً مهمًّا . وعلينا ان ننظر فيهِ ونجتهد في تبيانهِ

يقولون ان ذوات الفقرات الدنيا ومن جملتها الطيور تتناسل بالبيوض وذوات الثدي

لتناسل بالولادة وان القوة التي تصرف في ولادة الاولاد كاملة البنية اكثر كثيراً من القوة التي تصرف في بيض البيوض لان اغتذاء الجنين من امهِ ينهك قوتها فيقصر عمرها وهذا ما يعلل قصر العمر في ذوات الثدي

ولكن هذا الرأي لا يستند الى ركنٍ وطيد وما نعلمهُ عن طبائع الحيوانات لا يجيز التسليم بهِ لان مدة العمر في ذوات الثدي هي واحدة تقريباً في الذكر والانثى مع ان قوة الانتاج في بنية الاناث اقوى مما هي في بنية الذكور . وفي العالم الحيواني وخصوصاً في عالم الحشرات امثلة كثيرة تدل على تباين في العمر بين الذكور والاناث من نوع واحد فان اناث بعض الحشرات تعيش اكثر من ذكورها ٦٤ مرة . ويغلب في اكثر الانواع ومن الجملة في الانسان ان يزيد عمر الاناث على عمر الذكور رغم ما تصرف الاناث من القوة في انتاج صغارها وعليهِ لا يكون صرف هذه القوة سبباً لتقصير العمر

وزد على ذلك ان الحيوانات اللبونة تصرف قوة في وضع اولادها اقل مما تصرف الطيور في بيض بيوضها كما اتضح بالفحص الدقيق وعمرها مع ذلك اقصر من عمر الطيور . والمعروف عموماً ان قوة الحيوان على الانتاج لا تقابل ضرورة غزارة نتاجهِ لان سمكة واحدة من نوع البروشه باضت ١٣٠٫٠٠٠ بيضة من بيوضها في وقت واحد والسمكة او الضفدع التي تبيض الوفاً من البيوض هما اغزر نتاجاً من العصفور الدوري الذي لا يبيض في السنة اكثر من ١٨ بيضة او من الارنب التي لا تلد الاَّ ٢٥ الى ٥٦ جرواً ولكن العصفور الدوري والارنب يستهلكان من مادتهما بانتاج مواليدهما اكثر مما يقتضيهِ وزن جسمهما واما الضفدع فلا تستهلك في كمية البيض الهائلة التي تبيضها الاَّ سبع وزنها فقط

ومن الثابت انهُ كلما قل الخصب اي قلَّ عدد البيوض او المواليد الصغار زادت قوة الانتاج واذا عبَّرنا عن هذه القوة بالوزن بعدد ١٠٠ كانت في الحيوانات الامفيبية اي التي تعيش في الماء والهواء ١٨ وفي الزحافات ٥٠ وفي ذوات الثدي ٧٤ وفي الطيور ٨٢ ويتضح من ذلك انهُ اذا كان قصر العمر في ذوات الثدي هو نتيجة انحطاط الجسم المسبب عن فعل الانتاج فلا تكون زيادة النتاج هي السبب الرئيسي لذلك بل قوتهُ لان تلك القوة في الطيور اكثر مما هي في ذوات الثدي وعليهِ فقصر حياتها لا يرجع الى قوة الانتاج ولا الى كونها تلد صغارها احياء كاملة ولا تبيض بيوضاً كالطيور والزحافات الاطول منها عمراً بل يرجع الى سبب آخر يجب ان نبحث عنهُ ونفتش عليهِ في غير هذا المحل

الدكتور امين ابو خاطر

الصور المتحركة

ليس بين المخترعات الحديثة ما هو اعجب عملاً وادعى الى الدهشة من الصور المتحركة (سيماتوغراف) . ولو كانت فائدة هذا الاختراع على قدر غرابتهِ لعُدَّ من اكثر المخترعات فائدةً ولكن فائدتهُ العملية قليلة مقصورة على اظهار الاعمال الطبيعيَّة ايضاحاً لبعض القواعد العلمية كاظهار حركات القلب ونمو البزور وتلقيح الازهار وما اشبه

واكثر ما يدعو الى الدهشة تمثيل امور وقوعها مستحيل او في حد المستحيل كتمثيل الاسود تهجم على انسان في غابة فيتعذَّر عليها افتراسهُ او انطراح رجل امام قطار سكة الحديد وهو جارٍ بسرعتهِ المعهودة فيمر فوقهُ ولا يقتلهُ . او طرح انسان مكشوف اليدين في بئر فيصعد منها سليماً او جلوسهُ في بركة كبيرة والماء فوق رأسهِ وهو يدخن سيكارتهُ او نحو ذلك من الاعمال المدهشة

ولا يخفى ان الصور المتحركة صور فوتوغرافية كثيرة تصوَّر الواحدة بعد الاخرى اثناء حصول العمل الذي يظهر بها فيرتسم فيها متدرجاً بكل درجاتهِ حتى اذا توالى مرورها امام العين بعد ذلك جمعتها العين معاً ورأَت من مجموعها ذلك العمل الذي حدث حينما صورت ورأَتهُ يحدث فعلاً

مثال ذلك ان تمد يدك الى صحفة امامك وتتناول تينة منها وتضعها في فيك . فاذا كان امامك مصور شمسي آلتهُ تصوّر الصور المتحركة وادارها حين مدّ يدك الى الصحفة وتناوُل التينة منها حتى ارتسمت على شريطها الحساس مئات من الصور اثناء حركة يدك الى ان صارت التينة في فيك وأُظهرت هذه الصور كما تظهر الصور الفوتوغرافية عادةً ثم مرَّ شريطها بسرعة امام نور يلقي صورها مكبَّرة على ستار — ظهرت صورتك على الستار وانت تمد يدك الى الصحفة وتتناول التينة منها ثم تأكلها كما تظهر لمن يراك وانت تفعل هذا الفعل

ولا يخطر ببال من يرى الصور المتحركة تمثّل في مشاهدها الاَّ ان ما تمثّلهُ من الاعمال قد حدث فعلاً مهما كان غريباً . وهذا هو الواقع في اكثر الصور المتحركة ولكن بعضها يمثل اموراً غير واقعة او لا يمكن ان تقع بوجه من الوجوه فكيف صوّرت هذه الصور

والظاهر ان صانعي الصور المتحركة ملُّوا من تصوير الحوادث الفعلية لكثرة نفقاتها او لقلَّة غرابتها ورأَوا ان لا بدَّ من تفكيه المشاهدين بما يسرهم ويسليهم فلجأُوا الى تصوير

حوادث لم تقع او يندر وقوعها او يستحيل او هي من المسليات لشدَّة غرابتها او لانها ممَّا يضحك كثيراً لبلوغها حدًّا فائقاً جدًّا في الفكاهة

لنفرض انهم ارادوا ان يصوروا حادثة رجل دخل غابة وامسك منها اسداً كبيراً وركب على ظهرهِ وجعل يخطر ذهاباً واياباً والاسد ذليل كالحمار . فان حادثة مثل هذه يستحيل وقوعها فعلاً فيعمد المصور الماهر الى تصوير الغابة وقد ينقلها عن غابة حقيقيَّة او عن صورة غابة فوتوغرافية ويصنع منها الوفاً من الصور . ثم يصور بقلمهِ في واحدة منها رجلاً داخلاً اليها وهو في اول دخولهِ ويصورهُ في الثانية رافعاً رجلهُ اليمنى ليتقدم خطوة وفي الثالثة رافعاً رجلهُ اكثر ممَّا رفعها في الثانية وهلمَّ جرًّا . اي انهُ يحلل مشيَهُ في دخولهِ الغابة الى مئات من الصور ويصورها كلها الواحدة بعد الاخرى ثم يصور خروج الاسد من قلب الغابة وهجومهُ عليهِ في مئات من الصور ويصور بعدها صدامهُ مع الاسد الى ان يقهرهُ ويركب على ظهرهِ . وقد يبلغ عدد الصور لمنظر واحد عشرة آلاف صورة او اكثر وهي متناسقة منتظمة يتألف من مجموعها حادثة تظهر كأنها فعلية . ثم ينقل هذه الصور كلها بالفوتوغراف على شريط واحد ويطبع عنهُ الوفاً من الصور على شرائط اخرى تعرض في مشاهد الصور المتحركة في المسكونة فيندهش الذين يرونها اعظم دهشة لخروجها عن حد المألوف او لما فيها من المضحكات

وممَّا هو اغرب من ذلك لانهُ في حد المستحيل ان ترى انساناً دخل بيتهُ سكران وتخاصم مع زوجتهِ وكانت الصحاف على المائدة في انتظارهِ للعشاء فرماها مغضباً وكسَّرها كلها وقلب المائدة والكراسي وكسرها وطرح بعض اثاث البيت الى خارجهِ ثم ترى المائدة جلست من نفسها وانتظمت الكراسي حولها وعادت شقف الصحون فاجتمعت والتحمت واصطفت على المائدة وجاء الاثاث من خارج البيت ودخل من الباب او الشباك سائراً في الهواء من نفسهِ . او ان ترى رجلاً افلس فحُجز اثاث بيتهِ وأُخرج منهُ وبيع بالمزاد العلني فاسقط في يدهِ وعلتهُ الكآبة وبعد قليل نام وحلم ان اثاثهُ عاد الى مكانهِ فاتت الاسرة من نفسها ونصبت في اماكنها ثم اتت الفرش محزومة وفُككت من نفسها وانبسطت على الاسرة ثم جاءت البسط والخزائن والكراسي والموائد وهلمَّ جرًّا وحدث ذلك فعلاً كما حلم . اي ان الحلم الذي هو وهم في وهم صار حقيقة فعليَّة . فان المصور الماهر يستطيع ان يمثلهُ كلهُ بالوف من الصور تظهر امام عين الرائي كانها تمثل حادثة وقعت فعلاً مع ان وقوعها ضرب من المحال

ومن هذا القبيل كل الصور العلمية التي تمثل نبضان القلب وجريان الدم في الشرايين ونمو النبات وتكون الازهار وثوران البراكين وسير الكواكب وما اشبه

او لنفرض ان صانع الصور المتحركة اراد ان يصور رجلاً معجباً بنفسهِ مدعياً الانفة والشمم يدخل بيتهُ ويرى من زوجتهِ ما يريبهُ فيهجم عليها ليضربها فتخلع حذاءها من رجلها وتوجعهُ ضرباً بهِ على رأسهِ الى ان يتخلص منها ويهرب ويختبئ تحت سريرهِ . فان حادثة مثل هذه ليست مما يستحيل حدوثهُ ولكن قد لا يوجد من يريد تمثيلها فالمصور الماهر يستطيع ان يصور الوفاً من الصور تمثلها تماماً وتكون مما يغرب لهُ المشاهدون ضحكاً . وامثلة ذلك كثيرة تشاهد في كل مشاهد الصور المتحركة

وقد يقتضي تحضير الشريط الواحد لصورة من هذه الصور شهراً كاملاً او اكثر مع ان اظهارهُ في مشهد الصور المتحركة لا يستغرق اكثر من عشرين دقيقة

واهم ما في هذا العمل استنباط الحادثة التي اذا صوّرت اقبل الناس على مشاهدتها والاعجاب بها لغرابتها او لانها من المسليات المضحكات . ومتى استنبطت هذه الحادثة وتصوَّرها المصور في ذهنهِ لم يتعذَّر عليهِ رسمها على الورق بكل درجاتها . اما الحوادث التي حدثت فعلاً والتي يمكن حدوثها فهذه يسهل تمثيلها فتمثَّل وتصور ولو اقتضى تمثيلها السفر الى اقاصي البلدان واستخدام مئات من الرجال وانفاق بدرات من الاموال . ولكن الافعال التي يستحيل او يتعذَّر وقوعها فعلاً لا بدَّ من رسمها بالقلم وتصويرها على ما تقدَّم

ولا يخفى ما يجدهُ المصور من العناء في رسم الصور حتى يتألف من مجموعها صورة يظهر انها تتحرك حركة طبيعيَّة لا تصنُّع فيها ولا يخامر من يراها ادنى شك في انها طبيعية في كل حركاتها وسكناتها واشكال الاشخاص المرسومين فيها . فاذا كان هناك رسم رجل سائر في طريق منحدر فعلى المصور ان يعرف كم ينبغي ان يصوّر من صورهِ حتى اذا توالت امام العين في وقت محدود ظهر ان الرجل لم يسرع سرعةً فائقة ولا ابطأ في سيرهِ لانهُ اذا اكثر من الصور ظهر ان الرجل يمشي الهوينا متسكعاً واذا قلَّل منها ظهر كأنهُ يقفز قفزاً يتعب نظر الرائي

ولا يستطيع المصور الواحد ان يرسم الصورة كلها بل يرسم حدودها ويسلمها لمساعديهِ حتى يتموها وهو يرسم الرسم الاول على لوح من الزجاج المنحوت ثم ينقلهُ على ورقة بيضاء ويضعها تحت لوح آخر فترشدهُ الى ما يجب ان يغيرهُ في الرسم الثاني وهلمَّ جراً

ولا بدَّ لهُ من ان يتصور دائماً حال المشاهدين وما يتجه نظرهم اليهِ فاذا صوَّر رجلاً رمى كرسياً في الهواء فيجب ان يصوره في الصور التالية واقفاً رافعاً يديهِ لا يتحرك ويخص التحريك بالكرسي الى ان يبلغ اعلى ما يصل اليهِ ثم يجعل الرجل يخفض يديهِ رويداً رويداً بينما يكون الكرسي هابطاً الى الارض

ولا بدَّ من التدقيق التام في رسم الحركات كلها وكل جزء منها ومن الاشخاص والاشياء التي تتحرك لان الصور تكبَّر كثيراً وقت اظهارها امام المشاهدين فاقل نقص اوخلل فيها يظهر مكبَّراً فينفر منهُ المشاهدون

ومتى تمت الرسوم كلها التي تمثل صورة متحركة تنظم بعضها مع بعض وتصوَّر على شريط طويل من ورق التصوير الشفاف المحضَّر وتطبع منها صور كثيرة وان كان بين الرسوم رسوم ثابتة غير متغيرة فهذهِ لا يضطر المصور ان يرسمها بيدهِ بل يضيف صورها الفوتوغرافية الى الرسوم التي رسمها ولكن لا بد لهُ من ان يضعها في محلها تماماً

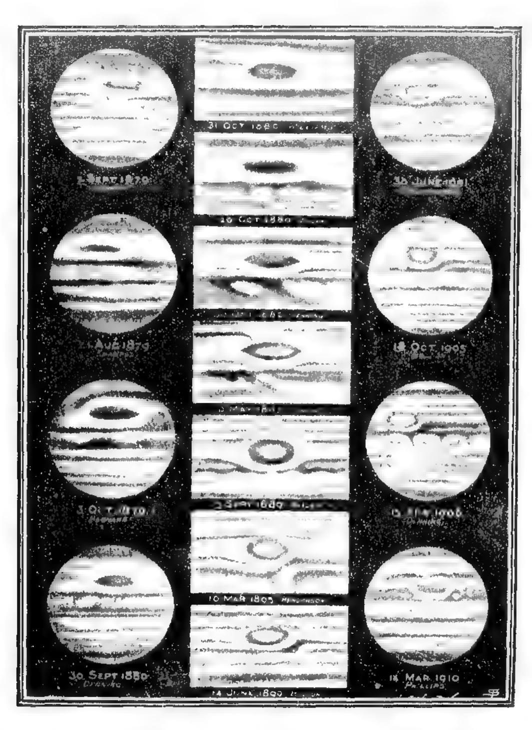
والخلاصة ان كل ما يرى في الصور المتحركة مما يستحيل او يصعب وقوعهُ فعلاً انما هو منقول عن رسوم مصنوعة لا عن اشياء وافعال حقيقية وهذا ما لم نكن نعلمهُ قبلاً

المشتري في مخاض

ليلة قمراً

المشتري اكبر السيارات التابعة للنظام الشمسي . سماهُ العرب بهذا الاسم لانهُ اشترى الحسن لنفسهِ كما قالوا . فان كان الامر كذلك فما الذي ابقوهُ للزهرة وهي اسطع منهُ نوراً واعظم سناءً وقد لقبها غير واحد منهم بملكة الجمال . ويسمي الغربيون المشتري جوبتر وهو ايضاً اسم كبير آلهة الرومان يقابلهُ زفس عند اليونان قبلهم ومردوخ عند البابليين والاشوريين . ولعلهم سموهُ بهذا الاسم تشبيهاً لهُ بكبير آلهتهم او لانهم حسبوهُ اليق الاماكن بسكنى كبير آلهتهم فسموهُ باسمهِ

وقطر المشتري ٨٥ الف ميل وحجمهُ ١٢٥٠ ضعف حجم الارض ولكن كثافة مادتهِ ربع كثافة مادة الارض فلذلك كان ثقلهُ غير مناسب لحجمهِ اذا قيس بحجم الارض وثقلها . فبينما نرى حجمهُ ١٢٥٠ ضعف حجم الارض كما تقدم نرى ثقلهُ ٣٠٠ ضعف ثقلها



المشتري ومناطقهُ وبقعهُ

مقتطف يناير ١٩١٧

امام الصفحة ٢٠

ومتوسط بعدهِ عن الشمس ٤٧٨ مليون ميل · فلو ان قطاراً يقطع ٥٠ ميلاً في الساعة خرج من الشمس قاصداً المشتري لبلغهُ في تسعمائة سنة · وبعبارة اخرى لو قام قطار من الشمس في عهد الحاكم بامر الله العبيدي ما بلغ المشتري الاَّ في ايامنا هذه

ولتقريب امر حجمهِ وكثافتهِ الى الافهام نقول انهُ لو قُطع ١٢٠٠ قطعة لكانت كلٌّ منها اكبر من الارض · ولو جمعت السيارات كلها كتلة واحدة ما بلغ ثقلها نصف ثقل المشتري

وسنة المشتري تساوي اثنتي عشرة سنة من سني ارضنا وهو يدور على محورهِ في نصف المدة التي تدور فيها الارض على محورها ولكن لما كان جرمهُ اكبر من جرم الارض بكثير فان سرعتهُ في الدوران على محورهِ اعظم من سرعتها بكثير ايضاً · وبينما الارض تدور ١٧ ميلاً في الدقيقة يدور المشتري ٤٦٦ ميلاً وهو يتمّ دورتهُ على محورهِ في نحو ١٠ ساعات اي ان طول يومهِ نحو ١٠ ساعات في حين ان الارض تتمّ دورتها اليومية في ٢٤ ساعة وهو طول اليوم من ايامها

ويمكن حسبان المشتري اما شمساً صائرة الى الانحلال والاضمحلال واما ارضاً في دور التكوين فانهُ كرة كبيرة من الغاز والمواد الذائبة لم يمرّ عليها الزمان اللازم لتصير كتلة باردة جامدة · ولما كان اشبه بالشموس منهُ بالكواكب التابعة فقد ارتأى البعض ان بعض نورهِ اصليٌّ منبثق منهُ لا مكتسب من الشمس كلهُ · ولكن الفلكيين ليسوا متفقين في ذلك · وما يقال في نورهِ يقال في نارهِ فان السحب التي تجمع في جوّهِ قد تكون ناشئة عن حرارة اصلية فيهِ او عن حرارة الشمس الواردة اليهِ

والناظر اليهِ بالتلسكوب يرى على سطحهِ منطقتين عريضتين ومنطقتين اخريين او ثلاثاً اضيق منهما على جانبيهما · وهذه المناطق موازية لخط الاستواء فيهِ · وقد تضيق هذه المناطق جدًّا وحينئذٍ يرى عددها على ازدياد

ولما كان المشتري غير جامد القوام كالارض اي لا يزال بين الغازية والسيولة بسبب اشتداد الحرارة فيهِ فهو لذلك مغلف بغلاف كثيف من السحب والغيوم · ويرجح ان المناطق المشار اليها انما هي شقوق في غلافهِ الى ما تحت سطحهِ · وهذا غاية ما عرف عنها · فانها تبقى شهوراً طوالاً غير متغيرة ثم يطرأ عليها ما يغيّر منظرها مما بعث على الظن ان اعاصير شديدة تثور على سطح المشتري فتغير هيئتهُ · وقد تلوح مناطقهُ في

بعض الاحيان مبقعة منقطة ولا تعلم ماهية هذه البقع والنقط حتى الآن

وتدل الدلائل على ان المشتري في حالة لولا كرامة مسميهِ اله آلهة البابليين واليونان والرومان لقلنا انها اشبه الحالات بمخاض الحامل وان تمخضهُ هذا قد ينتهي بانفداد قطعة كبيرة منهُ وولادة قمر جديد يضاف الى الاقمار التي تدور حولهُ الآن كما جرى للارض مع قمرها وكما جرى للشمس مع السيارات كلها . وهذا هو الذي حملنا على اعادة البحث في المشتري هذه المرة . فان على سطحهِ بقعة حمراء غريبة حيرت الفلكيين وكان اول من رآها فلكي بلجيكي في بروكسل سنة ١٨٧٨ . وكان طولها حينئذ ٣٠ الف ميل وعرضها ٨ آلاف ميل . فلو ألقيت الارض برمتها فيها لوسعتها وضفت عليها

بقي الفلكيون يدرسون هذه البقعة ثلاث سنوات وهي ظاهرة لم اتم ظهور وكانت تجول في صدر المشتري وتدور حولهُ وتتم دورتها في ٩ ساعات و٥٥ دقيقة و٣٦ ثانية فذهبوا فيها كل مذهب . فمن قائل انها بركان ولكن ينقض هذا الزعم كونها جوالة لا مقيمة في مكان . ومن قائل انها هي ما رآهُ هوك سنة ١٦٦٤ وكاسيني معاصرهُ وهذا مشكوك فيهِ . ومن قائل انها جزيرة طافية على سائل لا تعلم طبيعتهُ ولكن طول بقائها لا يوافق هذا الرأي

والذين يقولون ان المشتري في حالة مخاض يقولون ان حالتهُ هذه لا بد ان تنتهي بانفصال هذه القطعة الحمراء منهُ فتصير قمرًا يدور حولهُ . فان ارضنا لما كانت كتلة رخوة القوام كانت تدور على محورها بسرعة عظيمة حتى ان اجزاءها الاستوائية لم تستطع التماسك فانفصل بعضها وطار في عرض الفضاء ولكنهُ بقي تحت تأثير جاذبية الارض حتى اذا بلغت القوة الدافعة حدها دار ذلك الجزء حول الارض وكان دورانهُ هذا نتيجة فعل قوتين قوة الدفع او الاستمرار من جهة وقوة جذب الارض من جهة اخرى فكان القمر

وقد خطر لبعض الفلكيين ان يصور البقعة الحمراء وما طرأ عليها من الحركة والانتقال من اول ما رئيت حتى الآن اي من سنة ١٨٧٨ كما ترى في الشكل المتقدم

القَدَرية والجبرية

او الاختيار والاضطرار

(١)

لم يشتغل العقل الانساني بشيء مثل اشتغالهِ بمسألة القَدَر والجبر . فمن اول ما بدت تباشير الفكر وقُدّر لنا ان نقف على اخبار المتقدمين اهل التاريخ الاول سمعنا بهذه المسألة . فهي قديمة وربما كانت اعرق في الوجود من كل فكرة اخرى . ولما جاءت الاديان جعلتها موضع نظر ولكنها لم تتصل الى حلها بل تركتها بحذافيرها تنتقل من جيل الى جيل حتى وصلت الينا ولم تزل الشغل الشاغل للمفكرين والفلاسفة . بل لا نغالي ان قلنا انها من الاسس الاولى التي تبنى عليها اليوم اقسام كبيرة من الفلسفة والعلم . فمسائل التشريع والقواعد الاقتصادية والافكار الاجتماعية كلها تمسّ هذه الفكرة وتعتمد بها . وكلنا في اعمالنا اليومية ومعاملاتنا مع الآخرين لا ننسى مبلغ ما يترتب على عملنا من المسؤولية الشخصية ولا مقدار المسؤولية التي تقع على عاتق غيرنا بانين ذلك على ان الانسان حرٌّ مختار . وكلنا نحس ان الافراد لا يتساوون في هذه المسؤولية بل تصغر عند قوم وتكبر عند آخرين على نسب مختلفة للعمل الواحد

ولم يصل كثير من الباحثين الى نقطة عملية عامة في هذه المسألة . بل تراهم يميلون الى الاعتراف بقسط من الاختيار لكل فرد من الافراد لم يخرج عن عقلهِ كَبر ذلك القسط ام صغر . وتراهم يقولون انه لولا ذلك لما ساغ لنا ان نستاء من عمل غيرنا ولا ان نفرح لهُ . لكننا نستاء ونفرح . ولا شك ان معنى هذا اننا نقدّر ان هذا الشخص كان يستطيع ان يعمل غير ما عمل فيستحق منا احساساً مخالفاً للاحساس الذي ابديناهُ حين رأيناهُ عمل ما عمل . ولا بدّ لنا ايضاً من الاعتراف بقسط من الجبر او الاضطرار يختلف قدرهُ باختلاف الافراد . وهذا هو السبب في ان الاحساس الذي نقابل بهِ عملاً معيناً من زيد ليس هو بعينهِ الاحساس الذي نقابل بهِ هذا العمل من كل شخص غيرهِ

هذه هي الافكار العملية العامة في الموضوع . ولسنا ندري هل كانت تتغير قريباً . ولكن ما لا شك فيهِ انها تشكلت باشكال كثيرة ولبست مع الاحوال المختلفة لبوساً جمة . فبالنسبة لقيَم الاختيار والاضطرار وبالنسبة لمصدرهما راجت افكار واوهام كثيرة على مدى الازمان المختلفة . فجبرية اليوم يرجعها المعاصرون من كتّاب اوربا الى تأثيرات الوراثة

والوسط في حين كان يرجعها اهل الزمن القديم الى القدرة الالهية · والاختيار المطلق والاختيار النسبيّ شغلا من الابحاث آلاف الصحائف · وكذلك مقدار الاختيار · ولسنا نريد بما نكتب تحليل هذه الابحاث ولا التنقيب عما كان واستظهارهُ بل اثبات رأي نعتقدهُ واظهار اثر هذا الرأي في بعض جهات العلم والفلسفة ولاسيما ما اختص بفكرة المسؤولية وتقدير الخير والشر

وقبل الشروع في ذلك نرى ان نوضح هذا الرأي في ذاتهِ وموضعهِ بالنسبة للآراء الاخرى · ولا يلمنا احد بالتعجل في ذلك فان اول ما نطلب ان يكون القارئ عارفاً ببرامينا حتى اذا قرأ ما نكتب كان قادراً على اتباع اسباب الحجة التي ندلي بها وطرقها ومسالكها فيصل بها معنا الى الغاية التي نراها من غير ان يكلف نفسهُ الرجوع اليها ليرى مواضع الضعف منها

اما رأينا فهو ان الاختيار معدوم من الوجود جملة وانما تصرفنا قوانين مرتبة نعرفها وصدف واتفاقات ربما كانت تسير على قوانين لا نعرفها · ولسنا نقصد بالاختيار هذه الحرية الجزئية الضئيلة التي نستطيع معها ان نسير الى اليمين لا الى اليسار ونأكل صنفاً دون آخر ولكننا نقصد بهِ مجموع القوة المصرفة للحياة والمتسلطة على هاتهِ الحرية الجزئية · نقصد بهِ روح الحياة ذاتها · فهذه الروح او تلك القوة او ما شئت فسمها معدومة الاختيار من جميع الجهات سواء كان ذلك من جهة تكوينها المباشر بالذات او من جهة الظروف الخارجية التي تعيش وقتيًّا في وسطها · وهي مدفوعة في طريقها بعوامل لا دخل لها مطلقاً فيها او ان كان ثمت لها دخل فهو ضئيل الى درجة معدومة الاثر · وهذه الحرية الجزئية الضئيلة التي نعتقد اننا نملكها بيدنا واننا نتصرف على مقتضاها في حياتنا اليومية معدومة ايضاً وما نراهُ منها انما هو خيال ووهم

كلما تيسر لي ان افصل بذلة جديدة يدخل رأسي تصميم ان اغير الالوان المعتادة التي البسها وادخل محل الخياط على هذا التصميم · وبعد ان اقلب خمسين قطعة من القماش اقف عند اختيار لون لا يخرج مطلقاً عن الواني المعتادة · وقد خرجت مرة عن هذا الجمود لعلي ارى في الجديد طلاوة فلما لبست بذلتي الجديدة شعرت بعدم ارتياح لما عملت كأنهُ خالف اختياري · فهل انا مختار في المرات الاولى وهل انا مختار في هذه المرة الاخيرة ؟ واعتقد ان كثيرين مثلي لاحظوا من ذلك ما لاحظتهُ

نجد هذا ايضاً عند اعتيادنا اختيار الطعام · نجد هذا الاختيار محدوداً لا يتعدى اصنافاً معينة · فاذا تعداها الانسان حسب نفسهُ خرج على نفسهِ · اي حسب نفسهُ غير

كامل الاختيار . ويكون ذلك احساسهُ في غير هذه الجزئيات كل مرة يخرج فيها عن معتاد اختياره اللهمَّ الاَّ اذا نسي نفسهُ مع اصحاب او جماعة ايًّا يكونون . وهو لا شك في هذه الحالة مسلوب الاختيار في اغلب الاحيان

ونظن القارئ في غنى عن ان نضرب لهُ الامثال لذلك . ومن هذا نرى ان هذه الجزئيات البسيطة من متعارف ما في الحياة ومما نظن لانفسنا كامل الحرية فيهِ انما حدد اختيارنا لها ظروفٌ خارجة عنا كوَّنت عندنا عادة اعدمت هذا الاختيار وبالتالي قتلت هذه الحرية

واذا ارتقينا فوق هذه الدرجة وجعلنا اعمالاً اكبر من الاعمال اليومية موضع نظرنا تجلَّى لنا انعدام الاختيار عند الانسان بشكل اوضح. وليست الامثال هي التي تعوزنا هنا. فنادرٌ هو الرجل الذي لم تجئهُ حادثة خارجة عن انتظارهِ بل عن اعتقادهِ فاضطرتهُ ان يتبع مسلكاً من مسالك الحياة لم يكن يحلم بهِ . ونادر من لم توَثر في حياتهِ او اعمالهِ صداقة رجل معين او حب امرأة معينة . ونادر من لم تغير خطتهُ مقابلة في قطار او سفرة الى بعض المدن . ونادر منا من لم يكن لمرضهِ او لزواجهِ او لنسلهِ تعديل عام لطريق سيرهِ . وربما كانت كلمة نادر غير كافية فاقول ليس في الوجود انسان لم يرضخ لحكم كل هذه الظروف او بعضها. على انها حين تقابل الواحد منا تُحدِث عندهُ اثراً غير الاثر الذي تُحدثهُ عند الآخر وربما كان على عكسهِ . والواحد منا لا يستطيع ان يغير فيها او يبدل . وانما يخضع لها مجبراً غير مختار

ومركز الواحد منا في الحياة — كونهُ ابن زيد لا ابن عمر . وكونهُ ولد في بلد وفي قطر معين وفي عصر معين — ايُّ اختيارٍ لهُ في هذا . من غير شك لا اختيار لهُ وانما هو يحتمل هذا المركز مجبراً سواءٌ ارادهُ او لم يردهُ . ومن لنا بالرجل الذي يقدر على اختيار مركزهِ

ربما قيل انهُ مهما امكن التسليم بصحة ما تقدم فان في نفي الاختيار بالمرة مغالاة وان من الواجب الاعتراف باختيار نسبي للفرد يميز بهِ بين الخير والشر والحسن والقبيح ويمكن معهُ احتمال مسوءولية العمل الذي يعملهُ . وان هــذا الاختيار النسبي الذي هو اساس المسوءولية ونتيجة من نتائج حرية الارادة حريةٌ نسبية وهو متعلق بالفرد ملتصق بهِ بل هو جزءٌ منهُ

ولا شك في ان هذا الكلام غير خلو من المعنى . فان لنا ارادة نسبية نميز بها اعمالنا اليومية وتجعلنا مسوءولين امام ابناء عصرنا عما يصدر منا من الاعمال . وهي هذه الارادة التي تعطينا الحق في موءاخذة غيرنا وفي موءاخذة انفسنا . لكن هذه الارادة النسبية هي كما

قدمنا محكومة بظروف خارجة عنها موءثرة فيها باعثة اياها حتمًا لتسير في طريق معين. اي ان ارادتنا ليست حرة في ان تريد. فالاحكام التي تصدر عنها والتصميمات التي نتبعها انما هي مدفوعة اليها بعوامل خارجة عنها ربما كانت قوانين الطبيعة وربما كانت الصدف التي لا نعرف قوانينها . وربما كانت ايضاً روح الوجود الخفية والقوة المصرفة لهُ التي لا ندرك ماهيتها . وربما كانت مجموع هذه الاشياء

ففي الامثال البسيطة التي قدمنا عن اختيار اللون في الملبس والمطعم رأينا ان هذا الاختيار مقيَّد بقيود كثيرة منها الوسط الزماني والوسط المكاني ونوع التربية ومبلغ الصحة او المرض والقوة او الضعف التي عند الفرد وعوامل كثيرة اخرى ليس من السهل حصرها. وقد رأينا ايضاً حين ترقينا فوق هذه الامثال ان هذه القيود لا اختيار لنا في وجودها. وكون الرجل ابن شخص معين ولد في بلد معين وفي زمن معين وفي امة معينة امورٌ كلها بعيدة جدًّا عن ان تكون من اختياره . ومع ذلك فلها تأثير بيّن واضح في آخر درجات الاختيار لانها هي اسباب الارادة

وهذه الاسباب نفسها غير مختارة لانها غير متعلقة بارادة عاقلة نعرف ماهيتها فوجود زمن من الازمان او مكان من الامكنة على صورة معينة امرٌ لا دخل لارادة معينة فيهِ . بل هو نتيجة لعوامل بعيدة عن ارادة الناس افراداً كانوا او جماعات . وكل جيل من الاجيال يحتمل غير مريد نتيجة اعمال آلاف الاجيال التي سبقتهُ . ويحتمل غير مريد شر اعمال الاجيال المعاصرة لهُ . واذا كان ذلك شأن الجيل فان الفرد الذي هو ذرة منهُ يحتمل تأثير ملايين من ارادات معاصريهِ وملايين الملايين من ارادات الاجيال الماضية . فهل يبقى مع ذلك صاحب ارادة خاصة ويستطيع ان يقول حين يعمل عملاً معيناً اني قمت بهِ لانني اردتهُ ؟

ليتصور القارئ معي نفسهُ . هو الآن يقرأ هذه السطور . فهل هو مريد في ذلك . واذا كان مريداً فما هي قيمة اختيارهِ في هذه الارادة . اولاً من اجل ان اكتب ما اكتب مررت بآلاف بل بملايين من المؤثرات التي شكّلت ارادتي على ما ارادت هي لا على ما اردت انا . ثم كتبتهُ بعد ذلك . وكتبتهُ في اوقات ربما كان يكفي ان تتغير هي لتغير ما اكتب . ثم نشرتهُ في هذه المجلة بعد تفكير في ظروف لا دخل لي فيها هي التي استوقفت عزمي عندها . فلمَ لم انشرها في غيرها ؟ لاسباب خارجة عن ارادتي اذا نحن اعتبرنا مطلق الارادة . وقرأها القارئ في هذه المجلة لانهُ من قرائها لا لانهُ يريد ان يقرأ كلامي

ثم ما هو الاحساس الذي يجدهُ القارئ حين القراءة . اهو الانبساط ام الامتعاض ام عدم الاهتمام ؟ لاشك ان ذلك كلهُ يختلف كثيراً ما بين قارئ وقارئ . فمن الممكن ان يحرّك القارئ كتفهُ قائلاً : وما نتيجة هذه الابحاث في الحياة . ومن الممكن ايضاً ان يقول لقد احسن الكاتب فان في بحث هذه النظريات ما يؤثر في تقدير المسؤولية الاجتماعية والمسؤولية الفردية . ومن الممكن كذلك ان يمر بما اكتب ثم يلقي المجلة من يدهِ متثائباً . هذا كلهُ اذا لم يرَ في طرّق باب مثل هذا الموضوع ما لا يسمح بهِ الدين . وكل هذه الاحكام التي يصدرها يحسب انهُ مريد كل الارادة في اصدارها مع انها انما تتعلق بنوع تعليمهِ وبالمدرسة التي نشأ فيها وبالقراءات التي قرأها و بطرق التفكير التي مر بها وبالحوادث التي واجهها . ولو ان شيئاً من ذلك كلهُ تغير لتغير هذا الحكم وبكلمة اخرى لتغيرت الارادة

وظاهر من ذلك ان الارادة لا تعمل بذاتها مجردة ولكن تحت مؤثرات كثيرة هي التي تكونها على نحو خاص وتجعلها بذلك تصدر احكامها على هذا النحو محكومة بقوى تلك المؤثرات . ولا يمكن ان يقال مع ذلك انها حرة في ان تريد . بل ظاهر انها مجبرة على السير في الطريق الذي رسمتهُ لها هذه المؤثرات . وبكلمة اخرى مجبرة في اختيارها

ومن الممكن ان تُلخَّص العوامل التي تؤثر في الارادة وتحكمها في اختيارها على الطريقة الآتية :

(١) حكم الوسط الزماني والمكاني . فهذا الوسط الذي تكوّن على مدى الاجيال المتعاقبة من تفاعل ملايين الارادات الانسانية مع عوامل الطبيعة الاخرى لهُ في ارادة كل فرد منا اعظم تأثير . فان منها تتكون الافعال الاجتماعية والانظمة السياسية والقوانين الاجبارية والاعتبارات الاخلاقية . وهذه كلها وما سواها من الافعال الاجتماعية تشترك في صفة مميزة هي اكراهها كل فرد على اتباعها وجعلها تكيِّف ارادتهُ على النحو الذي تقتضيهِ

(٢) حكم الوراثة . ولهُ في كل منا اثر مباشر في تكوينهِ الجسمي والعقلي . ومعلوم ان هذا التكوين لهُ شأن كبير في حركاتنا وسكناتنا وفي جميع تصرفاتنا وفي نظرنا الى الحوادث والاشياء وسائر ما في الحياة وبكلمة اخرى في احكام ارادتنا على كل ماجلَّ ودق من الاعمال

(٣) حكم العادة . فلكل فرد حسب ما كوّنتهُ الاوساط التي نشأ فيها وحسب تأثير وراثتهِ عليهِ وما انتابهُ من حوادث المرض والزواج والوظيفة التي يؤديها في الحياة نظامات يسير عليها وتؤثر فيهِ اشد التأثير . هذه النظامات هي عاداتهُ الفردية التي كونها لنفسهِ والتي اصبحت كما يقولون طبيعتهُ الثانية . وهو كلما فكر في امر من الامور حكمتهُ تلك العادات في

التفكير وفي اتجاه ارادته . خذ مثلاً لذلك شخصاً اعتاد التدخين او اعتاد تناول ادوية معينة في اوقات معينة فترى ان هذه العادات لها في تصرفاته اثر كبير . كم ترى معتاد التدخين منحرف المزاج ضيق الصدر مسرعاً في الحكم اذا هو لم يجد سيجارته حاضرة تحت يده عند طلبه اياها . وكم تراه ساعة التدخين ميالاً في تفكيره الى طريق الاحلام والاماني . ثم كم ترى السقيم المعتاد تناول المورفين بعيداً عن الابتهاج بالحياة وما فيها اذا منع عنهُ

(٤) حكم الصدفة . ليس من ينكر ان صدفاً في الحياة غير منظورة خلقت له مركزاً خاصاً جعله ينظم حياته على شكل دون آخر من غير ان يكون له دخل في تلك الصدف مطلقاً

فهذه العوامل التي تؤثر في حياتنا وارادتنا وتتأثر هي باعمالنا وتنتقل الى الجيل الذي بعدنا محملة بماضي الانسانية الطويل مؤثرة في ذلك الجيل الجديد تترك الفرد منا وشأنه في وسط هذا العالم الهائل شأن اي ذرة اخرى من ذراته تسير في نظامه محكومة بقوانينه الخالدة غير مستطيعة لنفسها نفعاً ولا ضراً

قد يرد على هذه الحجج كلها اعتراض يجب عدم اهماله . ذلك اننا في كل اعتباراتنا المتقدمة كنا دائماً ننظر الى الارادة المطلقة كأنها مثال الارادة التي تطلب للانسان . واننا كنا نمثل الشخص الكامل الاختيار كأنه الشخص الذي يسير على غير قانون ونظام . وفضلاً عن هذا فكأننا اغفلنا فكرة الارادة النسبية اغفالاً تاماً . فاذا صح ما قدمنا من ان الارادة الفردية محكومة بقوانين تحدد اختيارها الى حد كبير فان في هذه القوانين من السعة والتسامح ما يجعل لهذه الارادة مجالاً في العمل واسعاً

وفضلاً عن ذلك فقد كان بحثنا كله دائراً حول الفرد معتبراً ذرة من الوجود متأثرة بما حولها . وما دام ذلك فلا يمكن الاّ التسليم بان كل ارادة يجب ان تخضع لمقتضى قوانين الحياة . ولكن الواجب ايضاً ان ننظر الى الفرد كوحدة قائمة بذاتها مؤثرة في الحوادث مصرفة لها على نحو معين ومشكلة اياها بشكل خاص . اي انه يلزم لمعرفة مقدار حرية الارادة ان ننظر الى هذه الارادة حين تفاعلها مع الحوادث كمؤثرة فيها قبل ان تكون متأثرة بها ونقدر مبلغ ما لها من التصرف في هذا التأثير . وذلك يحتم اكثر اذا علمنا ان العوامل المؤثرة في الارادة هي عوامل عامة على الغالب مشتركة بين كل الافراد . فان ما سميناه نحن حكم الصدفة يسير هو نفسه الى حد كبير على نظام يصيب الافراد منه بالنسبة لأثره في ارادتهم لا في حظهم سهم غير قليل . فاذا نحن اطرحنا هذه العوامل المؤثرة على اعتبار انها متساوية في فعلها في الارادة ونظرنا الى الارادة بعد ذلك مجردة عنها كان لنا ان نحكم ان

لما في الحياة اختياراً يصرف حياة الفرد وكثيراً ما يمسك بيده تصريف حياة الكون كله في مدة غير قصيرة من الزمن

وقد يضرب المعترض مثلاً ارادات مصرفة يجدها قاومت نظام الكون وغالبت قوى الطبيعة وتمكنت من اخضاعها ووصلت من ذلك الى المدنية الحالية وما فيها من المخترعات والعجائب . ولو انها اتبعت نظام الطبيعة وسارت على قانون اقل مجهود لبقي العالم متلمساً في ظلامه القديم . لكن تلك الارادات القديرة عملت ونجحت في اخضاع اقسى ما نعانيه في الحياة . فدعاة الاديان اثروا في العالم بتعاليمهم تأثيراً كبيراً وكذلك نابليون بونابرت بحروبه واعماله وقانونه المدني . و يوستنيان في التشريع الروماني . فهل هذه النفوس العظيمة التي اقامت المدنية واحيت تاريخ الانسانية ونشرت العلم والنور والهدى والحضارة ذرات تسير في نظام الكون محكومة بقوانينه الخالدة لا تملك لنفسها نفعاً ولا ضرًّا وهل هذه الارادات القوية التي قلبت حياة الوجود لم تكن الاّ عجينة شكلتها ظروف الوسط واحكام العادة ومؤثرات الوراثة من غير ان يكون لها في نفسها اثر

هذا هو وجه الاعتراض الذي يوجه في مثل هذه الاحايين . ولسنا نقف دون هذا الاعتراض او نحسبهُ يغير شيئاً من صحة ما قدمنا . فان تحليلاً بسيطاً لهاته النفوس الممتازة وما احاط بها يجعلنا نؤمن تمام الايمان بانهُ لم يكن لاصحابها من الارادة في عملهم الاّ بمقدار ما اجبرتهم على السير فيهِ ظروف الحياة كما ان الوقوف عند الارادة الفردية لذاتها وتجريدها من العوامل المشتركة التي تؤثر فيها تظهر لنا هذه الارادة قوة عمياء لا تتحرك بنفسها ولا تتصرف باختيارها ولكنها تنتظر عوامل خارجية تدفعها للسير في الطرق التي ترسمها لها

ومن اجل ان نصل الى ذلك بحجج بينة واضحة يجب ان نفهم اولاً ما هي الارادة وكيف تريد . كان الكتّاب الاقدمون يحسبون الارادة قوة من قوى الروح . والروح عندهم شعاع لطيف خارج عن مادة الجسم سارٍ فيها سريان الريح في الورد والزيت في الزيتون والنار في الفحم مؤثر فيها غير متأثر بها . وكأن ريح الورد وزيت الزيتون ونار الفحم كانت في نظرهم قوى خارجة عن المواد التي تسري فيها . وعلى ذلك كانت الارادة عندهم قائمة بذاتها تكافح ثورات الجسم احياناً وتناهض ما قد تتجه نحوهُ شهواتهُ ورغائبهُ . ولما ان ذلك في مقدور هذه القوة فقد بنوا عليهِ تكليف الانسان اتباع الخير وتوجيه ارادتهِ نحوهُ واجتناب الشر وتوجيه ارادتهِ ضدهُ واعتقدوا انهُ مها كانت الميول الانسانية شريرة بطبعها

فان قوة الارادة تكفي لتقويم عوج الطبيعة بمكافحة هذه الميول ومناضلة الطبيعة . وهذا هو عندهم اساس المسؤولية

لكنهم كانوا يرون في الواقع اشياء كثيرة تقف دون تعميم فكرتهم هذه واطلاقها . فكثيرون يوجهون همتهم الى جهة معينة ويريدون عملاً معيناً ثم تراهم وقد سقط في يدهم في كل ما ارادوا . كثيرون يريدون عيش التبتل ويعملون جهدهم له ولكن صدفة منحوسة في اعتقادهم تقابلهم بامرأة تستغويهم وتضلهم سبيلهم . كثيرون يريدون عمل الخير للناس على نحو خاص ويبذلون قصد الوصول الى تحقيق غرضهم كل ما لديهم من الوسائل ثم ينقلب سعيهم وبالاً عليهم وعلى من يريدون به الخير لظروف خارجة عن ارادتهم وترتيبهم . وكثيرون لا همة لهم ولكن خطأ غير منظور يرفعهم الى درجات العلى وينبع من بين ايديهم المعجزات . كان الكتّاب الاقدمون يرون ذلك كلهُ ويشعرون بانهُ يتفق مع فكرة الارادة المطلقة الخارجة عن مادة الجسم المصرفة لحركاتهِ وسكناتهِ حسب تدبير خاص فلا يستطيعون بغير الالتجاء الى ضعف الانسان وجهلهِ تفسير عجزهم عن اطلاق فكرتهم على كل ما في الحياة . ووسيلة ذلك هي التسامح مع قوى خارجة عن الوجود وعن عالمنا لتتداخل تداخلاً غير منظور لنا وبالتالي غير معروف منا . وعن طريق هذه المداخلة من جانب تلك القوى تحدث هذه العجائب التي لا تسير على سنةٍ ولا يحكمها قانون . فصوّروا مداخلة الشيطان لاغوائنا في جهة الشر وجعلوا افعال الخير التي تصدر عنا اثراً من اثار الالهام الالهي ووحي خالق الروح والارادة . فلما احسوا ان مثل هذه المداخلة اذا اطلقت يصل بها الحال الى ملاشاة الارادة وملاشاة الارادة تفسد عليهم فكرة المسؤولية في الدنيا وفي الآخرة لان مبناها عندهم هو حرية الاختيار جعلوا الرجل مريداً وغير مريد معاً وحكموا انهُ مختار ومضطر في وقت واحد

وبعد تقلُّب كثير في الافكار والفلسفات اطمأنت الافكار الى فكرة الاختيار النسبي لتضعها اساساً للمسؤولية

والاختيار النسبي هو افتراض الفرد مجبراً في مجموع حياتهِ مختاراً في جزئياتها . ولما كانت معاملاتهُ مع الناس متعلقة بهذه الجزئيات كانت مسؤوليتهُ امام امثالهِ تامة لانهُ يتمتع بهذه المسؤولية بحرية تامة

محمد حسين هيكل المحامي
دكتور في الحقوق

مناجاة الموتى

توفي المستر ستد غريقاً في الباخرة تيتانك كما هو معلوم وكان من المعتقدين مناجاة الارواح المجاهرين بها يدَّعي ان ارواح بعض الموتى تناجيهِ من وقت الى آخر وتحرك قلمهُ فيكتب اموراً بعضها تافه وبعضها في حد الغرابة · وقد قامت ابنتهُ بعدهُ تدَّعي دعواهُ وكتبت بالامس في مجلة ناش الانكليزية تقول

لما ابتدأ شهر يوليو من سنة ١٩١٤ موشحاً بالسلام قلما خطر على بال احد انهُ لا تمضي اربعة اسابيع حتى تنتشر فوق اوربا كلها سحابة حرب عامَّة · ولم ينصرم شهر اغسطس من تلك السنة حتى جعل الوف من شباننا يتمرنون على الحركات الحربية مع ان ذلك لم يكن يخطر لهم ببال من قبل · فان جيشنا النظامي الصغير أُرسل الى ميدان القتال وكانت البلجيك قد اجتيحت وكثيرون من رجالها ونسائها واولادها الذين لم تكن الحرب تخطر ببالهم كانوا قد قابلوا الموت وجهاً لوجه وغادروا هذه الحياة الدنيا وانتقلوا الى الاخرى · ولقد كان من حظ بعض الآباء والامهات ان سمعوا الكلمات الاخيرة من اولادهم الذين عادوا جرحى من ميادين القتال ولكن الاكثرين جاءهم نعي اولادهم او آبائهم او ازواجهنَّ — سُفكت دماؤُهم في الذود عن وطنهم بعد ان خرج كل واحد منهم من بيتهِ وودع اهلهُ وهو ممتلئ قوة ونشاطاً · ففطرت اكباد ذويهم ولا يزالون يشعرون بلوعة الفراق

يُقال لهؤُلاء تعزوا فان اولادكم وآباءكم وازواجكنَّ ماتوا موتاً مجيداً سفكوا دماءهم في الدفاع عن وطنهم وسوف تلتقون بهم في امجاد السماء

ولكن لو استطعنا ان نثبت لهم ان الذين فقدوهم لم يزالوا في قيد الوجود وقد خلعوا الاجساد الترابية ولا يزالون احياء يرونهم ويحبونهم كما كانوا وهم في هذه الحياة الدنيا ولو لم يروهم وانهم قد يشعرون بوجودهم حولهم وشعورهم هذا حقيقي لا ريب فيهِ ولا هو من قبيل الاوهام — لو استطعنا ان نثبت ذلك للحزانى لوجدوا فيهِ اكبر عزاء · واي دليل على اثباتهِ اقوى من شهادة كبار العلماء والمفكرين مثل السر اولفر لدج والسر وليم باريت وغيرهما من كبار العلماء الذين لم يكونوا يصدقون ما يقال عن مناجاة الارواح · فبحثوا وحققوا حتى اقتنعوا وشهدوا ان التكلم مع ارواح الموتى امر حقيقي لا ريب فيهِ وان الروح لا تموت

وقد يقول قائل ان كان الامر كذلك فلماذا لا يتاح لنا نحن ايضاً ان نتكلم مع ارواح

موتانا . والجواب ان الذين يطلبون الوصول الى ذلك بالايمان والصبر يتغلبون على المصاعب التي تحول دونهُ ويصلون اليهِ ويتكلمون مع الذين فقدوهم ويعلمون حينئذٍ ان النفوس لا تموت

ومن اول الادلة على نفي الموت واستمرار الحياة صُوَر الارواح الفوتوغرافية ولاسيما الصور التي تصوَّر في الظلام (سكوتوغراف) لان في هذه الصور ادلة محسوسة لا تبقي مجالاً للريب . اما نحن فنعلم عن ثقة ان الذين فقدناهم لا يزالون معنا يجانسوننا ويماشوننا ويحادثوننا واما الذين يشكّون في ذلك فلا يصدقون قولنا ما لم يسمعوا بآذانهم كلام الارواح كما نسمعهُ نحن ولكنهم اذا شاهدوا للارواح صوراً شمسيَّة او ليلية (فوتوغراف او سكوتوغراف) تُصوَّر حيث لا يحتمل الغش كما سيأتي يضطرون ان ينفوا ما يخامرهم من الشك وما يتَّهم بهِ المصدقون بمناجاة الارواح من التوهُّم والتخيُّل

ولقد رغب الحيّ ابي مراراً في ان يتصوَّر معي صورة فوتوغرافية تكون دليلاً آخر يضاف الى الادلة الكثيرة التي اقامها لي على انهُ لا يزال في قيد الوجود . ثم سنحت الفرصة منذ بضعة اسابيع لكي اتصور معهُ . فانني ذهبت الى بلدة كرو والتقيت هناك بمسز بكستن ومسز هوب وكلتاهما من الذين منحوا الحالة النورانية اللازمة لتصوير الارواح . وكنت قد اشتريت رزمة من الواح التصوير من لندن واخذتها معي من غير ان افتحها . وكان هناك المستر هوب زوج احداها وهو مصور فوتوغرافي جوَّال ووكيل شركة من شركات السوكرتاه فقابلني في بيت مسز بكستن وهي وزوجها من البسطاء في معيشتهم فجلسنا حول مائدة وضعتُ عليها رزمة الواح التصوير . وكنت قد نزلت في بيت المستر ووكر فحضر هو وزوجتهُ وجلسا معنا حول المائدة . وغاب المستر هوب اي نام النوم المغنطيسي حالاً وحضر الروح المحرك لهُ واسمهُ ماسا وجعل يوعز اليهِ وهو يرشدنا الى ما يجب ان نعملهُ . فطلب مني اولاً ان افحص آلة التصوير جيداً ففحصتها ثم ان اذهب مع المستر هوب الى الغرفة المظلمة وافتح رزمة الواح التصوير فيها وآخذ منها لوحين واكتب عليها اسمي واضعها في البرواز واراقبهُ الى ان يوضع في آلة التصوير ثم اخرجها من الآلة واظهرها بنفسي . فوضعنا ايدينا على رزمة الالواح حتى تمغنطت ثم اخذتُها وسرت مع المستر هوب الى الغرفة المظلمة وكان قد افاق من غيبوبتهِ وفعلت حسبما ارشدني تماماً فظهرت صورتي في لوح التصوير ولم يظهر اثر لصورة ابي ولكن ظهرت مع صورتي صورة امرأة كانت صديقة لابي وقد توفيت قبلهُ ببضع سنوات وظهرت صورتها مرةً مع صورتهِ قبل وفاتهِ . ثم اني لففت بقية الواح التصوير واخذتها معي ولم أُحوِّل نظري عنها ولما نمت ابقيت يدي عليها حتى لا يبقى مجال للظن ان احداً ابدل لوحاً منها

وفي اليوم التالي وهو الاحد عرضت اربعة الواح وجريت في عرضها واظهارها كما جريت في اليوم السابق فظهرت على احدها صورة تلك الامرأة وصورة رجل يشبه ابي ولكنهُ اصغر منهُ سنًّا . ثم لففت بقية الالواح واخذتها معي . وفي المساء جلسنا لاجل التصوير الليلي . والالواح التي تظهر الصور عليها كذلك لا توضع في آلة التصوير بل تبقى ملفوفة كما تشترى . فاشتريت رزمة جديدة من الواح التصوير ملفوفة بورق احمر ومختومة ووضعتها على المائدة وجلسنا حولها انا ومسز هوب ومسز بكستن ومس ووكر ونام المستر هوب اي اصابتهُ الغيبوبة ومغنطنا الرزمة بوضع ايدينا عليها وقيل لي حينئذٍ ان ارفع الرزمة بيدي اليسرى وامسَّ باسفلها جبهة مسز هوب ففعلت وقيل لي ايضاً ان افتح الرزمة حالما يفيق المستر هوب من غيبوبتهِ وأُخرج منها اللوحين اللذين على وجهها واضعهما في البرواز وادع المستر هوب يصورني صورتين بنور يظهرهُ بغتةً مبقيةً بقية الصور في يدي ثم أُظهر هذين اللوحين وأُظهر ايضاً لوحين آخرين من اسفل الرزمة التي في يدي . ففعلت كما امرت تماماً واذا على احد اللوحين اللذين وقع عليهما النور صورة رأس رجل لم يعرف مَن هو وعلى احد اللوحين اللذين اخرجتهما من اسفل الرزمة ولم يكونا قد وضعا في برواز آلة التصوير الكتابية التالية بعضها بالفرنسوية واكثرها بالانكليز ومعناها

« سعدت مساء يا صديقي العزيز مرحباً بك

« يا اصدقائي كلكم

« ابتهجت بنجاح صديقنا وانا آسف لان صديقنا ستد لا يقدر ان يكتب الآن كتابة الارواح ولكن لا تستعجلوا فان عندنا صورة صديقنا ستد وصديقهِ . التحيات للجميع وايضاً مس سكتشارد

« صديقكم كولي

« وهنا صديق آخر يود التكلم وقد اغتنم هذه الفرصة لذلك

« ايها الاصدقاء الذين في هذه الحلقة

« انا معكم وانتظر وارجو ان يصفو لنا الزمان بالاجتماع معكم

« صديقكم ووكر الى اللقاء

اما اللوح الآخر فلم يكن عليهِ شيء مطلقاً . وكولي المذكور هنا رئيس شمامسة (ارتشديكن) وكان مغرماً بالبحث في هذا الموضوع وقد توفي سنة ١٩١٢ . ولا يحتمل ان تكون هذه الكتابة منقولة عن كتابة كتبها في حياتهِ . والخط خطهُ والتوقيع توقيعهُ بلا

ريب كما يظهر من المقابلة بخطهِ حينما كان على الارض . وكذلك خط المستر ووكر مثل خطهِ

ولما رأيت ان ابي لم يقدر ان يكتب أسقط في يديّ ثم اوضح لي السبب بقولهِ انهُ اغتاظ من تصويرهِ مرتين قبل ذلك حتى صار يستحيل عليهِ ان يكتب ولكنهُ سيكتب حالما تحين الفرصة المناسبة

وصباح الاثنين جلست الجلسة الاخيرة واحضرت معي رزمتيْ الواح التصوير ولم اكن افارقها وقيل لي ان آخذ لوحين من احداهما فاخترت الرزمة التي اخذت منها الالواح للصور الليلية وفحصت آلة التصوير واظهرت الصور بيدي فظهرت امامي صورتان لابي تشابهانهِ تماماً ولم ارَ لهُ صورة فوتوغرافية تماثل هاتين الصورتين حتى يقال انها وضعت امام اللوح قصد الخداع وزد على ذلك ان ابي نفسهُ خاطبني وقال لي ان هاتين الصورتين صوّرتا عن ذاتهِ فعلاً ولا اطلب من احد ان يصدق قولي هذا لمجرّد انهُ قولي ولكن ان كان احد يستطيع ان يظهر صورة ابي على الواح التصوير خداعاً فليفعل . ثم ما قول المشكك في الصورة الليلية التي صورت في الظلام

هذا ومما اكثر الذين ناجوا الارواح وخاطبوها ورسمت لهم الارواح كثيراً من الكتابات في الظلام باليونانية واللاتينية وغيرهما من اللغات . وقد اجتزيت عن ذلك كلهِ بما ذكرت مما اختبرتهُ بنفسي عسى ان يكون فيهِ ما يشجع كل من فقد عزيزاً حتى لا يحزن عليهِ بل يعتقد انهُ لا يزال حيًّا و يستطيع ان يخاطبهُ اذا صبر وآمن واجتهد

اما الذين قُتلوا في هذه الحرب فقد قال ابي لي عنهم ان كثيرين يعتنون بهم وانهُ قد انتظمت جماعات فيها من الشبان الذين توفوا فجأة لكي يعتنوا بالذين يقتلون من شباننا وشبان غيرنا من الامم وقد وصل هؤلاء والبعض منهم في حالة الذهول والبعض في حالة الجوع ولكن الجماعات تعتني بهم كلهم وهم الآن ليسوا في حالة تأذن لهم برؤية اقاربهم ولا بدَّ ما تمضي مدة قبلما يتيسّر لهم ذلك . واذا افتكرنا فيهم وصلينا لاجلهم نساعدهم على الخلاص من الذهول الذي هم فيهِ ومتى خلصوا منهُ جعلوا يساعدون رفاقهم

واهم ما وجه ابي فكري اليهِ هو ان الجميع يودُّون ان يقنعوا الذين يبكونهم في هذه الدنيا بانهم لم يموتوا او كما قال السر اوليفر لدج « انهم يودون ان اصدقاءهم واحباءهم لا يغالون في الحزن عليهم ولا يحسبون انهم تلاشوا . الحزن على فراق الاحباء امر طبيعي ولكن الافراط فيهِ يؤلمهم . فانهم قاموا بما يطلب منهم هنا وسيقومون بما يطلب منهم هناك وهذا الفراق سيعقبهُ التلاقي حتماً واذا تحقق الناس هذه الامور قلَّ الحزن وامتزج بالرجاء »

انتهى ما كتبتهُ ابنة ستد . وما يقال عن بقاء الانفس بعد موت الاجساد وانحلالها لا يناقضهُ العلم الطبيعي ولا يخالفهُ وقد يساعد على تأييدهِ بمبدإ بقاء القوة واستحالة التلاشي . فان افكار الانسان كلها قوات تصدر منهُ و بحسب العلم الطبيعي يحتمل ان تتحوَّل الى قوى اخرى كما تتحول الحركة الى كهربائية والكهربائية الى حركة و يحتمل ان تجتمع في مكان ما في هذا الكون فتحفظ لكل امرئ افكارهُ التي فكَّر فيها وهو في هذه الحياة الدنيا . ولكن تصوير جسد الانسان صوراً فوتوغرافية وليس امام آلة التصوير لا جسدهُ ولا صورتهُ منقوض بما يعلم من نواميس العلم الطبيعي لان التصوير الشمسي اي التأثير الكيماوي في الالواح المعدة للتصوير الشمسي يقتضي ان تنعكس اشعة النور عن جسم يعكسها وتقع على لوح التصوير لتؤَثر فيهِ التأثير الكيماوي الذي يجعل الصورة ترتسم عليهِ . ولو وُجد هـذا الجسم الذي يعكس اشعة النور لرآهُ الحضور بالنور الذي ينعكس عنهُ

هذا وقد ابنا في مقتطف يناير سنة ١٩١٤ ان المستر ستد كتب سنة ١٩٠٩ مقالة مسهبة في مجلة الفورتنيتلي الانكليزية ذكر فيها انهُ صُوّر مرةً صورة فوتوغرافية فظهرت معها صورة رجل من قواد البوير الذين قتلوا في حرب البوير . وكان المصور لهُ من الذين يدعون تصوير الارواح واعتقد ستد انهُ لم يخدعهُ وان صورة ذلك القائد لم تكن معروفة في انكلترا . ولكن الدكتور تكت اثبت بعدئذٍ ان صورة ذلك القائد كانت معروفة مشهورة في بلاد الانكليز وقد نشر في جريدة الغرافك التي صدرت في ٤ نوفمبر سنة ١٨٩٩ اي قبلما صورت صورة ستد المشار اليها آنفاً بعشر سنوات وكتب تحتها اسم ذلك القائد وانهُ من قواد البوير وقد قتل قرب كمبرلي

ثم تألفت لجنة من كبار الباحثين بطلب جريدة الديلي مايل سنة ١٩٠٩ فاثبتت بادلة فنية يعلمها المصورون ان الصور الفوتوغرافية التي فيها صورة شخص معلوم وصورة روح شخص آخر من الموتى انما هي مصوَّرة مرتين لا مرة واحدة . فلم تبقَ شبهة في ان المصورين الذين يدَّعون تصوير الارواح محتالون يخدعون الناس بافعالهم اي انهم يتمكنون احياناً بحيلهم من اخذ اللوح الذي صورت عليهِ صورة الشخص المراد و يصورون عليهِ صورة اخرى مغشَّاة لتظهر كأنها صورة خيالية لشخص آخر من الاموات

امَّا كيف يخدع رجل مثل ستد وسيدة مثل ابنتهِ فمما اوضحناهُ في مقالة اخرى نشرناها في مقتطف فبراير سنة ١٩١٤ وربما عدنا الى هذا الموضوع في فرصة اخرى

اليانصيب او اللوترية

قديماً وحديثاً

اليانصيب شيء معروف لا يحتاج الى زيادة تعريف . فمن لم يشترِ في كبره من اوراق اليانصيب على جوائز مالية وغير مالية فقد قامر في صغره على اشياء تافهة لا قيمة لها ولكنها ذات قيمة في عين الصغير . قال بعضهم كل شيء فيه قمار فهو الميسر حتى لعب الصبيان بالجوز

واليانصيب كلمة مؤلفة من ياء النداء ونصيب والنصيب الحظ والحصة من الشيء في الشرع ومنهُ قولهم ضرب فلان بنصيب اي فاز وذلك انهم كانوا يضربون بالقداح ويجيلونها فيربح من يربح ويخسر من يخسر . والقداح سهام الميسر . فاليانصيب والقمار شيء واحد ولكن اليانصيب جائز في بعض البلدان والقمار ممنوع في كل مكان

واسم اليانصيب عند الفرنجة لوتريه وليس لهذه الكلمة معنى محدود وهم يريدون بها كل عمل من شأنهِ اعطاء جوائز بالقرعة (lot) سواء كان الغرض التسلية او المقامرة او المنفعة العامة . وكلمة (lot) جرمانية الاصل اقتبستها اللغات اللاتينية عن الجرمانية والاصل الجرماني (hleut) ولا يعرف معناهُ تماماً . وكان معنى كلمة (lot) في مبدإِ اقتباسهم اياها كل شيء يستعمل لالقاء القرعة كأَن يكون ذلك الشيء قرصاً من الخشب او من المعدن كالدرهم او حصاة او حبة فول او قدحاً يضرب بها لكشف امور شتّى بارشاد الهي من مثل الفصل في الخصومات وتوزيع التركات وتقسيم الاملاك وانتخاب المأمورين وما اشبه ذلك ثم انتقل هذا المعنى الى ما يصيب الشخص بالقرعة من مال او عقار او غير ذلك

قلنا ان غاية اليانصيب عند الاقدمين كانت التسلية او المقامرة او المنفعة العامة . ففي بعض اعياد الرومان وولائم اشرافهم كانوا يقيمون اليانصيب للتسلية و يعطون الاضياف هدايا يسمونها apophoreta . و بالغ بعض امبراطرتهم في قيمة تلك الهدايا حتى ان نيرون كان يقطع القطائع و يعطي المنازل و يهب العبيد والاماء ومنهم من كان يوزع تذاكر اليانصيب على اعوانهِ وحشمهِ ثم يلقي القرعة على اشياء ثمينة كإناء من الذهب واشياء لا قيمة لها ولا معنى ككست ذبابات مثلاً

واقتبس امراء اوربا المتوسطة والحديثة وخصوصاً امراء ايطاليا هذه العادة فكانت اهم مظاهر الولائم التي كان لويس الرابع عشر يصنعها في بلاطهِ . وعمدت الجمهوريات الايطالية في القرن السادس عشر اليها لترويج السلع في الاسواق . وسمح باقامة اليانصيب في فرنسا في عهد الملك فرنسيس الاول في اواسط القرن السادس عشر . واشهر يانصيب اقيم فيها

بعد ذلك يا نصيب سنة ١٦٥٦ وكان الغرض منهُ بناء جسر من الحجر بين اللوفر وسان جرماين . ثم تعاظم شأن اليانصيب في فرنسا حتى حلَّ محلاً عالياً في ماليتها وكان البرلمان يعترض عليهِ آناً بعد آن ولكن الوزير مازاران وافق عليهِ فلم يقف احد في وجههِ . وقدر الوزير نكر النفقات العمومية على اليانصيب في اثناء تقلدهِ لمنصب المالية باربعة ملايين ليرة في السنة

وكان هناك لوتريات للجمعيات الدينية والمبرات اعظمها اثنتان الواحدة لاهل النسك والتبتل والثانية للقطاء ثم اقيم يا نصيب باسم المدرسة الحربية وادمجت هذه الثلاثة في اليانصيب المعروف باسم اليانصيب الملكي بموجب امر عالٍ صدر سنة ١٧٧٦ أُلغيت بهِ سائر اللوتريات في فرنسا . وكانت طريقة هذه اللوتريات الكبرى اخذ $\frac{٥}{٢٤}$ من الاموال التي تجمع بها للنفقات وللاعمال الخيرية وردّ الباقي الى الذين اكتتبوا بهِ من الجمهور . وكان السحب يقام خمس مرات والفائزون في الاولى خمسة واحد يأخذ ١٥ ضعف ما دفع ثمن التذكرة . وثانٍ يأخذ اكثر من ذلك الى الخامس وكان يربح مليون ضعف ثمن التذكرة . ثم يقام السحب اربع مرات اخرى تعطى فيها الجوائز مجاناً وكان اسمها primes gratuites

وسنة ١٨٣٦ أُلغيت اللوترية الملكية وسنّ قانون سنة ١٨٤٤ يجيز اقامة اللوتريات للمبرات ولمساعدة الفنون الجميلة . وسنة ١٨٧٨ بيع في باريس ١٢ مليون تذكرة يانصيب ثمن الواحدة منها فرنك لدفع ثمن الجوائز التي وزعت على العارضين في المعرض الكبير ولدفع نفقات اخرى . وكانت قيمة الجائزة الاولى ٥٠٠٠ جنيه والثانية ٤٠٠٠ جنيه وكلّ من الثالثة والرابعة ٢٠٠٠ . ويجوز للشركة العقارية في فرنسا الآن ولكثير من البنادر الكبرى ان تعقد قروضاً تستهلك سنداتها التي تسحب بالقرعة وهذا ممنوع في انكلترا والمانيا

وسبقت البلجيك فرنسا في الغاء اللوتريات فالغتها سنة ١٨٣٠ ثم حذت اسوج حذوها سنة ١٨٤١ وسويسرة سنة ١٨٦٥ . ومن البلاد ما لليانصيب مكان من ميزانيتهِ الرسمية كالنمسا و بروسيا وغيرها من ممالك المانيا واماراتها وهولندا واسبانيا وايطاليا والدنمرك . اما اللوتريات الوقتية فكثيرة في بلاد اوربا المختلفة وهي اما كبيرة واما صغيرة تقام لغايات شتى كالبرّ ومساعدة المشروعات الصناعية والفنية والزراعية وبناء المعابد وما شاكل من الاغراض . على ان بلاد اوربا كلها وفي جملتها البلاد التي تقام فيها اللوتريات الرسمية و يعين دخلها لزيادة دخل الحكومة جعلت تقاوم اللوتريات الخصوصية التي تقام جزافاً بلا غرض معين مرادٍ للبرّ والاحسان حقيقةً

وفي سنة ١٩٠٤ نظرت الوزارة البروسية في مشروع اقترحهُ بعضهم لانشاء صندوق

توفير للعال ولوترية وطنية تلحق بهِ . والغرض منهُ الانتفاع بميل الناس عامة الى المقامرة لاصلاح حال طبقة العال . وفحوى هذا المشروع جمع اعانات اسبوعية معينة من المكتتبين تختلف من نصف شلن الى اربعة شلنات . وفائدة هذا المال لا تعطى للمكتتبين بل تعين جوائز في يانصيب يقام من حين الى حين عدد تذاكرهِ ٣٠٠ الف يمكن قسمتها انصافاً وارباعاً واثماناً على حسب مقدار المبالغ التي تودع في الصندوق كل اسبوع . ويكون عدد الجوائز ١٢٥٠٠ قيمتها كلها ٢٧٠٠٠ جنيه . فتكون للمكتتب من جهة فرصة للربح في هذه الجوائز ثم لا يخسر من الجهة الاخرى شيئاً من المال الذي يدفعهُ الى صندوق التوفير اسبوعيًّا

اما انكلترا فعهد اليانصيب فيها قديم كغيرها واول يانصيب وافقت الحكومة عليهِ اقيم سنة ١٥٦٩ وكان الغرض منهُ اصلاح المرافئ الانكليزية وجعل عدد اوراقهِ ٤٠ الفاً الواحدة بنصف جنيه وكانت الجوائز صحافاً وغيرها من السلع . ثم لما تمادى اصحاب اللوتريات في غيّهم حتى ابتزوا دريهمات الاولاد والخدم وغيرهم من السذّج والجهال ألغت الحكومة جميع اللوتريات ما عدا واحدة ثم شمل هذا الالغاء فيما بعد كثيراً من العاب النرد والورق وغيرها من الالعاب المعروفة . ومع ذلك بقيت الحكومة تربح اموالاً كثيرة بين اوائل القرن الثامن عشر والتاسع عشر من لوتريات تقام بموجب قوانين برلمانية . وكانت الجوائز اما معاشات وقتية او دائمة الى نهاية العمر . وقد حسب ربح الحكومة منها بين سنة ١٧٩٣ وسنة ١٨٢٤ فقط فكان متوسطهُ ٣٤٦٧٦٥ جنيهاً في السنة

وكانت اللوتريات تقام اولاً لعقد قروض تنفق على المنافع العمومية ثم اقتصرت فيما بعد على غايات معينة كتحسين منظر لندن او انشاء متحف او شراء صورة من قلم مشاهير المصورين ووضعها في المتاحف العمومية او غير ذلك ولكنها الغيت كلها سنة ١٨٢٦ بمساعي بعض كرام الانكليز . وعاد البعض يسعون في احيائها بعد الغائها باربع سنوات فلم يلقوا اذناً صاغية ولا نصيراً من احد ولكن الحكومة سمحت سنة ١٨٣١ خطأ باقامة لوتريات في مدينة غلاسكو لتحسين منظرها ثم لم تلبث ان الغتها ١٨٣٤ . وآخر يانصيب اشتهر في انكلترا هو ما عرف باسم Dethier's twelfth-cake اي كعكة دثير الثانية عشرة وقد ألغي سنة ١٨٦٠

هذا في انكلترا . اما في اميركا (الولايات المتحدة الاميركية) فان الكونغرس فيها (مجلسي النواب والشيوخ مجتمعين) اجاز انشاء لوترية وطنية سنة ١٧٧٦ ثم وافق بعد ذلك على نحو ٧٠ قانوناً بانشاء لوتريات لمقاصد عمومية مختلفة مثل فتح مدارس ومدّ طرق . وكان يردُّ نحو ٨٥ في المئة من المبالغ المجموعة الى اصحابها في صورة جوائز مالية توزع

باليانصيب · ومنذ سنة ١٨٣٣ جعلت ولايات اميركا المختلفة تنكر اللوتريات رسميًّا وتنبذها حتى لم تبقَ الاّ ولاية واحدة تعمل بها وهي ولاية لويزيانا فقد انشئت فيها سنة ١٨٦٨ شركة باسم لوترية ولاية لويزيانا ونالت احتكاراً دفعت بهِ ٤٠ الف ريال الى خزينة الولاية ثم جدد سنة ١٨٧٩ الى ٢٥ سنة اخرى · وقامت الشركة سنة ١٨٩٠ تسعى في تجديد امتيازها قبل الاوان فرفض طلبها وفي هذه السنة حظر الكونجرس استخدام البريد الاميركي لترويج اية لوترية كانت واصدر قانونًا بذلك شدّد فيهِ كل التشديد الى حد ان جعل استخدام البريد الاميركي لبيع سندات الحكومة النمسوية جناية يحاكم صاحبها عليها لعلاقة تلك السندات باليانصيب · وكان على هذا الاثر ان شركة لوترية ولاية لويزيانا نقلت الى هندوراس حيث لا تزال الى الآن تبيع معظم تذاكرها واوراقها في الولايات الجنوبية

وبعدما حرّم اليانصيب في اميركا صدرت احكام كثيرة تحدّدهُ وفحوى هذه الاحكام انهُ حيثما يكون مجال للحذق والفراسة فلا يانصيب هناك اذ قوام اليانصيب الصدفة والاتفاق وهو يشبه فحوى حكم الاستئناف المختلط هنا في تحليل البوكر اذ قيل ان مجال المهارة في لعبة البوكر اوسع من مجال الصدفة · وقد سنت قوانين كثيرة في اميركا ضدَّ اليانصيب بحجة انهُ يروّج الميل الى المقامرة وان من واجبات الحكومة صيانة آداب الرعية وزيادة رفاهها وخيرها · وحرّمت حكومات الولايات المختلفة مشروعات عديدة اساسها اليانصيب · فحرمت ولاية نيويورك مثلاً اقامة مقصف وزعت بهِ تذاكر تخوّل حاملها حق الحصول على جائزة بالقرعة وفي ولاية انديانا حرّم اعطاء ساعة ذهب لمن يشتري بضاعة من محلّ تجاري معروف بشرط ان يحزر عدد حبوب فول موضوعة في زجاجة · وحرّمت ولاية كنتكي منح جوائز بطريقة الكوبونات بشرط ان يتهجأ حامل الكوبون كلمة تلقى اليهِ · واصدرت محكمة كنساس العليا حكماً اجازت فيهِ للتجار ان يعطوا دبابيس للبرانيط هدايا للسيدات اللواتي يشترين من مخازنهم وقالت في حكمها ان ذلك ليس محرماً اذ ليس فيهِ مجال للصدفة أو اليانصيب · وحرمت ولاية تكساس الآلة المعروفة التي يوضع في شقها بعض دريهمات فاما ان يخسرها واضعها واما ان يربح ضعفيها او خمسة اضعافها الى ٢٠ ضعفاً

وقد حدّد احد الكتاب الاميركيين اليانصيب بقولهِ « اخصّ مميزات اليانصيب الحصول بواسطة الصدفة والبخت وبواسطة دفع مال او شيء آخر ذي قيمة على مال اكثر او شيء ذي قيمة اعظم من القيمة المدفوعة · فاذا كانت هذه اخصّ خواص مشروع ما فهو داخل تحت قانون اللوترية مهما يكن اسمهُ او مهما تكن الحجب التي تسدل عليهِ لاخفاء

حقيقتهِ ». وبلغ من اهتمام الحكومة الاميركية بمنع اليانصيب ان نهت عن جلب تذاكر اللوتريات واعلاناتها من الخارج الى اميركا . وجاوزت حدود الولايات المتحدة فحرمت اللوتريات في البلاد التابعة لها مثل الاسكا وهاواي وبورتوريكو

ذكروا ان العرب في الشتاء والجدب كانوا يتقامرون بالقداح على الابل ثم يجعلون منها لذوي الفقر والحاجة فانتفعوا واعتدلت احوالهم . قال الاعشى في ذلك

المطعمو الضيف اذا ما شتوا والجاعلو القوتِ على الياسرِ

والياسر الجازر لانهُ يجزئ لحم الجزور . وكانوا يدفعونها الى الفقراء ولا يأكلون منها ويفتخرون بذلك ويذمون من لم يدخل فيهِ ويسمونهُ البَرَم . واما كيفية ضربهم بالقداح فهي انهم كانوا يشترون جزوراً فينحرونها ثم يجزئونها اجزاء على عشرة في رواية وعلى ثمانية وعشرين في رواية اخرى وهي رواية الاصمعي . ثم يُسهمون عليها بعشرة قداح سبعة منها لها انصباء وثلاثة ليس لها . ثم يجعلونها على يد رجل عدل عندهم يجيلها لهم باسم رجل ثم يقتسمونها على قدر ما تخرج لهم السهام فمن خرج سهمهُ من هذه السبعة اخذ من الاجزاء بحصتهِ ومن خرج لهُ واحد من الثلاثة فقد اختلف الناس فيهِ فمنهم من يقول انهُ لا يأخذ شيئاً ولا يغرم شيئاً ولكن يعاد الثانية ولا يكون لهُ نصيب ويكون لغواً . ومنهم من يقول بل يصير ثمن الجزر كلهُ على اصحاب الثلاثة فيكونون مقمورين ويكون اصحاب السبعة قامرين او ياسرين . وربما نقص عدد الرجال عن السبعة فياخذ الرجل منهم قدحين فاذا فعل ذلك مدح بهِ ويسمّى مثنى الايادي . قال النابغة يمدح نفسهُ

اني اتمم ايساري وامنحهم مثنى الايادي واكسو الجفنة الأُدُما

والايسار جمع يَسَر وهذا جمع ياسر

وتجمع القداح في جلدة او خرقة ثم تجمع اطرافها ويعدّل بينها وتكسى اديماً لكيلا يجد من لهُ قدح راي فيهِ وتشدّ عيناهُ فيجمع اصابعهُ عليها ويضمها ثم يضرب رؤُوسها بحافة راحتهِ فايها طلع من الجلدة ويسمونها الربابة كان فائزاً وقيل غير ذلك . واسم الجائزة الاولى او اول سهام الميسر الفذّ والخاسر الاخير الوغد ومنهما المنيان المعروفان اصطلاحاً

هذه خلاصة تاريخ اليانصيب منقولاً عن اوثق المصادر . وقد ورد ذكر اليانصيب او ما يشبههُ في التوراة حيث قيل ان القرعة وقعت على يونان وهو هارب في سفينتهِ فأُلقي في البحر . وفي الانجيل حيث قيل ان الجنود الرومانيين اقتسموا ثياب السيد المسيح بالقرعة . وربما اتينا في مقالة قادمة على اليانصيب واساليبهِ في هذا القطر

نجيب شاهين

الحبوب وما فيها من الغذاء

تمهيد

الحبوب من اكثر مواد الطعام غذاء وهي في هذا القطر القمح والذرة بنوعيها البلدي والشامي والشعير والارز . والمواد المغذية فيها هي البروتين ومنهُ الغلوتن الذي يسبب حيل الخبز او عرقهُ والنشاء والدهن و بعض المواد المعدنية التي تبقى من الحبوب رماداً اذا حرقت . و يختلف مقدار هذه المواد كلها اختلافاً قليلاً باختلاف الحبوب كما ترى في هذا الجدول

	رطوبة	بروتين	دهن	نشا	رماد
دقيق القمح	١٢ في المئة	١١٫٥ في المئة	١ في المئة	٧٥ في المئة	٠٫٥ في المئة
« الذرة	١٢ «	٩ «	٢ «	٧٦ «	١ «
« الشعير	١٢ «	١٠ «	٢ «	٧٤ «	٢ «
ارز	١٢ «	٨ «	٠٫٣ «	٧٩٫٢ «	٠٫٥ «

فالرطوبة تكاد تكون واحدة في كل هذه الانواع ولكنها تختلف كثيراً في النوع الواحد حسب كونهِ مزروعاً في ارض كثيرة الرطوبة او ارض كثيرة الجفاف . فالقمح الصعيدي قليل الرطوبة والقمح المسقاوي كثير الرطوبة . والبروتين يختلف حسب كون السن الاحمر الذي يستخرج منهُ السميذ مزج بهِ او لم يمزج فان جانباً كبيراً من البروتين يكون في السن ومتى زاد البروتين في النوع الواحد زاد الدهن ايضاً وقل مقدار النشاء النسبي

والجدول المتقدم مبني على تحليل الحبوب الاميركية في اميركا اما القمح الذي يزرع في القطر المصري فقد حللهُ المستر فرنك هيوز كيماوي وزارة الزراعة المصرية فوجد مقدار الماء والنتروجين فيهِ كما ترى في هذا الجدول

	رطوبة	نتروجين
دقيق القمح الهندي من تقاوي مصرية	١١٫٤٢ في المئة	١٫٦٥ في المئة
« « « « هندية	١٠٫٤٦ «	١٫٥٢ «
« القمح البلدي الاحمر	١١٫٠٤ «	١٫٤٨ «
« « « الابيض	١٠٫٣٤ «	١٫٩٨ «
« « الصعيدي الابيض	١٠٫٠٢ «	١٫٦٠ «

دقيق القمح الصعيدي الاحمر	رطوبة	٩,٨٦ في المئة	نتروجين	١,٦٤ في المئة
« « الفيومي	«	١٠,٠٦ «	«	١,٥٥ «
« « البحيري	«	١٠,٧٤ «	«	١,٥٠ «

واذا ضرب مقدار النتروجين بستة وربع عرف مقدار البروتين. ولم يبلغنا ان احداً في هذا القطر حلل انواع الذرة التي تزرع فيهِ ولكن ارسل شيء الى الولايات المتحدة الاميركية من الذرة البلدية وزرع فيها وحلل دقيق حبوبها هناك تحليلاً كيماويًّا فوجد انهُ اكثر غذاء من دقيق الذرة الاميركية واقل منهُ مواد خشبية ولا يقل ما فيهِ من الغذاء عمَّا في اجود انواع دقيق الحنطة. ولعل هذا سرُّ ما يقولهُ الفلاحون الذين يعتمدون على الذرة البلدية في عمل خبزهم من اهالي الفيوم وسائر الوجه القبلي. واذ قد تمهَّد ذلك نشرح كل نوع من هذه الانواع الاربعة

القمح

القمح اكثر الحبوب استعمالاً لعمل الخبز في اوربا واميركا وجانب من غرب اسيا وشمال افريقية واصنافهُ كثيرة جدًّا وهو يقسم عادة الى صنفين كبيرين من حيث عمل الخبز منهُ الواحد يصنع منهُ خبز يرنخ كلهُ بالانتظام ويسمَّى متيناً والثاني لا يرنخ خبزهُ جيداً ولا يكون رنخهُ منتظماً ويسمَّى نحيفاً. وكان المظنون ان المتانة تتوقف على كثرة النتروجين في الدقيق ثم ظهر ان مقدار المتانة يتوقف على مقدار غاز الحامض الكربونيك الذي يتولَّد في العجين وقت اختمارهِ وعليهِ فالقمح الصعيدي الاحمر امتن من غيرهِ

واذا قصصنا حبة القمح طولاً بسكين ماضية وجدنا في احد طرفيها نكتة صغيرة بيضية الشكل وهي الجرثومة التي تنمو اذا زرعت حبة القمح. وسائر الحبة مؤَلف من مادة بيضاء نشوية وهي التي يخرج منها وقت الطحن السن الابيض او الدقيق. وحبوب النشا فيها يحيط بها غشاء زلالي كانهُ اجربة مملوءة من دقائق النشا وهي كثيرة جدًّا يبلغ عددها في حبة القمح نحو عشرين مليوناً ويكون النشا ابيض ناصع البياض وقد يكون اصفر قرنيًّا يكاد يكون شفافاً. ويحيط باجربة النشا طبقة رقيقة مؤَلفة من حبوب صغيرة قرنية الشكل مملوءة من الغلوتن الذي يتوقف عليهِ حيل العجين ومنهُ السن الاحمر الذي يخرج منهُ السميذ المستعمل في عمل الحلويات. ويحيط بذلك الطبقة الظاهرة التي تخرج منها الرضة (النخالة) الخشنة التي تطعم للبهائم والرضة الناعمة التي توضع تحت الارغفة وقت رقها

وقد قدَّر الدكتور شرمن ان الرضة في القمح الاميركي الخشنة والناعمة تبلغ ٥ في المئة

من القمح · والسميذ او السن الاحمر ٨ في المئة والجرثومة وغلافها ٥ في المئة ودقائق النشا واغلفتها (اي الدقيق) ٨٢ في المئة · ولكن تجار الطحين عندنا يقدرون الرضة الخشنة والناعمة ١٧ في المئة والسن الاحمر ٤ في المئة والسن الابيض ٤ في المئة والدقيق ٧٥ في المئة · والظاهر ان الرضة تزيد عندنا لاحتوائها على جانب كبير من الجرثومة ومن طبقة السميذ ولذلك تحسب من المغذيات

وكان القدماء يسحقون حبوب القمح بين حجرين لاستخراج الدقيق منها وعمل الخبز ثم استنبطوا الرحى من حجارة مستديرة كالاقراص تدار بالماشية او بقوة انحدار الماء واخيراً اديرت بالهواء او بالبخار واخيراً صنعوا اساطين من الفولاذ (الصلب) تدور الواحدة منها على الاخرى وتمر حبوب القمح بينها فتهرس ثم تطحن · وهذه الطريقة لا تبقي في النخالة شيئاً من الدقيق · ولكن اذا اريد ان يحوي الدقيق على اكثر ما في القمح من الغذاء وجب ان يمزج بالسن الابيض وبالسميذ بعد طرقهِ حتى يزول منهُ ما يمازجهُ من دقائق النخالة · ويخشن ملمسهُ حينئذٍ ولكن يصير اجود خبزاً واكثر غذاء وقد يسمر لون خبزهِ قليلاً حينئذٍ اذا لم ينظف السميذ جيداً

وقد تتعدَّد الاساطين في المطاحن الاوربية والاميركية الكبيرة حتى يقسم بها الطحين الى اربعين قسماً مختلفاً ثم يمزج بعضها ببعض للوصول الى اجود انواع الخبز لوناً وقواماً

وتعرف نسبة العناصر في بعض اشكال الدقيق وبعض اجزاء القمح الاميركي من الجدول الآتي

	القمح	النخالة	الجرثومة	الدقيق الغالي	الدقيق الرخيص
رطوبة	١٣٫٩٠	١٢٫٨٥	٦٫٨٠	١٣٫٧٥	١٣٫٢٢
رماد	٠٢٫١٥	٠٥٫٨٠	٤٫٦٥	٠٠٫٣٣	٠٠٫٩٠
الياف	٠٢٫١٧	٠٦٫١٤	١٫٦٠	٠٠٫١٧	٠٠٫٧٤
دهن	٠٢٫١٥	٠٥٫٢٠	١٤٫٣٨	٠١٫٠٥	٠١٫٧٠
بروتين	١٢٫٣١	١٥٫٥٦	٣٦٫٠٠	٠٩٫٦٩	١٢٫٨٨
نشا	٦٧٫٣٢	٥٤٫٤٥	٣٦٫٥٥	٧٥٫٠١	٧٠٫٥٦

اي ان البروتين (وهو المادة الكثيرة الغذاء) اكثر في الدقيق الرخيص منهُ في الغالي ولكن البروتين مؤَّلف من مواد مختلفة اهمها في عمل الخبز مادة اسمها غليادين لانها تساعد على ربخ الارغفة وهي اكثر في الدقيق الغالي منها في الرخيص · وسيأتي الكلام على سائر الحبوب المذكورة في هذه المقالة

التنكيت والتصوير الهزلي

نشرت مجلة « المقتطف » في شهر نوفمبر كلمة شائقة عن المزاح والصور الهزلية فاحببتُ ان أُوافيها بهذه النبذة إتماماً للفائدة وتفكهة للقراء

ولما كانت الصورُ الهزلية التي يسميها الفرنجة "Caricature" قليلة الشيوع في صحفنا رأيتُ ان يتناولَ البحثُ ما يُطلقُ عليهِ عندنا اسم « النكتة » لشدَّة الملاقة بين هذين النوعين من المزاح اذ ان الصورة الهزلية ليست في الغالب الأ نكتةً مصوَّرة

النكتةُ في كتب اللغة المسئلة الدقيقة أُخرجت بدقة نظرٍ وامعان فكر — من نكت رمحهُ بالارض اذا اثَّر فيها — لتأثر الخواطر باستنباطها وقيل لانها تؤَثر في النفس قبضاً وقيل بسطاً . ويقال لها « اللطيفة » اذا كان تأثيرها في النفس حيث تُورث نوعاً من الانبساط . وقيل النكتة من الكلام الجملة المنقّحة المحذوفة الفضول . ويقال : نكَّت في كلامهِ جاء بالنكت

والنكتة في مصر معروفةٌ مستملحة . وقد اشتهر المصريون بالتنكيت بين أُمم الشرق اشتهار الفرنسو بين بهِ بين أُمم الغرب . ولا شك في ان النكتة تدلُّ على خفة روحٍ وتوقُّد ذهن وسرعة خاطر وفطنة غريزية . ولصحفنا الهزلية الاسبوعية طائفةٌ صالحة من النكات المليحة يتناقلها العامة والخاصة

ولقد اوسعت اكبر صحف الغرب مجالاً لهذه اللطائف لانها كثيراً ما تكون في ايجازها أبلغ واشد وقعاً في النفوس من المقالات الضافية يُدبجها فطاحل الكتَّاب فضلاً عما فيها من المفاكهة والمباسطة او الانتقاد المرّ المؤلم

***

ولقد ساعد قلم المصوّرين الهزليين المعروفين باسم « كاريكاتورست » على ابراز هذه النكت بشكلٍ يزيد وقعها في النفس ورونقها في العين . وقد تكون الصورة الهزلية احياناً نكتةً قائمة بنفسها بدون تعليق عليها ولا شرح

والغرض من الصور الهزلية تقرير الحقائق بطريقة لطيفة او تسديد سهام الانتقاد الى بعض العادات او الاشارة الى بعض الحوادث . واساسها المبالغة في اظهار عيوب الخَلْق او الخُلُق وتمثيل الشذوذ للفت النظر الى كل ذلك . ومن براعة واضعي هذه الصور انهم يحفظون فيها شيئاً مميزاً لما يرسمونهُ من الاشخاص او الحوادث يكون بمثابة العلامة الخاصَّة التي تُساعد على تعرُّف الرسم لاوَّل وهلة . فقد كثرت الصور الهزلية التي تمثل الامبراطور

غليوم مثلاً ولكن لا تكاد تخلو واحدة من شنبين مرتفعين أو خوذةٍ ذات حربة محدّدة · فتعرف الرسم معها غيَّر الراسمُ من اسرَّة الوجه · وقس على ذلك الصور المزلية التي تمثّل الملوك والوزراء وكبار الرجال او التي تشير الى حوادث مختلفة

اما الميل الى التصوير المزلي فهو غريزيٌّ في الانسان · وكلٌّ منا يذكرُ أنهُ وهو على مقاعد المدرسة كثيراً ما استعمل قلمَهُ — حتى قبل ان يحسن الخطَّ — ليرسم احد رفقائه او احد اساتذته بطريقة مضحكة وان كانت خالية من كل صنعةٍ كأن يطيل أنفهُ او يوسّع فمهُ او يُصغّر عينيهِ او يضع على رأسهِ طربوشاً او قبعةً على شكل معين الى غير ذلك من الالعاب الصبيانية التي ليست بغريبةٍ عن احد

لذلك نرى ان عادة التصوير المزلي قديمة العهد بين الشعوب · فقد عرفها الاشوريُّون والمصريون واليونان والرومان ولا يزال لدينا بعضٌ من آثارها

وقد نبغ اليونان على الاخص في هذا الفن بين الامم القديمة · وذكر أرسطو في كتاب « السياسة » أنَّ فنون الخيال تقسم الى ثلاثة اقسام منها ما فيهِ مبالغةٌ الى جانب الخير ومنها ما هو الحقيقة بعينها وهي صورة الامانة المطلقة ومنها ما فيهِ مبالغةٌ الى جانب الشر · وقد شرح هذا الفيلسوف نظريتهُ هذه بذكر المصوّرين الذين يمثلون الطبيعة أحسن مما هي والذين يمثلونها كما هي والذين يمثلونها أقبح مما هي · وهذه الفئة الاخيرة هي فئة المصوّرين الانتقاديين او المزليين · وكثيراً ما صوَّر قدماء اليونان آلهتهم وإلاهاتهم صوراً هي غايةٌ في الغرابة والهزء

وشاع هذا الفنُّ ايضاً عند المصريين القدماء · ولا يزال في القسم المصري من متحف « تورينو » بايطاليا قراطيس من البردي تتضمن صوراً هزلية تمثل الاشخاص المعروفين بصور حيوانات او تشير الى الحوادث التاريخية والتقاليد القومية برموز انتقادية مضحكة كاعتقادهم في بعث الاموات ومعاملتهم لأسرى الحرب الى غير ذلك من الامور

وراجت هذه الصور عند الرومان كما يؤخذ من كتابات شيشرون وبلينوس · وكانت تعرف باسم "Comica tabella" اي اللوحات المضحكة · وكثيراً ما عمد اليها المتنازعون على السلطة في اواخر عهد الدولة الرومانية للتشهير بخصومهم ومنازعيهم

وفي كنائس القرون الوسطى صورٌ كثيرة تمثّل الزبانية والابالسة والخطايا والشرور وما شابه ذلك بشكلٍ غريب للتأثير في ذهن الناظر اليها

ودخلت الصور المزلية في القرن الماضي في طور جديد فتناولت موضوعات شتى ونبغ

فيها افرادٌ نالوا شهرة بعيدة ونفوذاً كبيراً · على ان هذه الصور كثيراً ما قادت واضعيها وناشريها الى المحاكم فالسجون وخصوصاً ما كان منها يرمز الى حوادث سياسية اوذات علاقة بالحكومات والقابضين على ازمة الامور · واذا كان الفرنسويون نالوا الاسبقية في التفنن بالتصوير المزلي فانَّ الانكليز كانوا السابقين الى اطلاق الحرية لمصوّريهم يرسمون ما شاؤُوا وكيفما شاؤُوا حتى كثيراً ما صوّروا ملوكهم ووزراءهم وكبارهم صوراً انتقادية تنمُّ عن نظرٍ صائب في الامور

ولهذه الصور انصارٌ وخصوم · ولا تخرجُ اقوالُ الفريقين في هذا الموضوع عمَّا يقال عادةً في إباحة الحرية للصحافة او تقييدها ممَّا لا مجال للتبسُّط فيهِ

ومهما يكن من الامر فان الغربيين أوسعوا مجالاً فسيحاً للتصوير المزلي في صحافتهم — حتى الراقية منها — ما عدا النشرات الخاصَّة بهذا الفن دون سواهُ · والذين يطالعون عندنا صحف الغرب يعرفون الشيء الكثير من ذلك

***

اما في مصر فاذا كانت الصور المزلية قليلة الشيوع فان الجرائد المزلية التي تعمد الى النكتة في الكلام لا في الرسم غير قليلة · نذكر منها : الطائف · والابتسام · والأرغل · والغزالة · والحماره · والفيل · والارنب · والشيطان · والخلاعة · والشجاعة · والسيف · والمسامير · واذا كانت هذه الجرائد قد طويت صفحة معظمها الآن فان منها ما لاقى رواجاً في عصرهِ لم تلاقهِ اكبر جرائدنا · وعلى اثر اعلان الدستور صدر في بيروت جريدة من هذا النوع اسمها « حط بالخرج » ولكنها لم تعمّر طويلاً

ويظهر ان الصور المزلية اخذت تلاقي بعض الاقبال في مصر · فاننا لاحظنا منذ مدة في شارع قصر النيل محلاً جديداً كُتب فوق مدخلهِ بحروفٍ كبيرة "Caricature in five minutes" اي صور هزلية في خمس دقائق فالقينا نظرةً على الواجهة فاذا بالصور المعروضة تمثل اشخاصاً من الاورببين النازلين في مصر ولم نشاهد الاَّ الشيء القليل من الصور المصرية

***

ونرى ان نختم هذه العجالة بوصف بعض الصور المزلية التي كان لها شأنٌ من هذا القبيل تتمةً لما نشرهُ المقتطف في هذا الباب على سبيل الفكاهة :

رسم احدُ المصوّرين رجلاً سكّيراً وقد لعبت برأسهِ بنتُ الحان فالقتهُ على الحضيض وكتب تحت الصورة عن لسان ذلك الرجل :

« يقولون إنّ كأساً من الخمر تُثبتُ القدَم . وها قد تناولتُ عشرين كأساً وما انا بالقادر على الوقوف ! »

واراد مصوّرٌ ان يهزأ بالذين صرفوا همَّهم للعناية بالحيوانات فألّفوا لها الجمعيات ووقفوا عليها الاموال الطائلة فرسم رجلاً امام مخبزٍ يشتري كعكاً لكلبهِ السمين . ورسم الى جانبهِ فقيراً متسوّلاً هازل الجسم يقول لصاحب الكلب « حسنةً يا سيدي . اجعل لي نصيباً من حنانك على كلبك » والرجل يجيب الفقير « اليكَ عني ! فليس لهذا الحيوان غيري . امّا انتَ فلك جميعُ الناس »

ورسم غيرهُ احد المضاربين في البورصة جالساً يفكّر وهو يقول : « لقد وجدتُ سرّاً للاثراء عاجلاً . فسأشتري كلّ ذمّةٍ معروضة للبيع بما تساوي ثم ابيعها بالثمن الذي يخمّنهُ صاحبها »

ومن الصور المشهورة صورة تتضمن عظةً بليغةً نشرتها احدى الجمعيات العاملة على مقاومة البغاء في فرنسا وهي صورةُ امرأةٍ من بنات الهوى اخنى عليها الدهر — كما يخنى على اترابها — فباتت تتكفّف في الشوارع . وقف امامها رجلٌ نقدها بعض دريهمات فدعت لهُ احسن دعاء وهو : « اسألُ الله ان يقي ابناءك من شرّ بناتي ! »

ونشرت مجلة « بنتش » الهزليّة في لندن صورةً نالت شهرةً بعيدةً عنوانها « اصعد للصلاة ! » وفيها اشارةٌ الى حكايةٍ لطيفةٍ متداولة عند القوم تغمز الذين يتمسكون بمظاهر الدين ولا يطبّقون اعمالهم على روحهِ . وخلاصتها ان « بقّالاً » سأل خادمهُ : « هل اضفتَ الى السمن شحماً !

— نعم !

— وهل رششت التبغ بالماء ليزيد وزنهُ ؟

— نعم !

— وهل خلطت دقيق القمح بما يلزم من دقيق الذرة والبطاطس ؟

— نعم ! » الخ

فقال البقال : « حسناً ! فهيّا الى الصلاة ! »

أمّا الصورة التي تشير الى هذه الحكاية فانها تمثّل ملك بروسيا يقول لوزيرهِ بسمرك :

— هل ضممتَ « دوقيات الالب » الى بلادنا ؟
— نعم !
— وهل اغتصبت مقاطعة « هس » ؟
— نعم !
— وهل نجحتَ في الاعتداء على حقوق جارنا ملك « هانوفر » ؟
— نعم . تمّ كلّ ذلك باذن الله ! »
— فاصعدْ إذن للصلاة يا خادمي الامين »

وكان احد الملوك قد ادّعى انّ لهُ وحدهُ حقّ وضع الضرائب وتقريرها وليس لنوّاب الشعب إلاّ إبداء الرأي في كيفية جبايتها . فتناول احدُ المصوّرين الهزليين هذا الموضوع فصوّر فلاّحاً بين طيورهِ الداجنة وهو يقول : « بايّ نوعٍ من المرَق تريدون ان تُؤكلوا ؟ » فانبرى لهُ ديك وقال « قبل كلّ شيء نحن لا نريد ان نؤكل » فاجاب الفلاّح متململاً « لا تخرجوا عن الموضوع . نحن لا نبحث فيما اذا كنتم تريدون ان تؤكلوا ام لا . بل في نوع المرق الذي تحبون ان تُطبخوا فيهِ . »

وكثيراً ما وردت هذه الصور لتقرير الحقائق او للانتقاد على السنة الحيوانات . نذكر من ذلك صورتين :

الاولى تمثّل كلبين — كلباً اسود وكلباً ابيض — والواحد يستنجد الآخر وهذا يجيبهُ : لا تخف يا اخي فاذا كنتَ اسود وانا ابيض فما خرجنا عن كوننا كلبين . الانسان وحدهُ — ذلك الحيوان العاقل — يجعل ميزةً للالوان . اما نحن معشر الحيوانات غير الناطقة فلا نعرف هذا الفرق ! »

والثانية تمثّل ذئاباً تنهش خروفاً واحدها يقول « يسمّينا الانسان وحوشاً لاننا ناكل اللحم نيئاً وهو يأكلهُ مطبوخاً . ولعمر الحقّ ليس الفرق بكبير »

ولم تخلُ النساء من سهام المصوّرين الهزليين . فقد صوّر بعضهم رجلاً حمل امرأتهُ على كتفيهِ وقد خيط على ثوبها ورقة كُتب فيها « المطلوب لفلان ثمن اقمشة ومخرّمات ٢٠٠٠ فرنك » وورقة أُخرى كُتب فيها « المطلوب للخيّاطة ١٠٠٠ فرنك » الخ . وقد ناءَ الرجل بحملهِ وهو يقول « انّ المرأة الخفيفة ثقيلة جدّاً! » . ولا يخفى ما في ذلك من التلاعب في معنى الخفيف الحمل والخفيف العقل

ومن هذا القبيل صورة تمثل اثنين من الحفّارين الذين يتولون دفن الموتى وهما

يتحدثان قرب قبر امرأة عُرفت في حياتها بالطيش واللهو واحدهما يقول : «سمعتُ ان المرحومة كانت « خفيفة » · فاجاب الثاني : والله لو كان الذين يشيعون عنها ذلك قد حاولوا نقلها من عربة الموتى مثلنا لغيّروا رأيهم فيها »

ولما كانت الحرب اليوم الشغل الشاغل للجميع فقد اصبحت هي ورجالها ووقائعها أكبر موضوعٍ تتبارى فيهِ قرائح المصورين الهزليين · وها نحن ذاكرون بعض الشيء من ذلك

عرف القراء ان المانيا في اشدّ حاجةٍ الى النحاس · وقد بينت احدى المجلات المصوَّرة هذه الحاجة بشكلٍ لطيف · فصوَّرت في معسكر الالمان بعض اسرى الهنود الاميركيين — بلونهم الاحمر « النحاسيّ » المعروف — وصورت امامهم ضابطاً المانياً يقول لاحد اتباعهِ :« يجب ان تضعوا هؤلاء الاسرى على النار وتحلّلوا اجسامهم فقد يستخرج منها شيءٌ من النحاس يفي ببعض حاجتنا الى هذا المعدن »

وقد ابلى عساكر « الزواف » الفرنسويون بلاءً حسناً في القتال فنشرت احدى الصحف صورة جنديٍّ منهم وقد شواهُ الالمان ليأكلوهُ فاذا احد الآكلين قد وجد الى جنب الجندي سيفهُ فقال لرفقائهِ « ان هذه السمكة لا تخلو من حسكٍ قد يكون والله شجىً في حلوقنا » · وهذه النكتة تذكرنا قول امرىء القيس :

أيقتلني والمشرفيُّ مضاجعي ومسنونةٌ زرقٌ كأنيابِ اغوالِ

انبأَتنا الصحف كيفية معيشة الجنود في الخنادق وطرقهم في الدفاع والقتال · وقد صوَّرت احدى الصحف — على اثر افتتاح مجلس النوَّاب في باريس — جنوداً من الفرنسويين يسيرون زحفاً على بطونهم واحدهم يقول لرفقائهِ : بينما نحن زاحفون على بطوننا الآن يتبجح خطباؤُنا من اعلى المنبر في المجلس قائلين اننا كلنا « واقفون » للدفاع عن الوطن

وصورت جريدة اخرى جنديًّا خلع جوربيهِ ووضع قدميهِ في الماء الراكد في خندق فقال لهُ جندي آخر اتغسل رجليك في الماء الذي نشربهُ فاجابهُ كلاَّ بل انا عازم ان استحم فيهِ

ظلَّت احدى الدول مدَّةً سالكةً خطة التردُّد والتقلُّب فتارةً تفاوض الالمان والنمسويين في بقائها على الحياد وتارةً تباحث الحلفاء في ما تنالهُ من الغنم مقابل خوضها غمرات القتال حتى سئم الناسُ الانتظار وملوا هذه السياسة — سياسة إمساك الحبل من الطرفين · فتناول احد المصورين الهزليين هذا الموضوع ورمز الى الدولة المعنية بفتاةٍ حسناء وقد مدَّت يدها الواحدة الى الالمان والثانية الى الحلفاء وكتب تحتَ الصورة آية الانجيل: « لا تعرّف شمالك ما تفعل يمينك »

نسب الكثيرون الى غليوم الثاني الرغبة الشديدة في التشبُّه بنابوليون الكبير فاتحاً وغازياً دون الوصول الى مقامهِ · فاخذت احدى الصحف الهزلية هـذه الفكرة وصورت امبراطور الالمان لابساً قبعة نابوليون المعروفة وقد نزلت الى تحت أُذنيهِ وهو يقول لمستشارهِ الواقف بقربهِ :

— « اظنُّ ان هذه القبعة كبيرة على رأسي » والمستشار يجيب :

— « بل اظنّ ان رأس جلالتك صغيرٌ على هذه القبعة ١٠٠٠! »

والنكات من هذا القبيل كثيرةٌ لا تحصى نكتفي منها بما ذكرنا ونتمنّى على صحفنا ومجلاتنا الكبيرة ان تفسح في صفحاتها مجالاً لهذا النوع من النقد فانهُ يتضمّن الجدّ في معرض الهزل وكثيراً ما يجمع العظة والعبرة الى الفكاهة والنكتة

القاهرة انطون الجميّل

مصر منذ تسعين سنة

(١٢)

حادثة غريبة

بقي الارمني ملازماً الجارية زينب يروي لها القصص والحكايات وكان بين البحرية بحريٌّ تركي من الاناضول يدعى « حاجي » بلحية حمراء طويلة يجلس مع الارمني ويكلم الجارية من حين لآخر فسأَلت هذا عن موضوع حديث التركي معها فقال انهُ يعلمها فروض الدين والصلاة وانهُ من المتدينين حج مراراً الى مكة · فلم أرَ بأْساً من ان تتعلم فروض دينها واخيراً سمعت هـذا الحاج يكرر في حديثهِ كلمتي مسلم ونصراني فسأَلت الارمني عن ذلك فأَجاب : يقول لها انهُ لا يجوز ان يشتري رجل مسيحي امرأَة مسلمة · قلت ولكن ذلك جائز في مصر وكل الافرنج والمسيحيين يقتنون العبيد والجواري · قال نعم يجوز لهم (حسب قولهِ) ان يشتروا الحبشيات المسيحيات والزنجيات الوثنيات لا المسلمات

فاستأْت من ذلك وخشيت من نتيجة هذا الحديث فربما اقلق راحتي ومعيشتي مع جاريتي فلم اشأْ ان يعبث هذا التركي بسذاجتها ويثير فيها ثائرة العناد والعصيان فذهبت الى القبطان وشكوت اليهِ امري ورجوت ان يمنع هذا البحري من الكلام مع الجارية · فقال لي لا سبيل الى منعهِ ولكن في وسعك ان تمنع جاريتك عن الكلام معهُ فذهبت الى الجارية وافهمتها

بواسطة الارمني اني امنعها عن الاختلاط مع هذا البحري والكلام معهُ فاظهرت العبوسة والكدر ولم تنطق ببنت شفة

(ثم حدث خصام شديد على اثر ذلك بين دي نرفال والحاج بسبب الجارية وتداخل بعض النوتية في الخصام وكاد يفضي الامر الى ما لا تحمد عقباهُ واخيراً اضطر دي نرفال ان يظهر لهم كتاب توصية من الصدارة العظمى في الاستانة بواسطة الكونت دي راتفيل سفير فرنسا الى محمد رشيد باشا والي ايالة عكاء . فدفعهُ الى الارمني ليقرأهُ على مسمع منهم وتهددهم بالشكوى عند وصولهِ الى عكاء . فاعترتهم الرعدة والخوف وحنوا رؤُوسهم احتراماً عند قراءة كتاب التوصية وهو عندهم بمثابة فرمان وطلبوا منهُ الصفح فصفح عنهم وانتهت المشكلة بذلك)

وفي اليوم التالي رسا بنا المركب عند اسكلة عكاء فظهرت لنا من ورائها جبال فلسطين النضرة الخضراء فمن شهور كثيرة لم تقع عيني الأعلى جبال مصر القاحلة الجرداء وكان جبل الكرمل امامنا وعلى قمتهِ الدير المشهور بهذا الاسم تحيط بهِ الحراج الخصبة والاشجار والمروج الخضراء . وعند سفحهِ بلدة حيفا و بيوتها منضدة بعضها فوق بعض كالامفيتياتر وهبت حينئذٍ الرياح الشمالية المنعشة للابدان الملطفة لحرارة الشمس . و بين عكاء وحيفاء خليج كقوس او كنصف دائرة والمدينتان قائمتان عند طرفي القوس

فلما رسا بنا المركب اتى رجال الصحة وفحصوا جوازهُ واوراقهُ (الباطنطا) فعلموا اننا اتينا من بلاد موبوءة بالطاعون فمنعونا من الصعود الى البر والاختلاط باحد غير انهم اجازوا لنا ان نملأ براميلنا من الماء ونشتري ما نحتاج اليهِ من المأكولات والفاكهة . فدنت منا بعض القوارب واشترينا من بحارتها الخبز والجبن والبطيخ والرمان وغيرها من الاثمار فكانوا يضعونها في سلال ندليها اليهم ونضع الدراهم في اوعية ملآنة من الخل حتى تطهر من الوباء على زعمهم ثم يأخذونها . والنقود التي كانت معنا من مصر غازيات ذهب وغروش وبارات ومصريات (نحاسات) وكنت اود ان ادخل الى المدينة لاتفرج عليها واقابل سعادة محمد رشيد باشا واليها واعطيهُ كتاب التوصية الذي معي من احد رجال الصدارة في الاستانة واطلب منهُ كتب توصية الى حكام الاساكل السورية التي سأزورها (كانت وقتئذٍ مدن صور وصيدا وبيروت وطرابلس تابعة لولاية عكاء) الاَّ ان قوانين الكورنتينا صارمة مشددة فاضطررت ان احفظ الكتاب معي حتى وصولي الى بيروت

وعكاء هي بتولومايس اليونانية ومقر حكم محمد باشا الجزار الشهير بمظالمهِ ومجازرهِ

البشرية . والمعارك الدموية التي حدثت بينهُ وبين نابوليون بونابرت عند حصارها غير بعيدة عن الاذهان

وفي عصاري ذلك اليوم اقلع بنا المركب من خليج عكاء وكانت الريح موافقة ونحن في فرح وجذل كاننا في يوم عيد لان الماء كثير عندنا والمأكولات والفاكهة جزيلة ووزع القبطان على رجالهِ الخمر فجعلوا يرقصون و يغنون وتناول قيثارتهُ يعزف بها وغلامهُ يغني يا حبيبي يا عيني يا محبوبي يا سيدي . وكذلك الجارية اشتركت معنا في الفرح واما الارمني فعاد الى اغنيتهِ التركية « يلير يلير استنبولون فرمان . محمود غازي جمبولندة علي عثمان » وكان البحر صافياً رائقاً والجو صحواً والمركب سائراً مقابل شواطئ سليسيريا (اي سور يا المتوسطة بين عكاء و بيروت) التي تمتد جبالها الخضراء من الكرمل الى ان تتصل عند صيداء بجبل لبنان

و بعد مسير ست ساعات وصلنا الى مدينة صور عاصمة فينيقية القديمة التي خربها الاسكندر بعد ان حاصرها حصاراً طويلاً ولم يتمكن من الاستيلاء عليها الاَّ بعد ثلاث سنين و بعد ان وصل الجزيرة المبنية عليها بالبر . ولم يبقَ الآن من هذه المدينة العظيمة الاَّ بيوت صغيرة لصيادي السمك

و بعد خمس ساعات وصلنا الى صيداء صيدون القديمة فظهرت لنا حينئذٍ جبال لبنان الشامخة بغاباتها النضرة وقراها الكثيرة العامرة موطن الدروز . وصيداء قائمة عند رأس بارز لها مرفأ قديم من آثار الفينيقيين لم يزل بعض حجارتهِ الضخمة المربعة باقياً رغماً عن تلاعب امواج البحر بها مدة الوف من السنين . وهذه المدينة صغيرة الاَّ ان ضواحيها زاهية زاهرة بالبساتين والرياض المغروسة بالليمون والبرتقال والموز والرمان . ولما كان لا يسمح لنا بالدخول اليها فمن العبث اضاعة الوقت بالوقوف فيها . وكنت اود ان اتفرج على هذه المدينة الشهيرة ملكة البحار قديماً وعاصمة حضارة الفينيقيين ومهد التجارة والصناعة . وكانت معاملها كثيرة مشهورة بنسج الاقمشة وصبغ الارجوان وعمل الزجاج وغير ذلك حتى ان هوميروس الشاعر اليوناني خصها بالذكر في قصيدتهِ الالياذة دون باقي المدن الفينيقية وقال ان مصوغات الترواديين من صنع الصيدونيين . ولقد صدقت كل انباء التوراة عنها بانها ستصير خراباً و بيوتها منشراً لشباك الصيادين

و بعد ست ساعات اخرى وصلنا الى رأس بيروت . وهذه المدينة على شاطئ البحر عند جون صغير يحيطها من البر سور متخرب ولم تزل بعض جدرانهِ من الجهة الشرقية باقية

و بيوتها حقيرة وشوارعها ضيقة عدا سراي الحكومة التي هي جزء من قصر الامير فخر الدين المعني و بعض دور القناصل ورايات دولهم تخفق فوقها . ووراء السور المدينة الحديثة عند سفح جبل لبنان في منبسط متسع من الارض و بيوتها بيضاء مكاسة متفرقة بين اشجار التوت والتين كأنها مقاصف في وسط الحدائق . ومنظر بيروت من المرفإ من ابدع المناظر تظللها من ورائها تلال واكام خضراء زاهرة وغياض زاهية وقرى عامرة تمتد الى رأس البترون وفوقها جبل لبنان بحقوله الخصبة وارزه المشهور وقراه وضياعه واديرته وكنائسه الكثيرة متفرقة على جوانبه من اسفله الى اعلاه ووراءه تظهر قمة جبل صنّين الشامخة المكللة بالثلوج وكل هذه المناظر تظهر للرائي من المرفإ . وبيروت بموقعها هذا بين البحر ولبنان ومناظرها البديعة كأنها مدينة من مدن سويسرا بين جبال الالب البيضاء و بحيرة جنيف الصافية

وخارج سور المدينة ميدان واسع في وسطه برج عال مربع الشكل من بناء الامير فخر الدين الشهير (هو برج الكشاف وقد هدم الآن واما الامير فخر الدين المعني فهو الذي استقل بحكم ولاية بيروت ولبنان)

ومن جهتها الجنوبية صحراء رملية كبيرة غرس فيها هذا الامير غابة كثيفة من شجر الصنوبر لتقي المدينة من تيار الرمال

رسا بنا المركب عند الحجر الصحي . وهو بناء واسع قائم على صخور او جزيرة صغيرة منفصلة عن البر يقال لها الكورنتينا وتخفق فوقها الراية الصفراء . فانتظرنا بضع ساعات الى ان حضر الناظر وهو رجل تركي و بعد ان فحص جواز مركبنا ونوتيته وظهر لديه ان صحتنا جيدة أجاز لنا الصعود الى البر لنقيم مدة اربعين يوماً تحت الحجر الصحي . ثم وضعنا في القسم المخصص للاوربيين مع جاريتي والشاب الارمني واما القبطان وبحارته فأجيز لهم قضاء مدة الحجر في المركب تحت حراسة رجال الصحة . وكان الناظر رجلاً عاقلاً اديباً كريم الخلق عاملنا بالتودّة واللطف . فوجدنا في اسرنا هذا من وسائل الراحة ما جعلنا ننسى مشقة السفر واجاز لنا التمشي في الميدان والنزهة عند شاطئ البحر والاستحمام فيه تحت مراقبة الحراس وسمح لنا بالنزهة في حديقة الكورنتينا . وكان الاكل يقدم لنا من المحجر بثمن يومي معلوم وهو مؤلف من قصعة من العدس وقليل من البيض والجبن الاّ انهُ كان يسمح لنا ان نشتري من فلاحي لبنان ما يأتوننا به من الحليب والفاكهة والدجاج والخمر واثمانها زهيدة جدًّا فكنا نشتري الليبرة (الرطل) من الضأن بخمسة وعشرين سنتيماً (نحو غرش صاغ) .

والدجاجة السمينة بنصف فرنك والعشر البيضات بعشرين بارة واقة العنب او التين بخمس وعشرين بارة (نحو نصف غرش مصري) . وزجاجة الخمر الفاخر الذهبي اللون المصنوع في اديرة جبل لبنان بعشرين بارة . وكان بعض الاروام يأتينا بالخمر القبرصي و يبيعنا الزجاجة منهُ بنصف فرنك الأ انا عدلنا عنهُ الى الخمر اللبناني ذي النكهة والطعم المستطاب ويشبه خمر الماديرعندنا

بين بيروت ولبنان

ولما انقضت مدة الحجر الصحي خرجنا من الكورنتينا . وقد وفقت الى استئجار منزل خصوصي على بعد نصف ساعة من المدينة عند اسرة مسيحية مارونية وكل المساكن في هذه الضواحي مبنية داخل بساتين التوت والتين . والبيت الذي استأجرتهُ مؤَلف من طبقتين فالعليا لي ولجاريتي والسفلى لسكن اصحاب البيت . والبيت مطل على البحر من الجهة الشمالية والغربية على طول الخليج من ميناء البلد الى المحجر الصحي قائم بالقرب من صخور تتلاطم عليها امواج البحر (يؤْخذ من هذا الوصف ان البيت كان في حي المدوّر او في حي الجميزة الآن) وكنا نجتمع مساء مع اهل البيت حول مصطبة مكشوفة من جهاتها الثلاث على البحر وهي بمثابة شرفة كبيرة (فراندا) . والاسرة التي سكنت عندها مؤلفة من رجل جاوز الاربعين مهنتهُ الخياطة ولهُ دكان في سوق المدينة . ومن زوجة وشقيقة لها وبنتين وابن . وقد رأيت من حسن اخلاقهم ورقة جانبهم وآدابهم ما سرني ولو كانوا من طبقة متوسطة في المعيشة ومعظم سكان ضواحي بيروت من السهل الى النهر هم في الاصل من لبنان . واكثر نسائهم جميلات يخرجن بلا قناع سوى منديل رقيق يضعنهُ على رؤُوسهنَّ وشال من القطن الملون على اكتافهنَّ على زي النساء القرويات في ايطاليا

وكنت ارصد مرورهنَّ وهنَّ ذاهبات لاستقاء الماء من آبار الصهاريج وعلى رؤُوسهنَّ الجرار يخطرن في سيرهنَّ دلالاً . واما نساء الاسر الوجيهة فيجمعن شعورهنَّ فوق رؤُوسهنَّ كتاج و يضعن عليهِ طاسة من نحاس او فضة حسب مقدرتهنَّ المالية فوقها غطاء من شاش رفيع . ونساء الامراء في جبل لبنان يضعن على رؤُوسهنَّ اسطوانات طويلة من الفضة على شكل البوق يقال لها عندهنَّ الطرطور و يضعن فوقها غطاء من قماش رقيق تتدلى اطرافهُ على اكتافهنَّ وهذا الزي كان شائعاً عندنا منذ القرون المتوسطة ولم يبطل الأ في اواسط القرن الماضي

وقد استأنست جار بتي باهل البيت فكانت في اثناء غيابي تنزل اليهم وتحدث معهم وكثيراً ما كانوا يخدمونها وهي جالسة بخيلاء على الطنفسة كانها من « الهوانم » وارقى منهم طبقة . وكنت اتركها عندهم مطمئناً على راحتها واذهب الى المدينة او دار القنصل اسأل عن البريد وكنت منتظراً الرسائل والدراهم من اهلي واصبحت في ضيق وحيرة لعدم وصولها وكنت قد طلبتها حينما كنت في مصر لاستعين بها على اتمام سياحتي في جبل لبنان

وحدث لي اثناء اقامتي في بيروت حادث غريب مضحك لم اكن اتوقعهُ . وذلك اني صحوت في صباح احد الايام متأخراً قرب الظهيرة فرأيت فوق رأسي شخصاً طويلاً بثياب سوداء وفي يدهِ كتاب فقال لي باللغة الفرنسوية كيف حالك يا ولدي . فقلت لهُ بخير والحمد لله ولكن المعذرة . . اسمح لي ان انهض والبس ثيابي . فوضع يدهُ على كتفي وقال لا لا ارجوك ان لا تحرك لا تزعج نفسك . لقد دنت الساعة الاخيرة . فقلت لهُ بدهشة — الساعة الاخيرة ؟ واي ساعة تعني ؟ فقال الساعة التي ستلاقي فيها ربك وتستغفرهُ بالتوبة والندامة عما اسأت اليهِ في حياتك بارتكابك الاوزار والمعاصي . فحدقت فيهِ بدهشة واستغراب وظننت انهُ لا بد ان يكون معتوهاً فقلت لهُ . لا افهم ما تقول وما تقصد من هذا الكلام . قال اريد ان اقتبل اعترافك واشهد على وصيتك الاخيرة . فصرخت بغضب فمن انت ايها الرجل فاجاب انا الاب بلانشيت . قلت لقد زدتني غموضاً . قال من الرهبانية اليسوعية فقد حضر بعضهم الى الدير وقال لي ان سائحاً اميركياً غنياً مقيماً عند اسرة مارونية في هذا الحي اشتد عليهِ المرض واشرف على الموت ويريد ان يعترف ويقتبل الاسرار ويكتب وصيتهُ الاخيرة . وربما خصص جزءاً من ثروتهِ بديرنا هنا فان الكنيسة صغيرة والمدرسة حقيرة والدير يحتاج الى التوسيع والاصلاح ولما وصلت الى هنا قيل لي ان في هذا البيت سائحاً افرنجياً فادخلوني عليك

فقهقهت ضحكاً عند ما عرفت هذا الخطأ وقلت لهُ اعلم اولاً يا حضرة الاب اني لست اميركياً غنياً . ثانياً ليست لي صلة او اختلاط باحد من جمعيتكم وتختلف عقائدي عن عقائدكم الدينية اختلافاً عظيماً . ثالثاً اني صحيح الجسم فلست مريضاً ولا مشرفاً على الموت وان كنت غير مصدق فانظر

قلت هذا وقفزت بسرعة من السرير الى الارض فضحك الاب بلانشيت وخرج ودقق البحث عن هذه الحادثة وعلم ان في منزل قريب من منزلي سائحاً اميركياً مريضاً

فرجع واعلمني بالحقيقة واعتذر عن خطإهِ . ولما رأيتهُ على جانب من اللطف ولين العريكة عرفتهُ بنفسي وسألتهُ ان يزورني كلما سنحت لهُ الفرصة اذ ليس لي صديق في هذه المدينة استأنس بهِ

ولما زارني المرة الثانية رأى الجارية وسألني عنها فقصصت عليهِ قصتي وما جرى لي بمصر وكيف اضطررت الى مشتراها . فقال لي لقد اسأت كثيراً الى هذه المرأة لانك لا تقدر ان تصحبها معك الى فرنسا كجارية مشتراة ولا اظن انك تحب الاقتران بها . فكان يجب عليك أن تتركها في بلادها فربما وجدت هناك زوجاً يصلح لها او سيداً من جنسها تخدمهُ في منزلهِ ففي الحالتين تجد لها مأوى شريفاً تقضي فيهِ حياتها . اما اذا تركتها هنا او في فرنسا حرة وهي غريبة وحيدة فكأنك تدفعها بيدك في بؤرة الشرور والفساد فانظر ما انت فاعل يا مسيو دي رفال

فلما رأيت ما قالهُ هذا الاب صواباً جلست افكر فيما اصنع وعوامل الحيرة تتجاذبني فقال لي لا تزعج نفسك كثيراً سأجد حلاً لهذه المشكلة . ففي هذه المدينة سيدات صالحات يدرن مدرسة للبنات اليتامى الفقيرات ففي وسعي ان اضعها عندهن باجرة زهيدة مقابل نفقاتها وبذلك تجد مأوى شريفاً ويصان مستقبلها . فقلت لهُ لا بأس وانما لا اريد ان ترغم على انتحال الدين المسيحي وعدا ذلك فهي غيورة على دينها متمسكة بعقائدها اشد التمسك . فهز راسهُ وتبسم ثم التفت نحو الجارية وبدأ يكلمها بلغتها العربية

وبعد بضعة ايام ذهبت وزرت هذا اليسوعي في ديرهِ عند باب بيروت الشرقي قرب برج فخر الدين . وهذا الدير صغير مبني في فناء واسع والكنيسة صغيرة ملاصقة للمدرسة فوقها ممشى لغرف الرهبان . فادخلني الى غرفتهِ وطال بنا الحديث عمن زار سوريا من الفرنسويين واخصهم دي لامارتين وقال لي انهُ من اخص اصدقائهِ وغواةِ اشعارهِ والمولعين بمطالعة كتبهِ . ثم شكا مضايقة الحكومة التركية لهُ اذ لم تسمح لهُ بتوسيع البناء وتشييد غرف للدروس فبعد ان بنى جزءًا من الطبقة العليا ووضع درجات السلم الرخامي منعتهُ الحكومة عن اتمام العمل لا بل حظرت عليهِ ان يضع جرساً فوق الكنيسة فوضع بدلاً منهُ حديدة معلقة بحبلٍ يقرع عليها بالشاكوش

ثم دار الحديث على الجارية فاعاد عليَّ النصح بان اضعها عند راهبات المحبة حيث تعيش براحة وهناء بعيدة عن الاخطار فاذعنت لمشورتهِ وخصوصاً لكوني عزمت على الجولان في جبل لبنان وبعسر عليَّ ان اصحبها معي

وفي صباح اليوم التالي صحوت من النوم على صوت الجارية وهي واقفة عند النافذة المطلة على الطريق تصرخ بملء صوتها « بندقية بندقية درزي درزي » فنهضت ورأيت طابوراً من الجنود التركية مارة من هناك وهم مسلحون بالبنادق. وفي اليوم نفسهِ ذهبت الى المدينة وعلمت الحقيقة وهي ان الدروز في جبل لبنان والعداء بينهم وبين المسيحيين قديم العهد حرقوا قرية مسيحية تدعى بيت مري وهي على بعد ساعتين من بيروت فارسلت الحكومة طابوراً من جنودها ليقمعوا الفتنة بين الفريقين والحقيقة انها ارسلتهم لمساعدة الدروز اذا تغلب المسيحيون عليهم

وبعد بضعة ايام بينما كنت في المدينة ورجعت قيل لي ان احد امراء لبنان حضر لقضاء اشغال لهُ وزار الاسرة التي اسكن في منزلها ولما علم ان سائحاً فرنسوياً مقيم في المنزل انتظرني موءملاً ان يراني ويتعرف بي. ولما تأخرت وضع اسلحتهُ في البيت دلالة على الاستئمان وذهب. وفي صباح الغد استيقظت على صليل اسلحة فنهضت مذعوراً واذا بالامير مقبل مع ستة من الفرسان اتباعهِ وكلهم بالثياب الفاخرة ومتقلدون البنادق وفي اوساطهم الخناجر المفضضة المقابض. وتم التعارف بيني وبين هذا الامير وهو من آل شهاب الاسرة الحاكمة في الجبل ودعاني ان ازورهُ في بلدتهِ وهي على بعد بضع ساعات من المدينة

ولما رأيت ان لا سبيل الى ابقاء الجارية عندي بعد ان عزمت ان أسيح في جبل لبنان اخذتها ووضعتها عند سيدة فرنسوية تدعى مدام كارليس عرفني بها الاب بلانشيت وهي صاحبة مدرسة للبنات فرأيت في هذه السيدة كثيراً من اللطف والدعة وسمو الاخلاق مما جعلني ارتاح الى وضع الجارية عندها ولم تطلب مني سوى ثلاثة غروش في اليوم مقابل قوتها ونفقاتها. وبعد يومين زرت زينب ورأيتها مسرورة في معيشتها فاخذت مدام كارليس ناحيةً واوصيتها ان لا تبحث معها في الدين وان لا تضطرها الى اعتناق المسيحية

الدروز والموارنة

دخلت مرة الى المدينة وعند رجوعي كان وقت الظهيرة فمررت في طريقي بسراي الحكومة عند البوابة الشمالية فرأيت الناس كلهم نيام فالجمّال وجملهُ والحمّار وحمارهُ والحمّال وحملهُ كلهم ممددون على الارض في القيلولة حتى صاحب الدكان تراهُ نائماً في دكانهِ وهذه القيلولة شائعة في مصر وسوريا معاً وكل بلاد الشرق واما في اوربا فغير مستعملة الاّ من اهل ايطاليا حيث مناخ البلاد واشتداد الحر يقضي عليهم باستعمالها

واما سراي الحكومة فهي قسم من سراي فخر الدين القديمة وقد جعلت واجهاتها كشكات من زجاج كابنية الاستانةوارض السراي وغرفها كلها مرصوفة بالرخام المرمري واركانها الشمالية ملاصقة لبوابة المدينة وهناك نبع ماء تظللهُ شجرة جميز كبيرة

دخلت يوماً الى فندق باتيستا وهو الفندق الاوربي الوحيد في بيروت بالقرب من الميناء تطل شرفاتهُ على البحر وكنت اقصدهُ للغداء من حين لآخر لان نفسي عافت المأكولات الشرقية . وكان في هذا الفندق مرسل انكليزي مع زوجتهِ وشقيقتها . وهؤلاء المرسلون لا يخطون خطوة من بلادهم الاَّ مع عائلاتهم وحصل التعارف بيني وبينهُ بواسطة السنيور باتيستا . و بينما كنا على المائدة نتجاذب اطراف الحديث حدا بنا الكلام على احوال الجبل واهلهِ وسياستهِ وعن فتنة بيت مري . وكان قد قضى في الجبل نحواً من ستة شهور وطاف في اكثر مقاطعات الشوف للتعليم والتبشير كما قال لي . وكنت اعلم قبلاً ان الانكليز معروفون بميلهم الى الدروز وتعضيدهم وحمايتهم كما ان الفرنسو يين يعضدون الموارنة ويحمونهم ولذلك كانت القلاقل والفتن بين الشعبين مستمرة على الدوام. فسألتهُ عن حادثة بيت مري الاخيرة لاستطلع رأيهُ فاجاب — انتهت هذه الحادثة بسلام او بالحري خمدت نارها تحت الرماد . وقد كنت في مقاطعة بكفيا في الاسبوع الماضي . فسألتهُ وماذا فعلت هناك

اجاب بشرت الاهالي بالصلح والسلام . وللانكليز في الجبل اصدقاء كثيرون . قلت ان اصدقاءكم على ما اظن هم الدروز. فهز راسهُ وقال نعم نعم مساكين هؤلاء القوم فالموارنة اكثر منهم عدداً والسلطة المدنية والدينية في ايديهم فيحرقون قراهم و يقتلونهم و يتلفون مزروعاتهم و يقطعون اشجارهم

قلت ولكن الشائع عندنا في فرنسا عكس ما تقول فالدروز هم المعتدون والموارنة المظلومون اجاب بتأوهٍ وتنهد

آه آه الدروز هم المعتدون ؟ .. مساكين هؤلاء القوم كلهم سذج لا يعرفون الشر ورهبانكم يدفعون الموارنة الى الاعتداء على مواطنيهم ولكن كن واثقاً ان انكلترا لا تتخلى قط عن حماية هؤلاء المظلومين

سراي بيروت

وفي احد الايام دخلت المدينة للتفرج على سراي الحكومة فرأيت في صحنها الداخلي

جمعاً من الناس وقوفاً وهم بثياب فاخرة عليهم ملامح الوجاهة · فوددت لو اعرف احداً اسألهُ عن هؤُلاء القوم وغرضهم · واذ ذاك سمعت صوتاً يناديني باسمي « يا مسيو دي نرفال » فالتفت ورأيت من وراء الكشك الداخلي الشاب الارمني الذي صحبني في المركب من دمياط · ثم اقبل يصافحني بتودد وانعطاف فتفرست فيهِ واذا هو بشكل نظيف وثياب فاخرة على زي موظفي الحكومة التركية وفي وسطهِ بدلاً من الدواة النحاسية دواة فضية بديعة الصنع ورأيت في يدهِ اوراقاً وكتباً وكراريس · وقال انهُ توصل لخدمة الباشا حاكم بيروت بواسطة احد مواطنيهِ الارمن الموظف عندهُ بصفة كاتب سرهِ فعينهُ الباشا ترجماناً · · · يا للغرابة من احوال الشرق كان هذا الشاب منذ بضعة اسابيع فقيراً صعلوكاً متشرداً بثياب زرية لا يملك سوى دواتهِ والآن اصبح ترجمان الباشا ولهُ لقب « افندي »

فتحادثنا برهة وسألتهُ عن اولئك القوم الغرباء الجالسين في قاعة السراي فقال هم امراء ومشايخ الجبل النصارى جاؤُوا يشكون الدروز و يطلبون من الحكومة ان تمنع تعديهم عنهم · فعلى زعمهم ان الدروز تعدوا على املاكهم وكلما التقوا باحد منهم منفرداً فتكوا بهِ · وفي الغد ربما يحضر مشايخ الدروز ايضاً و يشكون النصارى · فقلت وبماذا سيجيب الباشا قال سيرضيهم و يعدهم بالاقتصاص من الدروز كما انهُ سيرضي الدروز غدا و يعدهم بالاقتصاص من المسيحيين · فقلت ان الحكومة اذا هي العاملة على التفريق بين الطائفتين · فتبسم وقال نعم وربما كان لاختلاف فرنسا مع انكلترا يد في ذلك

ثم سألتهُ عن الكتب والاوراق التي بيدهِ فاراني بعض تقارير بالفرنسوية احدها من قنصل فرنسا بدمشق عن بعض حوادث بين النصارى واليهود · وكتاب روح الشرائع لمونتسكيو ومجلة علمية فرنسوية وقال لي ان الباشا امرهُ بان يترجمها الى اللغة التركية · قلت وما غرضهُ من ترجمة كتاب روح الشرائع وهو كتاب فلسفي فقال ان الباشا مهتم بتأليف فرقة « جاندرمة » او بوليس لحفظ الامن وخيل لهُ ان كتاب روح الشرائع يحتوي على القوانين المدنية والجنائية ونظام البوليس · فقهقهت ضحكاً وقلت ايريد الباشا ان ان يستخرج قوانين البلاد واحكامها من هذا الكتاب

ثم ودعت الشاب ودعوتهُ لان يزورني في منزلي وخرجت من هناك وجلت في اسواق المدينة وكلها ضيقة مسقوفة على مثال اسواق بلاد الشرق قلما تخرقها اشعة الشمس فاشتريت بعض اقمشة حريرية من صنع دمشق وكوفية وعقالاً على زي البدو ووقفت عند احد باعة المشروبات المثلجة وهم يتفننون في صنعها واتقانها و يأتون بالثلج من اعالي جبل صنين · ومررت

بجامع المدينة الكبير وكان قبل الفتح كنيسة يونانية ولما استولى الصليبيون على بيروت اعادوهُ كنيسة كما كان ودفنوا فيها امير مقاطعة بريتاني الفرنسوية من امراء الصليبيين ولم يزل قبرهُ ظاهراً في صحن الجامع

ثم خرجت من السوق وذهبت الى المينا وهناك دكاكين التجار الافرنج واكثرهم ايطاليون ومرسيليون وبالقرب منها حارة الاروام وكلهم هناك بقالون وخمارون واصحاب قهوات وخرجت من المينا واتبعت شاطئ البحر الى ان وصلت الى رأس بيروت وكانت الشمس قد مالت الى المغيب وانتشرت اشعتها الذهبية على مرآة البحر الصافية ورأيت هناك جمعاً من الغلمان والبنات الصغار يستحمون في برك بين الصخور وعلى ما ظهر لي ان تلك البرك قديمة مخونة في الصخر على اشكال مختلفة بين مربعة ومستديرة وقعرها مبلط بالرخام

ثم خرجت من المدينة من احدى بوابات بيروت وهناك بعض اعمدة قديمة من الغرانيت الاحمر ملقاة على الارض وعلى ما يقال ان ميدان الالعاب الذي انشأهُ الملك هيرودس اغريباس كان هناك

الخاتمة

(بعد ان زار السائح الامير اللبناني في بلدتهِ ومكث عندهُ يومين رجع الى بيروت فوجد رسائل من اهلهِ وذويهِ تستدعيهِ الى بلادهِ فترك الجارية في مدرسة مدام كارليس بعد ان اوصاها بالعناية بها ودفع لها مبلغاً من المال لنفقاتها . ثم ابحر راجعاً الى فرنسا وهناك ابتدأ ينشر رواياتهِ واشعارهُ وسياحاتهِ وكان يحرر في جريدة «لابريس» بالاشتراك مع غوتيه الكاتب الشهير . ثم احتدم الجدال في الجرائد بينهُ وبين بعض الكتاب والشعراء وانتقدوا كتاباتهِ واشعارهُ انتقاداً مرًّا وكان ذلك سبباً لاختلال قواهُ العقلية من تأثير الغم والكدر . وفي تلك الاثناء ورد من بيروت نبأُ موت الجارية زينب فجزع عليها جزعاً شديداً واصابتهُ السوداء فارسل الى البيمارستان وبعد بضعة اسابيع وجد مشنوقاً في غرفتهِ فحمل ودفن باحتفال عظيم لما لهُ من المكانة في عالم الكتابة والادب . ولهُ مؤلفات كثيرة بين روايات تشخيصية وقصائد شعرية وسياحات وكلها طبعت بعد وفاتهِ بزمن وجيز . انتهى)

ديمتري نقولا

الاسطول البريطاني ونصيب انكلترا من الحرب

اوردنا في مقتطف دسمبر الماضي قول الجنرال جوفر وهو « ان الضربة القاضية في هذه الحرب تكون في البرّ لا في البحر» ولكن ذلك لا يحط من قيمة الاسطول البريطاني ولا يبخسهُ نصيبهُ من العمل العظيم الذي قام بهِ في هذه الحرب . ولقد اصاب الالمان في قولهم ان انكلترا هي عماد الحلفاء ولولاها لبلغوا وطرهم من فرنسا وروسيا وايطاليا . والانكليز يذكرون ذلك و يفتخرون بهِ و يقولون ان مساعدتهم لحلفائهم مكَّنت الحلفاء من مواصلة الحرب الى الآن . وقد اورد بعضهم على ذلك الادلة التالية في مجلة لندن الانكليزية قال

اذا نظرنا الى فرنسا وجدنا انهُ لولا الاسطول البريطاني لبقيت مرافئها كلها في بحر المانش والجهات الغربية عرضة لغزو الالمان ولدخلت الجيوش الالمانية من هناك والتفَّت على الجيش الفرنسوي لما ارتدَّ نحو باريس فاحاطت بهِ . ولولا الاسطول البريطاني لما امكن نقل الفحم من انكلترا الى فرنسا لتشغيل معامل الذخيرة فيها ولا نقل الفولاذ (الصلب) اليها بعدما استولى الالمان على مقاطعاتها الشمالية التي فيها ثلاثة اخماس مناجم الفحم والحديد الفرنسوية . ولولا الاسطول البريطاني لتعذر نقل الجنود الى فرنسا من المستعمرات الفرنسوية ولتعذَّر ايضاً نقل مواد الطعام اليها من كل الاقطار لإطعام رجالها الذين انقطعوا للحرب وعمل الذخيرة . فلولا مساعدتها البحرية لها لما اغنت عنها شجاعة جنودها شيئاً مهما عظمت . فمساعدتنا قوَّتها على مقابلة خصمها ومناجزتهِ ووقوفها في وجههِ كسد من حديد

واذا نظرنا الى روسيا رأينا انهُ لولا اسطولنا لتعذر ايصال الاسلحة والذخيرة اليها من الخارج . ولو لم تدخل انكلترا في هذه الحرب لما دخلت اليابان ايضاً ولما استطاعت روسيا ان تنال منها ما نالتهُ من المساعدة المادية فان اليابان اصبحت معملاً كبيراً لعمل الاسلحة والذخائر لروسيا . ولولا ما لقيت روسيا من المساعدة المالية من انكلترا وفرنسا لما استطاعت ان تقوم بالنفقات الحربية التي طُلبت منها

واذا نظرنا الى ايطاليا رأَينا ان وجود الاسطول البريطاني مكَّن الاسطول الفرنسوي من البقاء في بحر الروم فسلمت سواحل ايطاليا وزد على ذلك ان انكلترا بعثت الى ايطاليا بما تحتاج اليهِ من الفحم لاسطولها ومعاملها ومكَّنتها من الحصول على كثير من المواد الاصلية اللازمة لصناعتها

والاسطول البريطاني هو الذي مكَّن الحلفاء من التعاون ولولا هذا التعاون لاستحال عليهم الفوز ولحقَّ عليهم الانكسار . فانهُ لما اضطرت روسيا ان ترتد القهقرى امام جنود مكنسن دخلت ايطاليا الحرب فاضطرت الجنود النمسوية ان تعود اليها فخفَّ الضغط عن روسيا . ومهما قيل عن عدم فوز الجنود البريطانية في غليبولي فان وجودها هناك حوَّل نحو نصف مليون من الجنود التركية عن مقاومة روسيا في القوقاس ولم يكن في الامكان ارسال الجنود البريطانية الى غاليبولي لولا الاسطول البريطاني

ولا ينحصر نفع الاسطول البريطاني في الفوائد المادية التي نالها الحلفاء منهُ بل يتناول الفوائد الادبية فان الحلفاء وثقوا انهُ ما دامت انكلترا قابضة على عنان البحار فلا سبيل لالمانيا ان تفوز عليهم لان انكلترا لا تنفك عن الحرب او تحرز النصر على جاري عادتها في كل حروبها . وقد اتضح الآن ان الالمان يئسوا من الفوز على انكلترا وحصروا همهم في الفوز على حلفائها . ويجمل القول ان انتظام انكلترا في صفوف الحلفاء قلب كفة الميزان وجعل النصر من نصيبهم بعد ان كان من نصيب اعدائهم

ويلخص فعال الاسطول البريطاني بانهُ الزم الاسطول الالماني على البقاء في مرافئهِ مختبئاً فيها ولم يخرج مرةً منها الا حاربهُ الاسطول البريطاني وقهرهُ . ولم تلتق السفن البريطانية الحربية بالسفن الالمانية الحربية في معركة الا دارت فيها الدائرة على السفن الالمانية ما خلا معركة واحدة تغلبت فيها السفن الالمانية بقيادة الاميرال سبي على السفن البريطانية ولكن الاميرال ستردي تعقب الاميرال سبي الى ان التقى بهِ في معركة فوكلند وقضى عليهِ . وقد تمكن الانكليز من القضاء على كل السفن الحربية الالمانية التي كانت في عرض البحر ولم يبقوا على واحدة منها فاطلقوا العنان لعشرة آلاف سفينة من سفنهم التجارية تجول في بحار المسكونة ذهاباً واياباً لنقل الجنود والمتاجر رغماً عن وجود الغواصات والالغام . وهي تنقل البضائع بين بلدان الحلفاء وبلدان الدول المحايدة وتجلب الى بلدان الحلفاء الطعام والقطن والصوف والبترول

ولا يقل الرجال الذين في خدمة سفننا الحربية والتجارية الآن عن مليون وسبعمائة الف نفس ٣٥٠٠٠٠ منهم في السفن الحربية و ٣٠٠٠٠٠ في السفن التجارية والباقون في المعامل التي تبني السفن ويعملون في المرافئ والاحواض . وقد رأى الالمان ذلك فاقتنعوا ان قوتنا البحرية لا تقهر وان البحار ستبقى مفتوحة امامنا مسدودة امامهم . فلم يبقَ لهم

تجارة بحرية . وما حاولوهُ اخيراً من ارسال القليل من بضائعهم بغواصة الى اميركا لم يقصدوا بهِ الربح التجاري بل انعاش نفوسهم بالاوهام لان نفقة نقل البضائع بالغواصات تزيد على ربحها والتجارة للربح لا للمباهاة

وقد تمكنا بواسطة اسطولنا من القضاء على المستعمرات الالمانية وانتزاعها فلم تبقَ المانيا دولة بحرية بل عادت كما ارادها بسمارك دولة برية لا غير ولكنها تجاوزت ما ارادهُ لها لانها اضرمت نار الحرب في الشرق والغرب والشمال والجنوب في وقت واحد

وبفضل قوتنا البحرية تمكنا من مقابلة خصومنا في سبعة ميادين مترامية في وقت واحد في فرنسا وافريقية والكرون والدردنيل وشرق مصر وغربها والعراق

وقد حاول الالمان ان يضعفوا قوتنا البحرية فكانت النتيجة ان خسروا عشر بوارجهم التي من نوع الدردنوط ولم نخسر نحن بارجة من بوارجنا التي من هذا النوع . وقد بنينا في مدة الحرب من هذه البوارج الجديدة ثلاثة اضعاف ما بنوا هم على الاقل . وخسروا من طرادات القتال اكثر من نصف ما كان عندهم واما نحن فخسارتنا من هذه الطرادات لا تزيد على نصف خسارتهم منها . وخسروا من الطرادات الخفيفة نصف ما كان عندهم واما نحن فخسرنا خمس ما كان عندنا منها . وقد خسرنا من البوارج القديمة ثلاثة اضعاف ما خسروا هم ولكن هذه البوارج قلما يعتدُّ بها في حروب هذه الايام والباقي عندنا منها كثير جدًّا اكثر ممَّا عندهم منها

والنتيجة اللازمة عن تسلُّطنا على البحار انهُ مهما كانت نتيجة الحرب البرية فخصمنا لا يستطيع ان يسترد تجارتهُ البحرية الاَّ برضانا

وزد على ذلك كلهِ اننا تمكنا بواسطة اسطولنا من نقل ٣٥٠٠٠٠٠ من الجنود والممرضات الى ميادين القتال . وبعد ان كان جيشنا كلهُ لا يزيد على ٧٠٠٠٠٠ صار الآن بين خمسة ملايين وستة ملايين والذين ارسلناهم الى فرنسا منهُ قهروا نصف الجيش الالماني المحارب فيها . ومليون من هذه الخمسة الملايين او الستة جاء من الاقطار الشاسعة من كندا واستراليا وزيلندا الجديدة وجنوب افريقية وبلاد الهند . جاؤُوا والاسطول يحميهم . وقد كانت المانيا تمني نفسها انهُ حالما ينفخ في بوق الحرب تُمزق اوصال الامبراطورية البريطانية شماطيط فكانت النتيجة ان أُحكمت عراها احكامًا لا مثيل لهُ وصارت كلها جزءًا واحداً لا يتجزأ والذي يحارب الآن ليس جزر بريطانيا بل الامبراطورية البريطانية كلها

وكتب آخر في مجلة الستراند الانكليزية يقول : — انشأت المانيا ترعة كيال لتكون مخرجاً لاسطولها فيخرج الى البحر الشمالي اذا اراد مناجزة الاسطول البريطاني ويعود الى بحر البلطيك اذا انكفأ عنهُ واراد مناجزة الاسطول الروسي . فكان جواب الاميرال فشر لهُ ان بنى اول بارجة من نوع الدردنوط وهي اكبر من ان تحتمل تلك الترعة مرورها فاذا ارادت المانيا ان يناجز اسطولها الاسطول البريطاني فلا بد لها من ان تبني بوارج مثلها بمدافعها الضخمة والاَّ لم تستطع الوقوف امام الاسطول البريطاني . فلم ترَ لها بدًّا من ان تعيد الكرة على ترعة كيال وتوسعها وتعمقها وتبني بوارج كبيرة من نوع الدردنوط ففعلت وانفقت على توسيع الترعة وتعميقها ١٢٠٠٠٠٠٠ من الجنيهات . ووسعت دور الصنعة التي تبني فيها بوارجها واخذت تحذو حذو انكلترا وتنقل الرسوم عنها واقرَّ مجلس النوَّاب الالماني سنة ١٩٠٠ على انفاق ٢٠٠٠٠٠٠٠٠ جنيه لبناء البوارج الحربية وملحقاتها

وكانت تعاليم ترنشكي قد رسخت في عقول الالمان ان بريطانيا شاخت وصارت على شفا الاضمحلال وانهُ لا بدَّ لالمانيا من ان ترثها في سيادة البحار لكنهم رأوا بعد معركة جوتلند الاخيرة ان امانيهم لا يمكن ان تحقق وانهُ ليس من الحكمة ان يقابل اسطولهم الاسطول البريطاني في عرض البحر ويناجزهُ او كما قال الاميرال فون كوستر « ان هذه المناجزة لا بدَّ من ان تفضي الى امر من امرين اما الفوز واما الموت والاسطول الذي يقضى عليهِ لا يمكن ارجاعهُ ولا جلب اسطول آخر بدلاً منهُ ولذلك يجب ان نأخذ باطراف الحكمة ولا نغرى بمحاربة الاسطول البريطاني في عرض البحر محاربة يُرجَّح فوزهُ فيها علينا »

وقد تحقق ثقات الالمان ان الاسطول البريطاني صار الآن اقوى جدًّا مما كان قبل نشوب الحرب لان البوارج التي بنيت حديثاً اكثر واقوى بما لا يقدَّر من البوارج التي فقدها . بل ان الزيادة فيهِ تفوق كل الاسطول الالماني . والغواصات وهي اهم سلاح تسلح بهِ الالمان لمحاربة الاسطول البريطاني لم تخدش وجههُ او كما قال الوزير بيشون الفرنسوي « ان مَن يظن ان غواصات الالمان التي هلك منها مئة في العشرين شهراً الماضية تستطيع ان تضرَّ بقوة انكلترا البحرية ضرراً يذكر فهو في ضلال مبين »

اما ضرر الاسطول البريطاني بالمانيا فيفوق الحصر فقد قال الاستاذ جرهردشوت مدير مرصد همبرج البحري « اننا نشعر بسلطة بريطانيا على البحار في لحمنا »

وقال الهر البرت بلين اكبر اصحاب السفن في الامبراطورية الالمانية « ان البحار تكون حرة مفتوحة لكل احد في زمن السلم اما في زمن الحرب فزمامها في يد الاسطول الاقوى »

ولا يخفى ان مدينة همبرج اعظم موانى المانيا التجارية وكان يدخلها في السنة اكثر من ١٩٠٠٠ سفينة تجارية وقد بلغت قيمة البضائع الصادرة منها والواردة اليها ٧٠٠٠٠٠٠٠٠ جنيه اما الآن فلا يدخلها شيء ولا يخرج منها شيء وقد وقف دولاب التجارة فيها تماماً وقس عليها سائر الموانى البحرية

وكانت قيمة الصادرات من المانيا ٥١٠٠٠٠٠٠٠ جنيه سنة ١٩١٣ وقيمة الواردات اليها ٥٦٠٠٠٠٠٠٠ جنيه وكانت ترسل الى اسواق المسكونة ربع ما يباع فيها من الحديد واربعة اخماس ما تحتاج اليهِ من المواد الكيماوية. وكان يباع في سوق الفراء في مدينة ليبسك ما ثمنهُ ٥٠٠٠٠٠٠ جنيه في السنة فاين كل متاجر المانيا الآن قضت عليها ملكة البحار باسطولها. وكان بعض عقلاء الالمان يوجسون من ذلك قبل الحرب. قال الهر بوسهل اكبر تجار لوبك « اني واثق ان ضغط بريطانيا على تجارتنا البحرية يضطرنا الى ان نحني ركب الخضوع لها اكثر من كل حرب بريّة » وقال فردرك لست « ان البحر معرض الامم والميدان الذي تتبارى فيهِ جياد الهمم والأُمة التي تمنع عنهُ ليس لها نصيب من خيرات العالم وامجادهِ »

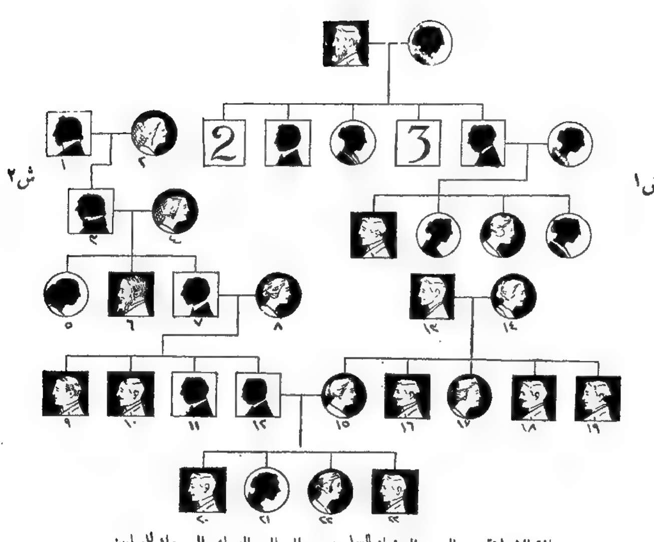
وقد اعترف الحلفاء لبريطانيا بفضل اسطولها عليهم قال الوزير بيشون « ان الحوادث قد اثبتت انهُ لو حُصرت الحرب بين فرنسا وروسيا من جهة والمانيا وحلفائها من أُخرى لكان الفوز للالمان فلا نخدعنَّ انفسنا لان هذا هو الحق الصراح فلولا الاسطول البريطاني لكانت موانينا تحت رحمة العدو ولانقطعت مواصلاتنا . واذا كانت المانيا تنظر الآن الى بريطانيا كالد اعدائها فذلك لانها هي السبب الاكبر لانغلابها القريب » . ثم استشهد بقول كافور السياسي الايطالي حيث قال « كل من كانت انكلترا معهُ فهو الفائز حتماً »

وقد قابل هذا الكاتب بين قوة الاساطيل القديمة والاساطيل الحديثة فقال ان اول بارجة مدرعة بناها الانكليز واسمها وريور بلغت نفقات بنائها ٣٥٠٠٠٠ جنيه ولكن الدردنوط ورسبَيْط التي احتملت اكثر شدة القتال في معركة جوتلند بلغت نفقات بنائها ٢٥٠٠٠٠٠ جنيه. وقد كان في السفينة فكتوري التي كان فيها الاميرال نلسن في معركة الطرف الاغر ٥٨ مدفعاً فلو اطلقت تلك المدافع كلها دفعةً واحدة ووقعت قنابلها على مكان واحد ما أثَّرت فيهِ نصف ما تؤثرهُ فيهِ قنبلة واحدة من قنابل مدفع من مدافع ورسبَيْط التي قطرها ١٥ بوصة

هذا من حيث فعال الاسطول البريطاني . اما معامل بريطانيا التي تصنع الاسلحة والذخائر لها ولحلفائها فيكفي لوصفها ان نقول ان ما كان الانكليز يصنعونهُ في سنة قبل الحرب من القنابل الكبيرة يصنعونهُ الآن في اربعة ايام وما كانوا يصنعونهُ في سنة من القنابل المتوسطة يصنعونهُ الآن في ١١ يوماً . وما كانوا يصنعونهُ في سنة من مدافع الميدان يصنعونهُ الآن في ١٤ يوماً . وما كانوا يصنعونهُ في سنة من المدافع الصغيرة يصنعونهُ الآن في ٢٠ يوماً . ويصنعون الآن في شهر من المدافع الكبيرة مضاعف ما كان منها في كل حصونهم ومع كل جنودهم البرية . ويصنعون في اسبوعين او ثلاثة من البنادق الالية قدر ما كان في كل مخازنهم قبل الحرب . ويصنعون من المتفجرات الشديدة كل اسبوع ١٢٠٠٠ ضعف ما كانوا يصنعونهُ في بداءة الحرب . وقد بلغ عدد معامل الذخيرة عندهم الآن ٩٥ وكان في بداءة الحرب ٣ فقط

ويبلغ الآن متوسط نفقاتهم اليومية ٥٧١٠٠٠٠ جنيه او نحو خمسة ملايين وثلاثة ارباع ويبلغ مجموع الاموال التي انفقت في السنة الاخيرة ١٩٥٠ مليون جنيه (او نحو ثمانية اعشار دخل الامة الانكليزية في السنة وهو ٢٦٠٠ مليون جنيه) فزادت ٣٥٠ مليون جنيه عمَّا قدّر لها . ومعظم الزيادة نشأ عن زيادة الذخيرة والقروض للحلفاء والمستعمرات . وقد بلغت الاموال التي اقرضتها لحلفائها ومستعمراتها ٨٠٠ مليون جنيه . وسيبلغ مجموع دين الحكومة الانكليزية في آخر السنة الحالية الحاضرة نحو ٣٥٠٠ مليون جنيه او نحو اربعة اضعاف ما كان قبل الحرب ولكن اذا طرحنا منهُ ما اقرضتهُ لحلفائها ومستعمراتها بقي منهُ ٢٧٠٠ مليون جنيه وهو دين باهظ جدًّا ولكنهُ لا يزيد على دخل الامة في سنة

هذا وقد جاءت الاخبار البرقية عند كتابة هذه السطور ان امبراطور المانيا عرض الصلح على الحلفاء على ان تعود الامور الى ما كانت عليهِ قبل الحرب ما عدا بولونيا فان اقسامها تضمّ بعضها الى بعض وتعود مملكة مستقلة . ولم ترد التفاصيل المتعلقة بذلك ولكننا نرجح ان الحلفاء لا يوافقون على صلح تبقى فيهِ المانيا في درجة من القوة تهدد السلم حتى يضطروا دائماً الى انفاق النفقات الحربية الباهظة على جنودهم واساطيلهم . فيبعد عن الظن ان يقبلوا بصلح يكون شبيهاً بالحرب الدائمة من حيث كثرة النفقات الحربية خوفاً من حرب مقبلة لاسيما وانهم يحسبون انهم سيفوزون على المانيا اخيراً ويضطرونها الى قبول الشروط التي يفرضونها عليها



وراثة الاخلاق — الصور البيضاء للسليمين من الرجال والنساء والسوداء للمصابين

مقتطف يناير ١٩١٧

امام الصفحة ٦٧

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيه كل ما يهم اهل البيت معرفته من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

وراثة الاخلاق

كلٌّ منَّا انما هو في جسمهِ مجموع ملامح وتقاطيع ورثها عن آبائهِ . وفي نفسهِ مجموع صفات وشهوات جاءتهُ عن طريق ابيهِ وامهِ وجدَّيهِ قبلهما وهكذا الى اول السلسلة . فلذلك قيل الانف الروماني والانف الارمني والانف العربي والعين الجرمانية والعين اليابانية الى آخر ما هنالك . ولذلك عرفت هذه الامة بجمود الطبع وذاك الشعب بنزقهِ الى غير ذلك من الاخلاق والشهوات المختلفة

خذ لك الغضب مثلاً فان سببهُ داخليٌّا اكثر منهُ خارجيًّا بدليل ان العامل الخارجي الواحد قد يثير غضب زيد اكثر مما يزيد غضب عمرو . وبكلمات اخرى انك بينا ترى زيداً يغضب لاقل باعث كأن يكون ذلك الباعث ذباب «هزج يحكُّ ذراعهُ بذراعهِ» كما قال عنترة ترى عمراً رابط الجأش قد لا تستثيرهُ الرياح الهوجاء . وسرعة الغضب لا تقتصر على طبقة من الناس دون اخرى بل تعمُّ الناس جميعاً على اختلاف درجاتهم . فقد يكون المغيظ المحنق غنيًّا او فقيراً عالماً او جاهلاً عاقلاً او مجنوناً

ولسنا نعرف ماهية الغضب تماماً . وكل ما نعلمهُ عنهُ ان الافراط في الاكل والشرب وسوء الهضم وبلادة الامعاء والمعيشة في وسط كثير القلق — هذه الامور واشباهها مجلبة لهُ ومساعدة على تحريك سواكنهِ واثارة كوامنهِ . ولكن ما يثير الواحد قد لا يؤَثر اقل تأْثير في الآخر كما قلنا ولا تعليل لهذا الاختلاف البيّن الاَّ بالوراثة . فقد ظهر للباحثين انهُ كثيراً ما يعتري بعض الناس في مدد معينة اسبوعية اوشهرية او سنوية او اطول او اقصر نوب عصبية تثير ثائرهم كانما تتجمَّع في ابدانهم مادة تؤَثر في جهازهم العصبي فتهيجهُ وتقمدهُ لاطفّ الامور واحقرها

والغضب اكثر ما ينتاب العائلات التي فيها افراد معرَّضون للصرع (النقطة)

والهستيريا والجنون على انهُ قد لا يسبق بالضرورة هذه الامراض اذ كثيراً ما يرى مصروعون ومجانين ارقّ طبعاً واهدأ بالاً من الفلاسفة الزاهدين · والظاهر ان هذه النوب اكثر حدوثاً في الاشخاص الذين اختلّ جهازهم العصبي او غيرهُ من اجهزة الجسم

وسواء كان الغضب ينتاب صاحبهُ في مدد موقوتة او غير موقوتة فهو في الحقيقة وواقع الامر رجوع الى دور الطفولة الموسوم بشدة النزق وضيق الصدر وسوء الخلق · فان الاولاد اسرع اندفاعاً الى الغضب من البالغين · وعليهِ يكون سبب سوء الخلق الذي عرف بهِ بعض العائلات احد امرين · فاما انها رجعت الى الاصل وهو معروف بسوء خلقهِ واما ان تلطّف شهوة الغضب فيها بموجب سنة الارتقاء توقف لسبب من الاسباب

ومهما يكن تاريخ هذه الخلّة في جنسنا فاننا نعلم انها متوارثة في بعض العائلات جيلاً فجيلاً من غير ان تكون هناك حلقة مفقودة · اي ان بعض الافراد من كل جيل تكون فيهم هذه الخلة في حين ان البعض الآخر يعدمها · والذين تكون فيهم يوثورنها اعقابهم · والخلال التي لا يعدمها جيل من الاجيال في العائلة الواحدة تسمّى في عرف علماء الوراثة بالخلال الغالبة · ومقدار هذا الغلَب يتوقف على تاريخ الابوين الوراثي فان كان الطرفان معروفين بسرعة الغضب ينتميان الى اجداد مثلهما في سرعة غضبهما فاولادهما يكونون كذلك مئة في المئة

وقد نقلنا رسمين حقيقيين يوضحان ناموس الوراثة في هذه الشهوة · فالدوائر تمثّل الاناث والمربعات الذكور · والسوداء في الاولى تمثل المصابات وفي الثانية المصابين · اما الرسم الاول فيبدأ بامرأة جدّةٍ ولد لها ثلاثة اولاد اخلاقهم سيئة وهم ابنان وابنة · واحد الابنين تزوج امرأة مثلهُ في سوء خلقهِ فولد لهُ ابن وثلاث بنات · فالابن واحدى البنات على خلق حسن والابنتان الاخريان على غاية من سوء الطبع

واما الرسم الثاني فيمثل اصلاً ذا اربعة فروع مؤلفاً من جدّ سيء الخلق وجدةٍ حسنتهِ وقد اورث الجدّ سوء خلقهِ لبعض ابنائهِ واحفادهِ واولاد احفادهِ واولادهم اي الى الجيل الرابع بعدهُ · وبلغ الداء من احدى حفيداتهِ من اهل الجيل الرابع ان ارسلت الى احدى الاصلاحيّات لقضاء بقية عمرها فيها

وقد لوحظ ان معظم الذين يدخلون الاصلاحيات او كلهم تقريباً من اهل الطبقة السفلى التي لم تتعلم. فان المتعلّم والخالص السريرة يبذل جهدهُ في امتلاك عواطفهِ وكبح جماح غضبهِ

حتى لقد يعف في الاكل والشرب وينام نوماً كافياً ويسرف في العناية بصحته وترويض بدنه لان هذه الامور قد تعود ببعض النفع عليه فكأنها تبيد العوامل المهيجة او تلطف تأثيرها كثيراً حتى لا يشعر به ٠ وقد يحصل العاقل على افضل النتائج بتجاهل تلك العوامل وحسبانها كأن لم تكن وهذا يقتضي جهداً عظيماً ٠ اما اذا كان العقل ضعيفاً والخلق نافراً لا يقبل علاجاً فلا خير من الاصلاحيات محافظة على مصلحة الفرد والجمعية ٠مآ

كشف غش المأكولات

غش الزبدة

ابسط طريقة لكشف غش الزبدة والتفريق بين الطبيعية الصرفة والصناعية او المسماة بالمرغارين ان يؤخذ شيء من الزبدة التي يراد فحصها ويوضع في اناء صغير ثم يوضع الاناء في ماء حار لتذوب الزبدة ان كانت جامدة ٠ وتُبقى الزبدة سائلة نصف ساعة فان كانت خالية من الغش ظهرت صافية نقية والاّ فان كانت صناعية او ممزوجة بالمرغارين ظهرت متكدرة

ومثل هذه الطريقة في بساطتها ان يؤخذ شيء من الزبدة التي يراد فحصها ويوضع في ملعقة وتحمى الملعقة على السبيرتو فان كانت الزبدة صرفة تصاعدت منها فقاقيع صغيرة من غير ان تحدث صوتاً ٠ وان كانت مغشوشة تفرقعت وطار منها الرشاش

غش الشاي

يغش الشاي بان تلون اوراقهُ لتظهر خضراء ٠ ويكشف هذا الغش بان يؤخذ بعض ورق الشاي ويفرك على خرقة من النسيج الابيض كالبفتة والشاش ٠ فان كان نقيًّا لم يظهر لهُ على الخرقة اثر والاّ فان كان مصبوغاً تلونت الخرقة بهِ

غش السكّر

يغش السكّر بان يضاف اليهِ اشياء كثيرة لا تعرف ماهيتها بسهولة بل لا بدّ لذلك من تحليل كيماوي طويل ٠ على ان هناك طريقة بسيطة تدلنا هل السكّر مغشوش ام لا بصرف النظر عن ماهية الغش ٠ وذلك ان يذاب شيء منهُ في ماء صرف ويوضع في انبوبة من انابيب التحليل وتوضع الانبوبة على ورقة مكتوبة فان كان السكّر نقيًّا امكن قراءة الورقة بسهولة والاّ فلا

غشّ الخبز

يغش الخبز باضافة مواد كثيرة اليهِ منها ما يصعب كشفهُ الاَّ بالتحليل الكيماوي ومنها ما هو سهل بسيط . ومن النوع الثاني غش الخبز باكثار الملح فيهِ ليزيد ثقلهُ فان الخبز الكثير الملح اثقل من الخبز الذي ملحهُ قليل لان الاول يحتمل كثيراً من الماء . ولكشف هذا الغشّ تؤْخذ نموذجات متساوية وزناً من الخبز الذي يراد فحصهُ ثم توضع في فرن مدة ساعة حتى تجف وتوزن بعد ذلك فالاثقل هو الافضل

ومنهُ غش الخبز باضافة الشبّ الابيض اليهِ لتبييض لونهِ والشبّ مضرّ بالصحة اذا دخل المعدة تكراراً ولو باجزاء صغيرة . ولكشف الغش بهِ يؤْخذ شيءٌ من الخبز المشتبه في نقاوتهِ و يوضع في صحن ثم يصبّ عليهِ قليل من كربونات الامونيا فان كان في الخبز شبّ اسودّ والاَّ فلا

غش المربَّى

تغش المربيات بصبغها بالوان تحسّن لونها . و يكشف هذا الغش بان يذاب شيءٌ من المربى الذي يراد فحصهُ في مثلهِ ماء وتغمس فيــهِ خرقة بيضاء من النسيج الصوفي القطني و يغلى الكلّ نصف ساعة ثم تغسل الخرقة فان كان المربَّى نقيًّا خرجت الخرقة بيضاء والاَّ فان كان مصبوغاً خرجت ملونة بلون الصباغ الذي غش المربى بهِ

غش الخلّ

يغشّ الخلّ باضافة بعض الحوامض المعدنية اليهِ واشياء اخرى . والحوامض المعدنية كثيرة الضرر تكشف بان يؤْخذ شيءٌ من الخل و يضاف اليهِ بعض نقط من الحبر الازرق البنفسجي . فان كان الخلّ نقيًّا لم يتغير لونهُ والاَّ ازرقّ او اخضرّ

الاعتماد على الغير

ما شعرنا بعظم افتقارنا الى اصغر بلاد اوربية في جميع شؤُوننا حتى جاءَت الحرب العظمى فاشعرتنا بهِ . كنا نحسبنا قبل الحرب في حاجة الى البلدان الكبرى دون غــيرها كانكلترا وفرنسا وروسيا في طعامنا ولباسنا وسائر حاجاتنا فاذا بنا نرانا الآن في اشدّ حاجة الى اصغر بلاد . هذه اسوج التي هي اقصى بلدان اوربا عنَّا كنا نستورد منها الكبريت والورق و«بوابير» الطبخ المعروفة باسم « بريموس » ولم تكن عامتنا تعرف ذلك فلما جاءَت الحرب وطالت ندرت هذه الاشياء وغلت اسعارها فقاموا يتساءَلون عن السبب فلما ظهر

السبب بطل العجب. ومثل هذا يقال عن نروج التي كنا نستورد منها معظم زيت السمك الذي يباع في اسواقنا . وعن هولندا وجبنها وزبدتها . ورومانيا ولحمها ودقيقها وبقولها . والبلغار وجبنها البلقاني الى آخر ما هناك

والذي حدانا الى كتابة هذه العجالة ما رأيناه من هبوط صفة عيدان الكبريت بعد انقطاع وارده الاسوجي عنَّا فان بعضها لا يشتعل او ينطفئ حالاً فلا يشعل مصباحاً او وابوراً الاَّ بعد احراق بضعة عيدان. وغنيٌّ عن البيان ان الغني والميسور الحال لا يشعر بهذا النقص لانهُ يستضيءُ بالغاز او الكهربائية او يأكل طعامهُ مطبوخاً عليها فلا يشعر بذلك الاَّ الفقير الذي لا يزال يعوّل على زيت الغاز في الاستصباح والطبخ . فان كانت هذه الحال التي بتنا فيها والتي ارتنا عظم اعتمادنا على الغير وشدة افتقارنا اليهِ في جميع حاجاتنا — تنبهنا بعد الحرب الى السعي في الاعتماد على انفسنا ولو بعض الشيء فهي نعمة في زي نقمة كما يقولون

قوة البيضة

كان يقال ان اقوى قويٍ لا يستطيع كسر بيضة الدجاجة اذا ضغطها بين يديهِ من « الراس » الى « العقب » لكنهُ اذا استعان بركبتيهِ اي وضع يديهِ بين ركبتيهِ وهو يحاول كسرها فقد يكسرها . اما الضعيف فلا يستطيع شيئاً من ذلك . وهذا القول شائع في الشرق والغرب معاً فقد كتب كاتب الى السينتفك اميركان يؤيد ذلك فردَّ عليهِ كاتب آخر برسالة قال فيها :

« جاء في رسالة لبعضهم انهُ لا يستطيع احد مهما كان قوياً ان يكسر بيضة صحيحة بضغطها بين يديهِ ضغطاً موازياً لمحورها (اي من الراس الى العقب) . وقد كنت انا من المعتقدين بذلك . ولما رأيت بيضة تكسر على هذه الطريقة لاول مرة لم اصدق عينيَّ وداخلتني شبهة في كاسرها اعتقاداً بانهُ لم يفعل ذلك كما يجب ان يفعل . ولم تزل هذه الشبهة حتى صرت انا اكسر البيضة فلما كسرتها المرة بعد المرة دهشت جدًّا وجعلت افتش على سبب اخفاقي قبلاً . وعندي ان لذلك اربعة اسباب (١) اعتياد الناس تناول البيض بالتؤدة (٢) الخوف من تلوث ملابسهم بها عند انكسارها (٣) خوف غريزي من انكسار كل شيء يكون في اليد (٤) ان الواحد منَّا يحاول كسرها مرة او مرتين بلا عناية وبذل كل القوة فيخفق ويشعر بالم في راحتيهِ فاذا حاول كسرها مرة ثالثة يجد ان ذلك متعذر عليهِ »

سبب الصلع

الصلع وراثي فاذا كان الوالدان او احدهما اصلع فقد يرث اولادهما كلهم او بعضهم الصلع منهُ او منهما فيظهر فيهم وقد يرثونهُ ولا يظهر فيهم بل يظهر في بعض اولادهم . ومتى كان الصلع في الوالدين معاً كان ظهورهُ في اولادهما ارجح مما لو كان في احدهما دون الآخر . و يكثر الصلع في الرجال و يقل في النساء . والغالب انهُ يحدث في الشيخوخة وقد يبتدئ في الكهول ونادراً في الشباب . ومتى ابتدأ الصلع الوراثي فلا شيء يوقفهُ او يزيلهُ و يردُّ الشعر الى نموهِ ولكن الصلع غير الوراثي الذي ينتج عن مرض فيزول اذا عادت الصحة واستعمل الاصلع بعض الادهان التي تقوي نمو الشعر

فوائد الليمون الحامض (المالح)

لا ندري لماذا يوصف الليمون الحامض بالمالح في هذا القطر فانهُ حامض لا مالح . ومهما يكن من وصفهِ فهو معروف كثير الاستعمال في الاطعمة والاشربة ولهُ فوائد طبية كثيرة فانهُ يفيد في الدفثيريا والنقرس والزكام والروماتزم والبول السكري بل يقال انهُ دواء يشفي من البول السكري احياناً . وتلتئم بهِ الجروح الخفيفة وشقوق الاصابع التي تحدث من البرد

ومن مزاياهُ في الزينة انهُ يبيض جلد اليدين ويحسّن لون الوجه و يساعد على اخفاء النمش وفي تدبير المنزل ان بهِ تنظف الادوات النحاسية وتجلى

البرد والرطوبة

كان الناس في البلاد الباردة يقولون انهم اذا اوقدوا النار في موقد حديدي لتدفئة غرفة ايام البرد وجب ان يضعوا فوق الموقد صحفة فيها ماء ليتبخّر الماء و يمنع الضرر مع ان المواقد التي لها مداخن صاعدة فوق السطح يخرج منها الدخان والغاز فلا ضرر منها . ولكن الصحيح الآن انهُ اذا كان البرد شديداً في غرفتين على حدّ سوى وكان بخار الماء في احداهما اكثر منهُ في الاخرى فالشعور بالبرد يكون في الاولى اقل منهُ في الثانية وعليهِ فوضع الماء فوق الموقد يقلل الشعور بالبرد لانهُ يطلق البخار في الهواء



استغلال الارض

(١١)

يجري اصحاب المزارع الواسعة ومن حاكام من اصحاب المزارع المتوسطة في استغلال اطيانهم على طريقتين

(الاولى) زرعها على حسابهم (وسية)

(الثانية) تأجيرها لاهل المزرعة ومجاوريهم

والغالب ان يجمع بين الطريقتين فيزرع بعضها وسية و يؤجر البعض الآخر وفي بعض المزارع الواسعة يجرون ايضاً على طريقة المشاركة المشروحة في مقالتنا السابقة (المساقاة)

وفي حالة زراعتها وسية يعتمدون في فلاحتها على انفار بالاجرة وفي ادارتها على موظفين

اما الانفار فيكونون اما من عامة اهل المزرعة ومجاوريها الاقربين فقط وذلك في الجهات الوفيرة العمران كبلاد الجهات الجنوبية واشباهها واما منهم ومن انفار تجلب من الجهات الاوفر عمراناً وذلك في الجهات البحرية ولاسيما اطرافها المستجدة

واجرة الفاعل في اليوم الواحد تختلف باختلاف الفصول تبعاً لكثرة العمل وقلته ووفرة العمران وضعفه فتكون من ٣ — ٤ قروش واحياناً اكثر من ذلك و يضاف اليها ما يعطى لمعرّف الانفار المجلوبة ومقدارهُ من ٦ الى ١٠ في المئة من مجموع اجر الانفار الذين استحضرهم · اما اجر الصبيان فهي نصف ذلك او اكثر او اقل قليلاً من النصف تبعاً لسنهم وعادةً تغلو اجر الرجال كثيراً إبان عزيق القطن وتزيد اجرة الصبيان كذلك إبان تنقية ديدان القطن وجنيهِ وتقليت الرز وتسميد الذرة وترخص في بعض فصلي النيل والشتاء

و يُوفى الانفار اجرهم باحدى الطرق الآتية :

(١) اذا كانوا من اهل المزرعة ذاتها فتكون في الغالب يوميتهم (اي اجرتهم اليومية) ثابتة على ٣ قروش دائماً في اي فصل من فصول السنة يستوفونها باحدى طريقتين :

الاولى باستئجار اطيان بايجار يقل عمّا تساويهِ نحو الثلث تقريباً · وهذه الاطيان اما ان تبقى معهم دواماً لزراعتها شتويًا وصيفيًا ونيليًا ويعطى الفاعل في هذه الحالة فداناً

ونصفاً والصبي من ثلاثة ارباع الفدان الى فدان وربع . واما ان يعطوا قطعة من الارض موقتاً مدة الشتاء لزراعتها برسيماً لمواشيهم ومدة النيل لزراعتها ذرة لقوتهم وفي آخر كل سنة يحاسب هؤلاء واولئك على قيمة اجرهم من الايجار المطلوب منهم فاذا بقي عليهم شيء دفعوهُ واذا تبقى لهم شيء اخذوهُ . وعلى كل حال من حقوقهم في اثناء السنة ان يأْخذوا مطاليبهم الضرورية ولاسيما في المواسم وعند الحاجة

الثانية ان تصرف لهم نقدية غالباً وحبوب احياناً مرة واحدة في كل شهر او نصف شهر او اسبوع واحد حسب درجة حاجتهم

(٢) اما الانفار الذين من غير المزرعة فيأْخذون اجرتهم نقدية وتصرف لهم كما ذكر واذا كان لهم معرّف فهو الذي يستلم الاجرة عنهم اذ الغالب ان يكون اعطاؤُهم اياها كلها او بعضها مقدماً

(٣) في بعض المصالح الكبرى يجعلون الانفار درجات من الفاعل الكبير الى الصبي الصغير باجرة اعلاها قرش واحد ونصف واقلها ٣٠ فضة ويعطى الرجل فداناً ونصف فدان الى فدانين ويعطى من دونهُ من الانفار اطياناً كذلك على نسبة اجرهم وبسعر الفدان ٢٠٠ قرش تقريباً ثم يحاسبونهم على اجرة عملهم تبعاً لمقدار الاطيان التي خدموها من ري او حرث او زراعة او عزيق او جني الخ ولكل نوع من انواع الخدمة اجرة محدودة توزع عليهم كل منهم على حسب ما يخصهُ بالنسبة للايام التي اشتغلها وقد يخص الفاعل الكبير من الاجرة في اليوم الواحد قرش واحد ونصف او اقل وهكذا

وتعرف هذه الطريقة بطريقة الشغل (بالمقاولة) ولهُ لوائح معروفة في الدوائر الزراعية التي نشتغل بها وربما عدنا لتفصيلها فيما بعد

والانفار الذين يشتغلون بالمياومة المستديمة ويأْخذون اطياناً يسمون (تملية) وقد تسمى اطيانهم (معاشات) او (مقننّات) ويشبه بهم الانفار الذين يشتغلون بالمياومة نقدية بما انهم كلهم من اهل المزرعة

اما الانفار الذين يجلبون من الخارج فيسمون (خطرية) او (اجرية) وما يجلب منهم من الجهات البعيدة عن المزرعة يسمون انفار (التراحيل)

ويجب ان يوجد في كل مزرعة من الانفار التملية العدد الكافي للاشغال العادية المستديمة حتى تظل الاعمال سائرة في مجراها بدون تسويف او تعطيل اما الانفار الخطرية فيؤْتى بهم حسب اللزوم في مواسم العمل

واعطاء الانفار اطياناً شائع في الجهات الجنوبية وما صاقبها من الجهات المتوسطة وفي الغالب ان تكون بصفة مستديمة في الوسايا الكبيرة و بصفة موقتة اي زرعة بزرعة في الوسايا المتوسطة

اما صرف الاجر نقدية فشائع في الجهات البحرية خاصة ولاسيما عند الشركات والاعيان الموسرين

احمد الالفي
مأمور زراعة

تحديد اسعار الحبوب

افتتحنا باب الزراعة في مقتطف دسمبر الماضي بمقالة مسهبة ابنا فيها انهُ لا يحسن بالحكومة تحديد اسعار الحبوب في بلاد زراعية وختمنا المقالة بقولنا انهُ اذا ارتفعت اسعار الحبوب في الخارج اهتمَّ القطر بزراعتها حتى تزيد على حاجتهِ كما حدث في هذا العام والذي قبلهُ . واذا رخصت اسعارها جدًّا في الخارج حتى زال الربح من زرعها اهملها وصار يجلب جانباً كبيراً منها من الخارج كما كان يفعل في السنوات الماضية . ولم تمضِ ايام على صدور المقتطف ونشر مقالتهِ في المقطم حتى الغت الحكومة ما كانت قد قررتهُ من تحديد سعر بعض الحبوب وحسناً فعلت

ثم اننا اطلعنا على رسالة في جريدة التيمس الانكليزية لاحد الكتاب الاقتصاديين بحث فيها كاتبها في ما ينتج عن تحديد الاسعار قال ما ترجمتهُ

ان اقتراح الحكومة (البريطانية) تعيين مدير عام مفوض او وزير مطلق الحرية لامور الطعام وتعيين اسعار موادهِ قوبل بالارتياح العام وقد يجمل بنا ان نفرض ان الحكومة باختيارها الجري على هذه الخطة كانت مدفوعة اليها بالاحاطة بحقائق لا يتيسر للجمهور الوقوف عليها فلا يجدر بالخارجين عنها الاسترسال في الانتقاد. على ان الواجب يقضي على كل باحث قبل التسليم بخطة ترمي الى التعرض للنواميس الاقتصادية العظمى ان يتم النظر في عاقبة هذا التعرُّض فان النواميس ليست من اوضاع البشر ولكنها نتيجة العلة والمعلول ولا مناص منها فهي من هذا القبيل كسائر النواميس الطبيعية

اعتدنا ان نعدَّ ارتفاع الاسعار وهبوطها كانهما « صمام الامن » في العمليات التجارية واحوال التجارة . فتحديد الاسعار عبارة عن اقفال هـذا الصمام وفعلهُ مزدوج فانهُ ينشط الاستهلاك و يثبط الانتاج . مثال ذلك اذا حددنا سعر البطاطس فجعلناهُ ستة جنيهات

للطن الواحد فان مقطوعيتهُ اي كمية ما يؤكل منهُ تزيد عما لو كان سعرهُ عشرة جنيهات

وغنيٌّ عن البيان ان الزراع الكبار منهم والصغار الذين اقبلوا على تحمل نفقات اعداد الارض في ايام الحرب هذه لتوسيع نطاق زرع البطاطس طمعاً بارتفاع الثمن يحجمون عن زرعهِ اذا انسوا من الحكومة ميلاً الى التعرض لهُ بتحديد الثمن او بوضع اليد على المحصول فالاطيان التي ارادوا توسيع نطاق الزراعة فيها تبقى بوراً ويأتي محصول البطاطس في العام القادم قليلاً

ولارتفاع الاسعار فعل مزدوج ايضاً فانهُ يقلل المقطوعية ويزيد الانتاج فقد قيل في الاسبوع الماضي ان البيض بيع بمتوسط نصف شلن البيضة في احدى الاسواق · والمشهور عندنا جميعاً انهُ لم يبقَ في انكلترا بيت واحد لم ينقص عدد البيض الذي يأكلهُ وقد رأيت في هذه الجهة ان جميع صغار الفلاحين ضاعفوا مساعيهم لزيادة انتاج البيض عندهم فاذا تعرضت الحكومة لهذه المسألة وحددت سعر البيض وخفضتهُ فان الناس يكفون عن الاقتصاد في اكلهِ والفلاحين يكفون عن الاهتمام بزيادة ما ينتج منهُ

وقد ضربت هذين المثالين البسيطين العاميين لوضوحهما وانطباقهما على سائر المحاصيل · بقي عليَّ ان اسأل قائلاً اترون من مصلحة البلاد حتى اشد طبقات اهلها فقراً في ازمة الحرب التي نحن فيها ومن الحكمة والصواب الجري على خطة يكون اول نتائجها زيادة المقطوعية وتقليل الانتاج

ان الذين يصرُّون على اكل البطاطس في هذا العام باسعار معينة قد يُحرَمون البطاطس اذا طالت الحرب مها دفعوا من المال ثمناً لهُ

ان التوفير الاختياري الذي يصحب ارتفاع الاسعار ارتفاعاً مطرداً اعم واعظم فعلاً من تحديد اسعار الاشياء بواسطة السلطة وضررهُ في الجمهور اخف لان كل واحد يقتصد في مقطوعيتهِ بحسب حاجتهِ

ان الحكومة لا تعجز عن ابتكار تدبير آخر يكون اخف كلفة من تعيين الاسعار لتخفيف عبء الغلاء عن الفقراء فاذا لم يكن ثمة مناص من تغريم فريق بسبب الغلاء فالحكمة تقضي ان لا يكون هذا الفريق هو الفريق المنتج حرصاً على مصلحة الجمهور فان صحة الجمهور ونشاطهُ وقوتهُ تتوقف على صحة المنتج وقوتهِ ونشاطهِ وقد يتوقف على هذه ايضاً وجود الامة نفسها · انتهى

هذا ما ورد في الرسالة المذكورة عربناهُ بالدقة والضبط وهو يطابق ما قلناهُ في مقالتنا

عن القمح والقطن وايهما نزرع و يطابق الخطة التي جرت حكومتنا عليها اخيراً . فان تعيين اسعار المحاصيل قد يظهر لاول وهلة انهُ الدواء الشافي من كل علة . وقد يكون فيهِ فائدة اذا لم يؤدِ الى ما اشار اليهِ كاتب الرسالة المتقدمة من احجام المنتجين عن انتاج الاصناف التي عينت اسعارها وانصرافهم الى انتاج ما هو اثمن منها وارنج لهم كما في مسألة القمح والقطن

و يرى من ذلك ان المسألة من المسائل الاقتصادية الدقيقة وان حلها ليس من الامور السهلة كما يظن البعض وقد ظهر ذلك باجلى بيان للمسؤولين عن ادارة شؤون القطر الاقتصادية فتبين لهم ان طول مدة الحرب يقضي بتنشيط انتاج المواد الغذائية اللازمة لسكانهِ وهذا لا يكون الاَّ اذا ضمن الذين ينتجونها الربح الكافي منها والاَّ انصرفوا الى غيرها فيقل الموجود من هذه المواد في ساعة لا ينتظرها الجمهور وترتفع اثمانها ارتفاعاً فاحشاً في زمن قد لا يستطاع فيهِ جلب سواها من الخارج اما لضيق الوقت او لكثرة الطلب من البلدان المحاربة او لعدم وجود البواخر او نحو ذلك من الاسباب

وكيفما كانت الحال فتعرُّض الحكومة لتسعير حاصلات البلاد يدعو الى تثبيط الهمم و يضرُّ اكثر مما يفيد . والاسعار مقيدة بناموس الطلب والعرض او مقدار المقطوعية وما يستقطع ولا شأن للحكومة في ذلك الاَّ حينما يخشى من المجاعة

الزيت من بزور الاثمار

استخرج الالمان ٦٦٢٢٥٠ رطل زيت من بزور النبات المعروف باسم دوّار الشمس ومن الخشخاش . وهم يحاولون الآن استخراج الزيت من بزور الكرز والخوخ (الاجاص) ولاسيما ان عندهم من هذين الصنفين شيئاً كثيراً . فقد دلَّ احصاء زراعي سنة ١٩٠٠ ان في المانيا ٢٢ مليون شجرة كرز و٧٠ مليون شجرة خوخ . وقد طلبت الحكومة الالمانية في السنة الماضية من تلاميذ المدارس ان يجمعوا ما يستطيعون من هذه البزور ففعلوا ولكن مقادير كبيرة اتلفت لصعوبة عصر الزيت والدهن منها

الطماطم المتعرّش

اذا صُنع عريش لشجرة الطماطم وعُرّشت عليهِ وقطعت كل اغصانها الجانبية التي فيها حمل الطماطم فانها تطول وتكتنف العريش الى اعلاهُ و يكثر حملها ولاسيما اذا كانت من النوع الذي ثمرهُ صغير مستدير فانهُ يصلح ان يزرع في الجنائن للزينة

تسميد البطاطس

ثبت في هذه الحرب ان البطاطس من الاطعمة الكثيرة الغذاء حتى كاد الشعب الالماني يعتمد عليها في طعامهِ كاكثر حاصلات بلادهِ غذاء · وهي من النباتات التي يغزر محصولها بكثرة السماد كما يظهر من الجدول التالي وهو خلاصة تجارب كثيرة اجريت في ارلندا مدة احدى عشرة سنة في سبع قطع من الارض تركت الاولى منها من غير سماد وسمدت كل قطعة من القطع التالية بنوع او اكثر من الاسمدة المختلفة كما ترى في هذا الجدول

السماد	المحصول طن	المحصول قنطار	ثمن السماد غرش
(١) لا سماد	٤	٣	٠٠
(٢) ١٥ طنًّا من السباخ البلدي	٨	٤	٣٠٠
(٣) ٢٠ « « « «	٩	٢	٤٠٠
(٤) ١٥ طنًّا « « « وقنطار سلفات النشادر	٩	٣	٣٨٧
(٥) ١٥ « « « « « « « « و ٤ قناطير اعلى فصفات الصودا	٩	١٩	٤٣٠
(٦) ١٥ طنًّا من السباخ البلدي وقنطار من سلفات النشادر و ٤ قناطير اعلى فصفات الصودا وقنطار موريات البوتاسا	١٠	١٧	٤٨٢
(٧) ١٥ طنًّا من السباخ البلدي وقنطار سلفات النشادر و ٤ قناطير اعلى فصفات الصودا وقنطار سلفات البوتاس	١٠	١٢	٤٨٥

والطن هنا عشرون قنطاراً · فاذا فرضنا ان ثمن قنطار البطاطس عشرون غرشاً فقط فثمن محصول الفدان من القطعة الاولى ١٦٠٠ غرش وصافي محصول الفدان من القطعة الثانية بعد طرح ثمن السباخ ٢٩٨٠ غرشاً ومن الثالثة ٣٢٤٠ غرشاً ومن الرابعة ٣٢٧٣ غرشاً ومن الخامسة ٣٥٥٠ غرشاً ومن السادسة ٣٨٥٨ غرشاً ومن السابعة ٣٧٥٥ غرشاً

اي ان القطعة السادسة التي سُبخت بخمسة عشر طناً من السباخ البلدي وقنطار من سلفات النشادر واربعة قناطير من اعلى فصفات الصودا وقنطار من موريات البوتاس كان صافي محصول الفدان منها اكثر من غيرهِ . وعلى كل حال يتضاعف المحصول بالتسميد او يصير ثلاثة اضعاف . واذا فرضنا ان ثمن قنطار البطاطس عشرة غروش فقط بقي الربح كثيراً من التسميد ناهيك عن ان فائدة السماد لا تذهب في سنة واحدة بل يبقى جانب منها في الارض الى السنة الثانية والثالثة حسب نوع السماد

والظاهر ان الفائدة من استعمال السباخ البلدي اي زبل المواشي مع السماد الكيماوي تزيد على الفائدة من السباخ البلدي وحدهُ او السماد الكيماوي وحدهُ . ويوضع السباخ البلدي في الخط ويبذر السباخ الكيماوي فوقهُ ثم توضع تقاوي البطاطس فوق ذلك وتطمر بالتراب وتروى

وقد ظهر بالتجارب انهُ اذا أُتي بالتقاوي من مكان بعيد عن المكان الذي تزرع فيهِ بلغ محصول الفدان احياناً ستة عشر طنًّا او اكثر ولاسيما اذا كان في الارض قليل من الحصى

نمو الفطر

الفطر قليل جدًّا في هذا القطر على ما نرى لم نشاهدهُ نامياً فيهِ الاَّ مرة او مرتين لكنهُ كثير في غيرهِ ولاسيما في البلاد الباردة كما في جبال سويسرا فقد تفتقدهُ في مكان ولا ترى منهُ فيهِ الاَّ الشيء القليل ثم تأتي في اليوم التالي فتجدهُ كثيراً فيهِ حتى يسهل ان تجمع منهُ سلة وسلتين وكلهُ مما يؤْكل ويستطاب . وقد راقب بعضهم نوعاً منهُ وصورهُ اربع صور فوتوغرافية الاولى الساعة الثانية بعد الظهر وكان عند اول ظهور رأسهِ من الارض . والثانية الساعة السادسة وكان رأسهُ قد ظهر كلهُ وظهر بعض ساقهِ فبلغ ارتفاعهُ عن الارض نحو سنتمترين . والثالثة الساعة السادسة صباحاً في اليوم التالي وكان قد كبر وبلغ ارتفاعهُ اربعة سنتمترات والرابعة الساعة السادسة بعد الظهر وكان قد بلغ اشدَّهُ وصار ارتفاعهُ ستة سنتمترات ومحيط رأسهِ اكثر من عشرة سنتمترات . وراقب بعضهم نوعاً آخر من الفطر في جزائر هواي فرأى انهُ ينمو اكثر من بوصة كل دقيقة حتى يستطيع المرء ان يرى نموهُ بعينيهِ

ولا يخفى ان انواعاً كثيرة من القطر تؤْكل وهي طيبة الطعم مطبوخة يكاد طعمها يكون كطعم الكلى وما يجلب منهُ الى هذا القطر ليس بالرخيص فلا يبعد ان تفلح زراعتهُ فيهِ ويكون منهُ ربح لزراعيهِ

الصبير

الصبّير نبات معروف يسمّى في هذا القطر « تين بشوكه » وقد سمّي في بعض القواميس الانكليزية العربية « تين هنديّ » و « تين فرنجي » اما القواميس العربية فلا تذكرهُ مما يدلُّ على ان العرب لم يكونوا يعرفونهُ . وهو من الفاكهة اللذيذة بل نعرف من يضعهُ في المقام الاول ويفضلهُ على العنب ملك الاثمار . فلذلك استغربنا ما ورد في احدى الصحف العلمية عنهُ قالت : كانت حكومة كوينسلند (في استراليا) قد انتدبت سنة ١٩١٢ لجنة لزيارة البلاد التي يكثر الصبّير فيها لتعلم هل في تلك البلاد اعداء طبيعية لهُ فتستخدمها لاهلاك ما ينبت منهُ في كوينسلند ولتعلم ايضاً هل يمكن استخدامهُ تجاريّاً . فساحت اللجنة في الارض طولاً وعرضاً ثم وضعت تقريراً ضافياً عنهُ قالت فيهِ ان لهُ كثيراً من الاعداء الطبيعية واشارت بادخال بعضها الى كوينسلند بدعوى ان هذه الاعداء تفتك بالصبّير فتكاً ذريعاً في جوّ كثير الحرارة والرطوبة كالبلد المذكور . ومما جاء في التقرير ان ثمر بعض انواع الصبّير يؤْكل وان جذوعهُ والواحهُ تستعمل لعلف الماشية في كثير من البلاد مخلوطة بمواد اخرى فتزيد لبن الماشية . وقد استخدم الصبير في الهند خصوصاً لتسميد التربة وفي اسبانيا وايطاليا لاستخراج الكحول منهُ . واستعمل في بلاد اخرى لاغراض شتى

التحكم في الجنس

وصف الاستاذ موروسيني الايطالي في كتاب نشرهُ طريقة للتحكم في جنس الحيوانات من حيث التذكير والتأنيث عند انتاجها . وقد تمكن بها على زعمهِ من الحصول على جراءِ ذكور او اناث كما شاء في مدات طويلة واخذ في تطبيق قاعدتهِ على الغنم والحمير والبقر التي تربى في بعض معاهد ايطاليا الزراعية المشهورة



الصناعة المصرية

وورشة شمّاع بمعروف

اعمال الناس لا تأتي عفواً بل هي نتائج لمقدمات تنتجها . فلو لم تكن تربة القطر المصري صالحة لنمو القطن وجودتهِ لما زرع اهلهُ القطن فيهِ او لابطلوا زرعهُ بعد ان جربوهُ سنة او سنتين. ولو وجد الناس ان نفقات زرع القمح في هذا القطر تزيد على ثمن القمح الذي يؤْتى بهِ من الخارج زيادة كبيرة لابطلوا زرعهُ واكتفوا بجلب قمحهم من الخارج كما ابطلوا زرع النيلة واكتفوا بجلب النيلة الطبيعية من الهند والصناعية من اوربا . وقس على ذلك كل الزراعات وكل الصناعات ايضاً . فقد كانت حياكة المنسوجات القطنية شائعة في كل مدن هذا القطر وبنادرهِ فلما صارت المنسوجات القطنية تأتي من اوربا رخيصة جدًّا ارخص مما يمكن نسجهُ منها في هذا القطر بطلت حياكة المنسوجات القطنية فيهِ. ولم يتم ذلك بامرِ حكومة ولا بفعل فاعل بل بمجرد ناموس الاقتصاد المعاشي الذي يقضي على كل احد ان يتطلَّب الربح الاكبر ويقتصد ما امكن في نفقاتهِ

والآن لا يحتمل ان يصير القطر المصري صناعيًّا كما هو زراعي الاَّ اذا امكن ترخيص مصنوعاتهِ فيهِ حتى تكون بالنسبة الى جودتها رخيصة مثل المصنوعات الاوربية والاميركية او ارخص منها او جعل المصنوعات الاوربية اغلى من المصنوعات الوطنية برسوم فاحشة تضاف الى ثمنها. ومن المحتمل اننا سائرون على الخطة المؤَدية الى ذلك. فيبعد عن الظن ان تنهال علينا البضائع الالمانية الرخيصة بعد هذه الحرب كما كانت تنهال قبلها . ومن المحتمل انْ يزاد رسم الجمرك على البضائع الواردة من غير بلاد الحلفاء. وفي الحالين تغلو المصنوعات وقد لا يكون غلاؤُها ضائراً لانها تكون اجود وامتن ولكنها تشجع الصناع الوطنيين على الاكثار من المصنوعات الوطنية اذ يبقى لهم ربح كافٍ منها

وكل ما لا يقتضي قوة كبيرة من المصنوعات ولا يلزم لهُ معامل واسعة جدًّا يمكن عملهُ في هذا القطر والربح منهُ ولاسيما اذا كانت موادهُ الاصلية كلها او اكثرها موجودة في القطر

او يسهل جلبها اليهِ لغلاء ثمنها بالنسبة الى جرمها كالاحذية والثياب والبسط والمصنوعات الخشبية والجلدية والذهبية والفضية والنحاسية وكثير من المصنوعات الحديدية

والصناعة لا تنشأُ وترتقي في المدارس بل في المعامل والورش حيث يتعلَّم الولد استعمال الآلات والادوات ثم يرتقي رويداً رويداً بتقدمهِ في السن ومزاولتهِ الاعمال الى ان يصير صانعاً ماهراً

زرنا بالامس ورشة من هذه الورش في شارع معروف يخص الخواجات شمَّاع وشركاءهُ وهم اصلاً حلبيون ويديرها لهم الخواجه وديع بشور وهو شاب سوري من اهالي اللاذقية . وفي هذه الورشة نحو خمس مئة عامل يصنعون حلاجات الجمال وسروج الخيل وكل ما يتصل بذلك ممَّا يحتاج اليهِ المسافر كالاخراج والزمزميات وما اشبه . ومتوسط اجرة الواحد منهم في اليوم نحو ٢٠ غرشاً وموادهم الاصلية كلها بلدية كالحشايا والاخشاب والجلود والاقمشة القطنية والكتانية والصوفية . ولعلَّ المشتغلين بعمل هذه المواد ونقلها لا يقلُّون عن خمس مئة نفس ايضاً . واذا حسبنا ان ثلث ثمن المصنوعات هو ثمن المواد الاصلية وثلثها اجرة الصنَّاع والثلث الباقي للادارة ورأس المال وجدنا انهُ يخرج من هذه الورشة الصغيرة في السنة مصنوعات ثمنها ٩٠٠٠٠ جنيه وهي جارية في عملها من غير صوت يسمع مع انهُ يعيش منها نحو الف بيت من بيوت السكان

تدخل هذه الورشة فلا تجد فيها رجلاً اوربيًّا ولا شيئًا من اوربا الاَّ آلات الخياطة وآلة او اكثر لتفصيل الجلد والابَر والمسلات والمخارز وشيئًا من النسيج القطني الذي لا ينفذهُ الماء والفلين الذي تسدُّ بهِ الزمزميات والحديد الذي يستعمل في ما يصنع فيها وما بقي فكلهُ وطني من حاصلات البلاد ومصنوعاتها وهو كثير جدًّا

ولا بدَّ ما تكثر الورش رويداً رويداً ما دامت المصنوعات الاوربية غالية الثمن . ومتى كثرت وتمرَّن صناعها على سرعة العمل بالمزاولة صارت تستطيع ان ترخّص مصنوعاتها وتناظر بها المصنوعات الاوربية . وستبقى البلاد زراعية ويبقى اعتمادها على الزراعة ولكنها تستعين بصناعتها على الاستغناء عن كثير من المصنوعات الاوربية

كواشف الماس

للماس كواشف كثيرة يتميز الصحيح بها من الكاذب اي الطبيعي من الصناعي ولكن الواحد من هذه الكواشف قد لا يفي بالمراد تماماً فلا بدَّ من امتحان الماس واختبارهِ بكلِّ

ما يستطاع منها ولاسيما ان الغش في هذا الباب على ازدياد كل يوم اذ يؤخذ بعض انواع الحجارة البرّاقة و ينظم و يصقل ثم يعرض على السوق ماساً فيشرى و يباع كأنهُ ماس ولا يردّ لشدة قربهِ من حجارة الماس الحقيقية وشبههِ بها حتى لا يفرق بين الفريقين . وقد تمتحن هذه الحجارة الكاذبة بكاشف اوكاشفين من هذه الكواشف فتجوز الامتحان سليمة على ما بها من غشّ ولكن كلما مرت بامتحان جديد افتضح امرها فامّا ان تنفى تنفية الدرهم الزائف واما ان تعدّ وتذخر اذّخار المعدن الكريم

من اقدم هذه الكواشف امرار حجر الماس الذي يراد امتحانهُ على لوح من زجاج بدعوى ان الماس الحقيقي يخدش الزجاج لانهُ اقسى منهُ والكاذب لا يخدشهُ . وهذا وهم استولى على الاذهان حتى اذهان العارفين زماناً ثم ظهر بطلانهُ . فان الماس المقلّد يخدش الزجاج ولكنهُ لا يقطعهُ اما الماس الحقيقي فاذا أُمرّ على لوح زجاج ولو امراراً خفيفاً احدث فيهِ ثلماً عميقاً الى حدّ ان يمكن فصل اللوح قطعتين مكان الثلم لاقلّ ضغط يأتيهِ

ومن اقــدم الكواشف المبرد فانهُ لا يؤثر اقلّ تأثير في الماس الحقيقي ولكنهُ يبرد المقلّد بسهولة

ومنها ان يوضع الحجر الذي يراد اختبارهُ بين قطعتين من النقود و يضغط بهما فان كان حقيقياً لم يؤثر الضغط فيهِ والاَّ فقد تسحق اطرافهُ

وهناك كواشف اخرى لا بأس بذكر بعضها . اذا كان الحجر نقيًّا وجافًّا ضع على وجههِ نقطة ماء صغيرة ثم خذ ابرة او دبوساً وحاول ازالة النقطة عنهُ . فان كان حقيقيًّا فانك تستطيع ان تجيلها عليهِ من غير ان تتقسّم والاَّ انتشرت على وجههِ وتفرقت كل مفرق حالما يمسها رأس الدبوس او الابرة

ومن احسن الكواشف ان تؤخذ كاس ماء و يلقى الحجر فيها فان كان حقيقيًّا ظهر في الماء واضحاً جليًّا والاَّ ظهر غير واضح الحدود وربما تعذرت رؤيتهُ بوضوح الاَّ بصعوبة كثيرة

ومنها ان تنقط نقطة حبر على ورقة بيضاء و يوضع الحجر امامها على بعد ربع بوصة عنها . فان كان حقيقيًّا رئيت النقطة بجلاء والاَّ رئيت حلقة نقط طامسة الاثر

ومنها خذ قطعة من نسيج فيهِ خطوط حمراء و بيضاء وأمرر عليها الحجر فاذا كان حقيقيًّا لم ترَ ما تحتهُ من الالوان والاَّ شفّ عما تحتهُ ورأيت الالوان كما هي

والغالب ان وجوه الحجر الصحيح لا تقطع على شيء من الاتقان والهندسة اللذين يريان في المصطنع . وسبب ذلك ان الماس يباع بالوزن فلذلك يبذل صيقلهُ جهدهُ للمحافظة على

شكلهِ الاصلي ما استطاع غير مبالٍ بالذوق الهندسي ولا مراعٍ قواعدهُ ٠ اما في الحجر المصنوع فلا حاجة الى شيءٍ من ذلك فلذلك ترى صانعهُ يبالغ في اتقانهِ وتنظيمهِ وقطع وجوههِ متناسقة منتظمة ما شاء التناسق والانتظام

على ان كثيرين من الجوهرية لا يحتاجون الى شيءٍ من هذه الكواشف لمعرفة الماس الحقيقي من غيرهِ بل يكفي الواحد منهم ان يمسّ الحجر براس لسانهِ بدعوى ان الحجر الحقيقي يكون دائمًا ابرد من الكاذب الى درجة يشعر بها ٠ هكذا يقولون

وهناك كاشف يحسن ان يجرَّب لان الخبيرين يفضلونهُ على ما سواهُ وهو ان يؤْخذ قلم من معدن الالومنيوم ويعلَّم بهِ على الحجر الذي تراد تجربتهُ ثم يمسح الحجر بشدَّة بخرقة مبلولة فان كان حقيقيًّا زالت العلامة حالاً والاَّ فهو مصطنع لان الالومنيوم يترك في الزجاج وسائر المواد التي فيها سلكا اثرًا لا يزال بالمسح ابدًا ٠ وقد تصعب ازالتهُ بالحوامض الأَكالة

ونختم هذا الفصل بالاشارة الى مزية للماس الحقيقي على غيرهِ وهي مزية اللمعان الفصفوري كما يسمّونهُ ٠ وذلك ان يؤْخذ حجر ماس ويعرَّض لنور مصباح كهربائي من النوع المعروف باسم القوس الكهربائية ثم يفرك بشدة على قطعة من الخشب او المعدن ويؤْخذ الى مكان مظلم فيرى باهر اللمعان ٠ اما اذا كان كاذبًا فلا يظهر فيهِ شيءٌ من ذلك

عيدان الكبريت

في السوق المصرية اصناف كثيرة من عيدان الكبريت ٠ فمنها الانكليزية ومنها الاسوجية ومنها انواع تصنع بلا فوصفور وانواع تصنع بلا كبريت ٠ والصنف العادي منها يصنع من الفصفور وملح البارود والرصاص الاحمر ونترات الرصاص ٠ ويدخل في تركيبها بعض مركبات المنغنيس والصمغ او الغراء ٠ والغالب ان تصنع كما يأْتي :

تؤْخذ اجزاء معلومة من المواد المتقدم ذكرها ويذاب الغراء على درجة الغليان ثم يضاف الفوصفور اليهِ شيئًا فشيئًا وهو يحرَّك ثم يضاف ملح البارود والمادة الملونة ويترك هذا المعجون على حرارة لا تزيد عن ٣٧ سنتغراد ٠ فتؤْخذ العيدان بعد ان تكون قد غمست بالكبريت ثم تغطس رؤُوسها بهذا المعجون وتترك حتى تجف

اما العيدان الانكليزية فتغطس في معجون يحتوي على غراء وفصفور وكلورات البوتاس وزجاج مسحوق ٠ واما الاسوجية فتغطس في معجون مؤَلف من الزجاج والغراء وبكرومات البوتاس وكلورات البوتاس واكسيد الحديد والمنغنيس والكبريت

زجاج لا يتكسر

استنبط المستر فرنك شومان (الذي وضع الآلة البخارية الشمسيَّة في المعادي بمصر) الواحاً من الزجاج لا يخرقها الرصاص اذا أُطلق عليها ولا تتكسر اذا رميت بحجر بل يندفع الحجر عنها كما تندفع كرة من الكاوتشوك ولكن اذا ضرب اللوح منها بمطرقة ضربة عنيفة فقد تظهر فيه شقوق دقيقة ولكن لا تنفصل قطعة منهُ

والسر في هذا الزجاج ان كل لوح منهُ مؤَلف من لوحين بينهما ورقة من السلولويد. وورق السلولويد هذا يجب ان يكون رقيقاً جدًّا حتى لو جُمعت الف ورقة منهُ الواحدة فوق الاخرى ما زاد سمكها كلها على بوصة واحدة اي انهُ مثل ورق السيكارة وهو حينئذٍ شفاف تماماً فلا يحول دون شفافية لوحي الزجاج ولكنهُ يمنع انكسارهما

مشمعات الفلين

المشمع نسيج يدهن بالكاوتشوك لكي لا يخرقهُ المطر لكنهُ يكون ثقيلاً و يمنع نفوذ الهواء ايضاً فيتعب لابسهُ . وقد صنع احد الفرنسويين الآن نوعاً جديداً من المشمع ينفذهُ الهواء ولا ينفذهُ الماء ولا تثقل بهِ المنسوجات . وكيفية عملهِ ان تُقص من الفلين اوراق رقيقة جدًّا وتوضع في محلول كيماوي يزيل الراتينج منها حتى تصير لينة جدًّا لا تنقصف معها طويت ودعكت . ثم توضع هذه الاوراق بين طبقين من النسيج القطني او الصوفي فيصير منها نسيج مانع لنفوذ الماء وغير مانع لنفوذ الهواء

المركبة السلسليَّة

شاع منذ عهد قريب ان الانكليز استخدموا في حرب الالمان اوتوموبيلات مدرعة ثقيلة جدًّا يدوّر عجلها خمس سلاسل من العوارض المتصل بعضها ببعض حتى لا تغوص في الارض بثقلها . ولعلهم نسوا ان مخترع هذه السلاسل التي يدور فيها العجل رجل سوري من نزلاء هذا القطر وهو الخواجه اسكندر نصره ولكنهُ لم يعرف كيف يستفيد من اختراعهِ . وقد قرأنا الآن في مجلة العلم للعامة الاميركية ان هذه السلاسل استعملت في المركبات العادية ايضاً التي تستخدم في الاعمال الزراعية حيث لا تصلح الطرق لسير عجلات المركبات العادية

الصيد بالمصّ

استنبط رجل من اهالي هولندا طريقة لصيد السمك بالمصّ وذلك انهُ يطرح في الماء شبكة من الاسلاك المعدنية مصنوعة كالسلَّة الكبيرة الواسعة من فمها و يعلق في داخلها عند طرفها الضيق مصباحاً كهربائيًّا و يكون على مقربة منهُ انبوب متصل بآلة مصاصة في السفينة . فاذا رأَى السمك المصباح دخل هذه الشبكة الى ان يصل اليهِ فيمتصهُ الانبوب المصاص و يصعدهُ مع الماء الصاعد فيهِ الى برميل كبير في السفينة . والماء ينصب من انبوب في جانب البرميل و يبقى السمك فيهِ

راية دائمة الخفوق

صنع احد الاميركيين راية منسوجة من اسلاك معدنية دقيقة ملونة بالوان الراية الاميركية اي في زاويتها العليا النجوم وما بقي منها قدد حمراء و بيضاء فاذا رُفعت على عمود لم تنفكّ تخفق من نفسها ولو كانت الريح هاجعة لا تتحرك

اتوموبيل كالعقلاء

ان باعة الخبز وباعة اللبن في بعض مدن اوربا واميركا يقتنون خيلاً تجر المركبات التي يضعون فيها الخبز او اللبن وتسير وحدها من غير سائق وتقف امام بيوت الزبائن من نفسها حتى يأخذوا منها ما اعتادوا اخذهُ يوميًّا من الخبز او اللبن . وقد صنع الاميركيون الآن اتوموبيلاً لنقل الخبز واللبن ووضعوا فيهِ آلة تسيّرهُ من نفسها وتقف بهِ على مسافات محدودة حيث بيوت الزبائن الذين يأخذون حاجتهم منهُ فيجري في سيرهِ ووقوفهِ مجرى العقلاء

الديدبان الهوائي

الديدبان الحارس الذي يحرس الجنود وقد استنبط رجال هذه الحرب ديادبة هوائية يركبون البلونات ويقيمون في اعالي الجو وراء خطوط جنودهم والنظارات في ايديهم والاسلاك التلفونية ممتدة منهم الى المدفعية فاذا رأوا شيئاً يريبهم في خطوط العدو اخبروا المدفعية بهِ حالاً حتى يقضوا عليهِ قبلما يستفحل امرهُ



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب فقتحناهُ ترغيباً في المعارف وإنهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان . ولكنّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براءٌ منهُ كلهِ . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلّ ودلّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوّلة

واجب ادبي
وانتحال المعاني الشعرية

لقد كاد يعدُّ الاطّلاع على آداب الغرب جريمة وتهمة في اعين الادباء اذ انهُ مظنة السرقة وذلك لان بعض الشبان لا يدين بدين الملكية في الآداب . ان العقول مثل التربة تحتاج الى ان تتعهد بما يظهر خصبها . والاطلاع من الوسائل التي تظهر خصب العقول . ولا ينكر احد ان العقول تتطبع بما تطلع بهِ فينشأ من ذلك الابتداع والتوليد اذ ان للعقول تلقيحاً مثل تلقيح الاشجار فيوسع الفكر وينمي الملكات ويبعث على الابتداع ولكن هناك طريقاً اقل موءُونة واعني نقل الشيء وادعاءهُ . ولو كانت المسألة التي اتكلم فيها تافهة لما تعرضت لها ولكنها تشمل قصائد ومقالات كثيرة تسيء ظن الناس باهل العلم والابتداع وتبعث على الفوضى في العلوم والآداب . وقد شاعت حتى لم يعد يمكن كتمانها . على ان كل اديب حارس من حراس الادب ومن واجبهِ ان لا يغفل عن حراستهِ

وهناك دافع آخر دفعني الى الكتابة واظهار هذه المآخذ وهو الرغبة في الخلاص من مظان الريب . فقد اعتاد بعض الناس ان يقرن اسمي الى اسمي المازني والعقاد للمودة التي بيننا ولكنها مودة لا تحمل كل واحد منا عيوب اخيهِ فحسب المرء منا ان يحمل عيوب نفسهِ ولكن الجمهور لا يستخدم المنطق في كل رأي يراهُ

ان المودة التي بيني وبين المازني قديمة ومن اجل ذلك لم اكن اعرف كيف يسوغ لي ان اكتب هذا المقال ولكني شرحت الاسباب التي دعتني الى الكتابة فان المسألة ليست هينة ومثل هذا الواجب ينبغي ان يكون فوق المودّة منزلة . فقد شاع بين الادباء ان المازني قد اخذ بعض قصائد كاملة من شعراء الغرب وافكار متفرقة غير اني لم اتنبه الى هذه التهمة

واهديت اليهِ الجزء الثالث من ديواني علامة على ثقتي ومودتي ولكن احد الادباء لفتني الى قصيدة (فتى في سياق الموت) في ديوان المازني وهي مأخوذة من قصيدة لتوماس هود الشاعر الانجليزي · ثم لفتني آخر الى قصيدة (قبر الشعر) في ديوانهِ فاذا هي للشاعر هيني الالماني · وقد كنت اقرأ عرضاً في تنيسون الشاعر الانجليزي فرأيت فيهِ قصيدة الذكرى التي قال المازني انها لهُ ثم ارسل اليَّ المازني بعد ذلك قصيدة (الوردة الرسول) فاذا هي للشاعر ولر الانجليزي · ونشر في جريدة عكاظ قصيدة (الراعي المعبود) فاذا هي للشاعر لويل الامريكي · وبينما كنت احادث احد الادباء في شعر المازني وهو الاديب امين افندي مرسي لفتني الى قصيدة المازني اليائية التي سماها الشاعر المحتضر فاذا هي من قصيدة (اودني) لشلي الشاعر الانجليزي وهي التي قالها في رثاء كيتس · ورأيت بعد ذلك قصيدة (شوكة الحسن) فاذا هي لهيني الالماني

ومن الغريب التزام المازني الدقة في الترجمة فان هنري هيني يقول لحبيبتهِ « صرتِ تدعينني العزيز هنري » فقال المازني « العزيز المازني » · وقد نبهت المازني الى هذه القصائد فاعترف انها ليست لهُ ولكنهُ قال انهُ نظمها وهو يظن انها لهُ ذلك لانهُ حفظ المعاني ونسي انها لغيرهِ · فبينت لهُ ان الابيات والمعاني متسلسلة والترجمة دقيقة جداً · فاصر على فكرتهِ السيكولوجية وقال ان ذلك جائز في علم السيكولوجيا ولكنهُ وعد ان يتجنب امثال هذه المآخذ في المستقبل

ولا اعرف كيف يوفق بين تعليلهِ لهذه المآخذ ووعدهِ بتجنبها في المستقبل ولم يفِ اذ انهُ بعد ذلك انشدني قصيدة (اكليل الشوك) و (الغزال الاعمى) وهي ايضاً من هذه المآخذ · وبينما كنت اقلّب مجلة البيان وجدت مقالاً طويلاً عنوانهُ (تناسخ الارواح) منسوباً الى المازني فاذا هو مأخوذ من اولهِ الى آخرهِ من مقالات ادسون الكاتب الانجليزي الشهير في مجلة السبكتاتور · ثم اطلعت على مقالات المازني في ابن الرومي والجزء الاكبر منها ليس في ابن الرومي بل في العبقرية والعظماء فاذا اجزاء كبيرة منها مأخوذة بعضها من كتاب عنوانهُ (شكسبير) تأليف فكتور هيجو الشاعر الفرنسي وبعضها من مقالات كارليل الادبية · فنبهت المازني الى ذلك فقال ماذا اصنع اذا كنت اكتب الشيء ولا اعرف انهُ ليس لي هل اطوف على الناس اسأَلهم هل رأوهُ قبل (هذه كلمة من رسالة بعث بها اليَّ)

اما مقالة (تناسخ الارواح) فانهُ قال ان صاحب مجلة البيان نسي ان يذكر انها منقولة وكذلك قال ان صاحب البيان نسي وضع الاقواس حول القطع المنقولة في مقالات ابن الرومي · وليس الامر مقصوراً على ما ذكر فان احد ادباء مصر وهو مصطفى افندي علوه

كان قد جمع كتاباً ذكر فيهِ مآخذ كثيرة زعم ان المازني اخذها من كتاب واحد فقط وهو كتاب (الذخيرة الذهبية) في الشعر الانجليزي ولم اتمكن من روءية كتاب هذا الاديب ولكن احد اصدقائنا وهو محمد افندي جلال رآهُ فقال للمازني انهُ لو تعمد الترجمة لما وجد احسن مما جاءَ بهِ في تلك المآخذ

وقد جمعنا مرة مجلس فاخذ احد الادباء الافاضل وهو عبد الحميد افندي العبادي ديوان المازني وكتاب الذخيرة الذهبية الانجليزي وجعل يقارن بين ابيات المازني وابيات الذخيرة حتى ادهش الحاضرين · وقد ارسل اليَّ المازني قصيدتهُ التي عنوانها (الاقدار) فاذا جزء منها مأخوذ من قصة (قابيل) للشاعر الانجليزي اللورد بيرون ولاسيما قول المازني

الغرس في الفردوس اشجار نقمة ويذكر ان تنشا منّي وطلابُ

الى آخر القصيدة · وبينا اقلب ديوان بيرون الذي عند المازني رأيت قطعاً من شعر بيرون قد وضع المازني بجانبها علامات فقرأت شيئاً من هذا الشعر فاذا هو في شعر المازني في قولهِ

وما ان تنام العين لكن اخالها تدير بقلبي نظرة حين ارقدُ

وهذا موجود في اول قصة « منفرد » للشاعر بيرون · وبينا اقلب ديوان المازني كي اكتب منهُ هذا البيت في هذا المقال وقع نظري على قولهِ

لا تخشَ اشجاني اذا اعتلجت اوَ لست تركب هائل الشجنِ
القلب يمّ لا قرارَ لهُ جمٌّ العواصف مزبد القننِ
لكنّ في اغوارهِ درراً ولآلئا ابقى من الزمنِ

فاذا هي منقولة بدقة من اغاني هيني · وقد لفتني العقاد الى قصيدة في شعر المازني قال انها منقولة بدقة من شعراء الغرب ولكن لا اتذكرها

ولا اريد ان اذكر مآخذ المعاني المفردة والابيات المتفرقة ولو شئت لذكرت ابيات المازني الرائية المأخوذة من قصيدة سوثي الشاعر الانجليزي في وصف العالم والكتب واشياء كثيرة من امثال ذلك ولكن اكتفي من هذا المقال بذكر ما قدرت ان احصيهُ من المقالات والقصائد التي أُخذت كاملة · ولو كان الامر مقصوراً على ابيات قليلة منفردة لما رأيت فرضاً عليَّ ان اكتب هذا المقال

هذا واوكد لصديقي المازني أني اجلهُ واودهُ بالرغم من ذلك وادع للقارئ ان يحكم امصيب ام مخطئ انا في اظهار ما اظهرت · وليس لي ان اعلل هذه المآخذ او ان اتهم المازني بانهُ تعمد اخذها

عبد الرحمن شكري

[المقتطف] ان كان المازني قد ابدع في اقتباس المعاني من شعراء الغرب وسبكها في قالب عربي متين فشكري لا يقلّ عنهُ ابداعاً في اكتشافهِ معادن تلك الجواهر. والرجلان فارسا بيان. وقد يحتمل ان يكون المازني استظهر ما قرأهُ من دواوين اولئك الشعراء ثم نظم ما نظمهُ وهو يحسب ان معانيهم لهُ وذلك من اندر النوادر ولكن لا شبهة عندنا في انهُ لو صرَّح ان المعاني لغيرهِ ودلَّ على مآخذها وظهرت مقدرتهُ في ترجمة الشعر بالشعر لما كان ذلك اقلّ دلالة على فضلهِ من ابتكار تلك المعاني. وان كان صاحب هذه الرسالة على ثقة تامَّة ان المعاني التي اشار اليها مقتبسة كلها من شعراء الغرب وكتَّابهِ فلهُ فضل كبير في الدلالة على مآخذها وفي لومهِ من ينتحل معاني غيرهِ متعمداً لانهُ انما قصد بهذا اللوم ان يزيد حرص الكتَّاب على الاعتراف بفضل الذين ينقلون عنهم او يقتبسون منهم



Mohammedan Theories of Finance

في جامعة كولمبيا باميركا لجنة للعلوم السياسية تهتم بترجمة الكتب الموضوعة في السياسة وما يتعلق بها. ومن الكتب التي نشرتها حديثاً هذا الكتاب وهو في الخراج وما يتصل بهِ كالزكاة والجزية والفيء وبيت المال والصدقات وما اشبه. وقد وضعهُ الدكتور نيقولا اغنيدس من تلامذة القسطنطينيَّة جامعاً ابوابهُ من امهات الكتب العربية في الفقه والحديث والتفسير كالرسالة للشافعي وتقويم الادلَّة للدبوسي والمعتمد للبصري والبرهان لامام الحرمين والاصول للسرخسي والاحكام لسيف الدين الاحمدي. وظاهر الرواية للشيباني والحيل الشرعية للخصَّاف والمختصر للطحاوي والمنتقى للمرزوي والمحيط للسرخسي والهداية للمرجناني والمختار للموصلي والموطإ لمالك ومسند الامام احمد بن حنبل وصحيح البخاري وسنن الدارمي وجامع مسلم وسنن داود وسنن الترمذي وسنن ابن ماجه القزويني ومصابيح البغوي وتفسير الطبري وكشاف الزمخشري ومفاتيح الغيب للرازي وانوار التنزيل للبيضاوي وتفسير الجلالين لجلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي عدا كتب التواريخ والترجمات المختلفة

والكتاب كبير يقع في ٥٤٠ صفحة لم نطالع صفحةً منهُ الاَّ رأينا فيها بحثاً دقيقاً وجمعاً وتفصيلاً قلَّما رأينا ما يضارعها في كتاب آخر حتى لقد بتنا نرتاب في تقدير فائدة هذا الكتاب في جنب ما أُنفق على جمعهِ وتبويبهِ من العناء ونشر ذلك بالانكليزية بدل العربية. لكن علماء الاوربيين والاميركيين يغالون بكل ما يعرف عن غيرهم ولو بطل العمل بهِ وصار من مباحث التاريخ

هذا واننا نهنئ الدكتور اغنيدس بنجاحهِ في تأليف هذا الكتاب وحبذا لو استطاع ان يلحق بهِ بعض الاحصاءات عن ماليات الدول العربية في عهدها للاستدلال على مبلغ الحضارة والثراء فيها وان يلحق المصطلحات العربية بالاصل المنقولة عنهُ للاستدلال على ما اقتبسهُ العرب من غيرهم في تنظيم امورهم السياسية والاقتصادية كالزكاة مثلاً فانها من كلمة يونانية معناها العشر فنظامها منقول عن الروم

ثورة العرب

ظهر في خلال شهر ديسمبر الماضي هذا الكتاب مطبوعاً في مطبعة المقطم وهو من قلم « احد اعضاء الجمعيات العربية ». بحث في مقدمات ثورة العرب واسبابها ونتائجها فتكلم عن الحرب الاوربية والشرق والمسئلة الشرقية وفروعها . والمسئلة العربية وادوارها . والعرب والترك في الماضي . والعرب والاتحاديين . والاتحاديين والاسلام والعرب . والمبايعة بالملك على العرب الى غير ذلك من المواضيع المتفرعة عن هذه المسئلة

وقد صدَّرهُ بخريطة كبيرة للبلاد العربية واهداهُ « الى ارواح شهداء الوطن » الذين قتلهم الاتحاديون . وهو مكتوب بلغة صحيحة ومطبوع طبعاً متقناً . وجميع ما تضمنهُ يدلُّ على انهُ بقلم كاتب كتب ما عرف بالخبرة . وهذا افضل ضمان على الصدق والصحة

الجوع والمجاعات

بحث ادبي تاريخي اجتماعي القاهُ حضرة الكاتب الفاضل انطون افندي الجميّل في نادي الاتحاد السوري بالقاهرة مساء ٢٥ نوفمبر الماضي وقدمهُ الى رؤساء الطوائف واعضاء اللجان في مصر والخارج والمتبرعين بالمال لمساعدة الذين نكبوا بالمجاعة في سورية . فكتب فيهِ عن اسباب المجاعات وتاريخها الصحيح والخرافي وتعريف الجوع ومجاعة سورية ولبنان فاجاد وافاد

المجلّة العربية

مجلّة جديدة ظهرت في مدينة نيو يورك باميركا رئيس ادارتها الدكتور سليم افندي شحاده جورج اندمجت فيها مجلة قديمة اسمها العالم الجديد مديرها خليل بك الاسود · وقد جاءنا منها العدد الاول بعد اندماج المجلتين وفيهِ مقالتان عن التجارة السورية واهم ما تحتاج اليهِ ومقالة تاريخية في ان احد امبراطوري الرومان كان سوريًّا ومقالة من سلسلة مقالات في صحة السوري في المهجر ونبذ اخرى ادبية · ومن ذلك خمرية من نفيس الشعر لايليا افندي ابي ماضي وهي قولهُ

هات اسقني بالقدح الكبيرِ   صفراء لون الذهب المصهورِ
كأنها في أكؤس البلورِ   شعلة نار في بقايا نورِ

***

اما ترى الكأس التي تحويها   تكاد ان تجري الحياة فيها
لو لم يدرها بيننا ساقيها   دارت على القوم بلا مديرِ

***

بنت الدوالي زوجة السحاب   اخت التصافي ضرَّة الرضاب
انت وان لام الورى شرابي   في الخالدين القرّ والهجيرِ

***

هات اسقنيها مثل عين الديكِ   صافية تنهض بالصعلوك
حتى يرى التيه على الملوك   ولا يبالي سطوة الاميرِ

***

قم هاتها باهرة الضيآء   امناؤُها مليكة الاسماء
تستنزل الوحي من السماء   وتنزع الغلّ من الصدورِ

***

اشربها بل اشرب الاكسيرا   تخلق في شاربها السرورا
فقل لمن يحسبها غرورا   ما العيش الاَّ ساعة الغرورِ

والمقالات باقلام جماعة من نوابغ الكتاب فمقالة الدكتور فيليب حتي وموضوعها صفحة مطوية من تاريخ استعمارنا ومهاجرتنا تباهي بنشرها ارقى المجلات التاريخية · ومقالة الدكتور رشيد تقي الدين في حياة السوري الاجتماعية على ما فيها من الايجاز تشير الى اسهاب منتظر وما فيها من التلميح يدل على تصريح واجب فعسى ان يشفعها بمقالات اخرى من بابها ويصرّح بما يفعلهُ رجال الدين الذين حملوا التعصب على ظهورهم وبين ايديهم وجروا بهِ وراء السوريين الى اميركا الشمالية والجنوبية

وكذلك مقالة خليل بك الاسود التي موضوعها تجارتنا في المهجر فانها تستدعي زيادة الاسهاب في هذا الموضوع لشدَّة لزومهِ وفائدتهِ · ومقالة الدكتور فؤاد شطاره التي موضوعها صحة السوري في المهجر حرية بان تطالع بالامعان التام · ومقالة السيدة فكتوريا طنوس وموضوعها لماذا لا اتزوج في اميركا حرية بالنظر

ويظهر لنا مما طالعناهُ في هذه المجلة ومما يأتينا من الرسائل من اميركا الشمالية والجنوبية ان السوريين المهاجرين اخذوا يشعرون بافتقارهم الى ما يصلح شؤونهم في مهاجرهم ويساعدهم على مجاراة ارقى الامم التي قُسم لهم ان ينزلوا بلادها ولاسيما بعد ان كاد رجاؤهم ينقطع من اصلاح بلادهم الاصلية للعودة اليها · والمجلات والجرائد من خير الذرائع لارشادهم الى ما يجب العمل بهِ حتى يتمثلوا بانجح الاقوام الذين نزلوا بين ظهرانيهم وقد يضطرون ان يساكنوهم ويجاوروهم هم واولادهم الى ما شاء الله

صراخ المستغيثين

من ابناء الشرقيين

ألّف هذا الكتاب بالانكليزية الدكتور زويمر المرسل الاميركي في هذا القطر وعربهُ الشيخ متري صليب الدويري · وترجمة عنوانهِ بالانكليزية « الاطفال في العالم الاسلامي » ومدار بحث كاتبهِ فيهِ على اطفال المسلمين واحوالهم الصحية وتربيتهم العقلية والادبية والدينية · وقد زين بصور تمثل العاب اولاد البدو وبنات ينسجن سجادة تركية واطفال جاوى بين يضفرون البرانيط وشابة مسلمة من الحبشة وغير ذلك

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف · ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم يدرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكررهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) مبدأ منرو

مصر · يواقيم افندي فرج · ما هو مبدأ منرو

ج · لما كان المستر جمس منرو رئيساً للولايات المتحدة الاميركية خاف من ان اتحاد الدول الاوربي المعروف بالاتحاد المقدس يحاول اعادة المستعمرات الاسبانية في اميركا الجنوبية الى اسبانيا فكتب الى مجلس النواب ومجلس الشيوخ في دسمبر سنة ١٨٢٣ رسالة قال فيها « ان الفرصة السانحة الآن وُجدت مناسبة لتقرير ما يأتي كمبدإٍ ترتبط بهِ حقوق الولايات المتحدة ومصالحها وهو ان القارتين الاميركيتين بما لهما من الحرية والاستقلال تعتبران من الآن فصاعداً غير معرَّضتين لاستعمار الدول الاوربية في المستقبل » الى ان قال « اننا لم نشترك قط في حرب نشبت بين الدول الاوربية متعلقةً بمصالحها ولا يوافقنا ان نشترك فيها ولكن اذا اعتُدي على حقوقنا او هُدِّدت تهديداً خيفت عواقبهُ فحينئذٍ نطلب منع الضرر او نستعد للدفاع ··· وعندنا ان كل محاولة من قبَل الدول الاوربية لادخال نظامها السياسي الى اميركا تعرّض سلامنا وامننا للخطر · ولا شأن لنا في المستعمرات التي تمتلكها الدول الاوربية الآن ولكن ليس الامر كذلك من حيث الحكومات الاميركية المستقلّة التي اعترفنا باستقلالها بعد إعمال النظر والروية بل اننا نحسب كل تعرُّض لشؤُنها قصد التضييق عليها او التحكم في ما تصير اليهِ عداء للولايات المتحدة · ويستحيل على دول التحالف الاوربي ان تدخل نظامها السياسي الى قسم من اميركا الشمالية او الجنوبية من غير ان تعرّض سلامنا وسعادتنا للخطر »

(٢) تقوية الدم

ومنهُ · ما هو احسن شيء يأخذهُ الانسان لكثرة الدم

ج · يظهر أنكم تريدون تقوية الدم اي صحتهُ وجودتهُ لا كثرتهُ · وجودة الدم تتوقف على كثرة الكريات الحمراء فيهِ وسلامتها

وسلامة الكريات البيضاء وكون النسبة بينهامعتدلة فالكريات الحمراء تنمي الجسم وهو في سن النمو وتعوضهُ مما يندثر منهُ . والكريات البيضاء تحميهِ من عوادي الادواء ومتى ورث الانسان بنية سليمة قوية من والديهِ وعاش عيشة صحية لا افراط فيها ولا تفريط بقي دمهُ سليماً كافياً لانماء جسمهِ وتقويتهِ ودفع الادواء عنهُ والاَّ فاذا اورثهُ والداهُ جسماً سقيماً ضعيفاً او اذا انهك جسمهُ بالافراط والتفريط سهل تسلّط الادواء عليهِ وقد تقوى كريات دمهِ البيضاء وتفترس الكريات الحمراء ويصير اقل شيء يؤذيهِ لان لا واقي في جسمهِ يقيهِ

(٣) اصل المهر والبائنة

اسيوط . ثابت افندي جرجس بشاي . لماذا يدفع الشرقي مهر العروس اذا اراد الزواج بعكس الغربي فان العروس هي التي تدفعهُ

ج . ان العادة الشرقية قديمة مبنيَّة على حسبان الاولاد ملكاً لوالديهم فيبيعوا بناتهم بيعاً . وقد كان ذلك شائعاً عند اليونان والرومان كما لا يزال شائعاً في اكثر البلدان الشرقية . وقد شاع من قديم الزمان ايضاً ان يعطي البنتَ ابواها مالاً حين تزويجها كما يعطيان ابنها مالاً للاشتغال بهِ واسمهُ البائنة وقد جاءت النصوص على ان هذه العادة كانت معروفة عند العرب في بداءة الاسلام . وقد صار الاعتماد عليها في اوربا لما بطل عندهم كون المرأة خاضعة لسيادة الرجل كاولادهِ وصارت شريكة لهُ في مالهِ فاضطر ابواها ان يعطياها جانباً من المال لهذه الشركة

(٤) الحظ والاجتهاد

ومنهُ . قرأت في احدى المجلات ان نجاح الانسان يتوقف على حظهِ اكثر مما يتوقف على اجتهادهِ فهل تصدقون ذلك

ج . ان الاجتهاد ضروري للنجاح ولكن يجب ان يكون في السبيل المؤدي الى النجاح فاذا اردت نقل حجر من شرق دارك الى غربها وشددت بهِ الى الشمال او الجنوب لا ينتقل الى الغرب مهما اجتهدت في شده . وبعد الاجتهاد تأتي الصدف التي لا يستطيع الانسان دفعها او التحكم فيها فاذا اشتدَّ الحرُّ صيفاً حتى حرق المزروعات او البرد شتاء حتى يبسها فصاحبها يخسر ولا يدفع اجتهادهُ عنهُ خسارة . واذا اصابت الافات القطن الاميركي حتى قلَّ محصولهُ كما قل الآن ارتفع سعر القطن المصري فربح اصحابهُ والمضاربون على الارتفاع ولو لم يجتهدوا وخسر المضاربون على الهبوط مهما اجتهدوا

(٥) المعادن في باطن الارض

ومنهُ . لماذا توجد المعادن في باطن الارض ولا توجد في غيرهِ

ج . انها توجد في سطح الارض كما توجد في باطنها ولكن يرجح ان المعادن الثقيلة اكثر في باطن الارض منها في سطحها لان

الارض كانت مائعة في عصر من العصور القديمة والمواد الثقيلة تهبط نحو المركز اكثر من الخفيفة

(٦) سبب دخول المانيا الحرب

ومنهُ . ما هو السبب الوجيه الذي من اجلهِ دخلت المانيا في الحرب . اتظنون انها دخلت لكي تقرض الضعيف او لان مستعمراتها اقل من مستعمرات انكلترا وفرنسا فهي لا تكفي مملكة اخذ عدد سكانها في النمو والتقدم السريعين

ج . لم تقصد المانيا ان تقرض الشعوب الضعيفة بل ان تستولي عليها وحينئذٍ اما ان تصلح شؤُونها وترتقي اذا كان فيها استعداد للارتقاء واما ان تنقرض من نفسها كما ينقرض الضعيف من امام القوي اذا تنازعا البقاء . واغراض المانيا كثيرة وقد شرحناها بالاسهاب في مقالات كثيرة من بداءة الحرب الى الآن فراجعوها

(٧) الثقة بالقوانين الدولية

ومنهُ . كيف ترجع الثقة بالقوانين الدولية اذا شبت حرب اخرى في المستقبل بعد ان داستها المانيا في هذه الحرب ولم تعبأ بها

ج . نحن نرى ان اميركا وانكلترا وفرنسا وروسيا وايطاليا من الدول التي تحترم القوانين الدولية وتحافظ عليها ومن المحتمل ان المانيا انما هي الدولة الوحيدة التي لا تحترم هذه القوانين فاذا اتفقت بقية الدول على حفظ القوانين الدولية ومحاربة المانيا اذا لم تحترمها فالمرجح عندنا ان النمسا تكون معهن وان المانيا لا تنفرد حينئذٍ في محاربتهن بل تضطر ان تخضع للحق الذي تؤيدهُ القوة .

(٨) انتخاب رئيس الولايات المتحدة

ومنهُ . كيف ينتخب رئيس الولايات المتحدة

ج . يعين المرشحون للرآسة عادة في شهر يونيو او اوائل يوليو من سنة الانتخاب ويكونون من الحزبين الديموقراطي والجمهوري ولكنهم لا يعرفون رسميًّا تعيينهم حتى تصل لجنة من المؤتمر الوطني فتبلغهم تعيينهم رسميًّا والغالب ان يكون ذلك في شهر اغسطس . وفي آخر هذا الشهر تنبثّ اللجان التابعة للحزبين في طول البلاد وعرضها تدعو الناس لتأييد حزبها بالخطب والمنشورات التي لا تحصى . وفي اوائل سبتمبر يقام الانتخاب ويدوم الى اوائل نوفمبر اي مدة شهرين

اما الذين ينتخبون الرئيس فليسوا جمهور الامة راسًا بل ناخبون ينتخبهم الجمهور في الولايات المختلفة في يوم الثلاثاء الاول بعد يوم الاثنين الاول من نوفمبر . وهؤُلاء الناخبون يجتمعون في عواصم ولاياتهم المختلفة ويصوّتون لمن يشاؤُون بكتابة اسمهِ على ورقة والقائها في صندوق القرعة . وهذا الصندوق يفتح وتفرز اوراقهُ امام مجلسي النواب والشيوخ . ولا يتولى الرئيس المنتخب منصبهُ رسميًّا قبل الرابع من مارس التالي



وفاة فلكيّ معروف

توفي في نوفمبر الماضي الاستاذ برسيفال لول مدير مرصد لوِل المشهور في ولاية اريزونا باميركا ولهُ من العمر ٦١ سنة . ولد في مدينة بوستن سنة ١٨٥٥ وحاز شهادة جامعة هارفرد سنة ١٨٧٦ والف بضعة كتب عن اليابان حيث أقام مدة طويلة . على ان اشهر كتبهِ كتاب في « المريخ » نشرهُ سنة ١٨٩٥ . وآخر في « النظام الشمسي » وآخر « في المريخ وترعهِ » . وآخر في « الحياة في المريخ » . وآخر في « نشوء العالمين » . وسنة ١٩٠٢ عين استاذاً للفلك في احد المعاهد العلمية بولاية مستشوستس وسنة ١٩٠٤ منحتهُ الجمعية الفلكية الفرنسوية مدالية جنسن جزاء مباحثهِ في المريخ . وقضى الخمس والعشرين سنة الماضية منقطعاً للفلك فاشتهر شهرة التهُ عن استحقاق بحثهِ في الخطوط التي ترى في السيارات وبالاستنتاجات الغريبة التي بناها على هذا البحث . ومهما يقل في امر تلك الاستنتاجات فلا مشاحة في انهُ خدم علم الفلك خدمة جليلة بغيرتهِ الفائقة عليهِ واجتهادهِ والصدق الذي كان رائد عملهِ وما بذل من التأني والحذر تفادياً من خدع نفسهِ وهو شرّ انواع الخديعة

ومن اعظم الدلائل على اجتهادهِ وحذرهِ ما بذلـــ من العناية باختيار موقع ملائم لمرصدهِ . فانهُ انفذ الوفود الفلكية للاستطلاع والاستقصاء هنا وهناك في القارات وجزر البحر وقضى ردحاً طويلاً في سهول المكسيك القاحلة الى ان اختار موقعاً لمرصدهِ قنة جبل من جبال اريزونا علوها ٧٠٠٠ قدم . فنصب عليها تلسكوباً عاكساً قطر مرآتهِ ٢٤ بوصة ثم شرع في ارصادهِ المريخية المشهورة التي طال الجدال عليها بين اخوانهِ الفلكيين

و بحث في خطوط عطارد والزهرة بحثاً لا يقلُّ عن بحثهِ في خطوط المريخ شأناً فاظهر بالدليل ان كلاًّ منها يدور على محورهِ مرة واحدة في اثناء دورتهِ حولــــ الشمس وعيّن بما امكن من الضبط والدقة مركز ذلك المحور ورسم خريطة لوجه الزُهرة الذي يرى من الارض . وتناول بحثهُ اورانوس ونبتون واقمار المشتري فكتب فيها الشيء الكثير

ومنذعهد غير بعيد اضاف الى تلسكوبهِ المذكور تلسكوباً آخر اكبر منهُ قطرهُ ٤٠ بوصة فاثبت بهِ صحة كثير من اكتشافاتهِ السابقة

السير حيرام مكسيم

توفي اواخر نوفمبر الماضي السير حيرام مكسيم من اعظم المخترعين الانكليز ومخترع المدفع الآلي المعروف باسمهِ . ولد سنة ١٨٤٠ في ولاية ماين باميركا وحذق في صغره استعمال الادوات والآلات الصناعية المختلفة ولم يبلغ الاربعين حتى كان اخترع مصايد للفيران وآلات للغاز ومطافئ للحريق وآلات دينامية ومصابيح كهربائية واشياء كثيرة من هذا النوع الى ان اخترع المدفع الآلي المعروف باسمهِ وهو يطلق ٦٠٠ طلقة من طلقات البنادق العادية في دقيقة واحدة . ثم اخترع مدافع آلية اكبر منهُ بكثير اقتبستها دول اوربا كلها . واكتشف كثيراً في باب المتفجرات ولعلهُ اول مخترع للبارود اللادخاني فيما يقال . وكذلك يقال انهُ اول من ادرك مبدأ طيران الطيارات فانفق مالاً كثيراً في معرفة السرعة الافقية اللازمة لرفع السطوح المائلة . وكانت اعظم عقبة في طريقهِ ثقل الآلة البخارية . وهجر اميركا واتخذ انكلترا موطناً دائماً لهُ سنة ١٨٨٢ وتجنس بالجنسية الانكليزية . وأنعم عليهِ بلقب سر سنة ١٩٠١

شوائب الهواء

قامت سنة ١٩١٢ حركة في انكلترا للبحث في الشوائب التي تشوب هواءها وخصوصاً الدخان قصد تخفيفها فعقد حينئذٍ موٴتمر حضرهُ مندوبون من بلديات انكلترا وغيرهم من اهل الشان وعينت لجنة دائمة لاستئناف البحث في هذا الموضوع . فاتخذت اللجنة مقياساً لقياس شوائب الهواء وهو موٴلف من اناء لجمع ما يقع من ماء المطر في شهر . فاذا انتهى الشهر اخذ الماء وصفّي وحلّل تحليلاً كيماويًّا تعرف بهِ كميات المواد التي يحتويها تماماً من مثل القار وغيرهِ من المواد الكربونية والرماد الذي لا يذوب في الماء والمواد التي تذوب والسلفات والكلور والنشادر . وقد نشرت جريدة اللانست الطبية ملحقاً يتضمن احصاءات مفصلة عن ٣٩ محطة في مدد مختلفة . ويوٴخذ منها ان في لندن وحدها ثمانية مقاييس وفي منشستر ١١ مقياساً . والمقاييس اكثر في منشستر منها في لندن بسبب كثرة معاملها وكونها اعظم مدن انكلترا التجارية . واول الاماكن من حيث كثرة الشوائب في هوائهِ وماء مطرهِ مدينة اولدام فقد بلغت في الشهر الواحد فيها ٣٥ طنًّا في الكيلو متر المربع . ثم مكان في منشستر بلغت زنة الشوائب فيهِ ٢٧ طنًّا . وآخر الاماكن مكان اسمهُ ملفرن فقد بلغت زنة الشوائب فيهِ طنين فقط . وعلى ذلك يقال اجمالاً على سبيل التعديل ان الهواء الذي يتنفسهُ الانكليز في شتاء واحد يحتوي

في كل كيلو متر مربع على ١٥ طنًّا من المواد الجامدة تدخل الرئات بلا استئذان منها ١٥ و٠ من المواد القطرانية ٠ و٣ اطنان من المواد الكربونية الاخرى ٠ و٦ من المواد غير الآلية التي لا تذوب في الماء ٠ وقدر كبير من الاملاح التي تذوب منهُ ٣ اطنان من الحامض الكبريتيك٠ وطن من الكلور و٣ و٠ الطن من النشادر ٠ ومع ذلك فصحة السكان هناك على غاية ما يرام ولم تُرَ في مكان آخر الصحة تتدفق من وجود السكان كباراً وصغاراً ذكوراً واناثاً كما رأَيناها هناك

الاحصاء العام في اميركا

من اغرب ما يروى عن الولايات المتحدة الاميركية التي فاقت اوربا في جميع فروع العلوم والفنون تقريباً ان ليس فيها الآن طريقة وافية لتسجيل المواليد والوفيات التي تحدث فيها كلها وانهُ لا بدَّ من مرور سنين كثيرة قبلما تستكمل العُدَد اللازمة للاحصاء الدقيق٠ فقد اظهر التحقيق ان ثلث سكان الولايات المتحدة لا تُسجَّل وفياتهم وثلاثة ارباعهم لا تُسجل مواليدهم التسجيل الوافي ٠ فنشأت عن هذه الحالة مصاعب جمة في امر الزواج والارث وغيرها من الاعمال الاجتماعية وفي بعض الشؤُون الدولية ايضاً فباتت الولايات المتحدة من حيث المسئلة الثانية لا تستطيع القيام بما تفرضهُ عليها المعاهدات الدولية ٠ فهي لا تستطيع مثلاً ان تبلغ الحكومات الاوربية عدد مواليد رعاياها ووفياتهم في جميع ولاياتها ٠ وهذا كلهُ ناشيءٌ عن المبالغة في مبدإِ اللاَّمركزية اي ان حكومة الولايات المتحدة التي مركزها في وشنطن لا تعرف عن الاحصاء مثلاً الاَّ ما تبلغها اياهُ الولايات المختلفة ٠ ومعروف ان بعض تلك الولايات لهُ قوانين خاصة بالاحصاء و بعضها ليس لهُ والحكومة المركزية لا سلطة لها على حكومات الولايات المختلفة تجبر بها اللواتي ليس لهنَّ قوانين للاحصاء على سنّ هذه القوانين ٠ فهذه الحالة وامثالها في البلاد الغالية في مبدإِ اللامركزية حملت بعض الكتّاب المعروفين على القول بوجوب التقهقر ولو قليلاً عن اللامركزية الى المركزية

اطلاق المدافع والمطر

كثر البحث في علاقة اطلاق المدافع بالمطر ولاسيما ان بعض الكتاب يجث فيها بحث السبب والنتيجة فذهب الى ان اطلاق المدافع يسبب وقوع المطر ٠ ولكننا قلنا في جزء نوفمبر الماضي ما نصهُ : ثبت للعلماء ان لا علاقة البتة لاطلاق المدافع بنزول المطر ومع ذلك لا يزال هذا الوهم مستولياً على العقول في كل مكان »٠ وقد ارسل بعضهم رسالة الى مجلة ناتشر فنشرتها في عددها

الاخير. ومما قال فيها انها قد تساعد على تبديد هذا الوهم عن علاقة اطلاق المدفع بوقوع الامطار قال

«وصف فلوطرخس معركة جرت مع التوتون سنة ١٠٢ قبل المسيح وقال في تعليقهِ عليها: وقد لاحظوا ان امطاراً غزيرة تهطل عادة بعد المعارك الكبيرة ولا يعلم سبب ذلك. فاما ان احد الآلهة يريد غسل الارض وتطهيرها بالماء من فوق. واما ان يكثر انعقاد البخار ماءً في الهواء من كثرة الابخرة المتصاعدة عن الدم والفساد». هذا ما قالهُ فلوطرخس في تعليل نزول الامطار بعد المعارك الكبرى. ولما كانت المدافع غير معروفة في عهدهِ وانما اخترعت بعدهُ بالف وخمس مئة سنة فلا يمكن ان تكون سبب الامطار التي كانت تهطل بعد المعارك في ذلك العهد»

المخدرات واكتشاف الجرائم

بين الهنود الاميركيين قبيلة اسمها قبيلة زوني لها طريقة غريبة لاكتشاف الجرائم. ذلك ان العرّاف من رجالها يشرب جرعة من احد المخدرات فيفقد رشدهُ ويبيت في غيبوبة يدّعي انهُ يرى فيها صورة تفاصيل الجريمة التي يطلب معرفة وقائعها. فان كانت سرقة رأى مكانها ومرتكبها والاحوال التي حدثت. والزونيون يعتقدون بصدق رؤى العرافين الى حدّ ان اللص منهم اذا اراد السرقة جعل يدخّن ليخفي الدخان هيئتهُ فلا يراها العراف في خلال غيبوبتهِ. اما المخدّر الذي يشربونهُ فاسمهُ حشيشة جايمستون (صنف من الداتورة) والجرعة الكبيرة منهُ شديدة الخطر حتى ان العرّاف الذي يشربها للاهتداء الى الجرائم يعاني البرحاء منها مدة طويلة بعد شربها فيثقل رأسهُ وعيناهُ وتكثر آلام اعصابهِ فلذلك ترى العرافين يتقاضون اجرة كبيرة على عرافتهم ولا يقبلون عليها الاَّ في الحوادث الجسام خشية عواقبها

اللبن بدل الزيت للمثقب

كتب بعضهم الى مجلة العلم الشهرية العامة يقول جاءني واحد بانبوب من النحاس الاحمر سمك جدارهِ $\frac{1}{8}$ بوصة وطلب مني ان اثقب فيهِ ١٥ ثقباً بالمثقب الذي عددهُ ٨٠. وهو ادق من الدبوس وكان عندي ١٢ نصلة بهذه الدقة فوضعت واحداً منها في المثقب ولم اكد اشرع في ثقب النحاس بهِ حتى انكسر والنفرط كالزجاج فوضعت نصلاً آخر بدلاً منهُ بعد ان زيتهُ فتكسر مثل سابقهِ فاستعملت الماء والصابون بدل الزيت فكانت النتيجة واحدة وجعلت اجرب مادة بعد اخرى فانكسرت النصال كلها وبقي عندي نصل واحد فوضعت على مكان الثقب قليلاً من اللبن واعملت النصل فثقب النحاس بسهولة ثم

ثقبت بهِ ثقباً ثانياً وثالثاً الى آخر الثقوب الخمسة عشر فثبت لي ان اللبن افضل المواد لتزييت المثاقب الصغيرة لان فيهِ قليلاً من الدهن وكثيراً من الماء فيزيت المثقب ويبرّدهُ في وقت واحد

ما مسح من الارض

تبلغ مساحة اليابسة من سطح هذه الكرة ٦٠ مليون ميل مربع وقد مسح بعضها ورسمت لهُ الخرط ولم يمسح البعض الآخر حتى الآن . وهذا المسح على نوعين (١) المسح المدقق وهو مبنيٌّ على القياسات العلمية الدقيقة . و (٢) غير المدقق وهو مبنيٌّ على اوصاف السيّاح الذين لم ينتدبوا للمسح خصيصاً . وقد كانت مساحة اليابسة التي مسحت ووضعت لها الخرط الدقيقة سنة ١٨٦٠ نحو $\frac{١}{٣٠}$ من الجزء الذي لم يمسح فصارت الآن سبعهُ . وكانت مساحة الجزء الذي مسح مسحاً غير مدقق سنة ١٨٦٠ نحو $\frac{١}{٣٠}$ من المجموع فصارت الآن نصفهُ . وكانت مساحة الارض التي لم تمسح البتة نصف اليابسة سنة ١٨٦٠ فصارت سبعها الآن

سبات الحيوانات

من الحيوانات ما يقضي فصل الشتاء في سبات عميق يدوم اشهراً . وقد ذهب العلماء مذاهب في تعليل هذا السبات منذ عهد كونراد جسنر في اواسط القرن السادس عشر . واشار ارسطو ومعاصروهُ قبل المسيح الى هذا الموضوع وقالوا فيهِ اقوالاً لا طائل تحتها وآخر من كتب فيهِ كاتب اميركي اسمهُ الدكتور راموسن فانهُ اصدر كتاباً لخّص فيهِ كلَّ ما كتب قديماً وحديثاً في سبات الحيوانات ولم يبدِ رأياً في ذلك بل اقتصر على القول انهُ لا بدَّ قبل اصدار حكم صادق في هذه المسئلة من معرفة بعض المقدمات والعلاقات التي لا تزال مجهولة . ومما قالهُ في كتابهِ ان بعض العلماء يذهب الى ان هذا السبات ليس الاَّ حدَّاً متطرفاً من النوم العاديّ يختلف عنهُ في كميتهِ ومقدارهِ لا في كيفيتهِ ونوعهِ . على ان النوم العاديّ نفسهُ لا يعرف لهُ سبب كافٍ ولم يعلّل تعليلاً فسيولوجيّاً وافياً

منبّه غريب

لسنا نعرف هنا من انواع المنبهات الاَّ منبه الساعات الدقاقة الذي يستعمل لتنبيه النائم من نومهِ في الساعة التي يشاؤها . ولكننا قرأنا في احدى الصحف العلمية وصفاً لمنبّه غريب في بابهِ يوضع في صناديق الحديد الصغيرة التي تحمل باليد وتحتوي على اشياء ثمينة من نقود وجواهر وما اشبه . والغرض من وضعهِ فيها التنبيه اذا استولى عليها احد خلسة او عنوة . وذلك ان المنبه مركّب فيها

بطريقة تجعلهُ يرنّ رنيناً متواصلاً حالما يرفع الصندوق من مكانهِ ولما كان الصندوق مصنوعاً من الفولاذ ومقفلاً اقفالاً محكماً بقفل متين فلا يستطيع اللصّ الذي يستولي عليهِ اسكات منبههِ بطريقة من الطرق · واذا اراد صاحب الصندوق رفعهُ من مكانهِ من غير ان يدقّ منبههُ وجب ان يفتحهُ ويحرك ابرة المنبه على كيفية تمنعهُ من الدق

الاوتوموبيل والقذى

مها يبالغ سوّاق الاوتوموبيل في اتقان النظارات التي يلبسونها لاتقاء الغبار ومنعهِ من دخول العين وايذائها يبق الغبار يدخلها و يؤذيها · وافضل طريقة لتنظيف العين منهُ غسلها بمحلول البورق في ماء فاتر اما بواسطة الفنجان المعروف واما بمسحها بقطعة من القطن · ولينتبه بوجه خاصّ الى مسح باطن الجفن الاسفل حيث يجتمع معظم الغبار. وهذا المحلول فضلاً عن كونهِ منظفاً للعين يسكن الالم الحادث من دخول ذرات التراب فيها ويخفف الالتهاب الطبيعي

النور في ذنب البغال

كانت امرأة تسوق اتوموبيلها في امريكا فصدمت قطراً من البغال فقتلت بغلين واصيبت هي بجروح كثيرة وتعطّل اتوموبيلها فقاضت صاحب البغال فحكم القاضي لها بغرامة كبيرة · قالت المجلة التي نقلنا الخبر عنها اننا نرى صاحب البغال احق بان يأخذ الغرامة من سائقة الاتوموبيل ولكن الظاهر ان القاضي يفهم لغة البغال فاعترفت له بخطائها · ولما شاع الامر استنبط بعضهم مصباحاً صغيراً مثل مصباح البيسكل يربط باعلى ذنب البغل من ورائهِ فيراهُ سائق الاتوموبيل ويتجنبهُ واذا كانت البغال كثيرة امام سائقها وكان الوقت ليلاً رآها كلها ولو كانت بعيدة عنهُ وردها الى الطريق اذا ضلَّتهُ

خبر عن بلون مفقود

ورد في التلغرافات منذ مدة طويلة خبر فقد بلون من بلونات تسبلن بعد عودتهِ من انكلترا وهو البلون المعروف باسم L-19 ولم يعرف اين فقد ولا ما جرى لهُ ولكن بعض الصيادين الهولنديين وجدوا زجاجة مسدودة على بعض سواحل هولندا واذا فيها رسالة من قائد البلون الى رئيسهِ يقول فيها: معي ١٥ رجلاً وليس عندي قارب والبلون يسير متمهلاً ولا استطيع انقاذهُ · وعند عودتنا من انكلترا كان الضباب مخيماً فمررنا بهولندا وعند بلوغنا الدنمرك اطلق الحراس النار علينا وفي الوقت نفسهِ تعطل ثلاث من محرّكاتنا: الساعة ١ بعد الظهر » ووجد في الزجاجة ايضاً ١٥ كتاباً من البحرية الى اهلهم

قوة النعامة

ادَّعى احد مربي النعام في كليفورنيا بامبركا ان النعامة تقدر على جر الاتوموبيل فانكر ذلك عليهِ بعض اصحاب الاتوموبيلات فاتي باكبر نعامة عندهُ وربط بها اتوموبيلاً كبيراً فيهِ ثلاثة رجال كما تربط المركبات بالحبل وركب عليها فسارت بهِ وبالاتوموبيل معاً مسافة غير قصيرة

الغاز بدل البنزين

غلا البنزين في بلاد الانكليز فاستعمل بعض سائقي الاتوموبيلات الكبيرة التي تنقل الركَّاب في الشوارع غاز الضوء بدلاً منهُ وذلك بان يوضع كيس كبير من الكاوتشوك على سطح الاتوموبيل ويملأ بغاز الضوء ثم يشعل هذا الغاز حيث كان البنزين يشعل لتحريك آلات الاتوموبيل

الطيران من فرنسا الى لندن

تعددت حوادث طيران الطيارين بين لندن وميدان الحرب في فرنسا ذهاباً واياباً في يوم واحد حتى لقد رووا ان طياراً غادر الخنادق في صبيحة ذات يوم فبلغ لندن في ثلاث ساعات ونصف ساعة فاستحمَّ في بعض حماماتها وتغدى في احد فنادقها الكبرى وعاد من حيث اتى في مساء ذلك اليوم

بعثة شكلتون

وصل الى لندن احد عشر رجلاً من رجال بعثة شكلتون التي عادت من الاكتشاف في الانحاء القطبية الجنوبية . وسيصلها قريباً الباقون ما عدا السر ارنست شكلتون فانهُ سافر الى نيوزيلندا لموافاة السفينة اورورا . ومعلوم ان رجال البعثة حبسوا في جزيرة الفيل بعد انكسار سفينتهم بهم وانقطعت اخبارهم عن العالم حيناً من الدهر حتى خيف ان يكونوا هلكوا فعاد رئيسهم اليهم ونجاهم بما ابدى من الهمة والاقدام

وصية ارليخ

توفي الاستاذ بول ارليخ المعروف باكتشاف علاج للزهري منذ عهد قريب . وقد نعيناهُ الى القراء في الجزء الماضي وقرأنا بعد ذلك في الصحف العلمية انهُ ترك في وصيتهِ لجامعة غوتنجن الالمانية عشرة آلاف مارك (نحو ٥٠٠ جنيه) تكون راس مال لمساعدة طلبة الطب الفقراء

النيازك في المتحف الاميركي

عدد حجارة النيازك المعروفة في العالم ٦٥٠ حجراً وفي متحف اميركا الوطني ٤١٢ نموذجاً من هذه النيازك كلها

فهرس الجزء الاول من المجلد الخمسين

صفحة



الدكتور شبلي شميل

مقتطف فبراير ١٩١٧

امام الصفحة ١٠٥

المقتطف

الجزء الثاني من المجلد الخمسين

١ فبراير (شباط) سنة ١٩١٧ — الموافق ٩ ربيع الثاني سنة ١٣٣٥

الدكتور شبلي شميل

ترجمتهُ

لا اصعب على المرء من قضاء واجب موءلم · وايُّ واجب اشد ايلاماً من ان يكون لك صديق عاشرتهُ وصادقتهُ من الصبا الى الشيخوخة وكنت تكلمهُ اليوم وفي الغد تدعى لتأبينهِ وترجمتهِ · وهذا شأن كاتب هذه السطور مع فقيد العلم والفضل الدكتور شميل مع مَنْ فقدناهُ فقد الغيث والعام ماحل · والعارفون ادواءنا الاجتماعية قليل عددهم والمجاهرون بما نحتاج اليهِ من العلاج اقل واندر · والعلماء الى التقية منهم الى الجهر اميل · ولكن ما الحيلة ولا مردَّ للقضاء

واذا المنية انشبت لم يثنها حرص الحريص وحيلة المحتالِ

مَن انعم نظرهُ في تاريخ العلوم والفنون في بلاد الشام رأى ان شمسها كانت تشرق مرة وتغرب اخرى في ازمنة متطاولة فقدكانت مدينة بيروت مقرَّ مدرسة الحقوق الكبرى في مملكة الروم كلها من القرن الثالث المسيحي الى القرن السادس لا تضارعها مدرسة رومية ولا مدرسة القسطنطينيَّة · ولم تنتقل من بيروت الاَّ لما خربتها الزلازل سنة ٥٥١ لكنها لم تغادر بلاد الشام بل نُقلت الى مدينة صيداء · ولم تمرَّ اعوام كثيرة على الفتح الاسلامي حتى صارت دمشق دار الخلافة ومقر العلم والعلماء · وعلماؤُها وعلماء سائر البلاد الشامية اكثر من ان يحصوا حتى في العلوم الطبيعيَّة نخص منهم بالذكر ابن ابي صادق الملقب ببقراط الثاني

ثم انتابت نوائب الدهر تلك البلاد كلها على اثر الحروب الصليبيَّة واجتياح المغول لها واطفأَت منها نبراس العلوم اوكادت · ودامت الحال كذلك الى اواسط القرن الماضي حينما جاءتها الرسالات الدينية من اوربا واميركا وانشأَت فيها المدارس والمطابع · لكن همَّة هذهِ

الرسالات كانت مصروفة الى التعاليم الدينيَّة واللغوية والادبيَّة فلم يتح لاحد من ابناء سورية التوسُّع في العلوم الطبيعيَّة الأَّ اذا طلبها في رومية او جاء مدرسة الطب المصرية او مدرسة الاستانة

ولما حدثت الحروب الاهلية في بلاد الشام سنة ١٨٦٠ ولجأَ اكثر المنكوبين الى مدينة بيروت اهتمَّ كرماء الاوربيين والاميركيين باغاثتهم فكثرت المدارس في مدينة بيروت وضواحيها وأُنشئت فيها جمعيَّة علمية · ورأَى المرسلون الاميركيون ان قد حان الزمان لانشاء مدرسة كلية لتعليم العلوم العالية والفنون الطبيَّة فاوفدوا احد خطبائهم وهو الدكتور دانيال بلس الى اميركا لهذه الغاية لجمع الاموال من كرمائها وفتحت المدرسة الكلية ابوابها لطلبة العلم سنة ١٨٦٦ وكانت في بناء صغير متصل بالمدرسة الوطنية التي انشأَها قُبَيْل ذلك الطيب الذكر الخالد الاثر المعلم بطرس البستاني · وكان كاتب هذه السطور من التلامذة الذين اموها في عامها الاول فشرعنا للحال في درس العلوم العالية من رياضية وطبيعيَّة مع العلوم اللغوية والادبية · وفي خريف العام التالي انشئَ فيها فرع لتعليم العلوم الطبية جاءهُ جماعة من الطلبة بعضهم من التلامذة الذين كانوا يتلقون الدروس في المدرسة الكلية في عامها الاول والبعض الآخر من تلامذة المدارس الاخرى وبين هؤلاء شاب في نحو السابعة عشرة قصير القامة اسمر اللون سريع الخاطر تلوح عليهِ مخايل النجابة والذكاء مرتد بالثياب الافرنجية وكان لبسها نادراً بين الوطنيين في ذلك العهد وهو صاحب الترجمة · لكن اكثر هؤلاء التلامذة الذين جاؤُوا من المدارس الاخرى كانوا خارجيين يحضرون الدروس ويمضون الى بيوتهم فلم نرَ ذلك الشاب تلك السنة الاَّ قليلاً

وفي السنة التالية انتقلت المدرسة الكلية الى بناء آخر استؤْجر لها فيهِ دار فسيحة جُعلت للدرس العمومي وتحضير الدروس وكان لكل اثنين من الطلبة مكتب واحد مزدوج فكان نصيبنا مع صاحب الترجمة فجلسنا معاً متجاورين سنتين متواليتين نتذاكر فيما كان من درسنا مشتركاً كعلم النبات والكيمياء والفسيولوجيا وفيما نميل اليهِ بالطبع كالشعر والانشاء · ومن غريب الاتفاق اننا ولدنا في قريتين متجاورتين وكان من قريتهِ الشيخ ناصيف اليازجي استاذنا وامام العربية وواسطة عقد الشعراء في بلاد الشام في ذلك العهد ومن قريتنا احمد فارس الشدياق صاحب الجوائب وهو من اكبر ايمة اللغة والشعر والانشاء · وكأَنَّ كلاًّ منا كان يودُّ ان يحتذي ابن بلدهِ فكنا نتنافس في اقتفاء اثريهما

والدكتور شميل من بيت علم وفضل فان اخاهُ الاكبر المرحوم ملحم شميل كان استاذاً

في مدرسة الروم الكبرى في سوق الغرب لدى اول انشائها وكان لهُ اتصال بالمرسلين الاميركيين في عهد المرحوم عالي سمث وقد وقفنا لهُ على مباحث جليلة فلسفية وطبيعية . واخاهُ المرحوم امين شميل صاحب كتاب المبتكر الادبي الفلسفي ومجلة الحقوق القضائية كان من العلماء المتبحرين . وابوهم من فضلاء لبنان ووجهائهِ ومن ادباء عصرهِ . فشاب يولد من والد مثل هذا الوالد يحيط بهِ مثل هذين الاخوين لا غرو ان ينشأ بعقل علمي فلسفي جامع بين ادب النفس والانصراف الى العلوم الادبية والطبيعية

واتممنا دروسنا العلمية في صيف سنة ١٨٧٠ وخرجنا من المدرسة واتمَّ هو دروسهُ الطبية في صيف سنة ١٨٧١ وخرج منها ثم عدنا نحن الى التدريس في المدرسة الكلية سنة ١٨٧٣ وانشأنا (كاتب هذه السطور وشريكهُ الدكتور فارس نمر) المقتطف بعد ذلك واتفق اننا نشرنا في مقتطف اغسطس سنة ١٨٧٨ نبذة صغيرة اشرنا فيها الى تجارب الاستاذ تندل التي جاءت نتيجتها نافية للتولُّد الذاتي الذي كان يقول بهِ جمهور من العلماء اي لتولُّد الاحياء في مادة ليس فيها بزورها . وكان الدكتور شميل قد انتقل الى القطر المصري ورحل الى اوربا واطَّلع على المباحث البيولوجية عند اربابها واقتنع بما وقف عليهِ من الادلة بصحة مذهب النشوء وتولُّد الانواع بعضها من بعض والتولد الذاتي ايضاً فكتب الينا معترضاً ودارت المناقشة بيننا وبينهُ

وكان العلماء الباحثون في هذا الموضوع فريقين فريقاً يقول ان الحي لا يتولد الاَّ من حي مثلهِ وفريقاً يقول بالتولُّد الذاتي بناء على ان الحياة حالة من حالات القوى المادية كالحرارة والكهربائية فتظهر متى توفرت لها الاحوال اللازمة لظهورها . ويؤيدون قولهم بظهور المكروبات في بعض السوائل بعد ان تسخَّن الى درجة عالية من الحرارة تميت بزورها منها ان كانت موجودة فيها . ولم يزالوا فريقين حتى الآن وقد مات الدكتور باستيان في العام الماضي وهو يؤكد انهُ رأى اجساماً حيَّة تولَّدت من مواد غير حية وصوَّر هذه الاجسام ونقلنا صورها عنهُ في المقتطف منذ سنة من الزمان . وجمهور العلماء لا يقول الآن باستحالة ذلك بل يقول ان التجارب التي جرَّبها الدكتور باستيان لا تدلُّ دلالة قاطعة على ان جراثيم تلك الاحياء لم تكن موجودة حيَّة في السوائل التي ظهرت الاحياء فيها . ولقد كنا مصيبين في متابعتنا الاستاذ تندل ووثوقنا بصحة تجاربهِ وصحة النتيجة التي استنتجها منها . وكان الدكتور شميل مصيباً ايضاً في متابعتهِ القائلين بعدم استحالة التولُّد الذاتي بناء على ان الحياة من القوى المودعة في المادة ولو كانت الاحوال الحاضرة لا تساعد على ظهورها في المادة مباشرة

واساس الفرق بيننا وبينهُ في الامور العلمية والاجتماعية اننا نحن نميل الى الحذر ونرى ان يُذكر كل امرٍ بما يستحقهُ من الاحتمال او الترجيح او التحقيق اثباتاً كان او نفياً مدفوعين الى ذلك بما اثَّرتهُ فينا العلوم الرياضية التي تعلَّمناها وعلَّمناها · وقلما يستطيع هذا التدقيق من لم يبحث في الموضوع من كل وجوهه ويعرف كل ملابساتهِ واوجه القوة والضعف فيهِ · واما الدكتور شميل فلم يدرس العلوم الرياضية وكان حاد الذهن سريع التصوُّر فيبادر الى المجاهرة بما يعتقدهُ صواباً ولو خالف المألوف ولم تقم ادلة قاطعة على تأييدهِ · وقد صرَّح بذلك منذ عهد غير بعيد في مقالة نشرها في جريدة المؤيد حيث قال « اما انا فآفتي اذا كان ذلك يُعَدُّ آفة انهُ متى بدت لي حقيقة تستهويني حتى لا اعود احفظ نفسي عن ابدائها »

الاَّ ان هذه الحماسة لا يقدم عليها المرء في علمهِ الخاص الذي بحثهُ من كل وجوههِ وعرف كل دخائلهِ وتشعُّب الآراء فيهِ بل مَن يلمُّ بالموضوع الماماً او يكون من الغاوين فيهِ فلم يكن الدكتور شميل كذلك في علم الطب بل كان يجري في معالجة مرضاهُ ووصف الادوية لهم حسب القواعد المقررة ولا يأخذ بالمحتملات ولا تستهويهِ المكتشفات الجديدة فلم يبادر مثلاً الى استعمال المعالجة بماء البحر ولا بالسلفرسان ولا بالانزيم اوزون · وهذا شأن كل متعمق في علم من العلوم او موضوع من المواضيع · ألا ترى ان داروين نفسهُ صاحب المذهب الداروني مضت عليهِ سنون كثيرة وهو يبحث ويحقق ويكاتب ويستشير قبل ان جاهر بمذهبهِ لانهُ كان يرى اماكن الضعف فيهِ ولم يبادر الى نشرهِ الاَّ اجابة لالحاح اصدقائهِ الذين رأوا ان ولس كاد يسبقهُ الى نشر مذهب مثلهِ · ولقد كان داروين في تأنيهِ احكم منهُ في نشر مذهبهِ حينئذٍ لان كثيراً من مبادئهِ نُقض الآن وأُبدل بغيرهِ · ومثل ذلك نرى ان من يسيح اسبوعاً في مدينة لم يعرفها من قبل قد يكتب عنها مجلداً كبيراً يصف فيهِ مشاهدها ومعالمها واخلاق اهلها واما ابن تلك المدينة الذي ولد وربي فيها فيتعذر عليهِ ان يكتب عنها عشر صفحات لان الاول يأخذ بالظواهر والثاني ينظر الى البواطن والدقائق ويجد لديهِ اموراً كثيرة يتعذر عليهِ استقصاؤُها وتعليلها

الاَّ ان الدكتور شميل كان نابغة في التعليل المعيَّا في اكتشاف الحقائق ومن ثمَّ كان من مشاهير الاطباء في التشخيص الطبي كأنما يوحى اليهِ وبلغت منهُ الفراسة ان علَّل حوادث كثيرة بالاستهواء الذاتي قبل ان شاع هذا التعليل في اوربا

والمعيَّةُ في اكتشاف الحقائق جعلتهُ يختار موضوعاً لخطبتهِ الانتهائية في المدرسة الكلية سنة ١٨٧١ « اختلاف الحيوان والانسان بالنظر الى الاقليم والغذاء والتربية »

جاء فيها بكثير مما يؤيد مذهب داروين على غير قصد منهُ . ولقد خسرت المدرسة الكلية خسارة كبيرة لانها لم تنتدبهُ للتدريس فيها . ونرجح انها لو فعلت ذلك لانقطع للبحث العلمي واكتشف في علم الطب او العلوم الطبيعية المتصلة بهِ اكتشافات كبيرة توسع نطاق العلم وترغب الطلبة الشرقيين في اقتفاء خطواتهِ . ولم ينقطع للبحث العلمي في بيتهِ لانهُ لا يُنتظَر من طبيب ليس لديهِ شيء من وسائل البحث ان يتولى البحث العلمي بنفسهِ . وقد ادرك اهالي اوربا واميركا ذلك فقالوا ما يطلب من اساتذة مدارسهم لكي يتفرغوا للبحث والتنقيب . ولم يكتفوا بذلك بل انشأوا معاهد للبحث العلمي خاصة واستدعوا اليها كبار العلماء والاطباء الذين يميلون الى هذا البحث ليتفرَّغ كلٌّ منهم للبحث في الموضوع الذي يميل اليهِ وقطعوا لهم الرواتب الكافية لكي يستغنوا عن التطبيب والتعليم ايضاً

وقد خُصَّ الدكتور شميل بذاكرة ماضية وقوة استحضار فائقة فلم يكن يندر ان يقول لك انني كتبت منذ ثلاثين سنة مقالة قلت فيها كذا وكذا ويسرد لك صفحة او اكثر غيباً . او نظمت قصيدة قلت فيها الابيات التالية ويسرد لك عشرين بيتاً او اكثر حتى انهُ كان يحفظ بعض ما كتبناهُ ونحن لا نتذكر حرفاً منهُ

وكان انيس المحضر حسن المحاضرة فكه الحديث فات الستين واشتد عليهِ الربو ولكنهُ بقي بشوشاً طلق المحيا يتعشقهُ خلانهُ واصدقاؤُهُ وكلُّ الذين عاشروهُ لما يرونهُ فيهِ من حسن الطوية واخلاص الحب والانصاف والانتصاف ولاسيما لشجاعتهِ الادبية المفرطة فلم يكن يخشى ان يقول للظالم يا ظالم ولو ملكاً . ومع عزتهِ على الظالمين المتغطرسين كان من اودع الناس مع الضعفاء والبائسين

تقرأ كتاباتهِ فتظنهُ ماديًّا من غلاة الماديين وهو في الحقيقة من غلاة الروحيين حتى كاد يعتقد بالسعد والنحس وحاول مرةً ان يجد قانوناً للصدفة . ولبعدهِ عن الماديات وكرمهِ المفرط لم يعرف ان يستفيد من علمهِ فائدة مادية فلو جمع الى مهارتهِ في علم الطب شيئاً من المهارة في اكتساب المال من التطبيب لعاش في سعة وتوفي عن ثروة طائلة ولكنهُ كان يحرص على جمع ما يخطهُ قلمهُ اضعاف اضعاف ما يحرص على مالهِ حتى لقد حفظ عدداً من جريدة فرنسوية كتب فيهِ مقالة منذ اكثر من اربعين سنة . وعلى ذكر هذه الجريدة تقول انهُ كان من الكتَّاب المعدودين في اللغة الفرنسوية كما كان في العربية . وكان واسع الرواية قوي الحجة ولاسيما اذا كان بين قوم يدركون معانيهُ وكان الموضوع يتطلَّب الحماسة فانهُ كان يتدفق كالسيل حتى يدهش منهُ سامعوهُ ولو كانوا من كبار الخطباء

وانتشرت كتاباتهُ في الجرائد والمجلات في كل البلدان التي تقرأُ فيها العربية او الفرنسوية ورأَى القراءُ فيها حكماً رائعة وآراء صائبة فاكبروا شأْنهُ · ولو تمكن من زيارة السوريين في مهاجرهم في اميركا الشمالية والجنوبية وجنوب افريقية واستراليا وزيلندا الجديدة واليابان لاحتفلوا بهِ في كل مكان كاكبر فيلسوف انجبتهُ البلاد الشرقية

وسيأْتي الكلام على علومهِ ومؤَلفاتهِ في الجزءِ التالي

واعتلت صحتهُ منذ بضع سنوات فكانت تصيبهُ نوبات من الربو تكاد تقطع انفاسهُ ولا تلبث ان تزول عنهُ حتى يعود الى نشاطهِ الاول و بشاشتهِ الاولى · وقد صرَّح لنا مراراً انهُ سيقضى عليهِ في نوبة مثل هذه فكان كما قال ووافتهُ منيتهُ فجر الاثنين في رأْس هذا العام بلا الم ولا تعب · وما شاع نعيهُ في العاصمة حتى وجم الناس من هول المصاب لعظم الخسارة فيهِ واحتفلوا بتشييع جنازتهِ في اليوم التالي احتفالاً مهيباً سار فيهِ جمهور كبير من محبيهِ ومريديهِ من وجهاءِ العاصمة والاقاليم وكبار رجال الحكومة وصُلّي عليهِ في كتدرائية الروم الكاثوليك ثم وقف الشاعر الشهير خليل افندي مطران ورثاهُ بابيات عبَّر بها عن احساس كل عارفٍ فضلهِ قال فيها

لانت صلاب العزائم وانبتّ عقد العظائم
قضى حبيب المعالي قضى عدوّ المظالم
قضى فتى الحلم والبأْس والعلي والمكارم
عصر طواهُ وشيكاً هذا القضاء الواهم
وامة من سجايا بادت كأَحلام حالم
في كل مجمع فضلٍ قامت عليهِ المآتم
ماذا دهى العلم فيهِ وكان اعمل عالم
المّ بالطب ريب كأَنهُ فأْس هادم
وضجّ في كل نفسٍ ان الحجى غير عاصم
برغم كل شجاعٍ يا شبل انك راغم
فوجئت حتفاً وهذا اولى بعزّ الضياغم
فاليوم تسكن كرهاً والدهر حولك قائم
قيام بحر تلاقى حبابهُ والغمائم
غريقهُ مطمئن وموجهُ متلاطم

ما كان منك بعهدٍ هذا الجود الدائم
بعد الجهاد تواليهِ دائباً غير سائم
وبعد غزٍّ مساعٍ للحمد غير ذمائم
يا ساكن الرمس ضيقاً وكان وسع المعالم
لعلَّ قلبك فيهِ يقظان والجفن نائم
سرٌّ اسائل عنهُ يوم النوى كل حازم
فما يحير جواباً يزيل حيرة واجم
أتستريح وقد كنت ضامناً للمغارم
قد بت أنصب ما بات دون حق مخاصم
ورحت أيأس ما راح ذائد للمآثم
في قيد خزٍ رقيقٍ وقد تفك الأداهم
تركت دنياك ناراً شبَّت على يد غاشم
أضحت مجال منايا بين الجيوش الخضارم
وكنت سلم التآخي فيها وحرب السخائم
تستنهض العدل والعقل والشعوب الجوائم
على محلِّ المعاصي ومستبيح المحارم
تشكو أسى لنهاب يزعمن بعض الغنائم
تلوم كل مليمٍ إذ ليس في الخلق لائم
وما برحت وفيّاً لكل خلٍّ مخالم
وما برحت معيناً أخاك والوقت عارم
إن أقبل الدهر يوماً قاسمت كل مقاسم
لا مبقياً لك إلا أدنى نصيب المساهم
وإن منيت بعدمٍ فما مرجّيك عادم
بيت الشفاء مزار يؤمّهُ كل رائم
ما ينثني عنهُ ماضٍ حتى يوافيَ قادم
للداء فيهِ دواء وللجراح مراهم
لا حسبة الله لكن جود ورحمة راحم

من اريحيّ عظيم ما كان بالمتعاظم
يشفي الجسوم ويلقي عن العقول الشكائم
يبغي هدى كل قومٍ الى الصلاح الملائم
ولا يضنّ بنصحٍ ثبْت ورأي حاسم
كأنما سيف يديهِ برق على الطرس راقم
آيات نثر مبين تجلى وابيات ناظم
مرام كل حكيم ومتقى كل حاكم
تفشى الحقائق فيها حيناً مخيّلات واهم
لله انت وهمٌ مبرّح متقادم
من اجل قومك كم بتّ في ليالٍ جواهم
ما ان يفرج بث من كربك المتفاقم
وما تني في جهادٍ له الرجاء ملازم
تلك البلاد الغوالي على الحماة الصلادم
تزداد لهفاً عليها ما ازداد فيها الجرائم
تأبى لها الضيم ما في يديك والدهر ضائم
لولاهُ والجهلُ اعني لم يبقَ في الارض ظالم

⁂

يا من مضى بثناه ملءُ النفوس الكرائم
قد اوطنت في خلودٍ ذكراك بين العوالم
جرت بها فلك نور على الدموع السواجم
الى شواطئ مجد منوّرات بواسم
فلم يزل يوم ذاك الرحيل بين المواسم
سقت ثراك غيوث مخضلّة بالمراحم

وتلاهُ كاتب هذه السطور فأبّنهُ ذاكراً علمهُ وفضلهُ وقال انهُ كان يبحث عن الحقيقة وقد صار الآن حيث يعلم ما هي علم اليقين · وان نفعهُ سيبقى ما بقيت اللغتان العربية والفرنسوية اللتان نشرت كتاباتهُ بهما · ثم تقدم رصيفهُ الدكتور امين ابو خاطر فأبنهُ بعبارات بليغة كان لها اعظم وقع في النفوس

القدَرية والجبرية

او الاختيار والاضطرار

(٢)

ظاهر مما تقدم ان الابحاث التي جرت في هذا الباب هي ابحاث تصورية اكثر منها عملية. فانها لا ترمي الى تعرُّف حقيقة الارادة ثم بناء فكرة المسؤولية عليها بل الى الاعتراف بفكرة المسؤولية والاحساس بها واقعة ملموسة وتلمس اسبابها في انواع من الصور والخيالات أقامها الذهن الانساني ليعتبرها مصدراً لتعليلاتهِ المنطقية. ولا شك أن هذا الطريق هو طريق الحلقة المفرغة لا يدرى اين طرفاها. لانك لا تستطيع ان تميز في هذه الابحاث تمييزاً دقيقاً اذا كانت فكرة المسؤولية هي التي انتزعت من وجود الارادة الحرة او ان فكرة الارادة الحرة هي التي خلقت لتقوم دعامة للمسؤولية الموجودة والمحس بها. ولولا تقدم العقل الانساني لبقينا في تيهاء غامضة يغشانا نور لا ندري اين مصدرهُ

والحقيقة عندنا ان الارادة ليست قوة خارجة عن الجسم متعلقة بالروح لان الروح ليست شعاعاً مستقلاً عن الجسم على نحو ما كانوا يقولون. وانما الحياة اثر تفاعل المواد المركب منها الجسم الانساني بعضها مع بعض وتفاعلها مع المواد الاخرى في العالم. وهذا التفاعل هو مصدر كل القوى بما فيها الروح والارادة

وليس معنى ذلك ان الحركات والسكنات التي تصدر عنا ليس لها نظام خاص او انَّا نحن لا نسير على ناموس في تصرفاتنا غير ناموس الصدفة البحتة. بل ان كل حركة من حركاتنا أيًا كان نوعها تصدر عن مركز خاص. لكنها قبل ان تصل الى هذا المركز ثم تصدر عنهُ تمر باجهزتنا المختلفة وتتوزع بعد ذلك حسب انواعها على المراكز المعدة لتلقيها واصدارها. وتصرف هذه المراكز في التلقي والاصدار تصرف آليٌّ بحت. فالحركة العنيفة تحدث في المركز المقابل لها اثراً عنيفاً يظهر في الخارج في هذه الصورة. والحركة الضعيفة قد تصل من الضعف بحيث لا يظهر لها في الخارج اثر على الاطلاق

وتأثر الجسم ومراكزهِ المختلفة لا يختلف في شكلهِ عن اثر التفاعلات الكيماوية في المعامل ولا عما نراهُ في المواد غير الحية التي تقابلنا عرضاً في الحياة. انت تضغط قطعة من الخشب او تجر خيطاً في لعبة فاذا بدا اللعبة او عيناها او اسنانها تتحرك. وتضغط زرًّا امامك فاذا جرس يدق بعيداً متأثراً بهزات الكهرباء. وتضع المادة القلوية على ورق اللتموس فتحولهُ من

الحمرة الى الزرقة . ثم نضع حامضاً عليهِ بعد ذلك فتنقلب زرقتهُ حمرة من جديد . في هذه الاحوال الثلاث يوجد تيار مختلف يحدث حركة ضعيفة . فالتيار الذي يحرك اللعبة هو تيار مادي صرف هو الخيوط او الاسلاك التي تصل بعض اجزائها بالبعض الآخر . والتيار الذي يحرك الجرس تيار لا يمكنك ان تراهُ ولا ان تسمعهُ ولكنك تحس بهِ اذا لمست الاسلاك التي يسير فيها ويصبح جزءا منها ما دام مصدرهُ موجوداً . والتيار الذي يحدث الانقلاب الكيماوي باختلاف المادة المضافة الى اللتموس من قلوية الى حمضية تيار غير محسوس بالكلية . ولكن يظهر لنا اثرهُ كما سمعنا الجرس وكما رأينا تحرك اللعبة ولكننا لا نعرف سببهُ على النحو الذي عرفنا بهِ سبب الاثرين الآخرين

ثم انت ترى عدسة الفتوغرافية تلقي الصور التي امامها في لوح الزجاج (المصنفر) اذا وضع على بعد معين منها مستعيناً في احداث هذه الصور بخيوط النور التي تصل ما بين الكائنات ولا نستطيع تعريفها . وتميز دقات التلغراف اللاسلكي في العدد المقابلة منقولة اليها بتأثير الهواء وتموجات تيارهِ . وتسمع من الفونوغراف اصواتاً مضبوطة تظهر الى الوجود من سير الابرة فوق موجات اسطوانة . وكذلك تنقل هذه التيارات المحسوسة المعروفة او غير المعروفة لنا آثاراً معينة هي نتيجة مرور صور معينة عن طريقها بآلات او اجسام معينة

مثل الانسان في حركاتهِ وحياتهِ مثل هذه الآلات وتلك الاوتار . ولكن نظامهُ مركب دقيق يصل احياناً الى حد التعقيد فيقف الفهم والتصور دون ادراك حقيقة بعض ما فيهِ بل دون الوصول الى خيال يكاد يقنع المنطق الانساني بمشابهتهِ لهذه الحقيقة . في تلك اللحظات يرجع الرجل منا الى ذلك الملجإِ الحصين الذين طالما احتمى فيهِ اباؤُنا الاقدمون قبل ان ينير العلم بشعاعهِ الضئيل بعض اركان عالمنا الناقص الغريب . الملجأ الى الغيب والقوة والقدرة العازب عنا علمها والتي لا تدنو منا لنتعرف شيئاً من ماهيتها

ولكن جهلك الشيء لا يدل على صدورهِ عن مصدر خارج عنهُ وعن اشباههِ ونظائرهِ . بل كل ما يدل عليهِ انك تجهلهُ في حين ان غيرك ربما يعرفهُ او في حين ان جيلاً آخر ربما يصل لاكتشافهِ والوقوف على حقيقة امرهِ . ولئن بقي هذا الشيء غامضاً ابد الدهر فان القوانين العامة التي تحكم العالم تكفي لتفسيرهِ ولو على طريقة الاخذ بامثالهِ . وقد دل العلم على ان اشياء كثيرة كانت لا تزال بعيدة عن تصور الانسان ولكنهُ كان يدركها بالهام خاص حين كان يردها الى اشباهها ونظائرها ادراكاً لم يكن بعيداً عن الحقيقة كثيراً

اعتقد الفلاح الساذج اول ما رأى قطار سكة الحديد او الترام او الاتومو بيل يسير

من تلقاء نفسهِ من غير ان يجرّهُ ثور او حصان ان قوة غريبة تسيرهُ او ان شيطاناً يسكن في داخلهِ . فلما أُفهم على توالي السنين و بمشاهدتهِ وابورات المياه التي تجاور مزرعتهُ ان النار والماء هما المصدر لكل تلك الحركة بدأ يتصور ان هناك قوى معروفة لدى بني الانسان ممن (شافوا الدنيا) ولا علاقة لها بالشياطين ولا بالملائكة وان هذه القوى هي التي تسير تلك الاجسام المائلة التي يراها . وعلى ذلك فلما سمع بالطيارات لم يحتج ان يلتجئ الى قوى خارجة عن العالم لانهُ رد حركة الطيارة الى مشابهاتها التي معهُ على الارض

فالحركات التي تصدر عن الانسان وتظهر لنا هي اثر الموجودات الخارجية منعكسة عن الاجهزة المختلفة المعدة لتلقيها . واتصال هذا الاثر بطريق اجهزة وتيارات مادية متصلة بمركز الحركة الانساني اما مباشرة او بطرق وتيارات اخرى تجعل هذا المركز يحدث هذه الحركة على نحو ما احدث ضغطك الخشبة في اللعبة من تحرك يديها وعلى نحو ما حصل حين ضغطت زر الكهرباء فدق الجرس وعلى نحو الآثار المختلفة التي تقدم ذكرها وآلاف آلاف غيرها مما يرى الانسان في الخارج . ولما كانت اجهزة الانسان وتياراتهُ اول نشأتهِ متشابهة كل التشابه كانت الحركات التي تصدر عن الاطفال متشابهة اتم الشبه . فالطفل اول ما يولد يبكي او بالاحرى يحدث صوتاً يشبه البكاء . وهذا الصوت ناشئ من تأثر رئتيهِ بالهواء الخارجي . كذلك هو يدافع عن نفسهِ في اول ايامهِ بالطريقة الآلية الصرفة التي حبتهُ اياها الطبيعة . فهو يستنجد عن طريق البكاء او هو يدفع بيديهِ . وتبقى هذه الحالات العكسية الصرفة (etats reflexes) عندهُ زمناً غير قليل بل منها ما يبقى بصاحبهِ طول حياتهِ

ولكن انقضاء زمن الطفولية الاولى يقضي معهُ على هذا الشبه و ينتقل الاولاد حينذاك من الحالة الانعكاسية التي يكونون فيها مثل مرآة تعكس ما يقابلها من الصور والموجودات والحوادث الى ما يسمونهُ بحالة الرغبة (etat de desir) وهي الحال التي يكون الطفل فيها أسير شهواتهِ ورغباتهِ بمعنى انهُ اذا رأى شيئاً استهواهُ ورغب في الحصول عليهِ تحكمت فيهِ فكرتهُ هذه حتى يهون عليهِ معها كل شيء . حتى يهون عليهِ معها تلف نفسهِ

وهذه الحال لا تختلف عن الحال العكسية الصرفة الأ من حيث الكمّ والاتجاه . اما من حيث الكيف فهي وتلك الحال الاولى سواء . وسبب هذا الاختلاف في الكم والاتجاه لا يرجع الى ارادة خاصة ولكنهُ محكوم بقوانين قاسية تمشي على الانسان وعلى الجماد وعلى سائر ما في هذا الكون مما يقع تحت عيوننا . واظهر هذه القوانين قانون بقاء الاصلح وتلاشي مالا فائدة منهُ . وقانون آخر متفرع عن القانون الاول وهو ان استعمال الشيء يزيدهُ قوة

وصلاحية واهماله يضعفهُ و يفنيهِ . فاذا كانت بعض الاجهزة والتيارات في طفل اضعف منها في طفل آخر بطريق الوراثة او لسبب من الاسباب او كانت هذه الاجهزة على تساويها قوة فيهما مرّنت في احدها واهملت في الآخر نتج عن ذلك على مرور الايام اختلاف اجهزتهما في التلقي والاصدار وكان لما يتلقاهُ الجهاز القوي من شدة الاثر في نفس الطفل ما يحرك في نفسهِ اشد الرغبة في حين يمر ما يتلقاهُ الجهاز الضعيف غير محسّ بهِ فكأنهُ لم يكن

ولنضرب لذلك مثلاً واضحاً . طفل عمي بعد ثلاث سنوات من ولادتهِ . هذا الطفل لا يمكن ان تنبّج عندهُ الرغبة لهفة على منظور من المنظورات . ذلك لان الحاسة التي تتلقى هذه المنظورات وتبعث بها عن طريق التيارات الاخرى الى المصادر التي تحرك النفس وتستدعي الرغبة تلاشت . وما يقال هنا يقال عن تلاشي اي جهاز معد لتلقي واصدار اي حركة او اي محسوس . هذا طبعاً الاّ اذا امكن الاستعاضة عن الجهاز المفقود بجهاز آخر ولو الى حد محدود . وفي هذه الحالة يكون التأثير الذي تحدثهُ الاشياء الخارجية في الاجهزة — او على نحو ما يقال عادة في النفس — متناسباً مع قوة هذه الاجهزة وضعفها . وهذا يدل اتم الدلالة على ان حالة تحكم الرغبة لا تفترق عن الحالة العكسية الصرفة الاّ في الكم وفي الاتجاه مع اتفاقها معها في الكيف وسيرى القارئ ان حالة الارادة (L'etat volontaire) هي ايضاً طور خاص من اطوار الحالة العكسية يظن انهُ ارقى من تلك الاطوار ولكنهُ لا يفيز شيئاً من نوع تلك الحالة

فارادة الواحد منا لا تتحرك من نفسها بل اجابة لمؤثرات خاصة تستثير منها الحركة . وهذه المؤثرات هي الاشياء الخارجية التي تمر باجهزتنا وتحرّكنا . وحركتنا التي نعتقدها اختيارية صرفة ليست الاّ نتيجة تأثر الاجهزة والتيارات التي تحركت بانعكاس الحوادث والاشياء الخارجة عليها . وغاية الامر ان هذا الانعكاس اما ان يقابل أجهزة معدة لتلقيهِ فتتأثر بهِ مسرعة وبذلك ينتقل اثرهُ سريعاً ويحدث الحركة وهذا ما يحصل حينما تكون الحوادث والاشياء مما اعتادت اجهزتنا وتياراتنا تلقيهِ واصدارهُ . ومعلوم مما سبق ان التكرار يورث العضو او الجهاز الذي يحدث فيهِ قوة ومتانة وسرعة . وهذه الانعكاسات المتواترة هي ما نسميهِ بالعادات . واما ان يقابل ذلك الانعكاس اجهزة قليلة الاستعداد لهذا التلقي والاصدار . فحين ذاك تخترق الصورة حجب تياراتنا مترددة وعلى مهل كما يخترق شعاع النور الضئيل غرفة من خلال زجاج غير شفاف . نرى هذا الشعاع كأنهُ تائه وسط الغرفة لا يستقر في مركز من الحائط المقابل الاّ بعد ان يزداد

مصدرهُ قوة وثباتاً . هنالك يستقر اخيراً و يثبت . كذلك الصورة المنعكسة على اجهزتنا التي لم تتعود تلقيها واصدارها تجد من هذه الاجهزة ارتباكاً في نقلها الى التيارات المعدة لنقلها الى مركز الحركة الذي يسمونهُ مستقر الارادة . وفي اثناء هذا التردد تنهال علينا عاداتنا القديمة وتذكاراتنا الماضية وتعاليمنا الخاصة وحالنا الوراثية وما نحن فيهِ من صحة ومرض وظروف الوقت التي تحيط بنا والصدف التي تصرّف الى حد كبير حياتنا فتثبت ارادتنا في ناحية من النواحي . وبكلمة اخرى تعدل تياراتنا الناقلة للحركة الى الطريق الملائم لهذه الظروف والاحوال التي لا عداد لها والتي لم يكن لنا دخل ارادي في تكوينها . فهل مع وضوح المسألة الى هذا الحد يمكن القول بان الحال الارادية هي شيء آخر غير الحال العكسية وجهت جهة خاصة غيرت في كمها واتجاهها ولم تغيّر مطلقاً في نوعها وكيفها ؟

على ان لدينا دليلاً آخر ابلغ ما يكون في الاقناع بان حالنا الارادية ليست الأ اثر تفاعل المواد المركب منها جسمنا مع نفسها ومع المواد الاخري . وهذا الدليل يستنتج من حالتي السكر والمرض . ها هو صديقك مصمم كل التصميم على القيام بعمل خاص . ولقد رجوتهُ كثيراً ان يعدل عن رأيهِ او يغيّر ارادتهُ فرفض رفضاً باتاً مع تقديم اقوى معاذيرهِ . وانكما لتسيران في الطريق واذا بالمطر ينزل فاضطررتما ان تميلا الى قهوة من القهوات . وطاب لكما المجلس واستمر المطر يهطل وخيم الليل واضاءت مصابيح الكهرباء ولذّ لكما تناول شيء من الكنياك او الوسكي . ووجدتما صنف المشروب الذي قدم لكما جيداً فاستزدتما منهُ . أفترى صديقك باقياً على تصميمهِ الاول ام ترى فعل المشروب اخذ في نفسهِ وعدّل آراءهُ وجعلهُ شخصاً آخر غير الذي كنت تراهُ منذ ساعتين مضتا فقد تراهُ اذا عرضت لهُ فكرة اخرى يبدي فيها رأياً ربما كان نقيض الرأي الذي ابداهُ قبل نزول المطر . كذلك ترى هذه الحال عند اصابتهِ بمرض . فانهُ يصاب بضعف في الارادة وفتور في تحول التيارات الفكرية الى حركات عملية وخمود عام تصير روحهُ ضعيفة مبلغ ضعف جسمهِ

وقعت على بعض امثال مما كتبهُ بعض كتاب الانكليز والفرنسويين في هذا الباب اريد ايرادها هنا دليلاً على ما قدمت

ادمن الكاتب الانكليزي دكونسي الافيون حتى بلغ من ذلك ما لم يبلغهُ غيرهُ . فوصلت بهِ الحال الارادية الى حال من الضعف كادت تتلاشى معهُ . فكان يود من كل قلبهِ انفاذ عمل يراهُ ممكناً و يحس ان انفاذهُ واجب عليهِ ولكن حركتهُ الفكرية كانت تتخطى قوتهُ العملية الى حد يعجز فيهِ عن انفاذ ما يريد بل عن الشروع في ذلك . فكأنما كان تحت

سلطان كابوس يرى معهُ ما يريد القيام بهِ دون استطاعتهِ كما يشهد رجل اقعدهُ الضعف المهلك عن مغادرة فراشهِ المساءة موجهة الى موضع من مواضع حبهِ وعطفهِ فيلعن المرض الذي اقعدهُ ومنعهُ الحركة و يود ان يخلص نفسهُ من الحياة لو استطاع ان يقوم و يمشي ولكنهُ عاجز عجز الطفل ولا يقدر ان يقف على قدميهِ . (كتاب اعترافات آكل الافيون صحيفة ١٨٦ — ١٨٨)

وذكر الطبيب الانكليزي بنت حالة رجل كان لا يستطيع انفاذ ما يريد انفاذهُ . فكثيراً ما كان يود خلع ملابسهِ ثم يبقى ساعتين عاجزاً عن القيام بهذا العمل مع ان قواهُ العقلية خلا الارادة كانت كاملة . ولقد طلب يوماً كوب ماء فقدم اليهِ فلم يستطع تناولهُ رغم رغبتهِ فيهِ فترك الخادم واقفة امامهُ نصف ساعة قبل ان يستطيع التغلب على هذه الحال . وكان يقول انما يخيل لهُ ان شخصاً آخر ممسك بارادتهِ

ولقد ناضل الفيلسوف الفرنسوي مين دي بيران ليتغلب في نفسهِ على ما فيهِ من ضعف الارادة ووجَّه لذلك كل همهِ وكان كل ما يرمي اليهِ من فلسفة تغليب الارادة على النزعات الجسمانية . لكنهُ اضطرَّ اخيراً ان يعترف « ان الحرية ليست الاَّ الاحساس بحال معين من احوال النفس نودلنفسنا ان تكون عليهِ ولكن هذه الحال متعلقة في الواقع باستعداد الجسد الذي لا نقدر من امرهِ على مسها وان كل الميول والعواطف التي يظنها الناس مصدر السعادة ليست الاَّ اثراً من آثار نظامنا الجسمي كالسعادة نفسها » (افكار مين دي بيران ص ١١٧ وص ١١٩)

فذلك كلهُ يحمل على الاعتقاد بان اعصابنا وتياراتنا المادية هي التي تصدر عنها افعالنا التي تبعث بها ارادتنا وان اي مادة اخرى يمكن ان تؤَثر في هذه الاعصاب والتيارات تغير في اتجاه الارادة والعمل . لذلك فما تقدم لا يدع مجالاً للريب في ان الحالة الارادية ليست الاَّ طوراً خاصًّا من اطوار الحال العكسية وانها متعلقة تمام التعلق بتأثر اجهزة الجسم وتياراتهِ بالآثار الخارجية وهذهِ الآثار هي المحيطات الزمانية والمكانية . ومعنى هذا ان الارادة الحرة لا وجود لها . فكيف والحالة هذه تمكن مثل مشترعي الاديان ومثل نابليون واضرابهِ ان يغيروا في وجه العالم بارادتهم ما غيروا وان يقيموا دعامة المدنية الحاضرة على الشكل الحالي اذا لم تكن ارادتهم الاَّ صدى الحوادث الخارجة عنهم

هذا هو القسم الثاني من الاعتراض الذي رأَينا ان نرد عليهِ . ومبني هذا الاعتراض

عند اصحابهِ انهم يفترضون الفرد الانساني وحدة قائمة بذاتها موءثرة في العالم قبل ان تكون متأثرة بهِ . كلاَّ بل هي روح العالم كلهِ على ما قالوا

وتزعم انك جرم صغير وفيك انطوى العالم الاكبر

وعلى هذا الافتراض الوهمي الصرف بنوا نظرتهم في حرية الارادة مسنودين بهذه الارادات العليا . ولكنهم اكبروا شأن الانسان اكباراً لا محل لهُ . ليس الانسان الاَّ ذرة من ذرات هذا العالم العظيم الذي لا ندري فيهِ حدود الزمان ولا المكان ولا نفقه لها معنى وهو ذرة ضئيلة لا يعبأ الكون بوجودها ولا يهتم بفنائها . فلو ان لهُ قيمة خاصة في وجود العالم لما حقرت الطبيعة من شأنهِ الى حد ان لم تكترث لهُ ولم تهتم بهِ اكثر من اهتمامها باي جرذ وباي حجر وباي قطرة ماء في المحيطات الواسعة . ثم هي بمدنياتهِ اقل اهتماماً ان كان للتناهي في الاقلية محل . أفترى ان المدنيات المتعاقبة حادت بكوكب عن فلكهِ او قدمت كسوف الشمس او اخرت خسوف القمر او قلبت المد جزراً والجزر مدًّا . ام ترى ان ما تغيرهُ المدنيات ليس هو الاَّ حركة متناهية في الاقلية وصغر الشأن اذا قيست بالبعوضة التي وقفت على قرن الثور . فاذا كان ذلك لم يبق محل لاعتبار الانسان مركز دائرة الفلك وانما يجب وضعهُ في الموضع اللائق بهِ . ذرة تتحول من جماد الى نبات الى حيوان هو الانسان ثم الى جماد الى نبات آخر وهلمَّ جرًّا

اذن ما هي هذه الارادات العليا . سمعنا كثيراً ان باخرة من البواخر استطاعت ان تقطع تيار التلغراف اللاسلكي الذي تبعث بهِ باخرة لاخرى . وعرفنا ان السر في ذلك ان تيار تلغراف هذه الباخرة اقوى من تلغراف الباخرتين المتراسلتين . فاذا ارادت هي ان تخاطب احداهما لم يحل دون ذلك حائل لان تموجات الاثير تساعد تيار عدتها لانها اقوى العدد والطبيعة تساعد القوي وتجور على الضعيف

والقوي هو المخلوق الاكثر ملاءمة للزمان والمكان اللذين يوجد فيهما والضعيف هو الاقل ملاءمة لها . تلك الارادات العليا التي يقولون عنها هي مجموع تيارات قوية اكثر من غيرها استعداداً للتلقي والاصدار . فاذا وقعت عليها الصور الخارجية وانقلبت عن طريق تياراتها الى حركة كانت هذه الحركة بحيث تأخذ بالانظار وتستدرج التيارات الضعيفة نحوها للتلقي عنها على نحو ما اخضع تيار الباخرة القوية الباخرتين الضعيفتين . وهذه القوة هي سر البطولة اي النبوغ والعبقرية ولكن القوة في التلقي والاصدار ليست دليلاً على الحرية بل على حسن الاستعداد للوسط المحيط بالاجهزة العبقرية . فاذا نحن نسبنا الى هذه

الاجهزة الحرّية كنا كمن ينسب الى شخص قوي الحافظة قصيدة يرويها لمجرد سماعها مع انهُ لم يكن الاَّ آلة بسيطة في ترديدها . وكذلك فهؤلاء الابطال يرددون بقوة صدى الوسط الزماني والمكاني الذي يعيشون فيهِ متأثرين بعوامل ذلك الوسط نفسهِ فيصبح ذلك الصدى قوة جديدة تؤثر مع المؤثرات المحيطة بها

وهذا التفسير الموجز يسمح لنا ان نقول ان العظماء والابطال هم اكبر الناس استعداداً للبقاء والتغلب على امثالهم من الذرات الاخرى التي تنافسهم لانهم الاقوى والاصلح للبقاء . وهو يسمح لنا ايضاً ان نقول ان ارادتهم القوية لا تفترق في كيفها عن الارادات الاخرى وانما الاختلاف في الكمّ في القوة والضعف . وقد رأينا ان الارادة في الانسان ليست الاَّ طوراً من اطوار الحال العكسية في اتجاه خاص . اذاً فالحرية مفقودة من العظماء مبلغ ما هي مفقودة من عامة الناس

يتبين مما سبق ان ما يسمى بالارادة ليس هو الاَّ المظهر الذي تنقلهُ الحركات الخارجية عن طريق اجهزتنا وتياراتنا المادية او المتعلقة بما فينا من مادة حسب تكوين تلك الاجهزة والتيارات وما توالى عليها من التقلبات والتغيرات من وراثة ومرض وعادات خاصة ووسط اجتماعي وغير ذلك من الآثار والمظاهر المادية وان ليس هناك شيء خارج عنا مصرف لنا غير المادة التي تكوننا وما في هذه المادة من قوة ملازمة لها متعلقة بها لا يمكن ان تنفصل عنها مهما بولغ في تحليلها

ولقد جعلنا وجهتنا فيما اتخذنا من الامثلة استظهار ابسط ما يصل اليهِ الحس مما وصلت الى تحليلهِ يد الانسان . ولو انا اردنا تلمُّس المثل من عالم الحيوان اوعالم النبات لما اعوزنا . بل لو انا طرقنا باب ما اوصلت اليهِ مباديء لمبروزو في كتاب الفلسفة الجنائية لرأى القاريء كم تؤثر المظاهر الجسمية في الاخلاق وكيف توجه الارادة وجهاً خاصة . ولكننا لم نرَ محلاًّ للدخول في مسائل ربما ادَّى تعقيدها ودقتها بالشك ان يتسرب الى نظريتنا . فاكتفينا بابسط الاشياء وكانت نعم المساعد لنا في توضيح غرضنا

والى هنا نرى اننا اثبتنا مبدأ الجبر المطلق واقمناهُ على اساس متين . ولكن هل معنى ما تقدم انعدام المسؤولية وهدم الاعتبارات الاخلاقية . وان لم يكن ذلك فعلى اي اساس نقوم المسؤولية وكيف لنا ان نفرق بين الخير والشر وان نمدح فاعل الاول ونذم مرتكب الثاني؟ ذلك ما سنبينهُ في كلمتنا الثانية وهي عن المسؤولية

محمد حسين هيكل المحامي
دكتور في الحقوق

نصيب فرنسا من هذه الحرب

نشرنا في مقتطف يناير خلاصة مقالة للكاتب الانكليزي برنارد فوك موضوعها نصيب انكلترا من هذه الحرب وردت في مجلة لندن · وقد رأينا لهُ مقالة اخرى في جزء يناير من تلك المجلة موضوعها نصيب فرنسا من هذه الحرب فلخصناها بما يلي قال

ان الجهد الذي بذلهُ الفرنسويون والضحايا التي ضحوها في سبيل وطنهم تفوق كل ما ذكرهُ التاريخ في سبيل محبة الوطن · وهم يفتخرون ويحق لهم الفخر انهم يحاربون لتأييد العمران والعدل والحرية · والناظر اليهم يندهش من النهضة التي نهضوها لتخليص بلادهم من يد العدو الذي اجتاحها · ويزيد اندهاشهُ من الفوز الذي فازوهُ في هذا السبيل · فان العدو كاد يصل الى ابواب باريس وفي الثاني من سبتمبر سنة ١٩١٤ اي في مثل اليوم الذي حدثت فيهِ معركة سيدان كانت جيوش العدو قد انتشرت في نصف دائرة من أميان الى فتري الى شالون واحاطت بفردون ونسي اي باكثر من مضاعف المسافة التي بلغتها بعد معركة سيدان وفي شهر من الزمان صار شمال فرنسا كلهُ من شنتلي الى نسي في قبضة الالمان · ولكن ذلك لم يضعف عزيمة فرنسا فقاومت عدوها وابعدتهُ خمسين ميلاً عن عاصمتها واوقفتهُ هناك الى ان تمكنت حليفتاها من تعبئة جيوشهما والمبادرة الى معاونتها .

مضى على انكلترا سنتان قبلما تمكنت من فرض التجنيد العام على رعاياها وكانت فرنسا في كل هذه المدة تقاوم المانيا وحدها تقريباً مع ان شعبها نصف شعب المانيا ومناجمها ومسابكها واكثرها في انحائها الشمالية في يد الالمان حتى امسي في كل بيت من بيوتها مناحة ومع ذلك لم يضعف عزمها ولا فترت همتها ولا ضعف املها بالفوز اخيراً · ولما احترَّ القتل في جنودها وجنود حلفتيها في اول الحرب حتى خيف ان تدور الدائرة عليهم شكت بعض الشكوى من ضعف همتنا ولكن لم يخامرها اقل ريب في مقدرتنا على مساعدتها لانها تعلم ان بريطانيا لا تُستفَزُّ بسرعة ولكنها متى نهضت لم تبخل بشيء لا بمال ولا برجال لتأييد المصلحة العامَّة التي ينشدها الحلفاء · ولا يسمع الآن من فرنسا غير الثناء على الهمَّة البريطانية التي كادت تدرك الهمَّة الفرنسوية او تسبقها

اما نحن الانكليز فاذا سمعنا هذا الثناء من الفرنسويين علينا فيجب ان لا ننسى ان الخط الذي يحاربون هم فيهِ في فرنسا اربعة اضعاف الخط الذي نحارب نحن فيهِ · وان الفرنسويين

استدعوا للحرب كل رجل من رجالهم من ابن ١٧ سنة الى ابن ٤٨ سنة واما نحن فلم نستدعِ الاَّ الذين سنهم من ١٨ الى ٤٢ . ولما اخذنا نفكر في جعل معاملنا تحت السلطة العسكرية كانت فرنسا قد جعلت كل معاملها تحت السلطة العسكرية . ولما كنا ننظر في استخدام بعض نسائنا في الاعمال الحربية كانت عشر العمال في الاعمال الحربية في فرنسا من النساء والآن صار ٢١ في المئة من النساء ونسبتهنَّ تزيد يوماً فيوماً . وقد بلغ عدد العمال من نسائنا الان عشرين في المئة والامر على زيادة لكي لا ندع فرنسا تفوقنا في هذا المضمار لاننا لسنا اقل منها اهتماماً بالفوز اخيراً

وعدد سكان فرنسا اربعون مليوناً فقط وتسع من اغنى ولاياتها واوسعها مصانع في يد الالمان ومع ذلك لا تزال سابقةً لنا في مقدار ما تصنعهُ من الذخيرة لكننا كدنا نلحق بها وقد نسبقها في هذا العام . ويظهر مقدار الجهد الذي بذلتهُ فرنسا حتى سبقتنا في عمل الذخيرة من ان الولايات التي استولى عليها الالمان في شمالها سكانها ستة ملايين من النفوس وكان يستخرج منها ٧٠ في المئة من الفحم الحجري الذي يستخرج من كل فرنسا و٩٠ في المئة من حجارة الحديد ويسبك فيها ٨٥ في المئة من الحديد الزهر و ٧٥ في المئة من الحديد الصلب (الفولاذ) . فهذهِ النفوس وهذهِ المعادن فقدتها فرنسا كلها ومع ذلك استطاعت ان تصنع من الذخيرة اكثر مما نصنع نحن فاخذت الفحم من بلادنا والفولاذ من بلادنا ومن اميركا مع ما في النقل بحراً من الخطر . وهي تصنع الآن من الذخيرة نحو خمسين ضعف ما كانت تصنعهُ في بداءة الحرب ولا تزال مهتمة لتزيد هذا المقدار ايضاً

وقد زادت فرنسا على شعبها الضرائب ٣٥ مليوناً من الجنيهات في السنة مع ما نقصتهُ بسبب احتلال الالمان لاغنى ولاياتها . وهي تنفق الآن على الحرب ثلاثة ملايين ونصف مليون من الجنيهات كل يوم وقد بلغ ما انفقتهُ ٢٤٤٠ مليوناً من الجنيهات حتى آخر سنة ١٩١٦ واستطاعت ان تقدم بهذهِ النفقات كلها وان تساعد بعض حلفائها بالمال ايضاً فاقرضتهم ٦٦ مليوناً من الجنيهات لان الشعب الفرنسوي استخرج ماخبأهُ باقتصادهِ من الذهب واشترى بهِ سندات حكومتهِ حتى بلغ ما عندها من الذهب مئتي مليون جنيه وزاد اقتصاداً على اقتصاد لكي يستطيع ان يقدم الى حكومتهِ ما تحتاج اليهِ من المال وجاد الوف منهُ بنصف دخلهم السنوي

والفرنسويات المشهورات بتأنقهنَّ في الملبس عدلن عن الانفاق على ملابسهنَّ واخذنَ كل الاعمال البيتية وغير البيتية على عاتقهنَّ ما دام رجالهنَّ في الحرب . وهنَّ الآن من امهر

عمال الذخيرة وقد نيطت بهنَّ اعمال الزراعة فيقمن بها ولو سقطت قنابل المدافع على مقربة منهنَّ ونيط بهنَّ ايضاً كنس الشوارع وفتح الدكاكين وسائر الاعمال التي كان رجالهنَّ يتعاطونها

ويظهر تأثير هذه الحرب الادبي في فرنسا على اشدهِ باقلاع العمَّال الفرنسويين عن الاعتصاب وكل ما يتعلَّق بهِ وقد كان بالغاً حدهُ قبل الحرب . وبما اظهرهُ نساء ليل من الصبر على المكاره وقد اجلاهنَّ العدو من بيوتهنَّ كما كان القدماء يجلبون الاسرى من البلاد التي يحتلونها . وبما اظهرهُ نساء فرنسا كلها من الصبر بعد ان فقدن رجالهنَّ واولادهنَّ

وكم مَن والدين قتل اولادهم كلهم كما قتل اولاد الجنرال ده كاستلنو الخمسة ولكن ذلك لم يضعف عزيمة فرنسا بل زادها مضاء . وقد كانت همتها تبدو على اشدها كلما اشتدَّ الخطر عليها وضاق المأزق الذي هي فيهِ . ولما نادتها حكومتها في بداءة الحرب قائلة « يطلب من البلاد ان تعطي كل ما عندها من الرجال والاموال وان تتشدَّد وتتقوَّى وتستعين بكل ما فيها من العلم والتدريب وتثق بنفسها وتنسى كل ما مضى ولا تهتم الاَّ بالمستقبل وتتجه الى الامام » اجابتها ان سبيلنا معروف وعزمنا وطيد فلا بدَّ من ان نحرز الظفر عاجلاً او آجلاً

لما احدق العدو بفردون بجيشهِ الجرار وصبَّ عليها سحائب نقمتهِ حاسباً ان فرنسا تعجز عن مقاومتهِ وقفت تلك المدينة في وجههِ كسد من حديد وآلت حاميتها ان تحتفظ بها ولو سفكت كل نقطة من دمها . ولما آن الاوان استرجعت فرنسا في بضع ساعات ما اخذهُ الالمان منها هناك في ستة اشهر . ما اشد عزيمة فرنسا وما اعجبها . هذه هي فرنسا التي جهلها الالمان فزعموا انها شاخت واشرفت على الاضمحلال

هذه القوة المعنوية التي بدت من حليفتنا الباسلة هي من اهم مزاياها ولولاها لما استطاعت المقاومة الى الآن مع ما كانت فيهِ من عدم الاستعداد للحرب . ولا استطاعت ان ترسل الى ميدان القتال جيشاً كبيراً ومعهُ كل ما يلزم لهُ من الاسلحة والذخائر . ولا يزال هذا الجيش مع كل ما اصابهُ من النقص من اعظم جيوش الحلفاء . وفي الوقت نفسهِ بقيت عمارتها البحرية محافظة على بحر الروم وعلى سواحلها من جهة الاتلنتيك . ولولا مساعدة فرنسا لنا بحريًّا لكانت مهمتنا اشق مما هي . وفي فرنسا الآن مليونان ونصف من جيوش الاعداء ومع ذلك استطاعت ان ترسل جانباً من جيشها الى غاليبولي وهي اول من ارسل جيشاً الى سلانيك وبسعيها حفظ الجيش السربي من الاضمحلال

والآن القيادة العامة في سلانيك لجنرال فرنسوي وفي البحر المتوسط لاميرال فرنسوي ولما اشتدت الازمة على روسيا ذهب اليها الجنرال بو وجماعة من رجاله وتولوا تنظيم جيشها. وكذلك لما ضاقت حلقات الحرب على رومانيا بعثت اليها فرنسا بالضباط يقودهم الجنرال برتلو . والطيارون الفرنسويون منتشرون بطياراتهم في كل ميادين القتال ما عدا الميدان البريطاني . ومع كل ما يطلب من الفرنسويين في بلادهم تجد انهم جادوا بثمار عقولهم على كل حلفائهم فنحن في انكلترا مديونون لهم بكثير من الاصلاحات في الطيارات ويحق لفرنسا ان تفتخر وتقول انها خدمت كل حلفائها

لما رأت فرنسا ان الالمان استولوا على مناجم الفحم الحجري في الولايات التي احتلوها استخدمت قوة المياه المنحدرة من جبالها بدلاً منها بعد ان حوَّلتها الى كهربائية وادارت بها معاملها وقام الكيماويون الفرنسويون واستنبطوا اصباغاً اجود من الاصباغ التي كانت ترد من المانيا . ولما استدعت الحرب شبان فرنسا كلهم جاء الكهول والشيوخ المتقاعدون من مستعمراتها المختلفة وقاموا هم والنساء بادارة الاعمال المختلفة . ورضي الفرنسويون عن طيب نفس ان تضاعف الضرائب على بيوتهم واراضيهم ومركباتهم وخيولهم وكل ما عندهم . وابطل المعدّنون عيدهم السنوي الذي كانوا يعيدونهُ في اول شهر مايو واستمروا على العمل خدمةً لبلادهم وزادوا همةً ونشاطاً لكي تنال منهم بلادهم اقصى ما يستطيعون عملهُ

ولما رأى الالمان نشاط الامَّة الفرنسوية من اطفالها الى شيوخها اضطروا ان يعترفوا رغم انوفهم ان ما قالوهُ قبلاً من ان فرنسا شاخت وقاربت الاضمحلال انما هو قول هراء قالوهُ لمجرَّد الايهام

ثم ان همة فرنسا لم تفتر مع كل ما قاستهُ من الشدائد وما لقيتهُ من الفشل بل زادت قوةً وثقة حتى ازدرت كل ما عرضهُ عليها الالمان من شروط الصلح وكيف لا تزدريها وهي لم تنسَ ما اصاب مدنها من الخراب ورجالها من القتل ونساءها من الاهانة . ولا يمكن ان تنقض عهودها لحلفائها بل لا بدَّ لها من الاستمرار على الحرب الى ان تخضد شوكة المانيا وتنزع منها روح العدوان الذي هو اكبر خطر على العمران . لا بدَّ لها من ان تحارب وتناجز عالمة ان كل ويلات الحرب لا تقاس بالضرر الذي ينالها اذا نجا الالمان من يدها من غير ان يحل بهم ما يستحقون من العقاب

تأججت نار الحرب في فرنسا وفرنسا مستيقظة وهمتها شماء . توالى اطلاق المدافع على مدينة ريمس ومدارسها لم تقفل بل انتقل التلامذة والتلميذات مع معلماتهم الى الاقبية التي

تحت الارض وواظبوا على دروسهم · هناك تعلم ابناء فرنسا و بناتها وشاركوا اباءهم في الحماسة الوطنية لانهُ لم ينقضِ نهار الاَّ سمعوا فيهِ درساً متعلقاً بالحرب · نعم ان ابناء فرنسا و بناتها الذين تعلموا مبادئ العلوم والقنابل تتساقط على شوارع ريمس سيذيعون ما اشتهر بهِ الفرنسويون من نشر لواء العلم والعرفان في اقطار المسكونة الاربعة

نحن في البلاد الانكليزية يفصل البحر بيننا و بين المانيا فلم يستطع احد من الاعداء ان يطأ ارضنا ولذلك يصعب علينا ان نتصور ما عانتهُ فرنسا منهم وما جاش في نفسها من البسالة لصدهم — البسالة التي اوجبت على كل بيت ان يجود بكل ابنائهِ ثم يخفي حزنهُ في اعماق صدرهِ حينما يأتيهِ نعيهم · نحن في انكلترا عندنا ملايين من الرجال لم يدخلوا ميدان الحرب حتى الآن اما في فرنسا فلم يمتنع عن الذهاب الى الحرب الاَّ الذين لا غنى عنهم للقيام بسائر الاعمال

في الخريف الماضي استثنينا ٣٦٠٠٠٠٠ رجل من الخدمة العسكرية اما فرنسا فاستثنت ٥٦٠٠٠٠ لاغير ومن المحتمل انها لا تستثنيهم سنة ١٩١٧ بل تعتمد في تشغيل مناجمها ومعاملها على النساء والشيوخ الذين سنهم من ٤٨ فما فوق

فخليق بفرنسا ان تلتفت الينا وتقول لنا ان الامَّة التي جادت بكل رجالها للحرب و بكل كنوزها للدفاع عن حوزتها وحوزة حلفائها واستخدمت كل نسائها في ما يحفظ حياتها لقد قامت بكل ما يطلب منها وصار عليكم ان تقتفوا خطواتها وتجودوا بكل رجالكم لانقاذ العمران ممَّا يتهددهُ من الاضمحلال · ولا يحتمل ان يقع صوتها على آذان صماء بل علينا ان نجاريها ونقابل الهمة والعزيمة بالهمة والعزيمة ونبذل اقصى ما نستطيعهُ من الجهد اقتداء بالامة الفرنسوية

هذا ما كتبهُ كاتب انكليزي منوهاً بمقدرة فرنسا واستبسالها في هذه الحرب بعد ما كتب ما كتبهُ عن انكلترا ومقدرتها واستبسالها ومن المحتمل ان يكتب مثل ذلك عن روسيا وايطاليا وسائر الحلفاء · ولو كتب عن الالمان وحلفائهم لظهر انهم بذلوا ما بذلهُ الانكليز والفرنسويون او اكثر منهُ · فالى متى تستطيع هذه الدول البذل من الرجال والمال · لا شبهة ان لكل شيء حدًّا وان الاستمرار على هذه الخطة لا يحتمل ان يدوم سنين كثيرة · و يظهر من دلائل شتى ان المتحاربين سيضطرون الى طرح السلاح في غضون هذه السنة وان الصلح سيبنى على قواعد تمنع نشوب الحرب سنين عديدة بعد الآن

الشيخوخة واماليٌّ حيوية

نقلاً عن العلامة متشنيكوف

(٤) العلاقة بين طول العمر والجهاز المضمي

مهما بحثنا وفتشنا في نظام الجهاز التنفسي والدموي والبولي وفي الاعضاء العصبية والتناسلية فاننا لا نجد ركناً نستند اليهِ في تفسير قصرحياة ذوات الثدي بالنسبة الى حياة الطيور وحياة ذوات الدم البارد ولا نجد تعليلاً لذلك الاَّ في الجهاز المضمي

يختلف التركيب التشريحي للجهاز المضمي في ذوات الفقرات اختلافاً كبيراً في حجمهِ وهيئتهِ ووضعهِ فهو ينمو ويكبر حجمهُ في ذوات الثدي ويضعف على سلسلة نازلة من الزحافات الى الحيوانات الامفيبية (التي تعيش في الماء والهواء كالضفادع) فالاسماك فالطيور. ففي الزحافات يصغر حجمهُ كثيراً ويكون المعى الغليظ فيها بشكل جيب جانبي يشبه الاعور في ذوات الثدي. وفي الحيوانات الامفيبية تقل اهميتهُ كثيراً ويظهر فيها بشكل كيس كبير متسع. وفي الاسماك هو اقل الجهاز المضمي اهميةً اذ يكون فيها بشكل قناة قصيرة وقليلة الاتساع بالنسبة الى المعى الدقيق. ويخسر في الطيور كل اهميتهِ وفي بعضها يفقد بالكلية وفي البعض الآخر يكون بشكل خط مستقيم. ويكون للبعض الآخر اعوران ضعيفان او اثريان كما في النسور والبزاة وكواسر الليل وكواسر النهار والحمام والدجاج والبط. واما في الطيور العدَّاءة كالنعام فيتمو الاعوران كثيراً وقد وجدنا طولها في النعام الاميركاني المعروف بالناندو يعادل تقريباً طول ثلثي المعى ووزنهما بما يحتويان ٨٨٠ جراماً وهو يعادل $\frac{١}{١٠}$ ثقل النعامة

فالمعى الغليظ ضعيف في الطيور ولا وجود لهُ في بعضها واما في ذوات الثدي فكبير الحجم ويبلغ حداً كبيراً من النمو والاتساع ولهذا سمي بالمعى الغليظ. وسمي المعى المتوسط بينهُ وبين المعدة بالدقيق لدقتهِ وضيق قناتهِ وهو قسمان اكبرهما يعرف بالقولون وهو لا يكون كبيراً ونامياً الاَّ في ذوات الثدي واصغرهما طرفهُ النهائي الذي يغور في الحوض. ويتخذ المعى الغليظ بسبب طولهِ شكل التلافيف ولا يستقيم الاَّ في طرفهِ النهائي ولهذا سمي بالمستقيم فيشبه وضعهُ في الحوض شكل المعى الغيظ في بقية ذوات الفقرات

يستنتج مما سبق نتيجتان صحيحتان الاولى ان ذوات الثدي اقصر عمراً من الطيور ومن ذوات الفقرات الدنيا والثانية ان المعى الغليظ في ذوات الثدى اطول كثيراً مما هو في بقية ذوات الفقرات . فهل كان ذلك اتفاقاً او ان بين الامرين رابطة سببية ؟ وهذا ما نريد بيانهُ والجواب عليهِ

وبياناً لذلك يجب ان تعرف ما هي وظيفة المعى الغليظ وما هي درجة عملهِ في المضم . فنقول اولاً انهُ بالاجمال لا يقوم بوظيفة الهضم الاَّ ما قل وندر كما يظهر من التفاصيل الآتية التي نبين فيها عملهُ في كل صف من رتبة ذوات الفقرات

ففي الصفوف الواطئة كالاسماك والامفيبيا والزحافات والطيور ليس المعى الغليظ سوى مخزن للفضلات الغذائية لا يعمل في هضمها اقل عملٍ لانها تهضم في المعدة وفي المعى الدقيق قبل ان تصل اليهِ ولكن الاعور يقوم بعمل صغير قليل الاهمية . واما الزحافات وهي الصف الاول من ذوات الفقرات الذي يظهر فيهِ هذا المعى فقد يكون لهُ بعض العمل الهضمي لمشابهتهِ للمعي الدقيق لانهُ لا يختلف عنهُ الاَّ قليلاً . واما الطيور فهي بعكس ذلك لان الاعورين فيها ينفصلان انفصالاً تامًّا عن القناة الهضمية فترد اليهما كمية من الغذاء وتستقر فيهما مدة طويلة حيث يتم هضمها . وقد وجد بعضهم في اعوري الطيور عصارات لهضم الزلال والنشا ولتحويل سكر القصب ولكنهُ لم يجد عصارة لهضم المواد الدهنية . على ان قوة الهضم هذه ليست قوية لان استئصال الاعورين من الديوك والبط لا يشوش بنيتهما وتستطيع ان تحتملهُ بسهولةٍ . وبما ان الاعورين أثريان في عدد كبير من الطيور ومفقودان في كثير منها فمن الواضح انهُ يمكن الاستغناء عنهما وانهما سائران في الطيور القهقرى ما عدا الطيور العدَّاءة فانهما ناميان فيها نموًّا كبيراً . الاَّ اننا لا نعرف شيئاً ثابتاً عن وظيفتهما الهضمية فيها

وهذه الاختلافات هي في ذوات الثدي اظهر واكبر مما هي في الطيور لان المعى الغليظ يكون في بعض انواعها كما في الخفاش شبيهاً بالمعي الدقيق ويظهر كأنهُ استطالة منهُ واذا كان كذلك وجب ان يكون لهُ بعض العمل في الهضم الاَّ ان هذه الحالة هي حالة استثنائية والغالب ان يكون المعى الغليظ منفصلاً بصمام عن المعى الدقيق انفصالاً واضحاً وان يتصل بالاعور الذي يبلغ احياناً حجماً كبيراً جدًّا ويكون في الفرس على هيئة جيب كبير مخروطي الشكل منتفخ الجدران ومعدل سعتهِ ٣٥ لتراً . ويمو نمواً زائداً في الحيوانات الاخرى التي تقتات بالنبات كالفيل وفي قسم كبير من الحيوانات القراضة فترد اليهِ المواد الغذائية بمقادير

كبيرة وتستقر فيهِ مدة طويلة ولا ريب انهُ يفعل في هضمها . الاَّ انهُ في كثير من ذوات الثدي التي تقتات باللحوم يكون مفقوداً كالقط والكلب ففعلهُ الهضمي اذاً اما مفقود واما ضعيف الى درجة لا يعتد بها . واما المعى الغليظ نفسهُ فلا ريب في انهُ لا يقوم بعمل هضمي مهما كان صغيراً الاَّ في حالة استثنائية كما في الخفاش لان البحث لم يكشف عملاً هضميًّا للمعى الغليظ في الجرذ والفار . وقد اثبتت الابحاث الكثيرة في الانسان ان القولون لا يعمل في الهضم واظهرت ابحاث علماء الفسيولوجيا ان هضم الاغذية وتمثيلها يكاد ينحصر في ذوات الثدي في المعى الدقيق وان المعى الغليظ لا يقوم بعمل هضمي الاَّ في بعض الاحوال المرضية التي فيها تنتقل المواد الغذائية مع ما يخالطها من العصارة الهضمية من المعى الدقيق الى المعى الغليظ حيث يتم هضمها . ويجري هذا الانتقال بفعل الحركة الدودية للمعى الدقيق

فالمعى الغليظ ليس عضواً للهضم ولكنهُ يمتص السوائل الواردة من المعى الدقيق بدليل ان بقايا الاطعمة تخسر سوائلها فيهِ فتجمد المواد البرازية وهذا الامتصاص يقتصر على الماء دون سواهُ اي ان القولون يمتص الماء بسهولة ولا يمتص بقية السوائل

وقد توجهت الانظار الى درس هذه المسئلة درساً طويلاً لانهُ كثيراً ما يعرض في بعض الامراض ان تمتنع تغذية المريض من الفم فتتعرض حياتهُ للخطر الشديد ان لم يعوض عن الفم بطريق آخر فجربوا الحقن بالمواد الغذائية عن طريق المستقيم واسفرت النتيجة عن فائدة محدودة الى مدة محدودة لان قدرة المعى الغليظ على الامتصاص محدودة . وظهر لبعضهم ان القولون كلهُ لا يمتص اكثر من ٦ جرامات من الزلال وهي كمية صغيرة من القوة الغذائية اللازمة وظنوا انهُ يستطيع ان يمتص باكثر سهولة المواد الشبيهة بالزلالية اذا سبق فهضمت هضماً صناعيًّا وتحولت الى بيتون فظهرت النتيجة غير كافية وثبت من التجارب الحديثة على كلب اصيب بناسور في الاعور وعلى انسان فيهِ است صناعية في القولون ان المعى الغليظ لا يمتص زلال البيض غير المكيف ولا يمتص الاَّ ما قلَّ من الماء وسكر القصب والجليكوز ولكنهُ يمتص السوائل القلوية للمواد البرازية . ورغم ضعف قوتهِ هذه قد يمكن ان يغذي المريض ببعض السوائل الغذائية واخصها اللبن

فالمعى الغليظ اذاً ليس عضواً للهضم بل للافراز لانهُ مجهز بكمية من الغدد الصغيرة التي تفرز مخاطاً لترطيب المواد البرازية وسهولة اخراجها . واذا كان ذلك كذلك فبمَ تعلل زيادة نموهِ في ذوات الثدي عما في بقية ذوات الفقرات ؟

جوابي على ذلك ان المعى الغليظ اتخذ حجماً كبيراً في ذوات الثدي لكي تتمكن من العَدْو مدة طويلة بدون ان تضطر الى الوقوف للتغوط وعلى ذلك يكون المعى الغليظ مستودعاً لفضلات الطعام وتكون وظيفتهُ حجز تلك الفضلات مدة ما طالت او قصرت

ان الحيوانات الامفيبية والزحافات كسولة وبطيئة الحركة وهي كذلك لانها مجهزة بجهاز دفاع يقيها من الخطر كالسم في الافعى والدرقة المتينة في السلحفاة والقوة الفائقة في التمساح . واما ذوات الثدي فتحتاج الى العَدْو بسرعة لتقبض على فريستها او لتنجو من عدوّها وهي لا تستطيع ان تقوم بهذه الحركة الخفيفة الاَّ بسبب نمو قوائمها وزيادة حجم معاها الغليظ الذي تحجز فيهِ المواد البرازية مدة طويلة

والمعروف ان ذوات الثدي تضطر عند تفريغ امعائها الى الوقوف واتخاذ شكل خصوصي ولا يخفى ما في ذلك من الخطر عليها في الدفاع عن حياتها . والحيوان من ذوات الثدي آكلة اللحوم الذي يضطر الى الوقوف عند الانقضاض على فريستهِ يكون اقل اهلية من الحيوان الذي يعدو وينقضُّ بدون اضطرار الى الوقوف . والحيوان من ذوات الثدي آكلة النبات الذي يعدو بسرعة هرباً من حيوان مفترس يستطيع ان يجتنب الخطر بمقدار ما يستطيع ان يعدو بلا وقوف . وقد انكر بعضهم عليَّ هذا الرأي واعترض بان المستقيم يكفي وحدهُ لحجز الفضلات الغذائية وان الخيل تستطيع ان تبرز اثناء عدوها . على اني لا أرى قيمة لهذا الاعتراض لان المواد البرازية اذا اجتمعت في المستقيم ظهرت الحاجة الضرورية الى طردها فهو لا يستطيع ان يحجزها مدة طويلة ولان الخيل التي تبرّز اثناء جريها هي الخيل المقرونة الى العربات التي تعدو الخَبَب واما اذا كانت طليقة واسرعت في عدوها فانها لا تقدر على التبريز الاَّ اذا وقفت ولم يقل احد انهُ شاهد خيل السباق تبرز وهي جارية جريها السريع . وحيثما وجدت الحيوانات الخفيفة كالغزلان والوعول في البراري والحقول او في الحدائق الفسيحة لا يشاهد برازها الاَّ متجمعاً . وفي الدفاع عن الحياة سواء كان بالانقضاض على الفريسة او بالهرب من العدوّ لا يسير الحيوان سيراً بطيئاً او يعدو الخبب كما تسير او تعدو الخيل المقرونة الى العربات بل يعدو عدواً سريعاً كما لا يخفى وبناء على هذه النظرية تكون زيادة نمو المعى الغليظ موافقة لحاجة الجسم الجوهرية في الدفاع عن الحياة ولكنهُ رغم هذه الفائدة اصبح مصدراً لكثير من العوارض المرضية ومن ثم

لتقصير مدة الحياة لان فضلات الطعام التي تجتمع وتحتجز في المعى الغليظ تصبح مأوى للكروبات وتحدث فيها اختمارات شتى واحدها اختمار التعفن الذي يضر بالصحة اضراراً متنوعة وبالنتيجة اصبح سبباً لتقصير العمر

لا يندر ان يبقى بعض الناس بضعة ايام بدون ان يفرغوا امعاءهم من الفضلات الغذائية وبدون ان يضرُّوا ضرراً مباشراً الاَّ ان الغالب ان يعقب ذلك انحرافات صحية مختلفة وخصوصاً في اصحاب الاجسام الضعيفة وكثيراً ما نرى ذلك في الاطفال فتظهر اعراض التلبك المعوي في الطفل بصعود الحرارة الى الدرجة ٣٩ و٤٠ وسرعة النبض واكداد السحنة وغور العيون والاضطراب والارق ووسخ اللسان والبَخَر واحياناً بالتشنجات ويبوسة الرقبة والحوَل مما يدل على تطرق السموم الى النسيج العصبي وقد تشتد الاعراض الى درجة الاغماء ويغلب ان يظهر نفاط على الذراعين والفخذين والاليتين او يحصل اسهال نتن الرائحة وكلها اعراض تنذر بالخطر وتشفى غالباً بعد تنظيف الامعاء بمسهلٍ تنظيفاً كافياً

وتصاب النفساء بعد حجز المواد البرازية بقشعريرة برد شديدة يعقبها حمى فتصعد الحرارة الى ٣٩ ويشتد الم الراس والبطن ويسرع النبض ويتوسخ اللسان وتنتن رائحة النفس وتفقد قابلية الطعام ويشتد العطاش ويظهر القولون بالجسّ متصلباً لما فيهِ من المواد البرازية المتجمدة فتعطى النفساء مسهلاً وتساعد بحقنةٍ في المستقيم ويُقصر غذاؤُها على اللبن فتتفرغ الامعاء وتزول كل الاعراض المرضية وتتماثل الى الصحة بسرعةٍ

ويؤَثر حجز المواد البرازية بنوع خصوصي في المصابين بالامراض القلبية والكبدية والكلوية فيجب عليهم ان يحافظوا دائماً على نظام جهازهم المعوي وان يتقوا القبض غاية جهدهم

يعرف ذلك كلهُ الاطباء الذين تقع هذه الحوادث تحت نظرهم ويعرفون النتائج الحسنة التي تحصل بعد تنظيف الامعاء بالمساهل. وتثبت التجارب في الحيوانات ان حجز المواد البرازية الصناعي بعد ربط المستقيم او قسم آخر من المعي يوقع الحيوان في خطر كبير

لا يبقى بعد ذلك مجال للريب في ان المكروبات تتكاثر في الامعاء في الفضلات الغذائية وتكون مصدراً للمرض واذا خلت المواد البرازية من المكروبات كما هو الحال في براز الجنين او براز الطفل المولود حديثاً المعروف بالميكونيوم خلت من الضرر. ولا ينكر وجود مكروبات في المواد البرازية عديمة الضرر الاَّ ان وجودها لا يمنع ضرر المكروبات الاخرى

التي حاول العلماء بيان عملها وتعيين ضررها فاعترضتهم صعوبات جمة فزعموا انها تفرز سموماً تمتصها جدران الامعاء فتحصل العوارض التي ذكرت ٠ وعلى ذلك شاع مذهب التسمم الذاتي في الاطفال والحوامل والنوافس والمصابين بامراض القلب والكبد والكليتين وحاول العلماء عزل تلك السموم ليتمكنوا من درسها درساً دقيقاً فاعترضتهم صعوبات كثيرة لانهم يضطرون في عزلها الى الترشيح والحرارة ومضادات الفساد التي تفسد بها السموم المكروبية فتضيع الغاية من استعمالها ٠ وقد نجح بعضهم اخيراً بمعالجتها بحرارة ٥٧ — ٥٩° وهي الحرارة التي يرجح انها لا تفسد فعل السم كما تفسدهُ الحرارة العالية وحقنوا بالسم الناتج بعد هذه العملية اوردة الارانب فاماتها بسرعة ٠ وحقنوا بعضها بكميات صغيرة فاحدث الحقن فيها انحرافات شبيهة بما يحصل من حجز المواد البرازية ٠ وجروا على هذه الطريقة في تحضير سموم المكروبات التي تتولد في انسداد الامعاء وحقنوا الحيوانات بها فظهرت فيها الاعراض التي تظهر في حالة انسداد الامعاء في الانسان او في احوال حجز المواد البرازية من اي سبب كان وهي القيء والتشنج والتواء الرقبة والظهر الخ

والسموم المرضية لم تدرس كلها درساً كافياً وما عرف منها الى الآن يدلُّ جليًّا على انها تدخل البنية بواسطة امتصاصها من الجدار المعوي ٠ ومن امثلة ذلك سم اللحوم المقددة وهو سم اذا اعطيت منهُ نقطة لارنب اماتتها باعراض تشبه اعراض التسمم الذي يحصل من تناول المواد الغذائية الفاسدة ٠ ومنها سم الحامض البوتيريك والسموم التي تنتج من تعفن المواد الزلالية التي تنتشر كثيراً في المعى الغليظ وتظهر غالباً بعد انحراف الهضم بجشاء غازٍ فاسد تشبه رائحتهُ رائحة البيض المذر (وهو غاز الهيدروجين المكبرت وغاز المستنقعات) وبالبراز الخبيث النتن وهذا لا يبقي ريباً في فعل مكروبات التعفن

وما خلا السموم المكروبية في الامعاء توجد سموم اخرى لا ريب فيها كبعض مشتقات البنزول (الفينول والكريزول الخ) وكالاملاح النشادرية وكثير غيرها ٠ وما من احد يجهل ان القبض يساعد كثيراً على التعفن المعوي ويحدث من ثمة انحرافاً في الصحة ٠ وبراز المصابين بالقبض يحتوي على كمية صغيرة من المكروبات لا تدل على ما هو حاصل في البنية لاننا اذا فرَّغنا المعى بحقنةٍ او بمسهل خرجت كميات كبيرة من البكتيريا من انواع متعددة فضلاً عن ان فحص البول يدل على زيادة المواد الاثيرية المحوَّلة التي تتولد من التعفن المعوي

ولا يبعد ان تتطرق المكروبات المعوية مباشرة الى الدورة الدموية لاننا كثيراً ما نشاهد في العوارض التي تحصل من حجز المواد البرازية اعراضاً كثيرة شديدة الشبه باعراض العلل الحقيقية المستقلة ولعل الابحاث المستقبلة اذا وجهت الى هذا السبيل تكشف وجود مكروبات من مصدر معوي في دم الاطفال المرضى وفي دم الحوامل والنوافس

قد تضاربت الآراء في مسئلة مرور المكروبات من الجدار المعوي وكتب الاطباء كثيراً في هذا الموضوع بدون ان يستقروا على رأي الاَّ انهُ لا يصعب علينا ان نقف على الظواهر التي تظهر في المعى الكثير المكروبات . فالجدار المعوي السليم هو حاجز قوي يمنع دخول المكروبات الى الجسم ومع ذلك لا يخلو ان بعض البكتريا تخترقهُ فتدخل الى الدم والى الاعضاء . فقد اظهرت التجارب الكثيرة التي اجريت في الحيوانات ان المكروبات تخترق جدران الامعاء وتستقر في الغدد اللمفاوية المجاورة او في الرئتين والطحال والكبد واحياناً تسير الى الدم واللمفا . ثم بحثوا ليعلموا هل تخترق تلك المكروبات سطح الجدار السليم او انها لا تخترقهُ الاَّ اذا كان مصاباً بعلةٍ مهما صغرت على ان ذلك لا يفيدنا فائدة عملية ولاسيما ان جدار القناة الهضمية سريع العطب يؤْذيهِ اقل لمس حتى أَن اللين المجسَّات اذا ادخل الى المعدة قد يحدث فيها اذى كافياً لاختراق المكروبات منها الى الدم رغم كل ما يؤْخذ من الاحتراس في هذا العمل البسيط الدقيق . ثم ان جدار القناة الهضمية في الحياة الاعتيادية يسهل غالباً سبيل المرور للمكروبات كما يستدل من وجودها على الدوام في الغدد المعوية في الحيوانات السليمة والجيدة الصحة

لا مشاحة ان المكروبات المعوية وسمومها قد تنتشر في الجسم وتحدث فيهِ عوارض مختلفة نوعاً واهمية وان المكروبات اذا كثرت في القناة الهضمية اصبحت مصدراً للمرض ومن ثم سبباً لقصر الحياة . وبما ان المعى الغليظ هو اكثر القناة الهضمية مكروبات وبما انهُ اكثر اتساعاً في ذوات الثدي مما هو في سائر انواع ذوات الفقرات فيحق لنا القول انهُ سبب كبير لتقصير عمرها

الدكتور
امين ابو خاطر

اليانصيب او اللوترية

(٢)

اليانصيب ضرب من المقامرة والمقامرة ميل شائع بين جميع صنوف الخلق فقيرهم وغنيّهم باديهم وحاضرهم صغيرهم وكبيرهم ولا عجب في ذلك لان لها اصلاً ثابتاً في الغريزة سماهُ بعضهم روح المقامرة . وسبب هذا الروح او هذا الميل الانطباع على حبّ التغيير والمفاجأة ولاسيما اذا كان في هذه المفاجأة بعض مصلحة لصاحبها كما في القمار . فان الانسان يكره الاقامة على حال واحدة ويملّها ولو كانت حال غبطة ونعيم مستمرّ ويعوذ منها بالانتقال الى اخرى قد تكون شرًّا منها عليهِ . ولو كان المقامر يعلم علم اليقين انهُ خاسرٌ في لعبهِ لا محالة ما القى بيديهِ الى التهلكة ولا لعب ولكنهُ يرتجي الربح منهُ كما يخشى الخسارة فيقدم عليهِ متوكئاً على الصدفة وهي شرّ متكلٍ لانها ان صدقت يوماً كذبت دهراً . فالقمار في عينهِ موضوع رغبة ورهبة معاً على حدّ قول الراجز في ممدوحهِ

ما يرتجي وما يُخاف جُمِعا فهو الذي كالغيث والليث معا

او هو كذكرى الميت حلوة مرة . او كالعشق جامع بين النقيضين اللذة والالم كما في قول المتنبي

تلذُّ لهُ المروءة وهي تؤْذي ومن يعشق يلذّ لهُ الغرامُ

وربما كان لروح المقامرة سبب آخر هو حبّ الانسان الاستزادة مما يملك فان كان معسراً لا يملك غير فلس واحد طلب المزيد حتى يكون لهُ فلسان او ثلاثة . او كان متوسط الحال طلب ان يكون موسراً . او موسراً واقفاً عند حدّ طلب تخطي هذا الحدّ الى ابعد اذ الايسار درجات ومراحل يخطئها العدّ

والقمار فوق هذا كلهِ تسلية للفقير وباب واسع للعيش فهو يقضي العمر فيهِ لا ينتقل من امل الاّ الى امل وهكذا في سلسلة طويلة آخرها الموت . فهو من هذا النظر كالمخدرات لمدمنيها فانها تبعث السرور في شاربها وتريهِ وجه الحياة منيراً عند معاقرتها بعد ان يراهُ اسود قاتماً في ساعات صحوهِ وباب العيش واسعاً بعد ان يراهُ ضيقاً . لذلك أرى ان سعي الساعين في منع القمار والمسكر منعاً باتاً سعي في غير محلهِ لانك اذا سددت باب الامل والاغتباط الذي يفتحانهِ في وجه مدمنها كنت كمن يسدّ ابواب العيش في وجههِ فيحاول الالتجاء من هذه الحالة الى اخرى قد تكون اشدّ خطراً على الامن العام منها

ولنأتِ الآن الى اليانصيب بعينهِ فنقول : في القطر المصري ابواب كثيرة لليانصيب فعندك سندات البنك العقاري المصري · وعندك الجمعيات الخيرية الدائمة وهي تزيد على العشرين عدًّا · وعندك المشروعات الخيرية الوقتية التي تقام لمساعدة هذا العمل الخيري او ذاك ثم تنحلّ اذا انقضت غايتها

اما البنك العقاري فمشروع اليانصيب فيهِ مشروع غير مبنيّ على الصدفة البحتة التي تعرّض صاحبها للخسارة الكثيرة بل لا مجال فيهِ للخسارة البتة لانهُ فرض فائدة لسنداتهِ نحو اربعة في المئة يعطي منها ثلاثة نقداً لاصحاب السندات ويجعل الواحد الباقي ربحاً لاصحاب النصيب منهم يتالونهُ بالقرعة فهو والحالة هذه خارج عن موضوع هذا المقال

واما المشروعات الخيرية الوقتية التي تعددت عندنا في السنين الاخيرة بسبب الحرب فالفرض الاول منها اعانة اهل البؤس والمتربة وقد الحق بها اليانصيب ترغيباً للعامة فيها ولا نحسب غنيًّا اقدم عليها قصد الكسب من يانصيبها · وهذه المشروعات تنقضي دائماً بانقضاء « السحب » · بقيت الجمعيات الخيرية الدائمة ومدار الكلام عليها في هذه المقال

قلت فيما تقدم ان في القطر المصري عشرين او اكثر من الجمعيات الخيرية الدائمة التي تجمع الصدقات باليانصيب للعوزين من الذين ينتمون اليها · ولا بأس بعدّها على قدر المستطاع وهي : الجمعية الخيرية الاسلامية ويسميها باعة اوراق اليانصيب « اسلام مصر » لان مركزها في القاهرة · وجمعية العروة الوثقى ويسمونها « اسلام اسكندرية » لان مركزها في الاسكندرية · والجمعية الخيرية للروم الكاثوليك في القاهرة ويسمونها « سمعان مصر » · والجمعية الخيرية للروم الكاثوليك في الاسكندرية ويسمونها « سمعان اسكندرية » · والجمعية الخيرية المارونية ويسمونها « شبرا » · والجمعية الخيرية السورية للروم الارثوذكس · وجمعية السريان · وجمعية الاسعاف · والجمعيات الخيرية اليونانية منها اثنتان في القاهرة وواحدة في كل من الاسكندرية وبورت سعيد والاسماعيلية والسويس وطنطا والمنصورة وشبين الكوم (وربما كان في بنادر اخرى جمعيات لا اتذكرها) · والجمعية الخيرية القبطية · والجمعية الخيرية الاسرائيلية · ويانصيب حلوان الخ

ولهذه الجمعيات « سحب » واحد في الاسبوع الاَّ الجمعية الخيرية للروم الكاثوليك في فان لها سحبين الواحد مساء الخميس والثاني مساء الاحد · واوراقها اكثر رواجاً من سائر الجمعيات ما عدا الجمعية الخيرية اليونانية في القاهرة او « رومي مصر » في لغة الباعة · وسبب رواج هذه الاخيرة ان جائزتها الاولى ١٢٠ جنيهاً والثانية ٢٠ جنيهاً وتليها جوائز اصغر

منها حتى نزولك الى الجنيه او البنتو فمنهما ١٢٠ جائزة . ولكن يقابل هذه المزية الظاهرة ان عدد اوراق الجمعية ٥٠ الفاً في حين ان عدد الاوراق في جمعية الروم الكاثيك بالقاهرة مثلاً ١٢ الفاً وجائزتها الكبرى ٤٠ جنيهاً تليها جوائز اخرى صغيرة لكنهم اقل عدداً . والشارون ينسون ذلك او يتناسونهُ

والفرق بين المقامر الصرف اي لاعب البوكر والروليت والبكرا واشباهها و بين اللاعب باوراق اليانصيب ان الاول يلعب في السرّ و ينكر اللعب اذا قيل لهُ فيهِ ولا يعترف بهِ الاَّ لنظرائهِ وسائر من لا يخشى عتابهُ علماً بان القمار معرة ورذيلة لا مسوّغ لها اما الثاني فقد يخفى عليهِ انهُ مقامر لا مساعدٌ للجمعيات الخيرية اي ان الغرض الوحيد من ابتياعهِ ورقة اليانصيب امل الربح لا حب الخير ولكن لما كان اليانصيب مقروناً بالجمعيات الخيرية وكان الغرض منهُ مساعدة الفقير فقد اتخذ المقامر هذا الغرض الخيري ستاراً لغرضهِ الحقيقي اي الكسب فاذا قيل لهُ في شراء الاوراق اجاب اني اشتريها ابتغاء وجه الله ومساعدة لاهل البأساء والضرّاء

ولو انحصر ابتياع اوراق اليانصيب في الاغنياء والمتوسطين الذين ينفقون عن سعة او لو وقف اللاعب باوراق اليانصيب عند حدّ محدود اي لو اقتصر كلّ يوم على مشترى ورقة او ورقتين ما قلنا عليهِ كلمة ولو كان في الورقة والورقتين خراب العامل الصغير الذي لا يكاد عمل يومهِ يكفي لسدّ جوع عيالهِ . ولكن الاكثرين ينفقون من اعوازهم و يشترون من الاوراق ما لا طاقة لهم باحتمالهِ زماناً طويلاً فيبيتون كالمقامر البحت الدين امامهُ والفاقة وراءهُ . ولست اراني مخطئاً اذا قلت ان اليانصيب في هذه الحالة شرٌّ من القمار لانهُ لهو الفقراء في حين ان القمار لهو الاغنياء والمتوسطين . وقد تجد في الناس من يغضي عن لعب الغنيّ لان في خسارتهِ توزيع مالهِ على المجتمع ولكنك لا تجد احداً يحبذ لعب الفقير و يعدّي عنهُ

خطر لبعضهم ان يجرّب شراء اوراق اليانصيب ليختبر بنفسهِ ولع الجمهور بها ثم يبدي حكمهُ فيها كما شرب الكاتب الانكليزي دكونسي الافيون ليرى فعلهُ فيهِ . ولكن الفرق بين الاثنين ان دكونسي لم يستطع الرجوع الى حالتهِ الطبيعية بل بقي يدمن الافيون الى آخر عمرهِ . اما صاحبنا فاشترى ما اشترى من اوراق اليانصيب ثم انقطع عن الشراء وساعدهُ على ذلك مزاج سويّ لا تملكهُ العادات . وقد قصّ عليّ ما جرى لهُ قال :

« بقيت ثلاثة اشهر او نحوها اشتري اوراق اليانصيب فربحت مرتين او ثلاثاً ولكن ربحي ضاع في خسارتي كما ترى في الجدول الذي كتبتهُ . ولو وجدتني في آخر المدة رابحاً

ربحاً كبيراً ما استمررت على هذه التجارة الشائنة فكيف وانا خاسرٌ ذلك لان غرضي الحكمة واختبار الحالة التي يكون فيها اللاعب المغامر لعلّ في تحليلها وتشريحها واذاعة وخائلها مساعداً على ابطالها . اما الجدول فهذا هو

مشترى اوراق يانصيب

غرش	التاريخ	
٩	في ١٩ سبتمبر سنة ٠٠٠	
٤	في ٢٠ «	
١	في ٢١ «	
٩	« ٢٢ «	
٩	« ٢٣ «	(ربحت النمرة ٢٨٧٦٩ منصورة مبلغ ٨٠ غرشاً منها غرش للصراف فالباقي ٧٩ غرشاً)
٥	في ٢٥ «	
٩	في ٢٦ «	
٤٦	من ٧٩ فالربح الباقي ٣٣ لغاية ٢٦ سبتمبر	
٧	في ٢٧ «	(ربحت النمرة ٢٤٠٥٢ اسماعيلية مبلغ ٤٠غرشاً منها غرش للصراف فالربح الصافي لغاية ٢٧ سبتمبر ٦٥)
٥٣		
٧ ½	في ٢٨ «	
١١ ½	« ٢٩ «	
١٠ ½	« ٣٠ «	
٨٢ ½		

فالربح الصافي لغاية سبتمبر ½ ٣٥ غرش . وبقيت اشتري في شهر اكتوبر عدداً معلوماً يزيد او ينقص كل يوم فربحت في ٢٦ منهُ نصف « اسلام اسكندرية » والورقة الرابحة ٤٥٥٣ . ولكنني قومت مركزي في آخرهِ فوجدت الخسارة الصافية قد بلغت ١٣٩ غرشاً

وفي ١ نوفمبر عاد الرجاء بعد اليأس فربحت نصف النمرة ٩٣١٨ من يانصيب الاسماعيلية فتوسمت بهذا الطالع خيراً ولكن انقضى نوفمبر وخسارتي ٨١غرشاً تضاف الى١٣٩ فمجموع

الخسارة ٢٢٠ غرشاً · ودام شرائي للاوراق شهر دسمبر بطولهِ وفي آخرهِ صفيت مركزي فاذا الخسارة ٨٥ غرشاً فالخسارة الكلية في نحو ثلاثة اشهر ونصف ٣٠٥ غروش فقط اي بمتوسط جنيه في الشهر · ولو اقتصدت هذا الجنيه لاجتمع عندي في السنة ١٢ جنيهاً · وهذا المبلغ يكفي لتأمين حياتي في احدى شركات التأمين مدة ٢٠ سنة على مبلغ نحو ٣٠٠ جنيه تدفع الى عائلتي اذا متّ قبل انقضاء تلك المدة او تدفع اليَّ اذا بقيت حيًّا · او لو كان قصدي محض البرّ لوهبت الجمعيات الخيرية هذا المبلغ لدفع بعض نفقاتها منهُ فيكون للفقير سهم اوفر من صدقاتها

ولما دخلت السنة الجديدة هجرت الشراء شاكراً الله على ما منحني من قوة الارادة وامتلاك هوى النفس وراثياً لحال من تملكتهُ العادات السيئة ممن حُرم قوة الارادة ولاسيما عادة المقامرة فانها اشد العادات رسوخاً في الطبع لانها تصادف هوًى فيه وتربة صالحة لزكائها لما تقدم من ان الميل الى القمار او اكتساب الرزق بلا تعب ولا عناء ملكة متأصلة في جميع النفوس على السواء» انتهى

والمقامرون كثيرو الخرافات لا يشترون الاوراق اعتسافاً بل يسترشدون بامور كثيرة · فهم يقبلون على الورقة الاخيرة اعتقاداً بانها الرابحة لانها التي رفضها الشارون فلذلك تسمع الباعة ينادون « الورقة الفاضلة — ما فيش غيرها » · يقولون ذلك ترغيباً لانك لو فتشتهم لوجدت غير الورقة التي ينادون عليها ومنهم من لا يشتري الاَّ أنصافاً · ومنهم من يطيل في نقد النمر وفرزها وانتقائها ثم يختار نمراً معينة فلا يشتري ما كان فيهِ صفرٌ او اصفار او لا يشتري ما كان ذا رقمين او ثلاثة لانهُ لما كانت النمر ذوات الارقام الاربعة او الخمسة اكثر عدداً من ذوات الاثنين او الثلاثة فمجال الصدفة فيها اوسع · ومنهم من لا يشتري النمرة التي فيها ارقام متكررة كأن يفضّل مثلاً النمرة ٢٤٣٩٥ على النمرة ٣٣٥٩٩ · على انك لو راجعت النمر التي ربحها مخبري وهي ثلاث في نحو ١٠٠ يوم لوجدت بينها واحدة ذات صفر وثانية ذات رقم متكرر

وتراهم يكثرون الشكوى من عدم الربح · قال لي واحد منهم لقد مضت عليَّ ١٥ سنة وانا اشتري اوراق اليانصيب بغرشين كل يوم فلم اربح سوى مرة واحدة وكان ربحي جائزة صغيرة · ولكني ارى شكواهم في غير محلها لان الجمعية كثيراً ما لا تبيع كل اوراقها فتكون المساهمة الكبرى وبالتالي صاحبة المزية الكبرى والمجال الاوسع في ميدان الصدفة · فشكواهم والحالة هذه غير معقولة · يتمنى حامل ورقة من ٢٠ الفاً مثلاً ان يكون الرابح دون

غيره ممن يحمل اربعاً او خمساً او عشراً او عشرين وليس في هذا التمني من حرج الأ اذا جاوز حدهُ فانقلب شكوى من الخسارة . تراه لو كان خروج ورقته في السحب برشحهُ لامر لا يحبهُ كأن يكون ذلك الامر قرعة عسكرية او قتلاً او نفياً او ما اشبه من الرزايا أكان يشكو اذا لم تخرج نمرتهُ . ولكن الانسان من طبعهِ عاقل فيما يدفع الغرم عنهُ جاهل فيما يجلب الغنم لهُ فلذلك لا يشكو الذي يخرج من المعركة سليماً ويشكو الذي لا يربح في اليانصيب . فيقول الاول مثلاً ان الناجين الف قتل منهم مئة فلا بدع بموجب ناموس الصدفة اذا اكنت انا بين التسع مئة الناجين لا بين المئة المقتولين وحجتهُ هذه صحيحة . ويقول الثاني اني منكود الحظ عاثر الجد والأ لربحت . وقولهُ هذا في غير محلهِ اذ لو طبق على نفسهِ ناموس الصدفة المشار اليهِ ما وجد مجالاً للشكوى بل لوجد ان حامل الورقتين احق بالربح منهُ ضعفين وحامل العشر احق بالربح عشرة اضعاف وهكذا على نسبة التفاوت في الملكية . واذا حقَّت الشكوى فلمن يحمل العدد الاكبر من الاوراق ولا يربح . فقد عرفت رجلاً يملك الني سند من سندات البنك العقاري القديمة اشتراها من نحو ٢٥ سنة ولم يربح الجائزة الكبرى مرة بل ربح احدى الجوائز الصغرى فقط في تلك المدة الطويلة كلها . وعرفت اثنين ربحا الجائزة الكبرى ولم يكن احدهما يملك سوى خمسة سندات والآخر سوى سند واحد . وخُبّرت ثالثاً اشترى ثلاثة سندات مما يباع في قارعة الطريق فربح واحد ٤٠٠٠ جنيه وثان ٤٠ جنيهاً ولمن صاحبنا الثالث لانهُ لم يربح . وترى الواحد منا ممن يملك بضعة سندات تبلغ شكواهُ العنان في آخر كل سحب لانهُ لم يربح فيندب سوء بختهِ ويطيل في عتاب دهرهِ ويكثر من سوء الظن في غير محلهِ

ومما يزيد اللاعب اندفاعاً في لعبهِ ربحهُ من حين الى آخر ورؤيتهُ فلاناً يربح الجائزة الكبرى فيندفع في الشراء على امل ان يربح الجائزة الكبرى ويبالغ في اندفاعهِ وهو مغيظ من عناد دهرهِ وحظهِ كأنهُ يريد مقابلة عنادهما بمثلهِ . ولو عقل وسأل فلاناً الذي رآهُ رابحاً لأعلمهُ ان ربحهُ الكبير ظاهرٌ لا يساوي ما خسرهُ على مرّ الايام

على انني أرى انهُ ان لم يكن من حالة اليانصيب الحاضرة بدٌّ فخير للجمعيات الخيرية ولمشتري اوراقها ولجميع الناس ان تنشر في الصحف اسم رابح الجائزة الكبرى سواء كانت هي او غيرها . فان ذلك انفى للقيل والقال واقطع لألسنة العذال وادعى الى خلوّ البال

نجيب شاهين

داء المفاصل وسببهُ

شاع اسم المكروب حتى بين العامَّة لكنهم تصوروهُ على غير حقيقتهِ فلا يندر ان تسمع الواحد منهم يقول لك انهُ رأى مكروباً اكبر من الفارة وقد يحسب ان دود القطن من المكروبات . وهذا خطأٌ في حقيقتهِ لان المكروب اسم لانواع من الاحياء الصغيرة التي لا ترى بالعين لصغرها وقد لا ترى بالمكرسكوب الذي يكبر صورة الجسم الوفاً من المرات ولكنهُ صواب في دلالتهِ على الاحياء الصغيرة الضارة وان كان اكثر المكروبات نافعاً غير ضار

وقد ثبت الآن ان السبب الاصلي لجانب كبير من الامراض والاوبئة هو انواع خاصة من المكروبات فللطاعون مكروب خاص بهِ وللكولرا مكروب خاص بها وللتيفويد مكروب وللبثرة الخبيثة مكروب ولذات الرئة مكروب وهلمَّ جرًّا . ومن الادواء التي اتَّضح انها ناتجة عن سمٍ مكروبي داء المفاصل او الروماتزم باشكالهِ المختلفة التي تقع في الغالب تحت نوعين نوع حاد يتولد سريعاً ويقضي مدتهُ ويزول في بضعة اسابيع ونوع مزمن يأتي بطيئاً ويدوم اشهراً وسنين . ويدخل في باب الروماتزم الحمَّى الروماتزمية التي تفاجئ المرء بحرارة شديدة فيصيبهُ صداع شديد والم في ظهرهِ ويكثر عرقهُ فوق ما يصيبهُ من الم المفاصل وتورُّمها ويدوم الحال على هذا المنوال اسبوعين الى ثلاثة ثم تزول الحمَّى وسائر الاعراض المرافقة لها ولكنها تترك المصاب متكسّراً كأن عظامهُ دُقَّت في هاون

ولا يظهر ان داء المفاصل من الادواء المعدية ولا رأى الباحثون مكروباً لهُ في مفاصل المصاب بهِ ولا في دمهِ لكنهم اعتقدوا ان لهُ مكروباً مثل غيرهِ ولو لم يروهُ . وهذا هو الواقع غير ان المكروب المسبب لهُ موجود فعلاً لكنهُ لا يفعل مباشرة ولا هو خاصٌ بهِ . واول ما عُرف ذلك في الذين يعتريهم التهاب شديد في مفاصلهم على اثر قرحة زهرية فاذا زالت القرحة زال الالتهاب ايضاً . ثم ظهر ان ثلاثة ارباع الذين يصابون بالتهاب في المفاصل وتورم فيها يكونون قد اصيبوا منذ اسبوع الى ثلاثة بزكام شديد في الراس او بتقرُّح في الحلق او بجرح داخل اينما كان موضعهُ او نحو ذلك من الآفات . فقد يأتي التهاب المفاصل على اثر الزكام او على اثر التهاب اللوزتين او الدفتيريا او ذات الرئة او القرمزية او التيفويد او الدوسنطاريا او التدرن كأنَّ كل آفة من هذه الآفات تعدُّ الجسم للروماتزم . فكيف ينتج عن هذه الآفات المختلفة نتيجة واحدة وهي التهاب المفاصل مع ان لكل آفةٍ منها مكروباً خاصًّا بها

وبعد بحث دقيق وتجارب كثيرة ظهر ان بعض المصابين بداء المفاصل المزمن يكونون مصابين ايضاً بآفة في اسنانهم كخرّاج في اللثة او في مغرز السن او يكون في اللهاة نقطة متقيحة او يخرج من انوفهم مادة منتنة . واذا شقّ مكان القيح ونظف وعولج بزيلات الفساد زال التهاب المفاصل ايضاً . وعليهِ فالميكروب الذي يسبب فساد الجروح و يكوّن القيح في الدمامل والخراجات والبثور هو الذي يسبب التهاب المفاصل فان سمهُ ينفث في الدم فيجري معهُ الى المفاصل ويتجمع فيها فتلتهب . وقد مضى الآن ست سنوات على هذا الاكتشاف وكلما رأى الاطباء مصاباً بالروماتزم المفصلي فتشوا عن بؤرة في جسمهِ يجدون فيها قيحاً فيزيلونهُ وقد وجدوا بؤر القيح هذه في ثلاثة ارباع الذين فحصوهم وكان الروماتزم يزول او يخف بازالة سببهِ . واكثر هذه البؤر يكون في الفم والانف والحلق . ولعلّ الذي يكون منها في مغارز الاسنان اكثر شيوعاً من غيرهِ . اي ان داء المفاصل حادث في الغالب من آفة في الاسنان من خراج صغير فيهِ مادة . فاذا بقي الخراج مقفلاً انصبت مدتهُ وبعض مكروباتها في الدم وجرت معهُ الى المفاصل وهناك تجد ما يعوقها عن الجريان فتقف وتتأثر المفاصل بها فتلتهب كأنها تحاول محاربتها لقتالها والحرب لا تقوم الاَّ بعمل شاق تعملهُ خلايا الجسم فتتولد منهُ حرارة شديدة . فاذا شقّ الخراج حتى نزفت المدة منهُ زال ضررهُ هذا

والآن صار الاطباء يبادرون الى فحص الفم والانف والحلق كلما رأوا احداً مصاباً بالروماتزم واستنبطوا مصابيح كهربائية صغيرة جدًّا يدخلونها في ادق التجاويف ويفحصونها بنورها وقد يدخلون معها مرايا صغيرة تنعكس عنها صورة الخراج اذا تعذّر على العين رؤيتها مباشرةً . وقد تكون المدة داخل العظام فترى باشعة رنتجن اي بتصوير الجسم كلهِ من جهات مختلفة بهذه الاشعة فيرى بها مكان القيح داخل الجسم او داخل العظام

والخراجات والقُرَح التي تسبب داء المفاصل لا تنحصر في الفم والانف والحلق بل قد تكون في المعدة والامعاء وفي كل مكان في الجسم يدخلهُ مكروب الفساد ويعيش فيهِ . ويقال ان نظافة اليدين والوجه والبدن كلهِ تأول الى تقليل مكروبات الفساد التي تدخل الجسم او تلصق بهِ وبالتالي الى تقليل داء المفاصل

اما نحن فنرجح انهُ لو بحث الاطباء بحثاً استقرائيًّا مدققاً لوجدوا ان داء المفاصل اكثر انتشاراً بين الذي يكثر اعتنادهم على النظافة ويقلّ تعرّضهم للجروح والبثور منهُ بين الذين لا ينظفون وجوههم ولا ايديهم ولا ابدانهم يمشون حفاةً بين الاشواك والادغال ويخرطون القتاد باكفهم ولو تجرحت اصابعهم وقلما تخلو ابدانهم من الخراجات والبثور واذا خلت واحسوا

بضعف فكثيراً ما يلجأون الى الكي أو الخلال لكي يكون في اجسامهم بثرة صناعية تنزّ قيحاً ٠ وهم يداوون مواشيهم بالخلال كلما انسوا منها تشبكاً في مفاصلها ٠ فاما ان الخراج المفتوح ينفع ولا يضرّ او ان خلايا الدم السليم تتغلب على كل مكروبات الفساد و تميتها معاً كانت

حيل المتمارضين

يتذرّع كثيرون من المرضى بمرضهم للكسب وتحصيل الرزق ٠ وقد يكون مرضهم عاديًّا لا يخشى عليهم منهُ ولكنهم يتظاهرون باشتداد وطأتهِ عليهم ٠ او يكون نوباً تعتريهم في اوقات متباعدة فيقربون ما بينها استدراراً لاكف البرّ ٠ عرفنا رجلاً اجنبيًّا في هذه العاصمة أُصيب منذ ٢٠ سنة وهو شابّ بشيء من الشلل تركهُ في ارتجاف اشبه بالمرآة في يد الاشلّ ٠ فاستأجر غلاماً يتوكأ عليهِ وجعل يدور على القهوات والمجتمعات العامة يستعطي فلا يكاد مسئول يردهُ لان هيئتهُ كانت تستنزل الشفقة من اجنى القلوب واجفاها وتستخرج الزئبق من كف البخيل ٠ وهو لا يزال الى الآن على العهد القديم يدور على القهوات ولكن الناس سئموهُ بل منهم من تحدثهُ النفس بصفعهِ ولعنهِ اعتقاداً بانهُ اصبح غنيًّا عن السؤَال لما اجتمع عندهُ من المال وبأنّ ما يبدو عليهِ الآن من الاهتزاز والاضطراب انما هو مصطنع كاذب

ورأينا فتى قد انطرح على باب كنيسة والناس خارجون من الصلاة وجعل يرغي ويزبد ويتشنج تشنج المصروعين ثم انتهت نوبتهُ باسرع مما تنتهي نوبة المصروع عادة فجعل الناس ينفحونهُ بما جادت بهِ نفوسهم ٠ وقد عرفنا فيما بعد انهُ مصاب بالصرع حقيقة ولكنهُ كثيراً ما يتظاهر بهِ في مثل الحادثة المتقدمة تكدّياً ويقصّر النوبة عمداً فلا يفوتهُ احسان المحسنين

وما يقال عن الناس عامة يقال عن الجنود خاصة فان منهم من يتمارض حتى في زمان السلم هرباً من الخدمة العسكرية ٠ وقد بلغ خوف الخدمة العسكرية من بعض الناس في بعض البلاد ان كان الواحد منهم يفقأ احدي عينيهِ او يقطع سبّابة يمناهُ تخلصاً من الخدمة ٠ ومنهم من يتظاهر بالطرش ولكن يكشف امرهُ بيلادتهِ وذكاء ضابطهِ ٠ فقد زعموا ان جنديًّا ادعى الطرش فاطلقوا وراءهُ بندقية فلم يهتزّ للصوت ولا ظهرت عليهِ علامة ما تدلّ على انهُ سمعهُ فلما رأى الضابط المنوط بتجربتهِ ذلك منهُ امرهُ بصوت منخفض ان ينصرف

وما كاد يهمّ بالانصراف حتى قبض عليهِ واستيق الى الخدمة مكرهاً وأفصح فيما بعد ان ليس بهِ طرش البتة. وادعى آخر شلل احد ساعديهِ بحادث جرى لهُ فسأَلهُ الضابط الى ايّ حدّ كنت تستطيع رفع ساعدك قبل هذا الحادث فرفعهُ على غير انتباه وافتضح امرهُ

ومن اكثر الحيل شيوعاً بين الجند للفرار من الخدمة العسكرية فرك اللسان ببعض المواد فيتكون على سطحهِ فروة اشبه بفروة لسان المريض . ومنها دقّ مرفق اليد بالجدار فيسرع النبض

فهذه الحيل والوسائل وامثالها قد لا تجرّ ضرراً في زمان السلم فلذلك يمدُّون عنها في بعض الجيوش ولا يأْخذون صاحبها بالشدة خلافاً للبعض الآخر . اما في زمان الحرب فلا تجد من يتساهل فيها و يغضي عن صاحبها بل الكلُّ يعاملونهُ بالشدة و ينزلون بهِ شديد العقاب

ولا ريب ان الباعث الاول الذي يحمل الجنديّ على طلب الفرار من الخدمة العسكرية انما هو الجبن الصرف وخوف التلف. على ان بين الجنود قوماً شديدي الاحساس ذوي امزجة عصبية سريعة الانفعال او في عقولهم شذوذ تجعلهم يظنون ان الوسائل التي يستخدمونها لتشويه هيئتهم وتخريب صحتهم اهون مراساً من عيشة الخنادق والاستهداف لنار الاعداء . ومعما يكن من ذلك كلهِ فان مجموع الذين يلجأُون الى الخداع نفوراً من الخدمة العسكرية لا يزيد على عشرات في الملايين الاَّ اذا كان الغرض حمل الجنود على محاربة الذين يأْبون محاربتهم

ولا بأْس هنا بوصف بعض الطرق التي استخدمها الجنود في حروبهم المختلفة لتقليد الامراض المختلفة. ففي الجيش الفرنسوي قلّد جنود بعض الاورط الافريقية مرض اليرقان فكانوا يضعون شيئاً من الحامض البكريك في ورقة سيجارة لا يزيد على ٢٠ سنتجراماً ويبتلعون الورقة فتصفرّ وجوههم اصفرار وجه المصاب باليرقان و يعتريهم اسهال وصداع وقيء ويبطئ نبضهم . ولكنهم لا يصابون بالاعراض التي يصاب بها المريض باليرقان حقيقة اخصها الحكّ والأكلان . ثم ان فحص البول لا يترك مجالاً للشبهة البتة

ومنهم من قلّد الدمامل بحقن الجلد بالتربنتين او الغازولين . فمن احسن التقليد نجا من الخدمة ومن لم يحسنهُ افضى الحقن بهِ الى مضاعفات اضطرت الى بتر العضو المحقون . وكان الجرّاحون يهتدون الى اكتشاف الخداع بامور عديدة منها مركز الدمّل فان الجندي كان يختار حقن الجلد فوق الركبة على الدوام فتظهر عليها دمامل مصحوبة بحمّى والتهاب والم وهي الاعراض الرئيسة ولكن الالم كان يكون على الغالب اقلّ من المعتاد وكثيراً ما كان

معدوماً · ومن الامور التي كان الجراحون يفرقون بها بين الدمامل الصحيحة والدمامل الكاذبة عدم التهاب العقد العصبية في الكاذبة وخروج مُدَّة كثيرة عند وخز الدمامل بالمبضع تختلف عن مدّة الدمامل الحقيقية في احتوائها على نسيج ميت بالغنغرينا وفي خلوّها من المكروبات وفي رائحة المدة عند استخراجها وهي رائحة السائل الذي حقن الجلد بهِ

ومنهم من قلّد الحمرة بان فرك وجههُ وعنقهُ ببعض المواد الحرّيفة التي تسبب بثوراً ونفاطاً في الجلد تلوح كأَثر الحمرة وقد يخدع بها الطبيب لاول نظرة ولكن الفحص يكشف الحقيقة

ومنهم من قلّد مرض بريط بادخال الزلال الى المثانة · والتهاب الغدة النكفية بتهييج قناة الاذن ولكن الذين فعلوا ذلك قلال لصعوبتهِ وسهولة غيرهِ بالنسبة اليهِ

ويدخل في حيل المتمارضين حيل المتباكين فان الصغار اذا ساءهم امر او اهينوا اهانة طفيفة لم تثر ثائر دمعهم لصغرها عمدوا الى التظاهر بغير ذلك لتجسيم الاهانة فاستعانوا بريقهم لتبليل مجرى دموعهم اذا خانتهم الدموع · ومن الناس من يعصيهِ الدمع في بكاء الميت ومشاركة الباكين فيحدق في الاشياء التي امامهُ وهذا التحديق يهيج العينين فتغرورقان بالدمع · ولكن الناس عرفوا كيف يفرقون بين الباكي والمتباكي من قديم الزمان فقال الشاعر العربي

اذا اشتبهت دموع في عيون   تبيَّن من بكى ممن تباكى

ويقال ان بعض عرب البادية يذرّون الفلفل او ما اشبههُ من المواد الحرّيفة في عيون الجياد اذا مات فارسها وكان عميد قومهِ ويدورون بها حول نعشهِ فتدمع عيونها وتلوح كأنها تبكي عليهِ وما بها بكاء · على انهم لولم يذروا الفلفل في عيونها لما استبعد عليها ان تبكي من نفسها اذ الانسان ليس وحدهُ الحيوان الباكي ولا هو وحدهُ الحيوان الضاحك كما زعم اهل المنطق

ومن هذا القبيل حيل صبية المدارس للتخلص من دروسهم فانهُ لما كانت المدارس كابوس احلامهم وغول يقظتهم في الدور الذي يكون فيهِ اللعب واللهو غاية غاياتهم فلا بدع اذا استنبطوا غرائب الحيل فراراً من الدرس ولو كان في تلك الحيل ضرر بهم · فقد عرفنا صغاراً يجعلون حليب التين قبل نضجهِ في عيونهم فتلتهب اجفانها ويغيبون عن المدرسة وبذلك تقضي لبانتهم ولو كان في قضائها الالم المبرّح لهم · ورأينا اولاداً يرضضون احد اعضائهم او يضيعون عمداً احذيتهم او كتبهم لكي يغيبوا من المدرسة ولو يوماً او بعض يوم حسبان انها سجن لهم وهم لم يجنوا اثماً يستحق السجن

اشتداد الضيق بالمانيا

(بقلم مكاتب المقطم الحربي)

جاء في بلاغ رسمي فرنسوي ان قوات العدو كانت في اول دسمبر الماضي موزعة في الميادين الاوربية كما يأتي

الميدان الغربي	١٢٣	فرقة
الميدان الروسي	١٠٦	فرق
الميدان الروماني	٠٢٩	فرقة
ميدان مكدونية	٠١٢	فرقة
الميدان الايطالي	٠٣٢	فرقة
المجموع	٣٠٢	فرقتان

وهذه الفرق موءلفة من ٢٠٢ من الفرق الالمانية و ٨٠ فرقة نمسوية و ١٢ فرقة بلغارية وثماني فرق عثمانية . ويقدر ان للعدو في ميادين القتال في اسيا وافريقية ٣٥ فرقة عثمانية ناقصة عن العدد المقرر . وهذه الارقام ذات شأن لانها توءيد ما سبقنا فارتأيناهُ من ان اعداءنا استنفدوا وسعهم كلهُ ولم يبقَ في طاقتهم تأليف قوات او وحدات جديدة

وكان القتال في اول دسمبر الماضي محتدماً في الميدان الروماني وميدان مكدونية فقط ومع ذلك قرَّ قرار الاعداء على التجنيد العام في المانيا وتأليف جيش بولندي وشرعوا في نقل الاهالي غير المحاربين من الاملاك التي هم محتلون لها الى المانيا لتسخيرهم في الاعمال الحربية . و يستنتج من ذلك ان هندنبرج الذي اشتهر بهجماتهِ بقوات مرصوصة وضع في بوتقة الحرب كل ما تيسر لهُ من الموارد . وهو اذا كان قد استعار بعض الفرق العثمانية ليحارب بها في الميادين الاوربية فما ذلك الاَّ لانهُ لم يبقَ لديهِ احتياطي عام يعتمد عليهِ رغم ما تبجح بهِ امبراطور المانيا من ان عندهُ دائماً ٣٠ فرقة من الاحتياطي يسيرها اينما شاء و يقذفها حيثما يريد . ولكن الايام نقضت دعواهُ مرة اخرى لانهُ لو كان عندهُ ثلاثون فرقة احتياطية كما زعم وسيرها على رومانيا لاسفر ظهورها في الميدان الروماني عن نتيجة عظيمة الشأن جدًّا

وطغا تيارها على الرومانيين فجرفهم جرفاً . ولكن بدلاً من ذلك رأينا ان الالمان لم يتمكنوا الاّ من ارسال احدى عشرة فرقة جمعوها بشق النفس من جيوشهم في سائر الميادين . وهذا الامر يدعونا الى الايقان بان الحرب الرومانية استنزفت آخر ما كان عند الالمان من الاحتياطي الحربي اللازم لخطط القيادة

وقد بدئ بتنفيذ قانون التجنيد العام في المانيا في اول نوفمبر الماضي وبات الشبان الالمان الذين في سن السابعة عشرة والثامنة عشرة في آخر دور من ادوار التدريب العسكري في حين ان الشبان الذين هم في هذه السن في بلدان الحلفاء لا يزالون في الدور الاول منهُ . وذلك لانهُ شرع في تمرين الشبان الالمان على الحركات العسكرية منذ سنة ١٩١٤ وهم لا يزالون في المدارس ومتى ارسلوا الى القشلاقات لم يبقَ لاتمام تدريبهم سوى الحاقهم بالوحدات النظامية ولكن صبرهم على احتمال مشاق الحرب اذا قذفوا الى اتونها بهذه السرعة العظيمة مشكوك فيهِ ولما كان للحلفاء رجال اكثر من هؤلاء الشبان عدداً واشدمنهم فسرعة تدريبهم ذات شأن من الوجهة النسبية فقط . ومهما يكن من الامر فانهُ ليس للالمان رجال جدد يعتمدون عليهم في خوض غمار الحرب هذا العام سوى هؤلاء الشبان وهم غير كافين للغرض ولا وافين بالمرام كما بيّن ذلك مكاتب لجريدة « التيد » الهولندية من كولون في رسالة نشرتها هذه الجريدة في ١٤ نوفمبر الماضي وقال فيها ما يلي

« ظهر في الوقت الذي يستمر فيهِ الدفاع عن خطوط يزيد طولها زيادة مطردة خطر جديد ربما كان اشد الاخطار شأناً وهو اولاً نقص الرجال وثانياً عدم كفاية المصنوع من المهمات الحربية . ومع ان الالمان تنبهوا الى مسألة المهمات ووفوها حقها بانشاء مصانع حربية كبيرة وتحويل الصناعة التجارية الى صناعة حربية فان المصنوع من هذه المهمات بعد هذه الزيادة لم يفِ بالحاجة منذ ابتدأت معارك السوم . اما من جهة الطيران فان الحلفاء سيّروا علينا جيوشاً عظيمة جداً من الطيارين ونحن مضطرون الى مقابلتهم بالمثل فاذا تمّ ذلك دارت في الجو حروب لم تخطر على بال احد حتى في المنام . ثم ان سد النقص في صفوف الجيش يقتضي مئات الالوف من الجنود الجدد ولذلك حاولنا تسليح البولنديين وتجنيد البلجيكيين غير ان محاولتنا هذه لم تسفر عن نتيجة تحقق الآمال التي عقدناها عليها فالشعب الالماني يفضل عقد الصلح اليوم على عقدهِ غداً » . اما سائر ما ورد في رسالة هذا المكاتب فذرٌ للرماد في العيون وضروب من التهديد والوعيد لا طائل تحتها

فاعتراف هذا المكاتب يدل على انهُ كان مطلعاً على حقيقة الحال عالماً بها لما باح بما تقدم في ١٤ نوفمبر الماضي وقد جاء طلب المانيا للصلح الآن مزكياً لقولهِ ومؤيداً لهُ ولكن هيئة اركان الحرب الالمانية العامة توهمت في تلك الاثناء انها مزقت شمل رومانيا واخمدت انفاسها فاصدرت مذكرتها المشهورة بان الحلفاء لم يستطيعوا تغيير الحال وان يستطيعوهُ بدليل انهم لم يتقدموا في ميدان من ميادين القتال بل بالعكس اكرهوا على التقهقر في رومانيا. غير ان هيئة اركان الحرب التي قالت هذا القول تعض اصابعها ندماً الآن على اندفاعها الى اقصى انحاء اوربا لتزيد خطوط قتالها طولاً واتساعاً . ودوائر المانيا الرسمية تركب متن الخطأ والشطط باستخدامها مثل هذه القصص والاحاديث التي يرتد شرها اليها و يعود بالضرر عليها حتى بين قومها فان النتائج التي احرزها الحلفاء في اسيا وافر يقية لا يخفى عنها ولا بد من ادخالها في الحساب لانها مدركة محسوسة و يكفي للدلالة على شأنها انها انزلت الراية الالمانية في هاتين القارتين وسلبت المانيا كل ما كان لها فيهما من المستعمرات علاوة على ان نطاق الحصر لا يزال مضروباً على اعدائنا في البر والبحر كما كان في اول الامر . وتضييقنا الخناق عليهم على هذا الوجه كاف وحدهُ لاذلالهم . ثم ان تقدم الروس والفرنسويين والبريطانيين والايطاليين في ميادينهم المختلفة وفي ميدان مكدونية ايضاً دلَّ مع انهُ لم يأْت بنتائج فاصلة على ان الحلفاء كانوا يكسرون العدو في كل مكان يهاجمونهُ فيهِ مهاجمة شديدة من غير ان يعكس الامر

اما الخطأ الاكبر في الاكاذيب الالمانية فهو تشبثهم بقولهم ان الواجب على الحلفاء ان يتقدموا في ميادين القتال حتى يقهروهم ولكن قولهم هذا بعيد عن الحقيقة بل هو مثبت لحجتنا بدليل طلبهم للصلح في ١٢ دسمبر الماضي لما لم يكونوا قد عرفوا بالتجربة والاختبار ان مشروع التجنيد العام سيفشل . ولا نظن ان احداً من الناس يصدق ان الالمان الذين مهروا في التوحش واقتراف الفظائع وحذقوها يطلبون الصلح بدلاً من ان يكرهوا اعداءهم على قبولهِ بالشروط التي يشترطونها عليهم لو لم يكونوا قد شعروا بانهم منكسرون . واذا راجعنا سير الحرب في ذلك التاريخ (١٢ دسمبر) لم نرَ انهُ حدث فيهِ حادث حربي ذو شأن عظيم ولا نال احد الفريقين المتحاربين الفصل في حرب رومانيا الاَّ اذا كان قد ثبت للعدو حينئذٍ انهُ حرم الانتفاع من موارد الحبوب والزيت في ولاخيا اما فيما سوى ذلك فانهُ لم يكن يظهر من الخارج ما يدل على ان المانيا في حالة يأْس شديدة كهذه

ومع انهُ لا يزال في وسع المانيا ان تضرب ضربات شديدة فالواضح انها في حاجة الى الصلح لانها تعلم ان التجنيد العام لا ينجيها من النكبة التي ستحل بها اخيراً علاوة على ان المجاعة صارت على ابواب بلادها

واول الاسباب التي ستؤدي الى سقوط المانيا وانكسارها هو حاجتها الى الرجال . فقد ابان « جورنال دز كونوميست » في عددهِ الذي صدر في شهر مارس سنة ١٩١٥ من المستندات والاحصاءات الالمانية ان المانيا نفسها قدَّرت في اول شهر دسمبر سنة ١٩١٤ عدد الرجال في بلادها باربعة عشر مليونًا و ٧٣٥٢٦ رجلاً بين سن الثامنة عشرة والخامسة والاربعين وهذا العدد يشمل جميع السكان الذكور بين هاتين السنتين يطرح منهُ الاعداد المبينة فيما يلي وهي

اولاً الرجال الذين رفضتهم المجالس الطبية قبل تجنيدهم وعددهم ١٤٣ ٩٨٥ (1)

ثانيًا الخسارة في الرجال الذين لم يعودوا اكفاء للحرب بين سن الثامنة عشرة والخامسة والاربعين بسبب الامراض وما أُصيبوا بهِ من الاصابات قضاء وقدراً الى غير ذلك من الاسباب وهذه الخسارة تبلغ ثلاثة ملايين و ٨٧١ ٥٥٧ رجلاً يضاف اليهم الذين رفضوا من الخدمة طبيًّا كما تقدم وعددهم ١٤٣ ٩٨٥ رجلاً فيكون المجموع كلهُ اربعة ملايين و ٠١٤ ٥٤٣ رجلاً

فيظهر مما تقدم انهُ كان عند المانيا في شهر دسمبر سنة ١٩١٤ للصفوف او الاسنان الثماني والعشرين التي تشتمل عليها الخدمة العسكرية اربعة عشر مليونًا و ٧٣٥٢٦ رجلاً يطرح منهم المرفوضون طبيًّا والخسارة بالامراض والاصابات ومجموعهم اربعة ملايين و٠١٤ ٥٤٣ كما تقدم فيكون الباقي تسعة ملايين و٥٣٠ الف رجل بين الثامنة عشرة والخمسة والاربعين يصلحون لحمل السلاح . يضاف اليهم الصف الذي بلغ سن الثامنة عشرة في شهر دسمبر سنة ١٩١٥ و يقدر عددهُ بنحو ٧٠٠ ٦١١ رجل فيكون المجموع عشرة ملايين و ١٤٣ الف رجل . وهذا كل من كان عند المانيا من الرجال لما صدر الامر بالتجنيد العام في اول شهر نوفمبر الماضي ولكن الحكومة الالمانية تعترف بان خسارة جيوشها المحاربة بلغت حتى ٣١

(1) وقد اعيد فحص هؤلاء المرفوضين طبيًّا ثلاث مرات وكان يؤخذ منهم جنود للخدمة في كل مرة . ويصعب تقدير عددهم بالدقة والضبط ولكن لا ريب في انهم لا يصلحون للخدمة في ساحات القتال بوجه من الوجوه

أكتوبر الماضي ثلاثة ملايين و ٩٤٢ الف جندي اي ان اعظم قوة بلغها الجيش الالماني في ذلك التاريخ كان عشرة ملايين و ١٤٢ الف جندي يطرح منهم الخسارة في ساحات الحرب بحسب القوائم الالمانية الرسمية وقدرها ثلاثة ملايين و ٩٤٢ الف جندي فيكون الباقي ستة ملايين ومئتي الف جندي. ولكن لا يعقل ان جميع هذا العدد من الرجال الصالحين للخدمة العسكرية هو تحت السلاح لانهُ لو كان الامر كذلك لبطلت الاعمال في بلاد المانيا

هذا فيما يتعلق بقوة المانيا قبل التجنيد العام ولنبحث الآن في النتائج المباشرة التي يمكن ان يسفر هذا التجنيد عنها من زيادة قوة المانيا فانهُ قد يزيدها الى ٤٤ صفًّا منهم صفان من الفتيان احدهما من سن السابعة عشرة والآخر من سن الثامنة عشرة وثلاثة عشر صفًّا فوق سن الخامسة والاربعين وهؤلاء لا يصلحون الأ لخطوط المواصلات والحاميات

واذا حسبنا الخسارة في هذه الصفوف رأينا ان عدد الصفوف التسعة التي بين سن الخامسة والاربعين والرابعة والخمسين لم يكن في اول دسمبر الماضي بحسب تقدير المصادر الالمانية نفسها اكثر من ٦٧٨ الف رجل وان عدد الصفوف الستة الاخيرة لا يزيد على ٤٥٠ الفًا وان عدد الصفين من الشبان الذين في سن السابعة عشرة والثامنة عشرة (صفي سنتي ١٩١٨ و ١٩١٩) لا يزيد على مليون على الاكثر لان جانبًا كبيرًا من رجال هذين الصفين الحديثي السن يرفضون لضعف بنيتهم فيكون مجموع الرجال الصالحين للخدمة العسكرية في المانيا بين سن السابعة عشرة والستين في اول دسمبر الماضي كما يأتي

٦٢٠٠٠٠٠	الباقون من الجيوش المحاربة حتى اول نوفمبر
٠٦٨٠٠٠٠	الرجال الذين بين سن ٤٦ و ٥٤
٠٤٥٠٠٠٠	« « « « ٥٥ و ٦٠
١٠٠٠٠٠٠	الشبان الذين في سن ١٧ و ١٨
٨٣٣٠٠٠٠	المجموع

فاذا سلمنا جدلاً بان في الميادين الالمانية اقل عدد ممكن من الجنود المحاربين وهو ثلاثة ملايين جندي فقط بقي من الملايين الثمانية المذكورة آنفًا خمسة ملايين و ٣٣٠ الف جندي نطرح منهم الاعداد التالية وهي

١٥٠٠٠٠ بحارة الاسطول
١٥٠٠٠٠ حاميات الحصون وحراس الاسرى
٢٥٠٠٠٠ حاميات خطوط المواصلات والاراضي المحتلة
١٥٠٠٠٠٠ الاسلحة الملحقة بالجيوش في خط قتال طوله اكثر من الفي كيلو متر
٤٠٠٠٠٠ للمصالح العمومية (مثل سكة الحديد والتلفون والجمارك والبوليس وسواها)
١٠٠٠٠٠٠ العمال في مصانع السلاح والذخيرة
٣٠٠٠٠٠ خسارة الرجال في شهري نوفمبر ودسمبر

٣٧٥٠٠٠٠ المجموع

فاذا طرح هذا المجموع من الاحتياطي الالماني الاخير وهو خمسة ملايين و٣٣٠ الف جندي بقي منهُ مليون و٥٨٠ الفاً بين سن السابعة عشرة والستين وهو آخر ما يكون باقياً عند المانيا من الاحتياطي العام في الرجال الى اول هذا العام

وسيعمد الى هذا الاحتياطي ابتداء من العام الحالي لسد النقص الذي يقع في صفوف الجيوش المحاربة بمتوسط ١٥٠ الفاً في الشهر وتشغيلهِ في المرافق الضرورية للحياة العمومية كالادارة والتجارة والصناعة والزراعة وسواها وهي امور لا يستطيع الجرحى وغير الصالحين للخدمة العسكرية القيام بها وحدهم من غير مساعدة

ومما تجب الاشارة اليهِ ايضاً ان في المليون ونصف المليون من الرجال الذين يؤلفون آخر احتياطي عند المانيا جانباً كبيراً من الذين جازوا الخامسة والاربعين وهؤلاء لا يصلحون للقتال في ساحات الحرب طبعاً

وقد ظهر في هذا العام ان المانيا لم تستطع زرع ما في بلادها من الاراضي حتى باستخدامها اسرى الحرب وهذا يحدو بنا الى الامل بان الجوع ولاسيما الحاجة الى الرجال سينيلاننا النصر قبل حلول فصل الحصاد القادم ٠ ولذلك نكرر هنا ما سبقنا فذكرناهُ غير مرة وهو « ان الواجب على الحلفاء ان يشمروا عن ساعد الجدّ والاجتهاد ويعجلوا في القضاء على هذا المتوسط من الالمان في الشهر ويضيقوا نطاق الحصر عليهم ويزيدوهُ شدة واحكاماً »

ففي ما تقدم بيان موجز للاسباب التي تحمل المانيا على الرغبة في الصلح وتفصيل للاسلوب الذي يرجح فيهِ الحلفاء الحرب حتى لو لم يتقدموا في ميادين القتال علاوة على ان لدى الحلفاء وسائل أُخرى تقرب أجل النصر وتدنيهِ منهم ترجمت في ادارة المقطم

مصر منذ اربعمائة سنة

(عثرت بعد البحث والتنقيب الدقيق على رحلات قديمة لبعض السياح الافرنج الذين زاروا مصر في القرون المتوسطة وكتبوا عنها الاسفار المطولة مما لم يرد ذكر كثير من اخبارهِ في كتب مؤرخي العرب . فآثرت نشر خلاصة هذه الرحلات في هـذه المقالة الاولى . ثم اتبعها باهم ما كتب السياح عن مصر واحكامها وسلاطينها وغرائبها وتجارتها وما جرى فيها من الحوادث والاتفاقات والمعاهدات بين سلاطين مصر وملوك الافرنج وعن قناصلهم وسفرائهم ومعاهداتهم السياسية والتجارية مما لم يُنشر في الكتب العربية)

***

توترت العلاقات السلمية بين مصر وبلاد الافرنج منذ القرن الثالث عشر بعد ان تغلب توران شاه على الملك لويس التاسع في المنصورة واخذهُ اسيراً ثم قام خلفاؤهُ من بعدهِ السلطان بيبرس والملك المنصور قلاوون والملك الاشرف خليل سنة ١٢٩٠ وطردوا الصليبيين من كل البلاد السورية حتى ان الملك الناصر محمداً طرد كل التجار الافرنج وقناصلهم من سورية ومصر سنة ١٣٤٠ . فانقطعت العلائق بين مصر واوربا انقطاعاً تامًّا ولم يعد احد من الافرنج يجرأ على المجيء الى مصر للتجارة او فلسطين لزيارة الاماكن المقدسة فيها . الأَّ انهُ من حين الى آخر كان ينسلُّ بعض الافرنج خفية طمعاً في الاتجار او رغبة في السياحة والاستطلاع

وقد دخل الى مصر من السياح الافرنج بين اواسط القرن الرابع عشر والقرن السابع عشر نحو تسعين سائحاً واكثرهم فرنسويون وايطاليون وبنادقة واسبانيون وجنويون وجرمان وكلهم كتبوا رحلاتهم في اسفار مطولة او موجزة محفوظة في مكاتب اوربا وذكروا فيها عن احوال مصر واحكامها وملوكها وتجارتها وعوائد اهلها وعن حوادث خصوصية جرت فيها في هذه القرون المتأخرة ما لم يكتبهُ احد من مؤرخي العرب . وسنأتي هنا على اهمّ السياحات واشهرها

(١) اشهر الرحلات القديمة

في اواسط القرن الرابع عشر حضر الى مصر ثلاثة سياح ورحلاتهم لها المنزلة الاولى عند المؤرخين اولها رحلة سائح الماني يدعى اوتّو نيانهوسن مشهور باسم غليوم بلودانسل من النبلاء زار جبل سيناء ومصر واقام فيها بضعة اشهر وذكر آثارها ومتاجرها واحكامها

وفنادقها (١) وقال ان اكثر هذه الفنادق من السرايات القديمة المرصوفة بالمرمر والنقوش الجميلة والفسيفساء البديعة · وقال ان التجار الافرنج يبتاعون في مصر الحجارة الثمينة كاللؤلؤ والياقوت وخشب الابنوس والصندل والعاج وعطر البلسم والبلسان والبهارات التي ترد من الهند ويرسلونها الى اسواق اوربا عن طريق البندقية (فينيسيا) · وقال ايضاً ان المماليك الذين في خدمة السلطان بالقلعة والمتفرقين في البلاد يبلغ عددهم ستة آلاف مملوك · وقد تمكن هذا السائح الالماني بدهائهِ من مقابلة السلطان الناصر محمد بن قلاوون سنة ١٣٣٢ مقابلة خصوصية · فسألهُ السلطان عن احوال ممالك الافرنج وقواتهم الحربية واحكامهم القضائية وتجارتهم وانتقد عوائدهم وعدم وفائهم بالعهود والذمم انتقاداً مرّاً · واوضح لهُ ايضاً انهُ ارسل بعض التجار على نفقتهِ الى اوربا وشحن معهم كثيراً من اصناف التجارة من حجارة ثمينة ومسك وبلسم وعنبر وعطر وبهارات وامرهم ان يطوفوا في اسواق البلاد ويدققوا في البحث سرّاً عن احوال ممالك اوربا · وعند رجوعهم ذكروا لهُ كل ما رأوهُ وعلموا بهِ من اختلافاتهم السياسية والدينية الخ . وقال هذا السائح ان عند السلطان الناصر اربع تراجمة يتكلمون جيداً باللغات الاوربية حتى ان السلطان نفسهُ يحسن التكلم باللغة الفرنسوية · واما كتب هذا السائح واسفارهُ فطبعت في ثلاثة مجلدات سنة ١٥٢٩ بالمانيا

وبعد عشر سنين حضر سائح الماني اخر من كولونيا يدعى الشفالير رودلف فرامنسبرج ولم تكن سياحتهُ التي كتبها بذات اهمية · ثم حضر سائح ايطالي يدعى نيكولو داكورميزو وزار مصر وغزة وجبل سيناء وبلاد فلسطين · وكتب عن دمياط ورشيد وتجارتها كتابات مطولة لا تخلو من الاهمية والفائدة

وفي سنة ١٣٨٤ حضر الى مصر ستة سياح وكلهم ايطاليون من فلورنسا الا ان اشهرهم فرسكوبالدي وجيورجيو غوشي ومسيكولي ورحلاتهم يعتمد عليها لاهميتها التاريخيـة والجغرافية · فوصف فرسكوبالدي ما عاناهُ مع رفقائهِ من المضايقة عند وصولهم الى الاسكندرية اذ لم يسمح لهم نائب السلطان ان ينزلوا الى البر فتداخل قنصل فرنسا في حمايتهم وكان يصحبهم بعض التجار البنادقة والزوار فاخذت بضائعهم الى المكس وبعد الثمين دفعوا عنها عشرة بالمائة عيناً · وحسبت النقود الذهبية والفضية التي في حقائبهم وجيوبهم واخذ منها اثنان في المائة · وقال ان قنصل فرنسا في الاسكندرية يحسن التكلم باللغة العربية وانهُ

(١) اطلق الافرنج في القرون المتوسطة كلمة « الفندق » على وكالات تجارهم وبيوت قناصلهم وسفرائهم ومنازل اضيافهم واجتماعاتهم وعلى بيوت تراجمة السلاطين لقبول الزوار من الافرنج

محبوب من الحاكم ومتزوج بفتاة قبطية · وان سبب تضييق المصريين على الاجانب ما فعلهُ ملك قبرص بطرس دي لوزنيان فانهُ هجم بمراكبهِ على ميناء الاسكندرية ونهب بعض المراكب المصرية · فغضب السلطان وامر بالقبض على كل الافرنج في الاسكندرية ودمياط وحجز ممتلكاتهم · ومن ذلك الوقت امر بتحصين الميناء والطوابي · وانهُ يبلغ تعداد اهالي الاسكندرية نحو ستين الفاً اكثرهم مسلمون و بينهم عدد ليس بقليل من اليهود والمسيحيين الوطنيين · وان نائب السلطان برقوق يقطن في قصر نخم وتحت امرهِ كثيرون من الجنود الترك والتتر والسوريين · ووصف مقابلة هؤلاء السياح والتجار والزوار للحاكم المذكور بواسطة قنصل فرنسا فقال :

« دخلنا البهو العظيم وهو مفروش بالسجاجيد الفاخرة فخلعنا احذيتنا كما أُمرنا ودخلنا حفاةً · وكان الحاكم متربعاً في صدر المكان على « طراحةٍ » عالية حولها المساند وكلها من الدمقس المنسوج بالذهب وبين يديهِ جمع من الضباط والقواد والمماليك بالثياب المزركشة · وكانت جدران البهو محلاة بالكشمير الفاخر · فتقدمنا حفاة الى ان وصلنا الى طنفسة زرقاء بديعة الصنع على بعد بضع خطوات من مجلس الحاكم فجثونا وقبلنا الارض ورفعنا أيمننا ووضعناها على شفاهنا وجباهنا · وكررنا ذلك ثلاث مرات الى ان قربنا من النائب فوقفنا خاشعين · فنظر الينا وبدأ يتفرس في كل واحدمنا وسألنا عن احوال بلادنا وملوكنا ودقق في السؤال عن ملك فرنسا وبابا رومية · وعند خروجنا من لدنهُ اطلق سبيلنا وسمح لنا بالتفرج على المدينة وزيارة كنائسها ومشاهدها » · ثم وصف الاسكندرية وصفاً مدققاً · ولما اراد السياح والتجار والزوار السفر الى مصر ارسلهم الحاكم صحبة احد قوادهِ ولما وصلوا الى القاهرة سلمهم القائد الى ترجمان السلطان الاول وكان فلورنسي الاصل تدين بالاسلام وتقيد بخدمة السلطان برقوق

ثم وصف قصر السلطان ومماليكهُ واحوال المدينة وطرقها وشوارعها وجمالها وحميرها واسواقها وعوائد اهلها وصفاً مطولاً · وزعم ان السلطان برقوق كان نصرانيًّا روميًّا واسلم[1] وقال ان بجانب قصر السلطان دكان جوهري ملآن من الجواهر الكريمة النادرة من لؤلؤ

(١) يظهر ان المقريزي من هذا الراي فقال ان سيف الدين برقوق الملقب بالملك الظاهر كان ابوهُ من بلاد الشركس واسمهُ انس او حناس فخدف ابنهُ وهو صغير وبيع لتاجر احضرهُ معهُ الى مصر فاشتراهُ الامير ابلبغا وجعلهُ بين مماليكهِ · ثم تقلبت عليهِ الاحوال الى ان ولاهُ الخليفة المتوكل على الله سلطنة مصر سنة ١٣٨٢ بلقب السلطان ابو سعيد الملك الظاهر

وزمرد وفيروز و ياقوت احمر واصفر وان بعض تلك الجواهر ذات حجم كبير لا تقدر قيمتها بثمن · ووصف نقود مصر فقال ان الذهب منها تدعى دنانير والنقود الذهبية التي ضربت باسم الخليفة تدعى شريفية والفضية دراهم · واما النقود النحاس فتدعى فلوساً وكل اثني عشر فُلساً بدانق · ووصف كنيسة كان بناها الافرنج بين مصر القديمة والقاهرة استولى عليها الارمن بعد خروج الافرنج من مصر وقال ان قد دفنت فيها زوجة ليون السادس ملك قبرص حينما كان زوجها اسيراً عند سلطان مصر

واما سياحة سيكولي فليست باقل اهمية من تلك · فوصف السلطان برقوق بقولهِ « هو في الخامسة والار بعين من عمرهِ صاحب همة شماء وحزم سديد وعزم شديد وعندهُ في القلعة ستة آلاف مملوك كلهم يلبسون و يأ كلون على نفقتهِ · يرى لابساً على الدوام ثياباً فاخرة زاهية ثمينة من الحرير الاصفر · ويبدلها في اليوم ثلاث مرات · واذا خلعها فلا يعود يلبسها ثانية بل يفرقها على مماليكهِ وقوادهِ و بطانتهِ · وعندهُ اربع زوجات وسراري كثيرات فلا تخرج الواحدة منهنَّ الاَّ وعلى اثرها كثير من الجواري والخصيان لحراستها · والسلطان كثير الشغف بالصيد والقنص يقصد في بعض الفصول مكاناً يدعى سرياقوس على بعد عشرين ميلاً من القاهرة عند دير للاقباط مستصحباً عدداً عظيماً من الفرسان والمماليك والخدم والحشم والقواد واصحاب الاعلام ما يبلغ عددهم نحو مائة الف وبينهم حفظة الاسلحة ومُعلِمو طيور الصيد والجوارح والبواشق · فتنصب لهُ هناك الخيام والمضارب وكلها مفروشة بافخر الرياش والطنافس الاَّ انهُ لا يعلم احد في اية خيمة ينام السلطان سوى خدمهِ الاخصاء · وهذه المضارب تشبهُ مدينة مستقلة على كثرتها و بينها خيام الوزراء والوف من خيام الباعة وتجار السلع »

وذكر انهُ في مدة سياحتهِ بمصر جاءت السلطان هدايا كثيرة ثمينة من نائبهِ في دمشق مؤلفة من اكياس نقود ومصوغات وحلى ذهبية وجواهر ثمينة وخيول مطهمة مسرجة بالذهب وحلل فاخرة منسوجة بخيوط الذهب والفضة واسلحة دمشقية · وهذه الهدايا مرسلة من دمشق على مائة جمل البست الجوخ المطرز بالقصب قسمت خمسة اقسام كل عشرين جملاً منها البست جوخاً بلون واحد بين ابيض واحمر وازرق واصفر واخضر · وكل جمَّال ارتدي ثوباً مطرزاً بالقصب من لون جُلِّ جملهِ · فعند وصول هذه الهدايا الى مصر كان السلطان في موسم صيدهِ بسرياقوس فامر ان يؤْتى بها الى هناك ولما وصلت وزع ما فيها من الاقمشة والنقود والذهب على قوادهِ ومماليكهِ وابقى لنفسهِ المفروشات والاسلحة · ووصف

سيكولي هذا السلطان بالعدل والحزم وان كل البلاد المصرية والسورية التي كانت خاضعة لحكمهِ وسطوتهِ موطدة الامن والعدالة وهيبة السلطنة عامة الجميع حتى ان المسافر يسير ليلاً من بلد الى اخر ولو في القفار آمناً مطمئناً فلا يعترضهُ احد ولو كان مثقلاً بالمال

وبعد عشر سنين حضر الى مصر سائح فرنسوي يدعى البارون انجلور فزار الاديرة والجوامع وكان عند رجوعهِ من الصعيد ان اللصوص هجموا عليهِ وعلى رفقائهِ بالقرب من مصر القديمة فجرحوهُ جرحاً مميتاً وسلبوا امتعتهم ونقودهم

وفي القرن الخامس عشر كان في مقدمة السياح الافرنج جيلبرت دي لانواي فكتب تقارير ورحلات في غاية الاهمية عن مصر وسورية وزار الاسكندرية ورشيداً ودمياط ووصفها وصفاً مطولاً

وفي سنة ١٤٣٦ زار مصر السائح الاسباني الشهير بترو تافور فمرَّ اولاً بقبرص ونزل ضيفاً عند نسيبهِ الاميرال سوارس وهذا عرفهُ بالكردينال شقيق جانوس ملك قبرص . وقر رأي هذا الملك ووزراؤهُ ان يبعثوا بالسائح المذكور سفيراً او رسولاً الى بيبرس سلطان مصر لكي يسمح للملك ان يبيع الملح الذي يستخرجهُ من ملاحات قبرص في ثغور البلاد السورية مقابل خراج يدفعهُ في كل عام الى السلطنة المصرية . وان يأمر السلطان باستدعاء نائبهِ من قبرص الموكل بقبض الخراج السنوي فيرسلهُ رأساً في كل سنة الى الاسكندرية مع وفدٍ مخصوص . فسافر تافور مزوداً بالكتب والاوامر في مركب ملوكي من نيقوسيا الى ثغر دمياط ولما وصل الى هناك أبلغ حاكمها مهمتهُ فارسل هذا رسولاً الى السلطان بيبرس بمصر واعلمهُ بوصول سفير من ملك قبرص فامر السلطان ان يؤذن لهُ في الحضور الى القاهرة ولما وصل الى ميناء بولاق استقبلهُ من قبل السلطان ترجمانهُ الاول وهو يهودي اشبيلي المنشإِ انتحل الاسلام . ثم وصف هذا السائح او السفير مقابلتهُ للسلطان ونجاحهُ في مأموريتهِ

وفي اواخر القرن الخامس عشر حضر الى مصر سائحان المانيان وهما برنارد برندبرج من كولونيا والثاني راهب دومينيكي من ألم اسمهُ فليكس فابر . والاثنان صحبا اميرين المانيين فالاول صحب الكونت سولم والثاني صحب البرنس جان دي والدنبرج فرنهر . ولهذين السائحين تقارير واسفار مطولة عن مصر وسوريا وفلسطين في غاية الاهمية والدقة والامانة في النقل وكلها طبعت في المانيا على اثر رجوعهما الى بلادهما سنة ١٤٧٩ . وكان الامير الالماني جان فرنهر زار مع اتباعهِ وحاشيتهِ ورفاقهِ الزوار والتجار بلاد فلسطين ثم اجتازوا الصحراء الى جبل

سيناء ووصلوا الى مصر عن طريق السويس· ووصف السائح فليكس فابر الذي صحب هذا الامير ما لاقوهُ في طريقهم من المتاعب والمشقات واعتداء العربان · ولما وصلوا الى بلدة المطرية زاروا عين العذراء والشجرة وكان بالقرب من هناك قصر فخم وحديقة كبيرة للسلطان فيها الوف من شجر البلسم والبلسان· ووصف هذا السائح وغيرهُ من السياح القدماء عطر البلسم وقالوا انهُ من تجارة مصر المهمة يستخرج منهُ في كل سنة كمية عظيمة ترسل الى اسواق اوربا وتباع باثمان غالية · واكثر اشجار البلسم والبلسان في بساتين السلطان بالمطرية وعين شمس[1] ولما وصل الامير واتباعهُ الى هناك استقبلهم مملوك من قبل السلطان واوصلهم الى مصر وسلمهم الى ترجمان السلطان الاول وهو مشهور بين كتّاب اوربا ومؤرخيها بتانغرباردي وكان يهوديًّا اسبانيًّا ومن ارباب الدين· ولكي يتخلص من الاضطهاد في اسبانيا انتحل الديانة المسيحية ثم فر من بلادهِ وحضر الى مصر وانتحل الاسلام واتصل بسلاطين مصر فجعلوهُ ترجمانًا وكان ذا نفوذ وسطوة وعلى جانب عظيم من الدهاء والمكر · وترجمان السلطان في ذلك العهد كان لهُ النفوذ الاول ومن اخص المقربين للسلطان واليهِ يعهد في مفاوضة القناصل واستقبال السفراء الاجانب وحراستهم والاهتمام بهم وكل من اتى الى مصر من السياح والزوار والتجار فكانوا ينزلون في فندقهِ وهو قصر عظيم من قصور السلاطين فكان هذا الترجمان يبتزُّ الاموال من التجار الافرنج والسياح · وفندقهُ يسع مئات من النزلاء والضيوف وكان كلما وصل الى مصر وفود السياح او الزوار والقناصل والسفراء يأمر السلطان ترجمانهُ هذا ان يتولى شؤونهم وان يكونوا تحت رعايتهِ وحراستهِ · وقد استعمل هذا الرجل كل وسائل الغش والخداع مع الامير واتباعهِ وصحبهِ من التجار والزوار الفرنسويين والايطاليين والبنادقة والالمان · ومرةً فاجأهم وهم يصلون ولم يدعهم يتممون ذبيحة القداس الاَّ بعد ان دفعوا لهُ مبلغًا طائلاً من المال· وبينما كانوا مرةً في الصلاة دخلت عليهم امرأة متشحة بالبياض وعلى وجهها قناع ابيض فذعروا خوفًا الاَّ انهم رأوها سجدت

---

(١) وقال السائح تنود سنة ١٥١٢ ان سلطان مصر يستخرج في كل عام كمية كبيرة من عطر البلسم ويرسلهُ ضمن حقوق من فضة وذهب هدايا الى التركي العظيم (اي سلطان تركيا) والى ملك الحبشة والى شاه العجم والى بعض ملوك اوربا

وقال سائح آخر سنة ١٦٣٥ ان هذا البلسم لم يبقَ منهُ سوى بعض شجيرات في حديقة المطرية ولما حضر المسيو ماليت قنصل لويس الرابع عشر ملك فرنسا الى مصر سنة ١٦٩٠ قال ان هذا النوع انقرض من مصر كلها

امام المذبح وتبين لهم بعد ذلك انها ابنة احد امراء الافرنج اسرت من قرصان المغرب واحضرت الى مصر وبيعت في سوق الجواري فاشتراها هذا الترجمان . ووجد السياح في سجن الفندق كثيرين من الاسرى الافرنج المقيدين بالسلاسل . وقد عهد السلطان الى هذا الترجمان في حراستهم والعناية بهم

ثم وصف فليكس فابر السائح المذكور سراي هذا الترجمان فقال ان قاعاتها كلها ملأى بالذخائر والامتعة النفيسة والاسلحة الثمينة والاقمشة والمفروشات الفاخرة . وقد زار الامير الالماني مع اتباعهِ وصحبهِ مدة اقامتهم بمصر قنصل البندقية فاحتفى بهم وعانقهم فرحاً ثم دعاهم للطعام على مائدتهِ . واراهم في « فندقهِ » مكاناً سرّيًا فيهِ كأس من ذهب وايقونات و بدلات كهنوتية لاقامة القداس سرًّا ودعاهم للحضور متى شاؤُا . ثم شكا كثيراً للامير الالماني من مواطنيهِ التجار الالمان الذين يأبون قبول اكياس البهارات من التجار البنادقة ما لم تكن نظيفة منقّاة مع انهم يرغمون على مشتراها من التجار المصريين بلا تنقية كما وردت من الهند حتى انهم لا يسمحون لهم ان يفتحوا الاكياس وتقد ما فيها [١]

ثم زار السياح المذكورون ابن ملك صقلية (فرديناند ملك نابولي) في قصرهِ وكان ابوهُ هذا ارسلهُ الى مصر في مهمة سياسية لدى سلطانها [٢] ورأوا في حديقة قصرهِ كثيراً من الحيوانات والطيور النادرة والغزلان

ثم زاروا قصر السلطان . قال السائح فابر « رأينا في قصر السلطان وعند ترجمانهِ تانغربباردي عدداً عظيماً من المماليك الاجانب (اسرى الحرب) انتحلوا الاسلام فاعتقهم

---

(١) اهم تجارة البنادقة في ذلك العهد مع مصر كانت في انواع العطر والافاوية والتوابل من واردات الهند كالفلفل والقرنفل والزنجبيل وحب الهال وجوز الطيب والعصفر والنارجيل والحجارة الكريمة فكانوا يشترونها من التجار المصريين في مصر والاسكندرية او من وكلاء السلطان لانهُ كثيرًا ما كان سلاطين مصر يتاجرون على حسابهم بهذه الاصناف ويرسلون مراكبهم الى بومباي وكلكوتا يشحنونها بالبضائع ويأتون بها الى السويس وهناك يبيعها السلطان للتجار صفقة واحدة . واما التجار البنادقة فكانوا يشترونها ويشحنونها الى البندقية وهناك تقام سوق عامة في بعض الفصول فيقبل كل التجار من انحاء اوربا الى سوق البندقية ويشترون البضائع الهندية والمصرية ويأخذونها الى بلادهم (نقلاً عن سياحة تنود سنة ١٥١٢)

(٢) تزوج هذا الامير بابنة الدوق دي لوزينيان ملك قبرص السابق وكانت هذه الجزيرة من املاك مصر تدفع خراجاً سنويًا لسلاطينها فارسل ملك نابولي ابنهُ الامير الى سلطان مصر ليقرهُ على مملكة قبرص عوضاً عن ملكها جانوس ووعدهُ ان يدفع الى سلطنة مصر خراجاً مضاعفاً فلبث هذا الامير مدة طويلة في مصر وقيل ان السلطان جعلهُ في قصرهِ كاحد مماليكهِ (نقلاً عن السائح تنود)

السلاطين وجعلوهم مماليك لهم ولامرائهم ولقوادهم ومعظمهم من الصقليين والاراغونيين والاسبانيين و بينهم نبيل الماني من مدينة بادن · و بين هوءلاء المماليك عدد عظيم من المجر اسرهم سلطان الترك وارسلهم الى مصر و بيعوا في اسواقها » · وقال فابر ايضاً في رحلته « رغب السائحان الاميران الكونت سولم والبرنس دي والدنبرج ان يتفرجا على اسواق مصر فارسل السلطان بعض مماليكه لمرافقتهما فادخلونا الى سوق العبيد والجواري فلما رآنا التجار النخاسون ظنوا ان السلطان ارسلنا الي هذه السوق ليبيعنا فتهافتوا مقبلين نحونا يتفرجون علينا ثم عرضوا على المماليك حراسنا مبلغاً طائلاً من المال لمشترانا · ذلك انهم ادركوا من حسن بزتنا وهيئاتنا اننا من كبار قومنا في بلادنا وان اهلنا وذو ينا اذا عرفوا اننا اسرى لا بد ان يرسلوا المبالغ العظيمة لفكاكنا وهذا ما جعل هوءلاء النخاسين يتهافتون على مشترانا طمعاً بالمال · ورغب الامير سولم ان يشترى غلاماً اسود فلم يقبل مالكهُ ان يبيعهُ لاعتقادهِ انهُ لا يجوز ان يقتني المسيحيون العبيد والجواري · ثم اشترى الاميران بعض الاقمشة الحريرية الفاخرة

واجاز لنا السلطان التفرج على كنائس مصر القديمة فاصحبنا الترجمان ببعض المماليك الفرسان واستأجر لنا الحمير فاجتزنا اولاً شارعاً طويلاً في آخرهِ بوابة عظيمة من الحديد ثم وصلنا الى سوق مزدحمة بالناس فسدت علينا الطريق فاضطر المماليك ان يبعدوا عنا الناس باسواطهم فهاج غضب الشعب علينا وبدأوا يرشقوننا بالحجارة والوحول و يقذفوننا بالشتائم والمماليك يذبون عنا بحمية وكان بعض الناس يهجمون علينا و يلقوننا من على الحمير الى الارض والبعض يجروننا من ثيابنا · وهجم احدهم على البرنس والدنبرج وقبض على لحيتهِ وهو يقذفهُ بالشتائم واللعنات ولم يزل المماليك يدافعون عنا حتى خرجنا من المدينة

وكنا كلما التقينا باحد من الناس راكباً او فارساً كان يترجل و يقف احتراماً لمماليك السلطان والويل لمن لا يظهر الاحترام او يهين مملوكاً ولو بالاشارة فجزاوءهُ الشنق مهما كان عظيماً

ولما وصلنا الى مصر القديمة تفرجنا على كنائسها واثارها · وبعد يومين ذهبنا لزيارة الجوامع وتفرجنا على مدرسة قايتباي التي شادها وبنى فيها جامعاً ودفن فيهِ · وفي شهر اكتوبر سنة ١٤٨٥ رجعنا الى الاسكندرية وسافرنا الى بلادنا

ديمتري نقولا

المفرقعات وفعلها

يموت في ميادين القتال الوف من غير ان يجرحوا او يخدشوا . وكثيراً ما يوجدون واقفين او جالسين مما يدلُّ على ان موتهم كان فجائيًّا فلم يتحركوا البتة عند لفظ الروح . وقد اختلف في سبب الموت هذا ولكن التعليل الوحيد الذي يمكن تعليلهُ بهِ هو انهم ماتوا بالعواقب التي تعقب ارتفاع ضغط الهواء فجأةً بعد اشتدادهِ . وهذه الحالة لها ما يشبهها بعض الشبه في المرض المعروف باسم مرض الاساطين ويسمونهُ ايضاً شلل الغواصين او مرض الاسراب لانهُ يصيب الغواصين الذين تضطرهم اعمالهم الى الغوص في الماء والاقامة تحتهُ مدة طويلة وسط غرف صغيرة تصنع خصيصاً لذلك مثل الغواصين لصيد اللؤلؤ او لاستخراج الاسفنج او لاعمال متعلقة بعلم الاوقيانوس والحيوان والنبات . او يصيب الذين يقيمون في اسراب للبناء والحفر في الماء . فانهم بعد ان يقيموا مدة طويلة تحت ضغط جوّي شديد ويصعدوا من الماء الى الجوّ المعتاد يصابون باعراض مختلفة من اعراض الفالج والشلل والصرع مثل الم الظهر والشلل النصفي العلوي او السفلي وسلس البول وعدم قدرة الجسم على ضبط حركاتهِ وسكناتهِ الى غير ذلك

اذا فتحت زجاجة شمبانيا رأيت فقاقيع الهواء تتصاعد منها بكثرة وتدفع السائل امامها فتتكون الرغوة المعروفة . ومثل ذلك يحدث في « السيفون » اي ان رفع الضغط فجأة عن السائل سواء كان الشمبانيا او ماء الصودا الذي في السيفون او البيرة المضغوطة يفضي الى خروج الغاز بسرعة من ذلك السائل . والرأي المشهور عند العلماء والاطباء الآن ان اطلاق المفرقعات يفضي اولاً الى ضغط هائل في الهواء ثم الى ارتفاع الضغط باسرع مما جاء فتتكون في الدم فقاقيع هواء تسبب موتاً فجائيًّا . ففي مرض الاساطين المذكور آنفاً تخرج الفقاقيع من الدم صغيرة وببطء لارتفاع الضغط ببطء فلا يموت العليل ولكن اذا ارتفع الضغط فجأةً كما يجري في ميادين القتال عند انفجار المفرقعات كبرت الفقاقيع في دم الذين تعتريهم الهزة وافضت الى توقف عمل القلب

ولنبحث الآن في ذلك الانفجار وكيفية حدوثهِ فنقول

يخطئ من يظنُّ ان الانفجار ليس الاَّ احتراق بعض المركبات الكيماوية بسرعة . فان الاحتراق الفجائي قد يكونُ انفجاراً ولكن ليس كلُّ انفجار احتراقاً سريعاً فقط .

وكثير من المفرقعات تشتعل اشتعالاً بسيطاً اذا أُدنيت النار منها ولكنها اذا طرقت بمطرقة انفجرت انفجاراً هائلاً ومزقت كلَّ ما يجاورها . خذ البارود الاسود العادي مثلاً فانهُ ينفجر بالاحتراق السريع وقد كان انفجارهُ غريباً في بدء اختراعهِ ولكنهُ ليس الآن شيئاً مذكوراً بازاء المفرقعات التي اخترعت بعدهُ والتي تستخدم في هذه الحرب

وجميع المفرقعات يجب ان تكون محصورة لتكون فعَّالة كما ان ضربة المطرقة لا تفعل الفعل المروم الاَّ اذا كان المضروب مستنداً الى شيء صلب كالسندان . فالبارود لا يؤثر تأثيراً يذكر اذا حرق في الهواء المطلق ولكن اذا حصر مزق ما حولهُ كلَّ ممزق كما يشاهد في نسف الصخور للبناء

والمفرقعات تفعل فعلاً واحداً في كل جهة لا في جهة معينة كما يتوهم البعض. والفرق بين البارود المشتعل في الهواء المطلق والديناميت الذي يتفرقع امامنا وهو غير محصور ان الاول باحتراقهِ البطيء يجد وقتاً كافياً ليدفع الهواء فيهِ بسرعة تكفي ليحل الغاز المتولد منهُ محل الهواء المدفوع ولكن الديناميت يتحول من جامد الى غاز بسرعة عظيمة لا يحتاج معها في حصرهِ الى اكثر من قوة الاستمرار التي للهواء . اي ان قوة استمرار الهواء على صغرها كافية لحصرهِ وتفرقعهِ فهي لهُ كالصخر للبارود . وقد وجد الفعلة بالاختبار ان القاء حفنة من الوحل على شيء من الديناميت وضع على سطح صخر لنسفهِ كافٍ لنسف ذلك الصخر اي ان حفنة الوحل كافية على خفتها وقلة ضغطها لتوجيه قوة الديناميت الى الجهة المقابلة حيث الصخر

ومن المفرقعات ما لا ينسف بنفسهِ ولا قدرة لهُ على زحزحة الاثقال من مكانها او تمزيق الاشياء اذا كانت بعيدة عنهُ بل كلُّ ما يفعلهُ انهُ يطلق المفرقعات التي تراد لاحداث الانفجار وهذا النوع يسمى detonator اي الكبسول والفتيل واشهر المواد للكبسول فلمنات الزئبق وهي مركب من الحامض الفلمنيك والزئبق و ١٥ قمحة منهُ اعظم فعلاً من ٧٠ ضعفاً من النتروجليسرين المشهور

والمواد المستعملة فتيلاً تختلف في فعلها اختلافاً عظيماً فالبارود العادي ينفجر ويقذف المقذوفات بسرعة مترين او ثلاثة امتار في الثانية عادة وقد تزيد هذه السرعة الى ٣٠٠ متر في الثانية تحت اعظم الاحوال ملاءمة ولكن الفلمنات تقذف المقذوفات بسرعة ٨٠٠٠ متر في الثانية على القليل . ولادراك هذه السرعة نقول ان قطار الاكسبرس

الذي يقطع ٦٠ ميلاً في الساعة سرعتهُ نحو ٢٥ متراً في الثانية . ان اقل سرعة للمقذوفات بالفلمنات يساوي ٣٢٠ ضعف سرعة الاكسبرس المشار اليهِ . فمن ذلك يرى كيف ان ذرة من الفلمنات اذا انطلقت في يد حاملها قد تطير اصبعاً من اصابع يدهِ ولا تحرق ثوبهُ اذا مستهُ

وقوة المفرقعات سواء كانت احتراقاً او قذفاً للمقذوفات ناشئة عن تحول بعض المواد الكيماوية فجأة الى غاز ومحاولتها ان تخالف المبدأ الطبيعي المعروف وهو ان الطبيعة لا تسمح لجسمين بان يشغلا حيزاً واحداً في وقت واحد . فالانفجار وتمزق ذلك الحيز هما عاقبة هذه المخالفة . ولتفصيل ذلك نقول : ملأْنا نقرة نقرناها في صخر باروداً وسددناها سداً محكماً ثم اشعلنا الفتيل المتصل بالبارود . ففي اثناء تحول البارود غازاً يزداد حجمهُ فيصير وهو غاز ٤٠٠ ضعف ما كان وهو جامدٌ ويحاول ان يشغل المكان الذي كان الجامد يشغلهُ وهذا مستحيل الاَّ اذا كانت النقرة من المتانة بحيث تسمح بهِ وهي ليست كذلك فيمزق الغاز المنحصر كلَّ ممزق ليوسع لنفسهِ مكاناً فيهِ . واذا وضعنا مكان البارود ديناميتاً صار حجمهُ عند تحولهِ غازاً بالاحتراق ٨٤٧ ضعف ما كان . او وضعنا جلاتيناً مما يستعمل للنسف صار ١٣٨٦ ضعف ما كان

وليست المسئلة كلها مسئلة تنازع جسمين محلاًّ واحداً في وقت واحد بل السرعة النسبية اللازمة لتغلب الواحد على الآخر او سرعة الانفجار وهي ما يسمونها القوة المحركة او الفعَّالة ويعبرون عنها بكذا كيلوغرامات وامتار في الثانية . فهي في البارود ٤٥٨٧ من القوة المحركة وفي الحامض البكريك ٣٥٠٠٠٠٠ من القوة المحركة اي ان قدرة هذا الحامض على دفع كيلوغرامات معينة امتاراً معينة في الثانية هي نحو ٧٥٠ ضعف قدرة البارود على ذلك

وهذه المفرقعات كلها حديثة العهد . فمنذ ٦٠ سنة لم يكن يعرف سوى البارود الاسود . وفي هذه الحرب عندك البارود اللادخاني وقطن البارود والديناميت والمليت واللديت وغيرها من المفرقعات الشديدة . فلا كان تقدم الانسان هذا في نصف قرن من الزمان

الامانيّ والاحلام

تلك الامانيُّ يتركنَ الفتى ملكاً دون السماء ولم ترفع لهُ راسا

ومن منا لم تُنِلهُ الاماني مُلكاً ومالاً ان لم يكن في الهواجس ففي الاحلام . والانسان يحلم في نهارهِ كما يحلم في ليلهِ فيتمنَّى اموراً كثيرة يعجز عن ادراكها ولكنهُ يردع نفسهُ عن المجاهرة بامانيهِ لئلاَّ يضحك الناس منهُ ولا يجاهر الاَّ بتمني ما يُحتَمل الحصول عليهِ لمن كان في منزلتهِ . وتكثر الاماني التي يكتمها المرء لانهُ يراها مماَّ يستحيل الحصول عليهِ فتبقى ذكراها في نفسهِ وتعود الى مخيلتهِ آونةً بعد أُخرى فيهذُّ بها في اليقظة واما في النوم فالقيد الذي يقضي بكتمانها ويحول دون ظهورها يُكسر فيعيش المرء ليلاً في احلامهِ متقلباً بين امانيهِ المختلفة تتناوبهُ الواحدة بعد الاخرى وتتزاحم عليهِ ولذلك ذهب العالم فرود النمسوي منذ بضع سنوات الى ان الاحلام اماني محفوظة آثارها في اعماق النفس فنتحكَّم فيها نهاراً فنخفيها ولكن سلطاننا عليها يزول في النوم فتتغلَّب علينا . فنُسب هذا المذهب اليهِ

الاَّ ان المرء لا يستطيع ان يلجم لسانهُ دائماً في يقظتهِ حتى لا يبوح بما يكنُّهُ ضميرهُ من اماني نفسهِ . وما اكثر فلتات اللسان التي تنبئُ عن حقيقة الانسان . قيل في امثال العامَّة « خذوا اسرارهم من صغارهم » لان الصغار لا يستطيعون ان يلجموا السنتهم ويتظاهروا بما ليس فيهم كالكبار . وقد يحتال متسقِّطو الاخبار على المرء فيسكرونهُ او ينوّمونهُ النوم المغنطيسي ليكتشفوا اسرارهُ وهو سكران او نائم

وفلتات اللسان الدالَّة على ما يكنُّهُ الجنان كثيرة ولكن ابن الدهر يحفظ لسانهُ كما يحفظ مالهُ ولا ينمُّ لسان الحكيم عليهِ الاَّ اذا هاج او سكر او اصابهُ بحران فتعدم حصاة اللسان ويفشي المرء خبايا نفسهِ وما كتمهُ ضميرهُ . ولقد احسن من قال

وان لسان المرء ما لم تكن لهُ حصاة على عوراتهِ لدليلُ

وقد يكون هذا شأن المرء كلَّما احتدَّ فتبدر منهُ بوادر ورثها من آبائهِ واجدادهِ . واما في النوم حين تضعف القوة الحاكمة التي تمنع المرء من المجاهرة بامانيهِ فان هذه الاماني تقف امام ذهنهِ كلها — اماني الصبا واماني الشباب الآمال المخبوءة في العقل الباطن . ولا ينبغي ان نفكر بها حينئذٍ بالفاظ مسموعة او نعبّر عنها بكلمات ملفوظة بل يكفي ان نرمز اليها رمزاً فان لغة الرموز كانت قبل لغة الكلام فيحلم النائم انهُ جمع بدرات الدنانير بيديهِ اذا اشتهى الغنى في يقظتهِ ويطير في الجو اذا لم يتمكن من ركوب المركبات على الارض

ولا يخفى ان الاحلام قلما تكون سلسلة منظمة الحلقات بل الغالب ان تكون متقطعة لا اتصال بين اجزائها ولا ائتلاف بينها كأَنَّ قوةً في النفس نزعت منها الحلقات التي تصل بينها ولكن احلام الصغار ليست كذلك بل هي في الغالب منسجمة متصلة فكيف تنزع الروابط من احلام الكبار حتى يزول ارتباطها بعضها ببعض

من رأْي العالم فرود واتباعهِ ان في العقل رقيباً يرقب الافكار والآمال وينتزع منها ما لا يحسن اظهارهُ ويحفظهُ في مخادع النفس اي فيما سمّيناهُ بالعقل الباطن حيث لا نشعر بوجودهِ . وعندهم ان هذا الرقيب ديدبان واقف بين ما نشعر بهِ وما لا نشعر بهِ . وينفي غيرهم وجود هذا الرقيب ويقولون ان بعض العادات او الغرائز يردع البعض الآخر ويمنعهُ من الظهور . وهذا اقرب الى العقل لان وجود الرقيب لا يقوم عليهِ دليل ولكن كون العادات تتناقض ويقمع بعضها البعض الآخر من الامور المحسوسة المتعارفة . فان الذين يربون في الفاقة وبين اناس لم يألفوا الرفاهة وآداب الطبقات العليا ثم يثرون او يرتقون ويتخلقون باخلاق اهل الرفاهة والوجاهة تحاول عاداتهم القديمة التي الفوها في صغرهم ان تظهر فيهم اونةً بعد اخرى فتردعها الاخلاق الجديدة التي تخلقوا بها ويسهل ذلك عليهم ما داموا متيقظين منتبهين فاذا غفلوا بدت منهم اعمال توافق عاداتهم القديمة واذا ناموا فاكثر احلامهم يكون بحوادث السنين الغابرة حينما كانوا فقراء او بما ينطبق عليها

يحكى ان رجلاً من فقراء لبنان قصد البلاد الانكليزية فسكنها واتّجر فاثرى وتزوج فيها وتخلّق باخلاق الراقين من اهلها وبعد نحو ثلاثين سنة عاد الى وطنهِ ومعهُ ابنة صبيّة لهُ فرحّب بهِ اهل قريتهِ واولموا لهُ وليمة على عين ماء في جوار القرية فاكلوا وشربوا وطابت نفوسهم وجعلوا يغنون ويضربون على «الدربكة» على جاري عادتهم فثارت اشجان الرجل وتذكّر ايّامهُ السالفة حينما كان يغني غناءهم ويلعب لعبهم فتناول الدربكة منهم وجعل يقرع عليها ويغني ويرقص . فخافت ابنتهُ وجعلت تناديهِ بالانكليزية وتقول father father وهو يقول بلا father بلا mother ويكرر الغناء العربي غناء اهالي لبنان . اي تغلبت عاداتهُ القديمة حينئذٍ على العادات الجديدة التي كانت تردعها قبلاً

ومتى تناقضت العادات تعذّر على المرء ان يتابع المتناقضات في وقت واحد فيجاري الواحدة ويترك الاخرى فتكون النتيجة ان بعض عاداتهِ يردع البعض الآخر ويوقف عملهُ

وقد يضطر المرء ان يغير عاداتهِ ولو لم ينتقل من بلاد الى اخرى او من حال الى آخر

بل ان مجرَّد التقدُّم في السن يدعو الى ترك بعض العادات والملكات الموروثة سواء كانت طالحة او صالحة والى ترك اماني الصبا واماني الشباب . لكن ما يُترك من هذه الاماني وتلك العادات لا يمحى اثرهُ من النفس بل يبقى فيها ويستأنف ظهورهُ كلما غفل الرادع لهُ عنها . وامثلة ذلك كثيرة جدًّا مثالهُ ان يرغب شاب في تعلُّم فن التصوير ليصير مصوراً لانهُ يرى في نفسهِ ميلاً اليهِ لكن والديهِ وذويهِ يرغبانهِ في تعلّم علم الحقوق ليصير محامياً او قاضياً حاسبين ان ذلك اجدر بمقامهِ . فيترك التصوير و يتعلم الحقوق ولكن ما كان يرغب فيهِ في صباهُ يبقى في نفسهِ ولا يزول اثرهُ منهُ ولو شاخ فتراهُ جالساً على منصة القضاء يسمع ادلة الخصوم وقلمهُ يرسم على ما امامهُ من الورق رؤُوساً وطيوراً وحشرات . وآخر يميل الى التزوج ولكنهُ يخاف من كثرة النفقة او يرى امهُ واخواتهِ يفحصن بيتهُ ويقمن بكل حاجاتهِ البيتية فيهمل الزواج الى ان يكتهل ولكن ميل الصبا لا يزول كلهُ من نفسهِ بل يساورهُ مرة اخرى حتى لقد يتزوج وهو كهل . وآخر يتزوج رغبة في الزيجة فلا يرى من زوجتهِ ما يرضيهِ و يقع النفور بينهُ وبينها فيعكف على اعمالهِ و يغوص فيها حتى ينسى ما فعل اي انهُ يردع آمالهُ واماني صباهُ ولكنهُ قد يعود متى اكتهل ويصطلح مع زوجتهِ لاقل سبب

والامثلة التي من هذا القبيل كثيرة جدًّا ومفادها واحد وهو ان اكثر الناس يضطرون ان يردعوا اماني الصبا واماني الشباب بل اماني الكهولة ولكن ما يردع منها لا يزول من النفس وغاية في الامر انهُ يتوقف عن الظهور ما دام الرادع لهُ قويًّا فعَّالاً فاذا ضعف هذا الرادع بالنوم بدت الاماني في صور الاحلام وقد يتخللها امور كثيرة تحدثها المؤَثرات المختلفة التي تؤَثر في النائم من اتصالهِ بفراشهِ ومن النور والظلمة ومجاري الهواء وما اشبه ثم اذا هو استيقظ فالغالب انهُ لا يتذكر الاَّ القليل ممَّا حلمهُ

هذا تعليل آخر للاحلام ولما يبدو من الانسان اذا سكر او حشش او استهوي او اصابهُ البحران فهذى وذكر اموراً حفظها في صغرهِ او طرقت اذنيهِ ولم ينتبه لها بل حُفظت في عقلهِ الباطن . ومن هذا القبيل تكلم السكارى والحشاشين والمستهوين بالرموز لان لغة الرموز اقدم لغات البشر . طلبنا مرةً من فتاة عصبيَّة المزاج ان تضع يديها على البلنشت ليكتب اجوبة المسائل التي تطرحها عليها ولما كررنا عليها بعض المسائل اصابها نوع من الاستهواء الذاتي وجعلت تحرك البلنشت بيديها وتكتب بهِ وهي لا تدري وتجيب عن المسائل التي تطرح عليها اجوبة من نوع الرموز والكتابات او من الاقوال المأثورة التي حفظتها بمطالعاتها الكثيرة فاذا سُئلت هل يرتفع ثمن القطن بعد الآن اجابت « الاسعار

والاعمار بيد الله » · واذا سُئلت هل يباع القطن بالاسعار الحاضرة اجابت « عصفور في اليد ولا عشرة على الشجرة » · واذا سُئلت هل من صحة للخبر الفلاني اجابت « لا دخان بلا نار » اي كان قلم البلنشت يكتب بالانكليزية ما هو بمعنى هذه العبارات · ولا يخفى انها كانت اذا انتبهت لا تتذكر انها كانت تحرك البلنشت ولا انها كتبت ما كتبت

الفهد في الصيد

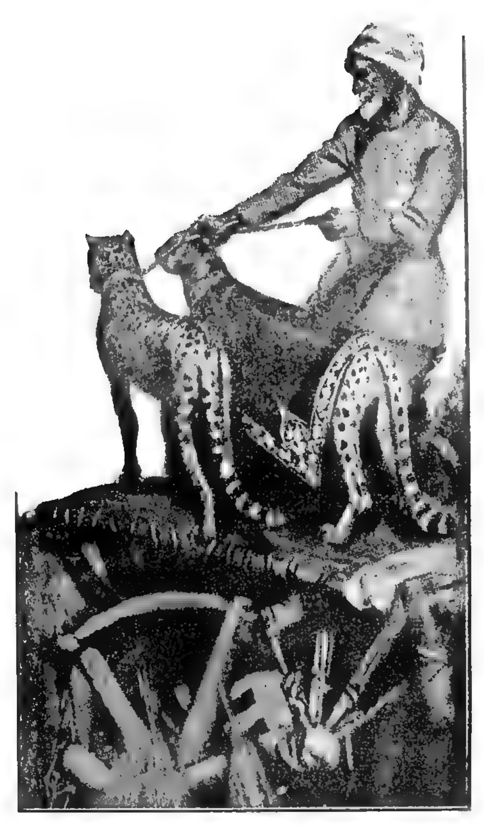
لا يزال ملوك الهند يربون الفهود ليصطادوا بها الغزلان كما كان يفعل ملوك الفرس والعرب

ومن عادتهم انهم اذا زارهم ضيف كريم وارادوا تسليتهُ خرجوا معهُ لصيد البَبْر وهو الصيد الاكبر او لصيد الغزلان وهو اقل شأناً وقد يقيمون المنازل حيث يكثر الصيد يضعون فيها الافيال والفهود لهذه الغاية

كتب بعضهم في مجلة العالم الانكليزية قال كنت ذاهباً انا وصديقي فلان الى بلاد كشمير في اعالي السند فعرّجنا على جمّو قصبتها الشتوية اجابة لدعوة المهرجا وهي في السفح الغربي من جبال حملايا على حد سهول البنجاب ومضينا الى المنزل الذي دعانا اليهِ لنخرج منهُ للصيد فوجدنا المهرجا غائباً لاشغال اقتضتها مهام بلادهِ لكنهُ اعدّ لنا ما يلزم لراحتنا فامر أن نعطي فيلين لركوبنا اذا خرجنا لصيد الببر · فوجدنا ان صيد الببر في السهول ضرب من المحال لكثرة ما يقتضيهِ من الافيال والرجال فعدلنا عنهُ بعد ما حاولناهُ على غير جدوى وعزمنا على الرجوع الى طريقنا لكن الفهّاد اشار علينا ان نذهب معهُ لصيد الغزلان لان صيد الببر لا يتيسَّر في غيبة المهرجا

والصيد بواسطة الفهود خاصٌّ بالفهّاد نفسهِ والذين يخرجون معهُ انما هم مشاهدون لا غير لكنهُ لا يخلو من التسلية ولا سيما اذا شاهدهُ الانسان اول مرةَ ولم يكن معهُ اناس كثيرون ينفرون الطرائد و يقفون بينهُ و بين الفهود فلا يراها في تهيئها للصيد ووثوبها على طرائدها · وهذا هو الصيد الذي قُسم لنا ان نراهُ فلم نخرج اليهِ بافيال ولا بموكب كبير

قمنا في الصباح وخرجنا مع الفهّاد الى الجهة الغربية من جمّو ومعهُ فهدان فقط في مركبة تجرها الثيران وسرنا والسهول تنطوي امامنا الى ان شاهدنا الغزلان عن بُعد



الفهاد والفهدان على ظهر المركبة

مقتطف فبراير ١٩١٧

امام الصفحة ١٦٤

فصار علينا ان ندنو منها حتى نصير على نحو خمسين متراً الى مئتي متر والاَّ فلا سبيل للفهد ان يصل اليها . ويجب ان لا نأتيها من مهب الريح لئلاَّ تستريحنا وتنفر منا . والمكان الذي ذهبنا للصيد فيهِ كان حَرَماً للمهرجا لا يجوز الصيد فيهِ بالرصاص فلم تكن غزلانهُ شديدة النفار

ومرَّت ساعتان والغزلان تنفر منا حالما تسمع صوت المركبة ولذلك يرسل امراء الهند الرجال لتزجرها وتضطرها الى الدنو من الفهود . ثم صعدنا الى ارض عالية واشتدت الريح فاخفت صوت المركبة وبعد هنيهة رأينا الفهدين تحفزا فصرَّت اذانهما وفحت مناخرهما وارتجف كفلاهما فنزع الفهَّاد الغطاء عن احدها وشدَّهُ على الثاني فزاد هذا اضطراباً حتى كاد يثب من المركبة لو لم يشدهُ الفهاد برباطهِ شدًّا عنيفاً فادرك انهُ غير مقصود للوثوب فسكَّن جاشهُ مكرهاً حرِداً ورأينا حينئذٍ بضعة غزلان ابطلت الرعي وجعلت تنظر الينا نظر المرتاب حتى اذا وصلنا الى رأس الاكمة المقابلة لها نفرت كالنعام الجافل واطلقت اطلاقها للريح وكانت المسافة بينها وبيننا اولاً اقل من خمسين يرداً . فرأى الفهاد ان يدعها تبعد اولاً ليزيد اهتمامنا بها وبينما نحن ننظر اليها مستغربين سمعنا خبط البراش على المركبة ورأينا الفهد مارقاً في الهواء كالسهم وفي لحظة من الزمان رأيناهُ على عاتق اكبر تلك الغزلان يعمل فيهِ انيابهُ وبراثنهُ فلم نكد نصدّق ما تراهُ عيوننا حتى كأنهُ من اعمال المشعوذين ولم يكن الاَّ كلا حول ولا حتى رأينا الغزال مطروحاً على الثرى لان الفهد ضربهُ على سلسلة ظهرهِ ضربة خطفت انفاسهُ ولما وصلنا اليهِ وجدناهُ قائماً فوقهُ يمزق رقبتهُ ليشرب دمهُ وهو غاية ما ينالهُ منهُ

واصطدنا غزلاناً اخرى ذلك اليوم ولكن صيد الغزال الاول كان ابهجها لاننا رأيناهُ في كل درجاتهِ من اولها الى آخرها . وظهر لنا ان الفهد امهر الحيوانات في مساورة صيدهِ كما انهُ اسرعها كلها فيختفي وراء الادغال والصخور ويدور ويلتف الى ان يتمكن من اقتناص الطريدة اذا وثب عليها . ويحدث في بعض الاحيان ان يهجم فهد على غزال مواجهة والغزال خافض رأسهُ فيرفعهُ بغتة ويضربهُ بقرنيهِ فيوردهُ حتفهُ ويصح فيهِ قول النابغة الذبياني حيث قال

شكَّ الفريصة بالمدرى فانفذها   شكَّ المبيطر اذ يشفي من العضَدِ
كأنهُ خارجاً من جنبِ صفحتهِ   سفّود شَرْب نسوهُ عند مفتأدِ

وبعد ان قضينا لبانتنا من الصيد اراناالفهّاد ما هو اغرب من صيد الغزال الاوّل وهو اننا كنا على رأس اكة وامامنا اكة اخرى بعيدة عنا وبين الاكتين وادٍ عميق فادرك بزكانتهِ ان على سفح الاكة المقابلة لنا غزلاناً ترعى ولم يكن في الامكان ان ننزل بالمركبة الى الوادي ونصعد بها الى الاكة الاخرى وقال رفيقي وكان على معرفة تامَّة بامر الصيد ان اغراء الفهد بالذهاب الى هناك ضرب من المحال . واراد الفهاد ان يرينا شيئاً لم نرَهُ من قبل فنزع الغطاء عن اكبر الفهدين وامسك رأسهُ بيديهِ واشار الى ذلك الموضع ففهم الفهد مرادهُ وهو لا يرى الغزلان ولا نحن نراها فتنبَّهتْ كل حواسهِ ووقف قلقاً متحفزاً ولكن لم يظهر لنا انهُ رأى شيئاً فقال رفيقي ما مراد هذا العجوز فلا يعقل انهُ يريد ارسال الفهد وراء الغزلان على هذا البعد . والظاهر ان الفهاد فهم مرادهُ فاجاب فالهندستانية نعم انهُ لا يرى الغزلان من هنا ولكنني سأدلهُ الى اين يذهب ليراها فاصبرا قليلاً تريا . ثم امسك رأس الفهد بيديهِ وادارهُ نحو الجهة التي كانت الغزلان ترعى فيها واشار اليها وردد بعض الالفاظ ودفعهُ من على المركبة فوثب الى الارض وجعل يعدو حتى غاب عن بصرنا . والظاهر ان الغزلان درت بنا فعدت امامهُ وصعدت الى اعلى اكة وانحدرت الى الجانب الآخر قبلما وصل الى حيث كانت فاقتفى آثارها ولكنهُ لم يدركها فعاد ادراجهُ مطرقاً خجلاً ذليلاً ولكن اتضح لنا انهُ فهم مراد معلمهِ ولولا بُعْد المسافة لادرك الغزلان. انتهى

هذا وما ذكرهُ الدميري في حياة الحيوان الكبرى يؤيد ما تقدم ولو جاء ذكرهُ عرضاً فقد قال ان كليب بن وائل كان يصطاد بالفهد وكذلك ابو مسلم الخراساني وهرون الرشيد. وان الفهد اذا وثب على فريستهِ لا يتنفس حتى ينالها فيحمى لذلك وتمتلئ رئتهُ من الهواء فاذا اخطأ صيدهُ رجع مغضباً . ومن امثالهم أوثب من فهد . لكنهُ قال ايضاً ان الفهد « ثقيل الجثة يحطم ظهر الحيوان » . والظاهر انهُ قرأ او سمع ان الفهد يحطم ظهر فريستهِ فظن انهُ ثقيل وقال انهُ اذا حمل على حيوان حطم ظهرهُ . وقال القزويني ان الفهد شديد الغضب ذو وثبات بعيدة يستأنس بالناس . وقال ابن سيده في المخصص الفهد ضرب من السباع يُتصيَّد بهِ واكتفى بخمسة اسطر مع انهُ كتب عن الذئب اكثر من ثلاث صفحات وعن الضبع اربع صفحات دلالة على ان معرفة العرب بالفهد كانت قليلة جدًّا لانهُ ليس من حيوانات بلادهم



الدردنوط البري يخرب المباني في طريقهِ

مقتطف فبراير ١٩١٧
امام الصفحة ١٦٧

الدردنوط البرّي

اشرنا في الجزء الماضي الى الاتوموبيلات المدرعة الثقيلة التي يستخدمها الانكليز في الحرب الحاضرة وقلنا ان عجلها يدور على سلاسل من العوارض المتصل بعضها ببعض فلا تغوص في الارض بثقلها . وقد اطنبت الصحف الاوربية في وصف هذه الاتوموبيلات وعظم فتكها وشدة فعلها في دك الحصون وتحطيم الاستحكامات وتدمير المتاريس وعدم تأثرها بقنابل المدافع الضخمة . ولكن فعلها هذا لا يعدّ شيئاً مذكوراً في جنب آلة تصوَّر رجل اميركي امكان اختراعها وسماها الجبار المخرِّب وقال انها ستكون فيصل الحروب المستقبلة وصاحبة الكلمة العليا فيها . وهذا الرجل مهندس مشهور وهو مستنبط آلة للتحكم في حرارة الشمس واستخدامها في الاعمال المختلفة وآلات اخرى صناعية تنسب اليهِ . والى القارئ خلاصة مقالتهِ بعد تمهيد طويل أبان فيهِ الفرق بين الحروب الماضية والحاضرة من حيث اتقان معدات الهلاك والدمار . قال :

ليس هناك سبب هندسي يمنع عمل بارجة برية ضخمة الدروع تسير على عجلات بسرعة عظيمة فتكون السلاح الاعظم في الحروب البرية المستقبلة صحيح ان بناء سوبر دردنوط يمخر عباب البحر ايسر من بناء سوبر دردنوط يجري في البرّ على عجلات لان البحر سهل واسع الجنبات لا اودية فيهِ ولا آكات وكثافة الماء واحدة حيثما كان . واليابسة كثيرة الحزون والوهاد وصلابة سطحها تختلف كلّ الاختلاف من المستنقع اللين الى الصخر الصلد . وهذا هو السبب في وقوف الجيوش في البر الواحد بازاء الآخر للقتال بدلاً من ان يوكل القتال الى الآلات والعدد المختلفة كما في البحر

ولكن مهما يقل في عظم المصاعب التي تحول دون بناء دردنوط بري فاني ارى انهُ يمكن تذليلها وتمهيدها ببناء آلة ضخمة الحجم هائلة القوة الى حدّ انها تستطيع السير في الوعور كما يسير الاوتوموبيل في الدروب المطروقة الممهدة وتكون الاكمة التي علوها خمسون قدماً في وجه هذا الدردنوط البرّي كما يكون حاجز من التراب علوهُ نصف قدم في وجه الاتوموبيل العادي . ولا تعوق المستنقعات مسيرهُ الاَّ بقدر ما يعوق شبر وحل مسير الاتوموبيل . وتكون سرعتهُ في السهل مئة ميل في الساعة وفي الوعر اعظم من سرعة الاتوموبيل . وعلى سرعتهِ تتوقف قوة تدميرهِ فان زخم جسم ضخم يندفع بسرعة الاكسبرس لهو زخم هائل يمكّن ذلك الجسم من اجتياح كل شيء امامهُ وازالة كل عقبة في وجههِ كما يفعل وابور الزلط

بالحصى التي يمرّ عليها · ولا حاجة وهو موجود الى المدافع لهزم الجيوش لان الجيوش تكون امامهُ كسرب من الاوز امام الاتوموبيل

و يكفي في وصف آلة مثل هذه ان تقول : تصور لنفسك آلة تتحرك من نفسها وتحتوي على مركبة مدرعة اعظم تدريع وثلاث عجلات · وهذه العجلات اثنتان منها الى الامام وقطر كلٍ منها ١٥٠ قدماً الى ٢٠٠ قدم · وثالثة الى الوراء وهي اصغر منهما وعملها عمل الدفة في السفينة · و بين العجلتين الاماميتين مسافة ٣٠٠ قدم وعرض كلٍ منها ٢٠ قدماً وهما مصفحتان بالفولاذ وسمك الدرع فيهما ٤ بوصات · ولما كانت هذه الآلة مرادة للتدمير بشدة زخمها اي بثقلها وسرعتها مجتمعين لا بمدافعها فلا حاجة الى ان تكون المركبة فيها كبيرة بل يكفي ان تشتمل على مركبة صغيرة لا ترتفع فوق العجلتين الاماميتين وتكون قوية الدرع لحفظ ما فيها من الآلات · و يكون عدد رجالها ٣٠ لا اكثر

ولا اجهل ان عمل آلات محركة تسيّر هذا الدردنوط بسرعة مئة ميل في الساعة ليس من الهنات الهيّنات ولكنهُ ممكن قياساً على الدردنوطات البحرية · ومما تجب الاشارة اليهِ ان عجلة يكون قطرها ١٥٠ قدماً الى ٢٠٠ قدم لا تدور الاَّ نحو ١٥ دورة في كل ميل تقطعهُ وهذا مما يسهل عليها تلقي الصدمات التي تتعرض لها · وغنيٌّ عن البيان ان الصدمة التي يلقاها هذا الدردنوط في هدم منزل امامهُ لا تساوي الصدمة التي يلقاها المدفع البحري الضخم الذي قطر فوهتهِ ١٥ بوصة عند اطلاق قنبلتهِ · ولا يخفى ان فعل الصدمة في المدافع الضخمة يزال باسطوانات تملأُ زيتاً فتضيع قوة الرجة فيها و بالتالي يرتفع الضرر عن المدفع · ومثل هذا يمكن ان يصنع في الدردنوط البري

وثقل الآلة كلها يكون خمسة آلاف طنّ ولما كان الغرض منها محق كل شيء في طريقها فالواجب ان يعلق بمقدمها اجسام ثقيلة ثقل كلٍ منها عدة اطنان تخفض او ترفع حسب الحاجة · فاذا خفضت والدردنوط سائر بسرعتهِ العظيمة فانها تهدم كلّ بناء وكل عقبة تجدهُ في سبيلها

ومع شدة فتك هذا الدردنوط لا طاقة لهُ باحتمال مدافع سكودا او كروب التي من عيار ١٦ بوصة لانهُ لم تُرَد لذلك بل لمقاومة مدافع الميدان العادية في اجتياح بلاد العدوّ ذهاباً واياباً وازالة ما يقيمهُ من الخنادق والاستحكامات · وفي استطاعة العدوّ بثّ الالغام لنسف هذا الدردنوط البري ولكن الالغام لا تمنع سفن الدردنوط البحرية من الخروج الى عرض البحر· ولما كان الدردنوط البري اسهل مراساً واطوع قياداً من سفن الدردنوط البحرية فانهُ يستطيع

تغيير مجرى سيره كما عنّ له ذلك بسرعة عظيمة فيضطر العدو ان يلغم مساحة كبيرة من الارض و ينسفها قبلما يتمكن من نسف هذا الدردنوط

اما سير هذه الآلة الجهنمية فيكون هكذا : يصدر قائدها الامر بالمسير فتتحرك ببطء اولاً ثم لا تلبث سرعتها ان تساوي سرعة الاكسبرس · ولنفرض ان امامها وعلى بعد ميل منها غابة كثيفة ففي دقيقة تبلغها وتندفع فتسحق اشجارها كما لو كانت قصل الحنطة وهي لم تخدش خدشاً · و بعد الغابة قرية للعدو معسكر فيها فتهبُّ اليها وقد زادت سرعتها وفي طرفة عين تبلغها فتحطم منازلها دوساً كانها صنعت من ورق · وحيث تطأُ فهناك سحق وتخريب

هذا هو وصف الآلة التي تصور المهندس انها تكون صاحبة القول الفصل في حروب المستقبل · ووجوب هذه الآلة انما يكون بعد تصور الحرب ضربة لازب وامراً لا بدَّ منهُ ولا غنى عنهُ · على اننا نتمنى انها لا تكون كذلك بل ان الناس يتمكنون من منع الحروب بالوسائل السلمية وبتهديد المعتدي تهديداً يمنعهُ من الاعتداء ويكرههُ على الرضوخ والاذعان رضوخ الضعيف للقوي او القوي لمن هو اقوى · وهذا ما يسعى الحلفاء اليهِ وما نخالهم الأَّ مفلحين



استغلال الارض

(١٢)

موظفو المزارع فئات متنوعة يمكن ارجاعها الى قسمين اصليين الاول الموظفون الذين يشرفون على جميع اعمال المزرعة · والثاني الموظفون المنوطون بنوع خاص من فروع اعمالها

فالاولون هم الرؤساء الاداريون الذين عليهم ادارة اعمال المزرعة وتدبيرها زراعيًّا واقتصاديًّا وتسييرها في سبيل السداد ماديًّا وادبيًّا كالمفتشين والمأمير والنظار ومعاونيهم

فالناظر هو الموظف الذي يدير عمل مزرعة واحدة تسمى (نظارة) و يليهِ فيها معاون وقد تكون المزرعة صغيرة او مؤجرة فلا يحتاج فيها الى معاون

والمأمور هو الذي يدير عمل مزرعة فاكثر و يسمى مجموعها (مأمورية) بمعاونة عمال نظاراً كانوا او معاونين

والمفتش هو الذي يدير عمل جملة مزارع يسمى مجموعها (تفتيشاً) وقد يكون التفتيش مُكوَّناً من جملة نظارات او مأموريات

فالمالك الذي يملك مزرعة واحدة يعين هو او وكيلهُ—ناظرها تحت اشرافهِ اي اشراف المالك والوكيل ذاتهِ وقد تكون المزرعة ذات اهمية وناظرها ذا حيثية ممتازة فيسمى حينئذٍ (مأموراً)

والمالك الذي يملك مزرعتين فاكثر يعين لكل مزرعة ناظراً تحت اشرافهِ او يعين مأموراً او مفتشاً ليشرف على عمل النظار ثم يكون هذا المفتش تحت اشراف المالك او وكيلهِ

وحيث يكون للمالك جملة تفاتيش او مأموريات قد يعين موظفاً يسمى مفتشاً عامًّا والغالب ان يكون مركزهُ في اهم المأموريات او التفاتيش او في المحل الذي اختارهُ المالك او وكيلهُ مركزاً لهُ ويسمى (دائرة) اي ان الدائرة اعلى فالتفتيش فالمأمورية فالنظارة وقد لا يعين مفتشاً عامًّا بل يكتفي باشرافهِ هو نفسهِ او وكيلهِ

وفي التفاتيش الكبيرة يساعد المفتش في اعمال التفتيش مساعدون فتارة يسمى الواحد منهم (معاوناً) واذا كانوا اكثر من واحد يسمى اكبرهما شأناً معاون اول (باشمعاون) ويرقى في مساعدتهِ للمفتش الى وظيفة مأمور تفتيش— فوكيل تفتيش —وواضح ان مأمور التفتيش غير مأمور الزراعة فليتأمل القارئ

وفي بعض الدوائر يكون معاون التفتيش اقل رتبة من ناظر الزراعة وفي البعض الآخر يكون ارقى وهذا هو الافضل كما لا يخفى

وكلما كان الرئيس الاداري اكثر الماماً باعمال المزارع المتنوعة كان اقدر على تدبيرها ومراقبة عمَّالها ولذلك جرى بعض الدوائر الممتازة على تفضيل الرؤساء الذين يكونون مارسوا الاعمال الزراعية من اول درجاتها—معاون فناظر فمعاون تفتيش فمأمور فوكيل تفتيش فمفتش

(يراجع ما كتبناهُ عن موظفي الادارة الزراعية في مقتطفي مايو ويونيو)

اما الموظفون المنوطون بفرع خاص فهم

(١) الموظفون المنوطون باعمال الزراعة في الغيط فقط وهم المعروفون بالخولا (جمع خولي) فالخولي عليهِ مباشرة عمل الانفار الشغالة والاعمال الزراعية كالحرث والعزيق وتطبيق تعليمات الناظر . والخولي الذكي كثيراً ما يساعد الناظر بالتفكير في تدبير اعمال الغيط والانتباه الى ما يلزم والى ما يلزم في وقت دون وقت وما يمكن او ما لا يمكن الاستغناء عنهُ الخ . واذا كانت المزرعة كبيرة يعين لها اكثر من خولي واحد واذاً يسمى اكبرها باشخولي وفي

مدة المواسم الزراعية المهمة كنقاوة ديدان القطن وغلت الرز وجني القطن يعين خولا موقتون مساعدون للخولا المستديمين ويسمون خُولا ظهورات

(٢) خدمة المواشي كالكلافين ورؤسائهم ونظار المواشي · وعليهم ملاحظة مؤونة المواشي ونظافتها وملاحظة اراحة ما اجهـدهُ العمل منها وتمريضها وسياستها وسائر ما يختص بذلك

(٣) الخفر المنوطون بحراسة المزروعات والمواشي والمخازن ومراقبة حدود الاطيان وكباريها وجميع الموجودات الخ وقد يعين لكل زراعة رئيس عام للخفر خاصة يسمى (شيخ خفر) او لكل تفتيش ويسمي (ملاحظ خفر)

(٤) المهندسون الرياضيون لوضع تصميمات انشاء المراوي والمصارف متناسبة مع درجات الارض وما يتعلق بذلك من تطهيراتها وكباريها وموازناتها الخ

وهذه الوظيفة (مهندس رياضي) لا تلزم الأ في المزارع المستجدة او في التفاتيش او الدوائر الكبرى حيث يستدعي العمل موظفاً اختصاصيًّا وكذلك المهندس المعماري (مهندس المباني) والغالب حتى في الدوائر الكبرى ان يكون ذلك من اختصاص المهندس الرياضي

(٥) المهندسون الميكانيكيون لمباشرة الوابورات ومتعلقاتها فحيث يوجد في الزراعة آلة ري بخارية لا بد من وجود اسطى لها (عطشجي) وكذلك اذا كان بها حرّاثة اودرّاسة الخ فاذا تعددت الآلات البخارية يلزم تعيين مهندس ميكانيكي كرئيس فوق الاسطوات والعطشجية · واذاً فهذه الوظيفة لا توجد الأ حيث توجد آلات بخارية مهمة او متعدّدة

(٦) النجارون لترميم الآلات الزراعية كالمحاريث والسواقي الخ ففي كل مزرعة كبيرة لا بد من وجود نجار ويسمى (نجار جافي) اما نجارو العمارات ويسمى احدهم بالنجار الدقي فلا يلزمون دائماً الاَّ في المزارع الكبرى المستجدة ومثلهم السروجية الذين يشتغلون في صناعة وترميم اطقم العربات او سروج الركايب (الخيل والبغال والحمير)

(٧) الوظائف النثرية المتنوعة كخدمة المساجد ومعلمي المدارس في المزارع او التفاتيش الكبرى — وكالسفرجية والعربجية والسيّاس الخ من الوظائف الصغيرة

(٨) وفي الدوائر والشركات الكبرى يوجد (طبيب بيطري) لتدبير المواشي دائماً في حالتي الصحة والمرض وتوجد ورش صناعية خصوصاً للاعمال الميكانيكية ويوجد فيها صناع فنيون الخ

(٩) وظائف الكتابة لتدوين ايرادات المزرعة ومصروفاتها وموجوداتها ومعاملاتها

ومخاطباتها الخ من الاعمال المسايرة لحركة اشغالها والتي يرجع اليها في تعرف احوالها واستنتاج النتائج الدالة على درجة تقدمها وربحها · ففي كل نظارة يوجد كاتب وحدهُ او معهُ مساعد لهُ وكذلك في كل مأمورية وتفتيش يوجد عدد من الكتاب بقدر ما تقتضيهِ حركة العمل وكيفية نظام الكتابة · ففي التفاتيش الكبيرة يوجد باشكاتب يرأس جميع اعمال الكتابة وكاتب تحريرات للمخاطبات المتبادلة بين التفتيش ومعامليهِ ورئيس حسابات يعاونهُ كتاب تحت يدهِ لفروع الحسابات كحساب الايجارات وحساب المصروفات والمراجعة الخ

وتشتمل اعمال الكتابة على وظائف المخزنجية (امناء المخازن) ووظائف الصيارف (امناء الخزينة النقدية) وسنفصل كل ذلك بعدُ

وضبط اعمال الكتابة وتنظيمها من الوسائل الضرورية لتعرف اتجاه اعمال المزرعة ليمكن استزادة الربح والحرص عليهِ ان كان الاتجاه اليهِ او تلافي الخسارة وتعديل الاتجاه الى مظان الربح ان لم يكن كذلك من قبلُ ولذلك يحسن بعمال الادارة لاسيما الرؤساء المسؤولون منهم عن نتائج الاعمال ان يكون لهم المام بالحسابات الزراعية حتى يتيسر لهم حال الاطلاع على كشوفات العمل اتقان اعمال المراجعة والمقارنة بين ما صرف على الغيط وما فُلح فيهِ وما نتج منهُ وتطبيق ذلك على الواقع فعلاً فان ذلك لا يتيسر لعمال المراجعة الكتابية لبعدهم عن اعمال الغيط فتقتصر مراجعتهم على تصحيح الكشوفة في ذاتها من وجهة حسابية اما من حيث مطابقتها للواقع في الغيط او ما كان يجب ان يكون فيهِ لو كان العمل احكم واسدّ فلا يتيسر ذلك الأ للرؤساء المباشرين للعمل فعلاً او من في معناهم من العمال المدركين لشؤون الفلاحة وطرق المراجعة معاً

ومن الاسف ان هذه المراجعة التي اشير اليها غير موجودة حتى في احسن الادارات الزراعية

ولكل دائرة طريقة خاصة في تكييف وتوجيه اعمالها وادارتها الزراعية والكتابية وهذه الطرق لم تدون بعدُ اصولها تدويناً يُفيد فائدة عامة

وربما احاول في مقالات أُخر تفصيل ذلك بعد الفراغ من موضوعات استغلال الارض وستكون مقالتي التالية عن تأجير الاطيان وطرقهِ وفوائدهِ ومحاذيرهِ التي يجب الانتباه اليها

احمد الالفي
مأمور زراعة

بعض المقدّدات

قدد الناس الاثمار من قديم الزمان . فقد ورد في التوراة ذكر الفريك وعناقيد الزبيب واقراص التين والزبيب . وعرف العرب التقديد ولهُ عندهم مترادفات منها التشرير او التشرية بابدال الراء ياء والتتمير والتزبيب . جاء في القاموس تمّر الشيءَ يبسهُ واللحم قطعهُ صغاراً وجففهُ . وشرّر اللحم والأقط (الجبن) وضعهُ في الشمس ليجف . والقديد اللحم المشرّر المقدّد . وزبّب العنب والتين صيرها زبيباً . فالزبيب التين او العنب المقدّد ولكنهُ يطلق في الشام على الثاني فقط . اما في مصر فالزبيب او العرقيّ هو الشراب المتخذ من العنب او الزبيب (ويسمّى الاول في الشام عرقاً) وحق الثاني ان يكون الزبيبيّ لا الزبيب قال الشاعر

آهاً على سكرة لعلّي ان اخلط الهمّ بالزبيبي

وقد تفنن اهل هذا الزمان في التقديد حتى تناول معظم الاثمار واصناف اللحم والبقول والحبوب كما يرى في كل دكان من دكاكين كبار البقالين والبدّالين . على اننا اقتصرنا في هذه العجالة على ذكر بعض المقددات التي لا ترى في اسواقنا او قلما ترى فيها

الموز

فمن الاثمار الموز المقدد* بحرارة الشمس وهو يباع في اسواق اوربا واميركا وخصوصاً الشمالية منها محفوظاً في صناديق . وهو كثير الغذاء ولذيذ الطعم جدًّا

ويصنعون من الموز قدراً كبيراً من المربّى ولونهُ احمر اسمر وطعمهُ كطعم مربّى التوت الافرنجي وترسل مقادير عظيمة منهُ الى الجيوش المتحاربة . اما قشرهُ فيستعمل علفاً للدجاج او في عمل الورق او يجفف للوقود . ورمادهُ يستعمل سماداً

ويصنع من نوع من الموز نوع من الدقيق ونوع من البسكويت الفاخر . كذلك يصنعون منهُ قهوة ولكنها دون القهوة التي تصنع من التين المقدد المضغوط . وهذه الاخيرة صنعت في اوربا منذ قرن من الزمان وهي لا تزال تستعمل الى الآن طعاماً وشراباً في كثير من بلاد اوربا

جبن الفول

يصنع جبن الفول في بلاد الشرق الاقصى حيث لا يؤكل الجبن او الاقط المصنوع من اللبن . وهو مثل جبن اللبن في تركيبهِ الكيماوي وطعمهُ لذيذ اذا أضيف شيء قليل منهُ الى المكروني وغيرها من المآكل التي يدخل الجبن فيها زادها نكهة فهو لذلك ارخص من

الجبن العادي . على ان اهل الفنّ يقولون لك ان للجبن الحيواني رائحة خاصّة بهِ لا تجدها في الجبن النباتي اذا خفيت على الناس عادة لا تخفى على ابن الفنّ العارف بصناعة الجبن . كذلك يصنع من الفول نوع من المكروني في البلاد المذكورة . والفول المستعمل للجبن هو فول الصو يا

مصنوعات الرزّ

يصنع من الرز صنف من المكروني يفوق الاصناف المعروفة بمراحل . وهو يكون بهيئة خيوط بيضاء فضية تلمع بنور الشمس كأَنها شلل حرير ناصع البياض . وقد يضغطونها تصغيراً لحجمها . وهي من الذّ اصناف المكروني طعماً

و يصنع من الرز صنف من السكّر وصنف من المشروب . و يصنع من قشّهِ ملابس لا ينفذها ماء المطر

الشاي المضغوط

لا نكاد نعرف في اسواقنا من انواع الشاي غير الشاي المصنوع من الاوراق المجففة والمتروكة على حالتها الطبيعية . ولكن من الشاي نوعاً يعرف بالشاي المضغوط يصنع على اشكال مختلفة فمنهُ ما كان على شكل ازرار ومنهُ ما كان على شكل عصيّ قصيرة . ومنهُ ما هو على هيئة الواح كالواح الغرانيت ثقل الواحد منها كيلو غرامان الى خمسة وهذه الالواح تقوم في بعض انحاء الصين مقام النقود . ومنهُ ما هو على هيئة اقراص مختلفة الحجوم

⁂

ومما يذكر في صدد الكلام على المقددات ان الناس في كلّ بلاد يستعملون اقدامهم بدل ايديهم في الضغط والعصر وما اشبه من اعمال التقديد . ففي الشام يعصرون باقدامهم العنب لعمل الدبس والعرق و يدوسون المشمش لعمل قمر الدين . وفي الصين يستأجرون الفتيات ليضغطن باقدامهن بعض انواع الشاي التي لا تستلزم ضغطاً شديداً . وفي بعض مخابز نيو يورك يعجن الخبازون العجين باقدامهم . وفي بعض جهات اميركا يعصرون العنب بارجلهم كما في سورية

قيمة البقرة الحلوب

رأَينا جدولاً قدّر فيهِ احد الخبيرين قيمة بقرة حلوب وما يجنى منها وما ينفق عليها في البلاد الاميركية فاثبتناهُ للدلالة على مقدار عناية القوم بفرع يعدّ عندهم من اهم فروع

التجارة والزراعة اي فرع تربية المواشي لاستدرار لبنها · وهذا التقدير هو عن سنة واحدة لبقرة حلوب عمرها ثماني سنوات :

الجنى في سنة

سنت	ريال	
٢٧	١٥٨	١٢٥٦١ رطلاً من اللبن فيها ٥٦و٥٢٧ الرطل من الزبدة بسعر ٢٩ سنتاً الرطل
٠٠	١٠٠	عجل ولد في خلال السنة
٢٧	٢٥٨	

النفقة

سنت	ريال	علف وركش
٠٠	٣٠	طنان من القش بسعر ١٥ ريالاً
١٩	٢٤	١٠٧٥٢ رطلاً من ورق الذرة بسعر $\frac{1}{2}$ ٤ ريال الطن
٥٧	٠٨	٦١٢ رطلاً من كسب بزر القطن بسعر ريال و٤ سنتات
٩٦	٠٢	١٧٤ « « كسب بزر الكتان « ريال و ٧ «
٥١	٢٧	$\frac{1}{2}$ ٦٥ بشل من الاوتس بسعر ٤٢ سنتاً
٠٧	٠٩	٧٥٦ رطل من دقيق الذرة بسعر ريال وسنتين
١٣	٠٣	٦٤٨ رطل نخالة بسعر ريال وسنت
٠٠	٢٠	٥٠٠ بشل جزر بسعر ٤٠ سنتاً
٠٠	١٢	طنان من تبن القمح بسعر ٦ ريالات
٠٠	١٥	فائدة ثمن البقرة وهو ٢٥٠ ريالاً على نسبة المئة ٦
٧٥	٢٨	خسارة قيمة البقرة على نسبة المئة $\frac{1}{2}$ ١٢
٠٠	١٥	تلف الادوات المختلفة
١٨	٢٠٠	المجموع الكلي
٠٩	٠٥٨	الربح الصافي
٢٧	٢٥٨	

وقد حسب زبل البقرة في هذا التقدير مساوياً لاجرة العناية بها فقوّم هذا بذاك ولم يذكرا في الدخل والخرج . وخلاصة هذا الحساب ان بقرة واحدة من البقرات الحلوبة عادت على صاحبها بربح سنوي صافٍ قدرهُ ٥٨ ريالاً وكسور او نحو ٥ ريالات في الشهر ولكن بعد بذل منتهى العناية بها كما يظهر من جدول النفقة . فعشرون بقرة من نوعها تعود بدخل صافٍ لا يقلُّ عن مئة ريال في الشهر . وهي تجارة رابحة تستحق عناية فلاحينا ومربي المواشي بيننا حيث يتيسَّر العلف الكافي

الذرة

يزرع في القطر المصري نوعان من الذرة تحت كلٍّ منها اصناف كثيرة وهما الذرة البلدية والذرة الشامية . اما الذرة البلدية فحبوبها في سنبلة كبيرة في اعلاها والظاهر من النقوش المصرية القديمة انهُ كان في القطر المصري في زمن الفراعنة نوع من المزروعات يشبه الذرة وقد رسمنا صورتهُ امام الصفحة ٢٥٣ من المجلد ٤٦ من المقتطف

ولهذه الذرة اشكال مختلفة في القطر المصري واكثر اعتماد الفلاحين في الوجه القبلي عليها لانهم يصنعون خبزهم منها وهي مغذية جدًّا ولاسيما الصنف المعروف منها بالنباريسي الاصفر فان البروتيدات فيهِ تبلغ ١٠٫٣٠ في المئة وهي في الذرة الاميركية الجيدة لا تزيد على ١٠ في المئة . وفي دقيقها اقل من ٨ في المئة ولذلك تكون اغلى من الذرة الشامية فان الاردب منها يساوي وقت كتابة هذه السطور ١٥٠ غرشاً ومن الذرة الشامية ١٢٠ غرشاً

واما الذرة الشامية فاصلها اميركي وهي اصناف مختلفة ايضاً وزراعتها واسعة جدًّا في اميركا ولاسيما في الولايات المتحدة فان محصولها السنوي فيها يبلغ نحو ٦٠٠٠٠٠٠٠٠ اردب تباع عادة بنحو ٣٠٠٠٠٠٠٠٠ جنيه اي ان متوسط سعر الاردب هناك نحو نصف جنيه . ونحو تسعة اعشار الذرة الاميركية تطعم للمواشي علفاً لها كما نطعم نحن الفول علفاً لمواشينا وما بقي يطحن اكثرهُ دقيقاً ويستخدم الباقي لعمل النشا والدبس والسكر . وقد بلغ ما طحن منهُ سنة ١٩٠٩ نحو ٤٠ مليون اردب وما صُنع منهُ النشا والدبس والسكر ١٠ ملايين اردب . ويقال ان اطعام الجانب الاكبر من الذرة الاميركية للمواشي اسراف لا موجب لهُ وانهُ لو زاد المطحون منها دقيقاً لراجت سوقهُ وكان ذلك اربح لاهل الزراعة ولذلك نرجح ان ثمن الدقيق عندنا يهبط كثيراً بعد الحرب اذا خفضت اجرة النقل بما يرد علينا من الدقيق

الاميركي . نعم انهُ لا يكون مغذياً كدقيق الذرة المصرية لقلة ما فيهِ من المواد الدهنية والنتروجينية ولكن جمهور الناس يلتفت الى بياض الدقيق لا الى ما فيهِ من الغذاء

واذا رخص ثمن الدقيق فما يكون حال الزارع المصري الذي يخسر الآن اذا باع اردب الذرة باقل من مئة غرش . والجواب انهُ يضطر ان يتقن الزراعة حتى يجني من الفدان اكثر مما يجني منهُ الآن . فقد عرفنا بالاختبار اننا اذا انتقينا التقاوي واحسنا زرع الذرة وتسميدها وعزقها وريها وتنقية الحشائش منها فان محصولها يتضاعف اي ان الفدان الذي يجنى منهُ عادة خمسة ارادب او ستة يجنى منهُ حينئذٍ عشرة ارادب او اثنا عشر اردبًّا او اكثر الى عشرين اردبًّا . ولا يندر ان ترى الآن غيطاً بلغ محصول الفدان منهُ خمسة ارادب او ستة ويجاورهُ غيط آخر ايجارهُ مثل ايجارهِ ولكن زارعهُ جنى منهُ ١٢ اردبًّا او ١٥ اردبًّا لانهُ اتقن زرعهُ وتسميدهُ وخدمتهُ

ومعلوم انهُ اذا تضاعف المحصول فربح الزارع يكون اكثر من مضاعف ما كان قبلاً لان مصاريف الزراعة تكاد تكون واحدة في الحالين

ثم ان مقطوعية النشا و الدبس والسكر ليست قليلة في البلاد ولا بدَّ ما تزيد بزيادة الرفاهة فيها فاذا انشئت لها معامل صغيرة حيث تكثر زراعة الذرة ففي الامكان استخدام بوص الذرة وقوداً لها وقد يكون من ذلك ربح وافٍ

الجبن والزبدة

لما رأت الحكومة الانكليزية قلة ورود الجبن الى بلادها بسبب الحرب اشارت على اللبانين بعمل الجبن من اللبن بدل استخراج الزبدة منهُ . وقد وجد بالامتحان ان عمل الجبن اربح من عمل الزبدة فانهُ يصنع من كل ستة جالونات من اللبن سبعة ارطال واوقتان من الجبن تباع بنحو ٣٦ غرشاً ويبقى منها خمسة جالونات من مصل اللبن تساوي غرشين والجملة ٣٨ غرشاً ولكن الستة الجالونات من اللبن يستخرج منها رطل وعشر اواقي من الزبدة تساوي ١٣ غرشاً واللبن الذي اخذت زبدتهُ كلها يساوي خمسة غروش والجملة ١٨ غرشاً فالفرق عشرون غرشاً ربحاً من عمل الجبن بدل استخراج الزبدة

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

المرأة في مقام العزاء

كتاب مسز ددني

انجع ما يكون العزاء للمحزون اذا صدر عن قلب رقيق سريع الى الشعور والمؤاساة والتوجع . وقلب مثل هذا خليق بالمرأة لضعفها ورقة شعورها ولين جانبها بالنسبة الى الرجل . ولكن الرجل ادَّعى هذا القلب واحتكرهُ لانهُ احتكر الادب او كاد والادب لسان هذه الدعوى نثراً كان ام شعراً . وعليهِ قلما ذكر التاريخ لنا ان المرأة نبغت في العزاء كما نبغت في كثير من الفنون . وكل ما نعلمهُ عن العرب ان الخنساء نبغت في الرثاء والبكاء فاذا طرقت باب العزاء قصرت ولم تجد فيهِ ما يخفف عنها لوعة الحزن على اخيها صخر

لكننا قرأنا عن كاتبة انكليزية حديثة ما ذكَّرنا حكاية عمر بن الخطاب ومتمم بن نويرة فقد كان متمم هذا من كبار الشعراء المخضرمين الذين ادركوا الجاهلية والاسلام . فلما قتل اخوهُ مالك بامر خالد بن الوليد رثاهُ بقصيدتهِ المشهورة التي يقول فيها

وكنّا كندماني جذيمة حقبة ... من الدهر حتى قيل لن تتصدعا

فلما تفرقنا كأني ومالكاً ... لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

ثم قدم على عُمَر بن الخطاب في خلافة ابي بكر الصديق فقال لهُ عُمَر ما بلغ بك الوجد على اخيك . قال بكيتهُ حولاً حتى اسعدت عيني الذاهبة عيني الصحيحة . قال انشدني بعض ما قلت فيهِ . فانشدهُ المرثية المشار اليها فقال عُمَر « لو كنت اقول الشعر لرثيت اخي زيداً » فقال متمم « ولا سواء . لو كان اخي صُرِع مصرع اخيك لما بكيتهُ » . فقال عمر « ما عزاني احد باحسن مما عزيتني بهِ »

وهكذا صنعت الكاتبة الانكليزية التي تقدمت الاشارة اليها فانها الَّفت كتاباً في عزاء المنكوبين بهذه الحرب اجمعت الصحف على القول انهُ اجمل ما يعزى بهِ حيٌّ على ميت فنفدت نسخهُ طبعةً اثر طبعة



مسز ددلي

مقتطف فبراير ١٩١٧

امام صفحة ١٧٨

والذي حداها على كتابتهِ هو انها كانت ذات يوم في دكان كتبي فسمعت ابنة تقول لهُ « اريد كتاباً عن الحرب ساراً على قدر الامكان · لانهُ لامراة قتل ابنها » · ففتش الكتبي وفتشت هي معهُ فلم يعثرا على المراد · سمعت الكاتبة ذلك واسمها مسز ددلي ووعتهُ في قلبها ثم اتفق ان صديقة لها فقدت قرينها فطفحت كأس حزنها والفت الكتاب الموماَ اليهِ · فقرظتهُ صحف انكلترا الكبرى وقالت الدايلي تلغراف في تقريظهِ : ان مسز ددلي لم تكتب كتابها عبثاً فهو باب للسلوى ومنفسٌ للمبادىء العليا يفسر لنا معنى الضحية العظمى » · وقالت جريدة اخرى : « ان مسز ددلي اطرت في كتابها معال الذين حملوا عنا حمل الحرب وخاطبت الثاكلات والنائحات بكلام تفهمهُ النساء »

ولما رأت الكاتبة نجاحها في هذا الكتاب طرقت باب الشعر فنظمت مقطَّعات تدني بها اللورد كتشنر وضمتها كلها في ديوان سمتهُ « الوداع » وهو من الشعر الرائق لا يقلُّ عن كتابها في رقة مبانيهِ وسموّ معانيهِ · وهي اميركية الجنس تزوجت ضابطاً انكليزياً من اسرة ددلي الشهيرة المتسلسلة من اول دوقات نورثمبرلند

النساء والتلغراف اللاسلكي

لما نشبت الحرب جرَّب فرع شركة مركوني للتلغراف اللاسلكي في انكلترا تعليم النساء ارسال التلغرافات اللاسلكية ليعلم هل يلائمن لهذه الصنعة ام لا فانشأ مدرسة لهنَّ في احدى محطاتهِ حيث يتعلمن استعمال التلغراف اللاسلكي فدخلها عدد كبير من الطالبات وواظبن على الحضور والدرس وارسل بعض اللواتي اكملن دروسهنَّ واختبارهنَّ الى بعض المحطات ليتناوبن العمل ليلاً مع الرجال · وقد امتازت رسائلهن بضعف اثرها وهذا ناشىءٌ عن لطف اليد التي ترسل الرسائل مما يدلُّ على ان تسمية النساء بالجنس اللطيف لم يكن اعتباطاً · ولكن اللطف في هذه الحالة حسب عليهنَّ لا لهنَّ والعارفون يرجون اصلاحهُ باستعارة النساء شيئاً من خشونة الرجال وجفوتهم

الطالبات في الجامعات الالمانية

بلغ عدد الطالبات في الجامعات الالمانية ٥٤٦٠ طالبة في صيف سنة ١٩١٦ او نحو ضعفيهنَّ سنة ١٩١١ · وبلغت نسبتهنَّ الى الطلبة ١٠٫٥ في المئة يقابل ذلك ٤٫٨ في المئة سنة ١٩١١

وزاد اقبال الطالبات في الخمس سنوات الماضية على درس الرياضة والطبيعة والطب وخصوصاً الاخير منها حتى بلغ عدد طالباته ربع مجموع الطالبات كلهن يقابل ذلك ٢٠ في المئة سنة ١٩١١ و بعبارة ادق ١٣٩٤ مقابل ٥٨٢ . اما طالبات الرياضة والطبيعة فبلغن ١٠١١ سنة ١٩١٦ يقابلهن ٥٠٤ سنة ١٩١١

وكان عدد طالبات علم اللغات والتاريخ ١٥٦٣ سنة ١٩١١ فزاد الى ٢٦٥٤ في السنة الماضية . وزاد عدد طالبات التاريخ السياسي والزراعة من ٦٧ الى ٢١٣ . والقانون من ٣٩ الى ٩٣ . واللاهوت بحسب الكنيسة الانجيلية من ٥ الى ١٤ . والصيدلة من ٨ الى ٢٢ . وطب الاسنان من ٢٧ الى ٥٨

ومنذ نشوب الحرب ازداد عدد الطالبات ازدياداً محسوساً في جامعات بروسيا وبفاريا وهي جامعات برلين وفرنكفورت وماربرج وهال ومونخ

تهوية المساكن

يعزى النعاس في غير وقت النوم وامراض الحلق المتعددة الى طول الاقامة في الاماكن المقفلة كالمكاتب والمدارس والمعامل وما اشبهها . وقد كان الرأي الشائع قبلاً ان الحامض الكربونيك الذي يكثر وجوده في الاماكن المحصورة الهواء هو اعظم ما يضر الصحة فيها ولكن التجارب اثبتت فساد هذا الرأي . فان ما يجتمع من الحامض الكربونيك في الغرف المقفلة عادة هو اقل مما يضر متنفسهُ . ففي الهواء كمية منهُ على الدوام كثرت او قلت وهو لا يزعج الذي يتنفسهُ الا اذا بلغ مقدارهُ ثمانية اضعاف الموجود منهُ في انقى الهواء الى عشرة اضعافه . وقد كاد الفسيولوجيون في هذا الزمان لما تقدم من الاسباب يتناسونهُ ولا يعدونهُ بين العناصر التي يخشى منها على الصحة فاذا حللوا هواء غرفة ما ليعلموا ما تحويهِ منهُ فما ذلك الا للاستدلال على عدد الاقدام المكعبة من الهواء التي تلزم الفرد منا

وقد ظهر من مباحث بعض العلماء الاميركيون في الغرف وتهويتها لمعرفة مقدار تأثير الرطوبة في الصحة ان برد الغرف ليس وحده سبباً في ازعاج المقيمين فيها وان الاقامة في غرفة باردة شتاء يطيب لكل احد كالاقامة في الغرف الدافئة بزيادة الرطوبة او بخار الماء في الباردة كما ذكرنا في مقتطف يناير

وظهر لهم ايضاً ان الغبار في هواء الغرف يضعف القوى ويهبط الحيوية اذا وجد فيها على نسبة ثلاثة ملايين ذرة في البوصة المكعبة . فلا يكفي والحالة هذه في تهوية الغرف

ان يعنى بتجديد الهواء وتنظيم درجة حرارتهِ بل لا غنى عن تخفيفهِ او ترطيبهِ حسب الاقتضاء ومن تنقيتهِ من الغبار على قدر الامكان

مسامير الارجل

المسامير التي تظهر على ارجل بعض الناس ناشئة في الغالب عن لبس الاحذية الضيقة. فان طبقة الجلد السطحية تخشن وتسمك من ضغط الحذاء و ينبت فيها شيء شبيه بالمسمار يمتدُّ الى الجلد الحسّاس فيؤذيهِ و يسبب الالم عند الضغط . وقد تنبت بين اصابع القدم مسامير لينة لا تختلف عن سائر مسامير القدم الاَّ في لينها وسبب هذا اللين العرق الذي يكثر افرازهُ في منابتها . على ان المسامير لا تنبت في الجلد الاَّ بعد ارتفاع الضغط اي بعد خلع الحذاء فلو امكن لبسهُ على الدوام لتأكَّل الجلد بدلاً من ان يبرز ويتخذ شكل مسمار . وسبب هذا البروز الالتهاب المسبب عن الضغط

ولهذه المسامير تأثير عظيم في الصحة فانها تحرج الصدر وتضيق الخلق بوخزها المستديم . فلذلك عني الافرنج عامة مزيد العناية لتكون الاحذية واسعة الاَّ اهل «الموضة» وهم المصابون بهذه المسامير عادة دون سائر الناس . والانكليز والاميركيون اكثر الناس عناية باحذيتهم وتوسيعها الى حد الخروج عن المألوف . وقد بلغ من عناية الانكليز بالاحذية ان سئل دوق ولنتون عن اشد الاشياء لزوماً للجندي فقال هي ثلاثة : حذاء واسع وحذاء واسع وحذاء واسع

تنظيف الآنية الفضية

من اسهل الطرق لتنظيف الآنية الفضية وازالة ما علق بها من الصدإ والوسخ ان يملأ اناء من الالومنيوم او الفخار ماء حارًّا و يذاب فيهِ شيء من كربونات الصودا ثم تغمس الآنية التي يراد تنظيفها بضع دقائق في هذا السائل فتخرج منهُ نظيفة لامعة

ازالة الصباغ القديم

يزال الصباغ او الفرنيش القديم عن قطعة من الاثاث بدهنها بمزيج من الغراء الشديد الحرارة وتركها كذلك بضع ساعات فيتقشّر الصباغ و يزال عن الخشب بسهولة



الصناعة الاميركية

وهمة صانع

اميركا قطر زراعي كالقطر المصري وهو فوق ذلك صناعيٌّ والقطر المصري ليس كذلك. وهذا الفرق العظيم بينهما هو نتيجة طبيعية لاحتواء اميركا على الوسائل التي تقوم بها الصناعة وتروج وخلوّ مصر منها . واهمّ هذه الوسائل الفحم الحجري والحديد وسائر المعادن والمواد الخام التي لا بدّ منها في كل صناعة واتساع المتاجر الداخلية والخارجية . وجهد ما تستطيعهُ مصر في هذا المضمار اصلاح بعض شؤُونها الصناعية فتستغني عن بعض ما تستوردهُ من الخارج . اما منافستها للبلاد الصناعية فمتعذرة للاسباب المتقدمة

كانت اميركا تستورد مقداراً كبيراً من حاجياتها اللازمة للصناعة من البلاد الاجنبية واوربا في الجملة قبل الحرب الحاضرة فلما نشبت الحرب واصاب التجارة ما اصابها من العرقلة والكساد بسبب قطع دروبها البحرية انقطع عن اميركا ذلك الوارد او جلهُ فباتت مفتقرة كل الافتقار الى المواد الخام في صناعاتها المختلفة . ورأت حينئذٍ ضرر الاتكال على الغير ونفع الاعتمال فقامت تعتمل فاصلحت بعض ما اختلّ ورتقت بعض ما انفتق . ولا ادلّ على ما فعلت مما فعل كبير مخترعيها المستر اديصن في صناعة الفونغراف فقط . فقد حادثهُ بعضهم في هذا الموضوع فقال :

« ان الحرب ضرّتنا اعظم ضرر في كثير من مرافقنا . فقد كنّا من اكثر البلاد استيراداً للحامض الكربوليك الذي نستخدمهُ في صنع اسطوانات الفونغراف . وكان عندي منهُ عند شبوب نار الحرب وتحريم الاتجار بهِ حسبان انهُ من المهربات ما يكفيني شهرين ونصف شهر . وكانت احدى البواخر قد خرجت من احد المرافئ تحمل لي مئة الف رطل منهُ فحجزت في انكلترا . ومفاد ذلك انهُ يجب علينا اقفال مصانع الفونغراف ولكنني لم افعل بل ما زلت اجرّب التجارب حتى وفقت في ثلاثة اسابيع الى عمل مادة تقوم مقام الحامض الكربوليك وتفي بالمرام تجاريًّا

ثم حاولت شراء البنزول فلم اظفر بمرادي فطلبت من احد معامل الفولاذ ان يؤجرني

قطعة ارض اقيم فيها الآلات اللازمة لاستخراج البنزول واستخرجهُ بنفسي على ان اعطيهم مقابل ذلك ١٨ سنتاً مقابل كل جالون استخرجهُ فرفض طلبي مع انني لم اكلفهُ نفقة ما بل دفعت لهُ ثمن نفاية لا يحتاج اليها . ثم عرضت مثل ذلك على شركة اخرى فقبلت ولم يمضِ شهر ونصف حتى صرت استخرج بنزولاً ولكن ما كنت استخرجهُ لم يكن كافياً . فعرضت على شركة اخرى ان استخرج البنزول من نفاية مسابكها فقبلتهُ . ولكن هذا لم يكفِ ايضاً . فكاتبت شركة في كندا فتعهدت باستخراج البنزول على حسابي بشرط ان ارسل اليها الادوات اللازمة ففعلت

و بعد البنزول ربّ الورق اللازم في صناعة الفونغراف وهذا بات في الحرب من المهربات فتمكنت بعد جهد جهيد من الاتفاق مع احدى الشركات على تقديمهِ لي . وكذلك وجدت صعوبة كثيرة في الحصول على الماس اللازم للفونغرافات بعدما ادخل في حكم المهربات كرب الورق وغيرهِ

ومن البنزول استخرجت الانيلين فان بعض شركائي في صناعة اللستك طلبوا مني ان اساعدهم في استخراج الانيلين وكذلك استغاث بي بعض اصحاب المطابع فاقدمت على استخراج الانيلين وظفرت بمرادي بعد نشوب الحرب بخمسة اشهر فكنت اول من استخرجهُ في اميركا . ولا يزال المعمل الذي بنيتهُ لاستخراجهِ يعمل حتى الآن

ثم قامت ضجة في سوق الفراء وارتفعت صيحات الفرّائين بالاستغاثة اذ لم يجدوا رطلاً واحداً من الصباغ اللازم لصناعتهم وهو المعروف باسم بارافنيلين ديامين . فسألوني هل استطيع ان اوافيهم بهذه المادة و بملح الانيلين فاجبتهم بالايجاب وصنعت لهم ما يريدون منها

ونضب معين البارا اميدول فينول من مخازن صناعة الفونغراف فجهزتها بما يلزمها منهُ . والآن انا اعدّ العدة لعمل البنزيدين اللازم لهم لزوم الاول وقد كدت افرغ من ذلك ومتى فرغت منهُ فلا اجيب نداء آخر ولا البّي طلباً باقامة معمل لاني اشك في قدرتي على ابقاء هذه المعامل مفتوحة بعد انقضاء الحرب . ولا يخفى اني انما بنيتها اجابة لداعي الضرورة الملحّة وكان بناء الواحد منها لا يستغرق اكثر من شهرين

ترى من ذلك اننا بلغنا بعض الوطر من الاستقلال الصناعي بعدما اضطررنا الى تلبية مطالبنا بانفسنا والى الاعتماد بعد الاتكال على غيرنا ولكننا لن نستطيع كل الاستقلال في صناعة الاصباغ لان المانيا تصنعها احسن منا وارخص فلا بدّ لنا من شرائها منها . واي نفع لنا من اضاعة الوقت سدًى على عمل اشياء يستطيع غيرنا عملها بنفقة اقلّ . وارجح اننا نحتفظ

بالاصباغ البسيطة التي عندنا ولكنني اشك في قدرتنا على الاحتفاظ بالمركّبة · وسرّ تفوق المانيا في هذا الباب هو طول المدة التي مرّت عليها وهي تصنع الاصباغ وتتفنن فيها فلا طاقة لنا بمنافستها

والمرجح اننا لا نلدغ مرة اخرى فيما بعد كما لدغنا هذه المرة فان كان عندنا ٢٥ لونًا او ٣٠ من الاصباغ نستطيع عملها في هذه البلاد فهي تكفي لسدّ حاجاتنا ولا حاجة بنا الى صنع ١٦٥٧ لونًا · وعندنا من الاعمال والواجبات ما يزيد على مقدرتنا فلا نزاحم المانيا في هذا الميدان

ومن شرّ الامور علينا اننا لم نعمل بنزولنا وانيليننا فيما مضى بدلاً من ان نستوردهما من الخارج في حين اننا نطرح من خبَث الفحم الحجري كل يوم الوفًا من الاطنان · فنحن مسرفون في طرقنا التعدينية لاننا لا نستخرج من الفحم الاَّ ما يعود علينا بربح جزيل اما الاشياء الباقية فيهِ فننبذها اذ ليس عندنا قوانين تحول دون ضياع مئات الملايين من الاطنان سدى وترانا نستخدم الغاز الطبيعي لمجرّد تسلية الجمهور · فالواجب سنّ القوانين اللازمة لمنع ذلك · فلماذا تسنُّ ولاية منسوتا احدى ولاياتنا قانونًا لتعيين طول الملاءات وعرضها في اسرّة الفنادق ولا تستطيع البلاد كلها سنّ قانون خطير الشان يمنع اتلاف مواردها الطبيعية

ومن اهم المسائل التي يجب توجيه الانظار اليها في هذه البلاد مسئلة عمل الاسمدة النتروجينية اللازمة للزراعة فاننا نستطيع عملها ارخص كثيراً من المانيا لان قوة انحدار الماء عندنا اعظم والفحم ارخص وكلفة جميع المواد الخام اقلّ · وزد على ذلك كلهِ ان العمال الاميركيين امهر من غيرهم · خذ مثلاً لذلك مركبات الاتوموبيل عندنا ورخص اثمانها فان اوربا لا تستطيع فهم سبب هذا الرخص واجرة الصانع عندنا اكثر مما هي فيها · ولكن الصانع الاميركي اكثر مهارة وكفاءة من الصانع الاوربي · فقد قابلت بين البلدان المختلفة من هذه الجهة فوجدت النتيجة مدهشة · وكانت المقابلة بينهن فيما يستطيع الصانع ادارتهُ من الانوال وهذا العمل يقتضي قدراً من الحذق والمهارة فلذلك حسبتهُ افضل الاقيسة لذكاء الصناع · اما النتيجة التي توصلت اليها فهي ان الصانع الاميركي يفوق غيرهُ بار بعين في المئة في ادارة الانوال مثلاً · اي ان اميركا هي الاولى من حيث عدد الانوال التي يستطيع الصانع الواحد ان يديرها ويخرج منها نوعًا من البضاعة مساويًا لغيرهِ

وعندي انهُ يحسن بعلماء الاخلاق ان يدرسوا المعادلات العقلية في كل امة و يقابلوا بينها . ففي اثناء سياحتي في اوربا طرقت هذا الموضوع فوجدت اهل فرنسا اسرع انتباهاً من اهل سائر البلاد الى سماع صوت اتوموبيلي مثلاً واهل سويسرا ابطأهم فانك تكاد تدوس الناس هناك باتوموبيلك قبلما يسمعون صوتهُ ويحيدون من طريقهِ . مثلٌ آخر : لي معامل للفونغراف في برلين وانفرس ولندن . فمعمل انفرس أكفأ المعامل الثلاثة مع تشابه الاحوال المختلفة ومعمل برلين ثانيها ومعمل لندن ثالثها » انتهى

طلاء لا يحول

ظهر في عالم الصناعة منذ اربع سنوات طلاء عجيب لا يحول ولا يتأكل واسمهُ إلاتريت اي الزفت المطاط او اللستك المعدني . وهو مادة هيدروكربونية تستقطر وتسيَّل ثم يطلى بها كلُّ ما يراد حفظهُ من الفساد بالرطوبة والحرارة والتأكسد . وقد وجدت مناجم واسعة منهُ في ولاية يوتاه باميركا الشمالية وجرّب بان طلي بهِ الخشب والحديد والفولاذ والجلد واللستك والفلين والصفيح فخرجت مصبوغة بصباغ اسود لمّاع لايمحات ولا ينفذهُ الحامض والقلي والماء والكهربائية والاكسجين والنتروجين . و ٩٩ في المئة منهُ او اكثر كربون صرف

وقد دلت التجارب ايضاً انهُ اذا طليت بهِ الانابيب التي تمدّ تحت سطح الارض سواء كانت من الخشب او المعدن حفظها من البلى او الصدإ او التحوُّل الكيماوي بفعل الكهربائية . وكذلك حفظ ما يغرز من اعمدة التلغراف والتلفون في الارض فلم تبلهِ الرطوبة ولا ما في التربة من المواد الحامضة والقلوية . وحفظ ابدان السفن من فعل الماء العذب في البحيرات والماء الملح في الابحر والاوقيانوسات مما لم تقوَ الاصباغ المعروفة على حفظهِ

وظهر من تحليل هذا الطلاء لمعرفة سرّ قوتهِ العجيبة هذه ان تكريرهُ يخرج منهُ ١١,١٩ في المئة من الهدروجين و ٤,٧٨ في المئة من الاكسجين و ٠,١٧ في المئة من النتروجين و ٠,٢٤ في المئة من الكبريت فلا يبقى سوى الكربون الصرف فالسرّ في كون الماء والهواء لا ينفذانهِ هو تراصّ دقائقهِ . ثم انهُ يتخلل اصغر مسامّ المادة التي تطلى بهِ وهذا يمنع تشققهُ او تقشّرهُ . ولما كان قابلاً للمط حتى سموهُ اللستك المعدني كما تقدم القول فلا عجب اذا استخدم في طلاء اللستك النباتي او الكاوتشوك لحفظهِ من فعل النتروجين والاكسجين بهِ

ومن اعظم منافعهِ طلاء الجلد بهِ فيخرج اسود صقيلاً لماعاً لا يتشقق ولا يتقشر ولا

ينفذهُ الماء · وجلد مثل هذا لا يقدر نفعهُ في صناعة المركبات والاتوموبيلات والجزم وغير ذلك

وهو يباع الآن في الاسواق · ويقال ان في النمسا مناجم منهُ ولكنها دون مناجم اميركا اتساعاً ووسائل استخراجهِ فيها محدودة



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براءٌ منهُ كلهِ · ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق · فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ فالمقالات الوافية مع الايجاز تُستختار على المطوَّلة

صراخ المستغيثين

سيدي الفاضل محرر المقتطف الزاهر

بينا اتصفح مجلتكم الغراء اذ وقع نظري في باب التقريظ والانتقاد من شهر يناير الحاضر على كتاب « صراخ المستغيثين من ابناء الشرقيين » للدكتور زويمر المرسل الاميركي في هذا القطر ولما كنت من الذين اطَّلعوا على هذا الكتاب وان شئت فقل من الذين اسعدهم الحظ بمطالعتهِ وقد رأيت المقتطف ذكر بالاجمال موضوعات الكتاب واقتصر على ذلك مخالفاً سنتهُ التي نهجها من قبل في التقريظ والانتقاد الصريحين ولما كنت من الشرقيين المعنيين بعنوان الكتاب فاحببت ان اوجه نظرهُ الى ما جاء في الصفحة ٢٨ فيرى الكتاب زخرفاً من القول يغشى بصيصاً من الانتقاد يظهر لمنصف اذا جرد نفسهُ من كل عاطفة دينية ككاتب هذه السطور

الموضوع سهل يا جناب الدكتور والقلم في اليد والفكر حاضر وكلاهما فرسا بيان ولكن ما اخذهُ المقتطف على نفسهِ من الميثاق عقبة كؤُود في سبيل الذين يدافعون عن ابي حنيفة ان لم نقل يشرحون قولهُ وما انطوى عليهِ من سرائر التشريع المؤدية بالمرء الى سبيل النجاح والفلاح

وعهدنا بالمقتطف الاَّ يقرظ الاَّ الكتب القيمة التي من ورائها النفع العميم والاَّ ففمنا ملآن ماء فليفسح لنا باباً نخطئُ فيهِ آراء الشامتين وننبذ كل قول لغو حتى لا يدور بخلد البسطاء انا قوم بكم او عزل

يتبين للقارىء لاول وهلة ان كلام الدكتور زويمر ليس الاَّ مجرد وضع تقرير عن حالة ظاهرة كل الظهور بحيث لو تشابهت عليهِ المظاهر لوقف قلمهُ عن التسطير

وان قولهُ في الفصل الاول وجه ١٦ كلام يشف عن انصاف وعلينا ان نتقبلهُ على العين والرأس لو لم يقل ما قالهُ في الفصل الرابع وجه ٥٨

الا ان ارض مصر طيبة طاهرة فادخلوها بسلام آمنين منصفين في اقوالكم وانتقادكم: الا ان ارض مصر ليست مسرحاً للمقارنة بين نبيين ولا عذر فانهُ مهما ترسل النقادة لا يصل بنتائجهِ الى هذا الحد المحرك للعواطف

نعم ان للدكتور زويمر فضلاً في الانتقاد على بعض العادات يعترف بها الصغير من الشرقيين قبل الكبير منهم فحسبنا ذلك من الكتاب وعهدنا بالمقتطف الصراحة انهُ بها جدير وبقول الحق اجدر

محمد محمد سعفان

طالب بمدرسة القضاء الشرعي

[المقتطف] قرظنا الكتاب ولم نطالعهُ ولا خطر لنا ان فيهِ شيئاً من هذه المغامز ولو خطر لنا ذلك لطالعناهُ واشرنا اليها بما نستحقهُ من اللوم او لاهملناهُ كما اهملنا كتباً كثيرة مثلهُ . لاننا مع استحساننا قيام اناس من اصحاب كل دين ومذهب لانتقاد ما يرونهُ فيهِ مما يستحق الانتقاد نستهجن جداً ان يقوم اناس من غير دينهم او مذهبهم وينتقدون ما يعتقدون انهُ خطأ فيهِ لان التنديد بمعتقدات الغير لا يصلحها بل يزيد اصحابها تشبثاً بها ناهيك ان الخارج عن المذهب قلما يفهم حقيقة ما يحسبهُ خطا لانهُ لا يعرف كل ملابساتهِ فيخطئُ في حكمهِ اكثر مما يصيب

وبعدُ فاننا لا نستطيع ان ننتقد كل الكتب التي ترد الينا لان انتقاد الكتاب يستلزم مطالعتهُ ونحن لا يسعنا الوقت لمطالعة كل كتاب يرد الينا كل شهر ولا نحن مقيدون بذلك حتى نطالَب بهِ لان هذا التقيد يكاد يكون ضرباً من المحال . ومثَل المقتطف في ذلك مثَل اكثر المجلات العلمية

ارتقاء الموجودات

حضرة الاستاذ الفاضل محرر المقتطف

ذكرتم في صفحة ٦٠٢ من مقتطف ديسمبر الماضي انهُ « يظهر من النظر في الموجودات انها ترتقي من البسيط الى المركب ومن الجماد الى الحي » ويفهم من العبارة الاخيرة ان الحي يتولد من غير الحي مما يقول بهِ اصحاب مذهب التولد الذاتي الذي دحضتهُ المباحث البيولوجية الحديثة واظهرت خطأهُ كما يتبين من الشذرة التالية التي انقلها عن الدكتور ارثر لوس من كتابهِ « مقدمة في البيولوجيا » المطبوع سنة ١٩١٤ والرجل على ما اعلم ثقة في هذا العلم قال في صفحتي ١٠٥ و١٠٦ ما ترجمتهُ :

« لم يجد الباحثون البيولوجيون في العصور الماضية مانعاً من قبول توزيع (؟) واسع النطاق لما ندعوهُ في الاصطلاح بالتولد الذاتي اذ كان من الاعتقادات السائدة بينهم ان الابنية الآلية (organisms) المختلفة كانت ولم تزل تتولد بذواتها من مواد اجنبية وفي مواد اجنبية . وعليهِ كانوا يدَّعون ان الحنكليس (eels) وغيرها من الاسماك تولدت من الطين الذي في قاع البحار . وان الديدان التي تظهر في اللحم الفاسد كانت تتولد من عملية التعفن وان الدود الذي يظهر في اجسام بعض الانسان والحيوان متولد من اعضاء وانسجة الذين تظهر فيهم كنتيجة لعمليات وبيلة — غير انهُ باستعمال وسائل دقيقة وثيقة للمشاهدة والامتحان اخذت اخطاء هذه المزاعم تنجلي الواحدة تلو الاخرى فثبت ان للحنكليس اعضاء تناسلية كما للفقريات العليا وان صغارهُ تتولد من بويضات كبارهِ . وان الديدان لا تظهر في اللحم ما لم يصل اليهِ الذباب ويضع عليهِ بويضاتهِ . وان الدود المعوي يتولد من الجراثيم التي تدخل في حال الصغر المتناهي » . . . الى ان قال « وهذه النتائج التي انتهوا اليها بعد بحث دقيق متأنٍ استغرق طوال السنين تتلخص في قولهم : ان كل بناء آلي يتولد من بويضة وكل خلية تتولد من خلية وكل نواة من نواة »

وهذا القانون هو المعروف بقانون تولد الحياة (Law of Biogenesis)

فنرجو ان تزيدوا المسألة ايضاحاً . اذ نذكر اننا قرأنا لكم في المقتطف مقالات عديدة في دحض هذا المذهب (مذهب التولد الذاتي) لاسيما في ردودكم على مناقشات الطيب الذكر العلامة الدكتور شبلي شميل وفي الختام تفضلوا بقبول عظيم احترامي

عزيز يوسف

طالب بمدرسة الطب بقصر العيني

[المقتطف] اولاً ان قولنا « من الجماد الى الحي » لا يستلزم تولُّد الحي من الجماد الآن ولا القرينة تقتضي ذلك بل تقتضي شيئاً آخر وهو الاشارة الى ما في الموجودات من البساطة والتركيب كما يظهر لكم بالمراجعة فكأَنَّنا قلنا ان الاجسام الجامدة كالحديد والحجر ابسط تركيباً من الاجسام الحية كالنمل والخيل . وليس في ذلك اقل اشارة الى كون الحي متولداً من الجماد او الجماد من الحي ولا كنَّا نريد ذلك

ثانياً ان التولد الذاتي اي تولد جسم حي من جسم غير حي مباشرة في هذا العصر دعوى لم يقم عليها دليل قاطع حتى الآن واشهر من كان يدعيها الاستاذ باستيان الذي توفي حديثاً وآخر ما نشرناهُ عن تجاربهِ في التولد الذاتي مقالة لهُ في مقتطف مارس سنة ١٩١٤ يحسن بكم ان تراجعوها وخلاصتها انهُ ولَّد بعض الاحياء البسيطة بعوامل طبيعية وكيماوية كما تولدت المواد الحية في غابر الزمن من مواد غير حيَّة . راجعوا ايضاً ما كتبناهُ في ترجمتهِ حين وفاتهِ في مقتطف يناير سنة ١٩١٦ . اما نحن فلم نجرّب التجارب التي جربها حتى يحق لنا ان نقول ان استنتاجهُ صحيح او غير صحيح

ثالثاً اننا لم نرَ الكتاب الذي اشرتم اليهِ ولكن اذا كان على نسق الفقرة التي ترجمتموها عنهُ فهو للمبتدئين لان الكلام الذي نقلتموهُ يعرفهُ الآن الاطفال من اولاد الانكليز وكنا نعلّمهُ لاطفالنا منذ عشرين سنة . واذا لم تكن فيهِ لفظة « الان » في الفقرة الاخيرة التي نقلتموها عنهُ فمؤَلفهُ ليس من العلماء المدققين او الكتاب لم يؤَلَّف حديثاً لانهُ اذا كانت كل خلية لا تتولَّد الاَّ من خلية وكل نواة لا تتولَّد الاَّ من نواة صارت الخلية والنواة قديمتين وهذا باطل . ولا بدَّ من زمن تولَّدت فيهِ الخلية الاولى من شيء ليس خلية والنواة الاولى من شيء ليس نواة . ولكن اذا ادخلنا كلة « الان » في العبارة استقام المعنى ولو خالف ما يقولهُ بعض العلماء الذين يدَّعون انهم ولَّدوا اجساماً حيَّة من مواد جمادية . ونشير عليكم ان تطالعوا خطبة الاستاذ شيفر حينما كان رئيساً لمجمع ترقية العلوم البريطاني سنة ١٩١٢ وهي منشورة في مقتطف اكتوبر ونوفمبر ودسمبر تلك السنة ومقتطف فبراير سنة ١٩١٣ والمناظرة التي جرت في مجمع ترقية العلوم البريطاني على اثرها وما كتبناهُ حديثاً عن تجارب الدكتور باستيان . ويظهر لنا نحن من كل ما اطَّلعنا عليهِ في هذا الموضوع انهُ لم يستتب لاحد حتى الآن ان يولِّد جسماً حيًّا من جسم غير حي

باب التقريظ والانتقاد

صبح الاعشى

اهدت الينا دار الكتب السلطانية الجزء العاشر من صبح الاعشى الذي عنيت بطبعهِ وهو يحتوي على ما كان يكتب في القاب الملوك والسلاطين قبل عصر المؤلف وفي عصرهِ وما كان يكتب من ذلك عن الخلفاء الراشدين والامويين والعباسيين ووزراء الخلافة وارباب الوظائف من اصحاب السيوف والاقلام . وما كان يكتب عن مدعي الخلافة ببلاد المغرب والاندلس وعن الفاطميين في الديار المصرية

فما كتب في عهد الفاطميين عند تقليد امارة الحج ما يأتي :

« الحمد لله الذي طهَّر بيتهُ من الأرجاس ، وجعلهُ مثابةً للناس ، وآمن مَنْ حلَّهُ ونزَلهُ ، واوجبَ اجرَ من هاجر اليهِ ووصَلهُ

يحمدهُ امير المؤمنين ان خصَّهُ بحيازة البيتِ الاعظم ، والحجرِ المكرَّم ، والحطيم وزمزَم ، وافضى اليهِ ميراث النبوَّة والامامة ، وتُراث الخلافة والزَّعامة ، وجعلهُ لفرضهِ موفيًا ، ولحقوقهِ مؤدّيًا ، ولحدودهِ حافظًا ، ولشرائعهِ ملاحظًا ، و يسألهُ ان يصلّي على مَن أمرهُ بالتأذين في الناس بالحجّ الى بيتهِ الحرام لشهادة منافعهم ، وتأدية مساكنهم ، وقضاء تفثهم ، ووفاء نذرهم ، وذكر خالقهم ، والطواف بحرمهِ ، والشكر على نعمهِ : سيدنا محمدٍ رسولهِ صلى الله عليهِ وعلى وصيهِ وخليفتهِ ، و باب مدينة علمهِ وحكمتهِ : عليّ بن ابي طالب سيد الوصيين ، وعلى الأئمة من ذرّيتهما الطاهرين

وإنّ اولى ما صرف امير المؤمنين اليهِ همتهُ ، ووفّر عليهِ رعايتهُ ، مُثابراً عليهِ ، وناهضاً لحق الله تعالى فيهِ ، النظرُ في امر رفق الحجيج الشاخصة الى بيت الله الحرام ، وزيارة قبر نبيهِ عليهِ افضلُ الصلاة والسلام ، وردُّهُ الى من حلّ محلك من الدين ، وتميز بما تميز بهِ صلحاء المسلمين : من العلم ، ورجاحة الحلم ، ونفاذ البصيرة ، وحسن السريرة ، وعدل السيرة ، ولذلك رأى امير المؤمنين ان قلّدك امر رفق الحجيج المتوجهة من موضع كذا الى الحرمين

المحروسين ، وولاّك الحرب والاحداث بها : واثقاً باستقلالك وغنائك ، وسدادة واصابة آرائك ، فتقلّد ما قلّدك امير المؤمنين بعزم ثاقب ، ورأي صائب ، وهمّة ماضيه ، ونفس ساميه ، وشمّر فيهِ تشميراً يُعرب عن محلك من الاضطلاع ، ويدلُّ على استقلالك بحق الاصطناع ، وخُصَّ الحجّاج بأتمّ الأحظ ، وكنْ من امرهم على تيقظ ، واُعتمدْ ترفّهم في المسير ، وسوّ في رعايتهم بين الصغير والكبير ، فانهم جميعاً الى الله متوجهون ، والى بيتهِ قاصدون ، وعلى رسولهِ صلى الله عليهِ وسلم وافدون ، قد استقربوا بعيدَ الشقّة ، واستدمثوا خشِنِ المشقّة ، رغبةً في ثواب الله وعفوهِ ، والنجاةِ من عقابهِ وسطوهِ ، وتقرُّباً اليهِ بارتسام امرهِ وطاعتهِ ، وايجاباً لحرمة بالحلول في عرَاص بيتهِ وافنيتهِ ، فرافدتهم واجبة ، ومساعدتهم لازبة ، حتى يصلوا الى بغيتهم وقد شملتهم السلامةُ في الانفس والاموال ، والامنة في الخيل والرجال : متوجهين وقارّين وقافلين ، بعد ان يشهدوا منافعهم ، ويؤدُّوا مناسكهم ، ويعملوا بما حدّ لهم . ورُدّهم في سيرهم عن الازدحام ، ورتّبهم على الانتظام ، ودراءهم في ورود المناهل ، وامنعهم من التحادث عليها والتكاثر فيها ، حتى لا ينفصلوا منها الاّ بعد الارتواء ، ووقوع التساوي والاكتفاء ، وقدم امامهم من يمنعهم من التسرُّع ، واخرْ وراءهم من يحفظهم من التقطع ، ورتب ساقتهم ، ولا تخلّ بحفظهم من جميع جهاتهم ، وطالع امير المؤمنين في كل منزل تنزلهُ ومحلٍ تحلّهُ بحقيقة امرك ليقف عليها ، ويمدّك بما ينهضك فيها

هذا عهدُ امير المؤمنين اليك فتدبّرهُ عاملاً عليهِ ، متبصّراً بما فيهِ ، عاملاً بما يحسن موقعهُ لك ، ويزيدك من رضا الله وثوابهِ ، ان شاء الله تعالى »

والى القارىء مثلاً آخر مما كان يكتب في عهدهم ليقابلهُ بما يكتب الآن فيعلم ما بين الزمانين من المجال الواسع في القول والعمل

فمن ذلك سجل بمباشرة الاغنام والمطابخ وهو :

« لما كانت الامانةُ كافلةً بالتنويه لاربابها ، والكفايةُ سافرةً في التمييز لمن يتعلق باسبابها ، والخبرةُ خلّةً لا يليق التصرُّف ولا يحسن الاّ بها ، وكنتَ ايها القاضي مشهورَ النّفاذِ والمعرفة ، خليقاً إذا ذكر المرشّحون لمهمات باجمل صفة ، وقد عُلمتْ نباهتُك ، واستقرتْ نزاهتُك ، وحسُن فيما تتولاهُ أثرُك وطاب فيما تباشرهُ خبرُك . وحين عُرفت

بك الخدَم فيما يستدعى ويُبتاعُ من الاغنام برسم المطابخ السعيدة وما يُنفق ويُطلق منها ، متصرّفًا في ذلك بين يدَي المخلص السديد صفيّ الملك مأمونِ الدولة ابي الحسن : فرجٍ الحافظي ادام الله تأييدهُ ، فشكر سعيك ، واحمد قصدَك ، ورضى أجتهادك ، واستوفق أعتمادك — تقدّم فتى مولانا وسيدنا فلان بكتب هـذا المنشور لك ، مضمَّنًا ما يقضى بشدّ أَزْرك ، وشرح صدرِك ، وتقوية مُنّتك ، وإرهاف عزْمك في خدمتك ، واعتمادِك بما يؤدّي إلى استقامة الامر فيما عُدق بك ، ومساعدتك ومعاضدتك ومعونتك في اسبابك ، وتبلغك اقصى طلابك ، والاميران يعتمدان رعايتك ، والشدَّ منك وإعانتك ، والمحافظةَ على مصالح امرك والتلبيةَ لدعوتك ، وتوفير حظك من الملاحظة لشُؤُونك . فلتعلم هـذا ولتعمل بهِ ، ان شاء الله تعالى » انتهى

وقد دام شأن البلاد كلاميًّا هكذا الى ان لم يبقَ فيها من التسعة الملايين الذين كانوا في زمن الرومان الاَّ نحو مليونين

وثمن النسخة من الكتاب ١٢ غرشًا بالمفرق و ١١ غرشًا بالجملة . وهو على غاية ما يكون من جودة الورق واتقان الطبع

الثمرات . حديث ابليس

هذان كراسان من تأليف حضرة الاديب عبد الرحمن افندي شكري قال عن الاول منها « هذه ثمرات اقانين من ثمرات الفكر والعواطف بعضها قديم و بعضها جديد » . وقال عن الثاني انهُ كتاب خلقي جمع بين الفكاهة والجد وهو ابحاث في النفس والحياة . وقد ذيلهُ بقطعات جاء بها من دواوينهِ التي نشرها

رواية الصلك المشهور

قصة شعرية شخصية من قلم حضرة الدكتور لويس صابونجي تتضمن حكاية ما جرى لهُ في مصر مدة اقامتهِ فيها

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف · ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائله باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم يدرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكرّرهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) نفقات انكلترا الحربية

نيوزيلندا · الخواجه كريم مخيبر · قال المستر مكنا وزير المالية ببلاد الانكليز ان نفقات بريطانيا تقدر الآن بستة ملايين جنيه كل يوم · وان في آخر شهر مارس المقبل تكون النفقات البريطانية قد بلغت ٣٤٤٠٠٠٠٠٠٠ جنيه وقال ان بريطانيا قد اقرضت حلفاءها ٨٠٠٠٠٠٠٠٠ جنيه · فلماذا تدخل بريطانيا ما تقرضهُ حلفائها بين نفقاتها الحربيَّة مع ان الدول التي اقترضتهُ تذكرهُ بين نفقاتها

ج · ان الحكومة الانكليزية لا تستطيع ان تقوم بالنفقات ما لم يصادق مجلس النوّاب على ذلك سواء انفقتها هي او أقرضتها لحلفائها ومراد الوزير ان يذكر كيف صُرف هذا المال الذي وافق مجلس النواب على صرفهِ

(٢) اي المحاربين اشد خسارة

ومنهُ · اذا انتهت هذه الحرب ولم تدفع فيها غرامات ولا تغيَّرت خريطة اوربا الا تكون نفقاتها اثقل على روسيا وفرنسا منها على المانيا لان المانيا لم تقترض الاموال الاَّ من شعبها

ج · اكثر العبرة ليس بالجهة التي اقترضت منها الاموال بل بما تلف من خيرات البلاد زمن الحرب وبما خسرتهُ من رجالها وصادراتها · فالمانيا وحليفاتها اتلفن من خيرات بلدانهنَّ وخسرن من رجالهنَّ كما تلف من خيرات الحلفاء وكما خسروا من رجالهم تقريباً · ولكن اين صادرات الالمان وحلفائهم فقد قضي عليها وليس كذلك صادرات الحلفاء فان مقدارها قلَّ ولكن زادت قيمتها زيادة تكاد تقوم مقام النقص فيها · وقد استفاد الالمان وحلفاؤُهم من البلدان التي احتلوها ولكن لا بدَّ لهم من ان يردوا ما اخذوهُ منها ويصلحوا ما خرَّبوهُ فيها

(٣) المضارب والكيربنجات

شبراخيت · احمد افندي الصراف · قرأت في الجزء الاول من الاغاني طبعة الساسي صفحة ٦٨ ما نصهُ « فقبحهُ عُمَر فاذا

هو مملوءٌ من المضارب وهي الكيربنجات ». ثم قرأت في الجزء الثاني صفحة ١٥٣ هذا البيت

فما روضة من رياض القطا
كأنَّ المصابيح حوذانها

فما هو المضرب وما هو الكيربنج وما هو الحوذان وهل المصابيح هنا بمعنى القناديل ام كيف

ج . اننا نقتني طبعة بولاق من كتاب الاغاني فلم نجد ما ذكرتموهُ فيها الأ بعد المشقة لاختلاف الصفحات ويا حبذا لو جعل الساسي صفحات طبعتهِ وسطورها مثل طبعة بولاق لكي يصلح فهرس طبعة بولاق لطبعتهِ . وبعدُ فالقصة التي وردت فيها كلتا مضارب وكيربنجات يقال فيها ان عُمَر بن ابي ربيعة الشاعر المشهور لقي نسوةً من جواري بني اميةً قد حججن فتمرَّض لهن وحادثهن فارسلن اليهِ هدية تذكرهُ بهنَّ وهي صندوق مقفل ففتحهُ فاذا هو مملوءٌ من المضارب وهي الكيربنجات وعلى كل واحد منها اسم رجل من مجان اهل مكة وفيها اثنان كبيران عظيمان على احدهما اسم الحارث بن خالد وهو يومئذٍ امير مكة وعلى الآخر اسم عمر بن ابي ربيعة . فاصلح لهن مأدبة ودعا اليها كل واحد ممَّن لهُ اسم في تلك المضارب فلما اكلوا واطمأنوا للجلوس قال هات يا غلام تلك الوديعة فجاءهُ بالصندوق ففتحهُ ودفع الى الحارث الكيربنج الذي عليهِ اسمهُ فلما اخذهُ وكشف عنهُ غطاءهُ فزع وقال ما هذا اخزاك الله فقال لهُ رويداً اصبر حتى أخرج واحداً واحداً ادفعهُ الى من عليهِ اسمهُ حتى فرَّقها فيهم ثم اخرج الذي باسمهِ وقال هذا لي فقالوا لهُ ويحك ما هذا فحدثهم بالخبر فعجبوا منهُ وما زالوا يتمازحون بذلك دهراً طويلاً ويضحكون منهُ انتهى

والمضرب في العربية العظم الذي فيهِ المخ وما ضُرب بهِ العود وغيرهُ والمعنى الاول اصلح هنا . ولكن الكيربنج او الكيربنج فارسيَّة على ما يظهر ومعانيها كثيرة ليس فيها معنى عظم المخ ولا معنى مضرب العود

والحوذان زنبق الماء او النيلوفر اي ان ازهار هذه الروضة كالمصابيح

(٤) كتب الآداب العربية

اسيوط . ثابت افندي جرجس بشاي . ماذا جرى في امر المؤلفات التي اتى بها سعادة احمد زكي باشا لتوسيع دائرة النهضة العربية او الاداب في الشرق

ج . تأجل نشرها الى ما بعد الحرب

(٥) هل الذكاء فطري

ومنهُ . هل الذكاء فطري يولد مع الطفل ثم ينشأ بنشوء قواهُ العقلية او هو اكتسابي ويمكن ترقيتهُ بالعلم والتهذيب

ج . ان اصولهُ فطرية وراثية وتنمو رويداً رويداً بنمو القوى العقلية وتوالي الملاحظة والاختبار والعلم والتهذيب

(٦) السعد والنحس

ومنهُ . هل يوجد برهان علمي يكذب ما يعتقدهُ رهط كبير من الناس عن سعد الطالع ونحسهِ

ج . اذا اردتم بالبرهان العلمي ما كان من نوع البرهان الرياضي المبني على الاوليات والبديهيات كالبرهان على ان مجموع الزوايا الثلاث من كل مثلث يعدل زاويتين قائمتين فلا برهان على صحة هذا الاعتقاد ولا على نقضهِ . واذا اردتم بهِ الدليل الاستقرائي كقولنا ان النار تحرق الخشب وان نبات القطن يتولد من بزورهِ لان كل الناس الذين وضعوا الخشب في النار رأوا النار تحرقهُ وكل الفلاحين الذين زرعوا القطن زرعوا بزورهُ فنبت نبات القطن منها فهذا الدليل لم يتوفر للناس حتى الآن توفراً يقنع الجميع . ولكن يقلّ اعتماد الناس على الطالع بزيادة علمهم واختبارهم فمن الجهة الواحدة لا يرون ادنى علاقة بين مطالع النجوم مثلاً وافعال الناس وما ترتبط بهِ من اسباب النجاح والفشل ومن الجهة الاخرى لا يرون ان ما ينسب الى الطالع من السعد والنحس يجري على وتيرة واحدة كما تجري الافعال الطبيعية على وتيرة واحدة ولذلك سيقل اعتقادهم بالطالع رويداً رويداً حتى يزول تماماً

(٧) العلم والاخلاق

ومنهُ . هل من علاقة بين العلم والاخلاق ولماذا نجد بعض الاحيان اخلاقاً شرسة في اناس استوفوا العلم في المدارس

ج ان الاخلاق موروثة كطول القامة وقصرها وبياض الوجه وسمرتهِ والعلم قد يهذب الاخلاق بعض التهذيب كما قد يطيل الانسان قامتهُ باستعمال بعض انواع الرياضة التي تطيل القامة ويبيض بشرتهُ او يسمرها ببعض المواد الكيماوية

(٨) الطبائع الاربع

ومنهُ . يقال في الامثال العادة خامس طبيعة فما هي الطبائع الاربع الاخرى

ج . هي اولاً المزاج الخاص بالبدن وثانياً الهيئة التركيبية . وثالثاً القوة المدبرة . ورابعاً حركة النفس . وذلك كلهُ من مصطلحات قدماء الاطباء

(٩) قدم المحاماة

ومنهُ . في اي عصر من العصور وجدت مهنة المحاماة

ج . هي قديمة جدًّا فقد كانت عند الرومان واليونان وقد اوردنا غير مرة فصلاً من دفاع بعض كبار الخطباء في مجالس القضاء عند الرومان

(١٠) ضرب الغواصات للسفن

فو يسنا . الدكتور ميخائيل عوض . هل ينبغي ان تظهر الغواصة على سطح الماء حتى يمكنها ان تقذف الباخرة بطربيد وتغرقها او انها تستطيع ان تقذفها بالطربيد وتغرقها

وهي تحت سطح الماء. وفي الحالة الثانية ما فائدة تسليح البواخر التجارية اذا كانت معرضة للغرق من غير ان ترى الغواصة

ج. يظهر لكم من مقالة نشرت في مقتطف نوفمبر سنة ١٩١٥ ان الغواصة لا تستطيع ان ترمي سفينة بطربيدها ما لم تكن عينها فوق الماء اي ما لم تدنُ هي ايضاً من سطح الماء فيسهل على السفينة المسلحة ان تصيبها حينئذٍ بمدافعها

(١١) علم الفنجان

مصر. عبد الملك افندي شلبي. ارجو التكرّم بابداء رأيكم في فنجال القهوة او ورق الكتشينة الذي يدعي بهِ بعض المشعوذين افرنجاً كانوا او وطنيين او غيرهم علم ماضي الانسان ومستقبلهِ وهل في ذلك شيء من الصحة

ج. لا يحتمل بوجه من الوجوه ان المواد الجامدة كالفنجان والورق تدلُّ من نفسها على شيءٍ ماضٍ او مستقبل ولكن المشعوذ الذي يستخدم هذه المواد يستدل بزكانتهِ على امور كثيرة من تاريخ الشخص الذي يخبر عنهُ واهمُّ من ذلك ان الشخص نفسهُ يخبر المشعوذ اموراً كثيرة عن نفسهِ وهو لا يدري ويصيبهُ نوع من الاستهواء الذاتي فيفهم ما يقولهُ لهُ المشعوذ حسب ما هو راسخ في ذهنهِ لا حسب قول المشعوذ فاذا قال لهُ المشعوذ مثلاً ان الذي سرق خاتمك هو خادمك احمد ولم يكن عندهُ خادم اسمهُ احمد بل كان اسم خادمهِ مصطفى فهم ان المشعوذ قال مصطفى لا احمد واذا قال لهُ ان المسروق لك هو سوار وكان المسروق خاتماً فهم انهُ قال خاتماً. اي انهُ يفهم ما هو راسخ في نفسهِ لا ما يسمعهُ من المشعوذ. هذا هو الغالب في الاقوال التي تأتي مطابقةً للواقع وهي التي تحفظ ويشاع امرها واما الاقوال التي لا تأتي مطابقةً للواقع فتنسى ولا تشاع

(١٢) الجن والزار

ومنهُ. ما رأيكم في اناس يقال انهم ملوسون من الجن فيعمل لهم الزار الشائع في مصر وهل يعقل ان جنيةً تحب رجلاً وتقترن بهِ او تجعلهُ يهجر زوجتهُ

ج. ان الزار وكل ما يتعلَّق بهِ من اعمال التدجيل التي تستهوي ضعاف الارادة والمائلين الى تصديق الاوهام. والغالب ان ضررها كثير. والشاب الذي ذكرتموهُ في سوءالكم وقلتم ان جنيةً احبتهُ وجعلتهُ يهجر زوجتهُ اذا حسنت صحتهُ وزال وهمهُ زال ما بهِ من الضعف

(١٣) الحركة التورانية والاسلام

الاسكندرية. ابرهيم افندي راشد. جاء في مقتطف نوفمبر الماضي في مقالة عن الحركة التورانية ان المراد منها الابتعاد عن الاسلام ثم قيل ان غرض اصحاب هذه

الفكرة جعل التركي العثماني تركيًا اولاً ومسلمًا ثانيًا . فكيف يمكن التوفيق بين هذين القولين المتناقضين

ج . لا نرى فيها تناقضاً فان التركي مسلم على كل حال والدين فوق كل شيء عندهُ فهو الاول في اعتبارهِ واما الحركة التورانية فترمي الى جعلهِ في المنزلة الثانية وجعل الجنسية التورانية في المنزلة الاولى وذلك بمثابة الابتعاد عن الاسلام

(١٤) سبب الصلع

ومنهُ . هل من سبب يوجب الصلع

ج . يظهر من البحث في تاريخ الانسان الطبيعي ان جسمهُ كلهُ كان مغطّى بشعر طويل ولا يزال الشعر طويلاً في اجسام بعض قبائل الانو . والشعر في اجسام بعض الشعوب اكثر منهُ في غيرهم وفي بعض الناس من الشعب الواحد اكثر منهُ في غيرهم . ويكون بدن الجنين مغطًّى بشعر طويل قبل ولادتهِ . وذلك كلهُ من الادلة على ان بدن الانسان كان مغطًّى كلهُ بشعر طويل في اول عهدهِ وقد زال هذا الشعر الآن من اكثر البدن ومن وجوه النساء ايضاً ولا يبعد أن يزول من الرأس بعد عصور متطاولة لاسباب غير معلومة تماماً . واكثر ما يوجب الصلع الآن الوراثة وانهاك الجسم في الصبا بالسهر الطويل والافراط في استعمال القوة العصبية

(١٥) قسمة الليل والنهار

ومنهُ . مَن اول من قسم الليل والنهار الى ٢٤ ساعة وما سبب ذلك

ج . ان اسهل طرق القسمة هي القسمة الى انصاف واثلاث وارباع فقسم القدماء كل شيء تقريباً الى اثني عشر قسماً او اربعة وعشرين قسماً فقسموا الرطل الى ١٢ اوقية والقدم الى ١٢ عقدة والفدان الى ٢٤ قيراطاً والقيراط الى ٢٤ سهماً لان كلاًّ من هذين العددين يسهل قسمتهُ على اثنين وثلاثة واربعة اي يؤْخذ نصفهُ وثلثهُ وربعهُ بسهولة . ولذلك شاع عند القدماء من قديم الزمان قسمة النهار والليل الى ٢٤ قسماً متساوية الاَّ ان اليونان كانوا في اول عهدهم يقسمون النهار الى اثني عشر قسماً طويلاً كان كما في الصيف او قصيراً كما في الشتاء وكذلك الليل فتكون الساعات طويلة او قصيرة حسب طول النهار وقصرهِ او طول الليل وقصرهِ . ولا يعلم تماماً اي الشعوب جرى على هذه القسمة اولاً

(١٦) القمر والمطر

ومنهُ . لاحظت كثيراً في فصول الشتاء ان الليالي التي يكون القمر فيها ساطعاً يمتنع سقوط المطر فيها فهل هناك تأْثير من اشعة القمر فيمتنع وقوع المطر

ج . كلاَّ ولكن ان كان ما لاحظتموهُ صحيحاً فسببهُ ان اشعة القمر تسطع متى قلَّ

البخار من الهواء . والمطر بخار برد فانعقد ماء ولذلك لا ينتظر وقوع المطر اذا قلّ البخار كثيراً

(١٧) سكن الارض قبل آدم

مغاغه . محمد افندي حسني . هل كانت الارض مسكونة قبل سكن سيدنا آدم لها

ج . اذا اردتم بسكن الارض وجود الاحياء فيها فالعلوم الطبيعية كالجيولوجيا والبلنتيولوجيا تدل على ان اكثر انواع الحيوان سكنت الارض قبل ظهور الانسان فيها . واذا اردتم بسكن الارض وجود اناس قبل آدم فالعلوم غير الدينية المبنية على البديهيات كالحساب والجبر والهندسة او على الاستقراء والامتحان كالطبيعة والكيمياء والفسيولوجيا والباثولوجيا او على المعاملات كالقوانين الجنائية والمدنية والتجارية او على اخبار الناس واثارهم كالتاريخ والاركيولوجيا كل هذه العلوم وامثالها لا تعلّم شيئاً عن آدم وانما يعرف شيء عنهُ من الكتب الدينية كالتوراة والانجيل والقرآن والبحث في ذلك ديني ليس من موضوع المقتطف

(١٨) اختلاف الليل والنهار باختلاف البلدان

ومنهُ . ما هي البلاد التي يختلف فيها الليل عن النهار اختلافاً متفاوتاً عن بلادنا المصرية

ج . كل البلدان التي عرضها ليس مثل عرض القطر المصري يختلف فيها الليل والنهار اكثر مما يختلفان في القطر المصري او اقل منهُ فالبلاد التي عرضها اقل من عرض القطر المصري اي انها اقرب الى خط الاستواء من القطر المصري كالسودان مثلاً الاختلاف فيها بين الليل والنهار اقل منهُ في القطر المصري . والبلاد التي عرضها اكثر من عرض القطر المصري اي هي ابعد منهُ عن خط الاستواء كالمانيا وانكلترا وروسيا الاختلاف فيها بين الليل والنهار اكثر منهُ في القطر المصري

(١٩) نهار ٦ اشهر وليل ٦ اشهر

ومنهُ . اصحيح توجد بلاد يستمر فيها الليل ستة اشهر والنهار ستة اشهر وكيف يعيش السكان هناك

ج . نعم وهي عند قطبي الارض تماماً فعند الدرجة $\frac{1}{2}$ ٦٦ من الطول الشمالي والجنوبي يكون طول النهار الاطول ٢٤ ساعة وعند الدرجة $\frac{1}{2}$ ٦٧ يكون طول النهار الاطول شهراً كاملاً وعند الدرجة ٧٨ يكون طول النهار الاطول اربعة اشهر وعند القطب تماماً تظهر الشمس فوق الافق نصف سنة وتغيب تحت الافق نصف سنة ولا سكان هناك



كاشف للتيفويد

ورد في المجلة الطبية الانكليزية ان الدكتور الكبتن ماريس الانكليزي جرَّب كاشفاً جديداً لحمى التيفويد والباراتيفويد في بعض المشتبه في اصابتهم بهما · واساس هذا الكاشف فعل الاتروبين بالقلب · فاذا تناول المرء جرعة من الاتروبين وكان سليماً من المرض اوكان مصاباً بغير التيفويد والباراتيفويد زادت نبضات قلبهِ ٢٠ نبضة او اكثر في الدقيقة · واذا كان مصاباً بالتيفويد او الباراتيفويد زادت النبضات عشراً او اقل · واذا كانت الزيادة بين ١٠ و ٢٠ فالحالة مجهولة غير جلية · اما طريقة تجربة هذا الكاشف فهي كما يأتي : يضجع المصاب على ظهرهِ بعد ساعة من تناول طعامهِ على القليل ويبقى هادئاً تمام الهدوء ثم يعدّ نبضهُ مدة عشر دقائق ويؤْخذ متوسطهُ · وبعد ذلك يحقن تحت الجلد بسلفات الاتروبين ومقدار الحقنة $\frac{1}{٣٣}$ من القمحة ثم يعدّ النبض بعد مرور ٢٥ دقيقة من الحقن دقيقة فدقيقة حتى يشعر بزيادة النبض ان كان هناك زيادة وحتى يأخذ النبض في التناقص · وربما اقتضى ذلك كلهُ ٢٠ دقيقة

خليج المانش وسلامتهُ

من الاعمال التي تستحق الاعجاب في هذه الحرب دفاع الانكليز عن خليج المانش الفاصل بين بلادهم وفرنسا دفاعاً صيرهُ اشبه بشقة حرام على الالمان اذ قلما نسمع عن دنوّ سفنهم الحربية منهُ فضلاً عن اختيالها فيهِ كما تفعل في ترعة كيال · فقد ورد في تقرير للاميرال باكون الانكليزي الموكل بسلامة الخليج ان سفنهُ التي تخفر الخليج رأت في خلال ستة اشهر ٢١ الف سفينة تجارية تمرُّ بهِ فلم يؤْذِ الالمان منها سوى ٢١ سفينة اي واحدة من كل الف ولم يفقد في خلال هذه المدة احد من الجنود الانكليزية التي نقلت الى فرنسا

طول باريس ووشنطن

شرعوا منذ اكتوبر سنة ١٩١٣ يقيسون طول باريس ووشنطن الجغرافي بواسطة التلغراف اللاسلكي لمعرفة الفرق بين طول المكانين · فوجدوا ان البعد بينهما ٦١٧٥

كيلو متراً او ٥ ساعات و١٧ دق و٣٥٫٦٧ من الثانية بعبارة جغرافية · ويقال انهُ ان كان هناك خلل فهو لا يزيد على واحد في المئة من الثانية · ومعنى ذلك انهُ اذا كان الوقت في باريس ظهراً في يوم ما كانت الساعة في وشنطن نحو ½٥ بعد الظهر في ذلك اليوم

موسم القمح الاميركي

يؤْخذ مما روتهُ الصحف الانكليزية الموثوق بها ان مَحْل موسم القمح الاميركي هذه السنة افضى الى قلق كثير في جزر الهند الغربية التي تعتمد في قمحها على ما يردها من اميركا فقط · وعليهِ قامت حكومة الجزر تهتمّ بالامر وتتخذ الحيطة اللازمة لهُ فاقترحت جريدة بربادوس الزراعية ان يكثر من زراعة الذرة والكساڤا والبطاطا (الحلوة) لسدّ ما ينقص من القمح على ان هذه المواد ولاسيما البطاطا سريعة التلف بالنسبة الى القمح فلا بدّ من بذل مزيد العناية لمنع تلفها واذا ظهر ان موسم القمح الاميركي عظيم النقص الى حدّ ان لا ينال الجزر المذكورة قسط يذكر منهُ جيء بالرز من غيانا الانكليزية للاستعانة بهِ على سدّ النقص

اجتياز الاتلانتيكي بالطيارة

ينوي ضابط نروجي وآخر اسوجي اجتياز الاوقيانوس الاتلانتيكي بالطيارة من نيوفوندلند شرقي كندا الى ارلندا فلندن من غير انقطاع · وسيشرعان في ذلك في ابريل او مايو القادمين فيقطعان المسافة في ٢٠ ساعة على ما يقدَّر · وستكون الطيارة اميركية من ذوات الاسطح الثلاثة طولها من طرف الجناح الواحد الى طرف الآخر ١٣١ قدماً وفيها ٦ موطرات قوة كل منها ١٦٠ حصاناً وتستطيع رفع ٥٥ طنًّا وتحمل ستة اشخاص وهي مجهزة بمثل قارب بخاري حتى اذا اضطرت ان تنزل الى البحر طوت جناحيها واتمت السفر فيهِ · وسيصحب الضابط النروجي قرينتهُ معهُ · فاذا بلغ الركب مدينة لندن سالمين نالوا جائزة الدايلي مايل الانكليزية وقدرها ١٠ آلاف جنيه وجائزة جريدة الماتن الفرنسوية وهي مثلها وجوائز اخرى مالية غيرهما

درجة جمود الزئبق

ظهر من بعض التجارب التي جربت في اميركا حديثاً ان درجة جمود الزئبق كانت — ٣٨٫٨٧ سنتغراد او — ٣٧٫٩٧ فارنهيت · ومما يذكر في هذا الصدد ان الحكومة الانكليزية عينت سنة ١٨٦٢ جائزة قدرها ١٥٠ جنيهاً لمن يكتشف لها هذه الدرجة فكانت — ٣٨٫٨٥ س وهي تطابق التجربة الاميركية ولا تختلف عن نتيجتها الاَّ بعشرَين

الانزيم أُوزون
وتكريم مكتشفهِ

قلنا غير مرة ان الدكتور جبرائيل بحري بك أكتشف دواء للدوسنطاريا سماهُ انزيم اوزون وقد وضع لهُ هذا الاسم من كلمة انزيم اي خميرة واوزون وهو اسم نوع من الاكسجين لانهُ موَّلف من مادة خميرية فيها أكسجين متهيء للافلات منها والاتحاد بمكروبات الدوسنطاريا وقتلها

ولقد كان لاكتشاف هذا العلاج شأن كبير لدى الاطباء عندنا لجربهُ بعضهم في الدوسنطاريا وشهدوا انهُ انجع علاج لها في بعض حالاتها . واكرم الدكتور بحري اصدقاؤهُ ومعارفهُ في حفلتين كبيرتين عقدت احداهما في النادي الشرقي وفتح الحفلة صاحب السعادة فريد بابازوغلي باشا بكلمات وجيزة ابان فيها الغرض من عقد هذا الاجتماع وهو تكريم الدكتور بحري من اجل اكتشافهِ العائد بالفائدة والنفع على الانسانية وقال انهُ لا يطيل الكلام في وصف الاكتشاف لان الجرائد وفتهُ حقهُ ولا في ذكر مناقب المحتفل بهِ لان الحاضرين يعرفونهُ ويقدرون مناقبهُ حق قدرها ولكنهُ يرى ان خدمتهُ للانسانية باكتشافهِ المفيد من اجلّ الامور التي يفتخر بها . والنادي يرى ان الواجب عليهِ في مثل هذه الحال ان يكرم من ينبغ من اعضائهِ ويقوم بعمل مفيد للانسانية

وتلاهُ الدكتور امين بك ابو خاطر فتكلم عن فوائد هذا الاكتشاف وقال انهُ جربهُ في مرضاهُ فنجح نجاحاً باهراً في الاحوال المزمنة والحادة وهو يعدهُ خطوة كبيرة للمشتغلين في المباحث الطبية في هذا القطر

وعقبهما حضرة المحتفل بهِ فذكر فائدة اكتشافهِ وشكر لحضرات اعضاء النادي جميل عنايتهم بهِ واهتمامهم بتكريمهِ الذي هو في الحقيقة تكريم للعلم وتنشيط للناشئة على السير في خدمة الانسانية . وقال انهُ لا ينسى هذه العواطف الكريمة بل تبقى ذكراها منطبعة في فؤادهِ على مرّ الايام

وبعد تناول الشاي نهض الدكتور بحري فوصف اكتشافهُ وصفاً علمياً دقيقاً وفصل طرق استخدامهِ والكيفية التي اهتدى بها اليهِ وخلاصتها انهُ رأى بالامتحان هو ومساعدهُ الدكتور سلبرمان ان الخمائر اذا تشبعت بالاكسجين حال تولدهِ واتصلت ببعض المكروبات فالاكسجين يفلت من الخمائر ويتحد بتلك المكروبات ويؤثر فيها كثيراً او قليلاً حتى لقد يميتها ويعدل سمها . فخطر لهُ ان هذه الخمائر المتشبعة بهذا الاكسجين قد تميت مكروبات الدوسنطاريا لانهُ وجدها لا تنمو فيهِ وجعل يحقن الارانب بمقادير متماثلة من سم مكروبات الدوسنطاريا ممزوجاً بالانزيم اوزون

فلم تمت مع ان الارانب التي حقنها بهذه المقادير نفسها من سم هذه المكروبات من غير الانزيم اوزون ماتت ٠ ولا يستثنى من ذلك الأ السم المفرز من مكروب شيجا فان بعض الارانب التي حقنت بهِ مع الانزيم اوزون ماتت ايضاً دلالة على ان فعل الانزيم اوزون بهذا السم ضعيف ولذلك تدعو الحال الى حقن المصاب بدوسنطاريا شيجا باكثر من خمس حقن ولاسيما اذا ازمن المرض لان كمية من السم تكون قد اجتمعت في بدنهِ

هذا وقد ظهر لنا حتى الآن ان الذين عولجوا بالانزيم اوزون سواء كانوا بالغين ومرضهم الدوسنطاريا او اطفالاً مصابين باصابات في الامعاء الغلاظ شفي منهم ٩٧ الى ٩٨ في المئة

وتلاهُ احدنا الدكتور فارس نمر فذكر فوائد الاكتشاف وقال اننا نباهي بمن ينجب من رجالنا ويخدم الانسانية بمثل هذا الاكتشاف النافع واثنى على المكتشف ثناء طيباً

انتهاء الحرب الحاضرة

سئل بعض مشاهير الانكليز عن رأيهم في الوقت الذي تنتهي الحرب الحاضرة فيهِ وهذه خلاصة اجوبتهم :

مطران برمنهام ٠ الحرب تنتهي سنة ١٩١٧ بشرط ان تضاعف امبراطوريتنا وحلفاؤُها عزيمتهم بلا كلل ولا ملل

اسرائيل زنجويل الروائي ٠ يعقد الصلح قبل عيد الميلاد لان العالم لم يضع صوابهُ حتى الآن

جو ينسون هكس من اعضاء البرلمان ٠ ارى ان الحرب لا تنقضي هذه السنة وان النصر لا يتاح لنا الأ بقتل ما استطعنا من الجرمان ٠ فاذا كسرنا الجيش الالماني في فرنسا وارجعناهُ الى حدود بلادهِ عقدنا الصلح حينئذٍ على الشروط التي ترضينا

الكولونل ارشر شي ٠ تنقضي الحرب هذه السنة لان جهد المتحاربين يبلغ معظمهُ فيها فان حالة العدو الاقتصادية ستكرههُ على عقد الصلح بالشروط التي يشترطها الحلفاء

هري هوب من اعضاء البرلمان ٠ ان الحالة الحربية الحاضرة لا تحملني على الاعتقاد بقرب انتهاء الحرب

الكولونل جسل من اعضاء البرلمان رجاؤُنا بالنجاح يكون عظيماً اذا لبت الامة دعوة رئيس الوزارة وقام كلٌ منّا بما يجب عليهِ

الكولونل ولتر فابر من اعضاء البرلمان ٠ اعتقد ان الصلح سيبرم قبل انقضاء السنة الجارية لان المانيا كسرت داخليًّا

فردريك هريسن الفيلسوف الاجتماعي ٠ ان القتال ينتهي هذه السنة باعياء العدو من كل جهة ولكن الصلح لا يعقد فيها بل لا بدّ

قبل ذلك من سحق بروسيا حتى لا تقوم لها قائمة الى الابد

سدني لو الكاتب المعروف · ارى ان الحرب تبقى مستمرة الى سنة ١٩١٨

فردريك وايل الصحافي · لا اعتقد ان الحرب تنتهي هذه السنة على ما يروم رئيس وزارتنا وحلفاؤنا · فخيرما نفعل ان نزيد تأهباً نحن وحلفاؤنا فاذا فعلنا فالصلح قريب

لورد بليموث · تنتهي الحرب هذه السنة اذا بذلنا كل جهدنا بلا ابطاء والاَّ فلا

فيليب سنودن العضو في البرلمان · يعقد الصلح هذه السنة على اثر المفاوضات بين الفريقين التجار بين

جوزف بلس العضو في البرلمان · تنقضي الحرب هذه السنة لان سوء الحالة الاقتصادية في المانيا والنمسا ستكرهها على قبول شروط تكون في مصلحتنا

السر رتشرد كوبر العضو في البرلمان · يعقد الصلح هذه السنة لسوء الحالة الاقتصادية في البلاد الجرمانية

السر جون ريز العضو في البرلمان · يعقد الصلح هذه السنة لان الامم المختلفة لا تستطيع مواصلة الحرب كما تستطيعها الجيوش

الاقتصاد من ضوء النهار

هذه عبارة حديثة الوضع في اللغات الاوربية حتى اصدر بعض بلدان اوربا قوانين بها · ومرادهم منها الانتفاع بضوء النهار في الاعمال حتى لا يضيع شيءٌ منهُ سدًى ولاسيما في هذا الزمان الذي ازدحمت فيهِ الاعمال وقلت الايدي العاملة بسبب الحرب · ففي النمسا مثلاً قدموا الساعات كلها في جميع الامبراطورية ساعة واحدة ابتداء من نصف ليل ٣٠ ابريل الماضي ثم عادوا فاخروها ساعة نصف ليل ٣٠ سبتمبر الذي يليهِ اي بعد خمسة اشهر من تقديمها · ويقال ان هذا التقديم والتأخير افاد الناس كثيراً في الصحة العمومية والاقتصاد · اما الصحة فلما اقتضاهُ تقديم الساعة في فصل الربيع والصيف من القيام الباكر وهذا من محسنات الصحة كما في المثل الانكليزي · واما الاقتصاد فقد ظهر جليًّا في مسألة تنوير المنازل ليلاً · ففي خلال المدة المذكورة اقتصد اهل فينا في منازلهم اربعة ملايين ونصف مليون متر مكعب من غاز النور ثمنها نحو ٣٠ الف جنيه ، واقتصدت المدينة في شوارعها العمومية ٤٠٠ الف متر مكعب ثمنها ٣٥٠٠ جنيه

عدد الطيور الاميركية

من اغرب ما يروى عن اطوار الاميركيين انهم لم يحصوا حتى الآن انفسهم احصاء دقيقاً كما ذكرنا في الجزء الماضي ومع ذلك فهم يحصون عدد الطيور التي تطير في جوّهم

الواسع مرتين كل سنة . والاحصاء الثاني من احصاءي سنة ١٩١٥ بني على ٣١٥ تقريراً وردت على وزارة الزراعة الاميركية من جميع ولايات اميركا وايالاتها ما عدا ولايتي يوتاه ونيفادا وقد جاء فيهِ ان متوسط الطيور التي في الميل المربع من ولايات اميركا الشمالية الشرقية هو نحو ٨٠٠ زوج . ومن اطول التقارير تقرير ورد من جامعة كورنل . فان لها ارضاً مساحتها ٢٥٦ فداناً قسمت ستة اقسام واحصي عدد الطيور في كل منها على حدة بادارة رجل معين . وقد وجد ان اكثر الولايات المذكورة ازدحاماً بسكانهِ من الطير بقعة مساحتها ٥ افدنة وعدد سكانها ١٣٥ زوجاً من الطير ووجد ايضاً ان اولها في تعدد انواع الطير بقعة مساحتها ٤٤ فداناً وعدد انواعها ٦٢ نوعاً

ومما جاء في كتاب الاحصاء الذي اصدرتهُ وزارة الزراعة قولها « ولما شاع عزم الوزارة على احصاء الطيور قابلهُ كثيرون بالهزء والسخرية وقالوا باستحالته وما ذلك الا لجهلهم الطرق التي قررت الوزارة الجري عليها وغايتها من الاحصاء »

هندسة اقليدس

في مكتبة كنيسة وستر بانكلترا نسخة خطية للكتاب الاول من هندسة اقليدس باللغة اللاتينية . كتبت في القرن الثالث عشر للميلاد بعد ان ترجمت عن نسخة عربية قبلها . وهي تشتمل على الحدود والاوليات التي صدِّر بها الكتاب الاول من اقليدس وعلى شرح عشرين قضية منهُ . وهو يخالف عن كتب الهندسة الحديثة في كونهِ لا يحتوي على رسوم واشكال لبيان القضايا ولا على علامات تشير الى النقط والخطوط . فقد جاء فيهِ مثلاً عن القضية الاولى التي موضوعها كيفية رسم مثلث متساوي الاضلاع على خط مستقيم مفروض « افتح البركار حسب طول الخط وارسم من طرفيهِ دائرتين متقاطعتين ومدّ خطين مستقيمين من نقطة تقاطع الدائرتين الى طرفي الخط واستخرج البرهان من تحديد الدائرة »

مرض الخنادق

أصيب كثير من الجنود التي تحارب في خنادق الميدان الغربي في شتاء ١٩١٥ — ١٩١٦ بتهرؤ اقدامهم حتى اضطر الامر الى بتر ارجل عدد عظيم منهم عدا الذين ماتوا من جراء ذلك . وسبب هذا التهرؤ الرطوبة وضعف الدورة الدموية الناشىء عن اطالة الجلوس وضغط الاحذية والاربطة التي تربط بها الساقان . وعليهِ اشار الاطباء بحفظ الاقدام دافئة جافة على قدر الامكان وبلبس احذية واسعة . ولكن ظهر من مباحث طبيبين فرنسويين ان لهذا

الداء سبباً ثالثاً اعظم من السابقين وهو مكروبات حلَمية اشبه بالمكروبات التي تسطو على اللحم والخبز وتولّد فيهما العفن المعروف · ففي البلاد الشديدة البرد ترم الايدي والارجل وتصاب بالاكلان واذا تركت وشانها ظهرت عليها قروح او تشقق الجلد ودمي· وهذا ما يصيب جنود الخنادق فاذا تلطخت ارجلهم بالوحل وكان الوحل حاملاً لهذه المكروبات دخلت ارجلهم من شقوقها واتخذت مغارز الاظافر مكاناً تعيث فيهِ مفسدة وتنمو نمواً سريعاً اذا لاءمتها الحرارة · وقد وصف الطبيبان المشار اليهما لعلاج هذا الداء غسل الارجل جيداً بصابون فيهِ حامض بوريك وكافور فانهُ يقتل المكروبات في خلال ٣ ايام او ٤ ولكن الالم قد يدوم نحو ٢٠ يوماً · وهذا المكروب يوجد ايضاً في زبل الاصطبلات وقشها

هبات علمية

وهب محسن انكليزي مجهول مبلغ ٢٠ الف جنيه للجنة المتحف الوطني في بلاد وايلس وستنفقهُ على تتميم بناء المتحف

واوصى محسن اميركي قبل وفاتهِ بمبلغ ٢٠ الف جنيه لمتحف التاريخ الطبيعي تدفع اليهِ عند وفاة شقيقهِ وهو وارثهُ الوحيد

نذير الزوابع

من افضل الخدم التي تخدم بها مصلحة الارصاد الجوية الهندية بلاد الهند انذارها الناس بالزوابع قبل هبوبها بمدة تكفي للتحوط لها · ففي ٢١ سبتمبر الماضي ثارت زوبعة شديدة على كلكوتا وكانت المصلحة قد رفعت على بنايتها علامة تسميها علامة « الخطر الشديد » قبل هبوب الزوبعة فلم يؤخذ الناس بها على غرة · وفي ٢ ديسمبر الماضي هبت زوبعة هائلة على مدراس طير البرق نبأها الينا وكانت المصلحة قد انذرت بها اهل مدراس برفع علامة « الخطر الشديد » على مرصد مدراس في ٢٩ نوفمبر اي قبل الزوبعة باربعة ايام

وصية الاستاذ لول

نعينا في الجزء الماضي الاستاذ لول الاميركي من اشهر علماء الفلك المعاصرين · وقد رأينا في المجلات الاخيرة انهُ ترك ميراثاً يقدّر بمليون ريال اوصى بعشر ايرادهِ للانفاق على المرصد الفلكي الذي بناهُ في ولاية اريزونا وعلى درس النظام الشمسي وحركاتهِ بوجه خاص · واوصى ايضاً ان لا يدمج المرصد في مرصد آخر ولا يضمّ الى معهد من المعاهد العلمية بل يبقى مستقلاً بنفسهِ

تجارة القطر في العام الماضي

كان العام الماضي اكثر الاعوام كلها في قيمة التجارة المصرية من صادر ووارد فقد بلغت قيمة الصادرات منهُ ٣٧٤٦٢٤٥٣ جنيهاً مصرياً اي سبعة وثلاثين مليوناً ونحو نصف مليون فلا يدانيها الاَّ قيمة الصادرات سنة ١٩١٢ اذ بلغت ٣٤٥٧٤٣٢١ جنيهاً. واكثر الزيادة في قيمة الصادرات نتج من ارتفاع سعر القطن فقد بلغ ثمن الصادر منهُ ٢٩٨١٣٦٨١ جنيهاً مع ان مقدارهُ لم يكن سوى ٦٩٣٦ ٤١٦ ٥ قنطاراً واما سنة ١٩١٢ فبلغ مقدار القطن الصادر ٨٣٠٦٩٤٨ قنطاراً ومع ذلك لم يبلغ ثمنهُ سوى ٢٧٥٢٩٢٧٧ جنيهاً

وكما زادت قيمة الصادرات زادت قيمة الواردات فقد بلغت ٣٠٨٥٤١٤١ جنيهاً مع ان مقاديرها كانت دون المعتاد فقد ورد من الفحم الحجري مثلاً ٩٠٦٥٠٩ اطنان بلغ ثمنها ٥١٣٤١٤٢ جنيهاً وكان الوارد من الفحم الحجري ١٧٣٦٣١٧ طنًّا سنة ١٩١٢ ولم يبلغ ثمنها سوى ١٧٢٦٧٠٧ جنيهات . ولولا الاقتصاد في مواد كثيرة من الوارادات لوازت قيمتها قيمة الصادرات ومع ذلك لا بدَّ من زيادة الاقتصاد فيما نستوردهُ لانهُ لا ينتظر ان يبقى سعر القطن مرتفعاً الى هذا الحد بعد انتهاء الحرب

وهنا امرٌ آخر يجب ان لا نغفل عنهُ وهو ما حل بالقطن على اثر اصابتهِ بدودة اللوز الرمادية والحمراء فان الموسم الماضي والذي قبلهُ نقصا نقصاً فاحشاً بسبب فعلها الذريع وقلما يحتمل بعد الآن ان نصدر اكثر من ثمانية ملايين قنطار في سنة واحدة كما اصدرنا سنة ١٩١٣ . والذي يرى حطب القطن في الغيطان وعلى سطوح البيوت وما لا يزال فيهِ من اللوز المضروب لا يعجب اذا فتكت هذه الآفة بالموسم المقبل كما فتكت بالماضي

تأثير الصوم في الصائم

صام احد العلماء حديثاً هو وامرأتهُ ثلاثة اسابيع ليدرس تأثير الصوم في الناس رجالاً ونساءٌ . ففي الاسبوع الاول جعلا يقللان مقدار طعامهما من العادي الى النزر اليسير. وفي الثاني انقطعا عن الاكل واقتصرا على شرب ٦٠٠ سنتمتر مكعب من الماء كلَّ يوم. وفي الثالث عكسا ما فعلا في الاسبوع اي شرعا يتناولان كميات قليلة من الطعام ويزيدانها شيئاً فشيئاً الى القدر العادي . وكان تأثير الصيام فيهما تناقص الحيوية والقوة الى حدّ النفاد تقريباً وبطء حركة القوى البدنية والعقلية وخصوصاً الاولى منها وزيادة مضاء الذهن والدقة في الحكم . اما الذاكرة فضعفت قوتها في الرجل وقويت في امرأتهِ

المروحة الكهربائية

تستعمل المروحة الكهربائية في الصيف لتخفيف حرّهِ وهي في الحقيقة لا تخفف الحرّ بل تقلّل الشعور بهِ بتحريكها لدقائق الهواء . فاذا انقضى فصل الصيف انقطع عملها مدة الشتاء فوضعت على حدة حتى يأتي الصيف الذي بعده وهكذا على التوالي . وقد اشارت السينتفك اميركان بوجوب استعمالها في الشتاء حيث الآلات المعدة لتدفئة الغرف بحجة انها توزع الحرارة في تلك الغرف على السواء بدل انحصارها في بعض جوانبها دون البعض الآخر

اجتياز جبال الاندس بالبلون

ركب طياران من جمهورية الارجنتين بلونًا من مدينة سنتياغو في جمهورية شيلي وطارا فوق جبال الاندس المشهورة وبعد اربع ساعات نزلا في بلدة مندوزا من بلاد الارجنتين على الجانب الآخر من هذه الجبال

آذان كهربائية

يقال ان في مدينة البندقية آلات تسمع حفيف طيارات النمسويين عند قيامها من تريسته على بعد ٦٠ ميلاً منها فيكون للايطاليين متسع من الوقت للاحتياط لان الطيارات تقطع هذه المسافة بين المدينتين في ثلثي ساعة

المرض القنبلي

سمّى المجمع الطبي الفرنسوي الاضطرابات العقلية او البدنية التي تصيب الذين تنفجر القنابل الكبيرة قربهم من غير ان تميتهم مرض الاوبوزيت (obusite) نسبة الى obus اي قنبلة . واظهر اعراض هذا المرض الطرش . وقد حذت السينتفك اميركان حذو المجمع الفرنسوي فسمت المرض بالانكليزية شليتس (shellitis) نسبة الى (shell) اي قنبلة

سمك يبني اوكارًا

في البحر نوع من السمك يبني الاوكار كالاطيار . فاذا جاء اوان التزاوج جعلت السمكة الذكر تبني عشًّا من الحشائش والاعشاب البحرية حتى اذا كمل بناؤُهُ اقامت فيهِ ترصد الانثى لعلها تمر وتعوج . وسمك بركة قارون يصنع لبيضهِ ادحيًّا كادحي النعام ويبيض فيهِ

نفقة الطيران

انفقت الحكومة الانكليزية في السنة الماضية نحو ٥٠ مليون جنيه على الطيران

فهرس الجزء الثاني من المجلد الخمسين

صفحة



لورد كرومر

مقتطف مارس ١٩١٧
امام الصفحة ٢٠٩

المقتطف

الجزء الثالث من المجلد الخمسين

١ مارس (آذار) سنة ١٩١٧ — الموافق ٧ جمادى الاولى سنة ١٣٣٥

لورد كرومر

نعى البرق قطبًا من اقطاب الامبراطورية البريطانية واداريًّا حازمًا من اشهر رجال الادارة في هذا العصر ومصلحًا عظيمًا بات اسم مصر الحديثة مقرونًا باسمهِ لما كان بينهُ وبينها من شديد الارتباط في دور اصلاحها وارتقائها الاخير : ألا وهو لورد كرومر صديق وادي النيل وسكانهِ واعظم الذين وضعوا في عهد الاحتلال البريطاني اساس اصلاحهِ وتقدمهِ ووطدوا اركان الامن فيهِ وحسنوا حالتهُ المادية والادبية ورفعوا منزلتهُ ونظموا حكومتهُ

وليس المقام مقام ايراد تاريخ الراحل الكريم واحصاء اعمالهِ النافعة والبحث في تأثيرها العظيم في حاضر مصر ومستقبلها وفي حالة سائر بلدان المشرق المجاورة لها فاننا لا نزال قريبين من عصرهِ ولم نبتعد عنهُ البعد الكافي لنراهُ من جميع جهاتهِ ونلم بجميع ما جرى فيهِ من جلائل الاعمال ونشاهد تأثيرها في ارتقاء الامة المصرية وسائر امم الشرق التي تنظر الى هذه البلاد نظرة الاعجاب المقرون بالغبطة

الناس يقولون اليوم كان لورد كرومر عظيمًا وكان شريفًا وكان نزيهًا واسع الصدر كبير القلب كبير العقل بعيد النظر مسموع الكلمة . ويقول الذين عرفوهُ وعاشروهُ وخالطوهُ سواء كانوا من تلاميذهِ في السياسة والادارة او من اصدقائهِ وعشرائهِ ان لورد كرومر كان اصدق صديق لمصر والمصريين بين الاجانب الذين قُدّر لهم ان يشتركوا في حكمها وادارة امورها . وسيأتي زمان تتجلى فيهِ هذه الحقيقة للخاص والعام فيعرفها جميع ابناء هذه الديار كما عرفها الذين اتيح لهم معرفة مصالح مصر ووقفوا على نياتهِ وما كان في فؤادهِ من الرغبة الخالصة في خير هذا القطر وتقديم مصلحة سكانهِ على غيرها

ان تاريخ لورد كرومر في الشطر الاخير من حياتهِ تاريخ مصر وسير حركة الاصلاح

فيها · فالذي يكتب سيرتهُ من سنة ١٨٨٣ الى سنة ١٩٠٧ يكتب تاريخ الارتقاء والاصلاح في هذا القطر في تلك السنين الطويلة التي جازت مصر فيها دوراً من اهم ادوار وجودها وخرجت منهُ بعيد ذلك سلطنة راقية عديمة النظير في الشرق الادنى تمتز بنظام اداري راقٍ ونظام قضائي متين ومالية قلما يوجد لها مثيل في غير اعظم دول الارض ثروة ومقاماً ونظام ري بات اعجوبة العصور وحديث كبار المهندسين · واذا لم يكن التقدم في سائر اركان الحضارة والمدنية قد بلغ مبلغهُ فيها فلأن من الاعمال ما يقتضي بطبيعتهِ زماناً اطول من الزمان المطلوب لسواهُ مهما اشتدت العزيمة وحسن القصد و بذل من المساعي والجهد

اليوم يقف الفلاح المصري يردُّ الطرف القهقرى في تاريخ الزراعة والضرائب فيذكر ما كان يعاني من المشقة والنفقة في ارواء اطيانهِ التي كان فدانها يباع ببضعة جنيهات وما كان يقاسي من العناء في نقل حاصلاتهِ الى الاسواق وما كان يستهدف لهُ من الظلم في دفع الضرائب والرسوم التي لا تحصى في مواعيدها وفي غير مواعيدها · يذكر ذلك كلهُ اما لانهُ خبرهُ بذاتهِ واما لانهُ سمعهُ من سلفهِ فيحمد الله تعالى على نعمهِ ويذكر بالخير الذي كان اكبر ساعٍ لتحسين حالة الري وضبط نظام الضرائب والرسوم وتسهيل اسباب النقل والانتقال واعفاء الفلاح من ضرائب كانت تبهظ عاتقهُ وانقاذهِ من المرابين الذين كانوا يمتصون دمهُ و يعيشون في ترف ونعيم على تعبهِ و كدهِ

واليوم يقف المتقاضون امام المحاكم الاهلية والمحاكم الشرعية والمحاكم المختلطة فيذكرون الرجل الذي ناضل اعظم نضال لاصلاح حال تلك المحاكم سواء كان برفع منزلتها او باختيار الاكفاء من ابناء مصر للجلوس في منصة القضاء او بالسعي لسن القوانين الملائمة لحالة القطر وحال سكانهِ او بتنظيم دوائرها ودفاترها واوراقها او بالاهتمام بترقيتها حتى تنال من الهيبة والكرامة ما يحق لها بحكم اشتغالها بتوطيد اركان العدل والحكم بين الناس بالانصاف

واليوم يقف الصناع ذاكرين للورد كرومر الغاء الضرائب والرسوم التي كانت تجبى منهم وتقيدهم في اعمالهم بكثرتها وعدم مطابقتها لقواعد الاقتصاد السياسي المرعية في كل بلاد تنزع الى الارتقاء والعلاء

واليوم يقف التاجر فيذكر للورد كرومر مساعيهُ الحميدة في توسيع نطاق التجارة وترويجها وتنشيطها سواء كان بتنظيم المرافئ والارصفة او تسهيل المواصلات بسكك الحديد والنيل والبريد والتلغراف والتلفون او بتنشيط العاملين على زيادة ثروة القطر بتحسين زراعتهِ التي هي مصدر غناهُ وركن تجارتهِ

واليوم يقف محبو العلم ونشر التعليم ذاكرين للراحل الكريم سعيهُ في توسيع نطاق العلم ونشر لواء المعرفة وايجاد نهضة ادبية عملية في انحاء القطر كان من نتائجها ما نشاهدهُ من انتشار المدارس في المدن والبنادر والقرى الكبيرة وشعور اعيان البلاد بوجوب مد يد المساعدة الى الذين لا تمكنهم حالتهم المالية من ارتشاف العلم الذي هو حياة الامم واساس عزها وعنوان مجدها

سيحفظ التاريخ للورد كرومر هذه الامور وسواها و يذكر لهُ ولجميع الذين ساعدوهُ من المصريين والاجانب الفضل العظيم بحسن القصد وقضاء زهرة العمر وانفاق قوة الشباب والكهولة والشيخوخة في عمل الاصلاح وتوطيد اركان العمران

وسيذكر التاريخ للورد كرومر انهُ بعد ما اقام في مصر ٢٤ سنة قامت في اثنائها اعظم المشروعات المالية والاعمال الهندسية خرج من هذا القطر وهو افقر في ثروتهِ الخصوصية منهُ لما جاءهُ سنة ١٨٨٣ . و يذكر لهُ انهُ كان شديداً في الحق لا تأخذهُ فيهِ لومة لائم لا يسكت عن الظلم ولا يستهو يهِ الباطل وانهُ كان مملوءًا بالشجاعة الادبية . وقد بث هذه الروح في كثيرين وشدد عزائم الفضلاء والمصلحين وانهُ فتح بابهُ لكل مظلوم كبيراً كان او صغيراً وانهُ كان واسع الصدر عالي الهمة بعيد النظر في امور الادارة وتعاريج السياسة

واذا قصرنا الكلام حتى الآن على مصر فليس ذلك لاننا نسينا السودان بل لان معظم اعمال الراحل الكريم الجليلة كانت في هذا القطر ولكن السودان مدين لهُ بحياتهِ الجديدة وخلاصهِ من ربقة المهدية وظلم التعايشي والخراب والدمار اللذين جعلاهُ قفراً بلقعاً وقاعاً صفصفاً فالسودان شريك مصر في ما جنت من فضلهِ وعلمهِ وخبرتهِ وحنكتهِ وحبهِ لوادي النيل واهلهِ

وسيذكر التاريخ للورد كرومر ان نهضة مصر في عصرهِ كانت اكبر عامل في ثورة الخواطر التي شاهدناها في سائر بلدان الشرق الادنى المجاورة لهذا القطر فان ارتقاء مصر فتح العيون في تلك البلدان الى ما تستطيعهُ لو اتيح لها ما اتيح لهذا القطر فغرست فيها بزور النهضة العقلية والادبية والسياسية التي شممنا آثارها قبل هذه الحرب الضروس . ومع ان لورد كرومر لم يتعرض لامور تلك البلدان مباشرة مراعاة للاحوال السياسية الدولية فقد كان اعظم سند للذين لجأوا الى هذا القطر فراراً من الظلم والاستبداد فانهُ حماهم ودافع عنهم وهم واولادهم واخوانهم وخلانهم يذكرون لهُ هذا الفضل على مدى العمر

لم تقم مصر لكرومر حتى الآن تمثالاً ولا انشأت تذكاراً ماديًّا ولكن ذكراهُ منقوشة

في قلوب جميع الذين جنوا الخير والنفع من وجوده في هذا القطر والذين قيض لهم التمتع بمعرفته والعلم بفضائله وصفاته فجميع هؤلاء يشاطرون اليوم الامة البريطانية العظيمة وعائلة بارنج الكريمة الحزن والاسى على فقد هذا المصلح العظيم والقطب الكبير ويسألون الله ان يعزي قلوبهم ويجعل حياة الفقيد قدوة صالحة لجميع الذين تسلم الاقدار اليهم زمام الشعوب ليسيروا بها في سبيل التقدم والارتقاء معتمدين على الحق والعدل والنشاط والاجتهاد والنزاهة والامانة التي هي اخلاق الكرام واركان مجد الشعوب وعنوان حضارتها ومدنيتها

ترجمتهُ

ولد لورد كرومر في ٢٦ فبراير سنة ١٨٤١ وهو النجل التاسع للمرحوم هنري بارنج من آل بارنج المشهورين في انكلترا وكانت والدتهُ كريمة الاميرال وندهام . تلقى علومهُ في احسن مدارس انكلترا وجامعاتها وامتاز على اقرانهِ بآداب اللغتين اليونانية واللاتينية ثم دخل المدرسة الحربية . وفي سنة ١٨٥٨ انتظم في المدفعية الملكية وخدم فيها الى سنة ١٨٦١ لما عين ياوراً للسر هنري ستوركس الحاكم العام للجزائر الايونية ثم سكرتيراً لهُ في اثناء تحقيق العصيان الذي حدث في جزيرة جاميكا سنة ١٨٦٥ . ورقي سنة ١٨٧٠ الى رتبة كبتن ثم عين سكرتيراً خاصًّا لابن عمهِ لورد نورثبروك حاكم الهند وظل متقلداً هذه الوظيفة الى سنة ١٨٧٦ لما رقي الى رتبة ماجور ومنح نشان كوكب الهند من الرتبة الثانية وعين مندوبًا بريطانيًّا في ادارة الدين العمومي المصري . واعمالهُ في هذه الادارة معروفة عند القراء لا تحتاج الى تبيان فانهُ كان صاحب التقرير المشهور الذي اصدرتهُ لجنة التحقيق في سنة ١٨٧٩ . ولما تنازل الخديوي اسماعيل عن الاريكة الخديوية سنة ١٨٧٩ عين الماجور بارنج مراقبًا بريطانيًّا عامًّا وصار اليد العاملة في المراقبة الثنائية ولو بقي في مصر حينئذٍ لتغير تاريخ مصر الحديث على ما يظن وسار في غير المجرى الذي جرى فيهِ ولكن حكومتهُ شعرت باحتياجها الى خدماتهِ في الهند فعين عضواً ماليًّا في المجلس الخاص للحاكم العام في عهد اللورد ربون سنة ١٨٨٠ وظل في هذا المنصب الى سنة ١٨٨٣ لما اعيد الى مصر وعين فيها وكيلاً بريطانيًّا وقنصلاً جنرالاً ومعتمداً مفوضاً في السلك السياسي . وقد ترك وراءهُ اثراً مذكوراً في مالية الهند وكافأتهُ حكومتهُ على خدماتهِ هناك بنشان كوكب الهند من الدرجة الاولى وهو يخول حاملهُ لقب سر

ولما وصل الى مصر سنة ١٨٨٣ رأى الادارة معتلة مختلة والنظام مفقوداً وكانت الحكومة البريطانية قد رغبت ايام المستر غلادستن في ان تجعل الحكم في مصر دستوريًّا

ولكن العوامل الدستورية كانت معدومة من البلاد حينئذ فاوفدت اللورد دفرين الى مصر وعهدت اليهِ في وضع دستور خاص بها فقدمها و بعد البحث والدرس رفع تقريراً مسهباً الى حكومتهِ لم يترك شاردة ولا واردة الأَّ ضمنها اياهُ ولكنهُ كان مثل الطبيب الذي عرف الداء ولم يهتدِ الى الدواء النافع فلما جاء السر افلن بارنج بعدهُ وجد القديم متروكاً على قدمهِ

وكان المهدي قد شق عصا الطاعة في السودان في سنة ١٨٨٢ ورفع راية العصيان على الحكومة المصرية وعظمت هيبتهُ بين مواطنيهِ واستفحل شأنهُ ومالأتهُ البلاد كلها تقريباً فاستشير صاحب الترجمة في امرهِ فاشار باخلاء السودان وتركهِ للمهدي الى حين فقامت عليهِ قيامة الصحف والكتاب حينئذٍ وانتقدوهُ اشد انتقاد ولكن مجرى الاحوال صوَّب رأيهُ وخطأ رأي خصومهِ ومنتقديهِ · ومهما يكن من الامر فان اشارتهُ هذه دلت على صدق عزمهِ ورباطة جأشهِ واظهرت انهُ ممن لا يحاولون التملص من التبعة الملقاة على عواتقهم · وجارتهُ الوزارة البريطانية على رأيهِ هذا وقررت الحكومة المصرية الجلاء عن السودان وتقرر في الوقت عينهِ انقاذ الحامية المصرية في السودان وادى هذا القرار الى وقوع الاختيار على الجنرال غردون لهذه المهمة فعارض صاحب الترجمة حكومتهُ في ذلك مرتين ولكنهُ خاف ان يكون مخطئاً في حكمهِ في الجنرال غردون فلما استشارتهُ في اختيارهِ للمرة الثالثة سلم بذلك· ولكن ذهاب الجنرال غردون الى السودان لم ينقذها من المهدوية كما لا يخفى

ومرَّت السنون وضعفت قوة المهدي وخليفهِ عبد الله التعايشي من جراء الفتن والثورات الداخلية وكان الايطاليون في مصوع والبلجيكيون في الكونغو الحرة والفرنسويون في السودان الغربي قد اقتربوا تدريجاً الى وادي النيل وحان الزمان الذي تبت فيهِ مصر مسألة السودان وهل تسترجعهُ او تترك اعالي النيل لاناس كانت سياستهم منافية لسياسة بريطانيا العظمى ومصالحهم معاكسة لمصالحها في القطر المصري ·وعرف اللورد كرومر بثاقب بصيرتهِ و بعد نظرهِ الوقت الذي يجب فيهِ الاقدام على العمل كما عرف الوقت الذي يجب الاحجام فيهِ عنهُ لما اشار بالجلاء عن السودان فتقرر بحسب اشارتهِ تسيير حملة على السودان فسارت تلك الحملة بقيادة المرحوم اللورد كتشنر واسترجعت السودان

وكان للورد كرومر نصيب كبير في المفاوضات التي تلت ذلك بين بريطانيا العظمى وفرنسا وادت الى عقد الاتفاق المشهور في ٨ ابريل سنة ١٩٠٤ وهو الذي تعهدت فيهِ فرنسا ان لا تتعرض لشؤُون مصر ولا تعرقل اعمال بريطانيا العظمى فيهِ وتترك للحكومة المصرية الحرية التامة في الامور المالية

واعتلت صحتهُ في سنة ١٩٠٧ فاضطر الى الاستعفاء بعد ما خدم مصر والمصريين ودولتهُ ايضاً ٢٤ سنة بالصدق والامانة والاخلاص وكافأتهُ حكومتهُ على خدماتهِ الجليلة بخمسين الف جنيه

وكان لوداعهِ مصر شأن كبير فاجتمع امراء مصر ووزراؤُها وعلماؤُها وادباؤُها ووجهاؤُها في الاوبرا الخديوية وخطب في حفلة الوداع مصطفى باشا فهمي رئيس النظار نيابة عن الوطنيين والكونت ده سربون نيابة عن الاجانب فاجابهما بخطبة نفيسة عربناها ونشرناها في صدر مقتطف يونيو سنة ١٩٠٧ . ولا بدَّ من ان يكون قد رأى قبل وفاتهِ ما حقق فراستهُ في مصر والمصريين فان الذين كانوا يجاهرون بانتقاد سياستهِ صاروا الآن من اكبر المعترفين بفضلهِ المجاهرين بشكرهِ . اما هو فلم ينسَ احداً من الذين لم اقل سهم في خدمة هذا القطر والمساعدة على الاصلاح الذي تم فيها . وقد كتب الينا حين مغادرتهِ القطر المصري يقول :

DEAR DR. SARRUF,

I regret that I should be obliged to leave Egypt without shaking hands with yourself, but I am sure that you will have understood the circumstances. I hope that you will accept the enclosed photograph of myself as a slight souvenir of our past relations and with it the expression of my sincere thanks for the powerful assistance which you have rendered for so many years to the cause of intellectual enlightenment and moral development in this country.

وترجمة ما يخص المقتطف من ذلك « ارجو ان تقبل صورتي المرسلة اليك طيَّ هذا كتذكار طفيف لعلاقتنا السابقة ومعها شكري المخلص للمساعدة الكبيرة التي ساعدتَ بها مدة سنين كثيرة الارتقاء العقلي والادبي في هذه البلاد »

وكتب بمثل ذلك الى الدكتور نمر واهدى اليهِ كتاباً سياسيًّا من مكتبتهِ

وقد قلنا فيما كتبناهُ عنهُ حينئذٍ انهُ كان لوداعهِ في محطة مصر احتفال عظيم جدًّا ولاستقبالهِ في مدينة لندن احتفال اعظم منهُ وقف فيهِ ولي عهد ملكها (الملك الحالي) واخوهُ حاسري الراس ووزراء الحكومة الانكليزية وقواد جيشها وذوو المقامات العالية ورحبت بهِ الجرائد والمجلات الانكليزية ترحيباً يدلُّ على انها تعدهُ اعظم رجل قام في الامة الانكليزية ولا غرابة لان العقلاء ينظرون بعين العقل الى النتائج الحاضرة والمستقبلة والفضل يعرفهُ ذووهُ

اما الرتب التي انعمت عليهِ حكومتهُ بها فهي رتبة بارون سنة ١٨٩٢ ورتبة فيكونت

سنة ١٨٩٧ ورتبة ارل سنة ١٩٠١ : وعندهُ من النياشين نشان صليب الحمَّام الاكبر ونشان الامتياز والوشاح الاكبر من نشان القديسين ميخائيل وجورج وكثير سواها

وكان عضواً في الجمعية الملكية ودكتوراً في الآداب من جامعتي اكسفورد وكمبردج ولهُ تآليف عديدة اشهرها « مصر الحديثة » و « حب التوسع قديماً وحديثاً » و « عباس الثاني » و « فنون الحرب » وكتب حربية اخرى وترجمات كثيرة عن الكتَّاب اليونانيين القدماء ومقالة نفيسة عن هوميروس

وآخر منصب عمومي عهد اليهِ فيهِ رآسة اللجنة التي تحقق الآن في حملة الدردنيل وقد اشترك في كثير من المباحث السياسية والادبية في بلادهِ وكتب مقالات عديدة في الصحف فكانت الجرائد الانكليزية تتسابق الى نشرها لما لصاحبها من سمو المكانة والاحترام في نفوس الناس واشتهارهِ بالصراحة وتوخي الحقيقة والصدق في كل ما يقولهُ او يخطهُ . وقد كانت وفاتهُ في ليلة ٢٩ يناير الماضي

السر ادورد برنت تيلر

لما زرنا البلاد الانكليزية في صيف سنة ١٨٩٣ كان الحرُّ قد ضرب اطنابهُ فيها بما لم يعهد لهُ مثيل فقصدنا مدينة اكسفرد ولقينا فيها صاحب الترجمة السر ادورد برنت تيلر وقلنا في ذلك ما نصهُ

« ولم نبلغ مدينة اكسفرد حتى تصرَّمت المواجر وتسعرت المعامع

بيوم لو انَّ اللحمَ يُصلَى بحرهِ غريضاً اتى اصحابهُ وهو مُنضَجُ

فاذكرني ايام الخماسين ولو خلا من لوافحها . بل الحرُّ في تلك البلاد اشدُّ وطأة على ساكنيها من الخماسين علينا لان بعضهم يفقع بهِ وقلما نسمع عن احد فقع في بلادنا . ولما وقف القطار وخرجتُ الى المدينة التفتُّ يمنة ويسرة فاذا انا

ببلدٍ اغبر محفود الحرَبْ لو قُذفَ الكتَّان فيهِ لالتهبْ

فلم اكد اصدّق انني في اكسفرد التي سارت بذكرها الركبان ونشأ فيها نخبة رجال الانكليز وزهرة فتيانهم حتى مررتُ بين المدارس فرأيتها تتنافس في القدَم وتناطح بصوامعها السحاب وقد شيَّب الدهر نواصيها والبسها ثوب المهابة والوقار . ولم اكد اصدق ان عمر اقدمها بضع مئين من السنين لاننا نعدُّ سني مبانينا القديمة بالالوف لا بالمئات

« ثم زرتُ الاستاذ تيلر الشهير في علم آثار الانسان واخلاقهِ وهو يسكن على مقربة من هذا المعرض في بيت يكاد يكون معرضاً لذاتهِ فرأيت منهُ شيخاً جليلاً صبوح الوجه واسع الرواية انيس المحضر تظنهُ لدعتهِ ولداً صغيراً ولاهتمامهِ بعلمهِ عاشقاً مولعاً . فجلست اليهِ نتجاذب اطراف الحديث ثم قام واتى معي الى المعرض الاثنولوجي واراني ما فيهِ من آثار الانسان من كل البلدان والاقاليم وقد رتَّبها ترتيباً يظهر فيهِ تدرُّجها من البسيط الى المركَّب ومن السادج الى المتقن . فترى فيها انواع التعاويذ والتمائم وآلات الغناء وانواع الحلى والآنية وغير ذلك مما يطول شرحهُ . ومن اغرب ما رأيتهُ هناك ان السحر لم يزل يستعمل في اطراف بلاد الانكليز حتى يومنا هذا ويصنع السحرة دمى يسحرونها بحسب اغراضهم فهي وهمُ كالاعضاء الاثرية في جسم الانسان تدل على سابق تاريخهِ في مدارج العمران »

وقد توفي هذا الاستاذ الآن في الثاني من شهر يناير الماضي وعمرهُ ٨٥ سنة وكان قد مال الى علم آثار الانسان برحلاتهِ الكثيرة في حداثتهِ فانهُ زار بلاد المكسيك سنة ١٨٥٦ مع العالم الاثنولوجي هنري كرستي وألَّف فيما رآهُ هناك كتاباً موضوعهُ المكسيك واصلها طبعهُ سنة ١٨٦١ . لم يتلقَّ الدروس في مدرسة جامعة ولكن المدارس الجامعة اعترفت بمكانتهِ من العلم واعطتهُ رتبها العلمية . ودرَّس علم الاثنولوجيا في جامعة اكسفرد من سنة ١٨٨٤ الى سنة ١٩٠٩ وانتخبتهُ الجمعية الملكية عضواً سنة ١٨٧١ ثم منح لقب سر سنة ٩١٢ ولهُ من المؤلفات « مباحث في تاريخ البشر القديم وارتقاء العمران » طبع سنة١٨٦٥ وهو الكتاب الذي اشتهر بهِ اولاً . وكتاب « المباحث في نشوء المثولوجيا والفلسفة والديانات واللغات والفنون والعادات » نشر في مجلدين سنة ١٨٧١ . وكتاب « الانثروبولوجيا » او مقدمة لدرس الانسان والعمران طبع سنة ١٨٨١ وهو من خيرة الكتب في هذا الموضوع . ولهُ رسائل كثيرة في المواضيع الانثروبولوجية كنشوء الالعاب وقوانين الزواج واصل المحاريث والعجلات والمة الاشوريين المجنحة والعوذ والتمائم . ولم يترك موضوعاً من المواضيع الاثنولوجية الأ بحث فيهِ بحث المنقب المحقق . وطالما بيَّن مقدار الدَّين الذي على اوربا لاسيا ومقدار ما اقتبسهُ العمران الاوربي من العمران الشرقي . ولما كان يرينا مجموعة الآثار في جامعة اكسفرد اشرنا الى كثير من المصنوعات القديمة كزند القداح ودماغ العاج والذبل وما اشبه واخبرناهُ ان هذه الاشياء كانت كلها معروفة عند عرب البادية من قديم الزمان بدليل وجود الاسماء لها في العربية وفي اقدم كتب اللغة فابرقت اسرَّتهُ واستعادنا من ذلك حتى كاد يبقينا في اكسفرد لولا اضطرارنا الى الرجوع الى لندن مساء ذلك اليوم

الشيخوخة واماليُّ حيوية

نقلاً عن العلامة متشنيكوف

(٥) العلاقة بين طول العمر ومولدات الامعاء

اذ كانت معارفنا الحالية لا تساعدنا على استقراء النظرية التي وضعناها واتينا على بيانها استقراءً يمكننا من القول الفصل فيها لكثرة ما فيها من العوامل التي تفوت كل تحقيق فاننا نستطيع ان نقابلها بكثير من المسائل العلمية المقررة التي تجيز اقرارها والاعتقاد بصحتها

عرفنا مما سبق ان دوات الثدي عموماً والمجترة خصوصاً قصيرة الحياة وعرفنا ان الثور والخروف يشيخان باكراً ولا يعيشان كثيراً فيشذان بذلك شذوذاً واضحاً عن القاعدة التي يقتضي بموجبها ان يكون بين العمر و بين كبر الجسم ومدة النمو علاقة مباشرة وقد تكلمنا على ذلك مفصلاً فلا لزوم للمراجعة هنا · والحيوانات المجترة نعرفها جيداً ونستطيع ان نراقبها في افضل ظروف حياتها فشيخوختها الباكرة تتفق مع غزارة المولد المعوي لان تركيب جهازها الهضمي يساعد على وقوف الغذاء في المعدة مدة طويلة وتجمع الفضلات الغذائية في المعى الغليظ مدة اطول فالخروف مثلاً لا يبرز فضلات الطعام من امعائهِ الاَّ بعد اسبوع من تناولهِ و برازهُ وان كان عادة جامداً وليس فيهِ ما يدل على حدوث تعفن شديد في امعائهِ لجوفهُ اذا فتح تنبعث منهُ رائحة التعفن الشديدة وتظهر في محتويات المعى مقادير كبيرة من المكروبات ولا عجب في مثل هذه الحال ان تكون حياة الحيوانات المجترة قصيرة

و يحصل مثل ذلك في الحيوانات آكلة النبات ذات المعدة البسيطة التي لا تجتر طعامها كالخيل · فالحصان بطيءُ الهضم ويجمع في معاهُ الغليظ الزائد النمو مقادير كبيرة من الفضلات الغذائية ومعدل مدة بقاء الطعام في قناتهِ الهضمية اربعة ايام ٢٤ ساعة منها في المعدة والمعى الدقيق وثلاثة ايام في المعى الغليظ · فالفرق بين الهضم هنا والهضم في الطيور كبير لان الطعام مهما كان نوعهُ لا يقف في امعاء الطيور

ان نظام بنية الطيور مطبّق على الطيران وموافق لهُ لان جسمها خفيف قدر ما يلزم و يستطاع وقسماً كبيراً من عظامها وجوفها مملوء بالاكياس الهوائية وليس لها مثانة للتبويل ولا معى غليظ لتجمع الاطعمة فتطردها شيئاً فشيئاً كما تكونت بدون صعوبة و بدون حاجة

الى استعمال الاطراف الخلفية كما تفعل ذوات الثدي ولهذا تستطيع ان تدفع برازها وهي طائرة طيراناً سريعاً

يقضي هذا النظام ان تخلو القناة الهضمية في الطيور من المولدات المكروبية الاَّ ما قلَّ كما يتضح بالفحص والمراقبة فالببغاء الممتازة بطول حياتها لا يظهر في امعائها الاَّ ما قلَّ جدًّا من المكروبات ومعاها الدقيق يخلو منها كليًّا والمستقيم لا يحتوي الأَ على كمية صغيرة منها . ويتألف برازها من الفضلات الغذائية ومادة مخاطية وما ندر من المكروبات . حتى ان الكواسر نفسها التي تغتذي باللحم الفاسد يقل عدد المكروبات فيها كثيراً . وقد راقبنا غرباناً كنا نغذيها باللحم الفاسد الممتلئ بالمكروبات ولم نجد في مبرزاتها الأَ قليلاً جدًّا منها . ومما يجدر ذكرهُ عدم انتشار رائحة خبيثة من امعائها . وقطعة صغيرة من رمة حيوان من ذوات الثدي كالارنب تنبعث منها رائحة فساد خبيثة ورمة الغراب اذا فتحت لا ينبعث منها اقل رائحة . فيرجح ان عدم حصول التعفن المعوي هو سبب لطول حياة الطيور

وربما يعترض على ذلك ان طول الحياة يرجع الى بنية الطيور الخاصة وليس الى قلة المولد المعوي وجواباً على ذلك نوجه النظر الى الطيور العدَّاءة

ان الطيور العداءة كالنعام وامثالهِ تعيش على الارض عيشة تشبه عيشة ذوات الثدي وهي لا تقوى على الطيران لكبر جسمها وضعف اجنحتها ولكنها قوية الخفاف وهذا يساعدها على العدو السريع فتستعيض بقوة خفافها من ضعف اجنحتها حتى اذا هاجمها العدو تخلصت منهُ بسرعة عدوها . وهي كذوات الثدي لا تقوى على التبريز الاَّ اذا وقفت ولهذا يكون برازها دائماً مجتمعاً كتلة واحدة وليس مبعثراً كبراز الطيور . وقد وجهت نظر مدير حديقة الحيوانات في الجزائر الى هذه المسئلة فاجابني بعد المراقبة الطويلة ان النعام لا يبرز وهو يعدو وانهُ يضطر عند التبريز الى الوقوف فيرفع ريش ذنبهِ ويؤَخر القسم المقدم من جسمهِ الى الوراء ويظهر جهداً بعصر بطنهِ ثم يضغطهُ ضغطاً شديداً فتنفتح العاصرتان ويندفع البراز بقوة

يرجع سبب الاضطرار الى الوقوف عند التبريز الى زيادة نمو المعى الغليظ وتجمع الفضلات الغذائية فيهِ وهذا ما يدعو الى الاختمار المعوي والى زيادة المكروبات كما يتحقق من النظر الى محضر مكرسكوبي من برازها . واما الاعور فنامٍ وكبير ولكنهُ لا يعمل اقل عمل هضمي ولاسيما اذا كانت النباتات التي يأْكلها النعام كثيرة الالياف وهو في الطيور الطيارة التي تغتذي مثلها بالاعشاب والحبوب كالحمام صغير او اثري . ولهذا لا تظهر

المكروبات في محتويات امعاء الطيور الاَّ ما قل وندر وتكثر في امعاء الطيور العداءة بحيث لا تقل بذلك عن ذوات الثدي ولا يستثنى الانسان

والى هذا السبب يُعزى قصر حياة هذه الطيور وما يروى عن طول حياة النعام لا صحة لهُ . ويقول مدير حديقة الجزائر ان اقصى حدّ لحياته ٣٥ سنة وكان في ضواحي نيس حظيرة لتربية النعام فيها ظليم يسمونهُ كروجر ويزعمون ان عمرهُ ٥٠ سنة وظهر بالتحري عدم صحة ذلك وتحققنا من المعلومات التي جمعناها عن حياة الطيور العداءة الشبيهة بالنعام كالناندو وغيره انها لا تعيش كثيرًا وان عمرها يتراوح بين ١٥ و ٢٦ سنة

افلا يستغرب ان تكون حياة هذه الطيور الكبيرة الجسم التي تعيش في الحظائر والحدائق عيشة حسنة وتبيض وتفرخ وهي في الاسر اقصر من حياة الطيور الاصغر منها جسمًا بكثير كالببغاء والنسر وغيرهما التي تعيش في الاسر ٨٠ — ١٠٠ سنة واكثر . وحقًّا انهُ يتعذر علينا ان نجد تعليلاً لذلك افصح واوضح من وجود المكروبات في الامعاء

ان الطيور التي تخسر العيشة الهوائية تقترب في بعض صفاتها من ذوات الثدي . وذوات الثدي اذا تحوَّل بعضها الى حيوانات طيارة اصبحت شبيهة بالطيور من وجوه كثيرة . مثال ذلك الخفاش . وفي هذا الانقلاب تطبق الحياة على العيشة الهوائية فيخسر المعى الغليظ اهميتهُ و يقل جرمهُ ويقصر طولهُ وتضيق قناتهُ حتى يعادل قطرها قطر قناة المعى الدقيق ويصير صالحاً للهضم وغير صالح لتجمع فضلات الغذاء . ويضطر الخفاش بذلك الى التبريز المتواتر وبرازهُ لا مكروبات فيهِ ولا رائحة خبيثة لهُ . وقد غذينا خفافيش بما غذينا بهِ الارانب وخنازير الهند والجرذان اي بالجزر فكانت الخفافيش تهضمهُ بسرعةٍ وتبرزهُ بعد ساعةٍ وبرازها لا مكروبات فيهِ ولا رائحة كريهة لهُ ولا يحتوي الاَّ على فضلات الجزر واما تلك فكانت تهضمهُ في وقت اطول وبرازها يتضمن مكروبات كثيرة من انواع متعددة ورائحتهُ كريهة . ثم ان الخفافيش التي كانت تغتذي بالاثمار كان ينبعث من برازها رائحة عطرية كرائحة الثمر الذي تأكلهُ اي الموز والتفاح دلالةً على نقاوة امعائها وخلوها من الفساد

وعمر الخفاش اطول من عمر كثير من ذوات الثدي الاكبر منهُ جرماً وقد استعلمنا من كثيرين من الخبيرين عن عمر الخفاش الذي يقتات بالحشرات فلم نتمكن من تعيينهِ ونرجح انهُ يعيش طويلاً . ويتمثلون في الفلاندر بطول عمر الخفاش فيقولون عاش كالخفاش ومثل هذا الاعتقاد شائع في روسيا . واما الخفاش الذي يغتذي بالاثمار فتحققنا انهُ يعيش عمراً طويلاً

حتى في الاسر وكان عندنا خفاش اشتريناهُ من مرسيليا منذ ١٤ سنة ولم تظهر عليهِ دلائل الشيخوخة ومات بمرض عارض . ونعرف خفاشاً آخر عاش في الاسر ١٥ سنة وفي حديقة الحيوانات في لوندرا خفاش عاش ١٧ سنة ولا بد ان يكون عمر هذه الخفافيش اكثر من ذلك لانها صيدت بالغةً

ان كل ما سبق ايرادهُ من المعلومات التي تحققناها والتي استقيناها من مصادر يوثق بها يؤيد الرأي ان المولد المعوي عامل مهم للهرم وما يشذ عنهُ و يصعب تفسيرهُ بهِ يرجع الى كون المكروبات ليست كلها مضرة بل منها ما هو نافع ومفيد وما كان منها مضراً لا يظهر ضررهُ الاَّ بامتصاص مفرزهِ في ظروف معينة . مثال ذلك ان مكروب التتنوس يعيش بسهولةٍ في القناة الهضمية ولا يخشى منهُ الاَّ اذا إيف الجدار المعوي وهو يكاد يكون بلا تأثير في التمساح والسلحفاة . ومن امثلتهِ ان كمية صغيرة من سم اللحوم المقددة تقتل حيواناً من ذوات الثدي اذا دخلت قناتهُ الهضمية وقد تمتصهُ معد الطيور والسلحفاة بدون ان يلحق بها ضرراً . وتعليل ذلك ان الجسم مجهز بجهاز يقاوم عمل المكروبات و يدفع سمومها وتتوقف ظواهر الدفاع على قوة هذا الجهاز فاذا كانت كافية لقتل المكروبات او لتعديل سمومها او لمنعها من اختراق الجدار المعوي استطاع الجسم ان يتحمل وجودها بدون ضرر . وفي هذا السبيل يجب ان يُسار للتفتيش عمَّا يشذُّ عن القاعدة التي بينَّاها بالتفصيل في المقالات السابقة

طول حياة الانسان

ان عمر الانسان اقصر من عمر بعض الزحافات واطول من عمر اكثر ذوات الثدي التي ورث عنها نظام بنيتهِ ومعى غليظاً زائد النمو هو مستنبت للمكروبات الغزيرة . واذا اعتمدنا على القواعد النظرية وجب ان تكون حياتهُ اطول مما هي وعليها بنى هالر الفيسيولوجي الشهير من علماء القرن الثامن عشر اعتقادهُ بان الانسان يجب ان يعيش ٢٠٠ سنة . وارتأى بوفون ان من لا يموت بالعوارض المرضية يعيش ٩٠ او ١٠٠ سنة . وزعم فلوران ان مدة النمو ٢٠ سنة فيعيش ٥ × ٢٠ = ١٠٠ والواقع انهُ يعيش اقل من ذلك وهذه النظرية وسواها لا تصدق على الحوادث الفردية لان العوامل التي تؤثر في مدة الحياة كثيرة ومتباينة

نستدل من احصاء الوفيات ان اعلى معدل لما يكون في الحداثة فيموت ربع الاطفال

في السنة الاولى بعد الولادة ثم يحط معدل الوفيات تدريجاً الى سن البلوغ ثم يعلو ببطوء متواصل الى ان يبلغ حده بين ٧٠ و ٧٥ ثم يعود فيحط الى الحد الاقصى للعمر . وذهب بوديو العالم الايطالي الى ان كثرة الوفيات في الاطفال سنة طبيعية لمنع زيادة نمو النوع الانساني زيادة تفوق القياس وهو رأي سخيف لا يجوز التسليم به اذ يستطاع بمراعاة القواعد الصحية تقليل عدد الوفيات في الاطفال لانها تنتج غالباً عن الامراض المعوية التي تحدث من سوء التغذية وقد نقصت فعلاً بتقدم العلم والمدنية نقصاً يذكر

ولا يجوز التسليم ايضاً بان زيادة الوفيات بين ٧٠ و ٧٥ سنة دليل على ان هذه السن هي الحد الطبيعي لحياة الانسان كما يزعم بعض العلماء لان كثيرين من الناس يبلغون هذه السن وهم يحفظون قوتهم البدنية وعقلهم ولان كثيرين من النوابغ ينشرون طرائفهم بعد ان يجوزوه . ومن الامثلة على ذلك افلاطون من الفلاسفة وغيتي وفكتور هوغو من الشعراء ومثيل انجلو وتيشيان وفرانزهالس من الفنيين فضلاً عن ان الوفيات في هذه السن تحدث غالباً من الامراض العفنية كذات الرئة والتدرن وغيرهما ومن امراض القلب والكليتين والانزفة الدماغية وهذه الامراض يمكن اتقاؤها وتخفيض عدد الوفيات الناتجة عنها لان الموت بها عارضي وليس طبيعياً

يؤيد ذلك ان عدداً كبيراً من الناس يبلغون عمراً اطول كثيراً من العمر الذي زعموا انه الحد الطبيعي لحياة الانسان وان الذين يبلغون المئة ليسوا بنادرين ففي فرنسا يموت كل سنة نحو ١٥٠ شخصاً بلغوا المئة او اكثر . وسنة ١٨٣٦ كان عدد الذين بلغوا المئة ١٤٦ اي واحداً من كل ٢٢٠٠٠٠ نسمة وهو اكثر من ذلك في اوربا الشرقية وفي اليونان كبير جداً فهو واحد من كل ٢٥٦٤١ نسمة اي نحو ٢٥ مرة ضعف ما هو في فرنسا

وفي الازمنة الغابرة كانت اعمار الآباء تمدّ بالقرون فمن آباء التوراة عاش متوشالح ٩٦٩ سنة وروى هوميروس ان نسطور عاش ثلاثة اعمار الانسان اي ٣٠٠ سنة . ولا ريب في ان هذه الارقام خالية من كل دقة وتمحيص الاَّ اننا نثق ببعض المعلومات التي لا تبعد كثيراً عن عصرنا وتجيز لنا ان نجعل الحد الاقصى الذي يستطيع الانسان ان يصل اليهِ ١٨٥ سنة . فقد ذكر ان كنتيجرن مؤسس دير غلاسكو المعروف باسم القديس مونغو مات في ٥ يناير سنة ٦٠٠ وعمره ١٨٥ سنة وذكر عن فلاح في هنغاريا اسمهُ بطرس زورتاي مات وعمره ١٨٥ سنة (ولد سنة ١٥٣٩ ومات سنة ١٧٢٤) وذكرت حوادث موت كثيرة في هنغاريا في القرن الثامن عشر بين سن ١٤٧ و ١٧٢ سنة

ومن اصدق ما ذكر ان رجلاً من نروج اسمهُ دراكنبرغ ولد سنة ١٦٢٦ ومات سنة ١٧٧٢ اي بلغ ١٤٦ سنة وكان مشهوراً باسم شيخ الشمال · اسرهُ قرصان من افريقيا وعاش في الاسر ١٥ سنة واستخدم نوتيًّا ٩١ سنة · فاتجهت اليهِ انظار معاصريهِ وكتبت عنهُ الجرائد المعاصرة فنجد اخبارهُ مدرجة في غازتة فرنسا سنة ١٧٦٤ وفي غازتة اوتريخت سنة ١٧٦٧ · ومن اصدق الامثلة مثال فلاح انكليزي من ترويشير اسمهُ توماپار كان يقوم باعمال شاقة وعمرهُ ١٢٠ ومات في لوندرا وعمرهُ ١٥٢ سنة و٩ اشهر وشرح جثتهُ هارفي الشهير فلم يجد فيها اقل علة عضوية حتى ان الغضار يف بين الاضلاع لم تكن متعظمة وكانت مرونتها كما هي في شخص غير متقدم في السن ولكن كان دماغهُ قاسياً و يظهر مقاومة تحت اللمس لان القنوات التي تخترقهُ كانت متصلبة وناشفة ودفن في دير وستمنستر · فيحق لنا اذاً ان نعتقد بان الانسان يستطيع ان يصل الى ١٥٠ سنة وانما ذلك نادر واما الوصول الى ١٠٥ و ١٢٠ فليس بنادر

لا يقتصر هذا العمر الطويل على النسل الابيض لان الزنوج يبلغونهُ وقد عرف منهم من عاش ١١٥ و ١٦٠ و ١٨٠ سنة وعرف ثمانية اشخاص في السنغال في القرن الماضي بلغوا ١٠٠ الى ١٢١ سنة وروت جريدة نيو يورك هرالد بتاريخ ١٣ يونيو سنة ١٨٥٥ عن هندية من كارولينا الشمالية عمرها ١٤٠ سنة وعن هندي عمرهُ ١٢٥

والنساء يبلغن المئة وما فوقها اكثر من الرجال وانما الفرق بينهما ليس كبيراً على الغالب فقد وجد سنة ١٨٥٥ في اليونان ٢٧٨ شخصاً من مليوني نسمة عمرهم من ٩٥ الى ١١٠ منهم ١٣٣ رجلاً و ١٤٥ امرأة · وعُدَّ في باريس من سنة ١٨٣٢ الى ١٨٣٩ اي مدة سبع سنوات ٢٦ رجلاً و٤٩ امرأة سنهم من ٩٥ الى ١٠٠ او اكثر فهذه وغيرها من الامثلة تدل على ان النساء يعمرن اكثر من الرجال

ولا ينكر ان للوراثة تأثيراً في طول العمر · قال هالر من علماء القرن الثامن عشر ان الذين يبلغون المئة يكونون غالباً من عائلة واحدة ولا يندر ان نجد في تاريخ الشيوخ ما يدل على ذلك لان توما پار الذي ذكر آنفاً ترك ولداً عاش ١٢٧ سنة وبقي حافظاً قواهُ العقلية الى آخر حياتهِ · وذكر شيمان ١٨ من الذين بلغوا سن الهرم اباءً وابناءً الاَّ ان ذلك لا ينفي تأثير الاحوال الخارجية المشتركة بين الآباء والابناء اذ كثيراً ما يحدث ان زوجين لا قرابة بينهما يبلغان عمراً طويلاً جداً · وقد عددنا في مجموعة شيمان ٢٢ مثالاً على ذلك

منها حنه باراك التي بلغت ١٢٣ سنة وبلغ زوجها ١١٨ سنة وماتت بعدهُ بعشر سنوات٠ ومنها خريستاكي الطبيب العسكري في الاستانة عاش ١١٠ سنين وامرأتهُ ٩٥ وكان في فوجيرار رجل وامرأتهُ وعمر الرجل ١٠٥ سنين و ٤ اشهر وعمر المرأة ١٠٥ سنين وشهر٠ وذكر لجونكورت رجلاً اميركيًّا مات وعمرهُ ١١٣ سنة وماتت امرأتهُ وعمرها ١١٧

يؤْخذ من ذلك انهُ لا يجوز اغفال الاحوال الخارجية في البحث عن طول العمر٠ ومن المعلوم والمتعارف ان بعض البلدان يمتاز سكانها بكثرة من يبلغ منهم عمراً طويلاً كاوربا الشرقية (الولايات البلقانية وروسيا) التي يزيد عدد من يبلغ المئة من اهاليها زيادة كبيرة عما هو في اوربا الغربية٠ وذكر شيهان انهُ كان سنة ١٨٩٦ في سربيا وبلغاريا ورومانيا ٥٠٤٥ نفساً بلغوا المئة وهذا العدد وان كان فيهِ مبالغة فهو يدل على ان هواء البلقان النقي والنشيط وعيشة اهلهِ الزراعية يؤهلانهم للحياة الطويلة

وتمتاز بعض اقاليم فرنسا بكثرة شيوخها فقد وجدوا سنة ١٨٩٨ في مقاطعة سوريناً من بيرينه الشرقية التي لا يزيد سكانها على ٦٠٠ نسمة خمس نساء عمرهن بين ٨٢ و ٩٥ سنة وثمانية رجال عمرهم بين ٨ و ٩٤ ووجدوا في قرية سان بليون من السوم وسكانها ٤٠٠ نسمة ستة شيوخ عمرهم بين ٨٥ و٩٣ سنة وامرأة دخلت في المئة والواحدة

ومما لا شك فيهِ ان الهواء الجيد ليس العامل الفعال في اطالة الحياة لان بلوغ المئة يندر في سويسرا المشهورة بطيب هواء جبالها فيجب ان نبحث عن هذا العامل في نوع حياة السكان

ثبت ان اكثر الذين يبلغون المئة اناس قليلو اليسار او فقراء يعيشون عيشة بسيطة واذا وجد منهم ذو ثروة فشذوذ لان من المؤكد ان الثروة الواسعة لا تجلب العمر الطويل والفقر يقضي بالقناعة وخصوصاً على الشيوخ٠ وقد عددت في مجموعة شيهان ٣٦ من الذين بلغوا المئة وقد عاشوا عيشة تقشف واكثرهم لم يشرب الخمر وبعضهم اكتفى بالخبز واللبن والطعام النباتي

فالقناعة هي بلا شك احد العوامل لطول العمر ولكنها ليست العامل الوحيد والطاعنون في السن لم يسلكوا في معيشتهم مسلكاً واحداً لان منهم من شرب المشروبات الروحية وبعضهم كان مدمناً وسكيراً ومن هؤُلاء كاترينا ريموند التي ماتت وعمرها ١٠٧ سنين وكانت تفرط في شرب الخمر٠ والجراح بولتيان الذي مات وعمرهُ ١٤٠ سنة واعتاد

من سن ٢٥ سنة ان يسكر كل مساء بعد ان يفرغ من عملياته الجراحية في النهار · والجزار الفاسكوني الذي مات وعمرهُ ١٢٠ سنة كان يسكر مرتين في الاسبوع · واغرب مثال على ذلك رجل ارلندي عاش ١٢٠ سنة واوصى ان يكتب على ضريحهِ «كان على الدوام سكران ولذلك كان مخيفاً حتى كان الموت يخاف منهُ»

ومنهم من كان يكثر من شرب القهوة او يفرط فيهِ ومن امثلتهم ڤولتير وكان طبيبهُ يمنعهُ عن شربها ويصف لهُ اضرارها ويبرهن لهُ على ان الافراط في شربها يفعل فعل سم حقيقي فاجابهُ بقولهِ «لذلك تراني وانا في الثمانين مستمرًّا على التسمم بها» واليصابات بوربو عاشت اكثر من ١١٤ سنة وكانت القهوة غذاءها الرئيسي تشرب منها اربعين فنجاناً كل يوم وتعتني بتحضيرها على الطريقة العربية

ومنهم من كان يدخن وامثلتهم روس الذي نال سنة ١٨٩٦ جائزة طول العمر وهو في سن ١٠٢ وكان من اكبر المدخنين · وارملة لازنك التي ماتت وعمرها ١٠٤ سنين وكانت تسكن كوخاً حقيراً في كيرينو وتعيش من الصدقة وتدخن من حداثتها

يظهر مما تقدم ان كل عامل ينسب اليهِ طول العمر يسقط بعد فحص عدد كافٍ من الامثلة · والحقيقة التي لا امراء فيها ان البنية الجيدة والعيشة البسيطة والقناعة من الاحوال التي تساعد على طول العمر وما خلاها يوجد عامل خفي او شيء لا يقع تحت حد معين ويمكن ارجاعهُ الى الوراثة وهو الجوهر الخاص بكل انسان

ويستحيل بمعارفنا الحاضرة ان نعين السبب الرئيسي لطول العمر ويجدر بنا في البحث عنهُ ان نتبع السبيل الذي اتخذناهُ في البحث عن سبب طول العمر في الحيوانات · وقد تقدم انهُ يظهر سبب موضعي لطول حياة زوجين لا رابطة بينهما الأ نوع المعيشة فيجدر بنا ان نبحث عنهُ في المولد المعوي وفي وسائل الدفاع لمقاومة فعلهِ المضر · ومن الطبيعي ان يكون هذا المولد في شخصين يعيشان عيشة واحدة وتحت سقف واحد متشابهاً كثيراً · ولعل الابحاث المستقبلة تفضي الى ايضاح هذه المسئلة ايضاحاً كافياً لا يبقي محلاً للشك والاعتراض

الدكتور
امين ابو خاطر

الدكتور شبلي شميل

علومهُ

البحث في علوم الفقيد الكريم الدكتور شميل يُنظَر فيهِ اولاً الى علومهِ الطبية وما جرى عليهِ من الاساليب في معالجة المرضى والجرحى والنفاس لانهُ كان طبيباً وجرّاحاً ومولّداً واضطرَّ ان يمارس كل فروع الطب العملي اي الطب الباطني وطب العين والاذن والانف والحلق والجلد ويعمل العمليات الجراحيَّة على انواعها من صغيرة وكبيرة لان الإخصاء اي الاختصاص بفرع مخصوص من فروع الطب كان نادراً في هذه البلاد حينما خرج للتطبيب. ولعلهُ مارس طب الاسنان ايضاً كما جرت عادة الاطباء حينئذٍ. ولم يكتفِ بذلك بل فتّش عن بعض الكتب الطبيَّة القديمة كفصول بقراط وارجوزة ابن سينا وشرحها ونشرها. وانشأ اكبر مجلة طبية باللغة العربية وهي مجلة الشفاء وكان يحررها كلها. ولا بدَّ لنا من ترك البحث في علومهِ الطبيَّة الى احد اخوانهِ الاطباء والاقتصار على علومهِ البيولوجية والاجتماعية

العلماء فريقان فريق يبحث ويحقق حتى يكتشف ناموساً طبيعيًّا تبنى عليهِ الاحكام او حقيقة علمية تقام عليها القواعد كاسحق نيوتن مكتشف ناموس الجاذبيَّة وداروين مكتشف ناموس الانتخاب الطبيعي وباستور مكتشف اسباب الاختمار والفساد ومندليف مكتشف الناموس الدوري في الكيمياء. وفريق يتناول هذه النواميس والحقائق ويبني عليها علوماً واسعة النطاق او يفسّر بها الافعال الطبيعيَّة والاعمال الانسانية كما فعل هكسلي وسبنسر ولستر وبوانكاره وغستاف لبون وكوخ وفرخو وكثيرون غيرهم من الذين افادوا نوع الانسان فوائد لا تقدر. والعلماء الاولون من اهل النظر في الغالب والآخرون من اهل العمل وقد يقتصر عملهم على تعميم العلوم وترغيب الناس فيها واتخاذها وسيلة لنفع الانسان.

ولقد كان الدكتور شميل من هذا الفريق الاخير لانهُ تناول مذهب النشوء وترجم كتاباً مفصّلاً فيهِ وهو شرح بخنر على مذهب داروين ثم توسَّع في هذا الموضوع وطبّقهُ على كل ما في الكون حاسباً اياهُ وسيلة لغاية سامية وهي اصلاح حال المجتمع الانساني كما سيجيء. ولو اتيح لهُ ان يخدم بلادهُ في منصب سياسي لادخل فيها اصلاحات كثيرة صحيَّة وقضائية وتعليميَّة واجتماعية لان مذهب النشوء لا ينحصر في تفسير تولّد انواع الحيوان والنبات بعضهما من بعض بل يتناول تولّد الاخلاق والشرائع والقوانين وكل اعمال البشر. وقد اهتمَّ كثيرون من اصدقائهِ بادخالهِ مجلس الاعيان العثماني حينما كنَّا نتوقع من ذلك المجلس اكبر

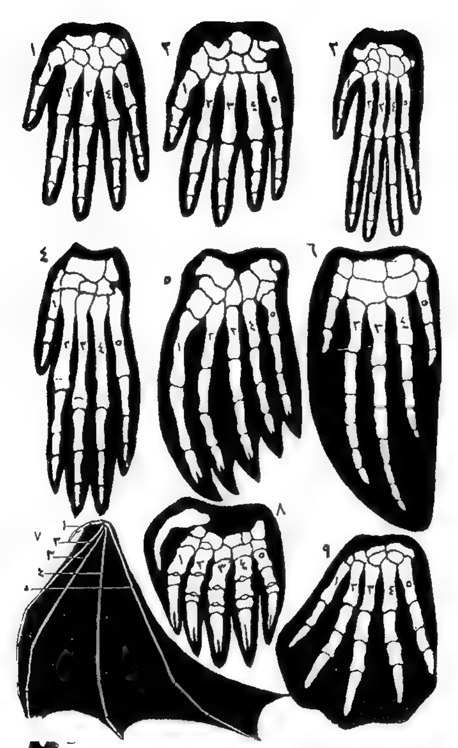
نفع البلاد العثمانية ففشلوا ولو نجحوا وهو يكره المداجاة لاصابهُ ما اصاب صديقهُ السيد عبد الحميد الزهراوي رحمة الله عليهِ مع ان هذا كان الى التقيَّة اميل حتى انهُ كان يوقّع المقالات التي دافع بها عن الدكتور شميل في جريدة المؤيد باسم مستعار خوفًا من السنة الناس

واذ قد تمهَّد ذلك ننظر اولاً فيما كتبهُ في مذهب النشوء ممَّا يتعلَّق بعلم الاحياء وثانيًا في تطبيقهِ هذا المذهب على علم الاجتماع باوسع معانيهِ

علم الاحياء او العلوم البيولوجيَّة

ذكر الدكتور شميل في مقدمة كتابهِ فلسفة النشوء والارتقاء انهُ سمع بمذهب داروِن وهو يدرس الطب في المدرسة الكلية سنة ١٨٧١ قال «سمعت ولا اذكر كيف سمعتُ انهُ قام رجل يدَّعي ان اصل الانسان من القرد فلم اتحرَّ حقيقة هذا القول ولم يكن في تعليم المدرسة ما يحملني على التبصُّر فيهِ . وغاية ما اذكر اني لم اسمع بهِ حتى اظهرت اشمئزازي منهُ ومن قائلهِ الذي اعتبرتهُ حينئذٍ دعيًّا ما خالف الاَّ ليعرف . ولا عجب فان الكيفيَّة التي ذُكر لي فيها والتي يذكرهُ بها دائمًا خصومهُ من ان القرد اصل الانسان لا يمكن ان تُحدِث في سامعها لاول مرة وهو متشرب بالاعتقادات المخالفة الاَّ نفوراً ولو انَّ في نوع الانسان من هو احطُّ من القرد بكثير . وهو سلاح يفتريهِ خصوم هذا المذهب لتحقيرهِ والاَّ فمذهب داروِن لا يقول ان القرد اصل الانسان وان الحمار اصل الفرس بل ان الانسان والقرد والفرس وسائر الاحياء من اصل واحد في نشوئها من مواد الطبيعة وبمجرَّد قواها وقد تغيَّرت تبعاً لناموس المطابقة حتى بلغت مبلغها الآن بالانتخاب الطبيعي»

ولكن ما نفر منهُ عند سماعهِ اياهُ عاد فاثبت بعض اصولهِ في خطبتهِ النهائية التي تلاها حينما نال شهادتهُ الطبيَّة في صيف تلك السنة وموضوعها «اختلاف الحيوان والانسان بالنظر الى الاقليم والغذاء والتربية» . والحق الذي لا مرية فيهِ ان بعض علوم المدرسة الكلية التي تعلَّمها كعلم النبات وعلم الفسيولوجيا وعلم التشريح يري دارسهُ مشابهة تامة بين انواع النبات وانواع الحيوان فانواع النبات تجري في تفريخها ونموها وظهور اغصانها واوراقها وازهارها واثمارها على اساليب متماثلة او متشابهة وتتغير اطوارها بتغير الاقليم وكذا الحيوانات على اختلاف انواعها. واذا نظرنا الى العظام في كف الانسان وكف القرد وكف الكلب وزعنفة الفقمة والدلفين وجناح الخفاش لم يسعنا الاَّ القول بانها من اصل واحد او انها مكوَّنة على نسق واحد. والمرجح عندنا انهُ كان لهذهِ العلوم التي تعلمها الدكتور شميل في المدرسة الكلية اليد الطولى في تهيئة عقلهِ لقبول مذهب النشوء حالما اطَّلع على تفاصيلهِ



(١) كف الانسان (٢) كف الغورلا (٣) كف الاوران
(٤) كف الكلب (٥) زعنفة الفقمة (٦) زعنفة الدلفين
(٧) جناح الخفاش (٨) كف الخلد (٩) كف الاورنيثورنكوس

مقتطف مارس ١٩١٧
امام الصفحة ٢٢٦

ثم ان الدكتور شميل صرّح في مقدمة الطبعة الثانية من شرح بخنر التي صدرت منذ سبع سنوات انهُ لم يلبث ان غادر المدرسة الكلية حتى صار مذهب النشوء موقف افكاره وموضوع حديثهِ وغرضهُ في كل كتاباتهِ . ولم يجد حينئذٍ ادنى صعوبة في تطبيقهِ على اقصى ما يرمي اليهِ قبل ان يطلع على مؤلفات الغلاة فيهِ كهيكل و بخنر . وعلل ذلك بقولهِ ان علوم المقابلة في الطب تساعد كثيراً على ذلك وبان تربيتهُ المدرسية لم تسمهُ بطابعها فان اعتلال صحتهِ في حداثتهِ لم يسمح لهُ بان يكون من متخرجي المدارس في ما خلا الطب ولم يقرأ شيئاً من العلوم الكمالية التي يقولون انها توسع العقل الى ان قال « واي شيء الذ بل افيد من معرفة تحوُّل المادة وتحوُّل قواها فيها ومعرفة انها شيء واحد لا تهدأ لهُ حركة — الفة في الجماد والتجاذب في النبات وادراك في الحيوان وارادة في الانسان على اختلاط في آفاقها سمّها ما شئت : حياةً او حرارة او كهربائية او نوراً او حركة او جاذبية او شوقاً او حبّاً فهي واحدة في الجوهر وان اختلفت في المظهر » وذلك بعد ان قال في مقدمة الطبعة الاولى التي انشأها سنة ١٨٨٤ ما نصهُ

« واعلم ان الانسان على رأي هذا المذهب طبيعي هو وكل ما فيهِ مكتسب من الطبيعة . وهذه الحقيقة لم يبقَ سبيل الى الريب فيها اليوم ولو اصرَّ على انكارها مَن لا يزال مفعول التعاليم القديمة راسخاً في ذهنهِ رسوخ النقش في الحجر فالانسان يتصل اتصالاً شديداً بعالم الحس والشهادة وليس في تركيبهِ شيء من المواد والقوى يدلُّ على اتصالهِ بعالم الروح والغيب فان جميع العناصر المؤلف منها موجودة في الطبيعة وجميع القوى التي فيهِ تعمل على حكم قوى الطبيعة فهو كالحيوان فسيولوجيًّا وكالجماد كيماويًّا والفرق بينهُ وبينهما فقط بالكمية لا الكيفية والصورة لا الماهية والعَرَض لا الجوهر . فالانسان يحس والحيوان يحس والانسان يدرك والحيوان يدرك ونواميس التغذية واحدة فيهما . غير ان الانسان يدرك اكثر من الحيوان لانهُ اكمل منهُ كما ان الحيوان العالي يدرك اكثر من الحيوان الذي دونهُ . وعناصرهُ كعناصر الجماد تتفاعل وتتركب وتنحل وتتحرك وتولّد حرارة والحياة كلها احتراق »

هذه خلاصة ما قالهُ في علم الاحياء وهو قول جماعة كبيرة جدًّا من العلماء الطبيعيين البيولوجيين ولكنهُ ليس قولهم كلهم ألا ترى ان ولس قسيم دارون في مذهب النشوء يستثني الانسان لان بحثهُ الطويل الذي اوصلهُ الى استنتاج مذهب النشوء مستقلاً عن دارون اوجب عليهِ ان يستثني الانسان و ينسب نشوءهُ الى قوة غير القوى الطبيعية المعروفة . ومثلهُ جماعة كبيرة من اشهر علماء القرن الماضي وبعض علماء القرن الحاضر

ولم يكتفِ الدكتور شميل بمتابعة العلماء الذين لم يروا في الكون غير المادة والقوة بل تابع ايضاً العلماء الذين قالوا ان ليس فيهِ غير القوة وان المادة حالة من حالات القوة لكنَّ العلماء الطبيعيين الذين اثبتوا بالتجارب ان المادة قوة مثل الاساتذة طمسن وستوني وهنفورد وكروكس ولدج اكثرهم من المعتقدين بوجود الارواح مستقلة عن المادة وكلهم من المعتقدين بصحة مذهب دارون ولكنهم لا ينفون وجود الخالق بل يقولون كما قال مطران كارليل وهو اذا عُدَّ صانع الساعة حكيماً ماهراً فالذي يصنع ساعةً تصنع ساعةً اخرى احكم وامهر . اي اذا كان الخالق اودع في المادة او في القوة قوةً تجعلها تولّد العناصر والمركبات الكيماوية والنبات والحيوان حتى الانسان فذلك ادلُّ على عظمتهِ وحكمتهِ وقدرتهِ مما لو فرضنا انهُ يُعنَى يوماً فيوماً بخلق كل نبات وكل حيوان وكل انسان

ولا يخفى اننا نحن المشارقة لم نصل حتى الآن الى البحث العلمي المبني على التجارب الكثيرة فلا نعرف أحداً من ابناء هذا القطر والقطر السوري بحث بحثاً استقرائيًّا طويلاً في طبائع النبات والحيوان كما فعل كيفيه ولامارك واون واغاسز ودارون وولس وهوكر وهكسلي وميفار ولا في تحليل المواد وتركيبها وتنوُّع عناصرها كما فعل لافوازيه ودافي وفراداي وكلفن وستوني وكوري ورمزي ولدج ورذرفورد حتى يحق لهُ ان يقول انهُ وصل الى هذه النتيجة او تلك بعد البحث والتحري . وانما نحن نطّلع على مباحث هؤُلاء العلماء ونختار منها ما ترضاهُ عقولنا حسب استعدادها وما فيها من قوة الاستدلال . وهذا عين ما فعلهُ الدكتور شميل . لكنهُ لم يكتفِ بما تعلَّمهُ واقتنع بهِ بل توسَّع فيهِ وبذل جهدهُ وما لهُ في نشرهِ باللغة العربية وجعلهِ اساساً يبنى عليهِ غيرهُ من التعاليم الاجتماعية فترجم كتاب بختر في هذا الموضوع وقدَّم لهُ مقدمة مسهبة تكاد تكون خلاصة الكتاب . وبختر عالم طبيعي قال بتولُّد الانواع قبلما نشر دارون كتابهُ بخمس سنوات ونسب هذا التولُّد الى فعل الاحوال المختلفة في سطح الارض من جهة والى تغير تدريجي في الجراثيم من جهة أُخرى ولكنهُ لم يفصّل فعل هذه الاسباب كما ينبغي . وقد وافق دارون في كل فصول مذهبهِ لكنهُ خالفهُ في امر جوهري وهو ان دارون صرَّح بان الخالق نفخ نسمة الحياة في الحي الاول الذي تولدت الاحياء منهُ وبختر نفى ذلك وقال بالتولد الذاتي والحق يقال ان شرح بختر يتناول خلاصة ما كان معروفاً في عصرهِ عن مذهب النشوء وعن ارتقاء الفلسفة من اقدم عصورها الى ذلك الحين وقد صرَّح فيهِ بان القوة والمادة غير منفصلتين كانهما شيء واحد

وما لبثت ترجمة الدكتور شميل لهذا الكتاب ان انتشرت حتى قام المرحوم الاستاذ

ابرهيم الحوراني ورد عليهِ في رسالة سماها مناهج الحكماء على نفي النشوء والارتقاء فاجابهُ الدكتور شميل واجاب غيرهُ من الذين انتقدوا مذهب النشوء برد مسهب سماهُ الحقيقة افتتحهُ ببيتين من قول حكيم العرب وابلغ شعرائهم ابي العلاء المعري وهما

بربك ايها الفلك المدارُ   اقصد ذا المسير ام اضطرارُ

مسيرك قل لنا في اي شيءٍ   ففي افهامنا منك انبهارُ

والبحث في الحقيقة بعضهُ نظري وجدلي وأكثرهُ علمي مبني على حقائق علمية بعضهُ حديث وبعضهُ قديم استنبطهُ من كتب الاقدمين مثال ذلك ما نقلهُ عن بقراط اليوناني ابي الطب حيث قال في كتاب الاهوية والمياه والبلدان « اني اغضُّ النظر عن الامم التي تختلف قليلاً فيما بينها واقتصر على ذكر الاختلافات العظيمة الناشئة اما من الطبيعة واما من العادة واذكر اولاً جيل الميكروسفال (ذا الراس المتطاول) فان هذا الجيل لا يوجد جيل يشبههُ في تكوين الراس ... وفي الاصل كانت العادة سبباً لطولهِ واما الآن فقد صار للطبيعة يد في ذلك واصل هذه العادة انهم يعتبرون طول الراس من علامات النبالة واول ما يولد الطفل اذ تكون اعضاؤهُ مسترخية ورأسهُ ليناً يضغطون الراس بين اليدين حتى يتطاول ويشدونهُ بربط وآلات مناسبة يفقد بها شكلهُ الكروي وتزيد في طولهِ وهذا التكوين نشأ في الاصل عن العادة ثم صار مع الزمان طبيعيًّا لا حاجة فيهِ الى العادة ... فاذا كان الاباء الصلع يلدون اولاداً صلعاً وذو العيون الزرق يلدون اولاداً بعيون زرق مثلهم فما المانع ان اناساً طوال الرؤُس يلدون اولاداً طوال الرؤُس نظيرهم » . وما نقلهُ عن الفيلسوف الاجتماعي العربي ابن خلدون وهو قولهُ « انظر الى عالم التكوين كيف ابتدأ من المعادن ثم النبات ثم الحيوان على هيئة بديعة من التدريج آخر افق المعادن متصل باول افق النبات وآخر افق النبات متصل باول افق الحيوان ومعنى الاتصال في هذه المكونات ان آخر افق منها مستعد بالاستعداد الغريب لان يصير اول افق الذي بعدهُ واتسع عالم الحيوان وتعددت انواعهُ وانتهى في تدريج التكوين الى الانسان صاحب الفكر والروية » . وكثير من مباحث الحقيقة فلسفي كالكلام على الجوهر الفرد ووحدة العناصر وقدم المادة واصل الحياة وقد تابع فيهِ اكابر العلماء الاوربيين . ولهُ في المقتطف مقالات كثيرة من هذا القبيل في المواضيع الطبيعية والاجتماعية كالحياة والحس وانواعهِ المختلفة واصل الاجسام الحيَّة وحياة الجماد والادوار الجليدية وتأثيرها في الانسان والاجتماع البشري والعمران والمرأة والرجل وهل يتساويان والاذكار والايناث ومناجاة الاحلام وقرع الاوهام

والخلاصة انهُ بسط مذهب النشوء فيما ترجمهُ عنهُ وكتبهُ فيهِ احسن بسط وعززهُ بكل الادلَّة العلمية التي تذكر لتعزيزهِ · ومذهب النشوء حقيق بذلك لانهُ غير محصور في نشوء الحيوانات بعضها من بعض بل يتناول نشوء كل شيء فقلم الحديد او النحاس او الذهب الذي نكتب بهِ الآن نشأ من قلم الغاب الذي كنا نكتب بهِ في صبانا · والمركبة البخارية التي تسير بنا الآن بسرعة الطير نشأت من المركبة التي يجرها الحمار او البغل · والمحراث البخاري الذي يحرث عشرين فدانًا في النهار نشأ من المحراث الخشبي الذي يجرهُ الثور وهذا من عود اعقف كان قدماء المصريين يشقون ارضهم بهِ · وقس على ذلك كل العلوم والفنون والشرائع والقوانين والعادات فان ناموس النشوء يشملها كلها ولكن عقل الانسان انشأَها

العلوم الاجتماعية

لو كان غرض الدكتور شميل مما ترجمهُ وكتبهُ في مذهب النشوء مجرَّد اقناع القراء بان انواع النبات والحيوان متسلسل بعضها من بعض لذهب اكثر تعبهِ سدًى · نعم ان العلم حريٌّ بان يطلب لذاتهِ من غير نظر الى الفوائد التي تجنى منهُ ولكن كونهُ مطلوبًا لذاتهِ مرغوبًا فيهِ من غير انتظار فائدة منهُ لا يستلزم ان يكون عديم الفائدة لانهُ قد يكون وسيلة لغاية كبيرة · ومن هذه الجهة نظر الدكتور شميل الى مذهب النشوء · فاولاً حسبهُ مبنيًّا على العلوم الطبيعية التي هي وسيلة وغاية · وثانيًا حسبهُ اساسًا للعلوم الاجتماعية التي قال فيها « ان غايتها الحقيقية اعتبار الانسان في كل مكان اخًا للانسان مما يدعو الى تصالح الامم من فوق حدود الاوطان بل بها تتجلَّى تلك الغاية الكبرى المنتظرة من العلم الاجتماعي الذي هو دين البشرية الحق والتي لا تتيسَّر في اي تعليم آخر أَلاَ وهي التسامح او التساهل الداعي الى التعاون الحقيقي الضروري للعمران والمبني على معرفة الحق والواجب لا على الرفق والاحسان »

اما العلوم الطبيعيَّة كعلم الطبيعة وعلم الكيمياء وعلم المعادن وعلم الجيولوجيا فنسب ارتقاء اوربا واميركا الى الاخذ بها وتوسيعها والاعتماد عليها وانحطاط الشرق الآن واوربا في العصور الغابرة الى اهمالها والاخذ بالعلوم النظرية والفلسفية · وقد اقترح سنة ١٩٠٨ « ان تلغى مدرسة الحقوق وتمزَّق كتب القوانين وكتب الاقتصاد السياسي وسائر العلوم الكلامية وان يوقف تنفيذ بروغرام الجامعة لئلاَّ تزيد معاهد العلوم النظرية واحداً فتزيد البلوى وان ينشأ معهد علمي كبير يعلم فيه علم نشوء الارض والاجرام السموية وعلم الاحداث الجوية والاقاليم واختلافها وتأثيرها في الانسان وفي العمران وان يقام على انقاض مدرسة الحقوق مدرسة للكيمياء والطبيعيات والميكانيكيات والرياضيات وعلم الفلك وتنشأ جامعة

لتعليم التاريخ الطبيعي والاجتماع الطبيعي والاقتصاد الطبيعي وتطبيق ذلك على الانسان والطب وسائر العلوم الحيوية والانثروبولوجية . وان تنشأ كتاتيب في كل مدينة وفي كل حي وفي كل قرية على نسبة السكان يعلَّم فيها الاطفال مبادئ العلوم الطبيعية البسيطة التي يفهمون منها طبائع الماء والهواء والجماد والنبات والحيوان ويوضع لهم شبه تعليم طبيعي يعلمون منهُ حقيقة الانسان ومركزهُ في الارض . وتنشأ جرائد تعلم الناس كيف يجب عليهم ان يكونوا نظافاً في اجسامهم وملابسهم ومآكلهم ومساكنهم وعقولهم . وتعلمهم ان كل نظام حولهم في الارض والسماء في الجماد والنبات والحيوان خاضع لنواميس طبيعية لا تتزعزع وان سيرهم على هذه النواميس يقيهم عثرات كثيرة في معايشهم صحيًّا وماديًّا وادبيًّا . يُعلَّمون كل ذلك لكي يعلموا ان كل عضو في الاجتماع لهُ حقوق وعليهِ واجبات وان الاشتراك في المنفعة يحتم لهُ على قدر اشتراكهِ في العمل وان المكافأة انما هي للاجتهاد لا للصنيعة وحينئذٍ يظهر الفضل الصحيح وينتفي الفضل الكاذب

وكرَّر البحث في هذا الموضوع مراراً وتكلَّم عليهِ تكراراً وانشأ فيهِ مقالات شتى وبقي يجاهر بذلك الى أخريات ايامهِ فقد قال في آخر رسالة نشرها وسماها الرجحان ما نصهُ

ارضنا للنهى خزانة علمٍ — وهي حقل للعاملين خصيبُ
علمونا ان الحياة جهادٌ — ومجال الجهاد فيهِ رحيبُ
علمونا ان المنا من هناء الغير منا صحيحهُ مكسوبُ
انما نحن مثل اعضاء جسم — ان يؤَلَم فكلهُ معصوبُ

وكانت مزيتهُ الكبرى التنديد بالظالمين وبالمعايب على انواعها والمجاهرة بما يعتقدهُ حقًّا ولو خالف بهِ جميع الناس سواءٌ كان في العلميات او الادبيات او الاجتماعيات . قلمهُ ولسانهُ في ذلك سيَّان . وطالما حبَّر المقالات السياسية ونشرها في البصير والمقطم وغيرهما من الجرائد السيارة ينتقد بها معايب الحكام بما لا مزيد عليهِ من الصراحة

وقد عاش عيشة الاجتماع الذي تمناهُ فكم آسى فقيراً بلا اجر ولا شكر وكم تناول الدرهم من الغني ليعطيهُ للفقير وكم حثَّ على انشاء مستشفى للفقراء وبذل في ذلك وقتهُ الثمين . وغاية ما نأسف عليهِ ويجب ان يأسف عليهِ الشرق كلهُ ان بلادهُ لم تعرف ان تنتفع بعلمهِ وعقلهِ واخلاقهِ في حياتهِ كما يجب . فعسى ان تنتفع بآثارهِ ويقوم من ابنائها كثيرون يقتفون خطواتهِ في البحث عن الحقيقة والمجاهرة بها

ادواء الاذن

اذنا الانسان هاتان الجلدتان الظاهرتان على جانبي رأسهِ ليستا اذنيهِ الحقيقتين اللتين يسمع بهما ولا منها فائدة كبيرة للسمع بل تنحصر فائدتهما في حمل الاقراط لتجميل وجوه الحسان . وانما الفائدة الكبرى في الخرق الذي فيها فان امواج الصوت تدخلهُ وتضرب على الطبلة التي في باطنهِ فتهزها و يجري الاهتزاز في الاذن الباطنة الى ان يصل الى العصب السمعي

ويخرج من هذا الخرق الافُ وهو مادة شمعية لزجة تفرزها الاذن لغاية حميدة جدًّا وهي منع الغبار والحشرات من دخول الاذن والوصول الى طبلتها ولكن الجمهور يظنهُ سبباً من اسباب ضعف السمع او وسخاً لا يليق بالكياسة فيحاولون نزعهُ وتنظيف الاذن منهُ بكل واسطة ممكنة وهناك الضرر الذي يسبب ضعف السمع

وقد يتجمع الافُ في الاذن و يسدها و يرافق تجمعهُ ضعفٌ في السمع فيظن ان هذا التجمع هو الذي سبب ضعف السمع والحقيقة ان الضعف يكون ناتجاً عن مرض في الطبلة وان كثرة الافِ عرَضٌ من اعراض هذا المرض لا سببٌ من اسبابهِ وان نزع الافِ حينئذ قد يصلح السمع قليلاً ولكنهُ لا يزيل العلة فتبقى وقد تزيد بالوسائل التي تستعمل لنزعهِ فيكثر ثانية و يسد الاذن

جاءنا ذات يوم شيخ جليل القدر ضعيف السمع وقال لنا متهللاً لقد صلح سمعي والفضل للطبيب فلان . فقلنا كيف ذلك قال ذهبت اليهِ فوجد اذنيَّ مسدودتين بالاف فحقنهما بمادة رطبّة واستخرجهُ منهما . ثم رأيناهُ بعد ايام وهو يضع راحتيهِ وراء اذنيهِ كما كان يفعل قبل ذلك فقال عاد الصمم الى حالهِ ولعلَّ الافَ عاد الى حالهِ ايضاً . فقلنا نعم لان كثرتهُ في الاذن عرَض لا مرض

ثم ان نزع الاف من الاذن سواءٌ كان بمنديل او بدبوس او بنحو ذلك من الوسائل التي تستعمل عادة لنزعهِ وتنظيف الاذن منهُ يهيج باطن قناة الاذن فيلتهب و يعيق خروج الاف منها ولولا ذلك لخرج من نفسهِ كلما زاد مقدارهُ عن الحد اللازم الاَّ اذا كان هناك مرض في الطبلة افضى الى زيادتهِ وسدهِ للاذن وحينئذٍ لا يجوز نزعهُ الاَّ بحقن الاذن بسائل يذيب جوانبهُ ويخرجهُ منها

نحن نكتب هذه السطور الآن بعد ان قرأنا مقالة في هذا الموضوع للدكتور ودس هتشنصن ونرى على مقربة منا وامامنا جمهوراً كبيراً من الفلاحين بعضهم يحرث ارضهُ

وبعضهم يروي رزعهُ وبعضهم مستلق على جنبهِ يدخن ويلقس وكلهم سمعهم كسمع الخلد ·
قال لنا واحد منهم هذا صوت اتوموبيل فاصغينا ولم نسمع صوتاً وبعد بضع دقائق سمعنا الصوت واقبل الاتوموبيل وراكبهُ · وما من احد من هؤلاء الناس ينظف اذنيهِ اويغسلها او يشكو من الم فيها · ولكن ضعف السمع يكثر في المدن وبين المترفهين الذين يكثرون من غسل اذانهم وتنظيفها بالاصابع والمناشف والدبابيس ولا يكتفون بذلك بل ينظفون آذان اطفالهم ايضاً وحالما تنتبه الوالدة الى اذني طفلها الرضيع وتجد فيها شيئاً من الاف تبادر الى دبوس وتحاول نزع الاف منها بطبعتهِ فتضع اول حجر من اساس ادواء اذنيهِ وضعف سمعهِ وهي لو فقهت لعلمت ان الاف الذي تستخرجهُ بيدها هو الوسيلة الطبيعية لتنظيف الاذن ومنع وصول الغبار والحشرات الى طبلتها وهو لا يحتاج الى مَن يخرجهُ بل يخرج من نفسهِ ما دامت الاذن سليمة · واذا لم يخرج من اذن الطفل فيكون لان امهُ او مرضعهُ هيجتها حتى زاد عن المقدار الذي يستطيع الخروج وحدهُ

هذا ولنعد الى ضعف السمع فنقول ان الاذن الحقيقية مؤلفة من ثلاثة اجزاء الاول الجزء الخارجي وهو القناة الموصلة الى الطبلة وفيهِ يتجمع الاف · والثاني الجزء الاوسط وهو الطبلة نفسها · والثالث الجزء الباطن الذي فيهِ العصب السمعي وهذا غائر في عظم الراس قرب قاعدة الدماغ · واكثر اسباب الصمم يكون في هذا الجزء الباطن ولكن هذا الجزء غير خاضع لارادتنا فلا نستطيع ان نضرهُ لان العظام تقيهِ منا وانما يأتيهِ الضرر من الدم الذي يصل اليهِ اذا كان فيهِ مادة ضارة تضرُّ بهِ من داء خبيث كالزهري والالتهاب السحائي ولا نستطيع ان ننفعهُ لاننا لا نستطيع الوصول اليهِ

لقد كان يُظَن ان الحدادين والنحاسين الذي يطرقون المعادن والآنية المعدنية الكبيرة فتخرج منها اصوات تصمُّ الآذان يصابون بالصمم دائماً من جراء ذلك وان الوقادين الذين يسوقون القاطرات البخارية على سكك الحديد يصابون ايضاً مثلهم حتى صار قولنا هـذا صوت يصمُّ الآذان من الاقوال المألوفة التي توصف بها الاصوات الشديدة · ولكن البحث والاستقراء لم يؤيدا ذلك بل اثبتا ان الذين يصابون بالصمم من الحدادين والنحاسين والوقادين هم الذين يكون بوق استاكيوس من اذانهم مسدوداً وتكون طبلاتها سميكة مقعرة وانوفهم وحلوقهم وارمة مزكومة · ولعلهم يصابون بذلك من كثرة تعرضهم للبرد بعد الحر او الحر بعد البرد فجأة فاذا أُصلحت المعامل ومواقف القاطرات حتى لا ينتقلوا من الحر الى البرد ولا يقفوا في مجاري الهواء قلَّت اصابتهم بالزكام وندر تعرُّضهم للصمم

ومن الآراء الشائعة ايضاً ان الشيخوخة تستلزم الصمم او ضعف السمع ولكن ذلك ليس مطرداً فقد استدعينا الآن خولي زراعتنا وهو شيخ طاعن في السن كان رجلاً قبلما تولّى اسمعيل باشا وكلناهُ همساً بصوت لا نسمعهُ نحن فسمعهُ جليًّا . ونعرف كثيرين من الشيوخ الذين سمعهم لا يقل عن سمع الكهول . ولا شبهة ان بعض الشيوخ يصابون بالصمم او بضعف السمع لآفة تصيب اعصاب السمع او الاوعية الدموية المنتشرة في الاذن ولكن اكثر الصمم الذي يصيب الشيوخ هو مثل الصمم الذي يصيب الكهول والشبان في اسبابهِ وهي تغيرات التهابية في الطبلة والعظام السمعية من زكام في الانف والحلق أُهمل او عولج ولم يشفَ . والصمم او ضعف السمع اكثر بين الشيوخ منهُ بين الكهول والشبان لان الشيوخ يكونون قد تعرضوا للزكام مراراً اكثر من الكهول والشبان لطول عمرهم . والحق ان الشيخوخة لا تقاس بعدد السنين بل بعدد المرار التي يصاب فيها المرء بالزكام

والجزء الاوسط من الاذن اهم من الجزء الظاهر ومن الجزء الباطن من حيث الصمم لان ثلاثة ارباع الذين يصابون بهِ تكون اسباب صممهم في الجزء الاوسط اي في الطبلة . واكثر هذه الاسباب يمكن منعها لانها لا تبتدئ في الاذن نفسها بل في الانف والحلق فان بوق استاكيوس المتصل بالطبلة متصل ايضاً بالحلق فما دام الحلق سليماً فلا ضرر من هذا الاتصال ولكن حالما يصاب الحلق بآفة يتصل الاذى منهُ الى بوق استاكيوس المتصل بهِ . فالزكام على انواعهِ والتهاب اللوزتين والحصبة والقرمزية والدفثيريا — كل هذه الآفات التي تؤثر في الحلق يتصل تأثيرها منهُ الى بوق استاكيوس فتوقع الضرر في الاذن وهناك الالم الشديد فيشعر المصاب كأَنَّ مطرقة تضرب على باطن اذنهِ وسياخاً تحمل فيها و بعد قليل يخرج منها سائل اسمر فنقول انها فتحت او انشقت حتى اخرجت هذا السائل

وعليهِ فاكثر ادواء الاذن الوسطى يبتدئ في الحلق فاذا عولج الحلق العلاج الشافي امتنع اتصال الداء منهُ الى الاذن حتى قيل اعتنِ بحلقكِ فترى اذنك تعتني بنفسها

والزكام هو العلَّة الكبرى لامراض الاذن لا لانهُ افعل من غيرهِ بل لانهُ اكثر حدوثاً من غيرهِ فان الانسان يصاب بالحصبة مرةً ولكنهُ يصاب بالزكام مئة مرة فاذا اهمل زكامهُ حتى اتصل الى حلقهِ وصل منهُ بسهولة الى اذنهِ . واضرُّ من الزكام من هذا القبيل الحصبة والحمَّى القرمزية فانهما اذا اصابتا الصغار فقد تفضيان الى ثقب طبلة الاذن واذا خيف من ذلك فلا بد من استدعاء طبيب الاذن فينجي المصاب من الالم المبرح ومن الصمم الدائم

البحث في الدم (1)

يساعد الطب الشرعي و يدل على القرابة بين انواع الحيوان

سأبحث فيما يلي عن التفاعل بين البروتينات "Proteins" والمصل المرسّب واستقلال كل نوع منها بمصلهِ المرسب الخاص · واني ارى من المناسب قبل الخوض في هذا الموضوع جلاء الغامض وتوضيح ما ابهم ممَّا لهُ علاقة بطبيعة المرسب والقواعد التي بني عليها استعمالهُ ثم اتبع ذلك بنبذة في تاريخ استعمالهِ

عمل المصل المرسب او ما يسمونهُ عمل البروتينات الحيوي هو عمل دفاعي محض وقد كان للطب الشرعي اكبر عون على تذليل الصعوبات التي اعترضت لهُ دون تمييز الدم البشري من سواهُ · وكم افاد في تحليل المواد الغذائية لمعرفة اصناف اللحوم المحفوظة في العلب وغيرها من المجهزات الغذائية

وقد كان من المستحيل قبل اكتشاف وظيفة المصل المرسب الحكم بشكل قطعي بان هذا الدم او ذاك من دماء ذوات الثدي او الطيور هو الدم البشري · ولم يكن نصيب المساعي الكثيرة التي بُذلت لكشف الغش في لحوم الخيل التي تباع في الغالب مفرومة مع اصناف اخرى من اللحم الاَّ الإخفاق التام · وعلة ذلك ما اختص بهِ تركيب البروتينات الكيماوي من التعقيد وما اتصفت بهِ جزئياتها من كبر الجرم وهذا من شأنهِ ان يجعل الفروق — ان كان بينها اختلاف تمكن مشاهدتهُ — طفيفةً بحيث لا تصلح ان تكون قاعدة للحكم في مسألة قضائية تتوقف نتيجتها على ما بين الدم والبروتينات الاخرى من الفروق حكماً بريئاً من شوائب الضعف · ولم يكن هذا النقص بقاصرٍ على ما تقدم فان البحث المكرسكوبي لم يؤدِّ في كثير من الاحوال قصد فيها تمييز دم الحيوانات ذوات الثدي من دم الطيور الى نتائج مرضية · ذلك لان نجاح البحث في هذه الحالة يتوقف على شكل كريات الدم الحمراء وتركيبها · فسلامتها شرط في اول درجة من الاهمية لنجاح البحث وهذا الشرط ان توفر في دم حديث فان تقادم العهد على الدم وتكسر الكريات الحمراء وانحلالها بسبب ذلك يغير شكلها حتى لا تكاد تعرف

لكن باكتشاف وظيفة المصل المرسب بدت تباشير نهضة صالحة فاجريت التجارب

---

(1) من خطبة باللغة الانجليزية موضوعها The specificity of the serum-precipitin reaction of the proteins.

الحيوانية في الدم والبروتينات الاخرى التي كان يظن انها متجانسة كيماويًّا فظهر فساد هذا الظن بوجود اختلافات بينها لم يتجه اليها نظر المتقدمين اعني بها الاختلافات الحيوية . وسبب تسميتها بهذا الاسم كوننا لم نعرفها الآ عن طريق الكائن الحي ولانهُ الطريق الوحيد المؤدي الى معرفة هذه التباينات . فكأنما الحيوان بجملتهِ قد صار انبوبة اختبار بين يدي الانسان وصارت اجهزتهُ معملاً لهُ يجهز فيهِ المحاليل اللازمة للتمييز بين دماء الحيوانات المختلفة و بروتيناتها الاخرى

اريد ان اذكر شيئاً من تاريخ تدرُّج هذا المصل المرسب متوخياً جانب الاختصار المفيد فاقول

كان العالم البكتريولوجي كرَوس "Kraus" مشتغلاً بتحضير مصل مضاد للكوليرا والتيفوس فاكتشف عن غير قصد امراً صار فيما بعد الاساس الذي قام عليهِ استعمال المصل المرسب . ثم تلاهُ بوردت "Bordet" وتشستوفتش "Tchistowitch" واهلنهوت "Uhlenhuth" وفاسرمان "Wasserman" وشوتس "Schütse" ونوتال "Nuttall" وكثيرون غيرهم من العلماء وعالجوا هذا الموضوع بابحاثهم حتى نضج وكان من ثمارهِ هذه القواعد العامة التي يحصل التفاعل بمقتضاها . لكن الفضل كلهُ لابحاث العالم اوهلنهوت في اتخاذهِ كاشفاً لبروتينات الحيوانات المختلفة . اما الاكتشاف بالذات فمؤَدَّاهُ انك اذا حقنت اي حيوان—واصلحهُ لهذا الغرض الأرنب—عدة مرار بمحلول بروتيين اجنبي اي بروتيين حيوان آخر من نوع آخر فان مصل الارنب يتخذ صفة خاصة وهي انهُ اذا اضيف محلول مخفف منهُ الى محلول مثلهِ من البروتيين الذي استعمل للحقن تكوَّن راسب لكن لا يحصل مثل ذلك اذا اضيف مصل الارنب الى مصل حيوان غير الذي استعمل لحقنهِ . وعلة ذلك كما اثبتهُ العلم الصحيح ان دم الحيوان اذا تسرب اليهِ بروتيين اجنبي اندفعت اليهِ اجسام مضادة يهيئها لذلك جهازهُ البديع وهذه اذ تكون موجودة في المصل تفعل خارج الجسم ما تفعلهُ في الكائن الحي اي تتحد مع البروتيين الذي ادخل الى الدم بواسطة الحقن وترسبهُ . وهذه الخاصية سبب تسمية هاتيك الاجسام بالمرسبة

الآن وقد عرفنا هذه الحقائق العملية وهي كل ما تلزم معرفتهُ لاستعمال المصل المرسب بنجاح فقد تسنى ان نصف كل عينة سواء اكانت من لحم او دم بتعيين مصدرها الحيواني مادام البروتيين هو معظم ما يتركب اللحم والدم منهُ

هذا واذا أُريد تحضير محلول خاص لتمييز الدم البشري عن سواهُ من دماء الحيوانات الاخرى لذلك نحقن ارنباً عدة مرار بدم بشري ثم نستخلص مصل الارنب فنراهُ يشتمل على المرسب الذي لا يتفاعل الاّ مع الدم البشري . ثم انهُ لوحظ وكانت الملاحظة لبعض اسباب مفيدة جداً انهُ يمكن الاستعاضة من الدم بمصل الدم و يمكن تعليل ذلك من وجه عملي اذا عرفنا ان الهموجلوبين وهو اكثر مركبات الدم جلاءً ووضوحاً لايد لهُ في احداث الراسب وان بروتينات المصل وحدها هي التي تصنع المرسب واذا استعملنا الدم في حالتهِ الطبيعية فان بروتينات المصل وحدها هي التي تصنع المرسب في هذه الحالة ايضاً

ولما كنا في المثل المتقدم قد استخدمنا الدم البشري او مصلهُ لحقن الارنب فانا نسمي مصلهُ المنتج المصل المرسِّب البشري . ثم اني لتوضيح ما ذكر اصور لكم ما يحدث لو استحضرنا ستة انابيب تحتوي كل منها على محلول مخفف بنسبة ١ : ٢٠٠ من دم الانسان او البقر او الخيل او الجمال او الكلاب او من محلول من دم الخنازير ثم اضفنا الى محتويات كل من هذه الانابيب نقطاً قليلة من المصل المرسب البشري فانهُ بعد مضي بضع ثوانٍ وهو الوقت اللازم لاحداث التفاعل تظهر كدورة خفيفة في الانبوب المشتمل على دم الانسان تزداد وضوحاً مع الوقت حتى يصبح السائل معكراً بعد عدة دقائق ثم ينفصل راسب ابيض هلامي و يترك فوقهُ سائلاً رائقاً اما الانابيب الاخرى فانها تبقى كما كانت قبل اضافة المصل المرسب البشري . ومن الجلي انهُ اذا قُدِّمت لي هذه الانابيب وطلب مني فرز الانبوب المشتمل على الدم البشري كان من اسهل الامور عمل ذلك بواسطة المصل المرسب البشري

و يمكننا باسلوب مشابه تحضير مصل مرسب يرسب دم الحصان او البقر او الجمل او الخنزير او الكلب او الطير ولا يرسب دم حيوان سواهُ وذلك بحقن الارنب بدم الحيوان او الطير المراد تحضير مصل يرسبهُ

تفاعلات تدل على وجود القرابة

قد يغرى قارئ مما سبق بيانهُ باستنتاج هذه النتيجة وهي ان استقلال كل صنف من اصناف الحيوان او الطير بمصل مرسب هو استقلال مطلق وبمعنى آخر ان المصل المرسب المحضر بواسطة دم مخصوص لا يتفاعل مطلقاً الاّ مع ذلك الدم . ولهُ الحق في ان يظن ذلك الظن ما دام لا يخرج في قياسهِ عن النظر الى المثل المتقدم . الاّ ان وجه الخطإ هو في كونهِ نسي ان هذه الانابيب حُضِّرت خصيصاً لغرض مخصوص اما الحقيقة التي كشفتها التجربة فشذوذ في غاية من غرابتهِ لم يبقَ بعدهُ حجة لمعتقد في ان يبقى على اعتقادهِ

باستقلال كل صنف برسبهِ المصلي . فاننا بينما نرى المرسب الخيلي المحضر بحقن الارانب بدم الخيل لا يرسب دم البقر ولا الخنازير ولا الجمال فانهُ يرسب على درجات من التفاوت في كمية الراسب دم الحمير وحمير الوحش "Zebra" ودم البغال . الاَّ ان الراسب في هذه الحالات كلها اقل من الراسب الناتج من اضافة المرسب الخيلي الى دم الحصان . وكذا يرسب المصل المرسب البقري دم الجاموس . واغرب من ذلك انهُ يرسب ايضاً دم الغنم والماعز وان يكن الراسب في هذه الحالة اخف اثراً وهاك جدولاً رتبتهُ منذ بضع سنوات بعد بحثٍ كاني قصدت بهِ المقارنة بين اصناف الحيوان فحصلت على الارقام المبينة معتبراً الحد الاقصى لكمية الراسب ١٠٠ وهو الراسب المحصل من اضافة المصل المرسب لحيوان مخصوص الى دم ذلك الحيوان : —

الحيوان المحضر منهُ المصل	+ المرسب البقري	+ الراسب الغنمي
البقر	١٠٠	٣٠
الجاموس	٧٠	٣٠
الماعز	٣٠	٧٠
الغنم	٣٠	١٠٠

ويمكن استنتاج نتيجة مثل هذه باجراء تجارب مشابهة في الطير . ولقد شوهد ان المرسب المحضر بواسطة دم الدجاج يرسب ايضاً دم الحمام والاوز الاَّ ان كمية الراسب اقل كثيراً

في هذه الامثلة ما يكفي للدلالة على ان المصل المرسب لحيوان ما يرسب غير دمهِ دم حيوانات شبيهة بهِ . ومن الطبيعي ان يجري التفاعل في وضوحهِ او خفائهِ على نسبة هذه القرابة . وبناء على ذلك فقد تسنى لنا ان نرى في انبوب ما هي الاحياء التي تمت بصلة النسب بعضها الى بعض وان نرى درجة هذه القرابة مرسومة بالارقام وهذا امر ينظر اليهِ العالم في علم الحيوان بعين الاعتبار . ولكم اضطرَّ ان يعدل رأيهُ في قرابة بعض الحيوانات الى بعضها متبعاً نتيجة جديدة كشفها لهُ البحث في الدم . ومن امثلة ذلك ما وجدهُ اهلنهوت وفيدانز "Weidans" وترومسدورف "Trommsdorff" فخالفوا بذلك رأي المتقدمين القائل بالقرابة بين فأر البيت والجرذ فان هؤلاء العلماء وجدوا ان مصل الفأر المرسب يرسب دم الفأر وذلك طبيعي ولا يغير شيئاً في شكل دم الجرذ فاستدلوا بذلك على مسافة الخلف بينهما . وهذا يفسر ما علم من قبل من مقاومة الجرذ لسرطان فيران البيت .

لكن وجود هذه القرابة هو بالتأكيد عقبة في سبيل الابحاث الخاصة بالقضاء الشرعي · ومما يزيد الصعوبة كون كمية الدم التي تقع في حيازة السلطة كمية محدودة لا تسمح باجراء تجارب كمية لتعيين كمية الرواسب · اذ انها السبيل الوحيد للتمييز مثلاً بين دم الحصان ودم الحمار وبين دم البقر ودم الجاموس او دم الغنم ودم الماعز ونحوها من الحيوانات المتشابهة تشابهاً عظيماً لكن تمييز دم الغنم من دم البقر او الجاموس لا يصادف مثل هذه الصعوبة اذ يكفي في معظم الاحيان لتذليل معظم الصعوبات اجراء تجربة او اثنتين اضافيتين وذلك لان القرابة بين الغنم والبقر او الجاموس ليست مثلها فيما قدمنا بل ابعد

لكن موضوع القرابة الذي يمسنا اكثر من سواه ونهتم لهُ لذلك اعظم اهتمام هو قرابة جنس الانسان للقرد

يقسم علم الحيوان وتشريح المقابلة القرود الى قسمين اصليين : قرود العالم القديم اي اسيا وافريقية وقرود العالم الجديد · فقرود العالم القديم تشبه الانسان في اتجاه فتحات انوفها الى اسفل مع تقارب هذه الفتحات وفي عدد اسنانها اذ ان عددها بلا استثناء هو ٣٢ كما في الانسان و ينقسم هذا الجنس الكبير الى طائفتين : القرود البشرية(١) والقرود الكلبية(٢)

اما القرود البشرية فتشتمل على الاورانج اوتانج والشمبانزي والغورلا · والجبون مع انهُ اصغر جرماً واطول اذرعاً في مذهب بعض الثقات هو من جنسها بالرغم عما فيه من صفات القرود الكلبية التي يعتبر منها اصناف القرود التي نراها كثيراً في شوارع القاهرة ؛ ومن اصنافها البابون (Baboon) والماندريل Mandrill والماكاكوس Macacus

من ينكر على هذه القرود وخصوصاً البشرية منها شبهها من بعض الوجوه بالانسان ذلك الشبه الذي ادى بهكسلي الى القول ان الفرق بين بناء اي جزء من جسم الانسان ونظيره من جسم القرود البشرية اقل من الفرق بين اعضاء هذه الاخيرة والقرود(٣) الدنيا بانياً قولهُ على مباحثهِ التشريحية

وكان اذ كشف المصل المرسب ان تساءل الناس قائلين هل يرسب المصل المرسب البشري دم القرود او لا يرسبهُ وكان الجواب الوحيد المنتظر كما نطقت بهِ ابحاث اوهلنهوت

(١) Anthropoid-Apes

(٢) Dog-Apes

(٣) مقتبسة من كتاب « نشوء الانسان » لارنست هيكل

ونوتال وجرونبوم Grunbaum و بروك Bruch وغيرهم انهُ يرسبها . و بذا تم الاتفاق بين التشريح والبحث بواسطة المصل المرسب على انهُ يتألف من الانسان واصناف القرود طائفة واحدة كما يتضح من المشاهدات الآتية . فان المصل المرسب البشري يرسب دم الاورانغ اوتانغ والشمبانزي والغورلا كما يرسب دم الانسان نفسهِ من حيث كمية الراسب وان كمية الراسب التي يرسبها مع دم الجبون تعين مركزهُ بالنسبة الى الانسان كما اقرَّها التشريح من قبل . ومثل هذا يقال عن نتيجة تفاعل ذلك المصل مع دم القرود الكلبية اي ان الراسب في هذه الحالة اقل في الكمية لكنهُ جلي واضح و يؤيد ذلك كلهُ تجارب بروك اذ اثبت ان صلة الدم بين الانسان والاورانغ اوتانغ اقوى منها بين هذا و بعض اصناف القرود الكلبية . و يتلو الصنف الاخير بعداً عن الانسان قرود العالم الجديد المفرطحة الانوف . والراسب الذي يتكون من دمها مع المصل المرسب البشري قليل الكثافة بالنسبة الى ذلك بل قد لا يزيد ما يحدث عن ان يكون دليلاً حسيًّا فقط على حدوث التفاعل . و يأتي بعد القرود الاميركية صنف اللامور Lemurs التي يقول عنها نوتال ان دمها لم يتفاعل مطلقاً مع المرسب البشري لكن اولنهوت يدعي انهُ امكنهُ ان يرى اثر تفاعل . وانا اوَيدهُ في دعواه فقد تيسر لي منذ بضع سنين لما انتاب الوباء المهلك حديقة الحيوانات ان اجري التجارب في دم عدة من القرود وامكنني باضافة مرسب بشري قوي الى دم اللامور ان احدث فيهِ تعكراً

وكانت النتيجة من معرفة هذه الحقائق كلها ان انتفى كل شك حام حول الرأي القائل بوجود القرابة بين الانسان والقرود . وكون المرسب البشري لا يؤثر في اي دم سوى دم القرود البشرية لا يُعلَّل الاَّ بتعليل واحد هو ان صلة القرابة بينهما تعادل تقريباً قرابة الحصان للحمار والغنم للماعز والكلب للثعلب . ثم اني سمعت خبراً عن اهل جاوا الوطنيين ربما بلغ احدكم وهو انهم ينظرون الى الاورانغ اوتانغ نظرهم الى صنف متوحش من الناس وهم يعللون صمتهُ عن الكلام بانهُ حيلة يقصد بها ان لا يعرفوا حقيقة امرهِ هرباً من الشغل

وعندي انهُ لو لم تكن اجناس هذه القرود البشرية نادرة وصعبة المنال لكانت الصعوبة التي يجدها الطب الشرعي من وجود هذه القرابة بينها و بين الانسان مما لا يمكن تذليلهُ

نامشد سيفين

صيدلي في الزقازيق

برلمان عامّ

وقاعدة انتخاب اعضائهِ

يرى بعض الكتاب ان خير الوسائل لفض الخصومات بين الدول ومنع الحروب في الاستقبال انشاء برلمان عامّ يجمع بين جدرانهِ نوّاباً منتخبين من جميع امم الارض المتمدنة كثيراً كامم اوربا او قليلاً كامم اسيا وبعض افريقية . على ان هؤُلاء الكتّاب متفقون في مبدإِ هذه الفكرة مختلفون في طريقة انفاذها . ومعظم الاختلاف على اساس انتخاب النواب وهل يكون هذا الاساس عدد السكان ام سعة التجارة ام مساحة الارض ام غير ذلك . وقد بسط هذا المذهب كاتب اميركي في المجلة العلمية الشهرية . قال تحت عنوان « برلمان عامّ » ما خلاصتهُ :

يرجح ان يقام في المستقبل برلمان عامّ لحفظ السلام العام وان لم يمكن الجزم الآن في تعيين وقتهِ . وقبل ان تتفق امم الارض على اخراج هذه الفكرة من القوة الى الفعل لا غنى لها عن الاتفاق على قاعدة عادلة تتخذ اساساً للنيابة في ذلك البرلمان . ففي مجلس نواب الولايات المتحدة الاميركية يجلس ١٦ نائباً عن ولاية تكساس مثلاً و ٣٢ عن ولاية بنسلفانيا ونائب واحد عن ولاية اريزونا ذلك لان واضعي دستور البلاد اتفقوا على جعل عدد السكان اساساً للنيابة وجميع سكان الولايات المتحدة يسلّمون بهذا المبدإِ ولولا ذلك لقامت بينهم الشحناء وانتداعى الاتحاد الاميركي من أساسهِ

وهذه القاعدة تلائم الولايات المتحدة كلّ الملاءمة لان سكان الولايات المختلفة متشابهون على التمدبل في درجة فهمهم ويسرهم ووطنيتهم . ولكن امم الارض مختلفون كلّ الاختلاف في درجة عمران اوطانهم ومقدار اشتراكهم في اعمال الحضارة . وعليهِ اذا أُريد انشاء برلمان عامّ فان كلّ امة من الامم المختلفة تحاول الانتفاع بما تفوق بهِ غيرها في المقدار سواء كان ذلك عدد السكان او مساحة الارض وتسعى الى جعلهِ عاملاً جوهريًّا في النيابة . ولا جدال ان اختلاف الرأي في القاعدة التي تبنى عليها النيابة سيكون العقبة الكبيرة الاولى في تأليف برلمان عامّ يسعى سعي جدّ الى تنظيم العالم سياسيًّا . فالامم الصغرى تقول بوجوب التساوي بين الامم المستقلة في النيابة . ولكن الاساس العادل الوحيد للنيابة هو مراعاة المساواة في درجة العمران لا في عدد السكان وسعة البلاد . ولو تشابهت الامم المختلفة في درجة عمرانها لكان

عدد السكان ابسط القواعد للنيابة واعدلها ولكن ام الارض ليست متساوية في درجة عمرانها فلا يصحّ والحالة هذه جعل عدد السكان اساساً للنيابة في البرلمان العام . فاذا أقترح جعلهُ كذلك قبلت الصين مثلاً هذا الاقتراح ورفضتهُ هولندا . واذا اقترح جعل التجارة الخارجية قاعدة للانتخاب قالت انكلترا وهولندا والمانيا « نعم » وايطاليا والنمسا والأمم الصغرى « لا » . واذا اقترح جعل مساحة البلاد قاعدة لهُ وافقت روسيا والبرازيل على ذلك ولم توافق سويسرا والبلجيك . واذا اقترح ضمّ مستعمرات كل امة اليها في عد اصوات الانتخاب قالت انكلترا وهولندا « نعم » وقالت اسوج « لا »

ولو سلمنا جدلاً بان كلّ امة من الامم الممثّلة في البرلمان تبدي رغبة صادقة في الاعتراف بمزايا الامم الاخرى لما اجدى ذلك كلهُ نفعاً ولاتحلّ البرلمان بالفوضى والنزاع ما لم تتفق الامم الممثلة فيه على قاعدة ثابتة خالية من الصبغة الشخصية ومتضمنة لمبادىء الانصاف التي تسلم بها كلّ امة من تلك الامم . والذي اراهُ ان تقاس عظمة كل امة بمقياس اشتراكها في اعمال العالم اي ان تحسب عظمتها على نسبة الاعمال التي تعملها في العالم . والولايات المتحدة تسلّم بهذا المقياس وهي تثق بالاتحاد ثقة تامة مبنيّة على الاختبار . والعناصر التي تؤلف عظمتها الوطنية كبيرة في مقدارها متلائمة في وجهتها فكلّ قاعدة عادلة تنيلها القسط الذي تستحقهُ من مجموع اقساط الامم الاخرى

والى القارىء ثلاثة جداول توضح ما نحن بصدده . فالاول والثاني روعيت فيهما جميع العوامل التي تجعل الامم عظيمة وقائمة بنصيبها من الاعمال المختلفة . والثالث يبيّن خطأ الاعتماد على مزية مفردة واتخاذ تلك المزية اساساً للنيابة في البرلمان العام

وقبل الاتيان على هذه الجداول اقول ان في الولايات المتحدة وحدها جمعيات سلمية كثيرة لا همّ لها الاّ العمل على ترويج السلام العام بانشاء حكومة عامة . ومن هذه الجمعيات جمعية كارنجي وجمعية « اساس سلام العالم » و « جمعية السلم الاكراهي » و « جمعية السلام الاميركية » و « جمعية السلام المختلطة » وجمعيات اخرى كثيرة . ولكل من هذه الجمعيات بيانات خاصة بها ولكنني اقترح عليها ان تضع من البيانات السلمية ما استطاعت ولو بلغ عددها الالوف ثم تلخصها وتبوبها وتعرضها على مؤتمر لاهاي القادم . فان عملاً مثل هذا يكون عظيم الفائدة والعائدة

اما الجداول فهي :

الجدول الاول

رتبت فيهِ الامم المختلفة الاولى فالاولى من حيث مجموع المزايا كلها وعلى فرض ان عدد الاعضاء في البرلمان العام ٥٠٠

البلد	عدد النواب	البلد	عدد النواب	البلد	عدد النواب
السلطنة الانكليزية	٩٢	اسوج	٥	اورجواي	١٠
الولايات المتحدة	٦٩	المكسيك	٥	سيام	١
المانيا	٥١	تركيا	٥	اليونان	١
روسيا	٤٩	الدنمرك	٣	السرب	١
فرنسا	٤١	البرتوغال	٣	اكوادور	١
هولندا	٢٢	شيلي	٣	جواتيمالا	١
النمسا والمجر	٢١	نروج	٢	براجواي	١
الصين	٢٠	رومانيا	٢	سلفادور	١
ايطاليا	١٨	كوبا	٢	بناما	١
اليابان	١٥	كولمبيا	٢	هايتي	١
البلجيك	١٤	ايران	٢	سان دومنجو	١
البرازيل	١٢	بيرو	١	كوستاريكا	١
أسبانيا	٩	البلغار	١	هوندوراس	١
الارجنتين	٨	بوليفيا	١	نيكارجوى	١
سويسرا	٦	فنزويلا	١	الجبل الاسود	١

الجدول الثاني

اما الجدول الثاني فكالاول في مراتب الامم المختلفة ولكن قسمت الامم فيهِ الى فئات اعطيت من عدد النواب حسب متوسط مجموع نوابها فكان في الاولى خمس دول وهي انكلترا

الى فرنسا ولكل منها ٦٠ نائباً · وفي الثانية سبع وهي هولندا الى البرازيل ولكل منها ١٧ نائباً · وفي الثالثة ست وهي اسبانيا الى تركيا ولكل منها ٦ نواب · وفي الرابعة ثمان وهي الدنمرك الى ايران ولكل منها نائبان ·وفي الخامسة تسع عشرة وهي بيرو الى الجبل الاسود ولكل منها نائب

اسم البلد	عدد النواب كما في جدول (١)	عددهم بعد التقسيم الى فئات
السلطنة الانكليزية	٩٢	٦٠
الولايات المتحدة	٦٩	٦٠
المانيـا	٥١	٦٠
روسيا	٤٩	٦٠
فرنسا	٤١	٦٠
هولندا	٢٢	١٧
النمسا والمجر	٢١	١٧
الصين	٢٠	١٧
ايطاليا	١٨	١٧
اليابان	١٥	١٧
البلجيك	١٤	١٧
البرازيل	١٢	١٧
اسبانيا	٠٩	٠٦
الارجنتين	٠٨	٠٦
سويسرا	٠٦	٠٦
اسوج	٠٥	٠٦
المكسيك	٠٥	٠٦
تركيا	٠٥	٠٦

اسم البلد	عدد النواب كما في جدول (١)	عددهم بعد التقسيم الى فئات
الدنمرك	٠٣	٠٢
البرتوغال	٠٣	٠٢
شيلي	٠٣	٠٢
نروج	٠٢	٠٢
رومانيا	٠٢	٠٢
كوبا	٠٢	٠٢
كولمبيا	٠٢	٠٢
ايران	٠٢	٠٢
بيرو	٠١	٠١
البلغار	٠١	٠١
بوليفيا	٠١	٠١
فنزويلا	٠١	٠١
اورجواي	٠١	٠١
سيام	٠١	٠١
اليونان	٠١	٠١
السرب	٠١	٠١
اكوادور	٠١	٠١
جواتيمالا	٠١	٠١
براجواي	٠١	٠١
سلفادور	٠١	٠١
بناما وهايتي	٠١	٠١
سان دومنجو	٠١	٠١
كوستاريكا	٠١	٠١
هوندوراس	٠١	٠١
نيكارجوي	٠١	٠١
الجبل الاسود	٠١	٠١

الجدول الثالث

اسم البلد	الاساس مساحة الارض التي يمكن الانتفاع بها	الاساس مساحة الارض المنتفع بها	الاساس عدد السكان	الاساس عمل السكان	الاساس التجارة الخارجية
	الدرجة	الدرجة	الدرجة	الدرجة	الدرجة
انكلترا وارلندا	٢٣	١٥	٠٧	٠٤	٠١
الولايات المتحدة	٠٢	٠١	٠٣	٠١	٠٣
المانيـا	١٥	٠٧	٠٤	٠٣	٠٢
روسيا	٠٣	٠٣	٠٢	٠٢	٠٧
فرنسا	١٦	٠٨	٠٨	٠٦	٠٤
هولندا	٤١	٣٧	١٩	١٣	٠٥
النمسا والمجر	١٤	٠٥	٠٦	٠٥	٠٨
الصين	٠٤	١٠	٠١	١٠	١٦
ايطاليا	٢٥	١٦	٠٩	٠٨	٠٩
اليابان	١٩	١٢	٠٥	٠٧	١٣
البلجيك	٤٢	٣٩	١٥	١٤	٠٦
البرازيل	٠١	٠٢	١١	١١	١٢
اسبانيا	١٨	١١	١٢	٠٩	١٥
الارجنتين	٠٥	٠٦	١٦	١٧	١٠
سويسرا	٣٩	٣٤	٢٥	١٦	١١
اسوج	٢٠	١٤	٢٠	١٢	١٤
المكسيك	٠٦	٠٤	١٣	١٥	١٨
تركيا	٠٧	٠٩	١٠	١٨	٢١
الدنمرك	٤٠	٣٥	٣٠	١٩	١٧
البرتوغال	٣٣	٣٦	٣١	٢٦	٢٤
شيلي	١٣	٢٢	٢٦	٢٤	٢٠

تابع الجدول الثالث

	الدرجة	الدرجة	الدرجة	الدرجة	الدرجة
نروج	٢٢	١٧	٣١	٢١	٢٢
رومانيا	٢٧	٢٣	١٧	٢٢	٢٣
كوبا	٣١	٢٤	٣٢	٢٩	١٩
كولمبيا	١١	١٣	٢٣	٢٥	٣٥
ايران	٠٩	١٨	١٤	٣٥	٢٦
بيرو	٠٨	٢١	٢٢	٢٦	٤٢
البلغار	٣٢	٢٥	٢٤	٢٣	٢٧
بوليفيا	١٠	١٩	٣٥	٣٠	٣٠
فنزويلا	١٢	٢٠	٢٧	٣١	٣٢
اورجواي	٢٦	٢٧	٣٨	٣٦	٢٥
سيام	١٧	٢٨	١٨	٣٧	٢٨
اليونان	٣٥	٢٩	٢٩	٢٧	٢٩
السرب	٣٦	٣٢	٢٨	٢٨	٣١
اكوادور	٢٤	٣٠	٣٦	٣٣	٣٣
جواتيمالا	٢٩	٣٨	٣٤	٣٢	٤١
براجواي	٢١	٣٣	٣٩	٤٠	٤٠
سلفادور	٤٤	٤٥	٣٧	٣٤	٣٦
بناما	٣٤	٣١	٤٢	٣٨	٣٨
هايتي	٤٣	٤٢	٣٣	٣٩	٣٩
سان دومنجو	٣٨	٣٦	٤٠	٤٢	٣٧
كوستاريكا	٣٧	٤٣	٤٤	٤٣	٣٤
هوندوراس	٣٠	٤٠	٤٣	٤١	٤٣
نيكارجوى	٢٨	٤١	٤٢	٤٤	٤٤
الجبل الاسود	٤٥	٤٤	٤٥	٤٥	٤٥

وقد حسبت في هذا الجدول بلدان الامم الداخلة ضمن حدودها الخاصة واستثنيت الاملاك الخارجة عن تلك الحدود كالمستعمرات . ومن هذه البلدان نحو ٣٥ في المئة من مجموع مساحة الارض التي يمكن الانتفاع بها . ونحو ٥٣ في المئة منها منتفع بهِ فعلاً . وسكان هذه البلدان نحو ٦٢ في المئة من مجموع سكان الارض ويعملون نحو ٩٢ في المئة من مجموع الاعمال العمرانية ولهم نحو ٨١ في المئة من مجموع التجارة الاجنبية

و يؤْخذ من هذا الجدول انهُ اذا روعيت مساحة الارض التي يمكن الانتفاع منها فالبرازيل الاولى . واذا روعيت مساحة الارض التي ينتفع بها الآن فعلاً فالولايات المتحدة الاولى . واذا روعي مقدار التجارة الخارجية فانكلترا الاولى . وغنيٌّ عن البيان ان الاعتماد على واحد فقط من هذه الامور ينافي الغرض الذي يراد البرلمان العام لهُ

والارض التي يمكن الانتفاع بها تشمل جميع اليابسة ما عدا الاصقاع المتجمدة والصحراء القاحلة . والارض المنتفع بها فعلاً تشمل جميع البلاد الآهلة بالسكان والمتمتعة بالقانون والنظام . وقد جعلت معرفة القراءة والكتابة في هذا الحساب مقياس الاشتراك في العمران . فعارفو القراءة والكتابة هم العاملون فيهِ والاميون هم العاطلون . انتهى

يظهر لنا ان مؤْتمراً مثل هذا لا يحتمل ان ينصف شعوب اسيا وافريقية الأَّ اذا تجرَّد اعضاؤُهُ عن كل المطامع والاغراض وقبلت دولهم الوقوف عند حكمهم والعمل بهِ . واذا كان ذلك ميسوراً فلا داعي لأَن يكون فيهِ ستون عضواً لدولة وعضو واحد لغيرها لان الستين اذا كانوا منصفين ودولتهم تعمل برأْيهم فعضو واحد منهم يقوم مقامهم . ولا ندري كيف يتحقق الانصاف مع هذا الفرق الكبير في عدد الاعضاء فان الاختلاف بين دولتين بمثابة الاختلاف بين شخصين . والدولة الكبيرة لا يقوى حقها بزيادة عدد سكانها او بزيادة عمرانهم او مساحة ارضهم او مقدار عملهم . والدولة الصغيرة لا يضعف حقها بقلة عدد سكانها او قلة عمرانهم ومساحة ارضهم او مقدار عملهم كما ان حق الغني لا يقوى على حق الفقير لمجرد غناهُ . وعليهِ فالانصاف يقضي ان يكون عدد الاعضاء الممثلين لهذه الدول كلها متماثلاً واقلهُ افضلهُ لان اتفاق العدد القليل اقرب من اتفاق العدد الكثير فلو جعل لكل دولة ثلاثة اعضاء او خمسة فقط لكفى

الطعام والحياة

لو صدق ما يقول بعض المشتغلين بالارقام عن كية الطعام التي لا غنى للفرد عنها في يومهِ وعن نوع ذلك الطعام لوجب ان يأكل الفرد كذا درهماً من الخبز وكذا من اللبن وكذا من اللحم وكذا من البقول وكذا من الحبوب وكذا من الاثمار الخ والأساءت صحتهُ وانصرم حبل اجلهِ قبل الاوان . ولكن الاختبار لا يؤيد ذلك . فالفلاح البلغاري او اليوناني على زهدها احسن صحة واطول عمراً من البار يسي الغني وتأنقهُ مشهور . والفلاح المصري على قناعتهِ وشظف عيشهِ يعمّر كاكثر الاغنياء ترفاً في اوربا . وان كان متوسط الاعمار في مصر اقلّ منهُ في اوربا فهذهِ القلّة ناشئة عن كثرة المواليد وما يترتب عليها من كثرة وفيات الاطفال وعدم مراعاة التدابير الصحية المراعاة الواجبة لا عن الاكتفاء بالطعام القليل الغذاء

ومن الغريب ان جمهور الاوربيين يصدقون ارقام الاحصائيين فتراهم لذلك لاهمَّ لهم الأ تطبيق طعامهم عليها في مقدارهِ ونوعهِ . فبالامس كنّا نقرأ مقالة لعالم اوربي يصف فيها معيشة اهل اليونان فكان اعجب ما استدعى عجبهُ في تلك المعيشة اقتصار الفلاّح اليوناني في ادامهِ على البقول حتى لا يأكل اللحم الأ مرة او مرتين على مدار السنة . قال ما معناهُ ان الفلاح يأكل الفصوليا الخضراء مطبوخة بالزيت مع قليل من الخبز ولا يأكل شيئاً غير ذلك. وتراهُ مع تقتيرهِ هذا واقتصارهِ على لون واحد جيّد الصحة قوي البنية رضيّ الخلق . وقد عجب كيف ان رجلاً هذا مقدار طعامهِ وهذا نوعهُ يعيش ابداً فضلاً عن ان يعمّر

ولا ادلّ على اعتقاد القوم بصحة نظرية الاحصائيين عن الطعام اللازم وغير اللازم من مقالة في مجلة السينتفك اميركان بقلم مدير الصحة في مدينة نيو يورك بحث فيها عمّا يلزم عائلة اميركية مؤلفة من خمسة اشخاص من الطعام في هذا الزمان الصعب بازدياد النفقة ازدياداً لا يناسب ازدياد الاجرة . وقد حاول الكاتب معالجة هذه الحالة بتخفيض قائمة الطعام عما تكون في الازمان المعتادة بشرط ان لا يفضي ذلك الى خلل في الصحة العامة فقال :

ان الارقام المبينة يعول عليها لان مصلحة الصحة في مدينة نيو يورك وضعتها بعد بحث دقيق . والمواد المذكورة هي اقلّ ما تستطيع عائلة ذات خمسة اشخاص ان تعيش بهِ الى ان تعود الامور الى مجراها العادي وتهبط اثمان الحاجيات بعد ارتفاعها . ولكننا نرجح انها لن تهبط الى المستوى الذي كانت عليهِ قبل الحرب . ولسنا نقول بوجوب الجري على ميزانيتنا

هذه ولكن خير لكثير من العائلات ان يقابلوا ازمة مالية وهم يعرفون ذلك من ان لا يعرفوهُ . وخير لهم ان يعيشوا جهد امكانهم بضعة اسابيع على طعام وصفهُ الخبيرون من الاطباء واهل الاقتصاد من ان ينفقوا مالهم سدًى بلا حساب على الاطعمة المحفوظة في العلب وهي كثيرة النفقة قليلة الغذاء

والمواد المدرجة في الجدول الاول انما اختيرت بسبب قيمتها الغذائية وهي تحوي من الغذاء ما يكفي العائلة المشار اليها اسبوعاً كما تقدم القول :

	رطل	ريال	سنت
او ليومرجرين (زبدة صناعية)	١	٠	٢٨
سكّر	٨ $\frac{١}{٢}$	٠	١
رز	١	٠	٨
بازلاً ناشفة	١	٠	٩
فصوليا	١	٠	٩
دقيق ذرة	١	٠	٦
اوتميل	١	٠	٥
كوكو	٠ $\frac{١}{٤}$	٠	١٢
اجاص مقدد	١	٠	١٥
بصل	١	٠	٥
بطاطس	٦	٠	٢٤
جبن	١	٠	٣٣
لحم	١٤	٢	٨٠
خبز	٢٤	١	١٢
لبن	٢٨	١	٢٦
كرنب	راس متوسط		٨
بيض	٢٤ بيضة	١	٦٠
المجموع		٧	٧٦

واذا ارادت العائلة شراء الزبدة الطبيعية بدل الصناعية وجب ان تدفع ١٧ سنتاً زيادة واذ ذاك يصبح المجموع الكلي ٨ ر يالات و ٣ سنتات

وهناك جدولاً آخر بأثمان ما كانت عليهِ مواد الطعام في اواخر سنة ١٩١٥ وما صارت اليهِ في اواخر سنة ١٩١٦ وبمقدار الزيادة في المئة

الصنف	رطل	نوفمبر ١٩١٥ سنت	نوفمبر ١٩١٦ سنت	الزيادة في المئة
سمك	١	١٠	١٥	٥٠
زبدة	١	٣٣	٤٣	٣٠
جبن	١	٢٠	٢٣	١٥
مكروني	١	٦	٨	٣٣
رز	١	٥	٦	٢٠
سكر	١	٦ ½	٨	٢١
فصوليا	١	٩	١٥	٦٧
بصل	١	٤	٥	٢٥
بطاطس	١	٢ ½	٥ ¼	١١٤
طماطم	١	١٠	١٠	٠٠
تفاح	١	٢ ½	٥	١٠٠
زبيب	١	١٨	٢٣	٢٨
بن	١	٢٠	١٠	٠٠
شاي	١	٢٨	٢٨	٠٠
لحم بقر	١	٢٢	٢٢	٠٠
لبن	١	٩	١٠	١١
عسل	١	١٠	١٠	٠٠
بيض	دستة	٣١	٤٩	٥٨
كرنب	الواحدة	١١	١٥	٣٦

فاقل الزيادة في اللبن وقدرها ١١ في المئة واكثرها في البطاطس وقدرها ١١٤ في المئة . اما المواد التي لم تزد اثمانها فهي الطماطم والبن والشاي والعسل ولحم البقر

ولما كان البيض غالياً فلا نشير باتخاذهِ طعاماً مكان اللحم الاَّ اذا هبط سعره'

واذا استعمل اللبن بدل البيض بلغ التوفير للنفس في اليوم نحو ستة مليمات

ثم تكلم الكاتب عن مواد الطعام الاخرى وما فيها من الغذاء فقال: ان جريش الحبوب كثير الغذاء . والجبن والحبوب المقددة كالبزلاً والفول رخيصة وفيها كثير من البروتيين الذي هو اهم عناصر اللحم . والزبدة الصناعية مغذية وارخص من الزبدة الطبيعية ولكن ولاية نيو يورك تحرّم الطبخ بها في المحلات العمومية . والرز رخيص جدًّا وكثير المادة النشوية فالواجب ان يكثر الفقراء والذين هم اعلى منهم درجة من اكلهِ كما يفعل اهل الصين من قديم الزمان . وغنيٌّ عن القول ان الخبز وخصوصاً خبز الدقيق الاسمر يجب ان يكون قوام طعام العامل لكثرة ما فيهِ من المواد الحيوية « الفيتامين » . وما يقال عن الخبز يقال عن السكر والبطاطس ايضاً . انتهى

ولنعد الى الموضوع الاصلي فنقول انهُ يؤْخذ من بيان هذا الكاتب ان عائلة اميركية متوسطة الحال عدد اعضائها خمسة اشخاص تنفق في الشهر على طعامها نحو ٦٧٣ غرشاً . وهذا غريب في بلد مثل اميركا معروف بغلاء حاجياتهِ ولاسيما اذا اعتبرنا نوع الطعام وان فيهِ رطلين من اللحم يوميًّا . ويتضح وجه الغرابة اذا قيس مصروف هذه العائلة بعائلة مثلها في القاهرة فان هذه العائلات عندنا لا تستعمل في طعامها عادة الاوتميل ودقيق الذرة والكوكو ولا تشتري اللحم كلّ يوم ومع ذلك تنفق على طعامها قدر ما تنفق العائلات الاميركية التي من درجتها

هذا في العائلات المتوسطة الحال او ما هو دونها . اما الفقير عندنا فان نفقتهُ لا تكاد تذكر حتى لقد قدر بعضهم ان متوسط نفقة النفس في القطر المصري لا تزيد على ستة جنيهات في السنة والفلاح الفقير اقل وتراه' مع ذلك حسن الصحة رضي الخلق قنوعاً وقد يعمّر عمراً طويلاً مما يدلّ على ان الطعام وحده' ليس كلّ شيء وربما كان التأنق فيهِ سبباً للضرّ لا للنفع وان الانسان الذي يأكل ليعيش ولا يعيش ليأكل انما يعيش اذا لزم الاعتدال والقناعة في أكلهِ والاَّ كان في نهمهِ القضاء عليهِ وانصرام حبل اجلهِ قبل اوانهِ

مقياس الرجال

لتمييز الاكفاء من غير الاكفاء

كاتب هذه المقالة مهندس اميركي لهُ اليد الطولى في ترقية فنّ الهندسة العملية واتقانهِ وهو اول من علَّم بوجوب العمل بهِ على اساس علمي متين او ما سماهُ الاميركيون « الادارة العلمية » . وقد ارتأى منذ زمان بعيد ان الكفاءة في ادارة الاعمال المختلفة لا تنال ما لم يوكل العمل الى رجل كفء لهُ والاَّ فلا نفع من اختراع الآلات واتقانها والاقتصاد في وقودها وجلب احسن المواد الاصلية . فالمهمّ في المسئلة كلها اختيار الرجل الكفء . وقد المَّ في مقالتهِ بهذا الامر وبسط الوسائل التي يتمكن الناس بها من اختيار العمال للاعمال باقيسة محدودة يقاسون بها . قال :

كلُّ طعام خير من لا طعام . على انهُ حيث يمكن الاختيار فلا ارى لماذا لا نختار اكثر الاطعمة ملاءمة للصحة والجيب اي اصلحها للصحة وارخصها ثمناً . فان الفرق كبير بين التفاحة السليمة والتفاحة المارئة وكذلك بين التفاحة الجيدة الاصل والرديئته . والتفاحة الجيدة انما تمت لها جودتها بالانتخاب فان البستاني الماهر ينتقي البزرة التي يراها اصلح من غيرها وينبذ الباقي . وينتقي التربة التي يعلم انها اصلح ما يكون لزرع التفاح من حيث الاقليم وطبيعة التربة وبذلك يكون لافضل البذور افضل فرص النماء والزكاء . وزد على ذلك كلّهِ انهُ يحرث الارض ويسمّدها ويبيد حشراتها الضارة ويستحيي النافعة . واذا بدأت براعم التفاح تظهر نزع الضعيفة واستبقى القوية ثم اذا اخرجت الشجرة أُكلها فرز الاثمار الجيدة من الرديئة

ومثل هذا يفعل مربي الماشية وسائر الحيوانات التي تستخدم في اعمال الانسان فانهُ ينتقي الجيد من الخيل والكلاب والبقر والخيل . ومثلهُ يجب ان يفعل ايضاً ربّ الاعمال التي تقتضي عاملين اذكياء صُنَّع الايدي على احسن ما يكون من رضاء الخُلق والكفاءة العقلية اذا كان العمل عقليًّا او الكفاءة البدنية اذا كان بدنيًّا . فانهُ يبحث عن الاصل في الماضي وعن الهوية في الحاضر فيختار ما يشاء وينبذ ما يشاء

ولنعد الى مثَل التفاح فاقول : ان التفاح والكمثرى والسفرجل والفرولا والزعرور كلها من الفصيلة الوردية فهي كريمة الاصل قابلة للتربية بسرعة مدهشة . ولكن في

الارض ايضاً فصائل خسيسة الاصل لا تقبل تربية ولا ترقية · فلا يستطيع افضل المربّين ترقية وردة شائكة كالعليق او حشرة خبيثة كالبقة مثلاً · اما الفصائل التي تقبل الترقية فهي التي تغلبت فطرة النفع فيها على فطرة الضرر فيمكن في هذه الحالات تقوية فطرة النفع فيها وإضعاف فطرة الضرر بالانتخاب والعناية والتربية حتى تسود الاولى وتبيد الثانية · انظر الى مربي خيل السباق فانهُ ينزل مهراً اصيلاً الى الميدان ويراهن عليهِ اكثر مما يراهن على مهر حسن المنظر مجرَّب في الميادين ولكنهُ مجهول الاصل · وليست الخيل كلها جياداً كفصيلة الورد ولا كلّها كدشاً كفصيلة البق بل ان لكل فرس خواص كثيرة حسنة ورديئة فما حاز الكثير من الخواص الحسنة وعَدِم الكثير من الرديئة فهو اهل للقنية والتربية

وفي انتخاب الرجال للاعمال المختلفة يجب انتخاب الاصلح لها · وليس ذلك فقط بل ان يوضع المختار لعمل ما في اسمى درجة يصلح لها · فلا يكفي ان يختار رجل موسيقي مثل كاروزو مثلاً ليشغل مركزاً موسيقيًّا بل يجب ايضاً ان يمنع من الطواف على ابواب المنازل للتكدية بالعزف والغناء

ولننتقل الآن من الاجمال الى التخصيص فاقول :

لي في عملي الخاص اربعون مساعداً يساعدونني · فاذا عرض لي عمل جديد يستدعي عمّالاً جدداً اسأل هذا السؤال : هل يجب ان يُعمل هذا العمل بآلة او يعملهُ حيوان او انسان · وذلك لان عمل الآلات يفضل احياناً كثيرة على عمل الناس والحيوانات كما في مطاحن الريح ودواليب الماء والقاطرات البخارية وغيرها فاذا اردت عمل انسان او حيوان سألت هل يفضل الانسان هنا على الحيوان ام لا · فاذا كان الاول اخترت الانسان والاَّ فلا · مثال ذلك اذا اردتُ نقل حمل كبير بالسرعة الكافية في طريق عسر حيث لا وجود لسكك الحديد فضلت نقلهُ بالبغال على نقلهِ على ظهور الرجال · او اردت صيد الطيور فضلت الاستعانة بالكلب على الانسان · ولطالما خسر الانسان من المال والوقت من استخدام اخيهِ الانسان حيث الريح والماء والثيران والخيول اصلح من الناس · فقد جهل اسلافنا قيمة الاختيار بين ما هو ملائم وما ليس بملائم ولم يدركوها الاَّ منذ نحو خمسين سنة

لنبحث الآن في طريقة اختيار رجل او امرأة لمنصب في الحكومة الاميركية من بين سكان الولايات المتحدة وعددهم نحو مئة مليون · واول شرط امامنا هو ان يكون الرجل الذي

نطلبهُ اميركيّ الجنس او متجنساً بالجنسية الاميركية . والثاني ان يكون المطلوب لهذا المنصب شاباً فوق السادسة عشرة وتحت الستين . والذين هم في هذه السن قد لا يزيدون على ثلث الرجال من السكان فيخرج الثلثان منهم اي نحو ٣٢ مليوناً . وما يقال عن الرجال يقال عن النساء . ولا نعوّل في هذا الانتخاب على خاصّة معلومة فقد تكون السن اهم من الجنس والتابعية اهم من الجنسية والتربية اهمّ من الموهبة الطبيعية والخبرة اهمّ من الكفاءة . وقد وضعت بياناً للانتخاب يتضمن ٢٥ مقياساً وهي :

الآلة . الانسان او الحيوان . الجنس . الامة . السن . التابعية . التربية او الوراثة . الكفاءة العقلية . الكفاءة الخلقية . الكفاءة العملية . البيئة الاولى . التهذيب . التربية العامة . الاختبار . الكفاءة الطبيعية . التعليم الخاص او الفنيّ . المزاج . قابلية التعلم . الانعطاف . الشكل الغالب عقليًّا كان ام جسميًّا . القدّ من طول وقصر . الخشونة او النعومة . اللون من بياض وسمرة . البنية . الهيئة

والغالب في انتخابنا ان نقدم مقياس التعليم الخاصّ (الاخصاء) على غيرهِ ونغضي عن الوراثة والاخلاق والمهارة . وقليل منّا من يعلّق شأناً على المزاج والقابلية والشكل الغالب . وكثير مَن يعلق على بعض الاقيسة شأناً ليس لهُ كالانعطاف . وكثيرون ايضاً يهتمون بالقدّ دون اللون والبنية والهيئة او الشكل . على ان مربي الحيوانات والطيور الداجنة يقدرون كلاًّ من هذه الصفات حق قدرهِ ولا يتجاوزون عن واحدة منها

وليس من السهل في الناس معرفة المزاج والقابلية من مبدإ الامر او الجزم بتأثير القد واللون والبنية في كفاءة اصحابها لانهم اقلّ تجانساً من الحيوانات في اشكالهم واكثر اختلافاً . وقد اتفق لي احياناً كثيرة اني أُخذت بذكاء فتى او جمال فتاة كما يؤْخذ المسحور فعميت عن عدم كفاءتهما العملية او الاخلاقية . فقد اقتصدت من الوقت بالاعتماد على اول نظرة فخسرت لذلك الوف الريالات في آخر الامر

وكثيراً ما نجهل عظم الفرق في قوة الكسب والتحصيل بين الكفء وغير الكفء من الناس والجيد والرديء من الآلات . فان كان الميكانيكي الذي قيمتهُ ٣٠ في المئة يربحنا ربحاً سنويًّا صافياً قدرهُ ١٠٠ ريال فان الميكانيكي الذي قيمتهُ ١٠٠ في المئة قد يربحنا ٦٠٠٠ او ٧٠٠٠ ريال في السنة . ولو كنا نوقن ان الرجل الذي نختارهُ يستمر عاملاً على الدوام لما ترددنا في انفاق الف ريال بل خمسة آلاف على اختبارهِ قبل اختيارهِ ولو كان في ذلك ما فيهِ من الانتظار وخسارة الوقت

ولا ينكر ان اختبار الرجل المطلوب لعمل ما يقتضي وقتاً طويلاً والعمر ليس بطويل ولكن مما لا ريب فيهِ ايضاً انهُ يمكن فرز رجل واحد من مئة رُشحوا لوظيفة وقياسهُ بمعظم الاقيسة المتقدمة بسرعة وبلا نفقة

منذ مدة وجيزة احتجنا الى عامل فني في وظيفة صغيرة بسكة الحديد وفوض امر اختيارهِ اليَّ فنشرت الاعلان الآتي في بعض الصحف الكبرى :

« يطلب لاحدى شركات سكة الحديد شابٌ اميركيٌ متمرن حسن الاخلاق بمرتب ٦٠ ريالاً في الشهر . مدة التجربة ثلاثة اشهر والباب مفتوح بعدها للتثبيت والترقية . وكلُّ من يتقدم للوظيفة يجب ان يرسل ثلاث صور فتوغرافية الواحدة صورة وجههِ بجانبهِ والثانية صورتهُ مواجهة والثالثة صورة جسمهِ كلهِ »

فجاءتني طلبات كثيرة منها نحو ٣٠٠ مصحوبة بصور . ففرزتها كلها في نصف يوم فنبذت نحو ٢٩٠ منها لصفة ظاهرة غير مستحبة . فبعضهم دلت ملابسهم وملامحهم على انهم لا يصلحون لشيء . وبعضهم دلت هيئاتهم على صعوبة مراسهم وعنادهم وعدم قابليتهم للتعلم وفساد اخلاقهم . والبعض الآخر على ضعفهم الى غير ذلك

اما العشرة الباقون فعرضتهم للتمحيص الدقيق وكان المطلوب اثنين فاخذت اربعة وقد جاء اختبارنا اياهم مصدقاً لفراستنا فيهم . وانما اعتمدنا على رؤية الصور الفتوغرافية لما فيها من السرعة وتوفير الوقت والنفقة

***

انتهى كلام الكاتب ملخصاً . وقد نشر مع مقالتهِ صور تسعة رجال لم يذكر اسماءهم وكلٌّ منهم يمثل شكلاً معلوماً سمي في الاقيسة المتقدمة بالشكل الغالب . وكتب تحت كل شكل اوصافهُ التي تميزهُ عن الشكل الآخر فوضعنا لها ارقاماً للدلالة عليها في الشرح

(١) الشكل النظري — وهو هادئ مطمئن متسامح بطيء الانفعال كثير التفكير ذو رأي خمير لا يحول اكثر تطلعاً الى الماضي منهُ الى الحاضر بطيء حذر يجري في اعمالهِ على سنن واحد

(٢) الشكل النظري العملي — شديد الاعتداد بنفسهِ همام عامل عزوم مقنع محافظ ذلق اللسان واثق بنفسهِ وباهمية عملهِ جليُّ الفكر



اشكال الرجال

(٣) الشكل العملي النظري — حسن البيان ودود حبيب الى القلب راغب في مرضاة غيرهِ همام واسع الصدر محبٌّ الارتقاء والعمل كثير الحركة كثير البركة يميل الى العمل في العراء كثير الصبر

(٤) الشكل العمليّ المنفّذ — عزوم متشبث برأيهِ لا يسهل تحويلهُ عنهُ صلب العود قليل التدبر قاسٍ سريع الانفعال محبٌّ للعزلة يوثق بهِ ويعتمد عليهِ . فهو كالماسة التي لم تهذب ولم تصقل

(٥) الشكل العملي الحيّ — ذو طبع خشن غليظ صادق العزيمة لكنهُ ليس كثير التفكير معتدّ بنفسهِ ماضي الارادة ينفذها بالرغم من شدة المقاومة

(٦) الشكل النظري العملي — حسن البيان كثير المشروعات يحب التأثير في الغير يستطيع كتم آرائهِ الحقيقية بعارضتهِ متمسك برأيهِ شديد الملاحظة لما يجري حولهُ كثير الاعتداد بنفسهِ واضح الفكر

(٧) الشكل النظري العملي — مستقلُّ الرأي كثير الحركة والتيقّن . حسن النظر في الامور ذو عارضة في الكلام واضح الحجة واسع الصدر محبٌّ للارتقاء والخير العام عامل في المجتمع

(٨) الشكل النظري — ليّن الجانب محبوب متسامح لكنهُ ثابت الرأي بطيءُ مفكر لا ينفعل . يسمع و يرضخ للحق

(٩) الشكل النظري العملي — واضح الرأي ذو عارضة مخلص طالب للحق حيّ الضمير ضيق الذمة حسن الاقناع في كلامهِ

وقد اراد بالنظري او العقلي الذي يقتصر على حلّ المشاكل بالعقل و يقف دون التنفيذ واورد منهُ شكلين هما الاول والثامن . واراد بالنظري العملي الذي يجمع بين العلم والعمل ولكن الاول فيهِ متغلّب على الثاني واورد منهُ اربعة اشكال وهي الثاني والسادس والسابع والتاسع . واراد بالعملي النظري الذي يجمع بين العمل والعلم ولكن الاول فيهِ متغلب على الثاني كما في الشكل الثالث . واراد بالعملي الحيّ الذي قوامهُ العمل كما في الخامس . و بالعملي المنفذ من يستنبط سبل العمل و ينفذها بالاعمال

مصر منذ اربعمائة سنة

(٢)

في سنة ١٤٩٦ م حضر الى مصر سائح الماني يدعى ارنولد هارف طاف في كل البلاد العربية وزار مصر والنوبة والحبشة وكتب رحلاتهِ في اسفار مطولة اكثرها تاريخية . نزل الاسكندرية بزي تاجر وركب في النيل الى ان وصل الى طرانه وزار دير القديس انطونيوس ومار بولا ورجع الى مصر فالتقى فيها بمملوك الماني من بلدهِ تعرف بهِ وكان المملوك من المقربين لدى سلطان مصر الشاب الملقب بابي السعادات محمد بن قايتباي . فذكر المملوك امام سيدهِ خبر وصول سائح غريب من بلادهِ فرغب السلطان في ان يراهُ وامرهُ ان يأتي بهِ اليهِ . وكان هذا السلطان في الخامسة عشرة من عمرهِ حينما مات ابوهُ واستقر رأي الخليفة وامراء البلاد على توليتهِ حسب وصية ابيهِ الملك الاشرف قايتباي المتوفى سنة ١٤٩٦

قال السائح هارف المذكور « فلما مثلت امام السلطان الشاب سألني بواسطة بعض تراجمتهِ عن بلادي وما لقيتهُ في اسفاري المديدة . وهل انا من رعايا ملك فرنسا فاجبتهُ كلاَّ . قال وهل لهذا الملك جنود كثيرون وكم عددهم وهل عندهُ مدافع كثيرة وهل هو راغب في الغزو والفتوح وما هي مقاصدهُ عن سوريا ومصر؟ فاجبتهُ باني لا اعلم شيئاً لاني خرجت من اوربا منذ شهور كثيرة . وقد اضطررت الى الكذب مرغماً مع اني عالم ان شارل ملك فرنسا بعد ان حارب مملكة نابولي واستولى على سيسيليا وكلابريا عزم ان يجهز اسطولاً كبيراً قاصداً الاستيلاء على بلاد فلسطين واسترجاع الاراضي المقدسة . ثم صرفني السلطان بعد ان منحني جوازاً بحرية المرور في كل البلاد الخاضعة للسلطنة المصرية.

وهذا السلطان لم يملك سوى سنة ونصف فقتل في الجيزة على اثر فتنة حدثت بين الامراء والرؤساء وملك بعدهُ خالهُ ابو سعيد قانصوه الاَّ انهُ توفي في السنة نفسها . وقام بعدهُ ابو النصر جانبولاد غير انهُ قتل مخنوقاً في قلعة الاسكندرية بعد سنتين من ملكهِ . وخلفهُ طومان باي ولم يملك سوى مائة يوم ففر من القلعة خفية على اثر فتنة ولكن قبض عليهِ وقتل سنة ١٥٠١ وظلت مصر نحو اربع سنين مهداً للفتن والقلاقل بين رؤساء الاحزاب المختلفة حتى جرت فيها الدماء انهاراً وكان كلما جاء سلطان يفتك بالجنود



السلطان قانصوه الغوري



وزراء السلطان

مقتطف مارس ١٩١٧
امام الصفحة ٢٥٩

والامراء والمماليك الذين قاموا عليه وحاربوهُ و بعد شهر او اكثر يتغلب الحزب الآخر فيفتك بالسلطان و باحزابهِ والمشايعين لهُ . فضج الشعب والعلماء من هذه الحال السيئة واجتمعوا مع الامراء والمشايخ والاعيان في جمعية حافلة واقروا ان يولوا على سلطنة مصر اميراً عاقلاً حكيماً حازماً يرد الامن الى نصابهِ و يقرر العدل والسكينة في البلاد فاختاروا الامير قانصوه الغوري الداودار الكبير وجعلوهُ سلطاناً على السلطنة المصرية تحت لقب ابو النصر الملك الاشرف قانصوه الغوري

« وكانت هذه السلطنة واسعة الاطراف شاملة كل بلاد بين النهرين حتى حدود فارس من الشمال وسوريا وفلسطين والبلاد العربية حتى خليج فارس وكل البلاد المصرية والنوبة حتى شواطىء البحر الاحمر وعدن

« واشتهر هذا السلطان بالعدل والحزم واصالة الرأي وعلو الهمة وامتدت سطوتهُ وهيبتهُ الى جميع انحاء البلاد وارسل ملوك اوربا وامراؤُها الوفود والسفراء اليه يخطبون ودهُ و يرغبون في تقرير الصلات السلمية معهُ وانشاء المعاهدات السياسية والتجارية بينهم وبينهُ واقامت ممالك فرنسا ونابولي وكاتالونيا واراغون وجمهوريات جنوى والبندقية القناصل في مصر والاسكندرية والشام لحماية رعاياهم وتجارهم كما ان هذا السلطان ارسل كثيراً من السفراء والوفود الى ملوك اوربا وبابا رومية لتقرير بعض المعاهدات كما سيأتي بيانهُ

« فارتقى قانصوه سرير سلطنة مصر بجدهِ وجهدهِ وحزمهِ وقوة ارادتهِ وهو جركسي الاصل كان عبداً او مملوكاً للملك الاشرف قايتباي ولما رأى فيهِ النجابة والذكاء اعتقهُ وقلدهُ منصب جودار اي امير على مائة رمح وارسلهُ كاشفاً (مديراً) على بلاد الصعيد . ثم رقاهُ الى رتبة حاجب الحجاب وجعلهُ قائداً على الف رامح وارسلهُ والياً على حلب وقلدهُ نيابة طرسوس وكيليكية . ثم رافق تومان باي الى دمشق ورجع الى مصر فقلدهُ السلطان وظيفة الداودار الكبير وهي بمثابة الوزير الاعظم ولقبهُ بنائب النواب ولبث في هذه الوظيفة مدة القلاقل والفتن التي حدثت . ولرجاحة عقلهِ لم ينتمِ الى حزب من الاحزاب فاجمع رأي امراء البلاد وعلمائها ورؤَسائها على تنصيبهِ سلطاناً كما تقدم

« فارتقى قانصوه تخت السلطنة والبلاد كلها مضطربة بالحروب والفتن فحدود سوريا الشمالية مهددة بغارات سلاطين الترك واسماعيل شاه الشهير سلطان ايران وصاحب الدولة الصفوية يغير على بلاد بين النهرين والفرات . والبرتوغاليون يغزون و يعرقلون تجارة مصر مع الهند وكانوا يترصدون المراكب المصرية عند رجوعها من الهند الى السويس وهي

مشحونة فينهبونها ثم يغرقونها. وكذلك الاسبان اخرجوا المسلمين من بلاد الاندلس وطردوا اليهود من كل انحاء البلاد . فارسل امراء المسلمين وسلاطينهم في المغرب والجزائر وتونس الوفود والسفراء الى السلطان قانصوه يستغيثون بهِ ويطلبون منهُ النجدة والتعضيد . ففكر اولاً في مصادرة التجار الافرنج في بلادهِ واقفال بيت المقدس والاماكن المقدسة دون الاوربيين الاَّ انهُ عدل عن ذلك خوفاً من فرسان رودس وغاراتهم في مراكبهم على ميناء دمياط والاسكندرية ومن غزو البرتوغاليين وتعديهم على المراكب المصرية الذاهبة الى الهند . واحسَّ فردبناند ملك اراغون وايزابلا ملكة قشطيلة (اسبانيا) بعزم قانصوه هذا فارسلا اليهِ الكونت بطرس دانكيرا سفيراً يقرر السلام بينهُ وبين الافرنج . وكان في الاسكندرية وقتئذٍ قنصل لدواقي فرنسا وقشطيلة يدعى فيليب دي بيريتز فلما وصل السفير الى هذه المدينة ارسل القنصل رسولاً الى السلطان الغوري بمصر ينبئهُ بوصول سفير اسبانيا ويرجو منهُ ان يرسل اليهِ جواز المرور ويسمح لهُ بالمثول لديهِ . فتاخر السلطان عن اجابة طلب القنصل تبعاً لمشورة بعض تراجمتهِ اليهود وبعض العلماء الحاقدين على اسبانيا لاضطهادها المسلمين ولكنهُ عاد فارسل الجواز فوصل السفير الى مصر في ١٦ يناير سنة ١٥٠٢ واستقبلهُ ترجمان السلطان في قصرهِ وبعد اسبوع سمح لهُ السلطان بالمثول امامهُ مع رجال حاشيتهِ وكانت المقابلة الاولى رسمية دخل السفير والسلطان جالس على عرشهِ والسيف على فخذهِ وحولهُ قوادهُ وامراء دولتهِ ومماليكهُ فخاطب السفير بلهجة الغضب وانحى باللوم والتقريع على ملكهِ لاضطهادهِ المسلمين . وبعد يومين سمح لهُ بمقابلة اخرى سرية اظهر فيها السلطان كل تلطف ودار بينهما حديث طويل واتفقا على توثيق عرى الوداد بينهما وابرام معاهدة سلمية تجارية بين ممالك اسبانيا وبين سلطنة مصر . وسمح السلطان لملوك اسبانيا وفرنسا وجمهوريات ايطاليا وجنوى والبندقية بترميم كنيسة القبر المقدس في اورشليم وكانت مهددة بالخراب وترميم كنائس واديرة الرملة وبيت لحم وبيروت وامر ان تخفض الغرامات على زوار الاراضي المقدسة وكتبت معاهدة بهذه الامور كلها امضاها السلطان والسفير معاً (١)

« وفي سنة ١٥٠٣ اغرق الاسطول البرتوغالي تحت قيادة غاما الرحالة الشهير بعض مراكب لتجار مصر كانت مشحونة بالافاويه من الهند وراجعة الى السويس فنهب البرتغاليون

(١) الخطاب الذي القاهُ السفير امام السلطان في المقابلة الاولى والمعاهدة التي وقعاها بيديهما ومهرها لم تزل الى الآن محفوظة في متحف السجلات القديمة بالاسكوريال (في مدريد) وقد طبعت سنة ١٥٢٣

ما فيها من البضائع ثم اغرقوها وكان بينها مركبان للسلطان الغوري نفسهِ. فلما بلغهُ هذا النبأ احتدم غضباً وامر بمصادرة التجار الافرنج في بلادهِ الا انهُ رأى بعين بصيرتهِ الثاقبة ان يرسل سفيراً من قبلهِ ليقابل ملك فرنسا ودوج جمهورية البندقية والبابا يوليوس الثاني في رومية وملك اراغون ويحملهم على مخاطبة ملك البرتوغال لينهى اسطولهُ عن التعدي على المراكب المصرية فاذا رفض هذا الامر اضطر السلطان ان يقفل كنيسة القيامة في اورشليم وكل كنائس الافرنج في سوريا وفلسطين. واختار لهذه المهمة الاخ ماورو رئيس رهبان القبر المقدس. فذهب هذا السفير الى البندقية اولاً فاستقبل باحتفاء لكونهِ نائباً عن سلطان عظيم واجتمع اعضاء الجمهورية العشرة وقرأوا رسائل الغوري ورأوا انهُ محق في شكواهُ ومطالبهِ الاَّ انهم قالوا ان ليس لهم سلطة على ملك البرتوغال ولكنهم زودوا السفير بالرسائل الى البابا وملوك اوربا موصين بتلبية مطالب الغوري — فعلوا ذلك خوفاً على تجارتهم وتجارهم في مصر. ثم ذهب السفير الى رومية وقابل البابا يوليوس الثاني فلما قرأ الرسائل هالهُ تهديد الغوري باقفال كنائس فلسطين وسوريا فكتب الى ملك البرتوغال يطلب منهُ الاَّ يتعرض بسوء للمراكب المصرية ثم ذهب السفير الى اسبانيا وفرنسا وقابل ملكيها ورجع الى مصر حاملاً الهدايا الكثيرة والرسائل الودية من البابا وملوك اوربا فسر السلطان بنجاح عملهِ

«وفي السنة التالية حدثت حوادث اخرى نقضت جميع المواثيق السلمية بين السلطان الغوري والافرنج وسبب ذلك انهُ ارغم التجار البنادقة في الاسكندرية ومصر ان يشتروا البضائع الهندية باثمان غالية جداً فلم يقبلوا وكانت مراكبهم راسية في ميناء الاسكندرية وربانوها ينتظرون الاتفاق بين السلطان والتجار مواطنيهم لشحن البضائع فلما راوا هذا التضييق من الغوري اقلعوا بمراكبهم راجعين الى بلادهم قبل اتمام الشحن فهاج غضب السلطان لذلك. ثم ان الاسطول البرتوغالي عاد الى التعدي على المراكب المصرية الراجعة من الهند الى السويس. واغارت حكومة فرسان دورس بمراكبها على ميناء الاسكندرية وامرت بعض مراكب للسلطان وكان فيها بعض الحجاج المغاربة فامر السلطان الغوري بالقبض على قناصل فرنسا والبندقية والتجار الافرنج في الاسكندرية وحجز بضائعهم وممتلكاتهم واحضارهم الى مصر مكبلين بالحديد. ولما وصلوا امر بوضعهم في سجن المعصرة. ولما كان الطاعون وقتئذٍ متفشياً بمصر مات كثيرون منهم بالوباء

«ثم تداخلت بعض الدول في الصلح فهمد غضب السلطان وامر بالافراج عنهم. وحدثت بعد ذلك حوادث اخرى اعظم من هذه. وهي ان السلطان ارسل مراكبهُ وعددها ثلاثون

مركبًا الى غاليبولي وسواحل الاناضول لشحن الاخشاب وبعض الذخائر الحربية المرسلة من سلطان الاتراك في ادرنة بواسطة الوزير الشهير كمال بك رئيس العمارة التركية. فالتقى بها بعد خروجها من الاسكندرية بيومين اسطول فرسان رودس وحدثت معركة بحرية هائلة بين الاسطولين انتصر فيها اسطول الفرسان واحترقت اكثر المراكب المصرية وغرقت والباقي اسر. فلما سمع السلطان الغوري بهذا النبإ الاليم امر بحجز كل مراكب الافرنج الموجودة في ثغور سوريا ومصر والقبض على كل التجار وقناصلهم في الاسكندرية والشام والقدس وحجز بضائعهم ومصادرتها . وامر بالقبض على كل رهبان القبر المقدس في اورشليم وباقفال اديرة القدس وبيت لحم وبيروت ودمشق وكنائسها وبتعذيب رئيس دير جبل صهيون والقبر المقدس ولم ينجوا من الموت الاَّ بعد ان سلَّما الى نائب السلطان الآنية الذهبية والفضية التي في الكنائس وخزينة القبر المقدس السرية وكان فيها نحو تسعة آلاف دوقة ذهب. وانقطعت التجارة والعلائق بين مصر واوربا وتحملت جمهورية البندقية معظم الضرر والخسارة لان اكثر تجار مصر من رعاياها وتوقفت اسواقها في مدينة البندقية . وكان التجار الالمان والنمسويون والفرنسويون والايطاليون يفدون من انحاء اوربا الى هذه المدينة لمشترى البضائع المصرية والافاويه الهندية في مواسم الاسواق العمومية فيجدونها مقفلة . فتضايقت اوربا من جراء ذلك وعزم لويس الثاني عشر ملك فرنسا مع دوج البندقية على ارسال سفراء لمفاوضة السلطان الغوري وتقرير السلام بينهم وبينهُ وارجاع التجارة الى مجاريها

« وفي سنة ١٥١١ قبض حاكم برجيك في بلاد بين النهرين وهو نائب سلطان مصر على رجل رومي آتٍ من بلاد ايران ففتشهُ فوجد معهُ رسائل من اسماعيل شاه صاحب الدولة الصفوية الى توماس كونتارين قنصل البندقية في الاسكندرية والى بتروزان قنصل هذه الدولة في دمشق فارسل الحاكم هذا الرجل الرومي مع الرسائل التي وجدت معهُ الى نائب السلطان في حلب وهذا ارسلها الى مصر فلما اطلع السلطان الغوري على تلك الرسائل وكان بينهُ وبين اسماعيل شاه عداء ونفور عدَّ هذا الامر من القنصلين مؤَامرة على حياتهِ وعلى سلطنتهِ فاشتد غضبهُ وامر ان يقبض عليهما في الاسكندرية ودمشق ويؤْتى بهما مكبلين بالحديد. فلما وصلا الى مصر احضرهما امامهُ واوسعهما اهانة وتهديداً وكاد يامر بقتلهما الاَّ انهُ لم يفعل بل امر بسجنهما في القلعة

« وبعد هذا الحادث فترت العلاقات بين مصر واوربا وانقطعت التجارة انقطاعًا تامًّا

واقفلت الاماكن المقدسة في وجه كل الزوار الافرنج . فاقلقت هذه الحالة تجار البندقية فارسلوا الوفود الى حكومتهم يلتمسون منها ان تهتم باعادة الصلات السلمية بينها وبين سلطان مصر فاهتمت حكومة الدوج اهتماماً عظيماً بهذا الامر وخصوصاً لان اسواقها في البندقية اقفلت كلها فعزمت ان ترسل سفارة مطلقة السلطة الى مصر لاعادة الصلات السلمية والتجارية بينها . وكذلك لويس الثاني عشر عزم اجابة لتوسل الرهبان والتجار وطلب البابا على ارسال سفارة فوق العادة الى السلطان الغوري مصحوبة بالهدايا الثمينة يرجوهُ بواسطتها اعادة الصلات الحبية وان يأمر بفكاك التجار والقناصل وبفتح كنائس الاراضي المقدسة للزوار . وكانت سفارة فرنسا مؤَّلفة من الشفالير الكونت اندرا دي دوا مدير الخزينة الملوكية ومعهُ حاشية كبيرة وهدايا كثيرة ويصحبهم تجار كثيرون

« واما جمهورية البندقية فاستقر رأيها على ارسال سفارة اهم من سفارة فرنسا فعهدت في هذه المأمورية الى السنيور دومينيكو تريفيزان احد الاعضاء العشرة وكان قد انتدب قبلاً لسفارات كثيرة في ممالك اوربا وهو من اعظم رجال العصر ذكاء ودهاء حتى استمال اليهِ السلطان الغوري وحلَّت سفارتهُ لديهِ محل الاحترام والثقة مما لم تنلهُ السفارة الفرنسوية التي وصلت قبلهُ . وسر السلطان كثيراً عند ما وصلت هاتان السفارتان لانهُ كان يود اعادة الصلات التجارية والسلمية بينهُ وبين اوربا بعد ان انقطعت مدة طويلة وتوقفت التجارة المصرية وكسدت اسواقها واقفرت مخازن تجارها »

وكانت سفارة البندقية مؤلفة من حاشية كبيرة ومعها هدايا ثمينة فاخرة اثمن من هدايا فرنسا ولم ينجح السفير الفرنسوي في مهمتهِ النجاح المطلوب كما نجح سفير البندقية . وكان سكرتير هذه السفارة احد النبلاء المدعو زكريا باغاني كتب مطولاً عن رحلة السفير ووصولهِ الى الاسكندرية وكيفية مقابلتهِ للسلطان وما جرى لهذه السفارة من الحوادث الغريبة وكان باغاني هذا قد رسم صورة السلطان قانصوه الغوري رسماً متقناً وحفظت هذه الرحلة مع الصورة الاصلية في متحف البندقية ثم طبعت فيها اولاً سنة ١٥٣٥ وثانياً سنة ١٥٩٨ وفي فرنكفورت سنة ١٥٩٦ وقد صدرتْ هذه المقالة بهذه الصورة الاصلية منقولة من كتاب قديم للسائح تنود طبع في القرن السادس عشر

سفارة البندقية الى مصر

قررت حكومة البندقية ارسال سفارة سامية مفوضة السلطة الى سلطان مصر الملك الاشرف قانصوه الغوري لتوطيد السلام والوئام بين الحكومتين ولحمل السلطان على اطلاق

مراح القناصل المعتقلين وفتح كنائس الاراضي المقدسة واعادة الصلات التجارية . فانتدبت لهذه المهمة الشفالير النبيل دومينيكو تريفيزان احد الاعضاء العشرة لهذه الدوقية واصحبتهُ بعشرين رجلاً من النبلاء والكتبة والاتباع والحاشية وارسلت معهُ الصلات والهدايا الثمينة الى السلطان وحرمهِ ووزرائهِ وعينت لهُ ثلاثة آلاف دوقة ذهب لنفقات اسفارهِ وثلاثمائة دوقة مرتباً شهريًّا اثناء رحلتهِ (الدوقة قطعة الذهب البندقي المعروف) وكان بين رجال هذه البعثة السنيور زكريا باغاني سكرتير السفارة الاول كاتب هذه الرحلة فقال :

« انا زكريا باغاني من مدينة بلوني من اعمال البندقية عينتني حكومتي المعظمة سكرتيراً للشفالير النبيل حامل وسام القديس مرقص الشريف السامي دومينيكو تريفيزان المنتدب معتمداً سامياً وسفيراً مفوضاً لدى سلطان مصر قانصوه الغوري

« في اليوم الثالث والعشرين من شهر يناير سنة ١٥١٢ ركبنا بعون الله وتوفيقهِ من مدينة البندقية (فنيسيا) في قوارب كبيرة الى جزيرة بوفيا حيث كان الاسطول البندقي راسياً تحت امرة السنيور النبيل بالدينو كونتاريني اميرال البحر . وكان السنيور السر ديمترا كي دارتا ربان مركب السفارة وهو من اكبر مراكب الاسطول البندقي ويبلغ طولهُ مائة وخمسين قدماً ورئيسهُ البحار الكبير السر زان الكريتي . وبعد ان جهزنا معدات السفر وشحنا المؤَن والهدايا والامتعة اقلعنا من جزيرة بوفيا في ٢٦ من الشهر المذكور عند الفجر وفي اليوم الثاني من فبراير وصلنا الى مدينة فرارا وفي ٢٥ منهُ وصلنا الى ثغر دورازو وهومدينة تركية كانت فيما سبق آهلةً عامرةً واسعة التجارة ترد اليها كل حاصلات الاقليم الالباني وتصدر الى ثغور الادر ياتيك وايطاليا وجزائر الروم الاَّ انها اصبحت الآن خراباً واكثر سكانها هاجروا الى الجزر اليونانية والثغور الايطالية فراراً من ظلم حكامها وجورهم . ولما رسا بنا المركب هناك اقبل الحاكم التركي مع عشرة من الموظفين والقاضي ومدير الامن لتحية السفير فاستقبلهم سيادتهُ بالترحاب ودعاهم للغداء معهُ على مائدتهِ ولما رجع الحاكم الى مقرهِ ارسل الى السفير هدية مؤَلفة من عجل صغير وعشرة ارغفة كبيرة وسمكتين كبيرتين مملحتين فارسل لهُ السفير بدلها شيئاً من الاثمار والمربيات والمنسوجات

« اقلعنا من دورازو الى جزيرة كورفو وفي هذه الجزيرة كثيرون من اليهود الاَّ انهم فقراء صعاليك وكان في مرفإها ثلاثة مراكب تجارية وصلت من الاسكندرية قاصدة مدينة البندقية المحروسة من الله وكلها مشحونة باكياس الافاويه واصناف العطر والبضائع المصرية وهي تحت امرة الربان الشريف جاكومو ميكائيلي . ولما كانت هذه المراكب خاصة

بحكومة البندقية امر السفير ان ينضمّ مركب منها الى اسطوله لتقويته احتياطاً من سطو مراكب قرصان البربر (يعني تونس والجزائر) وقيل لنا انها تجول دائماً في البحر الرومي للنهب والسلب وسبي النساء ٠ وفي ٢ مارس اقلعنا من كورفو واجتزنا بورتو لانغو وسان نيكولا على الشواطىء الالبانية ثم اقبلنا على جزيرتي باكسو وسانتا ماموروا على خليج ارطه ومررنا بجزيرة كيفالونيا وجزيرة ايتاك وطن عولس وجزيرة زانتا وهي تابعة لدوقيتنا السامية٠ وفي ١٢ منهُ اقلعنا من هناك ومررنا بجزيرة سابيانسا وهناك هطلت علينا الامطار وثارت الانواء والعواصف فاضطررنا ان نلتجىء الى ثغر بورتو بورتو ومكثنا ستة ايام الى ان سكنت الانواء وصحا الجو ٠ وكان الخبز قد فرغ فارسلنا بعض البحارة الى هذه البلدة ومعهم مقدار كبير من الدقيق ليعجنوهُ ويخبزوهُ في افرانها فوجدوها خربة خاوية من سكانها الذين هجروها من ظلم حكامهم الاتراك ولجأوا الى الجبال والاودية فدخلوا بعض البيوت فلم يجدوا فيها احداً فاضطروا ان يرجعوا بالدقيق ٠ واهالي هذه البلاد يدفعون الى الحكومة عشر الحاصلات والاثمار والمواشي الا ان الحكام الذين يأتون من عاصمة السلطنة يرهقونهم ظلماً وعسفاً ويأخذون منهم اكثر من نصف حاصلاتهم ومواشيهم فاضطروا ان يهجروا بلادهم ويأووا الى الجبال

« وفي ٢٢ منهُ اقلعنا من بورتو بورتو فاجتزنا راس ماتابان ومررنا بثغور المورة وكل هذه البلاد خرائب دارسة لان اهلها الاروام هجروها تخلصاً من ظلم الحكام الاتراك ٠ ثم مررنا بجزيرة سريجو وهي من املاك دوقيتنا المعظمة ووطن منيلاس ملك اليونان وزوجته هيلانه التي خطفها باريس من بريام ملك ترواده كما جاء في الياذة هوميروس

« وفي صباح اليوم الخامس والعشرين من مارس بلغنا جزيرة كريت ونزلنا في ثغر خانيا وهو الآن خراب واكثر ابنيته متهدمة بسبب الزلزلة التي حدثت فيها منذ اربع سنين اي في ٢٩ مارس سنة ١٥٠٨ فهدمت قصورها الفخمة ودكت معالمها ولم يتجدد فيها الآن سوى جزء قليل من بيوتها ٠ واما كاتدرائيتها العظمى المؤسسة على اسم القديس بولس الرسول حامي الجزيرة فقد ثبتت قائمة سليمة رغماً عن الزلزال الشديد ٠ ومما يستحق الذكر ان حماة الحاكم جيرولامو بلغت من العمر المائة والعشرين ولم تزل حية وقد رأت احفادها الى خمسة اجيال »

ديمتري نقولا

تخليد ذكرى الدكتور شميل

قلما شهد فضلاء القاهرة احتفالاً رابطاً للقلوب بين الناطقين بالضاد كالاحتفال الذي اقيم في نادي الاتحاد السوري في التاسع من فبراير لتخليد ذكرى فقيد العلم والفضل الدكتور شميل فقد ضمَّ جمَّا غفيراً من نخبة العلماء والادباء والفضلاء رجالاً ونساء برآسة صاحب السعادة احمد حشمت باشا وزير المعارف سابقاً . فافتتح حضرتهُ الاحتفال بخطبة وجيزة اللفظ كبيرة المعنى وصف بها الراحل الكريم احسن وصف فقال انهُ ما كاد يستقر بهِ المقام في القاهرة حتى نمَّ عليهِ فضل كبير وعلم غزير وافكار تسبح في حرية لم تكن فينا ولا في الشرق لذلك العهد وعرفت مصر بعد هذا ان الوافد عليها لم يكن كغيرهِ من النازحين اليها إنْ هو الاَّ رسول من رسل العلم والعرفان جاء ليضيء الاذهان كما تضيء شمس النهار ما حولها من الاجرام الى ان قال « ان المرحوم الدكتور شبلي شميل قام بدور محمود في تاريخ العلم والفلسفة والشجاعة الادبيَّة في الشرق عامة ومصرنا خاصَّة وكفاهُ فخراً وذكراً جميلاً خالداً ان يقال عنهُ انهُ قام بالواجب والقيام بالواجب خير ما يحلّي بهِ تاريخ المرء في هذه الحياة »

وتلاهُ كاتب هذه السطور فقال « ان الموضوع واسع الرحاب بعيد الغور ولكن فقيدنا الذي اجتمعنا لنذكر مناقبهُ ومآثرهُ — فقيدنا الذي ترك بيننا فراغاً هيهات ان يتسنَّى ملؤُهُ ولو بعد اعوام طوال — فقيدنا الذي وقفت لذكر آثارهِ العلمية ليس غريباً عنكم ولا بكم حاجة الى مَن يصفهُ لكم و يبيّن مبلغ علمهِ . بل ليس في كل البلدان التي تُقرأُ فيها العربية من يجهل الدكتور شميل اوْمَن لم يقف على نفثات قلمهِ . كيف لا وقد تصدَّر للبحث في المواضيع الطبيعية والاجتماعية اكثر من اربعين عاماً وكان يجلو عرائس افكارهِ على صفحات الجرائد والمجلاَّت فتسير بهما في مشارق الارض ومغاربها . وهو غنيٌّ عن التعريف بما اشتهر من آرائهِ الفلسفية وحملاتهِ السياسية كما انهُ غنيٌّ عن الوصف بعلومهِ الطبيَّة والطبيعيَّة والاجتماعية فما كلامي عنهُ امامكم الآن الاَّ من باب الاشارة الى مواهبهِ السامية وآثارهِ الخالدة اظهاراً لخسارتنا فيهِ وحزننا عليهِ »

ثم استطرد الى وصف علومهِ بما لا يخرج عن مضمون المقالة المدرجة عنهُ في هذا الجزء

وقام بعدهُ حضرة السيد رشيد رضا صاحب المنار فتكلم على اخلاق الفقيد وما اشتهر بهِ من الشجاعة الادبية واستقلال الفكر والذود عن المستضعفين وسائر المناقب الفاضلة التي

ترضي المخلوق والخالق فكان لكلامهِ احسن وقع في النفوس لانهُ من ائمة الدين الذين لا يشيدون الاَّ بما يعلمون علم اليقين

وتلاهُ حضرة الدكتور كيل وتكلم بالفرنسوية عن الفقيد كطبيب وذكر التقدم العظيم الذي تقدمهُ علم الطب في عصرهِ وكيف انهُ جاراهُ في تقدمهِ هذا في معالجة مرضاهُ وفيما كان ينشرهُ في مجلة الشفاء وذهب الى برلين للوقوف على اكتشاف كوخ في معهدهِ. وسنتوخى ترجمة هذه الخطبة المفيدة ونشرها في المقتطف لانها جمعت فاوعت

ثم قام شاب فصيح اللفظ بليغ المعنى وهو حسن بك شريف فالقى خطبة نفيسة جمعت خلاصة ما كتبهُ الدكتور شميل في المواضيع الاجتماعية مشيراً الى الدواعي التي دعت اليها على اسلوب يختلب العقول بحسن ديباجتهِ ووضوح ادلتهِ فطرب الحضور لهذه الخطبة ولو سُمح لهم لاظهروا اعجابهم بها بالتصفيق لها مراراً

وعقبهُ حضرة الشاب الذكي الفؤَاد اميل افندي زيدان نجل الطيب الذكر المرحوم جرجي بك زيدان صاحب الهلال فذكر نسبة الفقيد الى الناشئة وكيف انهُ بقي حتى ادركتهُ الوفاة شابًّا في علو همتهِ ومضاء عزيمتهِ وانس محضرهِ وكيف انهُ كان قدوة للشبان في حب الفضيلة والدفاع عن الحق. فاحسن غاية الاحسان. وتلاهُ حضرة الخطيب البليغ انطون افندي الجميل فاشار الى رجاحة عقل الفقيد وفرط ذكائهِ وما كان عليهِ من دقة العواطف وصفاء النية. وذكر بعض نوادرهِ الدالة على شدَّة عطفهِ وانس محضرهِ. ثم القى حضرة الشاعر الشهير حافظ بك ابرهيم المرثاة التالية فكان لها اعظم وقع في نفوس السامعين فاستعادوهُ اكثر ابياتها مراراً. واخيراً وقف حضرة رصيفنا رشيد بك شميل صاحب جريدة البصير ابن اخي الفقيد وتكلم نائبًا عن آل شميل شاكراً للذين قاموا بهذا الاحتفال

قصيدة حافظ بك ابرهيم

سكن الفيلسوف بعد اضطرابِ ان ذاك السكون فصل الخطابِ
لقي الله ربهُ فاتركوا المر ء لديَّانهِ فسيح الرحاب
حزن العلم يوم متَّ ولكن أَمِن الدين صيحة المرتاب
كنت تبغي برد اليقين على الار ض وتسعى وراء لب اللباب
فاسترح ايها المجاهد واهدأ قد بلغت المراد تحت التراب

وعرفت اليقين وانبلج الحـ ق لعينيك ساطعاً كالشهاب
ليت شعري وقد قضيت حياة بين شك وحيرة وارتياب
هل اتاك اليقين من طرق الشكِّ — فشكُّ الحكيم بدء الصواب
كم سمعنا مسائلاً قبل شبلي عاش في البحث طارقاً كل باب
أطلق الفكر في العوالم حرّاً مستطيراً يريغ هتك الحجاب
يقرع النجم سائلاً ثم يرتدُّ — الى الارض باحثاً عن جواب
أعجزتهُ من قدرة الله اسبا ب طواها مسبب الاسباب
وقفت دونها العقول حيارى وانثنى هبرزيها وهو كابي
لم يكن ملحداً ولكن تصدى لشؤُون المهيمن الوهاب
رام ادراك كنه ما اعجز النا س قديماً فلم يفز بالطلاب

***

ايه شبلي قد اكثر الناس فيك الا قول حتى تفننوا في عتابي
قيل تبّي ذاك الذي ينكر النو ر ولا يهتدي بهدي الكتاب
قلت كفُّوا فانما قمت ارثي منهُ خلاً امسى طويل الغياب
انا والله لا احابيه في القو ل فقد كان صاحبي لا يحابي
انا ارثي شمائلاً منهُ عندي كنَّ احلى من الشهاد المذاب
كان حرّ الآراء لا يعرف الختـ ل ولا يستبيح غيب الصحاب
مفضل محسن على العسر واليسر — جميع الفؤَاد رحب الجناب
عاش ما عاش لا يُبقي على الا — يام مالاً ولم يلن للصعاب
كان في الود موضع الثقة الكبر — ى وفي العلم موضع الاعجاب
نكب الطب فيهِ يوم تولى وأُصيبت روائع الآداب
وخلا ذلك النديُّ من الانس — وقد كان مرتع الكتاب
وبكت فقدهُ الشآم وناءت فوق ما نابها بهذا المصاب
كل يوم يهدُّ ركن من الشا م لقد آذنت اذاً بالخراب
فهي باليازجي وجورجي وشبلي فجعت بالثلاثة الاقطاب
فعلى الراحل الكريم سلام كلما غيَّب الثرى ليث غاب

رثاء الدكتور شميل

حكيم الشرق ترحلُ مطمئناً … عن الدنيا وتلقى وجهَ ربِّك
وتُوحش يا ابن ابراهيم منّا … نفوساً طالما أنست بقربك
عليك قلوب اهل الشرق طرّاً … تنوح فكيف حال قلوب صحبك
تذوب اسًى عليك وليس بدعاً … فقد كانت مُولَّهةً بحبّك
صهرْتَ على النهوض بنا حياةً … تناول ذوبها حبّاتِ قلبك
فاغفلنا اهتمامك ما اكترثنا … لرقتك صدع غفلتنا ورأبك
وذنبك فيهِ أنك لم تُصوِّب … خمولَ الشرقِ . هذا كل ذنبك
كبيراً كنتَ في قولٍ وفعلٍ … ونفسٍ ضاق عنها رحبُ جنبك
وفي جاهٍ تليدٍ حزتَ معهُ … طريفاً زاد فيهِ علوُّ كعبك
وفي نسبٍ كما ندري عريقٍ … وفي حسبٍ مكانتهُ بحسبك
وفي قلمٍ يصرُّ على طروسٍ … ويوحي للملا آيات لبك
لينظم تارةً دُرَرَ القوافي … وطوراً عسجدَ المنثور يسبك
وكم بسنانهِ قوَّمتَ امتاً … وجُبْتَ ظلامةً بشفار عضبك
وذُدْتَ بطبك الاسقام عنا … وشوكتها خضدتَ بحزّ ضربك
وصنتَ حمى الحقيقة غير خاشٍ … ملامةَ مائقٍ يلهو بعتبك
وحاربتَ الجمود فظلّ يلقى … ويصلى نصفَ قرنٍ نارَ حربك
ولم ترهب لاهل الجهل حزباً … لأنّ العلم كان ظهيرَ حزبك
سموتَ بهِ لانك لستَ منهم … ولم يكُ دأبهم فيهِ كدأبك
فعشتَ عميد شعبك ساعياً في … إنارتهِ ومُتَّ فقيد شعبك
بكتك الشُّهْبُ يوم شربتَ كأس الـ … حِمام وغصّت الدنيا لشربك
فسحّتْ عينها معنا فكانت … مشاركةً لنا في فرض ندبك
سنروي ما حيينا عن مزايا … نهاك ومدهشات صفات قلبك
وإنْ خفنا ضلالاً في دياجي الـ … مباحث نهتدي بضياء كُتْبك
ولا ننساك بل نُبقيك حيّاً … بتاريخ ونذكر فضل طبك

١٩١٧ اسعد داغر

فضل مصر على الشرق

حفلة الامس جعلها وزير مصريٌّ خطير تحت رياستهِ العالية وافتتحها بكلمات لا تنطلق مثيلاتها الاَّ من مثل ذلك القلب الكبير . وتوسط عقدها شاب مصري حرُّ الفكر ذكي الفؤاد . وختمها شاعر مصري ما اشتهر في وادي النيل شاعر اكثر منهُ . وجاءَت بعد قصيدتهِ كلمة كبيرة المعنى لرجل مصري آخر شديد الغيرة حاد الذكاء . ذلك والراحل السوري الكبير يطلُّ على جمهور الاحياء من خلال صورتهِ الصامتة مستمعاً لاقوالهم بنظرة وبسمة كثيراً ما نراهما في صور الموتى . نظرة آتية من بعيد من وراء تموج الاثير وحفيف الافلاك من اقصى اقاصي حياة الضياء الخالد . وبسمة آتية كذلك من بعيد من الروح الحائمة وراء النجوم وكأَن فيها اشفاقاً على الاحياء وآلامهم وانفعالاتهم وما يتفرع منها

اجمل نعت أُعطي بالامس للمرحوم الدكتور شميل جاءَ من حضرة صاحب المعالي حشمت باشا اذ دعاه « رسول علم ونور »

نعم كذلك كان الدكتور شميل . رسول علم لشرقنا الذي كان قد بات آمناً في جهلهِ يستنكف هزة يد قوية تذكرهُ بان في كيانهِ شرارة الحياة . ورسول نور الى ليلة ليلاء خيمت في انفها ظلمات تركبت اطباقها من جهل وخرافات ودعوى . اتى يقظ الفؤاد متلهب الذكاء نبيل الفطرة و بعث بانوار فكرهِ الوهاج في غياهب ذلك الليل الادهم — وان كانت تلك الانوار اقرب الى السنة اللهيب اللاذع منها الى الاشعة اللطيفة المنبهة

⁂

سلام على « رسول العلم والنور »

« سلام على تلك الروح الطاهرة » التي على رغم ما انتابها من مصائب الدهر وكوارثهِ وعلى رغم ما كان يلاصقها من حدة وما يهزها من انفعال قد حفظت عن الطفل طيبتهُ وبساطتهُ وبسمتهُ في الحياة وفي الموت . شهد ذلك من رأَى الدكتور شميل نائماً نومتهُ لاخيرة في نعش غمرتهُ اكاليل الورد المصرية وهو في وسط ذينك السكون والحزن الشاملين يبسم بسمة ما اشبهها ببشاشة الحياة منها بعبوس الموت . ونحن اصدقاؤُهُ الجاثون حولهُ وقد التاع منا الفؤاد حسرة كنا اذا ما نظرنا تارة الى هالة الجلال المحيطة بوجههِ واخرى الى البسمة العذبة التي تثني شفتيهِ لا نلبث ان نشعر بالدموع تجف في اعيننا لتغلب

السكون على اللوعة ازاء تلك البسمة العجيبة متسائلين كيف يمكن ان تمتزج رهبة الموت بمثل هذا اللطف الساذج

ولكن كذلك الحياة رهبة ولطف — التياع وجود — نعش وزهرة — عين نتأمل باكية وعين تنام باسمة — رواية مفجعة ورواية هزلية تمثلان جنباً الى جنب . كذلك هي الحياة

سلام على من كان انوفاً شديد الحياء يربأ بنفسهِ عن مواطن الذل ويتجافى بها عن مطارح الهوان . سلام « على نفس ابية زاهدة » نفذ بصرها الى اعماق قلب الانسانية المعذبة فتفطرت لمشهد اوجاعها واحتياجاتها وآمالها الذاوية . سلام على نفس احبت الانسانية حباً جمّاً حبّاً متناهياً احبتها في عظمتها ومجدها فاشارت الى المتأملين بان يقفوا متهيبين . احبتها في جهلها في فقرها في مرضها في نقائصها فانحنت عليها تؤاسيها . وكم كان الطبيب في الدكتور الشميل اباً والعالم محسناً والاستاذ مداعباً والمهذب القاسي صديقاً شفيقاً ! احبت الانسانية حتى في ظالميها فضربتهم ضربات مؤلمات قائلة ان كونوا منصفين

***

كذلك كانت الكلمة المصرية معبرة بالامس عن حرقة النفس السورية . فهل نشكر مصر بكلمات وهي ككل كريم لا تطيق كلمات الشكر . ام نكشف لها عن حب صادق كامن في اعماق القلب وهي ادرى بما هو عليه القلب العربي من قوة الحب وذكر الجميل

قبل عشرات مئات من الاعوام قبل عهد ايزيس وعشتروت . قبل المدنيتين المصرية والفينيقية يوم كان العنصر العربي ضائماً بين العناصر القوية المتغلبة في ذلك الحين على مدنية العالم كان القلب العربي ينبض بقوة ينبض محبّاً وينبض شاكراً

ولما ظهر قبيل القرن السادس مبرزاً للملاء لغتهُ الفنية التي لم يكن يعرف لها المؤرخون طفولة وحداثة والتي ستظل فتية ابداً — وكان الراعي العربي ينام على ظهرهِ الى جنب خيمتهِ على مقربة من اغنامهِ وعقارب شعرهِ الاسود تداعب وجنتيهِ بينما عيناهُ الطو يلتان ترتفعان نحو الافق المظلم مراقبتين حركات الكواكب وملتمستين اسرارها اذ ذاك كان العربي يضع يدهُ على قلبهِ ذاكراً في اصفى ساعات تأملهِ الفلكي مرحبهِ واثر الجميل في نفسهِ

ولما تجمعت قواهُ وعلت موجة مدنيتهِ فغمرت افريقيا وشطراً كبيراً من آسيا وجزءا يذكر من اوربا يوم كان جائلاً في ساحات الوغى طالباً لوطنهِ عظمة ولمدنيتهِ اتساعاً لم يكن ينسيهِ حب المظمة عاطفتين غذاهما من زبدة روحهِ : الحب وذكر الجميل

ثم تبعثر العنصر العربي ومرت عليهِ عبرَ سياسية مختلفة وتناولت ايمانهُ عقائد دينية

متنوعة وداهمتهُ احوال اقتصادية كانت ترفعهُ تارة وتهبطهُ اخرى · والآن تلذع فكرهُ شرارة المدنية الاوربية وتذكرهُ بانهُ كان عظيماً فيحفز للنهوض قويًّا · في جميع هذه الحالات في الشقاء والهناء كان العربي يحني على قلبهِ متلمساً اثار عاطفتين خالدتين : الحب وذكر الجميل

فما عسى ان يقول العربي للعربي ؟ اليس القلب العربي الخافق في صدر السوري هو القلب العربي الخافق في صدر المصري ؟ وكفى بذلك الخفوق المتشابه قولاً جميلاً

***

وانت ايها الزعيم الراحل لئن بعُد على نعشك شاطىء سوريا الحبيبة وتوارى جبلك الاشم ايها اللبناني وراء نيران الحروب ودخان المدافع · لئن تعذَّر عليك الرقاد في المدافن اللبنانية تحت السنديانة الكبيرة بقرب مياه العين المترنمة فها قد ضمتك اراضي مصر العزيزة الى صدرها الحنون· هذه تربة عربية ولها نحو الموتى لمسات ملطفات كأنها يد ام شفيقة

نم آمناً بين يدي رب قضيت عمرك باحثاً عنهُ · ولئن دعاك البشر كافراً وملحداً فالدين سر عظيم بين الخالق ومخلوقهِ · ولقد يمجّد ربَّك ارتياب اللاأدريين كما يرضيهِ ايمان المؤمنين · وما كان ربك الاَّ حليماً غفوراً

ونحن الآسفون على كنز اغتالتهُ المنية من بين ايدينا الشاعرون بافتقارنا الى علمك وشجاعتك وحنانك يوم تكشر الجمعية عن انيابها متهددة متوعدة يوم يؤلمنا مجافاة الغرباء والمعارف حتى الذين يدعون الصداقة فنضرب بيننا وبينهم حجاب الكبرياء · يوم نرى البريء يقع ضعيفاً تحت اثقالهِ والقوي مستبداً في ظلمهِ · يوم يفطر قلبنا انين المتوجعين فلا نجد في يدنا القوة التي تساعد ولا للساننا الكلمة التي تعزي · يوم يعذبنا تعطشنا الى الجمال والكمال وننظر حولنا باحثين عنهما فتبرز لنا الشرور باثواب الدعوى والاكاذيبُ بامجة الصدق وتشمئز فينا الحياة لصغر الحياة فنلتجئ الى جمال العزلة وعذوبة السكوت سائلين الكواكب الغازها والكون غايتهُ — اذ ذاك سنذكر ان لنا في الخلود خالداً

اذ ذاك نستحضر صورتك ونستحضر صفات عاليات اثارت اعجابنا واجلالنا فتكون لنا استاذاً صامتاً يرشدنا ذكرهُ الى ما هو جميل شريف ويأتينا من عالم النور بافكار سامية تحيط بنا كاجواق ارواح علوية

كذلك تكون محسناً في حياتك وفي مماتك · ومن كان مثلك كان خالد الاحسان لانهُ خالد الاثر

(ماري زيادة)

في سبيل الاخلاق

أَلِلناس علم بالذي خبأ الدهرُ — وما في ستار الغيب يجري بهِ الامرُ
فلا عالم يدري ولا متعلمٌ — ولو كان عرّافاً يدين لهُ السحرُ
لعمرك ما الايام الاَّ مسارحٌ — يمثل فيها للورى ما يرى العصرُ
وما الليل اذ يرخي الستار بآمن — من الفجر صبحاً ينطوي دونهُ السترُ
فللدهر عين ليس يغمضها الكرى — وسيان في احكامها السر والجهرُ
فكم هتكت ستراً بلَفت لحاظهـا — وكم قرأت سراً يحجبهُ الصدرُ
ومن عجب ان يأمنَ الناسُ دهرهم — وليس لهُ برٌّ وليس لهُ بحـرُ
لهُ حيلٌ خداعة وحبائلٌ — اذا نصبت يأوى لمصرعها الغرُّ
فما الدهر اذ يفترُّ ثغراً بباسم — ولكن هي الانياب للغـدر تفترُّ
فحاذر الاعيب الزمان وجدهُ — ففي حالتيهِ يستقى الصبرُ والمرُّ
فكم بسماتٍ منهُ كانت كبارق — وطي ثناياهُ انطوى الماء والجمرُ
وكم حملاتٍ منـهُ كنّ صواعقاً — اذا واعيت حيًّا تلقفهُ القبـرُ
تمهلْ رويداً يا زمان ولا تكن — شديداً اذا ما اشتد من غيرك النكرُ
ورفقاً اذا ما الدمع سال عقيقهُ — وخضّب وجهاً من دم هاجهُ الهجرُ
فيمناك إن جادت فللداء مرهمٌ — ويسراك إن صالت فقد لقد العمرُ
وفيك من الحلم الجميل وداعة — فتعفو اذا ما النفس راق لها الغدرُ
وعنديَ من نجوى الضمير سلامة — هي الدرع ان عزّ الوفا وانقضى الصبرُ
كفى محناً يا دهرُ انَّا على الوفا — نديم الرضا شكراً ولو مسّنا الضرُّ
ونروي احاديث الولاء ونتقي — اذاعة ما يقضي بكتمانهِ السرُّ
سلامٌ على الدنيا والف تحيةٍ — اذا لم يكن للدين نهيٌ ولا امرُ
فصُن بالتقى عرضاً وبالدين ذمة — وبالنبل صنعاً لا يحقرهُ الكبرُ
وخذ عن كرام الناس معرفة الوفا — بعهدٍ كما من وعدهِ يُعرف الحرُّ
ولا تحسب الايام جارية على — مثالـــ فتبني بينما يهدم الدهرُ

وكل بناء لم يؤسس على التقى ... هوى صرحهُ واندكَّ من طودهِ الصخرُ
ومن بات يمشي في المهامه الهوى ... شكا السقم مما ساقهُ البرد والحرُّ
ومن ينسَ ما ولّى بحاضرهِ يجدْ ... سبيل الاماني اينما سار يغبرُّ
وللمهتدي من امسهِ عبرٌ اذا ... تلاها على أيامهِ هدأ الشرُّ
وما السؤدد الخالي من الخلق الرضي ... بباقٍ ولو مرّت بهِ اعصر غرُّ
وكل زمان لاخلاق لاهلهِ ... ينوب لدى التاريخ عن ذكرهِ الصفرُ
وما سعة الارزاق عنوان امةٍ ... اذا كانت الاخلاق حل بها الفقرُ
وما كثرة التعليم ان صادفت فتىً ... على غير تهذيب ينال بها الفخرُ
ومن غرس الاخلاق والعود ليّنٌ ... سيجني ثماراً حينما العود يخضرُّ
وذو الرأي يمشي في الفلاة على الهدى ... فان لم تضئهُ الشمس فالعلم والفكرُ
وليس لسارٍ عن هوى دون خبرة ... طريق ولو ضاءت له الشمس والبدرُ
ولو كانت الافلاك في دورانها ... على غير توفيق لحطّمها الدهرُ
فيا كوكب الاشراق مهلاً اكي ترى ... على الارض حرباً لا يطاق لها حرُّ
أما آن ان يلوي الزمان لها يدأ ... فتسلم أعناق طوى نحرها الجزرُ
فقد بلغ السيل الربا وجرى القضا ... كطوفان نوح اذ طغى المدُّ والجزرُ
فتعساً لحرب من تفنن اهلها ... ترى للمنايا موقفاً دونهُ الحشرُ
فمن ضاحكٍ موتاً وباكٍ عمى وسا ... بحٍ غرقاً يلقي بجثتهِ البحرُ
وكم مدنٍ دكت واديرة غدت ... خراباً على اطلالها يصفر النسرُ
فرقوا حناناً للسلام فعندكم ... اناجيل عيسى في تعاليمها البرُّ
وتوراة موسى مثل فرقان احمد ... ترى أن قتل النفس ظلماً هو الكفرُ
وماذا يفيد الملك لو باد اهلهُ ... ولم يبقَ باقٍ يستعز بهِ النصرُ

الدكتور
السيد رفعت



استغلال الارض

(١٣)

تأجير الارض

استغلال المزارع الواسعة بتأجيرها لجمهور الفلاحين اعود فائدة واسهل ادارة على ملاكها مما لو زرعوها لحسابهم خاصةً اذ بالتأجير تتوفر عليهم معاناة فلاحتها وادارتها والصرف عليها من جهة ومن جهة اخرى تنقسم الغيطان الكبيرة الى غيطان صغيرة يقوم عليها مستأجروها بانفسهم فتُغل محصولاً اكثر بمصروف اقل للاسباب التي ذكرناها في الكلام عن المزارع الكبرى والمتوسطة والصغرى في مقتطف نوفمبر سنة ١٩١٥

واستئجار الفلاح للارض اوفر ربحاً وكرامةً لهُ مما اذا ظلَّ أجيراً فطبقة الفلاحين احسن حالاً وارقى حيثية من الاجراء وعُدَّةُ الاجير في عمله يدهُ وفاسهُ فقط اما المستأجر فلا بد لهُ معها من الماشية والادوات الزراعية وبعض من رأس المال ومن الاجتهاد في فلاحة اجارتهِ وحسن المعاملة مع مالكها

فالمالك المؤجر والفلاح المستأجر مشتركان معاً في مزايا التأجير فيجب على كل منهما ان لا يُفرِّط في القيام بواجبهِ ازاء الآخر ولا يشتطَّ في اداء حقوقهِ منهُ اشتطاطاً يرهقهُ او ينفرهُ

يقوم واجب المالك على المستأجر بأن يجتهد هذا في فلاحة الارض ليكون استغلالهُ لها غير منهك لخصبها ولا مضيع لهُ وان يفي بدفع اجرتها في ابانها بلا تأخير

و يقوم واجب المستأجر على المالك بان يعتدل هذا معهُ في تقدير اجرة الارض ويرأف بهِ اذا نال زرعهُ اذًى لاقبل لهُ بهِ بل يساعدهُ اذا دعت الضرورة للمساعدة فهل كذلك الحال بين جميع الملاك والمستأجرين ؟ كلا

فمن المستأجرين من يهمل رعاية الارض اهمالاً يفسدها · ومنهم يوجه احسن عنايتهِ الى مزروعات الحبوب والمرعى لقوتهِ وقوت ماشيتهِ اكثر من عنايتهِ بالمزروعات التي عليها المعول الاول في سداد الايجار· ومنهم من يتحرى ان يأخذ من حاصلاتها اقصى ما تستطيعهُ

لمدةٍ بلا مبالاة بسداد اجرتها · و يعتمد جمهورهم في الاعتذار عن ذلك بالمبالغة في بيان الضرر الذي يلمُّ بالزروع من الامراض التي تصيبها وقولهم ان حاصلاتها ضعفت ضعفاً حال بينهم و بين القيام بسائر فروض الواجب الذي يزعمون كذباً انهم حريصون عليهِ

ومن الملاَّك من يُغالي في تسعير اجرة ارضهِ اكثر مما تستحق · ومنهم من لا يعذر المستأجر اذا قامت بيّنات المعذرة في المواسم المحلة ومنهم من يبلغ بهِ الطمع والقساوة ان يأكل حقوق المستأجر بالباطل و يضيق عليهِ تكبراً وتعنتاً حتى بالحجز على متاع اهلهِ

حالٌ سيئة من الفريقين ومغالبة جاهلة بينهما آلت الى استشراء دواعي سوء الظن والحذر فيهما · وعلاج ذلك في رجوع كل منهما الى صوابهِ ومصلحتهِ بالقيام بواجبهِ تماماً وادراك علاقتهِ بالآخر حق الادراك والتاكد من تلازم مصلحتيهما معاً بدون تنافٍ ولا تغاير عند النظر الصحيح او النتائج الاكيدة

ان تفريط المستأجرين في حقوق المالك يحملهُ على تضييق دائرة معاملاتهِ معهم وانتهاج منتهى الشدة والحذر في علاقتهِ بهم · و يكون تعبهُ من هذه الحالة كثيراً الاَّ ان خسارتهم وتعبهم منهُ اكثر فان اجتهاد المستأجر واستقامتهُ اكبر الاركان في رأس مالهِ وحسن الثقة بهِ فتفريطهُ فيهما تفريطهُ في وجودهِ كمستأجر فيظل طريداً بين مزرعة ومزرعة « لا يستقر على حال من القلق »

وان افراط المالك في تقدير حقوقهِ قِبَل مستأجريهِ وفي انصرافهِ عن رعايتهِ اياهم الرعاية التي تقتضيها الحاجة الماسة يرهقهم مالياً و يفسدهم ادبياً فتضعف قدرتهم وتنقبض نفوسهم عن العمل وتسوء حالهم و بالتالي تسوء حال غلة ارضهِ ايضاً

ان فلاحي الاطيان هم الاداة الاولى في فلاحتها وانتاجها فكلما كانت هذه الاداة اقوى واحكم كان اثرها اوفر وانجح والفائدة في هذين عائدة على المالك قبل المستأجر كما هو مشاهد في حال طائفتين من المستأجرين احداهما عند مالك حصيف الرأي ينظر الى الامور من جميع جهاتها وثانيتهما عند آخر ليس شأنهُ كذلك

لما كسد موسم القطن عام سنة ١٩١٤ وحظرت الحكومة زراعتهُ في ازيد من ثلث الارض بدل نصفها طالب المستأجرون الملاك بتخفيض اجرة الارض حسبما يقتضيهِ هذا التغيير بما ان زرعة القطن هي الزرعة الاهم ربحاً وعملاً في الدورة الزراعية فانكر هؤلاء عليهم ذلك وجرى البحث في اي الفريقين على حق في طلبهِ فكتبت مقالة في هذا الموضوع نشرت في مقتطف يناير سنة ١٩١٥ جاء فيها :

« قام التأجير على ان القطن اهم وارجح محصول في الدورة الزراعية وهذا هو الواقع الذي لا مشاحة فيهِ ولذلك تشارط الملاك والمستأجرون على ان ايفاء معظم الايجار يكون ابان جنيهِ وقيدت زراعتهُ بقيود لم تقيد بها زراعة اخرى . ومنها انهُ ان زادت كيتهُ عن النسبة المعينة وهي النصف غالباً فيكون ايجار الزيادة مضاعفاً والآن وقد طرأ من الظروف القاهرة غير العادية ما سبَّب نقص غلتهِ كما نقليل المساحة فمن اين يفي الفلاح للمالك بايجار ارضهِ ويأتي بقوت عائلتهِ او على الاقل يفرّج عن نفسهِ بالامل اذا لم يخفف عنهُ الايجار التخفيف الملائم لتقليل المساحة ؟ وَلْندع الآفات الاخرى فانها من نوع ما يألف وبعضها مما يمكنهُ تلافيهِ لو تبصر

ومن المستبعد ان يصل ريع الغلال الى مثل ما وصل اليهِ ريع القطن قبل هبوط ثمنهِ الحالي ولذلك فان كل الذين كتبوا في تفضيل الاكثار من زرعها بنسبة ما سينقص من زرعهِ بنوا حسابهم لا على رخص ثمنهِ الرخص الحاصل الآن فقط بل بارخص كما هو المنتظر ولا على تحسن ثمن الحبوب كما هو الآن بل باكثر . على ان كثيرين من العارفين لا ينتظرون ان ترتفع اثمان الحبوب عن نسبتها الحالية ارتفاعاً يؤْبه لهُ لان كثرة الطلب المفروضة سيصادفها منا كثرة العرض لشدة افتقارنا الى النقود افتقاراً يضطرنا الى البيع عاجلاً خصوصاً بعد هذا الموسم الكاسد وبالاخص ان حركة اسواقنا لا تقوم الاَّ بالنقود التي ترد من الخارج » . الخ

وينطبق هذا الكلام وبقية ما ورد في الرسالة على الارض الرواتب التي يكون القطن فيها اهم مزروعاتها وينطبق فيما عدا ما جاء بهِ عن زراعة القطن على سائر مراتب الارض سواء كانت ملقاً للحبوب أو رواتب للقصب او براري للرز اذ يجب على ملاكها من انصاف مستأجريهم ما يجب على غيرهم طبعاً

وهناك طبقة اخرى من المستأجرين الذين يكونون من اعيان اهل المزرعة او مجاوريها فيستأجرون الارض استزادة لثروتهم ورفعاً لحيثيتهم ومعيشتهم ثم يشتغلونها لحسابهم بطريقة التأجير والمشاركة او المزارعة مستعينين في ذلك برفع مستوى بعض الاجراء الناهضين فيمدونهم بالمواشي والتقاوي فيفيدون ويستفيدون . وقد يؤول الامر في هؤلاء الاجراء الناهضين اذا ساعدهم الحظ في مشاركتهم مع خاصة المستأجرين المستقيمين الى ان يرتفعوا الى طبقة المستأجرين العاديين

وعادة يكون ايجار الارض لخاصة المستأجرين باجرة اقل منها لجمهورهم لان اولئك

يأخذون اطياناً اوسع يستعينون في فلاحتها بنيرهم ولكنها استعانة تستمد كثيراً من روحها ومادتها منهم وهنا باب الفائدة لهم ولذلك تكون فائدتهم بقدر ما يبذلونهُ من حسن التدبير والمساعدة والمراقبة لمزارعيهم

احمد الالفي
مأمور زراعة

البطاطس والسماد النافع لهُ

رأينا في مجلة فلاحة البساتين وصف تجارب عديدة في تسميد البطاطس اجريت في مديرية البحيرة سنة ١٩١٥ استُعمل فيها السباخ البلدي والاسمدة الكيماوية المعروفة في هذا القطر وهي سلفات النشادر وسلفات البوتاسا والفصفات الاعلى منفردة او مجتمعة وقُدِّر فيها ثمن المحصول وثمن السماد وقوبل بمحصول الفدان الذي لم يسبَّخ فكانت النتيجة كما ترى في الجدول التالي وقد ذكر وزن السماد بالكيلو وثمنهُ بالغرش ووزن المحصول بالكيلو وثمنهُ بالغرش

السماد ومقدارهُ	ثمنهُ	المحصول	زيادتهُ	ثمن الزيادة	صافي الربح
بلا سماد	٠٠	١٥٧٠	٠٠	٠٠	٠٠
١٢٠ سلفات النشادر	١٨٦	٢٨٤٠	١٢٧٠	٠٧١١	٥٢٥
١٢٠ سلفات البوتاسا	١٢٨	٢٣٣٠	٠٧٦٠	٠٤٢٥	٢٨٧
٣٠٠ اعلى فصفات	٠٩٥	٢٢٥٠	٠٦٣٠	٠٣٨٠	٢٨٧
٢٠٠ غيط سباخ الغنم	٤٠٠	٢٣٥٠	٠٧٨٠	٠٤٣٦	٠٣٦
١٢٠ سلفات النشادر ١٢٠ سلفات البوتاسا	٣٢٤	٣٤٩٠	١٩٢٠	١٠٧٥	٧٥١
١٢٠ سلفات النشادر ٣٠٠ اعلى فصفات	٢٧٩	٣١٤٠	١٥٧٠	٠٨٧٩	٦٠٠
٨٠ سلفات النشادر ٢٠٠ اعلى فصفات ١٠٠ غبيط زبل غنم	٣٨٦	٣٢٦٠	١٦٩٠	٠٩٤٦	٥٦٠
٨٠ سلفات النشادر ٨٠ سلفات البوتاسا ١٠٠ غبيط زبل غنم	٤١٦	٣١٩٠	١٦٢٠	٠٩٠٧	٤٩١

وواضح من ذلك ان ١٢٠ كيلو من سلفات النشادر تزيد المحصول ١٢٧٠ كيلو من البطاطس فاذا بيعت هذه الزيادة بارخص ثمن وهو كل مئة كيلو بسعر ٥٦ غرشاً بلغ ثمنها بعد طرح ثمن السباخ ٥٢٥ غرشاً واما سلفات البوتاسا فلا يبلغ صافي ثمن الزيادة من التسبيخ بها سوى ٢٨٧ غرشاً وكذا التسبيخ باعلى فصفات واما زبل الغنم فلا فائدة تذكر منهُ ·
واكبر فائدة جاءت من التسبيخ بسلفات النشادر وسلفات البوتاسا معاً اذ بلغ صافي ربح الفدان ٧٥١ غرشاً وبلغ محصولهُ ٣٤٩٠ كيلو · واذا بيع الكيلو بغرش كما يباع الآن بلغ ثمن محصول الفدان ٣٤٩٠ غرشاً يطرح منها ثمن السماد وهو الآن نحو ٣٥٠ غرشاً فيبقى ٣١٤٠ غرشاً وهو ربح كبير من زراعة البطاطس

والارض التي اجريت فيها التجارب المتقدمة طينية رملية وكانت رطبة حينما سمدت وزرعت لانها كانت قد مطِرَت قبل ذلك بخمسة ايام · وآخر مرة رويت قبل ذلك كان في اواسط نوفمبر سنة ١٩١٤ وكانت زراعتها السابقة ذرة وكان سمادها السابق سباخاً بلديًّا · وتقاوي البطاطس التي زرعت فيها أُتي بها من قبرص وهي من الحجم المتوسط ومتوسط وزن الراس منها ٣٢ غراماً ولم يقطع حين زرعهِ وبلغ ما زرع في الفدان ٤٧٢ كيلو · وزرعت الرؤُوس في اسفل الخط وجعل البعد بين الراس الواحد والآخر ٣٥ سنتمتراً وكان البعد بين الخط والآخر ٨٨ سنتمتراً

ونثر السماد الكيماوي في اسفل الخط (واذا كان معهُ سباخ بلدي نثر قبلهُ) ووضعت الرؤُوس فوق السماد ثم طمر الخط من جانبيه

تقاوي القطن المخوبة

جاءتنا رسالة من الخواجه اسكندر نصره الفني الزراعي قال فيها انهُ استنبط طريقة فنية لنخب بزور القطن السليمة وفصلها عن البزور السقيمة وذلك بحسب جوهرها لا باعتبار منظرها السطحي فقط كما هو جارٍ الآن · وان طريقتهُ هذه تطهر البزور المخوبة من جراثيم الامراض الفطرية والحشرات الطفيلية بمادة غير سامة وذلك بمعالجتها بمصل مطهر ومقاوم للآفات وانهُ يبيع الاردب من التقاوي المخوبة كذلك بثلاثة جنيهات ويكفي حينئذٍ ان تزرع ثلاث حبات فقط في كل نقرة · وقال ان في يدهِ كتابات من الذين جربوا زرع ثلاث حبات فقط في النقرة من تقاويهِ وهي شاهدة بان محصولها كان جيداً جداً · وقد قال في هذه الرسالة ان مساحة الفدان ٤٢٠٠ متر مربع او نحو ٦٥ متراً طولاً في مثلها عرضاً · وقد جرت عادة

المزارع ان يقسم كل قصبتين الى تسعة خطوط فيكون البعد بين الخط والآخر ٨٠ سنتمتراً وعليهِ فيكون في الفدان المربع ٨٠ خطاً . والعادة ايضاً ان يجعل البعد الواسع بين النقر ٥٠ سنتمتراً والمتوسط ٣٥ سنتمتراً والضيق ٢٥ سنتمتراً فيكون عدد النقر في الخط حسب البعد الاول ١٢٨ وحسب البعد الثاني ١٨٢ وحسب البعد الثالث ٢٦٥ . و يكون عدد النقر في الفدان حسب البعد الاول ١٠٢٤٠ وحسب البعد الثاني ١٤٥٦٠ وحسب البعد الثالث ٢٠٤٨٠ . واذا طرحنا العشر من كلٍّ منها لاجل المراوي والجسور بقي من العدد الاول ٩٠٠٠ ومن الثاني ١٣٠٠٠ ومن الثالث ١٩٠٠٠

واذ قد ثبت لهُ بالتجارب انهُ يمكن وضع ثلاث بزرات فقط في كل نقرة تغني عن البزور الكثيرة التي تزرع عادة فيكون عدد البزور الكافية لزراعة الفدان الاول ٢٧٠٠٠ ولزراعة الفدان الثاني ٣٩٠٠٠ ولزراعة الفدان الثالث ٥٧٠٠٠

ثم ان الاردب من بزرة القطن المنخوبة جيداً يجب ان يكون فيهِ مليون بزرة فعليهِ يكون في الكيلة ٨٣٣٣٣ بزرة فاذا وضعنا في كل نقرة ثلاث حبات فالفدان يكفيهِ ثلث كيلة في الزراعة الواسعة التي البعد بين نقرها ٥٠ سنتمتراً ونصف كيلة في الزراعة المتوسطة التي البعد بين نقرها ٣٥ سنتمتراً وثلاثة ارباع الكيلة في الزراعة الضيقة التي البعد بين نقرها ٢٥ سنتمتراً

وثمن الاردب من التقاوي المنخوبة يساوي ثلثمائة غرش كما تقدم فثمن التقاوي اللازمة للفدان البعيد النقر ١٠ غروش فقط والمتوسط النقر ١٢ غرشاً والقريب النقر ١٦ غرشاً

اما التقاوي غير المنخوبة فيزرع منها في الفدان البعيد النقر كيلتان ونصف وفي المتوسط النقر ثلاث كيلات ونصف وفي القريب النقر اربع كيلات ونصف . وثمن اردب التقاوي غير المنخوبة نحو ١٥٠ غرشاً فيكون ثمن تقاوي الفدان الاول ٣٠ غرشاً وثمن تقاوي الفدان الثاني ٤٢ غرشاً وثمن تقاوي الفدان الثالث ٥٦ غرشاً فيكون الوفر من استعمال التقاوي المنخوبة ٢٠ غرشاً في الفدان الاول و٣٠ في الثاني و ٤٠ في الثالث هذا فضلاً عن ان التقاوي المنخوبة تكون سليمة ومطهرة ومحصولها اوفر واجود . ونخبها يدعو الى تقليل انتشار الدودة الحمراء التي تكون في البزر غير المنخوب ويدعو ايضاً الى التبكير في نضج المحصول . فعسى ان تأتي التجارب مؤيدة لكل ما تقدم

الخبز من القمح والذرة

ثبت بالامتحان في بلاد الانكليز انهُ اذا خلط دقيق القمح بعشرهِ من دقيق الذرة كان منهُ خبز جيد قلما يفرق عن الخبز الذي يصنع من دقيق القمح وحدهُ

المنافسة في تربية الدجاج

طلبت مصلحة الزراعة في فكتوريا باستراليا من مربي الدجاج ان يتناظروا في مقدار ما تبيضهُ دجاجهم في السنة ففاز شخص عندهُ ست دجاجات من النوع المسمَّى باللغهرن الابيض فانها باضت ١٦٩٩ بيضة في السنة اي كان متوسط ما باضتهُ الدجاجة منها ٢٨٣ بيضة وتلاهُ شخص عندهُ ست دجاجات من النوع الكبير باضت ١٥٦٢ بيضة في السنة . وكان عدد الدجاج التي دخل اصحابها في هذه المناظرة ٥٨٨ دجاجة وكان متوسط بيض الواحدة منهنَّ في السنة ٢٠٧ وكان النوع الصغير منها ٤١٤ دجاجة فقط متوسط بيض الواحدة منها ٢١٦ . والنوع الكبير ١٧٤ دجاجة متوسط بيض الواحدة منها ١٨٥ بيضة

وامتحنت سنة ١٩١٥ اطعام الدجاج طعاماً مبلولاً او ناشفاً فالطعام المبلول كان مؤلفاً من الرضة وجريش بعض الحبوب اضيف اليها مرق الكبد وشيءٌ منها مفروم وقدم هذا المزيج الى الدجاج وهو سخن او فاتر لكل دجاجة ٢٤ درهماً في الصباح و١٢ درهماً الظهر مع نباتات خضراء من البرسيم والبنجر واطعمت ايضاً ٢٤ درهماً من جريش الذرة او القمح في المساء وقليلاً من البصل مرةً كل اسبوع

والطعام الناشف كان مؤلفاً من النخالة وجريش الحبوب وقشورها والدبس الجاف او السكر الاسود والكبد المطبوخة المملحة . و بلغ ما اطعمتهُ كل دجاجة من ذلك ٢٤ الى ٢٦ درهماً واطعمت معهُ كثيراً من البنجر والبرسيم في وسط النهار

فكانت النتيجة ان الدجاج الخفيف الذي اكل الطعام الرطب بلغ متوسط بيض الدجاجة منهُ ٢١٩ بيضة في السنة والذي اكل الطعام الجاف بلغ بيض الدجاجة منهُ ٢١٠ بيضات . والدجاج الثقيل الذي اكل الطعام الرطب كان متوسط بيض الدجاجة منهُ ١٩٤ والذي اكل الطعام الجاف ١٦٩ بيضة . وكان المتناظرون قد اطعموا احسن دجاجهم الطعام الرطب فثبت ان الطعام الجاف اقل تعباً وتزيد قوة الدجاج بهِ ويصير ريشها اعلق ببدنها

واعيد الامتحان سنة ١٩١٦ فكانت النتيجة ان الدجاج الخفيف الذي أُطعم الطعام الرطب بلغ متوسط بيضهِ ٢٢٦ بيضة في السنة والذي اطعم الطعام الجاف بلغ متوسط بيضهِ ½ ٢٢٠ بيضة واما الدجاج الثقيل الذي اطعم الطعام الرطب فبلغ متوسط بيضهِ ½ ٢٠٠ فقط

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

الاقتصاد الاقتصاد

الاقتصاد في المأكل والمشرب والملبس وسائر النفقات صار من الزم اللوازم بعد ان غلت الحاجيات والكماليات كلها حتى بلغ ثمن بعضها ثلاثة اضعاف ما كان قبل الحرب . فاردب الحنطة يباع الآن بثلاثة جنيهات الى ثلاثة ونصف وكان ثمنهُ قبل الحرب جنيهاً الى جنيه وربع وقس على ذلك اكثر الحاجيات

والاقتصاد في الطعام في مقدارهِ ونوعهِ لا يضرُّ الاَّ الفقراء الذين لا يزيد طعامهم على حاجة ابدانهم فهؤُلاء لا يحسن ان يقللوا ما يأكلونهُ الآن من الخبز والادام القليل الذي يكتفون بهِ ولكن كل الاغنياء والاواسط يأكلون اكثر مما تحتاج اليهِ ابدانهم من حيث الكمية ويأكلون ما يمكن الاستغناء عنهُ بغيرهِ من الطعام الرخيص من حيث النوع فلا داعي مثلاً لاكل اللحم مرتين في النهار ولا لاكلهِ كل يوم فان اكثر سكان هذا القطر لا يأكل الواحد منهم اللحم مرةً في الاسبوع ولا مرةً في الشهر وهم مع ذلك اقوى بنية واجود صحة من الذين يأكلونهُ مرتين في اليوم . وقس على ذلك الاطعمة الغالية الثمن فالفاكهة التي ترد من اوربا كالموز والتفاح والخضر النادرة كالهليون والفطر هذه كلها يمكن الاستغناء عنها لاسيما وان الامتناع عنها لا يضرُّ احداً وقد ينفع كثيرين

والاكثار من الطعام فوق حاجة الجسم يضرُّ كل احد . ويظهر من نبذة اخرى في هذا الجزء ان متوسط عمر الكهول والشيوخ نقص في اميركا واستراليا بسبب اكثارهم من الطعام

ولا يخفى ان الفلاح الذي يعمل نهارهُ كلهُ ويعيش سنين كثيرة وهو على اتم الصحة والقوة وقلما يمرض لا يكلفهُ طعامهُ في اليوم غرشين . وما يكفيهِ من الطعام يزيد عمَّا يكفي غيرهُ من سكان المدن في كميتهِ ولا ضرر منهُ لاحد في نوعهِ . فباب الاقتصاد من قبيل الطعام واسع جدًّا وفي هذا الاقتصاد فائدة كبيرة صحيًّا وماليًّا

والشراب على انواعهِ لا لزوم لهُ ولا فائدة منهُ وقد يكون منهُ الضرر الكبير ولا سيما الاشربة القوية الغالية الثمن كالشمبانيا والكنياك والخمور الثمينة فهذه كلها يجب الاقلاع عنها والاكتفاء بشرب الماء

وما يقال عن الطعام والشراب يقال عن اللباس الغالي الثمن ولا سيما ثياب النساء التي يقصد بها مجرَّد الزينة لا لان التأنق في الملبس يضرُّ كما يضرُّ الاكثار من الطعام والتأنق فيهِ بل لانهُ يدعو الى نفقة كبيرة يمكن الاستغناء عنها بسهولة

وقس على اللباس سائر طرق الانفاق الاخرى كاقتناء المركبات والاتوموبيلات والدهبيات وابتياع الحلى على انواعها

ولا يراد بذلك كلهِ ان لا ينفق ذو سعة من سعتهِ فان الغني اذا انفق من غناهُ على ما لا يضرهُ يُحسن عملاً لانهُ يوزع المال في الغالب على المحتاجين اليهِ وانما يراد بهِ ان لا ينفق الانسان فوق طاقتهِ سواء كان انفاقهُ على ما يضرهُ او ما لا يضرهُ ولا ينفق مطلقاً على ما يضرهُ ولو كان في امكانهِ الانفاق عليهِ

الكراويا

الكراويا بزر معروف يشبه بزر الانيسون الذي يسمى عادة اليانسون والكلمة فارسية الاصل منقولة الى اللغات الاوربية بلفظها مع تحريف قليل لا بدَّ منهُ . وتستعمل الكراويا في اوربا لعمل ماء الكراويا وزيت الكراويا وهما يتخذان علاجاً للمغص والتطبل في الاولاد فاما ان يسقى المغوص ملعقة من الاول او يطعم قطعة سكر صغيرة نقطت عليها نقطتان من الثاني . وكثيراً ما يخلطون الدقيق بحبّ الكراويا في عمل بعض انواع الخبز . اما في سورية فيستعملون الكراويا في اعداد نوع من الحلواء يسمى المغلي وذلك يكون غالباً عند ولادة مولود ذكر . اما اذا كان المولود انثى فقلما يعنون بها شأنهم في ذلك شأن ام الارض طراً

والمغلي مؤلف من كراويا مسحونة ورز مدقوق وقرفة وسكر تمزج على نسبة معلومة وتطبخ على النار حتى تصير كثيفة القوام كالعصيدة ثم تصبُّ في الآنية وتوضع « القلوبات » على وجهها من لوز وجوز وفستق وصنوبر . ومنهم من يدخل الانيسون والزنجبيل في المغلي مع قليل من ماء الزهر او الورد

وقد اورد ابن البيطار الكراو يا بالالف كما نلفظها ولكن القاموس ينصّ على انهما بالالف من الفاظ العامة . وفي القاموس الفارسي كتبت بلا الف . ومما قالهُ ابن البيطار عنها نقلاً عن جالينوس انها تطرد الرياح وتدر البول . وعن ديسقوريدس انها تهضم الطعام . وعن ابن ماسويه انها مقوية للمعدة عاقلة للبطن . وعن الطبري انها تنفع من الريح التي تهيج الامعاء . وعن الرازي انها طاردة للرياح مجشئة تلطف الاغذية الغليظة وتحلل النفخ وتصلح اكثر الاغذية النافخة كالمليون والحرشف والباقلاء والجزر والقنبيط . انتهى

والحرشف (او الخرشف كما ورد في اماكن اخرى) هو الخرشوف . والباقلاء الفول . والقُنَّبيط القرنبيط

السِّمَن

السِّمَن هو زيادة تجمع الدهن تحت الجلد وحول بعض الاحشاء . ولا بدّ لكل جسم صحيح سويّ من مقدار من الدهن كثر او قلّ لقضاء وظائفهِ ولاستكمال شروط الحسن والجمال . وقد يكون الشخص كثير السمن ومع ذلك تراهُ صحيح الجسم نشيطاً خفيف الحركة كبير الهمة . ولا يحسب السمن مرضاً الاَّ اذا زاد زيادة مفرطة و بسرعة عظيمة

وقد يتحمل الجسم من الدهن ما يفوق حدّ التصوّر . فمن السمان شابٌّ مات في التاسعة والعشرين من سنهِ بعد ان بلغ وزنهُ ٦١٦ رطلاً ووزن الرجل العادي ١٦٠ رطلاً الى ١٨٠ . ومات شابٌّ بالسمن وهو ابن ٢٢ سنة وثقلهُ ٦٤٣ رطلاً . وبلغت بنت الرابعة من عمرها وزنتها ٢٥٦ رطلاً . ولكن اسمن رجل ذكرهُ التاريخ رجل انكليزي بلغ ثقلهُ ٧٣٩ رطلاً وعرَض نفسهُ للناس قبل موتهِ ببضع سنين ليتفرجوا عليهِ مقابل جُعْل فرضهُ عليهم . ومما يدلُّك على ضخامة جثتهِ ان صدرتهُ كانت « تبكّل » على سبعة رجال بالحجم العادي . وكان معتدلاً في اكلهِ لا يشرب الاَّ الماء و ينام اقل من القدر المعتاد

والسِّمَن طبيعي في بعض الافراد والامم تبعاً للمزاج والسنّ . فاصحاب الامزجة البلغمية الدموية مثلاً يسمنون واصحاب الامزجة العصبية الصفراوية لا يسمنون . وفي الاقاليم الحارة كثيراً ما يسمن الرجال والنساء بعد مجاوزة الثلاثين من سنهم . واليك جدولاً بمتوسط ثقل الرجل الصحيح البنية وقياس محيط صدرهِ وهو في سن الثلاثين على اختلاف في الطول والقصر . على انهُ قد يزيد عن هذا المقياس او ينقص عنهُ و يكون صحيح البنية معافى

الطول بالسنتمتر م	س	الثقل بالرطل	محيط الصدر بالسنتمتر
١	٥٢ $\frac{1}{2}$	١١٢	٨٥
١	٥٥	١١٦	٨٦ $\frac{1}{2}$
١	٥٧ $\frac{1}{2}$	١٢٦	٨٨ $\frac{1}{2}$
١	٦٠	١٣٣	٨٨ $\frac{1}{2}$
١	٦٢ $\frac{1}{2}$	١٣٩	٩١ $\frac{1}{2}$
١	٦٥	١٤٢	٩٤
١	٦٧ $\frac{1}{2}$	١٤٥	٩٥ $\frac{1}{4}$
١	٧٠	١٤٨	٩٦ $\frac{1}{2}$
١	٧٢ $\frac{1}{2}$	١٥٥	٩٧ $\frac{3}{4}$
١	٧٥	١٦٢	٩٩
١	٧٧ $\frac{1}{2}$	١٦٩	١٠٠ $\frac{1}{4}$
١	٨٠	١٧٤	١٠١ $\frac{1}{2}$
١	٨٣	١٧٨	١٠٢ $\frac{3}{4}$
١	٨٥ $\frac{1}{2}$	١٨٢	١٠٤

والجدول محسوب فيهِ ثقل الملابس وهذا يحسب عادة $\frac{1}{24}$ من ثقل الجسم · واذا زاد العمر على الثلاثين وجب زيادة ثلاثة ارطال لكل اربع سنين لان ثقل الجسم يبقى على ازدياد حتى دور الشيخوخة

وقد اختلفت الآراء في اسباب السّمن فعُرف البعض وجهل البعض الآخر ولكن اتضح انهُ وراثي في بعض العائلات وان الوراثيّ لا ينجع فيهِ احتياط ولا علاج · على ان بعض العادات يزيد السمن · فمماً يزيدهُ ترف المعيشة وقلة الحركة والافراط في النوم واكل المواد النشوية والسكرية بوجه خاص وشرب السوائل على انواعها وخصوصاً المشروبات الروحية وخلوّ البال · اما كون المشروبات الروحية تزيد السمن فسببهُ اولاً ان بعضها كالبيرة مثلاً يحتوي على كثير من السكّر وثانياً ان بعض حرارة الجسم يتولد من شرب

الكهول فيقلّ ما يحلّهُ الجسم من النشا والسكّر اللذين يتغذى بهما فيتحول كلهُ دهناً

ومن العقاقير ما يساعد على توليد الدهن في الجسم كالزرنيخ والزئبق وعليهِ ترى الذين يتناولون احد هذين العقارين مدة طويلة مائلين الى السمن

وسنأتي في عجالة اخرى على مضار السمن وطرق علاجهِ

العمران وعمر الكهول والشيوخ

ظهر من الاحصاء ان الكهول الذين عمرهم من ٤٥ سنة الى ٥٤ زادت وفياتهم في نيويورك في العشر السنوات الاخيرة اثنين في المئة . والشيوخ الذين عمرهم ٥٥ الى ٦٤ زادت وفياتهم نحو ٧ في المئة وذلك بعد ان كانت وفيات الكهول قد نقصت بين سنة ١٨٥٠ و ١٩٠٠ سبعة ونصف في المئة ووفيات الشيوخ سبعة وثلاثة اخماس في المئة . ومن رأي الدكتور بلدوان مدير مصلحة التعليم الصحي في اميركا ان سبب زيادة الوفيات الآن هو كثرة الانهماك في الاشغال والاكل . ومنذ مدة وجيزة انتدبت حكومة استراليا لجنة لتبحث عن سبب ازدياد الوفيات بين الكهول والشيوخ في بلادها فوصلت الى هذه النتيجة ايضاً وهي ان سبب زيادة الوفيات الانهماك في الاشغال والاكثار من الطعام

اجور الغناء والرقص والتمثيل

روى المؤرخون انهُ لما الّف ابو الفرج الاصبهاني كتاب الاغاني قدمهُ الى سيف الدولة ابن حمدان المشهور بكرمهِ فاجازهُ بالف دينار اي نحو ستمائة جنيه ولعلَّ ابا الفرج اشتغل في تأليفهِ سنين عديدة فانظر الفرق بينهُ وبين المغنين والمغنيات والرقاصات في هذا العصر فان هري لورد المغني ذهب منذ عهد قريب الى اميركا ليغني فيها وكان يعطى الف جنيه كل اسبوع وعُرض عليهِ مرةً ثمانمئة جنيه في الاسبوع فرفضها . ومثل ذلك الرقاصات في المشاهد العمومية فان المشهورات تعطى الواحدة منهنَّ ٢٥٠ جنيهاً الى ٧٥٠ جنيهاً في الاسبوع وقد كانت الرقّاصة بفلوفا تأخذ ٧٥٠ جنيهاً كل اسبوع في اميركا . وسيسيليا لفتس التي تقلّد الناس تأخذ ٢٥٠ جنيهاً كل اسبوع ومس فستا تلي تأخذ ٣٥٠ جنيهاً في الاسبوع ومسس ادا ريفس ٢٥٠ جنيهاً . ولما زارت ماري لويد اميركا اعطي زوجها ٦٠٠ جنيه في الاسبوع لكي يقف في مشهد التمثيل . وبلغت اجرة مسس ايثل لافي ٥٠٠ جنيه في الاسبوع

ركوب الاخطار لاجل الصور المتحركة

من العجب ما فعلتهُ الممثلات لاجل الصور المتحركة ان سيدة اسمها مس هلن جبسن طارت بطيارة الى ان صارت على عشرين قدماً فوق الارض ثم وثبت منها الى قطار من قطارات البضاعة جارٍ بسرعة فوقعت في مركبة مملوءة تبناً . ووثبت مرةً اخرى من سقف محطة الى قطار ركّاب وهو جارٍ بسرعتهِ . ووثبت مرةً ثالثة من قطار ركّاب الى قطار آخر وهما جاريان في جهتين متقابلتين ذلك كلهُ لكي تصوَّر وهي واثبة لاجل الصور المتحركة



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براء منهُ كلهِ . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوَّلة

انتحال المعاني الشعرية

سيدي محرر « المقتطف »

قرأتُ ملتذاً رسالة الاستاذ عبد الرحمن شكري في موضوع انتحال المعاني الشعرية وانتقاد شعر المازني فاكبرتُ شعورهُ بالواجب نحو الادب دون تحيز بحكم صداقةٍ او قرابةٍ في المذهب الشعري وهذه صفة تكاد تكون معدومة في مصر لانها فوق الشجاعة الادبية ذاتها التي تُعتبر على نُدْرتها بيننا من نقائص الاخلاق العصرية

ويلوح لي انَّ بين الاسباب التي دفعت شكري افندي الى الجهر بتلك الملاحظات غيرتهُ على حسن سمعة صديقهِ المازني الذي ابدع ايما ابداع في ديوانهِ الصغير باكورة ثمارهِ الشهية وظهر بين اقطاب الشعر الحديث الذي تتكسر فوق دروعهم نبال الجامدين . وقد كاد هؤُلاء الجامدون الابطال يخنقون الموقعة كما خنقها من قبل شوقي ومطران وغيرهما ممن حرَّروا الشعر العربي بعد اعتقالهِ الطويل

الشعر العربي آخذ في تدرج راقٍ سريع ولشكري وامثالهِ منةٌ كبيرة عليهِ للروح الجديدة العالية التي نفخوها فيهِ وهو يُعذر اذا خشي ان تعبث المواصف بجهوداتهِ ومجهودات أقرانهِ فقال كلمة نصح وتحذير · ولكن اقتدار المازني المشهود بهِ ضمينٌ بفوزهِ مها عُدّتْ لهُ العثرات وما الابتكار بعزيز على خاطرهِ الفيَّاض بالآيات البينات · ومها شابهت نغماتهُ انغام غيرهِ ففضلهُ في النقل عظيم وفضلهُ في الاعتراف بالحق عند تبيّنهِ اعظم وهو اذا احترس في المستقبل من اغاليط تعوَّدها اضاف الى حسناتهِ حسنات خالصة وانصف نفسهُ واهل حزبهِ والادب والعلم

يقول حضرة الكاتب: «لقد كاد يُعدُّ الاطلاع على آداب الغرب جريمة وتهمة في اعين الادباء اذ انهُ مظنة السرقة وذلك لانَّ بعض الشبان لا يدين بدين الملكية في الآداب» وهي ملاحظة غريبة اذ المعروف ان الادب الغربي مكروه بين جاهليهِ في مصر لا لانهُ مظنة السرقة بل تبعاً للقاعدة المتَّبعة وهي كره ما يُجهل كما لا يُستحبّ لدى من لا يفقهون منهُ الاَّ القشور ولدى مَنْ ينفرون من كل ما لم يألفوهُ نفوزهم مثلاً من القبعات مها عُدّتْ أنسب وانفع من العمائم · والادبُ الغربيُّ ذخيرة جواهر لا تحصى ولكن ثمينها مشهور لا يجسر احدٌ على سرقتهِ وان تجاسر على التقليد معترفاً بهِ وهذا ما لا يُعاب بل هو مما يمدح لانهُ من وسائل الاصلاح الادبي ومن طُرق الاغراء على التدين بارجح المذاهب وليست كل اشعار الغربيين المشهورين ولا معظمها من المعجزات الخالدة ولاسيما اشعارهم العصرية · واسباب نهوضهم بشعرهم هي عين الاسباب لرقيهم في كل شيء من مظاهر حياتهم · وكذلك كان شأن الشعر العربي في ايام عزتهِ بين العباسيين والاندلسيين · فعلامَ يُعدّ الاطلاع على آداب الغرب مظنة السرقة وحسنات تلك الآداب لا يجسر على سرقتها واخفائها طويلاً امهر اللصوص كما انها ليست كلها بالحسنات

طالما تمتعتُ بالاطلاع على شعر كبلنج ونثرهِ معجباً بعبقريتهِ الفذَّة ومع هذا فقد سئمتُ مراراً من مبتذلاتهِ وتافه اقوالهِ · خُذْ مثلاً قصيدتهُ الحديثة المنشورة في «كتاب الاميرة مريم» التي يقول في مطلعها:

«الى اين اتّجاهكِ يا خلايا[1] بحم انجلترا فوق البحار ؟»

واني أُوثر عليها اية قصيدة من نظم شاعرنا حافظ الذي طالما عيب عليهِ ضعف خيالهِ

---

(١) الخلية: السفينة الكبيرة

وعدَّت اكثر قصائده مقالات صحفية منظومة . فمظنة السرقة من آداب الغرب باطلة والسارق على ايّ حال يجني على نفسهِ جناية عاجلة واذا كان بين الشبان عدد ضئيل لا يدين بدين الملكية في الآداب فاحسن علاج لهم التقريع العلني

والواجب ان يُحبَّب الى المتأدبين الاطلاع على الادبيات الغربية ليستهدوا لا ليضلوا بها لانها نمت في ظلّ مدنية اهلها وتشبَّعت بفلسفتهم وأخلاقهم وعوامل رفعتهم . والشاعر المحل في كل عصر ليس بموسيقيّ ناظمٍ فقط بل هو حكيم مؤرخ عالم مرشد لا يُسبَر لاطلاعهِ وتصوّرهِ غور ولا تحدُّ دائرة نظرهِ البعيد

ترجمة الشعر الغربي ترجمة دقيقة مع الامانة التامة ليست من الامور الهيّنة ان لم تكن من المستحيلة وان قلَّت مشقتها في الشعر المرسل وربما كان لبعضنا مشجّعٌ على التعريب من موضوع القصيدة مثل قصيدة « ذكرى الف ليلة وليلة » للشاعر الانجليزي تنيسون ولكن قلما يكون النجاح نصيبهُ في الترجمة المستوفاة . ومع انّ العقاد قد ابدع في تعريب قصيدة الوردة لكوبر فترجمتهُ ليست بالدقيقة . فاذا كان المازني مَنْ تُعدّ عندهُ هذه الموهبة فانهُ يخدم الآداب العربية خدمة جليلة لو توفق الى نقل ديوان او اكثر من دواوين الشعر الغربي المشهورة التي تستهويهِ الى حدّ ايقاعهِ بين الحفظ والنسيان وربما تيسر لهُ حينئذٍ ان يأمن من الزلل ويبرّ بوعدهِ مطمئناً

اختم تعليقي هذا بكلمة اطراء لكتاب « الذخيرة الذهبية » الذي اشار اليهِ شكري الندي فانهُ حقيقٌ بكل متأدب يعرف الانجليزية ان يزين بهِ مكتبتهُ لانهُ جامعٌ على ايجازهِ وبالرغم من ثمنهِ الزهيد لنخبةٍ من انفس شعر الانجليز وان كانت قاصرة على ابواب معينة ولهُ رواجٌ واسعٌ اينما قُرئت الانجليزية وان تعددت كتب المنتخبات التي تحاكيهِ . وكنتُ تشرفتُ منذ سنتين باهدائهِ الى احد شعراء النيل قُبَيل عيد ميلادهِ فكتبت الابيات الآتية على جلدتهِ ولا اظنّ اني بالغتُ في تقريظ هذه المجموعة الشعرية الثمينة :

يا ناحتَ الشعر تمثالاً سجدتُ لهُ ... لا زال شعركَ مرفوعاً كتمثالِ
هذا بعيدكَ قربانٌ أقدّمهُ ... وعيدُ مثلك تعييدٌ لأمثالي
اذا قنعتَ بما يحويهِ من طُرَفٍ ... فقد جعلتَ كلينا مُسعَدَ الحالِ
أو شِمتَ فيهِ شفاء النفس من ألمٍ ... نصفتَ سمعةَ مَن عُدّوا كأبطالِ
وانما بطلٌ كلُّ امرئٍ خلقتْ ... آثارهُ فخرَ تاريخٍ وأعمالِ
هزّوا مواطنهم هزّاً لمكرمةٍ ... ورنحوها باحلى الشدوِ والقالِ

وخلّفوا بعدهم ذخراً وموعظةً ومتعةً وهوًى ما ليس بالبالي
انتَ الحريُّ بسفرٍ كلهُ ذهبٌ فانهُ لم يعشْ الاَّ لاجلالِ
فليس وقفاً على رمسٍ يغيب بهِ وليس قصراً على سلمى وأطلالِ
تعلّمَ البلبلُ المشوقُ منطقهُ من بعضهِ شكرَ اسحارٍ وآصالِ
وحيّرَ الذهنَ فيّاضُ الخيالِ بهِ كأنهُ لم يكنْ قد مرّ بالبالِ
فاسبكهُ في قالبٍ يحيا القريضُ بهِ فانهُ من معالي وحيك الغالي
وأنثرهُ للناس تبراً يفتنون بهِ فاننا فقراءُ العلمِ والمالِ
هديةٌ ان تكنْ قلّتْ بقيمتها فانها صفو أحلامٍ وآمالِ
مآثرٌ من دواوين الأُلى عرفوا سرَّ الطبيعةِ فاحفظها كأمثالِ
فانتَ طائرُ وادي النيل منبسطاً وذي أغاريدُ ابحارٍ وأجبالِ
لها لدى الغرب تقديسٌ وتكرمةٌ كما لقولكَ فينا مجدُهُ العالي
يجري البيانُ بها حرّاً لمجزةٍ وما بها غيرُ احسانٍ واجمالِ
عرفتَ بالأدب الشرقيّ مفتتناً فانظرْ لوجه اخيهِ الباسمِ الحالي
ليس الجمالُ لهُ حدٌّ يُحدُّ بهِ وايُّ خالدِ قولٍ من سناً خالِ
متّعْ فؤادكَ بالسحرِ الذي امتلأتْ بهِ مفاخرُ (بيرون) و(مرّقالِ)
وبالكنوز التي باهى الزمانُ بها وصانها ارثَ اجيالٍ لأجيالِ
وبالحليّ التي ما زال رونقُها من مدهشات معاني الشاعر الخالي
وأعذرْ هجايَ على تقصيرِ مقتضبٍ فانّ فضل رسولي فوق اقلالي
هذا المكلّكَ تاجٌ انتَ حليتهُ وانتَ اهلٌ لتلقاهُ باقبالِ

نادي مستشفى سانت جورج احمد زكي ابو شادي
بلندن (طبيب)

المضرب والكيريبنج

حضرات اصحاب المقتطف الافاضل

لم يقنعني تفسير المضرب بالمظم الذي فيهِ المخ في القصة المروية عن عمر بن ابي ربيعة في كتاب الاغاني وقلت لا بدَّ ان يكون لهُ معنى آخر لم يذكرهُ لسان العرب

فسألت فاضلاً من علماء اليمن واشرافهم عن الكلمة وهل هي مستعملة في اليمن فقال ان الكلمة شائعة عندهم وتطلق بنوع خاص على الحق الذي يوضع فيهِ الطيب فيقولون اهدى فلان الى فلان مضرباً من العطر و بعض المضارب من الطيب

وهذا المعنى ينطبق على المقصود من الرواية · ولعلَّ الكيربخ وهي فارسية كما ذكرتم تستعمل لهذا المعنى ايضاً وكانت اكثر شيوعاً في ايام الامام ابي الفرج الاصبهاني صاحب الاغاني ففسَّر المضرب بها

وبما انَّ التذكرة التي أُرسلت الى عمر بن ابي ربيعة يقصد منها المجون فلا يبعد ان تكون النسوة اللواتي ناشدهنَّ ايام حجهنَّ قد ملأنها بدلاً من الطيب شيئاً خبيث الرائحة مما يستقبح ذكرهُ لاسيما وانهنَّ قد كتبنَ على كل واحدٍ من المضارب اسم رجل من مجَّان اهل مكة وعلى واحدٍ اسم عمر بن ابي ربيعة نفسهِ وكان هو على ما يظهر من اهل المجون كما يستدل من الرواية التالية المذكورة في الصفحة ٦٩ من كتاب الاغاني طبعة الساسي · اذ يروون عنهُ انهُ خرج يوماً يمشي متوكئاً على يدي مولاهُ وقد اسنَّ وضعف حتى مرَّ بعجوز فقال هذه فلانة فعدل اليها وجلس معها يحادثها فأطلعت رأسها الى البيت وقالت يا بناتي هذا ابو الخطاب عمر بن ابي ربيعة عندي فان كنتنَّ تشتهينَ ان ترينهُ فتعالينَ · فجئنَ الى مضربٍ قد حجزن بهِ دون بابها فجعلن يثقبنهُ ويضعنَ اعينهنَّ عليهِ ليبصرنَ فاستسقاها عمر فقالت لهُ اي الشراب أحبُّ اليك قال الماء فأُتي باناءٍ فيهِ ماء فشرب منهُ ثم ملأ فمهُ فمجَّهُ عليهنَّ وفي وجوههنَّ من وراء الحاجز فصاح الجواري وتهاربن وجعلنَ يضحكنَ فقالت لهُ العجوز ويلك لا تدع مجونك وسفهك مع هذا السن فقال لا تلوميني فما ملكت نفسي لما سمعت من حركاتهنَّ ان فعلت ما رأيت احد القراء

[المقتطف] ان تفسير المضرب بحق الطيب حسن ولكن للكيربخ الفارسية حسب قاموس رنشردصن المعاني التالية وهي نوع من التمر · وحب الكزبرة · والسمسم والارز · والغضون · والرقع لرفء الثوب · والفلفل الاسود والفضة والبازي والباشق · وليس في ذلك كلهِ ما ينطبق على معنى المضرب فعسى ان يكون بين قراء المقتطف مَن وقف على معنًى يشمل المضرب والكيربخ في احد كتب اللغة او غيرها من الكتب الموثوق بعربيتها فيتحف المقتطف بذلك · والمرجح عند بعض العارفين بمعنى اللغة ان الكلمتين متعلقتان بالموسيقى فاذا كان للكيربخ هذا المعنى فقد وضح الامر وفُضَّ الاشكال

العرّاف المصري

حضرة رئيس تحرير المقتطف

بعد السلام — ضمني و بضعة اخوان لي نادٍ تجاذبوا فيهِ حديث علم الغيب والتكهن بالمستقبل فانكرت عليهم ذلك بتاتاً لانني لا اعتقد الاَّ بما هو مبني على اساس علمي محض . فدلني احدهم على عرّاف يدعى السيد اسماعيل الهندي باول شارع القصر العيني (ميدان كبري قصر النيل) بدكان ترزي هندي مثلهُ وادعى ان ذلك العرّاف ينبئ بالماضي والحاضر والمستقبل كأنهُ يقرأ في كتاب مفتوح

ولثقتي بصدق محدثي ولوجودي بمصر في ذلك الوقت قصدت الرجل على سبيل التسلية والتهكُّم فقط . ولشدة ما ادهشني هذا الرجل اذ بادرني بذكر مهنتي ومحل اقامتي ثم ابتدأ ان يسرد عليَّ جزءًا صحيحاً من ماضيَّ . وانتقل من هذا الى التعبير عن امالي واماني التي لم تتعدَّ قط حيز مخيلتي ثم الى ذكر بعض من اصحابي واقاربي بالاسم فدهشت وخلت في الامر لعبةً فارسلت اليهِ نفراً من اخواني الذين اثق بهم ولا يعتقدون بمثل هذه الخرافات فاسمعهم العجب العجاب

و بما انكم طالما طرقتم باب مثل هذا الموضوع على صفحات المقتطف الاغر فانني ارجو ان تقابلوا هذا العرّاف اولاً ثم تفيدونا برأيكم علَّ في الامر شيئاً لم نفطن اليهِ واجرتهُ ريال فقط . واقبلوا فائق احترامي

الدكتور لبيب بولس
طبيب بملوي

[المقتطف] نرجح ان الرجل يتكلم كلاماً مجملاً غير واضح الدلالة فيفهمهُ السامع حسب ما هو قائم في نفسهِ ولكنهُ اذا سألهُ مسائل محدودة لم يسمع منهُ جواباً صحيحاً محدوداً لها . وقد بلغتنا اخبار مثل هذه عن اكثر من واحد من العرافين فلما رأيناهم لم نجد منهم شيئاً غير عادي . واول ما يخطر على البال هو انهُ لو كان هذا الرجل صادقاً في دعواهُ معرفة الغيب لاستفاد من هذه المعرفة ما يغنيهِ عن اخذ الريال ولصار من اكبر الاغنياء في سنة من الزمان ومع ذلك سنغتنم اول فرصة ونراهُ



مجمع الاحياء

رسالة بقلم الكاتب المتفنن عباس افندي محمود العقاد. خلاصتها ان الحياة تمثلت امرأة ودعت الاحياء اي الحيوانات و بينهارجل وامرأة للاجتماع في غاب وسط افريقية واوصت الاقوياء بالضعفاء. ثم خطبت اليمامة من الطير تؤيد حق الضعيف فرد عليها الثعلب بمبادئ تشبه ان تكون مزيجاً من مبادىء مكيافلي ونيتشه . وعقبهُ القرد يدافع عن الفضلية والحق ويفرق بين القوة المدنية والقوة الهمجية . ثم خطب الاسد فأيد حق القوي المطلق . وخطبت المرأة مطالبة بحقوقها الضائعة فردّ عليها الرجل بخطاب بعضهُ تفنيد لمطالبها و بعضهُ ردٌّ على سائر الخطباء

وختمت الرسالة بخطاب للطبيعة جاء في آخرهِ «ان الكمال غايتكم في الحياة وليس البقاء . فلا تخافوا الموت بل خافوا النقص فهو اعدى لكم من الموت ولا تسمعوا صوت الحياة بل اسمعوا صوت الطبيعة فهي ابرّ بكم من الحياة»

ولغة الرسالة بليغة وجديرة بقلم منشئها

الصحة والمرض

أعاد حضرة الدكتور محمد رشدي بك حكيمباشي محافظة مصر طبع كتابهِ «التدبير العام في الصحة والمرض» بعد ان نفدت نسخ الطبعة الاولى . وقد نقحهُ واضاف اليهِ فوائد جمّة تهمّ الذين يرومون المحافظة على صحتهم ومن ذا الذي لا يرومها . وكان قد اطلع عليهِ حضرة الدكتور جراهم مدير عموم مصلحة الصحة العمومية في مصر سابقاً فكتب «هذا الكتاب نافع ومفيد ومصلحة الصحة العمومية توصي بتعميم نشرهِ» . على ان الكتاب غنيٌّ عن التوصية كما يشهد كل مَن اطّلع عليهِ

وهو مقسوم الى خمسة عشر فصلاً في جسم الانسان وتركيبهِ والوسائط الضرورية للحياة والرياضة والتمريض وتدبير صحة المولود والامراض المعدية والوقاية منها والاسعافات الطبية في كل ما يدعو الى اسعاف طبي وانواع الغذاء التي تناسب في الامراض المختلفة .

وكل ذلك مما تلزم معرفتهُ لكل بيت ولكل واحد. وقد قررت وزارة المعارف ومجالس المديريات تدريسهُ في المدارس من ابتداء سنة ١٩١٣ وثمن النسخة منهُ ٢٠ غرشاً

البورصة وتجارة القطن

كتاب من قلم حضرة حسين تيمور بك المحامي وصف فيهِ « الادوار التي يمرّ بها القطن المصري حتى يجتاز البحر المتوسط الى اوربا والمؤثرات في سعرهِ صعوداً وهبوطاً والملاقات التي تربط تجارتهُ باكبر المعاهد التجارية عندنا اي البورصة السلطانية وبورصة مينا البصل واهم البورصات الاجنبية » كما جاء في « التمهيد »

ومن مواضيعهِ الاسواق ذات الاجل وبورصة البضائع ذات الاجل واعضاء البورصة وطرق الاعمال فيها والعمليات والتصفيات على انواعها والقطن ومراتبهُ وانواعهُ وشروط تسليمهِ وبذرتهُ وحلجهُ وبيعهُ في الداخلية ووظائف البنوك في تجارتهِ وهلمَّ جرًّا

ومما جاء فيهِ ان بورصة الاسكندرية انشئت قبل كثير من اشهر بورصات المسكونة المشتغلة بالقطن فانها انشئت سنة ١٨٦١ وبورصة نيويورك انشئت سنة ١٨٧٠ ولفربول سنة ١٨٧٣ ونيواورليانس سنة ١٨٨٠ والهافر سنة ١٨٨١

The African Times and Orient Review.

مجلة التيمس الافريقية والشرق . اسم مجلة شهرية صدرت بالانكليزية في لندن سنة ١٩١٢ ثم توقفت سنتين وعادت فصدرت في منتصف يناير الماضي. صاحبها ورئيس تحريرها دوس محمد الهندي وقيمة اشتراكها السنوي ستة شلنات ونصف

ومن محتويات هذا العدد مقالة في المصريين الاقدمين والحبش واهل الاشنتي مأخوذة من نسخة خطية بقلم السائح الانكليزي ادورد بودنش نشرت في باريس سنة ١٨٢١ . وقد قالت المجلة انها عثرت على هذه النسخة بواسطة رجل برتوغالي اقام في بلاد شط الذهب مدة طويلة وهو مقيم في لندن الآن . وربما لخصنا هذه المقالة في الجزء القادم

ومن المقالات مقالة اخرى موضوعها حديث بمرضة في مصر. واخرى موضوعها البلقان. واخرى اقوال صحف اميركا في السود الاميركيين واغراضهم . واخرى اتحاد مسلمي الهند والهندوس سياسيًّا وهي مزينة برسم الراجاه السر محمد علي محمد خان بهادر . ولا بأس ان ننقل شيئاً من حديث الممرضة قالت :

« ارسلت الى مصر لتمريض في مستشفى فتح في القاهرة لجرحى الدردنيل سنة ١٩١٥ . وفي صباح يوم جميل من ايام يوليو بلغنا بور سعيد ففتشنا بعض مستخدمي الجمرك العتاة ثم ركبنا قطاراً مزدحماً بالركاب قاصداً القاهرة . فاخبرني مستخدم من مستخدمي سكة الحديد بأدب و بالحاح ان مكاني في مركبة السيدات الخاصة ثم قذفني الى واحدة من هذه المركبات وكانت خالية و بقيت كذلك خمس دقائق . ثم لاح عن بعد رجل مصري يصحبهُ جوق من النساء ظننتهن ندابات بالاجرة وهنَّ متشحات بالسواد من قمة الراس الى اخمص القدم . ونحن الاور بيين نتصورهنَّ من لوازم الجنازات الشرقية وكنَّ ثمانياً معهنَّ ستة اولاد وار بع قلل وحزمة قصب وسلة تحتوي على اشياء كثيرة للاكل والشرب . فادخلت هذه الاشياء كلها الى الغرفة فباتت ممتلئة بعد ما كانت فارغة

وقبل مسير القطار اقفل زجاج الشبابيك منعاً للغبار والرمل الذي ينعقد سحاباً على كل شيء متى بدأ القطار يتحرك . ثم وزع القصب على هذا الجمع واخذ الاولاد يتراكضون و يتسابقون من طرف المركبة الى طرف والنساء يتناوبن مقاعدهنَّ كما في لعبة معروفة . وكانت اسمنهنَّ تجلس عليَّ احياناً ولا تشعر بتو بيخ ضمير ولا اسف على هذا العمل . ولما بلغنا احدى المحطات ناديت الناظر واخبرتهُ بما انا عليهِ من سوء الحال فجاء بالاب ربّ العائلة من مخدع الرجال فقال ما قال بالعربية ثم ساد السكوت

وقبيل بلوغنا القاهرة غنَّى لي غلامان صغيران لابسان ملابس المدرسة اغنية تبراري بالانكليزية وسرَّا بذلك سروراً عظيماً »

تقويم الحكومة

لسنة ١٩١٧

اهدت الينا المطبعة الاميرية نسخة من تقويم الحكومة لسنة ١٩١٧ . وهو حاوٍ للمحوظات عن سنة ١٩١٧ ميلادية ولبيان ايام العطلة الرسمية وغير الرسمية ومقارنة التواريخ وشروق الشمس والسيارات وغروبها ومذكرات جغرافية عن القطر المصري ونظام الحكومة المصرية ووزاراتها المختلفة وتجارة القطر ومصارفهِ وموانئهِ ووسائل المواصلات والنقل والجيش المصري وحكومة السودان وجداول العملة والمسافات الى آخر ما هنالك وثمن النسخة منهُ خمسة غروش وهو يطلب من المطبعة الاميرية ببولاق ومن قاعة المبيعات بسلاملك سراي الاسماعيلية القديمة في شارع قصر العيني اما راساً او بواسطة احد الكتبية

التعليم في مصر

ترك حضرة صاحب السعادة امين باشا سامي نظارة المدرسة الناصرية لكي يبقي لهُ اثراً آخر خالداً في القطر المصري بنشر الكتب التي قضى العمر في جمع موادها وتأليفها . وقد اصدر الآن مؤلفاً جديداً موضوعهُ التعليم في مصر وهو كتاب جليل كبير الحجم جمع فيهِ خلاصة ما كُتب عن التعليم في القطر المصري في التواريخ والتقارير القديمة والحديثة من اول الفتح الاسلامي الى الآن . ولا يخفى ان اكثر الكتاب مختص بزمن العائلة العلوية من عهد محمد علي باشا الى الآن لان التعليم لم ينتشر الاَّ في عهدها وهو اهم اقسام الكتاب والناظر فيهِ يرى كيف بدأ التعليم الحديث وكيف ارتقى رويداً رويداً بعد ان اصابتهُ فترات ضعف شأنهُ فيها . ولكن القسم الآخر المختص بما ذكرهُ المؤرخون عن التعليم في العهد السابق كبير الفائدة ايضاً فقد جاء فيهِ مثلاً « ان جامع عمرو اسسهُ عمرو بن العاص سنة ٢٣ هجرية لتأدية الفروض الدينية ونشر التعليم الديني الاسلامي وقد دُرّس فيهِ الفقه والحديث والقرآن والطب وكان يوجد فيهِ ثمان زوايا للتدريس . واستمرَّت الدراسة فيهِ على وفرة عدد الطلبة في تلك الزوايا حتى انهُ قبل وباء سنة تسع واربعين وسبعمائة كان بهِ بضع واربعون حلقة لاقراء العلم لا تكاد تبرح منهُ »

وان الملك منصور حسام الدين لاشين المنصوري جدَّد عمارة جامع احمد بن طولون سنة ٦٩٦ ووقف اوقافاً خصوصية على تدريس الفقه والحديث والطب

ويلي ذلك جدول المدارس القديمة وتاريخ تأسيسها وما كان يعلَّم فيها كالمدرسة الناصرية التي اسسها السلطان صلاح الدين سنة ٥٦٦ وهي اول مدرسة اسست في مصر وكان التعليم قبل ذلك في الجوامع والزوايا ثم المدرسة القمحية وقد اسسها صلاح الدين ايضاً والمدرسة السرورية ومدرسة ابن الارسوفي التي اسسها ابن الارسوفي التاجر العسقلاني سنة ٥٧٠ والمدرسة العاشورية التي اسستها السيدة عاشوراء زوجة الامير ایازكوج الاسدي وهلمَّ جرًّا ثم المدرسة الفاضلة التي اسسها الفاضل عبد الرحيم بن علي البيساني وزير صلاح الدين سنة ٥٨٠ وقد وقف عليها مكتبة فيها مئة الف مجلد . ولا يخفى ان عسقلان وبيسان من بلاد الشام وصلاح الدين نفسهُ جاء من الشام فمن قديم الزمان كان اهالي الشام يحملون العلم الى هذا القطر ويؤسسون المدارس فيهِ

ومدرسة منازل العز انشأها الملك المظفر تقي الدين عمر بن هنشاه سنة ٥٦٦ وكانت من دور الخلفاء الفاطميين ودرس بها شهاب الدين الطوسي وعماد الدين السكري

والمدرسة القطبية بناها الامير قطب الدين خسرو احد امراء صلاح الدين سنة ٥٧٠

والمدرسة السيوفية بناها السلطان صلاح الدين سنة ٥٧٢ وقرر في تدريسها الشيخ مجد الدين محمد بن الحيثي ورتب لهُ في كل شهر احد عشر ديناراً

والمدرسة الغزنوية بناها الامير حسام الدين قايماز النجمي مملوك نجم الدين بن ايوب سنة ٥٩٩ واول مَن درَّس بها الشيخ شهاب الدين الغزنوي فنسبت اليهِ

والمدرسة الصاحبيَّة بناها صفي الدين بن شكر وزير الملك العادل سنة ٦٢٠ في آخر درب سعادة من خط الخزاوي

والمدرسة الصالحية بناها الملك الصالح نجم الدين ايوب سنة ٦٤٠ بخط بين القصرين وهي اول مدرسة اجتمع فيها فقه المذاهب الاربعة وقدَّر للمدرس اربعين ديناراً كل شهر (اي نحو ٢٤ جنيهاً) ورتب لهُ من الخبز ستين رطلاً بالمصري

والمدرسة الظاهرية بناها الملك الظاهر بيبرس البندقداري بخط بين القصرين سنة ٦٦٧ وجعل فيها خزانة كتب تشتمل على امهات الكتب في سائر العلوم وبنى بجانبها مكتباً لتعليم ايتام المسلمين كتاب الله تعالى واجرى لهم الجرايات والكسوة

والمدرسة المنصورية بناها الملك المنصور قلاوون الالفي داخل باب المارستان الكبير المنصوري بخط بين القصرين سنة ٦٨٢ وكان يعلم بها الفقه على المذاهب الاربعة والطب والحديث والتفسير ومن جملة المدرسين الفقيه شرف الدين القلقشندي . وبالقبة التي تجاهها خزانة جميلة كان فيها عدة احمال من الكتب

والمدرسة المهذبية بناها الحكيم مهذب الدين محمد بن ابي الوحش المعروف بابن ابي حليقه رئيس الاطباء بديار مصر وكان يدرس الطب في المارستان المنصوري

والمدرسة الناصرية بجوار القبة المنصورية من شرقيها شرع في بنائها الملك العادل زين الدين كتبغا المنصوري واتمها الملك الناصر محمد بن قلاوون سنة ٦٩٨ وجعل بها خزانة كتب جليلة والحق بالمدرسة مكتباً وسبيلاً وهي من أجمل مباني القاهرة وبابها من اعجب ما عملتهُ ايدي بني آدم فانهُ من الرخام الابيض البديع الزي فائق الصناعة نُقل الى القاهرة من مدينة عكاء من ابواب كنائسها

وتوالى بناء المدارس الى سنة ٩٤٥ ثم وقف ١٥٠ سنة وأعيد سنة ١١٠٧ ووقف اربعين سنة وأعيد سنة ١١٤٧ و ١١٦٤ و ١١٨٨ ووقف هناك العهد القديم ثم ابتدأ العهد الجديد في زمن محمد علي باشافانشأ مدارس كثيرة للعلوم والفنون المختلفة من اهمها المدارس التالية مع تاريخ انشائها بالسنين المسيحية

مدرسة الجهادية بالقصر العيني	١٨٢٥
مدرسة الطب بابي زعبل ثم بالقصر العيني	١٨٢٧
مدرسة الاجزاجية بالقلعة	١٨٢٩
مدرسة الطبجية بطره	١٨٣١
مدرسة السواري بالجيزة	١٨٣١
مدرسة الطب البيطري بابي زعبل	١٨٣١
مدرسة النوتية	١٨٣١
مدرسة المهندسخانة ببولاق	١٨٣٤
مدرسة المعادن بمصر القديمة	١٨٣٤
مدرسة الزراعة	١٨٣٦
مدرسة الالسن بالازبكية	١٨٣٦
المدرسة التجهيزية بابي زعبل	١٨٣٦
مدرسة المحاسبة بالسيدة زينب	١٨٣٧
مدرسة المبتديان بالجيزة	١٨٣٧
« « بالخانقاه	١٨٣٧
« « بالسيدة زينب	١٨٣٩
مدرسة العمليات	١٨٣٩

ولم يبقَ من هذه المدارس الى الآن الاَّ مدرسة الطب واكثرها الغي في عهد محمد علي باشا او عهد خلفائهِ. وانشأ كثيراً من الكتاتيب والمدارس الابتدائية في دمنهور وزفتى والمحلة الكبرى وطنطا ومنوف والمنصورة وميت غمر وفارسكور والزقازيق والفيوم وبني سويف والمنيا والفشن واسيوط وابي تيج وملوي وسوهاج وطهطا وسائر بنادر القطر

والخلاصة ان هذا الكتاب النفيس جمع فاوعى ولا غنى عنهُ لكل مَن يحب الوقوف على تاريخ التعليم في القطر المصري

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف · ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم يدرج السؤَال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكرّرهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) دعوى دجال

الرحمانية · مستفهم · سمعت عالمًا بالرحمانية يقول ان من عادة بعض الاشجار ان تلد اي تطرح بني آدم وزعم ان شجرة ولدت طفلاً فقيَّض لهُ الله غزالة ترضعهُ فاستأنس بها ولما يفع صار يبعد عنها اذى الوحوش الضارية وسباع الطير فهل هذا صحيح وهل في قدرة الغزالة ان تدفع الاسد

ج · كلاَّ وأَغرب من تكلُّم هذا الرجل بهذا الكلام وجود اناس في هذا العصر يسمعون لهُ ويسأَلون عن صحة كلامهِ

(٢) التلفراج

مدرسة اجا الابتدائية · محمد افندي عبد الله · ارجو التكرُّم بذكر نبذة في وصف القطارات الكهربائية المعلَّقة كالموجود بجبال سويسرا لتنزه السائحين

ج · لم نرَ هذه القطارات في جبال سويسرا لما كنا فيها آخر مرَّة ولا نتذكر اننا قرأنا وصفاً لها لكي نعلم أَي نوع منها يستعمل هناك · وهذا النوع من آلات النقل الكهربائي يسمى التلفراج وقد اوردنا خلاصة وصفهِ منذ ثلاث وثلاثين سنة في مقتطف يوليو ١٨٨٤ حيث قلنا « ان التلفراج اختراع بديع للاساتذة جنكن وابرتسن وبري ويراد بهِ نقل الاثقال بالكهربائية على اسلاك كاسلاك التلغراف · وقد اطلعنا على خطبة للاستاذ جنكن خطبها في مدرسة ادنبرج الجامعة وجاء فيها على وصف هذا الاختراع ويظهر منها ومن وصف جريدة الكهربائية لآلات التلفراج التي عرضت بعد تلاوة الخطبة انهُ يمكن استعمال التلفراج في الاماكن التي ليس فيها سكك حديدية ولا ترع وانهُ يمكن ان تنقل بهِ كل المواد التي يمكن تجزئتها الى احمال خفيفة ثقل كل حمل منها نحو مئة أُقة كالحنطة والفحم والملح والارز الخ · وان التلفراج أَقل نفقة من سكك الحديد في البلدان الصخرية »

وقلنا في الجزء الرابع من المجلد التاسع عشر الصادر في ابريل سنة ١٨٩٥ ما نصهُ · « التلفراج خطوط كخطوط التلفون تعلق بها

مركبات صغيرة تسع المركبة منها ثلاثة رجال أو اربعة أو توضع فيها بضائع تعادلهم ثقلاً فتجري هذه المركبات على الاسلاك بقوة الكهربائية . وقد مدَّ من التلفراج نحو الفي ميل في اسبانيا وايطاليا واميركا الجنوبية والهند ورأس الرجاء الصالح والصين واليابان واكثرهُ في الاراضي الجبلية التي يتعذَّر انشاء سكك الحديد فيها وفوق الاودية والانهار» . ولقد عزم البعض منذ بضع سنوات على انشاء تلفراج مثل هذا الى الجنوب من حلوان لنقل حجارة الجبس من الجبل الى الاتاتين التي تحرق فيها

وقاطرة التلفراج ذات عجلتين فيها الآلة التي تحرك بالكهربائية ويعلّق بها مركبة لحمل ما يراد حملهُ بها والمركبة اما ان تعلّق بها فقط او بآلة تسير على السلك كرائد امامها أو يكون لكل مركبة قاطرتان ويكون فوق السلك الذي تعلّق بهِ المركبات سلك آخر تجري عليهِ الكهربائية لاتمام الحلقة الكهربائية . واشكال التلفراج مختلفة ولكن مبدأها واحد

(٢) حكم العادة

المرابعين . احمد افندي الالفي . اذا جرى الانسان على مقتضى طبعهِ وحريتهِ في سلوكهِ الشخصي بدون خضوع لبعض تحكمات المودة واسر المجاملات فلا يهتم بلبس خاص لوقت خاص ولا بمجاراة محادثيهِ ومعاشريهِ في بعض آرائهم وميولهم التي لا يرضاها عقلهُ ولا تهواها نفسهُ وهو مع ذلك متلطف في ودادهِ معهم مجارٍ لهم فيما لا يرى بأساً من المجاراة فيهِ غير معترض عليهم فيما تحصل المغايرة فيهِ اذ موقفهُ فيهِ سلبي محض . فهل يُعد ذلك شذوذاً يُنتقد عليهِ بحق ؟ وهل اصول الآداب تمنع من الجري على هذه الخطة ؟ وقد شاهدت ان بعضاً من اهل العلم والادب والوجاهة يتأففون من تلك التحكمات ويحبّذون التسامح فيها ان تعذّر الآن هجرها فهل من طريقة الى اخراج آرائهم هذه الى الفعل اخراجاً يحترمهُ العرف؟

ج . كان احد الكتاب المشهورين من الانكليز ينتقد عادات الاغنياء والاشراف ويشدد النكير عليها ثم ابطل ذلك رويداً رويداً . وسُئل كاتب آخر عمّا جرى للكاتب الاول حتى عدل عن خطتهِ فقال « املهُ عمل عملاً كسب منهُ كسباً وافراً » . ومن طبع الناس ان يحبذوا اعمال الاغنياء والوجهاء مهما كان فيها من مخالفة الطبع وينتقدوا اعمال من سواهم على حد قول القطامي

والناس من يلقَ خيراً قائلون لهُ
ما يشتهي ولأُم المخطيء الهَبَلُ

والذين يتأففون من « تحكمات المودة » يجارونها غالباً حالما تسهل عليهم مجاراتها ومعاشرة اهلها . وقد رأينا جماعة من اكبر العلماء مثل مكس ملر اللغوي الشهير يباهي

برتبة نالها من تركيا ويتصوَّر بيذلة عليها القصب ممَّا تطلبهُ تلك الرتبة· ولكن من اعطي نفساً كبيرة وشجاعة ادبية فائقة يسهل عليهِ مخالفة المألوف اذا رأى في مجاراتهِ ضرراً وفي مخالفته نفعاً كما فعل الفيلسوف سبنسر وكما فعل ديوجنس قبلهُ وكثيرون من الفلاسفة ولكن قلَّما يحتمل ان يقتدي الناس بهِ لان العادات الشائعة ناتجة عن فواعل لا تقع تحت سلطة العقل والعلم· هاكم مثل المشد الذي كان النساء يشددن خصورهنَّ بهِ لقد كتب الكتَّاب في مضارهِ ما يملأ مجلدات كثيرة وخطب الخطباء الوفاً من الخطب وتألفت جمعيات من النساء لابطالهِ ومع ذلك لم تؤثر كل هذه الوسائل شيئاً واخيراً قام بعض الغانيات وتزيين بزي جديد لا مشدَّ فيهِ وصرن يوسعنَ خصورهنَّ بعد تدقيقها فاتبع كل النساء خطواتهنَّ· والذين يعمل الوف بآرائهم اذا اخرجوها الى الفعل هم الممتازون فيما يراد تغييرهُ فالعلماء فيما يختص بالعلم وارباب الولائم فيما يختص بالولائم وارباب الازياء فيما يختص بالازياء وهلمَّ جرًّا فهؤلاء اذا ارتأوا رأياً وعملوا بهِ جاراهم غالباً كل الذين اعتادوا ان يقتفوا خطواتهم

(٤) صدأ القمح

ميت عاصم· احد القراء· اني مرسل اليكم سنبلتين من القمح تجمعت عليها مادة سوداء سمراء فاتلفتها فماهي وما هي الطريقة لمنع تولدها

ج· هي المرض المسمَّى بالصدإ او الحميرة وهو مرض فطري ينمو مع القمح و يتلفهُ· والمادة السمراء التي رأيتموها وارسلتم لنا سنبلتين مملوءتين منها هي بزور هذا الفطر فاذا حصد القمح ودرس يلصق بعض هذه البزور بحبوبهِ حتى اذا زرع نبتت البزور في قلب نبات القمح ومتى وصلت الى السنبلة تكونت فيها البزور واكلت السنبلة كلها فلا يحسن اخذ التقاوي للوسم التالي من زراعة فيها كثير من هذه السنابل المضروبة· واذا خيف ان تكون التقاوي من غيط ظهر فيهِ هذا المرض وجب ان تطهر بوضعها في اكياس وبلها اولاً بالماء البارد مدة اربع ساعات حتى تبتدئ بزور الفطر بالنمو ثم تبل بماء حار حرارتهُ ٥٢ الى ٥٤ بميزان سنتغراد مدة عشر دقائق فتموت بزور الفطر كلها· و يطهر بعضهم تقاوي القمح باجراء الهواء السخن فيها بآلات معدة لذلك· الاَّ ان الضرر الذي يحدث من مرض الصدإ هذا قليل جدًّا في الغالب لا يستلزم الاهتمام بتطهير التقاوي منهُ

(٥) طول العمر وقوانين الصحة

اسيوط· ثابت افندي جرجس بشاي· أصحيح ان مَن يتبع القوانين الصحية ويتقي بعض الامراض يطول عمرهُ· واذا كان صحيحاً فلماذا نرى كثيرين من الاطباء وغيرهم من الذين يلازمون القوانين الصحية اكثر من غيرهم يموتون ما بين الاربعين والستين

وترى كثيرين من الفلاحين الذين لا يعلمون شيئاً عن القوانين الصحية تتراوح اعمارهم بين السبعين والمئة

ج · افرضوا ان مئة رجل من الفلاحين الذين تعرفونهم اصيبوا بحمى التيفويد او التيفوس او الكوليرا او عضهم كلب كلِب وان خمسين منهم عولجوا طبيًّا العلاج الكافي واستعملوا الحمية التي اشار بها الطبيب وان الخمسين الباقي لم يعالجوا فهل تظنون ان هؤلاء الخمسين الذين عولجوا المعالجة القانونية يموت منهم بالمرض الذي اصابهم اكثر مما يموت من الذين لم يعالجوا · أَوَلا تظنون انهُ لو كان الطب لا يفيد في الشفاء من الامراض مطلقاً لأُبطل من عهد طويل وان مجرد بقائهِ الى الآن وبقاء الاعتماد عليهِ في كل البلدان وبين كل الشعوب دليل على ان الناس رأَوا بالاختبار ان المرضى الذين يعالجون يشفى منهم اكثر مما يشفى من الذين لا يعالجون · والذي يشفى بالعلاج يطول عمرهُ اكثر من الذي يموت من غير علاج · ثم ان موت بعض الاطباء وهم بين الاربعين والستين وبلوغ بعض الفلاحين السبعين والمئة لا يبنى عليهما حكم صحيح وانما يبنى الحكم الصحيح على مقابلة مثل هذه : وهي ان ننتقي مئة ولد متساوين في العمر والصحة والوراثة ونعلم خمسين منهم علم الطب وندربهم حتى يجروا بحسب قوانينهِ الصحية ويعيشوا في بلاد طيبة الهواء كبلاد الفلاحين ونترك الخمسين الآخرين في عزبة او مزرعة ليعيشوا بين الفلاحين ويتعاطوا الفلاحة ثم نأتي بعد سبعين سنة وننظر كم بقي حيًّا من الخمسين الاطباء والخمسين الفلاحين ثم نجمع اعمار كل الاطباء الخمسين الى ان ماتوا كلهم واعمار الفلاحين الخمسين الى ان ماتوا كلهم فاذا كان مجموع اعمار الفلاحين اكثر من مجموع اعمار الاطباء كان حكمكم صحيحاً والاَّ فلا

ويغنيكم عن هذا البحث كلهِ ان متوسط عمر الناس كان في اكثر البلدان قبل استعمال الوسائل الصحية من عشرين سنة الى ثلاثين فصار بعد استعمالها من ثلاثين الى خمسين · اما الذين يموتون من الاطباء بين الاربعين والستين فسبب موتهم وراثي أَي انهم مولودون من آباءِ قصار الاعمار أَو عدوى من المرضى الذين يعالجونهم أَو غير ذلك من اسباب الموت المختلفة

(٦) مذهب دارون ووجود الله

ومنهُ · هل مذهب دارون ينفي وجود الله

ج · كلاَّ بل يدل على قوتهِ وحكمتهِ الفائقتين وداروين نفسهُ كان من المعتقدين بوجود الله

(٧) مبادئ مذهب دارون

ومنهُ · ذكرتم في مقتطف فبراير ان كثيراً من مبادئ دارون نقضت الآن

وابدلت بغيرها فما هي تلك المبادىء التي تشيرون اليها

ج · ان العبارة التي ذكرناها تدل على ان الذي نقض هو الكثير من مبادىء مذهب دارون لا مبادئ دارون · وسنفصل ذلك في فرصة اخرى

(٨) تاريخ الشمس

ومنهُ · من المعلوم ان كل الموجودات سائرة الى الفناء فما قول المقتطف في كوكب الشمس هل تأثر في خلال الزمن الماضي وهل زاد أو نقص وهل من نهاية لحرارتهِ ونورهِ

ج · لا فناء بحسب العلوم الطبيعية بل تغيُّر من حال الى حال · وقد استدل العلماء من بعض المشاهدات والارصاد ان الشمس وسياراتها كانت سديماً منتشراً فتقلص ودار على نفسهِ وانفصلت منهُ اجزاءٌ أو حلقات تكوَّنت منها الارض والسيارات وبقي الجانب الاكبر منها وهو الشمس · والشمس غير ثابتة بل تتغير رويداً رويداً بما يقع عليها من الاجسام العالية وبما يحدث فيها من الاضطرابات وقد شرحنا ذلك مراراً وسنعود الى شرحهِ ايضاً بحسب ما كشف من الحقائق حتى الآن

(٩) البطنة تذهب الفطنة

ومنهُ · أَحقيق ان البطنة تذهب بالفطنة ولماذا نرى كثيرين من الذين يكثرون من الاكل على جانب عظيم من الذكاء

ج · ان الاحكام الطبيعية والاختبارية مبنية على الاكثرية فاذا قلنا ان الكينا تشفي من الحمى لا يكون المراد ان كل من يصاب بالحمى يشفى حتماً بالكينا بل يكون المراد ان الاختبار دل على ان الكينا انجع من غيرها في شفاء الحمّى ولا ينتقض هذا الحكم اذا عالجنا بالكينا بعض المحمومين ولم يشفوا · وان كان قولهم البطنة تذهب بالفطنة صحيحاً فيكون مبنياً على الاختبار فاذا قابلتم بين خمسين رجلاً مقتصدين في طعامهم وخمسين رجلاً نهمين ووجدتم ان الفطنة في هؤلاء النهمين اكثر منها في اولئك ترجح انتقاض هذا الحكم واذا وجدتم ان الفطنة في اولئك اكثر منها في هؤلاء ترجحت صحة الحكم وحينئذ يبحث عن السبب · وعندنا ان الحكم صحيح في الغالب وسببهُ ان كثرة الطعام تستلزم كثرة ورود الدم الى المعدة والامعاء فيقل ورودهُ الى الدماغ مقر القوى العقلية فتقل تقوية الدماغ ويضعف عملهُ · وبهذا يعلل ما يعتري الانسان من بلادة الفهم بعد الاكل وقبلما يتم هضم طعامهِ وما يرى منهُ من مضاء العقل في الصباح ومتى تم هضم الطعام · ولكن اذا كان الطعام لا يكفي لتغذية الجسم فهو لا يكفي لتغذية الدماغ أيضاً فالذين لا ينالون كفافهم من الطعام لا ينتظر ان يشتغلوا اشتغالاً عقلية كبيرة · وللعادة شأن كبير في ذلك كلهِ فقد يعتاد

الانسان الاشغال العقلية مع الاكل القليل وقد يعتادها مع الاكل الكثير فتتغلب العادة على ما ينتظر حدوثهُ لولاها

(١٠) اصل اسم مصر

ومنهُ · لماذا سميت مصر Egypt عند الافرنج وما اصل الاسمين وما معناها

ج · ان الاسم الاوربي مأخوذ من الاسم اليوناني اجبتس الوارد اولاً في شعر هوميروس المعروف بالاودسي وهو هناك اذا كان مذكَّراً فهو اسم النيل واذا كان مؤَّنثاً فهو اسم البلاد نفسها · ولا يعلم اصل هذا الاسم تماماً فقد ظن برغش انهُ تحريف الاسم هكبتاح وهو اسم منف العاصمة الشمالية وظن غيرهُ انهُ تحريف اسم قفط وهو اسم احدى مدن الوجه القبلي · اما كلمة مصر فالمرجح انها اشورية الاصل ومعناها التخوم لانها كانت عند تخوم مملكة اشور

(١١) القطن في الحرب

ومنهُ · ما هي خواص القطن من الوجهة الحربية حتى عُدَّ بين المهربات

ج · يصنع منهُ قطن البارود الذي هو اساس كل المتفجرات

(١٢) الثروة العمومية

الاسكندرية · احمد افندي عبد العال سلامه · كيف تعرف الثروة العمومية للملكة

ج · اذا عُرفت قيمة التركات والهبات كلها وعرف متوسط عمر الانسان عرفت الثروة بضرب قيمة التركات والهبات في متوسط العمر · فقد كانت قيمة التركات في فرنسا منذ تسع سنوات ٢٢٠ مليون جنيه وقيمة الهبات ٤٠ مليون جنيه والجملة ٢٦٠ مليون جنيه وهو مجموع ما خلفهُ الذين ماتوا تلك السنة · ومتوسط عمر الانسان في فرنسا ٣٥ سنة اي يموت $\frac{1}{35}$ من السكان كل سنة فالذي خلفوهُ هو $\frac{1}{35}$ من ثروة السكان كلهم فاضرب ٢٦ مليون جنيه في ٣٥ يحصل ٩١٠٠ مليون جنيه وهو ثروة فرنسا · ورب معترض يقول انهُ قد يموت في بعض السنين اناس اغنى من الذين يموتون في غيرها ولكن الاستقراء يدل على ان المجموع السنوي قلما يتغير الاَّ بتغير ثروة البلاد · وتعرف قيمة التركات من الضريبة التي تتقاضاها حكومات اوربا من التركات

(١٣) لماذا يعد الاتراك شرقيين

ومنهُ · لماذا يعدُّ الاتراك شرقيين وليس كذلك الروس والمجر مع انهم اسيويو الاصل

ج · ان كل امم اوربا اسيويو الاصل على الراجح ولكنهم اقاموا في اوربا وتوالدوا فيها منذ عهد طويل فسموا انفسهم اوربيين وسموا الامم الباقية في اسيا والتي هاجرت منها الى اوربا منذ عهد قريب اسيوية · وجانب كبير من روسيا اوربي وسكانهُ من الامم القديمة في اوربا وجانب منها اسيوي

وسكانهُ اسيويون ولكن سكان القسم الاول اكثر عدداً والحكومة منهم · والاتراك على الضد من الروس فانهُ لم يبقَ لهم في اوربا الأ جزء صغير · وهم حديثون فيهِ

(١٤) حرب الغواصات

مصر · الخواجه ايلي بلتز · ماذا يمنع دول الحلفاء من اشهار حرب الغواصات على اعدائهم

ج · ان الحلفاء يحاربون اعداءهم بالغواصات فان غواصات الروس والانكليز دخلت بحر البلطيق واتلفت كل ما استطاعت اتلافهُ من سفن الالمان ودخلت البسفور واتلفت كل ما استطاعت اتلافهُ من السفن العثمانية · ولكن لم يبقَ للالمان والنمسويين والعثمانيين سفن في عرض البحر حتى تقصدها غواصات الحلفاء وتضربها · واذا طاردت غواصة للحلفاء غواصة للالمان فيبعد ان تلتقي بها لسعة البحار ولان الغواصة لا ترى عن بعد واذا رئيت غاصت في البحر حالاً واختفت عن النظر واما السفن التجارية فترى عن بعد لكبرها ولا يمكنها ان تختفي تحت الماء فيسهل وصول الغواصات اليها

(١٥) استئصال الغواصات الالمانية

ومنهُ · هل يستطيع الحلفاء ان يستأصلوا شأفة الغواصات الالمانية

ج · لا شبهة في انهم اغرقوا كثيراً منها حتى الآن وسيزيد اغراقهم لها متى سلحوا سفنهم التجارية ولا عبرة بما يسلم منها اذا كان قليلاً لانهُ يصير يحاذر الدنو من السفن المسلحة

(١٦) سبب الخرس

مصر · عبد الله افندي رفله جرجس · ما هي الاسباب التي ينشأ عنها الخرس

ج · اذا كان الخرس من الولادة فسببهُ الصمم اي ان الولد الذي لا يسمع لآفة في اذنيهِ لا يتعلَّم النطق واذا كان عارضاً اي اذا كان الانسان يتكلم ثم عرض لهُ الخرس فسبب ذلك آفة في مركز النطق في الدماغ فاذا ازيلت الآفة عاد الانسان يتكلم حسب عادتهِ

(١٧) الضمانة الكيلومترية

مصر · مدرسة القضاء الشرعي محمد افندي كامل الغمراوي · ارجو ان تذكروا لنا شرحاً لمعنى الضمانة الكيلومترية التي كانت بين الحكومة العثمانية والشركات الاوربية التي اخذت على عاتقها مد تلك الخطوط الحديدية في بلاد الاناضول

ج · يراد بالضمانة الكيلومترية ان تضمن الحكومة العثمانية كذا جنيهات في السنة للشركة عن كل ما طولهُ كيلو متر من السكة الحديدية التي تنشئها · مثال ذلك ان سكة الاناضول تقسم الى قسمين الاول خط حيدر باشا وازميد وطولهُ ٥٧٨ كيلومتراً وقد ضمنت الحكومة العثمانية لهذا الخط ٤١٣ جنيهاً عن كل كيلومتر من الاثنين والتسعين

كيلومتراً التي بين حيدر باشا وازميد و٦٠٠ جنيه لكل كيلو متر من المسافة الباقية وهي ٤٨٦ كيلو متراً فكأنها ضمنت لكل كيلومتر من الخط كله ٥٧٠ جنيهاً او ١٤٢٥٢ فرنكاً دخلاً عمومياً وقد بلغ دخل الكيلو متر ٥١٩ جنيهاً سنة ١٩٠١ فاضطرت الحكومة العثمانية ان تدفع ٣٣ جنيهاً عن كل كيلو متر من تلك السكة

(١٨) الرطل المصري

براغشتــا بالبراز يل . الخواجات نون وخوري كم هو وزن الرطل المصري بالغرام

ج . ٤٤٩ غراماً و٢٨ سنتغراماً

(١٩) مساحة الفدان

ومنهُ . كم مساحة الفدان المصري بالمتر المربع

ج ٤٢٠٠ متر ونحو ثمانيــة اعشار المتر المربع

(٢٠) لحم الخنزير

ومنهُ . لماذا لا يجوز اكل لحم الخنزير الأَ بعد ما يشوى جيداً او يطبخ جيداً ويجوز اكل البيض البرشت مع ان الدجاج كالخنازير او ان البيض لا يحمل المكروبات كاللحم

ج . ان ما ذكرتموهُ اخيراً هو السبب فان الخنازير معرضة لمرض التريخينا وهو دود صغير يعيش في لحمها و ينتقل حيًّا الى الناس الذين يأكلونهُ غير مطبوخ واما البيض فلم توجد فيهِ حتى الآن جراثيم مرضيَّة

(٢١) معامل النسج في مصر

ومنهُ . قلتم مرة انهُ لاسباب سياسية لا يوجد معامل نسج في القطر المصري فهل لا تزال هذه الاسباب باقية الى الآن

ج . ان الاسباب التي تمنع وجود معامل النسج الكبيرة في القطر المصري بعضها سياسي كما تقدم و بعضها محلي صناعي . و يظهر لنا ان الاسباب المحلية الصناعيــة اهم واذا امكن التغلب عليها لم تبقَ صعوبة في التغلب على السبب السياسي . والاسباب المحليــة الصناعية هي اولاً ان ليس في القطر المصري قوة مائية ولا مناجم فحم حجري فالفحم فيهــا اغلى في الغالب من الفحم في البلدان التي فيها معامل للنسج . وثانياً انهُ لا فائدة كبيرة من معامل النسج الأَ اذا امكن تصريف ما تنسجهُ بسهولة . ونحن في القطر المصري يتعذر علينا ان نصرّف ما ننسجهُ الأَ في مصر نفسهــا والسودان لان ليس عندنا شركات سفن تجارية تنقل بضائعنــا الى الهند والصين وجزائر البحر حيث توجد الاسواق الواسعة للمنسوجات ولا لنا قناصل في تلك البلدان يهتمون بحماية متاجرنا ولذلك فمعمل واحد من المعامل الكبيرة ينسج ما يكفينا . وثالثاً ان البضائع الرائجة عندنا لا تنسج من القطن المصري بل من القطن الهندي والاميركي لان القطن المصري غالٍ جدًّا لا يشتري الفلاحون ما ينسج منهُ لغلاء

ثمنه فلا بد من جلب القطن من الهند واميركا لنسجهِ ولكن لا يكون منهُ ربح كافٍ اذا استطعنا غزلهُ عندنا . ورابعاً ان هواء القطر المصري لا يناسب غزل القطن في المعامل لانهُ تتولد فيهِ كهربائية شديدة تبعد شعرات القطن بعضها عن بعض . وخامساً ان المنسوجات القطنية يجب ان يصبغ اكثرها اصباغاً ملونة منقوشة حتى تروج عندنا. فاذا بنينا معملاً للنسج وجب ان نبني معملاً آخر للصبغ والنقش وهذا كثير النفقة جداً ويقتضي العمل فيهِ مهارة فائقة . فان نقش اساطين النحاس التي تصبغ منها الازهار المختلفة على الشيت من اعجب ما رأيناهُ واذا اتينا بالعمال الماهرين في نقش هذه الاساطين والطبع بها نضطر ان نعطيهم اجوراً كبيرة تذهب بالربح كلهِ على ما يظهر لنا



اوجه القمر في شهر مارس

	يوم	ساعة	دقيقة	
البدر	٨	١١	٥٨	مساء
الربع الاخير	١٦	٢	٣٣	"
الهلال	٢٣	٦	٥	صباحاً
الربع الاول	٣٠	٠	٣٦	مساء
القمر في الاوج	٥	٤	٥٤	"
" " الحضيض	٢١	١١	١٢	صباحاً

السيارات في مارس

عطارد والزهرة يكونان كوكبي صباح في اول الشهر ثم لا يشاهدان في آخرهِ

المشتري يكون كوكب مساء

زحل يغرب نحو الساعة ٣ صباحاً

وفي اليوم الحادي والعشرين من هذا الشهر يبتدئ فصل الربيع بخروج الشمس من برج الحوت ونزولها في برج الحمل ويسمّى يوم الاعتدال الربيعي وفيهِ يتساوى الليل والنهار للمرة الاولى في السنة

قوة اميركا في الرجال

قدر قلم الاحصاء التابع لوزارة التجارة الاميركية عدد الاميركيين القادرين على حمل السلاح بنحو ٢١ مليوناً من ١٠٠ مليون . ويراد بالقادرين على حمل السلاح الذين سنهم بين ١٨ و ٤٥ . وقد بني هذا التقدير على ان عدد سكان الولايات المتحدة زاد نحو ١٠ في المئة من مجموعهِ بعد احصاء سنة ١٩١٠ . وفي هذا الاحصاء بلغ عدد القادرين

على حمل السلاح نحو ١٩ مليوناً منهم نحو ١٤ مليوناً من الاميركيين البيض ونحو ثلاثة ملايين من البيض المتجنسين بالجنسية الاميركية ونحو مليونين من السود و ٥٠ الف هندي اميركي . هذا ما عدا نحو مليون و ٨٠٠ الف من البيض غير الاميركيين ونحو مئة الف من الصينيين واليابانيين

ومن هذا المجموع الاكبر نحو مليونين وربع في ولاية نيو يورك ومليون و ٨٥٠ الف في ولاية بنسلفانيا ومليون و ٣٧٠ الف في ولاية إلينويز ومليون و ١٠٠ الف في ولاية اوهايو . واذا قسمنا الولايات الى شمالية وجنوبية وغربية كان في الاولى نحو ١٣ مليوناً وفي الثانية نحو ٦ ملايين وفي الثالثة نحو مليونين . واذا طبقنا على الولايات المتحدة القاعدة الحربية المشهورة وهي ان أليق الرجال للخدمة العسكرية في بلد ما انما هو عشر مجموع سكانهِ ففي الولايات المتحدة ١٠ ملايين رجل من الطرز الاول

معدن بدل البلاتين

زادت اثمان البلاتين بعد نشوب الحرب زيادة كبيرة حالت دون شراء الجوهرية والكيماويين لهُ لاستخدامهِ في اعالهم . فقد كان ثمنهُ قبل الحرب ١٦ غرشاً الغرام فاصبح الآن نحو ٧٧ غرشاً . والبلاتين من اندر المعادن وروسيا اكثر البلاد اخراجاً لهُ . والكيماويون يصنعون منهُ بواتق لصهر المواد التي يقتضي صهرها حرارة شديدة لانهُ يطيق الحرارة الشديدة من غير ان يذوب او يتحات او يطرأ عليهِ تغيير آخر

على ان رجلاً اميركيّاً عرض مزيجاً معدنيّاً ادعى انهُ يقوم مقام البلاتين من حيث انهُ لا يذوب ولا ينحلُّ بالحوامض والقلويات القوية باردة كانت ام حارة ولا يتأكسد في اية حرارة عرضت لهُ ولا يتغير لونهُ وكذلك يمكن تغيير شكلهِ على اهون سبيل وتطريقهُ وسحبهُ شريطاً ونسجهُ خيوطاً كالذهب والبلاتين . وهو امتن من البلاتين بنحو ٢٠ في المئة واصلب منهُ ضعفين وثمنهُ مثل البلاتين ولكن ثقلهُ نحو نصف ثقل البلاتين فلذلك يكون ثمن قطعة منهُ نصف ثمن قطعة من البلاتين مثلها حجماً

اشعة اكس في الطب الشرعي

من اغرب ما روي عن منافع اشعة اكس في الحوادث الجنائية ان عاملاً اميركيّاً ضرب رفيقاً لهُ ضرباً افضى الى الخطر على حياتهِ فقبض عليهِ وسئل من عمرهِ فقال انهُ ١٩ سنة ثم لما علم عظم التهمة الموجهة اليهِ قال هو وابوهُ ان عمرهُ ١٧ سنة وطلب ابوهُ ارسالهُ ليحاكم امام محكمة الاحداث طبقاً لقانون ينهى عن محاكمة المتهمين الذين دون الثامنة عشرة امام المحاكم الجنائية . ولما جيء

بهِ الى طبيب محكمة الاحداث رأى الطبيب لاول نظرة ان سنهُ ١٨ سنة على القليل ولكنهُ اراد تحقق ذلك فاخذ باشعة اكس صور اطراف العظيمات الطويلة في كفهِ ومرفقهِ وركهِ وصورتها في حدث عمره ١٧ سنة وقابل بينهما فوجد ان عظيمات الذي عمره ١٧ سنة لم تتصلب بعد في حين ان عظيمات المتهم تصلبت فحكم بان عمره ١٨ سنة او اكثر اذ المعروف في الطب ان تلك العظيمات تتصلب في الاحداث عند بلوغهم الثامنة عشرة من سنهم

نفق تحت المانش

قلنا في عدد سابق ان حفر نفق تحت بحر المانش بين انكلترا وفرنسا بات اقرب مما كان وان اهل الشأن فيهما يتفاوضون في اخراج المشروع من القوة الى الفعل حالما تسنح الفرصة . وقد قرأنا في الصحف الاخيرة ان طول النفق سيكون نحو ٢٢ ميلاً ونفقتهُ نحو ١٦ مليون جنيه

الغواصات الالمانية

قال البرنس بيلوف وزير الامبراطورية الالمانية السابق في حديث مع محرر جريدة محايدة في سويسرا ان المانيا بنت منذ ابتداء الحرب ٢٢٥ غواصة . وعلمت جريدة الجيش والبحرية الانكليزية ان المانيا تبني الآن ٧٥ غواصة من الطرز المعروف باسم يو ٥٣ (U-53) وانها تنوي إرصاد ٢٥ منها للسفن النروجية و ٢٥ لسائر السفن وتبقى الخمس والعشرين الباقية احتياطية في احدى قواعدها على البحر الشمالي

التأمين ضدّ البرَد

هذا الضرب من التأمين اكثر شيوعاً في المانيا منهُ في غيرها لكثرة زوابع البرَد فيها وتعددها واضرارها بالزروع على وجه خاص . ففي نصف القرن الماضي بلغ دخل شركات التأمين ضد البرَد فيها نحو ١١٤٥ مليون مارك او نحو ٥٨ مليون جنيه وبلغ ما دفعتهُ من الغرامات نحو ٩٠٣ ملايين مارك او نحو ٤٥ مليون جنيه

من الفقر الى الغنى

اكثر اغنياء اميركا ولدوا في الفقر هم أو آباؤهم فركفلر الذي تقدَّر ثروتهُ الآن باكثر من مئة مليون جنيه كان ابوهُ فلاَّحاً صغيراً وهو كان في صباهُ يشتغل بالفلاحة من الصباح الى المساء ولا يكتسب في يومهِ اكثر من غرشين . واول من انشأ ثروة بيت استور كان ابن قصَّاب . وأول من انشأ ثروة بيت ڤندربلت كان في صباهُ خادماً . وكارنجي نفسهُ كان في صباهُ يوزع التلغرافات

ذهول العلماء

يحكي عن اديسن المخترع الاميركي المشهور انهُ جلس للغداء ذات يوم بعد ان اشتغل شغلاً شاقًا متعبًا فملأ صحنهُ من الطعام وقبلما شرع يأكل خطر على باله خاطر فجعل يفكر فيهِ واعتراهُ السبات فنام وكان احد مساعديهِ قد جلس للطعام معهُ فرفع صحن الطعام من امامهِ وابدلهُ بصحن فارغ . ثم افاق اديسن ونظر فاذا صحنهُ فارغ فقال اذاً قد اكلت كل ما كان امامي ونسيت

المخترعات الحربية

في وزارة الذخائر ببلاد الانكليز بقفرع مختص بالاختراعات الحربية يقصدهُ كل من يخطر على بالهِ اسلوب مفيد في الحرب فينظر فيهِ اناس ذوو علم وخبرة فاذا وجدوهُ مما يمكن العمل بهِ او مما يحتمل ان يعمل بهِ قدَّموا الى صاحبهِ الوسائل لاخراجهِ من القوة الى الفعل ولا يرفضونهُ الاَّ اذا وجدوا انهُ مما يستحيل العمل بهِ . وقد قُدّم لهم حتى اوائل فبراير ٢٩٠٠٠ اسلوب او استنباط جديد فرفضوا اكثرها ولكنهم عنوا بالباقي وما ثبتت فائدتهُ منها عُمل بهِ واعطي صاحبهُ حقوق الامتياز او ما يستحق من المكافأة

موسم القمح في الارجنتين واوستراليا

يؤْخذ من الانباء الزراعية الاخيرة ان موسم القمح المقبل في العالم ما عدا بلاد الاعداء اقل من الموسم الماضي بنحو ٢٥ في المئة او أقل من متوسط المواسم بين سنة ١٩٠٩ و١٩١٣ بنحو ٩ في المئة . ومن اعظم الاسباب في هذا النقص امحال موسم الارجنتين اذ يقدرونهُ بنحو ٥٢ في المئة من المتوسط في السنين المذكورة أي نحو النصف . على ان الموسم الاسترالي يقدر باكثر من الموسم الماضي باربعة في المئة واكثر من متوسط السنين المذكورة بنحو ٦٤ في المئة

فعل القنابل

صنع الاميركيون مدفعًا من المدافع التي توضع في البوارج طولهُ ستون قدمًا وثقلهُ ثمانون طنًا وثقل قنبلتهِ ٢١٠٠ ليبرة أي ٢١ قنطاراً وجرَّبوهُ بان اطلقوهُ على لوح من اقسى انواع الصلب (الفولاذ) ثخنهُ ١٣ بوصة لاصق بجدار ثخين من الواح الخشب وراءهُ سدٌّ من الرمل سمكهُ نحو اربعين قدمًا فخرقت القنبلة لوح الصلب والواح الخشب وما وراءها من الرمل وسارت بعد ذلك نحو ثلاثة ارباع الميل وخرقت بيتًا لاحد العمال وقد فعلت كل ذلك ولم يصبها شيءٌ

اكبر جامعة

كان عدد التلامذة في جامعة كولومبيا بنيويورك ٢٨١٢ سنة ١٩٠٠ فبلغ الآن ١٨١٧٦ وعدد الاساتذة والمدرسين والرقباء ١١٨٨ فهي اكبر جامعة في المسكونة ولا يستثنى الازهر ولكن هؤلاء التلامذة لا يحضرون الدروس كل مدة السنة الدراسية بل كثيرون يحضرون الدروس مدة الصيف فقط · وقد أعطيت هذه الجامعة من الهبات منذ سنة ١٩٠٠ الى الآن ما يبلغ ٢٥ مليون ريال اي خمسة ملايين من الجنيهات · بمثل ذلك يرتقي العلم ويكثر العلماء

اليرقان الوافد

تفشى داء اليرقان بين الجنود في فرنسا وظهر لدى البحث ان سببهُ مكروب من الشكل الحلزوني يوجد في دم المصابين وعضلاتهم وقد كشف هذا المكروب اولاً في الهند واليابان سنة ١٩١٤ والمظنون ان وطنهُ جسم الجرذ وينتقل منهُ الى الانسان اما مباشرة او بواسطة الحشرات كالبراغيث ونحوها

غيوم المريخ

اثبت السر نورمن لكير سنة ١٨٦٢ وجود الغيوم في جو المريخ بعد ان كان علماء الفلك يقولون ان جوهُ خالٍ من الغيوم وقد اتضح الآن ان جو المريخ قلما يخلو من الغيوم وانها تتولد فوق الصحارى القاحلة ويقع مطرها او ماؤُها فوق الاراضي الخصبة على قول الاستاذ بكرنج الفلكي

اعجوبة الحسّاب

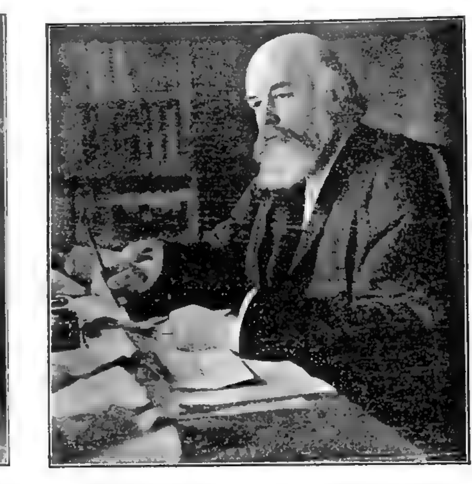
في ولاية أوهايو باميركا صبيٌّ عمرهُ ست سنوات يعرف السنين والشهور والايام ومواقعها كأَنها مرسومة على لوح ذهنهِ فاذا اخبرتهُ كم سنة عمرك اخبرك حالاً في اية سنة ولدت واذا اخبرتهُ تاريخ اليوم من السنة التي ولدت فيها عرف يوم ولادتك من الاسبوع كأَن تقول لهُ انك ولدت في الحادي عشر من ابريل سنة ١٨٨٠ فيقول لك حالاً انهُ يوم الاحد · وهو ماهر كذلك في جمع الارقام وطرحها

مطر غزير

لو نزل المطر من افواه القرب فعلاً كما في بعض التعابير العربية ما زاد النازل منهُ على ما نزل في بعض جهات اميركا الشمالية في مدة ٢٤ ساعة فقد بلغ $\frac{1}{4}$ ٢٢ بوصة وهو اعظم مقدار عرف في اميركا في مثل تلك المدة · على انهُ سقط في جزر فيلبين ٤٦ بوصة في ٢٤ ساعة ومثل هذا القدر كثير الحدوث في الاقاليم الحارة

فهرس الجزء الثالث من المجلد الخمسين

صفحة



السر اوليفر لدج

ابنهُ ريمند لدج

مقتطف ابريل ١٩١٧
امام الصفحة ٣١٣

المقتطف

الجزء الرابع من المجلد الخمسين

١ ابريل (نيسان) سنة ١٩١٧ — الموافق ٩ جمادى الثانية سنة ١٣٣٥

الحياة بعد الموت

ومناجاة الارواح

السر اوليفر لُدْج من اشهر علماء الطبيعة في هذا العصر · وهو من المعتقدين ان ارواح الناس تخرج من اجسادهم ولمّا يموتون وتلبس اجساداً روحية وتبقى في الفضاء بوجدانها ومشاعرها وقواها العقلية وتتصل ببعض الاحياء فيرونها بهذه الاجساد ويخاطبونها وتخاطبهم كأنها لم تزل باجسادها الارضية · وعندهُ ان هذا الاعتقاد سيشيع قريباً اذ تكثر الادلة على صحتهِ ويزيد عدد الذين يخاطبون ارواح الموتى فيتم الاتصال بين العالم الفاني والعالم الباقي او بين الحياة الدنيا والحياة الاخرى

كان لهُ ولد اسمهُ ريمُنْد Raymond تطوَّع في بداءة هذه الحرب وقُتل وهو يحارب في فرنسا· ثم تمكَّن من محادثتهِ مراراً بواسطة بعض الوسطاء الذين يناجون الارواح اي الذين يقولون ان الارواح تتجلَّى لهم وتخاطبهم بوسائل مختلفة · فجمع هذه المحادثات في كتاب كبير والحقهُ بفصول علمية وفلسفية في الحياة والخلود وتفاعل العقل والمادة والبحث والوجدان ومناجاة الارواح واساليبها وموقف العلماء والفلاسفة تجاه ذلك كلهِ فراج هذا الكتاب رواجاً منقطع النظير طُبع اولاً وعرض للبيع في ٢ نوفمبر سنة ١٩١٦ فنفدت نسخهُ حالاً ثم طُبع ثانية وثالثة ورابعة قبلما انتهى شهر نوفمبر واعيد طبعهُ مرتين في دسمبر · وامامنا الآن الطبعة السادسة منهُ الصادرة في دسمبر ولعلهُ طُبع مراراً اخرى بعد ذلك لشدَّة الرغبة في مطالعتهِ ولان الموضوع مهم جدًّا يهمُّ كلَّ احد ومؤَلف الكتاب من اكبر علماء العصر الذين ينتظر منهم ان لا يقرروا امراً الاَّ بعد الوقوف على ادلة كافية لتقريرهِ · ومرادنا ان

تلخص بعض ما جاء في هذا الكتاب مما نراهُ ادل من غيرهِ على اعتقاد المؤلف واشد اتصالاً بهِ تأييداً كان او نفياً ثم نبدي رأينا في ذلك كلهِ

ملخص ترجمة ريمند لدج

ريمند لدج هو الابن الاصغر للسر اوليفر لدج ولد في لفربول في ٢٥ يناير سنة ١٨٨٩ وتلقى دروسهُ العالية في جامعة برمنهام وانقطع للهندسة الميكانيكية والكهربائية واشتغل بهما في معمل لاخوتهِ. ولما نشبت الحرب تطوع في الجيش البريطاني كملازم ثانٍ في سبتمبر سنة ١٩١٤ وتمرَّن على الاعمال الحربية وأُرسل الى فرنسا في ربيع سنة ١٩١٥ ضابطاً للذين ينشئون الخنادق ثم للذين يطلقون البنادق الآلية. وكان عنوان الهمَّة والبسالة مع الادب والظرف. واصابتهُ شظية من قنبلة من قنابل الالمان في ١٤ سبتمبر سنة ١٩١٥ فمات منها بعد بضع ساعات ووصل نعيهُ الى والديهِ في ١٧ سبتمبر وقد كتب ابوهُ في وصفهِ في ٣٠ سبتمبر ما ملخصهُ

كان ابني الاصغر في صباهُ اشبه كل اولادي بي في صباي فكان يذكّرني بما كنت عليهِ لما كنتُ في سنهِ. رآهُ مرةً رجل كان من رفاقي في المدرسة لما كان عمري بين الثامنة والحادية عشرة فقال انهُ يشبهني تماماً. ولم يقتصر الشبه بيننا على الشكل الظاهر بل كان يشبهني ايضاً في الاخلاق وفي لفظ بعض الحروف. وقوي الشبه العقلي بيننا بتقدمهِ في السن فاننا كلينا كنا نميل الى العلوم الهندسية وعلم الآلات اما انا فلم يتيسَّر لي العمل بهذا الميل فتحوَّل الى العلوم الطبيعية واما هو فميلهُ الى العلوم الهندسية كان اقوى من ميلي اليها فانقطع لها. وكان اقوى مني عزيمة ولو فُسح لهُ في الاجل لصار من مشاهير المهندسين. ولم يكن شيءٌ ابعد عن ذوقهِ من الانتظام في سلك رجال الحرب ولكن شعورهُ بما يجب عليهِ لوطنهِ دفعهُ الى هذه الخطة. وكان يفوقني في سرعة الخاطر وفكاهة الحديث فكان عنوان الكياسة والظرف في اجتماعاتنا البيتية. ولكثرة اشغالي لم ارَ منهُ ومن سائر اخوتهِ الا القليل ولكن ربط المحبة كانت وثيقة بيني وبينهم. ولا اتذكر انهُ فعل شيئاً طول عمرهِ يغيظني. ولقد كان في كل الاعمال التي تقتضي جدًّا وهمَّة من افضل الشبان الذين عرفتهم. وكنا كلنا نتوقع لهُ عمراً طويلاً مقروناً بالنجاح والهناء. ولم اكن اتمنَّى ان يغيّر شيئاً من اخلاقهِ واطوارهِ ولكنني كنت اود ان يكون شديد الميل الى العلوم الطبيعية مثلي

لما نشبت الحرب كنت انا وامهُ في استراليا فلم نسمع بتطوعهِ الا بعدما تطوع. ولما أُرسل الى ميدان القتال في ١٥ مارس سنة ١٩١٥ استخدم معارفهُ الهندسية في حفر

الخنادق واقامة السُتُر التي تقي الجنود ثم صار ضابطاً لمطلقي البنادق الآلية · ولقد كنا نتوقع رجوعهُ الينا سالماً فنبذل جهدنا في مسرتهِ لكي تنسيهُ ما لقي من المشاق وشظف العيش وهو في ميدان القتال · فلما وصل نعيهُ الينا اسودَّت الدنيا في عيوننا ولكننا تعزينا بان همتهُ وعزيمتهُ ومقدرتهُ العقلية لا بدَّ من ان تبقى معهُ وتفيد نوع الانسان اكثر مما كنَّا نقدّر لهُ في هذه الدنيا · ونحن نتوقع ذلك الآن

ولم نكن نعرف كثيراً عن اميالهِ الدينية ولكن وُجد بين امتعتهِ لما قُتل توراة صغيرة مما يوضع في الجيب وقد كُتب على الورقة البيضاء التي في اولها بقلم الرصاص اشارات الى كثير من الآيات والفصول التي تشير الى ان الله يكون مع شعبهِ دائماً ولا يتركهم

وكتبت امهُ في ٢٦ سبتمبر سنة ١٩١٥ تقول

« أعزي النفس عنهُ بالتأسي

« ريمندحبيبي لقد فارقتنا وانا اكتب لاخفف بعض لوعتي ولاقنع نفسي انك الآن في غبطة وان ما اسمعهُ منك حقيقة لا وَهْمٌ · انقطعتْ مكاتيبك عني يا اعز الابناء عليَّ وقد كانت احب الاشياء اليَّ ولم ازل محتفظة بما جاءني منها وساطبعها في كتاب

«سيدوم هذا الفراق الى ان الحق بك · لم ارك في هذه الدار الفانية قدر ما كنت اود فاحبُّ ذكرى الاوقات التي قضيتها معك ولا سيما في سفرنا الى ايطاليا حيثما اختصصتُ بك يا حبيبي

«لقد علمنا انك قمت بما يُطلَب منك لبلادك قياماً جيداً واقدمت اقدام الشجاع ولم يبدُ منك شيءٌ من الوهن او ضعف العزيمة · وانك كنت دائماً خفيف الروح تبش في وجوه رفاقك وتمد اليهم يد المساعدة · ولا بدَّ من انك تدري الآن لوعة اخوتك واخواتك وابيك الحزين»

ويلي ذلك ٥٧ صفحة بحرف دقيق فيها المكاتيب التي بعث بها الى اهلهِ من ١٦ مارس حينما ذهب الى فرنسا الى ١٢ سبتمبر ويظهر منها انهُ كان اديباً شجاعاً خفيف الروح شديد الحماسة محبًّا لرفاقه ومحبوباً منهم · وبعدها تلغراف من وزارة الحربيَّة الى ابيهِ تنعيهِ اليهِ · وتلغراف من الملك والملكة بعزيان والديهِ عن فقدهِ ومكاتيب عديدة من الضباط والرفاق وكلها شاهدة بادبهِ وظرفهِ وشجاعتهِ ومهارتهِ

ثم اورد السر اوليفر لدج الادلة الكثيرة على اتصال الاموات بالاحياء وهي الغرض المقصود بالذات من الكتاب

قال ان اول خبر جاءني مما يدلُّ على ما سيصيب ابني انذار من روح الاستاذ ميرس بواسطة مسز بيبر باميركا ابلغها اياهُ رتشرد هدجصن على ما يظهر حينما كانت سيدة اسمها

مس روبنس في بيتها في ٨ اغسطس سنة ١٩١٥ في جلسة تستنبئها بها عن امور خاصة . فقد بعثت اليَّ ابنتها مس التا بيبر بالكتابة الاصلية التي كتبتها مسز بيبر اذ كانت في الغيبوبة وهي مبدوأة بامور تختص بمس روبنس ولا علاقة لها بي ثم انتقل الحديث فجأة اليَّ فقد قال فيها هدجصن

الآن يا لدج لم نبقَ هنا كما كنا من قبلُ تماماً ولكننا لم نزل قريبين قرباً كافياً حتى نتراسل . يقول ميرس لك ان تأخذ جانب الشاعر وهو يفعل كفونس فونس

فقالت مس روبنس اتقول فونس ؟

فقال نعم وميرس يحيي . وهو يفهم المراد

ما قولك يا لدج . نصًّا . اسأل مسز فرول وهي تفهم المراد ايضاً . هكذا يقول ارثر

فقالت مس روبنس اتعني ارثر تنصن

فقال كلاَّ . ميرس يعلم . انتِ خلطتِ بين الواحد والآخر ولكن ميرس اشار الى الشاعر وفونس

[ومسز بيبر وسيطة اميركية مشهورة وميرس من مؤسسي جمعيَّة المباحث النفسية وهدجصن من اعضائها وقد ماتا وتجد كلاماً وافياً عن الثلاثة في المجلد ٣٧ من المقتطف]

والذين لا يعلمون الآداب اللاتينيَّة لا يفهمون شيئاً من الكلام المتقدم وانا نفسي لم افهم منهُ سوى ان ميرس اشار الى شيء حقيقي تمكن معرفتهُ او الى اقتباس من كتب القدماء يعلمهُ من كان عارفاً بها مثل مسز فرول . فكتبت اليها اسألها ما هو معنى الشاعر وفونس وهل احدهما حي الآخر . فاجابتني حالاً في ٨ سبتمبر تقول « ان هذا الكلام يشير الى ما ذكرهُ هوراشيوس الشاعر الروماني عن نجاتهِ من الموت اذ وقعت عليهِ شجرة وقد نسب نجاتهُ حينئذٍ الى المعبود فونس حامي الشعراء » وذكرت لي الابيات التي ورد فيها هذا الكلام ثم قالت « انها مألوفة لدى كل الذين قرأُوا اشعار هوراشيوس لنكتة في تركيبها النحوي ولها شأن عندي بنوع خاص لعلاقة تاريخية بينها و بين سائر قصائدهِ القولـــ بها انا وقلما يقول بها شارحو هذه القصائد ولعلَّ ذلك هو سبب الاشارة اليَّ عند ذكرها »

[وكان زوجها من اعضاء جمعية المباحث النفسيَّة]

فاستنتجتُ من ذلك ان نكبةً ما ستقع بي ولكن تعذَّر عليَّ ان افهم كيف يحميني ميرس منها وخطر لي ان النكبة ستكون مالية لا شخصيةً . ووصلتْ اليَّ رسالة مسز بيبر في اوائل سبتمبر وكنت في اسكتلندا وقُتل ابني في ١٤ سبتمبر وجاءني نعيهُ من وزارة الحربية في

١٧ سبتمبر . وكثيراً ما يُرمَز بوقوع الشجرة الى الموت . ثم اني سألت كثيرين من علماء الاداب اللاتينية كما سألت مسز فرول فاجابوني كما اجابتني هي مشيرين الى قول هوراشيوس . وقال القس بيفيلد ان هوراشيوس لم يقل ان فونس حمى الشاعر من وقوع الشجرة عليهِ بل قال انهُ خفف الضرر من وقوعها عليهِ فلم تقتلهُ . ومفاد ذلك ان الضربة تقع عليك ولكنها لا تؤْذيك كثيراً ومراد ميرس ان ابنك لم يزل حيًّا ولو كان قد مات

وجاءني من مسز بيبر كتاب آخر تاريخهُ ٥ اغسطس وصل اليَّ مع الكتاب الاول في اوائل سبتمبر و يقال فيهِ .

« نم تمسَّكْ يا لدج بالايمان والحكمة الآن وثق بكل ما هو سامٍ وصالح الم تُرشدوا كلكم ويعتنَ بكم . اتستطيع ان تقول — كلاَّ فبايمانك جرى كل شيءٍ على ما يرام ولا يزال جارياً »

ففهمت من قولها كلكم انا واهل بيتي وانها تشير بما جاء من كلامها بعد ذلك الى مصيبة تقع بنا ولكن لولا الاشارة الى « فونس » لزال هذا الامر من بالي فاستنتجت حينئذٍ ان في القولين تحذيراً من امر سيقع . وكتبت الى ابنة مسز بيبر اقول لها ان الاشارة الى الشاعر وفونس واضحة عند عارفي الآداب اللاتينية وانا واثق ان لا علاقة لها بكِ ولا باهلك . ثم ثبت لي ان مسز بيبر لم تكن تعلم شيئاً من معنى الشاعر وفونس

ولما كنت في استراليا في صيف سنة ١٩١٤ (لحضور مجمع ترقية العلوم البريطاني) كتبت اليَّ سيدة اسمها مسز كنَدي كتاباً تاريخهُ ١٦ اغسطس تقول فيهِ

« سيدي العزيز اتجاسر واطلب مساعدتك لانك من الباحثين في مناجاة الارواح . كان لي ابن وحيد (اسمهُ بولس) توفي في ٢٣ يونيو الماضي وفي ٢٥ منهُ شعرت اني مضطرة ان امسك قلم الرصاص واكتب فكتبت على غير قصد مني اسمهُ واجوبةً لمسائل سألتهُ اياها والاجوبة كانت مقصورة على كلمة نعم او لا . و بعد ذلك صرت اكتب كل يوم صفحات كثيرة كان هو يحرك قلمي لكتابتها . واحياناً كنت اكتب مرتين في اليوم الواحد . ويهمني جدًّا ان اعرف هل هو الذي يحرك يدي للكتابة او انا اكتب بقلمي على غير انتباه مني

« فالى علمك التجئُ والى ما في نفسي لك ولمباحثك من الاحترام . توفي ابني وعمرهُ سبع عشرة سنة وارى من العبارات التي يحرك يدي لكتابتها انهُ في حزن شديد لانني غير واثقة انهُ هو الذي يحرك يدي ولذلك اتجاسر واطلب مساعدتك في امر أعدُّهُ من اقدس الامور لديَّ ولو كنتُ غريبةً عنك

« اذا اتيت لندن وقتاً ما افلا تسمح لي ان اراك ولو نصف ساعة فترى هذه الامور الغريبة التي يوحى بها اليَّ وتحكم هل هي حقيقية او هي من مخترعات عقلي الباطن . هذا واني اعتذر اليك عن اطالة الكلام »

فالقيتها بعد ذلك وذهبت معها الى وسيطة اميركية اسمها مسز ربت فرأت منها ما اقنعها ان المتكلم معها هو روح ابنها . ثم تعرّفت بوسطاء آخرين مثل مسز فوت بيترس ومسز أسبرن ليونارد . ولما قرأت عن مقتل ابني في الجرائد تكلمت مع روح ابنها وطلبت منهُ ان يساعد ابني واستنبأت مسز ليونارد اي طلبت منها ان تنام النوم المغنطيسي وتنبيء بما ترى وتسمع من غير ان تخبرها بمقصدها . ففعلت فاعلمها مرشدها باسم ريمند وقال انهُ نائم . وكان ذلك في الثامن عشر من سبتمبر . وفي الحادي والعشرين منهُ كانت مسز كنَدي جالسة تكتب في حديقة دارها فتحرك قلمها في يدها على غير قصد منها كأن روح ابنها حركتهُ وكتب ما يأتي

« انا هنا رأيت ابن السر اوليفر لدج حالهُ اصلح الآن وقد استراح راحةً تامَّة فاخبري اهلهُ »

وأخبرت زوجتي لادي لدج بامر مسز ليونارد وكانت مهتمة بمساعدة سيدة فرنسوية ارملة اسمها مدام لابريتون كانت قد فقدت ولديها فذهبت الى لندن لهذه الغاية وطلبت من مسز كنَدي ان تدبر هي الامر مع مسز ليونارد حتى تجلس لها من غير ان تعرف مَن هما فقرَّ القرار على جلسة في الرابع والعشرين من سبتمبر

وفي ٢٢ سبتمبر كانت مسز كندي جالسة تتكلم مع روح ابنها فكتب قلمها فجأةً ما يأتي

« سأحضر ريمند الى ابيهِ حينما يأتي ليراكِ وهو على غاية الظرْف وكل احد يحبهُ ولقد وجد كثيرين من رفاقهِ هنا . واستقرَّ بهِ المقام فاخبري اباهُ وامهُ انهُ تكلَّم اليوم بصراحة ولم يقلق كالباقين بل استراح واطمأنَّ . ما ابهج منظرهُ . نام وقتاً طويلاً لكنهُ استيقظ وتكلم اليوم . لو علمتم مقدار شوقنا للتحدُّث معكم لاستدعيتمونا دواماً »

ولما زارتها لادي لدج في ٢٣ سبتمبر كتبت يدها (يد مسز كنَدي) رسالة من ريمند يقول فيها « انا هنا يا امي لقد كلمت اسكندر (اخاهُ) ولكنهُ لم يسمعني . حبذا لو صدَّق اننا نحن هنا في امن وما المكان بمأزق ضيق كما يظن البعض بل هو رحب يحيا فيهِ الانسان . انتظروا حتى ازيد مقدرة على مخاطبتكم ويسهل علينا التعبير عن كل افكارنا ولكن ذلك يأتي مع الزمن »

وفي اليوم التالي ذهب السيدات الثلاث الى مسز ليونارد وهي لا تعلم سوى ان

اثنتين من صديقات مسز كندي اتتا معها • وهاك ما قالتهُ لادي لدج عن هذه الجلسة

اصيبت مسز ليونارد بشيء من الغيبوبة على ما اظن ثم افاقت كانها ابنة هندية اسمها فدَي وجعلت تفرك يديها وتتكلم كلاماً سخيفاً ثم قالت اني ارى شيخاً وشاباً ووصفتها (واخبرتني مسز كندي بعدئذٍ انهما ابوها وابنها) . وارى معها كثيرين غيرهما . ثم وصفت واحداً أُتي بهِ مستلقياً عمرهُ بين الرابعة والعشرين والخامسة والعشرين غير قادر على الجلوس . وينطبق وصفها لهُ على ريمُنْد وقالت انها رأت حرف الراء ظاهراً كبيراً الى جانبهِ . ثم رأت بقية حروف اسمهِ حرفاً حرفاً . وقالت انهُ فتح عينيهِ الآن وتبسَّم ثم بانت عليهِ علامات الالم فتألَّمتُ لالمهِ لكنهُ قال انهُ لم يتألّم كثيراً ولا تألّم قدر ما ظننت انهُ تألّم لكن بولس (ابن مسز كندي) طلب مني ان لا اخبرهُ في ليلة الغد انهُ لم يكن معهُ لانهُ يعتقد انهُ كان معهُ لما مات فلا يريد ان ينزع ذلك من ذهنهِ

فطلبت من مسز ليونارد ان يأتي احد من عالم الارواح ويقبّلهُ عني فجاءت امرأة يشبه وصفها وصف امي وقبلتهُ وقالت انها تعتني بهِ وان هناك شيخاً كبيراً لحيتهُ بيضاء والى جانبهِ حرف الواو وهو ايضاً يعتني بهِ • وقال هذا الشيخ انهُ لقي ريمند وهو مهتم بامرهِ وامر كثيرين غيرهِ . وانهُ نسيب لي ولزوجي . فقلت لها ماذا عمل لي هذا الشيخ فحركت اصابع يدها كمن يسرّح شيئاً مشتبكاً ثم يبسطهُ وقالت انهُ سهّل عليّ الامر . فشكرتهُ وقلت لها ان كان ريمند مشمولاً بعنايتهِ وعناية امي فذلك حسبي

وفي اليوم التالي وهو الخامس والعشرون من سبتمبر ذهب السيدات الثلاث الى بيت مسز ليونارد ايضاً لكي يستخبرن المائدة ورافقهنَّ الدكتور كَنَدي لكي يكتب ما يقال . فجلس السيدات الثلاث ومسز ليونارد حول مائدة صغيرة ووضعن ايدهنَّ عليها واتفقن على ان تحرك المائدة عند كل حرف من حروف الهجاء التي تتلى عليها وتقف عند الحرف المراد وتكون الوسيطة هنا مستيقظة غير غائبة . وهذه طائفة من المسائل التي القيت على روح ريمند واجوبتهُ عليها

المسائل	الاجوبة
أأنت وحدك	كلا
مَن معك	جدي و
اتريد ان تقول لي شيئاً	اني مستوحش لكني اسلي نفسي وأرى حولي كثيرين من الاصدقاء

اتقدر ان تذكر لي اسم واحد منهم	آنّر (اسم احدى اخواته)
اتريد ان تقول لي شيئاً آخر	قولي لابي انني لقيت بعض اصدقائه
مَن مثلاً	ميرس
اهناك غيره	نعم غاي (وهو احد ابناء مدام لابرتون ومن ثم صار الكلام بالفرنسوية)

وفي السابع والعشرين من سبتمبر اخذت مسز كنندي تكتب وكأن روح ابنها بولس كانت تحركها الكتابة فكتبت اولاً عن لسان ابنها « يا امي سمح لي ان آتي بريمند » . ثم جعلت يدها تكتب عن لسان ريمند فكتبت ما يأتي

« الكلام هنا اسهل عليَّ من الكلام بواسطة المائدة لانك تساعدينني على الكلام دائماً وهو اسهل ايضاً وانا معكِ وحدنا منهُ لو كنا مع جماعة . قولي لهم ان ريمند زارك وان بولس قال لي ان آتي اليك وقتما اريد . انكِ تتفضلين علينا بسماحكِ لنا بالمجيء اليكِ

« لقد اخبرني بولس انهُ جاء الى هنا حين كان عمرهُ سبع عشرة سنة وهو شاب ظريف وكل احد يحبهُ ولا عجب في ذلك لانهُ يساعد الجميع . وكل من وقع في مشكل يستعين بهِ »

ثم انتقل الكلام الى بولس فقال عن ريمند انهُ سُرَّ جدًّا اذ علم انهُ يستطيع ان يخاطب اهلهُ وقد نام منذ الليل الماضي الى ان قيل لي ان آتي بهِ

وسُئِل بولس عن الشابين الفرنسويين فقال اني رأيتهما لما اتيت بهما ولكنني لا اراهما في غير ذلك وهما اكبر مني سنًّا ولا يكادان يصدقان انهما تكلما لانهما كانا يعتقدان ان التكلم مع الناس ضرب من المحال . لكنني لم انفكَّ عن حثهما على التكلم مع امهما وإخبارها انهما لا يزالان حيين وعسى ان تكون قد تحققت ذلك

ثم ذهب بولس واتى بغاي وطلب من امهِ ان تكلمهُ فكلمتهُ وطلبت منهُ ان يهتم بالتكلم فاجابها بما يأتي « اظن انكِ تسمعينني لانني اشعر كذلك ولكن كيف اثق اننا نستطيع ان نخاطبكم وانتم لا تزالون عائشين حيث كنا ولم نكن قادرين ان نخاطب الاموات فكيف يستطيع الاموات ان يخاطبوا الاحياء . عسى ان لا تنفكي عن مساعدتي لانني محتاج اليها »

ثم قالت لهُ ان يكلم بولس اذا صعب عليهِ الكلام معها فقال « اني احب بولس وهو يساعدني ويسرني ان اتكلم معهُ دائماً اذا سمح لهُ وقتهُ بذلك لانهُ مقصود من الجميع وكأنّهُ رسول بيننا وبينكم »

ستأتي البقية

انحطاط البلاد

واسبابهُ

كتب الدكتور فليكس رينول مقالة في المجلة العلمية الفرنسوية التي تصدر في باريس ذهب فيها الى ان سبب انحطاط بعض البلاد قلة سكانها وغاباتها وازدياد الحمّى الملارية فيها وقد بحث في هذه الاسباب وعلاقتها بعضها ببعض فقال ان هذه العلاقة لا تدرك الاَّ اذا بحثنا في جيولوجية البلاد وغاباتها وسير الطب فيها

بلاد اليونان

خذ بلاد اليونان مثلاً فقد كانت في زمان عظمتها مخصبة كثيرة الغابات والحراج مزدحمة بالسكان والصحة العامة فيها على ما يرام . وقدَّر المؤرخون عدد سكانها حينئذٍ بثمانية ملايين نسمة على القليل . وفي زمان الفتح الروماني اي بعد ذلك العهد بقرنين لم تستطع بلاد اليونان ان تجنّد من سكانها اكثر من ثلاثة آلاف رجل شاكي السلاح في رواية فلوطرخس . وقدر بوليبيوس ثمن الاملاك المقررة في شبه جزيرة بلوبونيسز (المورة) باقل من ستة آلاف وزنة (نحو مليون ونصف من الجنيهات) . وثمن عقارات اثينا من ثابتة ومنتقلة بمبلغ ٥٧٥٠ وزنة (نحو مليون وربع من الجنيهات)

ويعزو المؤرخون قلة السكان في بلاد اليونان الى اطّراد مهاجرة البالغين منها . فانهم منذ القرن الرابع قبل المسيح ما فتئوا يغادرون البلاد زرافات ليتجندوا بالاجرة في البلاد الاجنبية كالمرتزقة . ثم جاءت فتوح الاسكندر فاشتدّ سيل المهاجرة حتى بلغ ربّاه وصدر اهل اليونان أشتاتاً وتفرقوا على وجه اسيا

وربما كان لقلة المواليد يد في ذلك ولكن معلوماتنا عن هذا الامر ضئيلة لا تنقع غلة الباحث . ولا يصح الاستشهاد بقلة عدد السبرطيين الذين لم يزيدوا على بضع مئين في عهد الفتح الروماني اذ المراد بهاته المئين طبقة النبلاء ولا نعلم شيئاً عن العامة — هل تطرق النقص الى صفوفهم ايضاً ام لا

ودامت المهاجرة وقلة المواليد زماناً ليس بطويل . ولو دام للبلاد خصبها لسدّت ما طرأ عليها من النقص لما جعلت المواليد تزداد واخذ مدّ المهاجرة الى البلاد يطغو وجزْر

المهاجرة منها يخصر . ولكن نقص السكان دام لزوال غاباتها من جهة وصيرورتها مباءة للامراض من جهة اخرى . فقد ذكر سترابون ان الجبال التي ترى من الساحل باتت جرداء في عصرهِ وابان المستر روز الانكليزي حديثاً ان الملاريا كانت في ذلك العصر نفسهِ تفتك فتكاً ذريعاً بسكان السهول والاودية

وقد كان زوال الغابات نتيجة قلة السكان . ذلك بان قلة الايدي العاملة في البلاد افضت الى اهمال زرع الارض وتربية الماشية فاضطرَّ اهل السواحل الى انتجاع المراعي لقطعانهم في الجبال . ولو جروا في رعاية مواشيهم على قانون ما آل الامر الى ما آل اليهِ من إصارة الجبال قفراء جرداء ولكن طمع الرعاة وجهلهم افضيا الى ازدحام المراعي بالمواشي فكانت تأكل النباتات حتى جذورها وتدوسها بارجلها فتجهز عليها فساءت حالة المراعي سنة فسنة واضطر الرعاة لذلك الى الايغال في الجبال وطلب الكلإِ من الغابات فكانت الماشية ترعى الشجيرات التي هي غابات المستقبل . وعلى مدى الزمان شاخت الاشجار الكبيرة وهرمت وكثيراً ما كان الرعاة يجلون عليها باضرام النار فيها . ولما لم يكن لها خلف يقوم مقامها لزوال الابناء قبل الآباء اخذ الخراب ينزل بالجبال فكانت الامطار تهطل عليها ولا تبقى فيها لخلوها من الاشجار بل تنحدر على سفوحها سيولاً تحمل في طياتها التراب وما يكنهُ من اسباب النماء والزكاء

و بزوال الشجر جعلت الملاريا تنمو وتثري . وقد ذهب المستر روز الى ان بعوض الانوفيل (الناقل لمكروب الملاريا) ليس وطنيًّا في اليونان بل غريب نزح اليها من بلاد اجنبية رجح انها مصر . ولكن المسيو كوادياس أبان بالبرهان ان حمَّى المستنقعات (الحمى الملارية) وجدت في بلاد اليونان من قديم الزمان . وكانت مساحة البلاد المصابة بها في بادىء الامر صغيرة ثم جعلت تتسع بزوال الاشجار وصيرورة مكانها مستنقعات يولد فيها مكروب الملاريا ويعيش ويموت

اما بلاد اليونان الحديثة المعاصرة لنا فمتوسط المواليد فيها عالٍ ولكنها ضيقة باهلها لان الخراب القديم واستئصال الغابات من البلاد لا يزالان على عهدهما الاول فلذلك ترى السكان ينزحون منها جماعات طلباً للرزق خارجها . وفي كل صيف يشتد فتك الملاريا بالسكان ولا يسلم منها الاَّ اهل الجزر اليونانية التي لا تزال غنية بالغابات وهي نموذج حسن لما كانت بلاد اليونان عليهِ في العصور الخوالي

ايطاليا

بين الاسباب الكثيرة التي افضت الى سقوط البلاد الرومانية سبب لا يختلف في جوهرهِ عن الذي افضى الى سقوط بلاد اليونان القديمة قبلها . فانهُ بعد الفتوحات الرومانية جملت رومية عاصمة السلطنة تزداد نموًّا وزهاءً مما شاق اليها اهل القرى فاخذوا يؤمونها افواجاً حتى كادت الارياف تخلو منهم فوضع الاعيان ايديهم عليها واسسوا فيها نظام حكمهم الاقطاعي الجائر . ولقلة الايدي العاملة في الارض نشأت رعاية الماشية وازدهت حتى قال احد الكتبة «ان رعاية القطعان حرفة يدفع جوبتر جميع نفقاتها» . وعلى اثر ذلك أُهمل نظام الري القديم في البلاد فانسدَّت الترع ثم نسيت اوتنوسيت فلم يذكرها كاتب لاتيني فيما كتب والَّف . وكان ذلك مبدأ المستنقعات والاراضي الغامرة الكثيرة البعوض فلم ينصرم القرن الاول المسيحي حتى كانت الملاريا تفتك بالسكان اشدَّ فتك

فلم تكن الحروب ولا الاوبئة سبب خلوّ البلاد من اهلها كما زعم قوم . اذ مهما يبلغ جهد العدوّ في الحرب فلا يزيد على اتلاف المواسم وتخريب المزارع فاذا عقد الصلح وعادت المياه الى مجاريها عاد الفلاحون الى اعمالهم العادية من حرث وزرع ولا يتركون حقولهم المخصبة الاَّ اذا تغيرت عقولهم واميالهم . وقد ذكر التاريخ شواهد كثيرة على عود الفلاح الى حرث ارضهِ رغم ما يلقى من المصاعب والعقبات اذا كان متشبثاً بها مفتوناً بحبّها . فانهُ لما فتح العرب بلاد الجزائر غمرت المياه بقعاً كثيرة من سهولها فتحولت مستنقعات وبؤَراً للحمَّى ثم جاء الفرنسويون فانتشر فلاحوهم في طول البلاد وعرضها يصلحون ما افسد الاهمال فمات كثيرون منهم بالحمّى ولكن الباقين لم يقنطوا بل واصلوا العمل والكد فامتصت الزروع المياه ولم يمضِ الاَّ القليل حتى عادت تلك المستنقعات حقولاً زراعية نامية ملائمة للصحة . وعليهِ ترى انهُ لم يمل بالفلاح الروماني عن ارضهِ عقمها او عدم ملاءمتها للصحة بل فتور حبهِ لها

اما ايطاليا فتغصّ باهلها الآن لان عائلاتها كبيرة وسهول كبانيا وابوليا وتسكانا المخصبة التي كانت في عهد رومية القديمة مراعي للمواشي تحوَّلت الآن مزارع للحرث والزرع ولكن البقاع التي تركت قدماً للملاريا تعيث فيها لا تزال حتى الآن مهجورة مضرة بالصحة لا تنفع الاَّ لرعاية الماشية

اسبانيا

وما قيل في ايطاليا يقال في اسبانيا فان من اهمّ الاسباب التي آلت الى سقوطها خلوّها من اهلها بالمهاجرة ونقص المواليد ولاسيما بعد اكتشاف اميركا وتحوّل الانظار اليها بما حوت من غابات واسعة ومناجم تكاد تفيض ماساً وتبراً فأمّها اهل القرن السادس عشر واقام معظمهم فيها . وقد كانت املاك اسبانيا في اوربا ممتدة من جزيرة صقلية الى ضفاف البحر البلطيك ومشتملة على امم وشعوب يختلفون كلّ الاختلاف عن الامة الحاكمة في اجناسهم فلم يكن لاسبانيا غنى عن الرجال لحفظ زمام الحكم في يدها فانتدبت لذلك زهرة شبانها ونظمتهم في سلك جنديتها واوفدتهم الى هنا وهناك . والذين بقوا في البلاد اما انهم انتظموا في الطغمات الدينية التي تحرم الزواج على اصحابها وكثيرما هي واما انهم تزوجوا فوقعت عليهم اعباء الادارة الداخلية ولكنهم لم يستطيعوا سدّ ما طرأ على البلاد من النقص بالمهاجرة وبعث البعوث الى البلاد التي تحت سلطتها وذلك لانهم عمدوا الى حصر نسلهم بتقليل مواليدهم . فلم يجيء القرن السابع عشر حتى كان الانحطاط قد بلغ ادنى دركاته

فحلّت رعاية الماشية محلّ زرع الارض كما في بلاد اليونان وايطاليا وربّى اصحاب قشطيلة قطعاناً كبيرة من غنم المرينوس فعادت عليهم بالخير الوافر اذ كان صوف الخروف الواحد يباع عند جزهِ كل سنة بما قيمتهُ ٤٠ غرشاً . ونال كبار الرعاة امتيازات فاحشة من الحكومة فكانت قطعانهم ترعى في النجاد صيفاً وفي الوهاد شتاء واعطيت حق المرور والشرب اينما كانت . ونهي الفلاحون عن اقامة السياجات والحواجز فالتهمت القطعان نبت البلاد حبوبها وكرمها وزيتونها وباتت قشطيلة قفراً بلقعاً وتحولت انهارها سيولاً جارفة وعمّ الخراب وسادت المجاعة حتى قال احد كتبتهم في وصف هذه الحالة ان الطائر اذا اراد المرور بتلك البلاد حمل معهُ زادهُ من حبّ وماء لئلاَّ يهلك جوعاً وعطشاً . وهكذا كان نصيب الاندلس والاراغون بعد ما كانت مزدحمة بالسكان . اما المقاطعات الشمالية فلم ينلها ما نال الجنوبية بل حافظت على بعض نعمتها لبعدها عن كبار المالكين ووقوعها في حوزة صغارهم . على ان الملاريا لم تظهر في قشطيلة لانها صعيد لا يعيش فيهِ بعوض الملاريا (بعوض الانوفيل) بل اقتصر فتكها على بعض سهول الاندلس المعروفة بانخفاضها ورطوبتها

انما الحروب والظلم وفساد الاخلاق ونقص المواليد والمهاجرة عوامل زائلة لا اسباب دائمة في انحطاط الامم كما يزعم بعض المؤرخين . فما دام للتربة قوة النماء والخصب فان الخير والرفاه يعودان الى الناس ولو فارقاهم الى حين . ولكن زرع الغابات بعد قطعهـا وتكوُّن التربة الصالحة لنمو النبات بعد ازالتها وتحويل السيول الجارفة جداول ومجاري بطيئة والاراضي الغامرة بقاعاً عامرة — هذه كلها اعمال تقتضي جهداً طويلاً وسهراً دائماً يقدر عمرها بالقرون وتضحية الاضاحيّ الكثيرة من النفوس . لذلك ترى بلاد اليونان وايطاليا واسبانيا تعاني الآن ارزاء وويلات جرّها جهل جيل ماضٍ من الآباء على حدّ قول من قال

وجرم جرّهُ سفهاء قومٍ وحلّ بغير جارمهِ العقابُ

لكننا في هذا الزمان اكثر اهبة واحسن عدة لمقاومة امثال هذه النوازل . فمن الجهة الواحدة عرفنا ما جهل اسلافنا من خطرها وجلل امرها لذلك ترى حكوماتنا تقف الاموال الكثيرة على زرع الحراج والغابات والشركات الوطنية تتألف لمراقبة رعاية المواشي فلا تزدحم في بقعة واحدة لتستأصل ما فيها . والملاريا في المستنقعات تقاوم بالكينا وزيت البترول ووضع « الشعريات » في شبابيك البيوت وتربية السمك والطيور والخفافيش والحشرات التي تلتهم بعوض الملاريا

ومن الجهة الاخرى لا تجد ان المهاجرة من بلد ما تحوّل ما فيهِ من المزارع مراعي وذلك بسبب كثرة ما اخترع من الآلات الزراعية التي يستغنى بها عن يد الانسان في حرث الارض وزرعها وكثرة ما مدّ من سكك الحديد التي تنقل العمال بسرعة الى المزارع متى آن اوان الحصاد

وليس المراد من هذا القول ان الافراط في اخلاء الارض من سكانها لا يعود بالشرّ والوبال عليها بل بالضدّ من ذلك . ففي بعض جهات فرنسا حيث المواليد قليلة ترى الحقول الخصبة مهملة اهمال الاراضي المتوسطة الخصب التي لا تردُّ على اصحابها ما ينفقون من المال وما يبذلون من التعب عليها . ولكن لا جدال في ان ما لدينا من الوسائط الآن يمكّن البلاد التي قلّ سكانها من اجتياز ازمة القلّة والانسلال منها سليمة فلا ينالنا من الاضمحلال ما نال بعض الامم البائدة

الحبوب المقشورة

قيمتها الغذائية والامراض الناشئة عن اكلها

جرت عادة العلماء ان يقيسوا قيمة كل طعام بما يحتويهِ من المواد المغذية كاللحم والدهن والسكّر . ولكن هذه الطريقة غير كافية كما اثبت الاختبار اذ لا بدّ ايضاً ان يحسب حساب مواد اخرى لا غنى للانسان عنها في طعامهِ اطلقوا عليها اسم الڤيتامين اي المواد الحيوية . وقد اكتشفت هذه الموادعند درس بعض الامراض وخصوصاً مرض « البري بري » وهو مرض شائع بين الاقوام الذين اعتمادهم في طعامهم على الرز اذا اكلوا الرز المبيَّض والخبز الابيض . واول اعراضهِ فقد القابلية ثم الضعف المتزايد والاسهال والهزال . ويلي هذه الاعراض اعراض شلل وضمور في عضلات الجسم يبدآن بالاطراف السفلى وتضخم جانب القلب الايمن وعسر التنفّس وزرقة الجلد وقلة البول ثم الموت بعد بضعة اسابيع او اشهر

وهذا الداء ليس معدياً ولا ترافقهُ حمّى بل هو خلل مزمن يطرأُ على وظيفة التغذية في الجسم وسببهُ اقتصار المصاب بهِ على تناول الطعام الخالي من هذا الڤيتامين . فاذا اكل طعاماً محتوياً على كثير منهُ كالخضر الطريئة والاثمار الخضراء واللبن غير المطبوخ والبيض النيء واللحم النيء او المطبوخ قليلاً شفي من مرضهِ سريعاً . اطعم الدجاج والحمام خبزاً ابيض او رزّاً مقشوراً مبيضاً دون غيرهما تظهر عليها اعراض هذا المرض لا محالة فتموت ما لم تضف النخالة (الرضة) او الفول او ما اشبه ذلك الى طعامها

واول ما ظهر داء البري بري كان في البلاد التي جلُّ طعام اهلها الرز ولكنهُ لم يظهر الاَّ بعد ما جعل اهل تلك البلاد يبيضون رزهم لازالة اللون الاحمر منهُ ويصقلونهُ ليلوح ابيض لامعاً . وكذلك ظهر في اوربا حيث اتخذ الناس الخبز الابيض المصنوع من الدقيق المقطف بدلاً من الخبز الاسمر المصنوع من دقيق الحنطة ونخالتهِ الداخلية ذلك لان الڤيتامين والبروتيد والدهن والاملاح المغذية التي في الحبوب موجودة في الطبقة الخارجية التي تحت القشرة الخلوية فاذا ازيلت هذه القشرة والطبقة التي تحتها لم يبقَ في الحبوب شيء من المواد الحيوية المذكورة

وفي جنوب ايطاليا وشمال افريقية مرض آخر يشبه البلاغرا ويسمى لاثيرزم وسببهُ الاقتصار على تناول الفول او الفاصوليا الفاسدة ويشفى باكل الاثمار والخضر الطريئة واللبن الجديد الخ

واقدم الامراض الحادثة من فقد المواد الحيوية في الطعام مرض الاسكربوط . وكان كثير الشيوع في الاسفار البحرية الطويلة والحروب والمدن المحصورة وحيث يحل موسم البطاطس في اوربا . واول اعراضهِ اصفرار السحنة واورام موءلمة في الساقين والتهاب اللثة وفسادها وخفقان القلب وضعفهُ وهزال الجسم وضمور العضلات ثم النزف فالتقرح فالاسهال فالاوديما فالموت . ويمكن شفاء المصاب شفاء تامًّا في اسبوعين بتناول الخضر والاثمار . وقد اشرف الوف من البحرية على الموت في الاسفار الطويلة ثم انقذوا بشرب عصير الليمون الحامض

اما سبب الاسكربوط فالاقتصار على اكل البقول المجففة واللحم واللبن المعقمين والمحفوظين في علب . ومنهُ نوع يسمى اسكربوط الاطفال او مرض برلو وهو ناشيء عن اطعام الاطفال لبناً معقماً واعراضهُ تماثل اعراض الاسكربوط العادي . ويشفون منهُ في اسبوعين او ثلاثة اسابيع باطعامهم لبناً جديداً وخضراً واثماراً خضراء مع شيء من عصير العنب او البرتقال او الليمون الحامض وشيء من عصير اللحم

اما اللبن المُغلى وخصوصاً اللبن الذي كرر تسخينهُ فيفضي اطعامهُ للاطفال الى الداء المعروف بالكساح ويصيرهم اكثر استعداداً للتشنج . والاطفال الذين يرضعون من امهاتهم خالون بوجه خاص من هذين المرضين اللذين يصيبان الاطفال الذين يقتاتون بلبن البقر المغلى ويميتان كثيرين منهم . فان اللبن وسائر الاطعمة كاللحم والبيض والاثمار والخضر كثيرة الفيتامين وملائمة للصحة كل الملاءمة اذا كانت نيئة . فاذا جففت الحل او زال بعض ما فيها من الفيتامين واذا طبخت زال كلهُ . وعليهِ فكلُّ ما يوءكل من الحبوب يجب جرشهُ او طحنهُ واكلهُ بقشورهِ لانها تحتوي على الفيتامين مع سائر مواد الغذاء

هذه خلاصة ما كتبهُ الدكتور رينهارت الالماني في احدى المجلات العلمية المشهورة . وقد اشارت مجلة السينتفك اميركان الى بعض ما في اقوالهِ واحكامهِ من التناقض حيث قالت معلقة عليها :

لا ننكر ان اقوال الكاتب صحيحة اجمالاً ولكن فيها اموراً متناقضة تجب الاشارة اليها . فقد قال ان سبب مرض البري بري اكل الرز خالياً من قشورهِ المحتوية للفيتامين ولكن الفيتامين يقتل بحرارة الطبخ فلذلك لا نرى فرقاً كبيراً بين اكل الخبز الابيض وخبز القمح المخبوز بقشورهِ من حيث القيمة الغذائية . ولا بين الرز المبيض والرز غير المبيض اذا طبخا ما دام الفيتامين يموت بحرارة الطبخ . انتهى

هذا و يظهر لنا انهُ يمكن التوفيق بين الكاتب والسينتفك اميركان بان حرارة الخبز والطبخ قد تزيل الفيتامين وقد لا تزيلهُ فاذا اشتدَّت وطالت مدتها ازالتهُ واذا بقيت عند درجة غليان الماء وقصرت مدتها لم تزلهُ او ازالت بعضهُ فقط · وقد ورد شيءٌ عن خواص الفيتامين في مقالة نشرناها في جزء نوفمبر الماضي

التقريظ والانتقاد

قلَّ من موَّلفينا من يعرف غير الشق الاول من شقي هذا الباب اي التقريظ · ذلك بان المؤلف الذي يؤلف كتابًا او كرّاسًا او يترجم رواية و يعرض شيئًا من بضاعتهِ على الجرائد طالبًا كتابة شيءٍ عنها ترى في اساريز وجههِ وحركاتهِ عامّة ما تفهم منهُ انهُ يرجو تقريظًا لا انتقاداً · وكثيراً ما يخرج من التلميح الى التصريح فيطلب من كاتب الجريدة تقريظ مؤلفهِ لا انتقادهُ معتذراً عن هذا التحكم بقولهِ انهُ يعلم ان الانتقاد واجب وان التقريظ والمدح الصرف تضليل للكاتب والقارئ معًا · ولكن لما كان جمهور القراء يحسب الانتقاد معرّة وغضاضة على الكاتب فهو يرجو الاغضاء عما في كتابتهِ من الخلل والزلل خشية ان يحجم الجمهور عنها فيسدّ باب الرزق في وجههِ وما هو الاَّ طالب عيش · و بعد هذا وذاك فان العصمة لله ولهُ وحدهُ الكمال

اما كاتب الجريدة فاما ان يقول الحق فيغضب المؤلف غالبًا لانهُ مهما تكن براعة هذا والمؤلفون البارعون قليل عندنا فلا تخلو كتابتهُ من الخطإ وحينئذٍ ينفتح باب الاخذ والرد والرد على الرد فتفاديًا من مثل هذا يعرض المنتقد عن الانتقاد و يكتفي بالفاظ معتادة تقال في كل كتاب مع ان الانتقاد على شدتهِ افضل للمؤلف من امثال هذه الاقوال العامة

الغربيون يعرفون الانتقاد وجمهورهم يحبهُ و يكره التقريظ المجرد و ينفر منهُ · وما ذلك الاَّ لانتشار العلم بينهم · فالمؤلف القدير لا يؤلف الاَّ وهو قادر على التأليف ولا يعرض كتابًا للانتقاد الاَّ وهو واثق بما كتب · والمنتقد لا يكيل الانتقاد جزافًا ولا يلقي الكلام على عواهنهِ لأَن جمهور القراء مفتحو العيون يميزون الغثّ من السمين من غير ان يقال لهم هذا غثّ وهذا سمين · فاذا الف مؤلف كتابًا سخيفًا ظهرت سخافتهُ حالاً واذا انتقد كاتب انتقاداً كاذبًا انفضح كذب انتقادهِ حالاً وفي كلا الحالين هوان للمخطئ وتشهير بهِ

بالامس اصدر المستر روزفلت مجلدهُ الثاني عن رحلتهِ الافريقية · وروزفلت كاتب

مشهور فانبرى لانتقاد كتابهِ السرهري جونستون الرحالة الانكليزي وهو كاتب مشهور ايضاً · فبعد ان لخص الكتاب انتقدهُ كما عنّ لهُ غير هيّاب واكتفى بعبارات موجزة معتدلة في بيان محاسنهِ · وقد نشر هذا الانتقاد في مجلة « نانشر » الانكليزية وهي من اوثق المجلات العلمية · ونؤكد من الآن ان المستر روزفلت لا يرد على ذلك الانتقاد اذا كان وجيهاً · وان ردّ بشيءٍ فليشكر المنتقد على خطإٍ ابانهُ او زلة ارشد اليها

كنا نطالع باب التقريظ والانتقاد في بعض اعداد المجلة المذكورة فرأيناها تكتب عن كتاب اهدي اليها عنوانهُ « حرب السموم » ومؤلفهُ فرنسوي اسمهُ رو برتس · قالت في انتقادها اياهُ :

« ان المسيو رو برتس وقد وُصف بانهُ عضو في الجمعية الكيماوية الفرنسوية وفي جمعية الصناعة الكيماوية اخرج للناس كتاباً لا ينكر احد من الملمين بالكيمياء نعتنا لهُ بالغريب » · ثم استشهدت على صحة قولها بعبارات واردة فيهِ يعرف كل ملمّ بالكيمياء والصناعة الكيماوية انها غير صحيحة منها قولها « جاء في الصفحة ٩٩ من الكتاب ان مستخدم صيدلية اكل اوقيتين من النتروغليسرين توهم انهُ شوكولاته فلم يصب بضرر» · ومعلوم ان النتروغليسرين مادة مضرة جدًّا ومنهُ تصنع المواد المفرقعة · ثم تناولنا العدد التالي من تلك المجلة فوجدنا فيهِ رسالة من كاتب انكليزي يقول فيها : « ان الكاتب الفرنسوي اقتبس حكاية تلك الحادثة من مؤلف كيماوي لي ولكن اقتباسهُ جاء ممسوخاً مبتوراً · فقد جاء في كتابي ان مستخدماً في صيدليتي اكل قطعة شوكولاته فيها نتروغليسرين وثقل القطعة كلها اوقيتان فاصيب بصداع وقتي شفي منهُ في اليوم التالي · ونسبة النتروغليسرين الى الشوكولاته فيها نسبة قمحة الى ٢٥٠ قمحة · فكلّ ما ابتلعهُ منهُ $\frac{1}{2}$ ٣ قمحة · واسمحوا لي بان اضيف ان المستخدم المشار اليهِ المانيّ فلما ابتلع القطعة جعل يصيح بالانكليزية وبرطانة الالمان المعهودة يا الهي انا مائت انا مائت · ولكنهُ لم يمت حينئذٍ والمرجح انهُ مات الآن من النتروغليسرين مستعملاً بطريقة اخرى » (يشير بذلك الى امكان موتهِ في ساحة الحرب بقنبلة مصنوعة من النتروغليسرين)

وقد علقت المجلة على هذه الرسالة مبينة عظم الفرق بين الروايتين

هذا مثال من اسلوب حب القوم للانتقاد · فمتى بلغنا مبلغهم من تحري الصدق في الرواية والسير في اثر الحقيقة حيثما كانت وطلب العلم ولو في الصين فحينئذٍ نطمع في حب الانتقاد وكره التقريظ مثلهم اذا وضعا في غير موضعها

طرائف من ادب العرب

تمهيد

كثيراً ما نسمع طالبي الادب العربي يتساءلون عن احسن كتاب او كاتب فيهِ . وقد قرأت مثل هذا السؤال غير مرة في مجلاتنا . ورأيت المجلات الاوربية تطرق هذا الباب ايضاً فتستفتي قراءها في افضل الكتّاب والكتب في لغتهم فيفتيها كلٌّ في الكاتب او الكتاب الذي يفضلهُ على غيرهِ في ذوقهِ مبيناً اسباب التفضيل

ولما كان جمهور قراء المجلات في الشرق ممّن لا يمكّنهُ حالهُ او وقتهُ او اسباب اخرى من درس كتب الادب العربي لمعرفة فاضلها من مفضولها فيختار الاول ويرجع اليهِ لفائدة او لفكاهة رأيت ان انشر سلسلة مقالات ألخّص فيها بعض كتب الادب العربي . فانقل شيئاً من محاسنها وطرائفها واعلّق عليهِ بما يحلو لي . وسأبدأ بكتاب الكشكول لا لانهُ مقدم على غيرهِ في نظري — والواقع انهُ ليس كذلك — بل لان خاطر التلخيص والتعليق خطر لي وانا اقلّب هذا الكتاب بين يديَّ واقرأ سطورهُ فانحول من الاستحسان الى الاستهجان ومن الاستحلاء الى الاستمرار باقل من لمح البصر . على ان قراء هذا التلخيص لا يذاقون ما ذقت من خل كتب الادب العربي مع خمرها لاني عزمت ان ادير عليهم خمر الادب دون خلّهِ فيشربوها صرفاً سائغة ويكفوا حمض الخل . و يا ليتني كفيتهُ انا

وقد أُردف هذه الطرائف بمثلها من الادب الغربي ليقابل القارئ بين الادبين

الكشكول

قيل في اول الكتاب انهُ « لخاتمة الادباء وكعبة الظرفاء محمد بهاء الدين العاملي » . وقال المؤلف بعد البسملة انهُ لما فرغ من كتابهِ المسمّى « المخلاة » لفق كتاباً ثانياً على نسقهِ وسماهُ « بالكشكول » . اما المخلاة فلم اقف عليها والاَّ لكنت قدمتها على الكشكول في تفكهة القراء بها لتقدمها عليهِ في الزمان

ولد صاحب الكشكول في بعلبكّ من اعمال الشام في آخر سنة ٩٥٣ هجرية (او اواسط القرن السادس عشر للمسيح) وانتقل بهِ ابوهُ الى بلاد فارس حيث تلقى العلم وولي مشيخة الاسلام . ثم حج البيت وزار المقام في المدينة وساح ثلاثين سنة وعاد الى فارس . ولهُ اكثر من عشرين حاشية وتفسيراً وشرحاً ومؤلفاً في مقاصد شتى من دينية ولغوية وفلكية ورياضية . اما كتابهُ الكشكول فالّفهُ عند زيارته لمصر ولعل ذلك سبب ما حواهُ

من النكات والطُرَف · وكان يجتمع مدة اقامتهِ بمصر بالاستاذ محمد بن ابي الحسن البكري · ومما زار من المدن المشهورة القدس الشريف ودمشق الشام وحلب الشهباء · وكان يعرف باسم المنلاّ بهاء الدين · وتوفي سنة ١٠٣١ هجرية في اصبهان من مدن ايران · وغنيّ عن البيان انهُ كان شيعيًّا (١)

وقد عنيت بان لا انقل من الكتاب الاَّ ما لم ارهُ في كتب الادب الحديثة التي لخصت من كتب الادب العربي · واذا كان هناك رواية او حكاية طويلة اختصرتها محافظًا على لغة صاحبها · وساورد ما انقلهُ بين علامات الاقتباس · وفي حال التعليق اتركهُ مطلقًا غير محصور بينها · ولا بدّ من القول ان صاحب الكشكول ليس من الكتَّاب المبرزين ولغة كتابهِ ركيكة حيث يكون منشئًا بليغة حيث يكون مقتبسًا من اعاظم الكتبة · ولا يذكرهُ « المستشرقون » من اهل الغرب فيما يكتبون عن كتَّاب العرب

عابد لبنانيّ

« روي انهُ كان في جبل لبنان رجل من العباد منزويًا (٢) (كذا) عن الناس في غار في ذلك الجبل · وكان يصوم النهار و يأتيهِ كل ليلة رغيف يفطر على نصفهِ و يتسحّر بالنصف الآخر · فاتفق ان انقطع عنهُ الرغيف ليلة من الليالي فاشتدَّ جوعهُ وبات تلك الليلة في انتظار شيء يدفع بهِ الجوع فلم يتيسر لهُ شيء · وكان في اسفل ذلك الجبل قرية سكانها نصارى · فعندما اصبح العابد نزل اليهم واستطعم شيخًا منهم فاعطاهُ رغيفين من خبز الشعير فاخذهما وتوجه الى الجبل · وكان في دار ذلك الشيخ النصراني كلب جربٌ مهزول فلحق العابد ونبح عليهِ فألقى اليهِ رغيفًا ليشتغل بهِ عنهُ فاكلهُ ولحقهُ تارة اخرى فالقى اليهِ الرغيف الآخر فاكلهُ ولحقهُ واشتد هريرهُ فقال العابد سبحان الله اني لم ارَ كلبًا اقل حياءً منك · ان صاحبك لم يعطني الأَرغيفين وقد اخذتهما مني · ماذا تطلب بهريرك · فانطق الله تعالى ذلك الكلب : لست انا قليل الحياء · اعلم اني ربيت في دار ذلك النصراني احرس غنمهُ واحفظ دارهُ واقنع بما يدفعهُ لي من عظام او خبز · وربما نسيني فابقى اياما لا آكل شيأً (٣) بل ربما يمضي علينا ايام لا يجد هو لنفسهِ شيئًا ولا لي ومع ذلك لم افارق دارهُ منذ عرفت

(١) وعلى ذكر الشيعة اقول انهم يسمون في الشام متاولة جمع متوالي · ذلك بانهم تولوا عليًا واهل بيتهِ كما جاء في محيط المحيط (٢) نصبها على انها خبر كان الناقصة وحقها ان ترفع على التبعية لانها صفة او نعت لرجل · ورجل فاعل لكان وهي هنا تامة بمعنى وجد (٣) كذا طبعت في الكتاب كلهِ بوضع الهمزة على الالف

نفسي ولا توجهت الى باب غيرهِ بل شكرت والاَّ صبرت . واما انت فبانقطاع الرغيف عنك ليلة واحدة لم يكن عندك صبر حتى توجهت من باب رازق العباد الى باب نصراني . فايُّنا اقل حياءً انا ام انت . فلما سمع العابد ذلك ضرب بيديهِ على رأسهِ وخرَّ مغشيًّا عليهِ »

والقصة موضوعة ولكن مغزاها حسن

بَرَدٌ كبير ومطر حجارة

« ذكر في الكامل في حوادث سنة ٢٨٥ انهُ حدث بالبصرة ريح صفراء ثم خضراء ثم سوداء ثم تتابعت الامطار وسقط بَرَدٌ وزن كل واحدة مائة وخمسون درهمًا . وفي هذه السنة حدث بالكوفة ريح صفراء وبقيت الى المغرب ثم اسودَّت ثم حصل مطر عظيم . ومطرت قرية من نواحي الكوفة تسمَّى احمد اباد حجارة سوداء وبيضاء في اوساطها طين[1] وحمل منها الى بغداد فرأتهُ الناس وتعجبوا من ذلك غاية العجب »

والخبر من تاريخ الكامل لابن الاثير ولسنا نعلم ان في نواحي الكوفة قرية تسمى احمد اباد وكل ما نعلم ان هناك مكانين بهذا الاسم احدهما « قرية من قرى ريوند من نواحي نيسابور . والاخرى قرية من قرى قزوين على ثلاثة فراسخ منها » كما جاء في معجم البلدان لياقوت الحموي . على ان احمد اباد الهندية مدينة كبيرة سكانها نحو ٢٠٠ الف نسمة وهي عاصمة مقاطعة بهذا الاسم ايضًا . ولم يذكر ياقوت هذه المدينة لانها بنيت بعد زمانهِ بنحو قرنين . فان ياقوت عاش في النصف الاخير من القرن الثاني عشر واوائل الثالث عشر للمسيح ومدينة احمد اباد الهندية اسست في اوائل القرن الخامس عشر وموسسها احمد شاه الهندي وقد سميت هي ومقاطعتها باسمهِ

اما البَرد الكبير ومطر الحجارة فمن الظواهر الطبيعية الكثيرة الحدوث حتى لقد ذكروا مطراً من السمك وآخر من البرتقال وآخر من الموز . وسببها ان الاعاصير تجتاح اليابسة فتحمل ما في طريقها وترفعهُ الى اعالي الجوّ ثم يهبط بقوة الجاذبية متى خفت قوة الاعاصير فان كان حملها حجارة مطرت حجارة او فاكهة مطرت فاكهة او غير ذلك مطرت غير ذلك

نقيصة الغيبة

قال من كتاب « روينا عن سيد البشر والشفيع المشفع في المحشر انهُ قال : يجاءُ بالعبد يوم القيامة فتوضع حسناتهُ في كفة وسيآتهُ في كفة . فتجيءُ بطاقة فتقع في كفة الحسنات فترجح بها فيقول يا ربّ ما هذه البطاقة فما من عمل عملتهُ في ليلي ونهاري الاَّ استقبلت بهِ . فيقول عزَّ وجلَّ هذا ما قيل فيك وانت منهُ بريءٌ »

(1) طبعت كلمة « طين » في الكامل « طبق » وهذا خطأ

وهذا اجمل ما يمثل ان الغيبة لا تضرّ من يُغتاب بل تنفعهُ · وقد سماها الانكليز (backbiting) اي عضّ الظهر ونهشهُ

أكحل ام التلسكوب ام اشعة اكس ؟

« حكى الامام فخر الدين الرازي في اول السرّ المكتوم قال : قال ثابت بن قرة ذكر بعض الحكماء كحلاً يقوي البصر الى حيث يرى ما بعُد عنهُ كأنهُ بين يديهِ · قال وفعلهُ بعض اهل بابل فحكى انهُ رأى جميع الكواكب الثابتة والسيارة في موضعها · وكان ينفذ بصرهُ في الاجسام الكثيفة فكان يرى ما وراءها · فامتحنتهُ انا وقسطا بن لوقا ودخلنا بيتاً وكتبنا كتاباً يقرؤُهُ علينا و يعرفنا اول كل سطر وآخرهُ كأنهُ معنا · وكنّا نأخذ القرطاس ونكتب و بيننا جدار وثيق فاخذ هو قرطاساً ونسخ ما كنا نكتبهُ كأنهُ ينظر فيما نكتبهُ »

اقول والشطر الاول من القصة يشبه ان يكون هذا الكحل كناية عن التلسكوب وان التلسكوب كان معروفاً في عهد ثابت بن قرة اي في اوائل القرن العاشر للميلاد ولو لم يشتهر وجودهُ قبل اول القرن السابع عشر للميلاد · فقد ذكر ديموقريطس اعظم فلاسفة اليونان الطبيعيين ان المجرة مؤلفة من نجوم صغيرة لا عداد لها · ولما كان هذا الفيلسوف قد عاش في القرن الخامس قبل الميلاد على ما يرجحون فقد استدل البعض من قولهِ على ان التلسكوب كان معروفاً في زمانهِ ولكن تعين من قول ابن قرة ان هذا الكحل مكّن بعض اهل بابل من ان ينفذ بصرهُ في الاجسام الكثيفة ويرى ما وراءها انهُ ليس بالتلسكوب لما هو معروف من ان التلسكوب لا يخترق الاجسام الكثيفة

فما هو اذاً ؟ فهل كانت اشعة اكس معروفة وكانوا يرون بها من خلال الاجسام الظليلة

بقي هناك ثلاثة فروض الواحد ان ثابت بن قرة افتأت الكذب متعمداً ولكني استبعد افتئات فيلسوف مثلهِ « هذب كتاب اقليدس الذي عربهُ حنين بن اسحق العبادي ونقحهُ واوضح منهُ ما كان مستعجماً وكان من اعيان عصرهِ في الفضائل » كما قال ابن خلكان والفرض الثاني انهُ كان مخدوعاً · وليس ذلك ببعيد فان المشعوذين في هذا العصر تمكنوا من خدع اكبر العلماء في فرنسا وانكلترا · والثالث ان المسئلة من قبيل قراءة الافكار المشهورة في هذا الزمان · وقد وضعت مرة في يدي شيئاً لحزرهُ قارىء الافكار · وما وقع لي وقع لالوف غيري · ولعل هذا ما وقع لثابت بن قرة في زمانهِ

الفراسة

« نظر اياس بن معاوية يوماً الى رجل غريب لم يرهُ قط فقال هذا غريب واسطيّ

معلم كتّاب هرب لهُ غلام اسود . فوُجد الامر كما ذكر . فقيل لهُ من اين علمت ذلك فقال رأيتهُ يمشي ويلتفت فعلمت انهُ غريب . ورأيت على ثوبهِ حمرة تراب واسط . ورأيتهُ يمرّ بالصبيان فيسلم عليهم ويدع الرجال . واذا مرّ بذي هيئة لم يلتفت اليهِ واذا مرّ باسود دنا منهُ يتأملهُ . يقال اصدق الناس فراسة ثلاثة العزيز في قولهِ لامرأتهِ عن يوسف اكرمي مثواهُ عسى ان ينفعنا . وابنة شعيب[1] التي قالت لابيها عن موسى يا أبتِ استأجرهُ ان خيرَ من استأجرت القوي الامين . وابو بكر في الوصية بخلافة عُمَر »

والقاضي اياس هذا هو ابن معاوية المعدود آية في الذكاء والفطنة حتى ضرب بهِ المثل فيها . قال ابو تمام في العباس بن المامون

اقدام عمرو في سماحة حاتم في حلم[2] احنف في ذكاء اياس

ولد في اواسط القرن الاول للهجرة وتوفي اوائل الثاني

وواسط بَلَد بالعراق اختطهُ الحجاج في سنتين اي رسم بناءهُ . ومنهُ المثل تغافلْ كأنك واسطيٌّ لانهُ كان يتسخرهم في البناء فيهربون وينامون بين الغرباء في المسجد فيجيء الشرطيُّ ويقول يا واسطيُّ فمن رفع رأسهُ اخذهُ . فلذلك كانوا يتغافلون ويتناومون

والفراسة هذه هي ما يسميهِ الانكليز observation او طريقة زادج وزادج هذا رجل لا يعرف هل هو حقيقي او وهميّ فهو بذلك مثل هرقل فارس اليونان وعنترة فارس العرب قبل الاسلام ولكن قيل عنهُ انهُ عاش في بابل في عهد الملك موابدار . والملك موابدار هذا لا يعرف علماء التاريخ ولا علماء الآثار والعاديات شيئًا عنهُ ولا قرأوا اسمهُ في قائمة ملوك بابل الذين نقشت اسماؤهم على الآثار المكتشفة . وقد اطال فولتير في ترجمتهِ ولكن التدقيق التاريخي ليس من صفات فولتير كما قال هكسلي في مقالة لهُ عن طريقة زادج (On the method of Zadig.)

اما الفراسة الاخرى وهي الحكم على صفات المرء واخلاقهِ من التفرّس في ملامحهِ فهي ما يسمّى بالانكليزية phrenology اي علم العقل من فرينوس باليونانية ومعناها الدماغ او العقل ولوغوس ومعناها كلام او علم . وهناك فرع آخر من الفراسة وهو الاستدلال على الاخلاق من درس اسارير الكفين

(١) هو حمو موسى الكليم واسمهُ في التوراة يثرون وكان كاهن مديان

(٢) وكذلك ضرب المثل في الحلم بمعن بن زائدة

بين هرقل ومعاوية

« يحكى ان هرقل ملك الروم كتب الى معاوية بن ابي سفيان يسألهُ عن الشيء واللاشيء . وعن دين لا يقبل الله غيرهُ . وعن مفتاح الصلاة . وعن غراس الجنة . وعن صلاة كل شيء . وعن اربعة فيهم الروح ولم يرتكضوا في اصلاب الرجال ولا ارحام النساء . وعن رجل لا اب لهُ . وعن رجل لا قوم لهُ . وعن قبر جرى بصاحبهِ . وعن قوس قزح ما هو . وعن بقعــة طلعت عليها الشمس مرة واحدة ولم تطلع عليها سابقاً ولا لاحقاً . وعن ظاعن ظعن مرة ولم يظعن قبلها ولا بعدها . وعن شجرة نبتت من غير ماء . وعن شيء يتنفس ولا روح لهُ . وعن اليوم وامس وغد وبعد غد . وعن البرق والرعد وصوتهِ وعن المحو[1] الذي في القمر » ا انتهت ملخصة)

« فقيل لمعاوية لست هناك[2] . ومتى اخطأت في شيء من ذلك تسقط من عينهِ فاكتب الى ابن عباس[3] يخبرك عن هذه المسائل . فكتب اليهِ فاجابهُ بقولهِ : اما الشيء قال الله تعالى وجعلنا من الماء كل شيء حي . واما قولهُ لا شيء فانها الدنيا لانها تبيد وتفنى . واما دين لا يقبل الله غيرهُ فلا اله الاّ الله محمد رسول الله . واما مفتاح الصلاة فالله اكبر . واما غراس الجنة فلا حول ولا قوة الاّ بالله العلي العظيم . واما صلاة كل شيء فسبحان الله وبحمدهِ . واما الاربعة فآدم وحواء وعصا موسى والكبش الذي فدي بهِ اسحق . واما الرجل الذي لا قوم لهُ فآدم . واما القبر الذي جرى بصاحبهِ فالحوت سار بيونس (يونان) في البحر . واما قوس قزح فامان الله تعالى لعبادهِ من الغرق . واما البقعة التي طلعت عليها الشمس مرة واحدة فالبحر الذي انفلق لبني اسرائيل . واما الظاعن فجبل طور سيناء كان بينهُ وبين الارض المقدسة اربع ليالٍ فلما عصت بنو اسرائيل اطارهُ الله بجناحيهِ فنادى منادٍ إن قبلتم التوراة كشفتهُ عنكم والاّ القيتهُ عليكم . فاخذوا التوراة معتذرين فردهُ الله تعالى الى موضعهِ . واما الشجرة فشجرة اليقطين التي انبتها الله تعالى على يونس . واما الذي ينفس ولا روح لهُ فالصبح . واما اليوم فعمل . واما امس فمثل . واما غد فاجل . واما بعد

---

(١) السواد (٢) اي لست اهلاً للسؤال قال ابن مسعود الى علينا حين لسنا نسأل ولسنا هنالك اي لسنا اهلاً للسؤال (٣) هو عبدالله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم وهو جدّ السفاح والمنصور الخليفتين . قال ابن خلكان « كان سيدًا شريفًا بليغًا وكان اجمل قرشي على وجه الارض واوسمهم واكثرهم صلاة » . وكان يقال له حبر الامة والبحر لكثرة علمهِ . وعاش بعد ابن مسعود نحو ٣٥ سنة وبعد عمر بن الخطاب نحو ٤٧ سنة يقصد ويستفتى ويعتمد

غدٍ فامل · واما البرق فمخاريق[1] بايدي الملائكة تضرب بها السحاب · واما الرعد فاسم الملك الذي يسوق السحاب وصوتهُ زجرهُ · واما المحو الذي في القمر فقول الله عزّ وجلّ وجعلنا النهار والليل آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة · ولولا ذلك المحو لم يعرف الليل من النهار ولا النهار من الليل »

وجاء في رواية اخرى لهذه الحادثة ما يأتي[2] :

« ومما يحكى عن فطنة ابن عباس ان ملك الروم كتب الى معاوية يسألهُ عن افضل الكلام ما هو · وعن الثاني والثالث والرابع والخامس · وعن اكرم خلق الله · وعن اكرم الاماء على الله · وعن اربعة من الخلق فيهم الروح لم يرتكضوا في رحم · وعن قبر مشى بصاحبهِ · وعن المجرة والقوس · وعن مكانٍ طلعت فيه الشمس مرة في الزمان · فلما قرأ معاوية الكتاب قال اخزاهُ الله وما علمي بما هنا · فقيل لهُ اكتب الى ابن عباس فكتب اليهِ بذلك فكتب اليهِ ابن عباس ان افضل الكلام لا اله الاّ الله كلمة الاخلاص لا يقبل عمل الاّ بها · والتي تليها سبحان الله وبحمدهِ صلاة الحق · والتي تليها الحمد لله كلمة الشكر · والتي تليها الله اكبر والخامس لا حول ولا قوة الاّ بالله · واما اكرم الخلق على الله عزّ وجلّ فآدم خلقهُ الله بيدهِ وعلّمهُ الاسماء كلها · واما اكرم إمائهِ عليهِ فهي مريم التي أحصنت فنفخ فيها الروح واما الاربعة الذين لم يرتكضوا في الرحم فآدم وحواء وناقة صالح والكبش الذي فدي بهِ اسماعيل (او اسحاق) وقيل عصا موسى حين القاها فصارت ثعباناً · واما القبر الذي مشى بصاحبهِ فهو حوت يونس · واما المجرة فباب السماء · واما القوس فانهُ امان لاهل الارض بعد قوم نوح · واما الذي طلعت فيهِ الشمس مرة فهو البحر الاحمر حين شقهُ الله لبني اسرائيل · قيل فلما وصل الكتاب الى ملك الروم قال لاعلم لمعاوية بهذا وما اصابهُ الاّ رجل من بيت النبوة » انتهى

· اقول اما تعليل الحوادث الطبيعية المذكورة آنفاً فلا يخفى على قراء المقتطف

(نقيب)

---

(١) المخاريق جمع مخراق وهو منديل يلفّ فيتلاعب الصبيان بهِ ويتضاربون يسمى في مصر طرّة وفي الشام مقرعة والمقرعة في اللغة السوط وكل ما قرعت بهِ · قال ابن كلثوم من معلقته

كأن سيوفنا منا ومنهم مخاريقٌ بايدي لاعبينا

(٢) ذكرت في دائرة المعارف العربية للبستاني

الشيخوخة واماليٌّ حيوية

نقلاً عن العلامة متشنيكوف

(٦) الموت الطبيعي

الموت الطبيعي نادر جدًّا في الانسان وما يحسب طبيعيًّا من موت الشيوخ يرجع اكثرهُ الى اسباب مرضية وخصوصاً الى ذات الرئة التي تختفي اعراضها فيهم او تكون قليلة الوضوح او الى السكتة الدماغية

والموت الطبيعي كما وصفهُ دمانج هو انهُ « متى وصل الشيخ الى اقصى الشيخوخة وانطفأ ما بقي فيهِ من نور العقل اخذ يشعر بضعف يتولاهُ ويزيد فيهِ يوماً فيوماً وضعفت ارادتهُ وفقدت سلطتها على الاعضاء الخاضعة لها وجف جلدهُ وبرد وقلت حساستهُ وبردت اطرافهُ وهزل وجههُ وغارت عيناهُ واضطرب بصرهُ وصار التلفظ يقف عند شفتيهِ فتبقيان مفتوحتين والحياة تفارقهُ من المحيط الى المركز فيضطرب التنفس واخيراً يقف نبضان القلب وتنطفئ حياة الشيخ بسكينة كأنهُ نام النوم الاخير وهذا هو بالحقيقة الموت الطبيعي »

وقد فندنا في ما سبق بيانهُ في شرح طول العمر ما ذهب اليهِ البعض من اسباب قصر حياة الانسان كالتناسل وخلافهِ واوضحنا ان سببهُ يرجع الى التسمم الذاتي ونرجح ان الموت الطبيعي يحصل من هذا التسمم استناداً الى ما بينهُ وبين النوم من المشابهة

ظهر الراي بالتسمم الذاتي منذ خمسين سنة وقال بهِ وأيدهُ كثيرون من جلة العلماء فذهب بعضهم الى ان النوم يحصل من تجمع حاصلات الانحلال في الدماغ وهذه الحاصلات تسلب من الدم وقت الراحة وظن كثيرون ان حامضاً يختزن اثناء عمل الاعضاء ويزيد الى حد لا يعود باستطاعة الجسم احتمالهُ فيتخلص منهُ بالنوم

وانعم بعضهم درس هذا الموضوع وارتأى ان عمل الاعضاء يولد مواد سماها بروتوجين Pronogènes تجلب الشعور بالنوم وقال انها تجمع باليقظة وتحل بالنوم بواسطة التأكسد وان الحامض اللبنيك اهمها عملاً استناداً الى ان هذا الحامض يساعد على النوم. فاذا صحت هذه النظرية صحت المشابهة بين التسمم الذاتي بالحامض اللبنيك في الانسان والحيوانات التي تميل بتأثيرهِ فيها الى النوم وبين المكروبات التي تولدهُ ويتوقف فعلها الاختماري بعد تكاثرهِ . ولهذا فكما ان توقف الاختمار اللبني قد يسبب موت المكروبات التي تولد الحامض

فالنوم قد يتحول كذلك الى موت طبيعي. على انهُ لم يظهر الى الآن ما يؤيد هذه النظرية. وارتأى آخر ان النوم لا يحصل من تولد الحامض اللبنيك بل من بعض المواد القلوية التي سماها غوتيه لوكومايين Locomaïnes واتضح انها تؤثر في المراكز العصبية وتحدث تعباً ونوماً فاذا كثرت في الجسم جلبت النوم ضرورةً وعليهِ يكون الفعل المنوم للمواد البرونوجونية فعلاً مباشراً اي انهُ يسمم المراكز العصبية وبعد النوم تفرز تلك المواد من الجسم ويزول الاضطراب الذي حصل فيهِ

اذا صدقت هذه النظرية ثبتت المشابهة بين النوم والموت الطبيعي من جهة وبين توقف النمو وموت الخمير الذي يستنبت في الاوساط الازوتية من جهة اخرى لان موت الخمير ينتج عن التسمم بقلوي وهو الامونياك الا ان معارفنا الحالية لا تساعدنا على تعيين عمل التسمم النومي الخاص ومعارفنا عن اللوكومايين لا تزال قاصرة. ومع ذلك فقد درسوا في السنين الاخيرة واحداً منها وهو الادرنالين الذي يستخرج من المحفظتين فوق الكليتين وهو شبه قلوي يفرز من الكليتين ويسير في الدورة الدموية ولهُ خاصة قوية على قبض الشرايين ولهذا استعمل لتوقيف الانزفة الدموية واذا استعمل بكمية كبيرة او بجرعات متكررة فعل فعل سم حقيقي واما بالجرعات الصغيرة فيحدث انيميا (فقر دم) الاعضاء ويفعل فعلاً خاصًّا في المراكز العصبية واثبت بعضهم انهُ اذا حقن ميلغرام منهُ ممزوج بخمسة كرامات من محلول ملح البحر الفيسيولوجي ($٧\frac{١}{٢}$: ١٠٠٠) بجوار دماغ القطط فعل فيها فعلاً منوماً اذ تنام بعد دخولهِ بدقيقة وتبقى مستغرقة في النوم ٣٠ — ٥٠ دقيقة وتفقد الحساسة كل هذه المدة من سطح الجسم كلهِ وبعد ان تستفيق تبقى الحساسة ناقصة وتظهر كأنها سكرانة وتبقى كذلك مدة. وبما ان النوم يرافقهُ انيميا الدماغ والادرنالين يفعل فيهِ هذا الفعل فيجوز ان يكون من جملة المولدات التي تتولد من عمل الاعضاء وتجلب النوم وان يكون اهمها فعلاً. وربما يناقض هذه النظرية ما ظهر من الابحاث الجديدة عن التعب واسبابهِ

كلما تقدم العلم مرحلة في درس مسئلة النوم المعقدة كان يعقب هذا التقدم رجوع الى الوراء. فعندما كانوا ينسبون لاشباه القلويات (البتومايين) اهمية كبيرة في الامراض العفنية كانوا يحاولون ان يجعلوا النوم مقصوراً على تأثير المواد المماثلة لها واما الآن وقد ثبت ان السموم ذات التراكيب الكيماوية المركبة هي التي لها الفعل المهم في هذه الامراض فهم يحاولون ان يعللوا التعب والنوم بتأثير المواد المماثلة لها

سار عالم على هذه الطريقة واجتذبت ابحاثهُ انظار العلماء فاثبت انهُ في اثناء قضاء الاعضاء لوظائفها تُجمع مواد خصوصية ليست حوامض عضوية ولا انواع لوكومايين بل مولدات مكروبية سامّة وامتحن ذلك في معملهِ فاخذ حيوانات واتعبها بالحركات العنيفة عدة ساعات حتى اعيت ثم ذبحها واستخرج خلاصة من عضلاتها وحقن بها حيوانات سليمة ففعلت فيها فعلاً ساماً جداً اذ ظهر عليها الوناء الزائد وماتت بعد ٢٠ — ٤٠ ساعة . ومن اهم خصائص تلك الخلاصة انها اذا ادخلت الى الدورة الدموية في الحيوانات السليمة بكمية لا تكفي لقتلها فعلت فعلاً مضاداً للسم فهي كسم الدفثيريا الذي يتولد منهُ ضد لهُ واثباتاً لذلك حقن مزيجاً من السم الذي يحدث التعب مع كمية صغيرة من المصل المضاد لهُ فلم يظهر في الحيوانات المحقونة اقل اضطراب وحصلت هذه النتيجة ايضاً باعطاء المصل المضاد للسم من الفم . ولهذا يقول صاحب هذا الاكتشاف ان هذه الامتحانات قد تصل بنا الى مصل يمنع التعب

وان تعذر علينا الآن ان نحقق طبيعة المواد التي تحصل بعد قضاء الوظائف ومنها ينتج التعب والنوم فقد زاد الامل بوجود هذه المواد وبكون النوم يرجع حقيقة الى نوع من التسمم الذاتي . ولم يقم الى الآن برهان ينقض هذه القضية ما خلا بعض الاعتراضات الضعيفة التي عارض بها احد علماء الفيسيولوجيا كنوم الاطفال الطويل وارق اصحاب النيوراستينا اما النوم الطويل فيرجع الى ان الطفل تتأثر اعصابهُ بسهولةٍ ويؤثر فيهِ اقل شيء من العوامل المضرة . واما الارق فلان اصحاب النيوراستينا يخسرون قسماً من حساسة العناصر العصبية واعصابهم تتهيج بسهولةٍ

ثم اننا نرى كثيراً من الحوادث المرضية التي تتفق مع نظرية التسمم الذاتي اتفاقاً تاماً واهم شاهد على ذلك مرض النوم الذي ثبت انهُ يحصل من عمل حيوان مكروسكوبي يعرف باسم التريبانوزوم Tripanosome Gambiense الذي ينمو في الدم وينتشر في سوائل الغلافات التي تحيط بالمراكز العصبية . واخص اعراضهِ نعاس يزيد على التواتر ونوم متواصل وفي بداءة المرض يسهل تنبيه المريض من هذا النعاس ثم تتغلب عليهِ نوب النوم وتدهمهُ في كل احوالهِ ولاسيما بعد الاكل ثم تزيد النوب طولاً واستغراقاً وتنتهي الى حالة غيبوبة لا يعود في الامكان ايقاظ المريض منها الاّ بصعوبةٍ . والاكتشافات الطبية لم تبقِ مجالاً للريب في ان هذا النوم مسبب عن التسمم بسم التريبانوزوم

ارتأى كلابارِ يد الفيسيولوجي من جنيف « ان النوم ظاهرة غريزية تتوقف الوظائف بها عن العمل وان الانسان لا ينام بسبب التسمم او الاعياء بل ينام منعاً لهما » وقال « ان النوم ظاهرة قوية تحصل بعد ان تجتمع في الجسم الحواصل الصادرة من عمل الوظائف » ومعنى ذلك ان النوم تجلبهُ نفايات العمل الوظيفي بعد ان تتأثر المراكز العصبية بها وهو نوع من التسمم فالرأيان يتفقان في المبدإ ويختلفان في تفسير المسئلة بالنظر اليها من وجهين مختلفين

والمشابهة بين النوم والموت الطبيعي تجيز لنا ان نفرض ان الموت الطبيعي يحصل ايضاً من تسمم ذاتي اقوى من التسمم الذي يجلب النوم · وبما انا لم نراقب الموت الطبيعي في الانسان الأ مراقبة ناقصة فلا نستطيع ان نضع لهُ صيغة غير الصيغة الفرضية فكما انهُ يظهر في النوم ميل غريزي الى الراحة يظهر كذلك في الموت الطبيعي ميل الى الموت وقد شرحنا هذه المسئلة في كتابنا « دروس في الطبيعة الانسانية » ولا نرى لزوماً للرجوع اليهِ هنا فنقتصر على ايراد بعض المعلومات الحديثة التي امكننا ان نجمعها في المدة الاخيرة

ذكر بريليان ساڤارين في كتابهِ فيسيولوجية الذوق الحادثة الآتية قال « كان لي عمة حفظت قواها العقلية الى آخر حياتها ولازمت السرير مدة طويلة ولم يتضح فيها من عيوب الشيخوخة سوى نقصان قابليتها وضعف صوتها ولما احتضرت كنت الى جانب سريرها احنُّ اليها واقوم بخدمتها واراقبها بعين الفيلسوف واراعي كل ما يحيط بي وبها فقالت لي بصوت متقطع هل انت هنا يا ابن اخي؟ اجبتها نعم يا عمتي وانا رهن امركِ وارى من الموافق ان تأخذي قليلاً من الخمر المعتقة فقالت اعطنيهِ يا عزيزي لان السائل يهبط دائماً الى الاسفل فاجلستها بلطفٍ وسقيتها نصف قدح من اجود الخمر التي عندي فانتعشت حالاً ثم حولت عينيها الجميلتين اليَّ وقالت شكراً لك على هذه الخدمة الاخيرة فاذا بلغت عمري عرفت ان الموت يصبح حاجة كالنوم تماماً · وهذه آخر كلمات تلفظت بها لانها نامت بعد نصف ساعة نوماً ابديًّا » فهذا الشرح مثال يزيدنا تأكداً بوجود غريزة للموت الطبيعي وهذه الغريزة تظهر في من تحفظ قواهُ العقلية وقد تظهر في عمر اقصر من عمر العجوز المذكورة الأ ان الغالب ان لا تظهر الأ في الطاعنين كثيراً ويغلب ان تشتد رغبة الشيوخ في الحياة

ان المعروف والمتواتر من قديم الزمان ان الانسان يزيد تمسكاً بالحياة كلما طال عمرهُ وقد اورد شارل ريتوڤيه الفيلسوف الفرنساوي المتوفى من بضع سنوات برهاناً جديداً على

صدق هذه القاعدة · فقد بلغ هذا الفيلسوف ٨٨ سنة من العمر وشرح ما حصل فيهِ من التأثرات النفسانية قبل موتهِ ببضعة ايام قال« اني لا اجهل حالتي واعلم اني مائت بعد اسبوع او اسبوعين وعندي اشياء كثيرة اقولها تختص بموضوع تعليمنا· لا يحق لا حد وهو في عمري ان يتأمل بشيء لان الايام بل الساعات اصبحت معدودة فيجب ان نذعن· اني اموت ولكن ليس بدون اسف واتاسف بنوع خصوصي لاني لا اعرف ما سأُول اليهِ مبادئي· ساتوارى قبل ان اقول كلمتي الاخيرة وكلٌّ يموت قبل ان يكمل عملهُ وهذا اشق شقاء الحياة· عندما يصير الانسان شيخاً طاعناً في السن وقد اعتاد الحياة يصعب عليهِ كثيراً ان يموت وارى ان الشبان يرضخون للموت اكثر من الشيوخ · عندما يجوز الانسان الثمانين يصبح جباناً و يكرهُ ان يموت ومتى تحقق دنو اجله تحزن نفسهُ وتترمس · درست هذه المسئلة من كل وجوهها وراجعت في ذهني مراراً معرفتي بدنو اجلي ومع ذلك لم اتمكن من ان اقنع نفسي باني مائت عما قليل· ليس الفيلسوف هو الذي يخنع فيَّ لان الفيلسوف لا يهاب الموت بل الرجل القديم· الرجل القديم لا شجاعة فيهِ ليذعن مع انهُ يجب ان يذعن لما لا مناص لهُ منهُ »

نعرف امرأة عمرها مئة سنة وسنتان كانت تخاف كثيراً من الموت حتى اضطر اقاربها ان يكتموا عنها موت اي كان من معارفها واما مدام روبينو فلم تكن تتأثر من ذكر الموت القريب وهي بعمر ١٠٤ و١٠٥ سنين بل كانت تظهر على الغالب ميلاً اليهِ لانها كانت تحسب ان لا نفع منها في هذا العالم

قال الدكتور كانكالون من المنتقدين عليَّ « ان غريزة الموت تناقض مذهب التحول لانهُ اذا كان الموت الطبيعي نادراً كما يقول متشنيكوف فغريزة الموت عديمة الفائدة · واذا كان وجودها سابقاً للدور الذي يحصل فيهِ التناسل فكيف انتقلت اليهِ وماذا تكون فائدتها في حفظ النوع · واذا تبرهن ان وجودها نتج عن الارتقاء البيولوجي فذلك ينفي مذهب التحول ويكون برهاناً موَّيداً للاسباب الغائية » · على اني لا اوافق على هذه الآراء اولاً لانهُ معروف انهُ يوجد في الانسان والحيوان غرائز مضرة لا تتكفل بحفظ النوع كشذوذ الغريزة النوعية والغريزة التي تحمل الحيوانات على افتراس صغارها او التي تدفع الحشرات الى النار · واما غريزة الموت الطبيعي فليست مضرة بل قد تكون كبيرة الفائدة لان الانسان اذا اقتنع ان الموت الطبيعي غريزة فيهِ كالحاجة الى النوم وهو غاية الحياة النهائية زال كثير من اسباب الخوف منهُ وهذا الخوف هو الذي يدفع كثيرين من الناس الى الموت الاختياري· فغريزة الموت الطبيعي تساعد اذاً على حفظ حياة الفرد وحياة النوع · ثم لا مانع

على الاطلاق من التسليم بوجود غرائز لا علاقة لها بحفظ النوع ولاسيما في الانسان الذي بلغت انانيتهُ اعلى درجة من النمو . وبما انهُ الوحيد من كل الحيوانات الذي يعلم علماً صريحاً بالموت فلا يستغرب ان ينمو فيهِ ميل غريزي الى الموت . وقد انكر كانكالون انهُ يحتمل ان يشعر الانسان بشيء من اللذة وهو يحتضر في الموت الطبيعي ولكن النوم والاغماء يسبقها غالباً شعور حسن فلمَ لا يكون ذلك في الموت الطبيعي ايضاً وقد ايدت ذلك الحوادث الكثيرة بنوع لا يبقي محلاً للجدل بحيث يرجح ان الموت الطبيعي يرافقهُ شعور من الذ ما يمكن ان يوجد

لا مشاحة ان جانباً كبيراً من حوادث الموت كما نراها حاليًّا يرافق النزع فيها شعور مزعج جدًّا كما نرى من الجزع البادي على الحاظ كثيرين من المحتضرين الاَّ ان في كثير من الامراض وفي بعض العوارض الثقيلة لا يظهر عند دنو الموت اقل شعور مزعج وقد حدث لنا في نوبة حمى راجعة ان الحرارة هبطت في مدة قصيرة من ٤١ الى ما تحت الطبيعي وهبطت القوة هبوطاً عظيماً يشعر بدنو الاجل وكان شعورنا اذ ذاك لطيفاً لا شيَّ فيهِ من الانزعاج . وظهر في حادثتين من التسمم الشديد بالمورفين شعور لطيف جدًّا أَحسَّ صاحبهُ انهُ خفيف الجسم ومعلق في الهواء واغمي على امرأَة مدمنة المورفين فاشرفت على الموت ولم تستفق الاَّ بتجديد حقنها بالمورفين فصاحت عندما استفاقت اني عائدة من مسافة بعيدة ويا ما احيلى ما كنت فيهِ من السعادة . ويروى عن سياح جبال الالب الذين يتدهورون من شاهق عالٍ ويقعون في خطر يدنيهم من الموت انهم يشعرون بحالة من الغبطة والسعادة . وذكر الدكتور سوليه حادثة امرأَة اصيبت بالتهاب البريتون وشعرت بدنو اجلها فذكرت انهُ تولاها اذ ذاك شعور بالراحة . وذكر ايضاً حادثة امرأَة فتية اصيبت بنزف دموي عقيب النفاس وثبت لها انها مائتة لا محالة فشعرت اذ ذاك براحة تامة وبانفصالها عن كل شيء عالمي

فاذا كان هذا الشعور المستحب يظهر في الموت المرضي وجب بالاولى ان يظهر في الموت الطبيعي لان فيهِ تفقد غريزة الحياة وتظهر غريزة الموت وتقضي المبادئ الطبيعية الانسانية ان يكون هذا النوع من الموت افضل نهاية للحياة . على ان ما اتينا على بيانهِ في شرح هذا الفرع من دروس الطبيعة ليس الاَّ مبادئ اولية وسيتكفل المستقبل بكشف ما هناك من الغوامض والوقوف على معلومات جديدة يكون لها شأن عظيم من حيث العلم والانسانية

الدكتور

امين ابو خاطر

احصاء سكان مصر [1]

اعتادت كتب الاقتصاد السياسي ان تقسم عوامل الانتاج الى ثلاثة اقسام وهي الارض والعمل او العمال ورأس المال · وعندي ان في هذا التقسيم خطأً فالارض ورأس المال واحد والعمل اذا كان مقروناً بالمهارة والبراعة قد يكون تابعاً لرأس المال فلهذا ارى ان تقسم العوامل الى ثلاثة اقسام اخرى وهي المادة والقوة والعقل فالمادة الركن الذي تقام عليهِ الاعمال الاقتصادية والقوة هي العامل الذي يحول المادة الى الاشياء المطلوبة والعقل يوجد القوة المنظمة التي تدير العمل

وليس لنا شأن هنا في المادة · اما القوة فتكون صناعية اي بالآلات (و يدخل في هذا القسم قوة البهائم وسائر الحيوانات) او بشرية · والعقل بشري طبعاً فاساس الانتاج اذاً يرجع الى البشر · فاذا شئنا الوقوف على ما في امة من الموارد تعين علينا ان نحصي العامل الاكبر وهو القوة او العنصر البشري ونبوبهُ وهذا معنى ما نسمع بهِ كثيراً في هذه الايام عن تقدير قوة الرجال في كل شعب فان هذه القوة تتوقف على عدد الرجال وعلى مقدرتهم · فلا مناص لمعرفة المطلوب هنا الا باحصاء الشعب · ولا بد لمعرفة هذه القوة من الوقوف على جميع العوامل فيها كاسنان الافراد الذين يتألف الشعب منهم واعمالهم ومبلغهم من العلم ومساكنهم وغير ذلك من المعلومات التي يستعان بها على معرفة المطلوب

ثم ان بين الاقسام العظيمة التي نجدها في علم الاقتصاد السياسي قسم المقطوعية او الاستهلاك وهذا يقتضي معرفة عدد السكان لامكان الوقوف على مقدار المقطوعية او الاستهلاك

ولا بد من معرفة عدد السكان اذا شئنا التعمق في درس توزيع ما ينتجهُ العقل واليد

وصفوة القول ان كل بحث في دائرة الانتاج او الاستهلاك او التوزيع المتعلق بالثروة يقتضي معرفة عدد السكان ومراتبهم · واني اضرب على ذلك مثالاً مما استخرجهُ قلم الاحصاء في السنوات الاخيرة

فقد حسبوا ان متوسط الوفيات في قسم شبرا وهو حيٌّ صحي على ما نعلم ٥٢ في الالف مع انهُ في قسم الازبكية ٢٣ في الالف · فهل هذا الفرق حقيقي واقع او هو ناشيء عن خطاء

---

(1) ملخص خطبة تلاها المستر كرايج مدير قلم الاحصاء على الجمعية السلطانية للاحصاء والتشريع والاقتصاد السياسي في ١٦ فبراير الماضي

في عدد سكان احد القسمين او كليهما. فاننا نعلم ان قسم شبرا اتسع اتساعاً عظيماً بعد الاحصاء الاخير وهذا يبعثنا على الظن بان الفرق الكبير في متوسط الوفيات نشأ عن هذا الاتساع ولكن تعيين ذلك بالضبط متعذر اذا لم يكن لدينا بيان صحيح بعدد السكان

وهاك مثالاً آخر وهو هل موارد القطر الزراعية آخذة في الزيادة على نسبة الزيادة في حاجة السكان . اما الزيادة في الموارد الزراعية فنعرفها من الاحصاء السنوي للاراضي المزروعة كما يرد في بيانات الصيارفة واما الزيادة في الثانية فلا سبيل الى معرفتها بالضبط الاَّ اذا كان لدينا معلومات دقيقة عن السكان. وعندي ان هذا الامر من اعظم المشاكل التي تعرض على رجال السلطنة المصرية في يومنا هذا. فانهُ اذا ظلت الزيادة في عدد سكان القطر جارية على المتوال الذي تبيناهُ في الاحصاء السابق فان سكان القطر سيبلغون بعد خمسين سنة ٢٩ مليوناً وتكون مساحة اطيان مصر حينئذٍ ٧٧٠٠٠٠٠ فدان تزرع مرتين في السنة فتساوي ١٥٤٠٠٠٠٠ فداناً واذا زرعت بحسب تقسيم المزروعات الشائع الآن كان نصيب المزروعات منها كما يلي

القطن	٣٤٠٠٠٠٠ فدان
العلف	٣٣٠٠٠٠٠ »
الحبوب ونحوها	٨٧٠٠٠٠٠ »

ثم ان الحبوب تزرع الآن في ٤٤٠٠٠٠٠ فدان فاذا كانت ٤٤٠٠٠٠٠ فدان لا تكاد تكفي ١٣ مليوناً من السكان فهل تكفي ٨٧٠٠٠٠٠ فدان ٢٩ مليوناً في سنة ١٩٦٧ والجواب عن ذلك بالايجاب اذا تحسنت غلة الارض وزادت وبالسلب اذا لم تتحسن

ثم ان سكان مصر البالغين الآن ١٣ مليوناً يعتمدون في دفع ثمن وارداتهم على القطن اي اننا نشتري هذه الواردات بثمن قطن لو وزع على سكان القطر لكان نصيب الفرد الواحد من ٥٠ رطلاً الى ٥٥ رطلاً من القطن فبعد خمسين سنة متى صار عدد السكان ٢٩ مليوناً نحتاج من ١٢ مليون قنطار الى ١٥ مليون قنطار من القطن نستخرجها من ٣٤٠٠٠٠٠ فدان ومعظم هذه الافدنة الآن احط من اطيان الوجه البحري الخصبة التي تصلح لزرع القطن فهل يتيسر لنا ذلك? هذا سؤَال جوابهُ عند وزارة الزراعة

وهاك بعض الامور التي يطلب من قلم الاحصاء الاجابة عنها

ما هو عدد الناس في احدى مدن مصر او قراها لاجل وضع التدابير اللازمة لجر ماء الشرب اليها

ما هو متوسط عدد السكان في الميل المربع في الوجه البحري في الاراضي المجاورة للاطيان الداخلة في مشروعات اللورد كتشنر

هل تنتج المنوفية من الحبوب والبقول والفاكهة ما يكفي لاطعام اهلها

ما هي مقطوعية القطر المصري من الطعام لكل فرد من افراد سكانها

هل تزداد مصروفات الحكومة بسرعة تفوق سرعة زيادة عدد الاهالي او تنقص عنها

فهذه الاسئلة واشباهها لا يمكن الاجابة عنها من غير معرفة عدد السكان وهذا لا يتاح الأ بالاحصاء

وقد احصي سكان مصر غير مرة في ما مضى ولا اتولى الآن بسط الكلام في هذه الاحصاءات ولكني اشير الى احصاء جرى في حكم عمرو بن العاص سنة ٦٤٣ مسيحية . فقد روى المقريزي وسواهُ من المؤرخين ان عمراً فرض جزية قدرها ديناران على كل ذكر من ابن سبع الى ابن ستين على ما يظن فجبي من ذلك ١٢ مليون دينار ومعنى ذلك ان عدد الذكور بين هاتين السنتين كان ٦ ملايين وان مجموع السكان كان نحو ١٧٥٠٠٠٠٠ ولكننا لا ندري هل جبي الاثنا عشر مليون دينار كلها من هذه الجزية او كان معظمها من ضرائب الارض والبعض الآخر مقابل اطلاق حرية المذاهب والاديان

اما في العهد الاخير فقد تمت الاحصاءات التالية وكانت نتائجها كما يأتي في هذا الجدول :

السنة	عدد السكان بالملايين	متوسط الزيادة السنوية في الالف	عدد السكان بالحساب بالملايين
١٨٠٠	٢،٤٦	—	٢،٠٢
١٨٢١	٢،٥٤	١،٤٥	٢،٨٣
١٨٤٦	٤،٤٨	٢١،٩٨	٤،٢٣
١٨٨٢	٦،٨٣	١١،٨١	٧،٥٥
١٨٩٧	٩،٧٣	٢٣،٨٩	٩،٦١
١٩٠٧	١١،٢٩	١٠،٩٠	١١٢٩

ويستنتج من هذه الارقام ان عدد السكان في سنة ١٨٠٠ وسنة ١٨٨٢ كان اقل مما يجب وهذا لا يستغرب اذا اعتبرنا ان السنتين المذكورتين كانتا سنتي اضطراب وقلاقل سياسية في القطر

اما العمود الاخير في الجدول المتقدم ذكرهُ فيتضمن عدد السكان بحساب ان متوسط الزيادة السنوية فيهِ جرى على وتيرة واحدة في القرن الماضي وقد تبين ان هـذا المتوسط ١٠٫٤ في الالف

وقد كان الاحصاء الاول من هذه الاحصاءات تقديراً واستخرج الثاني من بيان الضرائب والثالث من عدد البيوت فلا يصح ان تطلق لفظة الاحصاء بمعناها المفهوم الآن الأ على الثلاثة الاخيرة

ان جانباً كبيراً من قيمة الاحصاء يتوقف على انتظام مواعيدهِ ولهذا جرت البلدان المتمدنة على عادة احصاء شعوبها مرة كل عشر سنوات او كل خمس سنوات والاسلوب الثاني اوفى بالمرام ولكن كثرة النفقة تحول دونهُ

وقد تم الاحصاء الاخير في مصر سنة ١٩٠٧ والذي قبلهُ سنة ١٨٩٧ وعلى هذا القياس كان موعد الاحصاء التالي في سنة ١٩١٧ وهذا ما قر عليهِ القرار لما نُقلت الى قلم الاحصاء سنة ١٩١٣ اي قبل الحرب بسنة وهذه الحقيقة تكفي لتفنيد ما زعمهُ البعض وهو ان الامر صدر بعمل الاحصاء لعلاقة لهُ بالحرب الدائرة الآن

فالباعث التاريخي اذاً هو ان تكرار عملية الاحصاء مرة كل عشر سنوات يقضي بان يكون الاحصاء سنة ١٩١٧

اما الاعتراض الثاني فحسبي ان اقول فيهِ ان القوة التي تصرف في سبيل الاحصاء ليست من القوة المخصصة للحرب . فمن اول مارس القادم يشتغل بعمل الاحصاء نحو سبعين الف عداد لم يؤْخذ واحد منهم من بين المشتغلين بالحرب او لها وكلهم تقريباً من المصريين غير المطالبين بالحرب والقتال اما الاوربيون القليلون الذين يشتغلون معهم فاما انهم مأخوذون من مصالح الحكومة الاخرى او هم من المعفين من الخدمة العسكرية و بعضهم من المحايدين

ومن محاسن الصدف ان الاحصاء سيقع في وقت قد يؤَثر التغيير السياسي فيهِ في مركز مصر وحالتها الاقتصادية والاجتماعية

وهنالك باعث ثالث فقد شاهد اهل مصر الوف الجنود يأتون و يذهبون في العامين الماضيين وعلموا ان استعدادات واعمالاً حربية عظيمة قامت على حدود بلادهم ولكن القطر المصري نفسهُ ظل سالماً من تأثير الحرب . فالزراع يزرعون القطن والذرة والقمح كما كانوا يفعلون سنة ١٩١٣ وقد تغيرت اثمان الحاصلات وتغيرت مساحات الاطيان للزراعات المختلفة اتباعاً لتغيير السعر ولكن مصر ظلت خارج نطاق الحرب فعلاً فلم يقع اذاً ما يقضي

بتأجيل هذا العمل الاداري فمصلحة الجمارك تنشر احصاءاتها التجارية ومصلحة الموانىء والمنائر تحصي البواخر التي تدخل مرافئنا وتخرج منها ووزارة الزراعة تحصي حيوانات الزراعة كل سنة ومصلحة الصحة العمومية تقيد الاحصاءات الجوهرية والصيارفة يسجلون احصاءاتهم عن المواسم والمحاصيل فلماذا نؤجل العمل الذي يعين لكل احصاء من هذه الاحصاءات مكانةُ من الشأن وهو احصاء السكان

اما وقد استقر القرار على احصاء السكان فاول ما يجب علينا بعد ذلك تعيين الامور التي نطلب الوقوف عليها والتي نجعلها غرضاً لاحصائنا . وهذه الامور تتوقف على الغرض الذي نبغيهِ من الاحصاء وتتوقف ايضاً على ما عندنا من الوسائل المادية والبشرية ولكن اقل ما يحوي بهِ الاحصاء بيان عدد السكان من الذكور والاناث ولكني سبقت فذكرت ان هنالك معلومات ضرورية يجب الوقوف عليها اذا اريد معرفة موارد البلاد. وقد بحث مؤتمر الاحصاء في اجتماعهِ بيتروغراد سنة ١٨٩٧ في هذه الامور وقرر ما يأتي

ان يسأل الفرد عن اسمهِ وسنهِ وتعيين سنة المولد والشهر بالضبط اذا امكن وقرابتهِ من رب البيت وهل هو اعزب او متزوج مطلق او ارمل وعن مهنتهِ او صناعتهِ وهل هو صاحب عمل او مستخدم وعن ديانتهِ ولغتهِ ومعرفتهِ للقراءة والكتابة ومكان الولادة والتابعية والمحل المختار للسكن عادة والعاهات التي يمكن ان يكون الشخص مصاباً بها

وزاد المؤتمر في اجتماعهِ الاخير في رومية اموراً اخرى اشار بادخالها في الاحصاء

ولما اجتمع المؤتمر في شيكاغو سنة ١٨٩٣ وفي برن سنة ١٨٩٥ اشار بامور اخرى تتعلق بالصناعات والمهن وسائر الاعمال فوضع الاستاذ برتيلون جدولاً لهذه المهن والصناعات ووافق المؤتمر عليهِ بعد تعديل يسير

اما الذين يشملهم الاحصاء فسكان البلاد المقيمون فيها عند اجراء الاحصاء سواء كانوا قاطنين فيها على الدوام او مقيمين فيها لاجل معين ولكن قر القرار على ان لا يشمل الاحصاء جنود الحلفاء الذين يكونون في القطر عند اجراء التعداد اما سكان البلاد الذين يشتغلون فيها مع جيوش دول الاتفاق سواء كانوا من اهل القطر او من الاجانب فهؤلاء سيشملهم الاحصاء

وقد راعينا في اختيار موعد الاحصاء عدة امور اذ لا يخفى انهُ لا يحسن اجراء التعداد في اثناء مولد شهير كالمولد الاحمدي في طنطا او سواهُ من الموالد الكبيرة لان عدداً كبيراً من الناس يهجر المنازل والقرى في اثنائهِ ثم ان من مصلحة العدادين ان يكون التعداد في يوم ينير القمر ظلمات ليلهِ و بذلك يتمكنون من الاستمرار في عملهم ما دام نور النهار طالعاً

والعودة الى مساكنهم على نور القمر ولهذا الامر شأن يذكر في القرى والارياف فالايام التي اخترناها للاحصاء ملائمة اتم ملاءمة من هذين الوجهين

اما اختيار الساعة التي يجري الاحصاء فيها فالعامل الاكبر في تعيينها وجود الناس في منازلهم . ويتعذر تعيين ساعة يصح ان يقال ان جميع سكان مصر يكونون فيها في بيوتهم ولكن الليل خير الاوقات وانسبها من هذا الوجه فانهُ مهما قيل في مواقع العمل التي يعمل الناس فيها فانهم يضطرون في ايام الشتاء ان يبيتوا في منازلهم او في المنازل على الاطلاق ولهذا وقع الاختيار على جعل ساعة التعداد نصف ليل ٦ — ٧ مارس ونص على وجوب احصاء اي شخص يكون في تلك الساعة غائباً عن منزلهِ ويعود اليهِ في صباح ٧ مارس مع سكان ذلك المنزل فرجال البوليس والخفراء ومستخدمو سكك الحديد والتلغرافات الذين تقضي عليهم اعمالهم بقضاء الليل في خارج منازلهم يعدون مع سائر اهل بيوتهم اذا عادوا اليها في صباح ذلك اليوم المذكور

اما السفن والمراكب فمضطرة الى الكف عن السفر في الليل وقد اتخذنا تدابير خصوصية لاحصاء الذين فيها في مراسيها ولكن قطرات سكك الحديد ليست كذلك فان عدد القطرات التي تكون سائرة في القطر المصري في نصف الليل ١٣ قطاراً علاوة على قطرات الضواحي ولكن هذه القطرات تصل الى المواقع التي تقصدها قبل الساعة العاشرة من الصباح الأ اثنين وسيحصى معظم ركابها متى بلغوا آخر مكان تصل اليهِ اما القطاران المذكوران فهما قطارا الليل بين القاهرة والشلال ولكننا اتخذنا لها تدابير اخرى فلا يفلت من ركابهما من احصائنا سوى جانب منهم ينتقلون من هذين القطارين الى قطرات اخرى ولكننا احتطنا لهم احتياطاً خاصًّا ايضاً . فالاحصاء سيقع اذاً في نصف ليل ٦ — ٧ مارس ١٩١٧ وسنتخذ التدابير لجعلهِ شاملاً للعمال الذين يعملون ليلاً والمسافرين الذين يسافرون ليلاً

ان احصاء السكان نظريًّا من اسهل الاعمال وابسطها ولكن الاحصاء فعليًّا محفوف بصعوبات شتى واهم مبادئهِ ان يعد كل شخص مرة واحدة فلا يحذف ولا يعد شخص مرتين فاذا روعي هذا المبدأ ذللنا جانباً كبيراً من الصعوبات التي تعترض لنا

ولا يخفى ان القطر المصري مقسوم الى خمس محافظات و ١٤ مديرية وان المحافظة تقسم الى اقسام لكل منها مأمور وشياخات لكل منها شيخ وان المديريات تقسم الى مراكز وهذه تقسم الى دوائر كل منها في عهدة صراف وقد تحتوي الدائرة الواحدة من هذه الدوائر على بضع قرى او نواح وقد تكون جزءا من قرية كبيرة او بندر

وقد اضطررنا الى قسمة بعض المحافظات الى « دوائر » و بعض الاقسام الى اقسام ثانوية وقسمنا مركزاً واحداً فجعلناهُ قسمين

وفي القطر ٢٩ بندراً قسمناها الى بنادر من الدرجة الاولى و بنادر من الدرجة الثانية و يدخل في الدرجة الاولى قواعد المديريات وهي تستحق اهتماماً خاصاً لان الاحصاءات الجوهرية تجمع فيها وقد عاملنا جميع البنادر معاملة الاقسام

وهنالك ايضاً مديرية سيناء ومديرية الغرب التابعة لمصلحة خفر السواحل

ولا اتولى الوصف والاسهاب في بيان الاسلوب الذي سنجري عليهِ ولكنني اقول اننا جعلنا لكل شياخة في القاهرة والاسكندرية حرفاً خاصاً بها رسم مع رقم خاص على باب كل منزل في الشياخة واذا كان لبضعة منازل منفذ واحد الى الشارع يكتب رقم لكل منزل منها على باب هذا المنفذ

وشرعنا في احصاء المنازل في المديريات وفرغنا منهُ في اغسطس وسبتمبر ثم في المحافظات والبنادر وفرغنا منهُ في فبراير

ان تعداد النفوس من اكثر اعمال الاحصاء نفقة وهذه النفقة تزيد اذا تغير القائمون بعمل التعداد كل عشر سنوات والعادة الشائعة في البلدان التي تحصي سكانها ان تستعين الحكومات بموظفيها على هذا العمل

يقدر عدد سكان مصر الآن بثلاثة عشر مليوناً ومئة الف وقد دل الاختبار على ان العداد الواحد لا يستطيع ان يحصي اكثر من ٢٥٠ نفساً الاَّ اذا اجهد النفس وقضى وقتاً طويلاً في العمل . وقد بلغ متوسط اهل البيت الواحد في الاحصاء الاخير في مصر ٥ $\frac{٨}{١٠}$ وعلى هذا يكون ٢٥٠ شخصاً موجودين في ٤٣ منزلاً على المتوسط فقسمنا البلاد الى اقسام في كل منها من ٤٠ منزلاً الى ٥٠ وعيَّنا لكل قسم عدَّاداً فيكون مجموع العدادين المطلوب نحو ٥٢ الفاً . ولكن هنالك فئات من الاهالي تقتضي عناية خصوصية في التعداد كالبدو وركاب القطرات والملاحين والغجر وهذا يقضي بزيادة العدادين ٢٥ في المئة وعلى ذلك يكون مجموع العدادين الحقيقي ٦٥ الفاً علاوة على خمسة آلاف عداد احتياطي

ولو شئنا ان نكافىء العدادين باعطاء كل منهم جنيهاً وهو اقل مبلغ يكافأون بهِ لبلغت نفقة الاحصاء ثلاثة اضعاف ما هي ولعجزت مصر عن القيام بها فاستصدرنا مرسوماً سلطانيًّا في ٢٠ نوفمبر ١٩١٦ يقضي على جميع الرعايا المحليين بان يعملوا في الاحصاء مجاناً وهذا الامر شائع في جميع البلدان المتمدنة . ووصف الكاتب هنا ما يطلب من الناس في

البلدان المتمدنة من الخدمة المجانية للحكومات كالخدمة العسكرية والخدمة في اللجان المحلية والمحاكم بين المحلفين وقال ان ذلك يعد فخراً للقائمين بهِ ثم قال ان اهل مصر تلقوا المرسوم المذكور بالارتياح التام ولم تقدَّم الى ادارتنا شكوى واحدة تدل على عدم الرغبة في اداء هذه الخدمة غير ان البعض وجهوا نظرنا الى ان لديهم اعمالاً رسمية او معجلة تستغرق كل وقتهم يوم التعداد · والوقت المطلوب لعمل التعداد قصير فالاورنيك يملأ في ١٠ — ١٥ دقيقة عادة فعشر ساعات تكفي لملء اربعين اورنيكاً فاذا اضيف اليها الوقت اللازم في اليوم التالي لتصحيح الارانيك تبين لنا ان المجموع لا يزيد على ٢٤ ساعة مقسومة على نحو ١٥ يوماً

اما تعداد سنة ١٩٠٧ فكلف الحكومة ١٤٢ ٣٠ جنيهاً وقدرت نفقة التعداد الجديد بمبلغ ٣١٠ ٢٧ جنيهات ولكن غلاء المواد الكتابية والمكتبية في السنة الماضية سيؤدي هذه السنة الى زيادة النفقة على هذا التقدير فقد قدرنا لاقلام الرصاص المطلوبة ٥٠٠ جنيه ولكن النفقة الحقيقية لها ستبلغ ضعفي هذا المبلغ وقدرنا ثمن الدواليب التي توضع فيها الارانيك بعد ملئها بمئتي جنيه ولكنها ستكلف الآن ٩٠٠ جنيه وقس عليهِ

ان دون الاحصاء في البلدان الشرقية صعوبتين عظيمتين اولاهما ان الاهالي يشتبهون طبعاً في عمل كهذا غير مألوف عندهم و يرتابون في الغرض منهُ · وهذه الصعوبة تعالج باذاعة الغرض من الاحصاء وفوائدهِ والطرق التي تتبع فيهِ · والصعوبة الاخرى ان السواد الاعظم من الاهالي يجهل القراءة والكتابة وهذا يقضي بتمرين العدادين على اعداد الارانيك للناس ولهذا الغرض عينّا جماعة من المراقبين على عمل العدادين

وشرعت المطبعة الاهلية منذ ١٤ يناير تجهزنا بارانيك الاحصاء فكانت ترسل الينا كل يوم ١٥٠ الف اورنيك حتى صار منظر حوش مصلحتنا كمنظر حوش وابورات حلج القطن في ايام الموسم وشرعنا نوزع هذه الارانيك بواسطة سكة الحديد والبوستة ولم يفقد منها سوى شحنة مؤلفة من ٨٠٠٠ اورنيك لا تزال تائهة في الوجه البحري تبحث عن اتياي البارود

وختم خطبتهُ بملاحظات عامة قال فيها ان التعداد كسائر اعمال الاحصاء يقسم الى ثلاثة ادوار الدور الاول جمع المعلومات والدور الثاني تبويبها والدور الثالث البحث فيها وهو زبدة العمل · ووصف الطريقة التي اتبعت سنة ١٩٠٧ في جمع المعلومات ولم يستحسنها تماماً الى ان قال : وبعد سنة اعرض عليكم النتائج الكبرى لهذا العمل اي نتائج الدور الثالث الذي تقدم ذكرهُ

مصر منذ اربعمائة سنة

(٣)

سفير البندقية في الاسكندرية

في يوم عيد الشعانين اقلعنا بعد الصلاة الى مدينة الاسكندرية · فلبثنا بين الماء والسماء مدة ثمانية ايام لم نرَ فيها البر · وفي ١٢ ابريل ظهرت لنا حصون ابي قير فلما رسونا في مرفإ ابي قير ارسل السفير في الحال رسولاً الى البر ليذهب الى الاسكندرية وهي على بعد ١٨ ميلاً من ابي قير ليعلم قنصل دوقيتنا بقدومنا و يستأذن لنا ان يرسو اسطولنا في مرفإها وامره ُ ان يعلن السلطة المحلية بقدوم سفير مفوض من قبل حكومة البندقية لدى سلطان مصر

وفي اليوم التالي اقبل الى ابي قير السر لويزو دي سكودو سر تجار البنادقة في الاسكندرية ومعهُ كثيرون لاستقبال السفير · اما ثغر ابي قير فقفر ليس فيهِ سوى بعض اكواخ للصيادين وحصن قديم قائم بين الصخور الرملية · و بعد يومين رجع الرسول من الاسكندرية ومعهُ رسائل من القنصل وجواز من اميرال البحر نائب السلطان في الاسكندرية [1] يأذن لاسطولنا ان يلقي مراسيهُ في هذا المرفإ · والجواز مكتوب باللغة العربية وبلهجة التودد والترحاب

اقلعنا من ثغر ابي قير في ١٧ ابريل ولما اشرفنا على الاسكندرية اقبل الينا مركبان مصريان مزينان بالاعلام ومفروشان بالمقاعد الحريرية المطرزة بالقصب ليقلا السفير وحاشيتهُ الى البر فركبنا فيهما فاوصلانا الى الميناء وكان قنصلنا وكل التجار الافرنج بانتظارنا وارسل الاميرال حاكم المدينة ونائب السلطان سبعة جياد مسرجة لركوب السفير واتباعهِ وخفرتهُ كوكبة من فرسان الاميرال وسار كل التجار والنزلاء الافرنج على اقدامهم في ركابهِ · وعند ما وصلنا الى دار البحرية استقبلنا الاميرال والداودار وهو حاكم البلد ومعهما شرذمة من الفرسان فرحبا بالسفير وسارا عن يمينهِ ويسارهِ ودخلنا الى المدينة باحتفال عظيم · وكانت الطرق والشوارع غاصة بالناس اقبلوا لمشاهدة سفير الافرنج ومررنا بفندق البنادقة [2] وكانت ابوابهُ مزينة ومجللة بالاقمشة الحريرية وطرقاتهُ مفروشة بالطنافس العجمية وعلى جدرانهِ شارات الدوقية المعظمة · وهناك انفصل عنا الاميرال الكبير وذهب

(١) كان هذا الاميرال وقتئذٍ الامير تغري بردي كما جاء في تاريخ ابن اياس سنة ٩٢٣ هجرية

(٢) وكالة كبيرة كانت تسمى بلغة الافرنج وقتئذٍ « الفندق » يقيم فيها التجار وقناصلهم ويخزنون فيها بضائعهم

مع حاشيتهِ الى قصرهِ · واما الداودار فلبث مع السفير الى ان وصلنا الى سراي الاميرال فترجلنا عند الباب الخارجي ودخل السفير مع القنصل ورجال السفارة الى بهو كبير مفروش بافخر الرياش والسجاد وكان في صدر المكان منصة مرتفعة تدعى عندهم « مصطبة » مفروشة بالمقاعد والوسائد الحريرية والديباج والاميرال جالس عليها فجلس السفير على مصطبة مفروشة مقابلها · ثم اخرج من جيبهِ كتاب حكومة البندقية المثبت اعتمادهُ سفيراً مفوضاً مرسلاً منها الى حكومة مصر · ففض الاميرال الرسالة واعطاها لاحد تراجمتهِ فقرأها علناً وترجمها الى اللغة العربية · ثم قدمت المشروبات المرطبة للسفير فقط وتبادل مع الاميرال عبارات التحية والترحاب ثم استأذن في الانصراف وخرج وذهب بموكبهِ الحافل مع الفرسان والتجار الى القصر الذي اعدهُ الاميرال نائب السلطان لنزولهِ مدة اقامتهِ بالاسكندرية · وهو قصر كبير فخم يحتوي على قاعات ومخادع كثيرة كلها مرصوفة بنقوش الفسيفساء والمرمر واعمدة الرخام والغرانيت واما ابوابهُ فكلها من الابنوس المجزع بقطع العاج والصدف · وفي هذا القصر ستون باباً على هذا الشكل يساوي كل باب منها ثقلهُ ذهباً · وكذلك السقوف فكلها منقوشة بالزخارف والرسوم البديعة المذهبة

وصف الاسكندرية

ومدينة الاسكندرية مستطيلة الشكل لان بيوتها قائمة على طول شاطىء البحر وتسعة اعشار ابنيتها متهدمة كأنها اصيبت بزلزال · ومعظم سكانها فقراء من الحمالين والصيادين وقد هاجر اهلها الى البلاد الداخلية من ظلم الحكام وعسفهم واظن انهُ لا يمضي زمن طويل حتى تصبح قفراً بلقعاً · وقسم كبير من الابنية تحت الارض ظاهرها اكام متفرقة بين الخرائب القديمة · وفيها الآن عمودان قديمان (مسلتان) على مثال عمود القديس بطرس في رومية احدهما قائم والآخر ملقى على الارض وخارج السور عمود يقال لهُ « مسلة بومباي » ويقال ان رأس هذا القائد الروماني قطع هناك

وفي الاسكندرية مرفآن يقال لاحدهما المرفأ القديم وهو مرسى للمراكب المصرية فقط ولا يسمح لمراكب الافرنج ان ترسو فيهِ تحميهِ مدافع الحصون من الجانبين · والمرفأ الآخر الحديث وهو خاص بمراكب الافرنج ولا يسمح ان تدخل فيهِ او تخرج منهُ الاَّ باذن صريح من اميرال البحر نائب السلطان (انظر الصورة) وعلى بعد خمسة اميال من المدينة صهاريج كبيرة عميقة تحت الارض تملأ بمياه النيل في اوقات الفيضان وتجري منها تحت الارض بالاقنية وتوزع على حارات المدينة

تهادي الاميرال والسفير

وفي صباح اليوم التالي ارسل الاميرال الى السفير بعض الهدايا على سبيل التحية والترحاب كضيف السلطان وكانت مؤلفة من عشرة خرفان وثلاثة سلال من الخبز وسل ليمون وثلاثة سلال من اللفت ومثلها من فريك الحمص (ملانة) وسلتين من البرتقال وعشرة سلال لجل وعشرين دجاجة . ولما وصلت هذه الاشياء الى السفير امر ان يعطى الحاملون اربع دوقات ذهب حلواناً . وعند الظهر ارسل السفير الى نائب السلطان الهدايا الآتية وهي ثوب من الجوخ المنسوج بالذهب طولهُ اثنا عشر ذراعاً . وثوب آخر ذهبي اللون لا نقوش فيهِ وقطعتان من الحرير البرتقالي اللون وثلاث قطع من الحرير القرمزي طولها ١٥ ذراعاً وستة قوالب كبيرة من الجبن البندقي وزن القالب منها اربعون رطلاً . وحمل هذه الهدايا بعض اتباع قنصلنا (القواص) وقدمها ترجمان السفارة للاميرال فوهبهم عشرين دوقة ذهب

كتاب السلطان الى السفير

وفي ١٩ منهُ دعا الاميرال السفير الى قصرهِ وسلّم اليهِ كتاباً ورد من السلطان الغوري بمصر مفعماً بعبارات الترحيب والتحية ومؤذناً لهُ بالحضور الى مصر والمثول لديهِ . والكتاب باللغة العربية موضوع ضمن غلافٍ كبير مقفل بالصمغ وورقهُ متين مصقول واما سطورهُ فمتفرقة وبين كل سطر وآخر قيد اربع اصابع . فاخذ الداودار الكبير الكتاب وقرأهُ علناً ثم قبلهُ واعطاهُ للترجمان فقرأهُ باللغة الايطالية وكان السفير واتباعهُ والاميرال والداودار واقفين اثناء القراءة احتراماً للسلطان . ثم اخذ الداودار الكتاب من يد الترجمان وبعد ان قبلهُ وضعهُ على رأسهِ اعطاهُ للاميرال وهذا وضعهُ على شفتيهِ وناولهُ للسفير فقبلهُ ايضاً ووضعهُ في جيبهِ ثم استأذن ورجع الى قصرهِ

ولبثنا في الاسكندرية عشرة ايام وقد اشار علينا نائب السلطان ان لا نبرحها لانتشار عصاة العربان في ضواحيها فقد قطعوا الطريق وعاثوا في المقاطعات الشمالية (البحيرة) نهباً وسلباً فارسل السلطان جنودهُ فقبضوا على زعماء العصاة . ولما استتب الامن سمح لنا بالسفر

وفي ٢٨ ابريل برحنا مدينة الاسكندرية واستأجرنا عشرين جملاً لحمل امتعتنا الثمينة وصناديقنا . واما براميل الخمر وباقي الامتعة فارسلناها في جرم الى بولاق بطريق النيل . وقد قصدنا رشيد لنسافر منها الى مصر في الفرع الرشيدي لكونهِ اكثر أمناً وعند المساء وصلنا الى ابي قير فنصبنا الخيام ولبثنا تلك الليلة هناك وفي اليوم التالي وصلنا الى رشيد

وهذه المدينة ذات بيوت حسنة قائمة عند مصب النيل وهو احد مصابهِ السبعة · وضربنا خيامنا تحت شجر النخل خارج البلدة في مرج اخضر · ثم اقبل حاكم المدينة لتحية السفير وقدم لهُ هدية ست وزات وستين رغيفاً وقفة رز فقبلها بسرور وقدم لهُ بدلا منها ثوباً من الجوخ المجزع · ثم زرنا المدينة في صحبة الحاكم فادخلنا الى بستان كبير فيهِ كثير من الاشجار المثمرة ورأينا بينها شجراً غريباً طول الورقة منهُ اربعة اذرع وعرضها نصف ذراع يقال لهُ في لغتهم موز وثمرهُ يشبه الخيار واما طعمهُ فسكري وفي البستان كثير من شجر البرتقال والليمون والتوت

وفي ٣ مايو ركبنا مركباً كبيراً الى القاهرة تتبعهُ اربعة اجرام لحمل الامتعة والصناديق وفي صباح اليوم التالي وصلنا الى بلدة يقال لها فوّه وهي عامرة كثيرة السكان وتجارتهـا واسعة الى الداخلية وفيها اسواق كثيرة مسقوفة على الطرز الشرقي · ثم واصلنا سيرنا في النيل وكنا نرى على الشاطئين السواقي التي تدار بواسطة الثيران لري الاراضي ورأينا كثيرين من الاهالي رجالاً وغلماناً عراة الابدان

وفي ٦ منهُ وصلنا الى مدينة بولاق وهي مرفأ عاصمة مصر على بعد ميلين منها وهناك استقبلنا ترجمان السلطان ورحب بالسفير بالنيابة عن مولاهُ [1]

وفي صباح اليوم التالي نهضنا عند الفجر لنقل امتعتنا وحملناها على اربعين جملاً وبغلاً كل واحد منها مجلل بجلال من الجوخ الاحمر مطرز الحواشي وعلى دائرهِ السجف الذهبية وعليهِ شارة اسرة السفير ودوقية البندقية · فركب السفير على جوادٍ عربي مطهم وركب رجال السفارة والحاشية وراءهُ على جياد وبغال مرسلة من الاسطبل السلطاني · وسار في ركاب السفير اربعة غلمان من المماليك مترددون بثياب زاهية قرمزية · وارسل السلطان مهمندارهُ الخصوصي [2] مع شرذمة من المماليك والانكشارية المسلحين لاستقبال سيادتهِ

---

(١) قال السائح تتود في رحلتهِ سنة ١٥١٢ ان هذا الترجمان كان ايطاليًا من فيرونا التابعة لدوقية البندقية وكان تاجرًا في مصر ثم اتخذ الاسلام بعد ان تعلم اللغة العربية فجعله السلطان قانصوه الغوري ترجمانًا خصوصيًا له وقربهُ اليهِ ووهبهُ لقب الامارة فدعي الامير يونس الترجمان بعد ان سخط على ترجمانهِ السابق تانغري بردي الاسرائوني المار ذكرهُ واقصاهُ من خدمتهِ

(٢) كان مهمندار السلطان الغوري وقتئذٍ الامير ازدمر كما جاء في ابن اياس وكانت وظيفتهُ مفاوضة القناصل واستقبال السفراء والاجانب وهو بمثابة رئيس التشريفات الآن او كبير امناء السلطان

فركب المماليك الخير وكلهم بثياب زاهية مقصبة وتبع السفير نحو عشرين شخصاً من تجار البنادقة في مصر مع رئيسهم وكانوا قبل وصول السفير مكبلين بالحديد في السجن

فدخلنا بعون الله الى عاصمة السلطنة بهـذا الموكب الحافل البهج ووصلنا الى القصر الذي اعدهُ السلطان لنزول السفير كضيف لهُ وهو من القصور العظيمة الباذخة وارضهُ مرصوفة بالفسيفساء واعمدة الرخام والمرمر وسقوفهُ منقوشة بالذهب والرسوم الملونة وابوابهُ من الابنوس المرصَّع بالصدف وقطع العاج والنقوش الذهبية وداخلهُ الحدائق والفساقي، على جدرانهِ الصور البديعة الرسم والزهور وقد صرف على بنائهِ مائة الف دوقه ذهب(١) وفي صباح اليوم التالي ارسل السلطان الى السفير الهدايا الآتي ذكرها مبالغة في حسن الضيافة وهي اربعة واربعون رغيفاً كبيراً معجونة بالزبدة والسكر وزن الرغيف منها اربعة ارطال خمس جرار كبيرة من العسل الهندي · جرتان من السمن الخالص · اربعون خروفاً · خمسون زوجاً من الدجاج · عشرون وزة · كيسان من الارز · وصلت هذه الهدايا مع مماليك السلطان فامر السفير ان يوزع عليهم عشر دوقات ذهب

مقابلة السلطان

وفي اليوم العاشر من شهر مايو ذهب السفير لمقابلة السلطان المقابلة الاولى الرسمية وكانت على هذه الصفة : اقبل في الصباح المهمندار مع الترجمان ليصحبا السفير الى القلعة فركب جواداً مطهماً بعد ان تردى بثوبهِ الدوقي الرسمي وهو من الديباج المطرز بالقصب الذهبي فوقهُ رداء من الجوخ المنسوج بالذهب تتدلى السجف الذهبية من حواشيهِ واطرافهِ وعلى صدرهِ وسام القديس مرقس الشريف · ولم يتقلد السيف احتراماً للسلطان وركب معهُ رجال السفارة والقنصل والحاشية والاتباع على الجياد والبغال المرسلة من الاسطبل السلطاني ومشى حولهُ اربعة من غلمان المماليك الصغار وكلهم باثواب قرمزية زاهية · فسرنا في شارع طويل الى ان وصلنا الى ميدان فسيح حيث ملعب الخيل والسباق · ولما وصلنا الى القلعة ترجل السفير واتباعهُ فصعدنا اربعين درجة في سلم عريض الى بوابة القلعة الاولى وكان هناك كثيرون من فرق الجند الانكشارية · ثم اجتزنا اربعة ابواب اخرى ووراء كل

(١) ذكر تنود هذا القصر في رحلتهِ فقال ان القصر الذي اعدهُ السلطان الغوري لسفير البندقية بناهُ السلطان قايتباي لزوجته السلطانة ام ابنهِ الملك الناصر محمد وزخرفهُ بكل انواع النقوش الثمينة والمرمر والحجارة الكريمة

باب جمع من الحرس والمماليك · وبعد البوابة الرابعة عرصة واسعة على جانبيها دكتان مرتفعتان جلس على احداها الاميرال قومندان القلعة⁽¹⁾ وعلى مقربة منهُ عشرة من المماليك الغلمان يعزفون بالمزمار و ينقرون على الطبول و يقرعون الصنوج النحاسية ترحيباً بالسفير · فلما دخلنا نهض امير القلعة وحيا السفير بحناية الراس ففعل هذا مثلهُ

ثم اجتزنا ثلاثة ابواب اخرى ودخلنا الى ميدان صغير جدرانهُ على الجانبين مزينة بكل انواع الاسلحة من رماح وسيوف وخوذ وتروس ونبابيت حديدية وخناجر وغيرها· ورأينا نفراً من الحدادين وصانعي الاسلحة يصنعون السيوف والرماح فوقف السفير امامهم هنيهة · ولما جاوزنا هذا الميدان ذهب هؤلاء العمال فاستدللنا من ذلك ان امير القلعة جعلهم في طريق السفير ليريهُ كيفية اهتمام السلطان بصنع الاسلحة المصرية

وعندما وصلنا الى الميدان الاخير اطلقت من القلعة مدافع التحية للسفير · ثم جزنا اربعة ابواب ودخلنا في اخرها الى ايوانٍ واسع مكشوف وكان غاصاً بالمماليك ورجال الديوان السلطاني ومفروشاً كلهُ بالسجاد والقطيفة · وكان السلطان الملك الاشرف قانصوه الغوري جالساً في صدر هذا الايوان على دكةٍ مرتفعة عن الارض ومتربعاً على مقعد من الدمقس وواضعاً يدهُ اليمنى على وسادة كبيرة عليها سيفهُ وترسهُ وهما على الدوام بجانبهِ اينما جلس · وكان على رأسهِ عمامة بيضاء كبيرة تشبه في شكلها تاجاً بزنطيًّا ملفوفة طياتها لفاً محكماً يخرج طرفاها من الامام كقرنين بارزين طول الواحد منهما نصف ذراع · وكان مترديًا بثوب قطني ابيض فوقهُ رداءٌ اخضر غامق وعلى كتفيهِ مطرف من صوف · وكان عن يمينهِ عشرون من القواد والامراء والوزراء وعظماء السلطنة وكلهم واقفون خاشعين وهم على مثال السلطان متردون باثواب بيضاء وعلى رؤوسهم العمائم الكبيرة على اشكال مختلفة بين مستطيلة وافقية وعرضية · وكان على الجانب الاخر جمع من الاعيان والامراء وحكام البلاد · فتقدم السفير واتباعهُ وعلى جانبيهِ اربعة من الغلمان ابناء التجار البنادقة يحملون ذيول ردائهِ الكبير لئلاَّ يعثر بها · ثم رفع قبعتهُ وهي من المخمل مزركشة بالقصب الذهبي على دائرتها وحنى رأسهُ كثيراً الى ان مس الارض بانامله ثم مسَّ بها شفتيهِ وجبهتهُ وتقدم بضع خطوات واعاد السلام كما فعل اولاً وعاد فسار خمس خطوات ووصل الى الحد الاخير للمقابلة

(١) كان يلقب هذا القومندان بنائب القلعة · وكان وقتئذٍ الامير توقات باي القلعي كما جاء في ابن اياس في تاريخ سنة ٩٢٩

وكان بينهُ وبين مجلس السلطان مسافة عشرين قدماً مفروشة بطنفسة خضراء نفيسة ثمينة من الحرير المخملي لا نقوش فيها ولا يسمح لاحد ان يطأها بحذائهِ . فوقف السفير عند هذا الحد ووراءهُ اتباعهُ وحنى رأسهُ المرة الثالثة حتى مس الارض بانامله . ثم اخرج من جيبهِ كتاب صاحب السمو والمقام المحترم دوق البندقية وهو مكتوب بحروف من ذهب على ورق بنفسجي فاتح اللون وعلى غلافهِ اربع شرائط (كوردون) من الحرير البنفسجي معقودة اطرافها الاربعة بانشوطة وعليها ختم حكومة البندقية من شمع ذهبي وتتدلى من اطرافها الاخرى اربع أكر صغيرة او رمانات من الذهب الخالص . فادنى السفير الكتاب من شفتيهِ ولثمهُ ووضعهُ على جبهتهِ . ثم اعطاهُ للمهمندار وهذا تقدم ووضعهُ بين يدي السلطان فاخذهُ وفض غلافهُ واعطاهُ لترجمانهِ الواقف بجانبهِ فقرأهُ هذا علناً باللغة اللاتينية ثم عاد فقرأهُ مترجماً باللغة العربية[1] ثم اشار السلطان الى مهمندارهِ ان يسأل السفير عن صحة الدوق وكان المهمندار يتلقى الاوامر والاسئلة من السلطان بصوت منخفض ثم يرجع ويقف امام السفير ويبلغهُ كلام السلطان بصوت عالٍ ولما انتهت المقابلة تراجع السفير اربع خطوات الى الوراء ووجههُ نحو السلطان ثم حنى رأسهُ كثيراً ولثم الارض وخرج وهكذا فعل رجال السفارة اتباعهُ

وعند وصولنا الى القصر امرني السفير ان آخذ الهدايا المرسلة من حكومة البندقية الى سلطان مصر وان اقدمها لهُ فحملها اتباعنا وخدمنا وصحبنا ترجماننا الدمشقي فلما بلغنا القلعة ادخلنا المهمندار مع الهدايا الى السلطان فوضعها الحاملون امامهُ وخرجوا فامر ان يوزع عليهم عشرون دوقة ذهب . فوقفت وعرضت الهدايا عليهِ الواحدة بعد الاخرى فامر نظرهُ عليها ثم امر ان تنقل الى داخل القصر . وكان السلطان وقتئذٍ جالساً في ايوان مسقوف غير الايوان الذي استقبل فيه السفير وارضهُ مرصوفة بالفسيفساء الارجوانية اللون وقطع المرمر والحجارة النادرة وسقوفهُ مزينة بالنقوش والرسوم والازهار البديعة المذهبة . وكان السلطان جالساً امام احد النوافذ المطلة على الحديقة السلطانية . وكل الشبابيك مشبكة بعوارض من المعدن الابيض بدلاً من الحديد . وكان جالساً ويدهُ على وسادة عليها سيفهُ

(١) ان الكتب والرسائل الاصلية التي تبودلت بين دوقية البندقية وسلطان مصر والخطاب الذي فاه به السفير امامهُ والمعاهدات السلمية والتجارية بينهما محفوظة كلها الى الآن في المكتبة الكبرى بباريس

وترسهُ وقدماهُ حافيتان. وعلى رأسهِ عمامة على شكل عمامة أميرال البحر في الاسكندرية ولكنها ليست بذات قرون

وكنت على بعد خطوتين منهُ اريهِ الهدايا فتجرأت على التفرس فيهِ خلسة حتى تنطبع صورتهُ في مخيلتي وانقلها بالرسم (١) فعلى وجهه ملامح النبل والتحفظ والحذر والانفة وهو مهيب الطلعة في الستين من عمرهِ بلحية سوداء وخطها الشيب احمر اللون بدين الجسم ربع القامة . هذا هو الملك الاشرف قانصوه الغوري سلطان مصر وسوريه وما بين النهرين والبلاد العربية

ثم التفت نحو ترجماننا الدمشقي الواقف ورائي وقال لهُ باللغة العربية قل لحضرة السفير اني مسرور من هذه الهدايا وقد حازت عندي القبول غير اني سررت اكثر بتعرفي بهِ فقد توسمت فيهِ التعقل والحكمة والرصانة وليس كغيرهِ من الشبان الذين يقبلون الينا وعقولهم في قبعاتهم لا في رؤُوسهم . فلما فهمت هذا الكلام من الترجمان حنيت رأسي واستأذنت في الانصراف ولما وصلت الى قصر السفارة اقبل ترجمان السلطان حاملاً عشرين دوقة ذهب وقسمها بيني وبين ترجماننا مكافأة لنا لتقديمنا الهدايا

هدايا حكومة البندقية الى السلطان

وهذا بيان الهدايا الثمينة التي قدمت للسلطان من قبل حكومة البندقية بواسطة السفير:

ثوب من القماش المنسوج بالذهب الخالص المموج بلون بنفسجي طولهُ اثنا عشر ذراعاً وكلفة كل ذراع منهُ ثلاثون دوقة ذهب . وثوب آخر من الجوخ المنسوج بالذهب المموج بلون قرمزي وطولهُ اثنا عشر ذراعاً . وثوبان من الجوخ المنسوج بالذهب لا نقوش فيهما . وثوبان من القماش المطرز بالذهب بلون احمر . وثوبان من الجوخ المذهب بلون اخضر . فجملة الاثواب المنسوجة بالذهب ثمانية . واربعة عشر ثوباً من المخمل الحريري مختلفة الالوان بين قرمزي واحمر واخضر وبنفسجي وفولي واصفر . وستة وعشرون ثوباً من الحرير مختلفة الالوان . وثوبان من الدمقس (داماس) صنع دمشق احدهما باللون الاسكندري (اصفر) والاخر باللون الفولي وخمسون ثوباً من الحرير الوردي اللون المنسوج بالذهب . واربعة واربعون ثوباً من الحرير الاحمر الوردي اللون وثمانية اثواب بنفسجية فمجموع الاثواب والاقمشة كلها مائة وخمسون ثوباً

(١) هي الصورة التي صورها باغالي سكرتير السفارة كاتب هذه الرحلة والمرسومة في المقالة السابقة

وثلاث حزم من الثمن انواع الفراء فيها مائة وعشرون فرواً واربعمائة جلد من فرو السمور . واربعة آلاف وخمسمائة جلد من الرق . وخمسون قالباً من الجبن البندقي وزن كل قالب ثمانون رطلاً . وقيمة هذه الهدايا عشرة آلاف ذهب بندقي

المقابلة الثانية

وفي ١٢ منهُ ذهب السفير مع اتباعهِ لمقابلة السلطان المرة الثانية وكانت على هذا النمط : وصلنا الى ميدان القلعة حيث ملعب الخيل و بجانبهِ حديقة كبيرة غناء تدعى بستان السلطان في وسطها كشك مسند باعمدة من المرمر وارضهُ مرصوفة بالرخام وهذا الكشك قائم بين اشجار مثمرة يصعد اليهِ بدرجات من المرمر وتظللهُ العرائش والزهور وعلى نوافذهِ ستائر حريرية تلطف حر الشمس . ورأينا على احد الاعمدة قفصاً مذهباً بديع الصنع فيهِ طير صغير جميل الشكل يزقزق وكان السلطان متربعاً على مقعد وعلى يمينهِ وسادة فوقها سيفهُ وترسهُ . وعلى راسهِ عامة مستطيلة ليس فيها قرون . وكان السفير متردياً بثوب من الديباج المنسوج بالذهب باكمام ضيقة فلما دخل حنى راسهُ وقبل الارض كالعادة . وكنت مع ترجمانهِ واقفين عن يسارهِ ثم اقبل المهمندار وترجمان السلطان ووقفا عن يمينه وكانت هذه المقابلة ودية خصوصية لم يتكلم السفير في اثنائها عن شيء من شؤون مهمتهِ السياسية فاظهر لهُ السلطان التلطف والايناس والاكرام وعند ختام المقابلة امر ان يتفرج على البستان فجلنا فيهِ مع المهمندار والترجمان وكان دليلنا رئيس البستانية . والحق يقال ان هذه الحديقة روضة غناء فيها من جميع الاشجار المثمرة بين برتقال وليمون وموز وتفاح واجاص وتين وعنب وتوت وحب الآس وغيرها من الاثمار الشهية وجميع انواع الزهور والرياحين الزكية الرائحة

زيارة الداودار

ولما خرجنا من البستان ذهبنا لزيارة الداودار وهو القابض الآن على زمام الحكم ودفة السياسة بعد السلطان ولما وصلنا الى قصرهِ استقبلنا بترحاب و بالغ في اكرام السفير وقدم له المشروبات في اقداح من الخزف الثمين فاخذ الداودار القدح وشرب اولاً كما هي العادة وشرب السفير بعدهُ . ثم استأذن وخرج ورجع الى قصرهِ وهناك رأينا رئيس البستانية موفداً من قبل السلطان ومعهُ سلال كثيرة من الفاكهة والاثمار فامر السفير ان يعطي خمسة دوقات ذهب مكافأة

هدايا حكومة البندقية الى الحرم السلطاني

وعند الظهيرة اوفد السفير ترجمانهُ مع احد اتباعهِ الى القلعة لتقديم الهدايا الآتية الى زوجة السلطان وحرمهِ وهي عشرة اثواب من المخمل المذهب وهي من الحرير والقماش والجوخ وكلها منسوجة بالذهب الخالص على الوان مختلفة بين قرمزي واصفر ووردي واحمر وثلاثة اثواب من الحرير الرفيع الغالي الثمن صنع مدينة ريمس كلفة الذراع منهُ اربع دوقات ذهب · اما الهدايا المرسلة الى الداودار الكبير فسبعة اثواب ثمينة مختلفة القماش واللون وستة قوالب جبن بندقي وزن القالب اربعون رطلاً · واما الهدايا المرسلة الى المهمندار فخمسة اثواب حرير وقالبان من الجبن

زيارة ناظر الخاصة

وفي ١٥ منهُ زار السفير الوزير العظيم ناظر الخاصة مدير الاملاك والخزنة السلطانية[1] ولما وصلنا الى قصرهِ وجدنا عندهُ اربعة كتاب يلقب احدهم بالخوجه وبعض التجار وتاجر السلطان وهو وكيلهُ في جلب البضائع من الهند والشام وبيعها للتجار المصريين والاجانب على حساب سيدهِ وهو رجل اسرائيلي والتقينا هناك بالسر توماس كونتار بني قنصلنا بالاسكندرية حضر مع بعض التجار البنادقة لتسوية بعض المسائل التجارية مع ناظر الخاصة وتاجر السلطان · وقدم الناظر للسفير حلويات ومشروبات مثلجة · ثم خرجنا من هناك وذهبنا لزيارة كاتب السر الشريف ومكثنا عندهُ نصف ساعة[2] ثم رجعنا الى قصر السفارة وبعد الغداء حضر احد رجال القصر السلطاني ليأخذ السفير ويريهُ بعض الآثار والغرائب · وقد ارانا هـذا الرجل في حديقة السلطان حيوانات غريبة لم نرها قبلاً في بلادنا وهي زرافة كبيرة طولها ستة اذرع وفيل صغير يبلغ من العمر سنتين واسدان كبيران كان حارسهما يروضهما على العاب غريبة

ديمتري نقولا

---

(١) كان هذا الوزير وقتئذٍ الامير علي بن اجام كما جاء في ابن اياس ومن وظائفهِ ادارة الاوقاف العمومية (٢) وظيفة كاتب السر الشريف كانت عند سلاطين مصر من الوظائف الكبرى لكتابة وقراءة الرسائل السرية الهامة بينهم وبين ملوك الافرنج وسلاطين الاتراك كما جاء في تاريخ سلاطين المماليك لكاترمير · وكان كاتب سر السلطان وقتئذٍ محمود بن اجا الحلبي

الجامعة الالمانية

انشأ الاستاذ داود ستار جوردان رئيس جامعة ستراتفورد الشهيرة بكليفورنيا مقالة في هذا الموضوع نشرتها المجلة العلمية الشهرية وصف فيها الدعوة القائمة في بلاد الالمان باسم الجامعة الالمانية Alldeutschtum Verband فعربناها في ما يلي لاننا رأينا فيها اوضح شرح للاسباب التي دفعت الالمان الى هذه الحرب الضروس قال :

ان سكان المانيا فريقان فريق حسن النية سهل القياد عاكف على اعماله مدقق فيها. وفريق طمّاع مستبيح يزدري رأي الجمهور لانهُ يدَّعي ان ليس للجمهور رأي و يثق باحكامهِ ثقة عمياء ويحاول اجبار الناس على الاخذ بها

والفريق الاول مقسوم الى اكثر من اثني عشر حزباً ولكنها متصفة كلها بالصفات المقدمة وهي الصفات التي كان الناس يحبون بها و ينسبونها الى الامَّة الالمانية جمعاء فيقولون انها امَّة علم وصداقة وكفاءة . والفريق الثاني شديد العزم محب للانتقام معبودهُ الجامعة الالمانية . وما هذه الجامعة الأ آراؤهُ واعمالهُ ومقاصدهُ فلا مشابهة بينها وبين الجامعة الاميركية والجامعة السلافية لانها حزب سياسي رجعي متخلخل والجامعتان الاخريان كل منهما خلاصة اماني البلاد التي هي فيها

الجامعة الالمانية تطلب من الشعب الالماني ان يبسط سيادتهُ المحكمة على العالم كلهِ بدل السيادة الانكليزية التي يقول انها قائمة على اساس واهن . ووراء السيادة الالمانية هذه جماعة من التجار والاعيان والعظاميين ورجال الحرب واصحاب الاوهام والاماني وما منهم مَن يأنف ان يأتي كل كبيرة اذا حسب ان من ورائها نفعاً لالمانيا . واركان الحرب الالماني ملتحمون من هؤلاء الناس اشد الالتحام وغير خاضعين للوزارات الالمانية

ومن اشهر الاقوال المعبّرة عن رأي اصحاب الجامعة الالمانية القول المنسوب الى الاستاذ فون ستنجل الذي قيل انهُ كان معارضاً لمؤتمر السلم ونحوهِ من الوسائل التي يقصد منها الاتفاق العام . وحجتهُ في هذه المعارضة انهُ لا داعي لهذا الاتفاق بعدما تتسلط المانيا على العالم وتلزم الناس باتباع مشيئتها . ومما ينسب اليهِ قولهُ

« ان الشرط الوحيد للنجاح ولاسيما للامم المحايدة هو ان يخضعوا لمشيئتنا فاننا اذا سدنا العالم صارت القوانين الدولية فضلة زائدة لا داعي لها ولا فائدة منها لاننا نحن نمتّع كل احد بما يحق لهُ من تلقاء انفسنا »

ولا شبهة الآن ان اصحاب الجامعة الالمانية هم الذين اضرموا نار هذه الحرب وهم الذين كانوا سبب المباراة في التجنيد حتى بلغ الغاية القصوى وصارت به الحرب ضربة لازب . ولا شبهة ايضاً ان نجاح اوربا في المستقبل متوقف على المانيا فاذا استطاعت كبح جماح المنادين بالجامعة الالمانية من ابنائها نجت اوربا من شرها والأ فلا

ومعلوم ان العامة اذا قامت تطلب مساواتها بالخاصة الممتازة اتَّهمتها الخاصة بانها تحب الانقسام ولا تراعي مصالح وطنها ولا تفضلهُ على غيرهِ من الاوطان . وذلك مشاهد في كل بلاد ولكنهُ بلغ الغاية القصوى في بلاد الالمان

وقد وُضع اساس الجامعة الالمانية هذه في مدينة برلين في شهر ابريل سنة ١٨٩١ وكانت المانيا قد اعطت انكلترا جزيرة زنجبار واخذت منها جزيرة هليغولند وذلك في نوفمبر سنة ١٨٩٠ . وزنجبار مثل مفتاح لشرق افريقية ولها شأن كبير عند الحزب البريطاني الاستعماري . وهليغولند كانت صخراً صغيراً لا شأن لها عند الانكليز ولكن لها شأناً كبيراً عند الالمان في حماية ساحل المانيا وترعتها واسطولها . والامبراطور الحالي هو الذي سعى الى هذه المبادلة وقد خطَّأهُ الالمان حينئذٍ قائلين انهُ ضحَّى مصالحهم الاستعمارية لاجل جزيرة فائدتها محليَّة

ولقد وقفت الجامعة الالمانية وقفة الخصم امام كل اتفاق دولي فضادَّت الوزارات الالمانية كلها لانهُ ما من وزارة تستطيع ان تثبت من غير ان توافق وزارات سائر الدول في بعض الامور وكان مركزها بين الاشراف اصحاب الاطيان الواسعة واشترك معهم محبو التوسع الامبراطوري والحزب الحربي والقائلون بالسياسة الخارجية الممتازة بالشدة والجبروت وبين هؤلاء ضباط الجيش اجمع وطائفة الاساقفة والمطارنة . ولقد احسن جون هبصن حيث قال ان الجيش هو ساعد الممتازين الايمن وخدمة الدين ساعدهم الايسر . وكان من اول زعماء خدمة الدين المؤيدين لها الكردينال بوب واسقف برسلو والكونت ستلبرج فرنيجرود حاكم بروسيا الشرقية

وقد قال الاستاذ هرمن فرنان ان الذين نفخوا ببوق الحرب في المانيا بين الطبقات العليا هم الافاقون ورجال الحرب واصحاب الجامعة الالمانية . واذا نظرنا الى هذه الجامعة والى جمعية البحرية وجمعية الدفاع ونحوها من الجمعيات وجدنا في المانيا اقواماً امتدت سلطتهم في البلاد كلها واعدَّتها لهذه الحرب التي يتوقع الالمان من ورائها ان يسودوا العالم اجمع ولم تعلن اسماء الرؤساء الحقيقيين لهذه الجامعة ولكن يظهر ان رؤساءها العاملين كانوا

دائماً من قوّاد الجيش المتقاعدين وقد يكون بينهم بعض اساتذة المدارس مثل كارل هس واما الرآسة الظاهرة فتكون لواحد من السكان اخفاء للحقيقة وينطبق ذلك على رئيسها الحالي هركلاس فانهُ ليس من ذوي الشأن في البلاد الالمانية

وكان عدد اعضائها ١٢٠٠٠ سنة ١٨٩٧ و ٢٢٠٠٠ سنة ١٩٠٢ ونحو ٣٠٠٠٠ سنة ١٩١٤ . ومنذ ١٢ سنة كان ٢٣٠٠ من اعضائها ساكنين في غير المانيا وبعضهم متخذ رعوية البلاد التي هم فيها وبعضهم نزلاء فقط . وكان لها حينئذٍ ٢٢ نادياً ١٧ منها في البلدان الاجنبيةّ وغرض اعضائها ان يحثوا كل الالمان المتغربين على خدمة الجامعة الالمانية

والقصد الذي جاهرت الجامعة بهِ هو ان تقوي الشعور الوطني وتقنع الالمان انهم قوة وجدت لتسود العالم وانهُ لا حرام ولا حلال اذا اعتُبرت مصالح الدولة بل كل شيء محلل لها لانها فوق هذه القيود وهي غير مكلفة ان تخضع لاحد لانهُ لا قوة فوقها بل هي فوق الجميع . فلا بدَّ اذاً من وجود دولة كبيرة سامية وان تكون من القوة بحيث تستطيع ان تتجاهل توازن الدول ومن الحكمة بحيث تستحق ان تتسلط على الجميع

والاغراض التي ترمي اليها الجامعة الالمانية هي

اولاً ان يكون لالمانيا سياسة استعمارية قوية وان تعضد شعبها في المهاجرة الى مستعمراتها

ثانياً ان توسع نطاق المدارس الالمانية في البلدان الاجنبية

ثالثاً ان تحيي الشعور الوطني وتميت كل الاميال المقاومة لهُ

رابعاً ان تجعل التعليم كلهُ يرمي الى غرض واحد وهو المصلحة الوطنية

خامساً ان تنمي وتقوي كل الاميال الوطنية بين الالمان في بلادهم وخارجها

سادساً ان تعمل عملاً سياسيًّا قويا يراد بهِ تعزيز مصالح الالمان المالية في اوربا وفي سائر البلدان وتجعل مدار السياسة الخارجية مصالح الالمان المادية

ولا يراد بمصالح الالمان المادية مجد المانيا بل الغرض الذي لاجلهِ يُطلَب هذا المجد وهو الكسب المالي

وكانت الاعمال التي عملتها الجامعة اولاً موجهة بنوع خاص في ثلاث جهات

الاولى السعي في تقوية البحرية وقد نتج عن هذا السعي انشاء الجمعية البحرية والجمعيَّة العسكرية

ثانياً شد ازر البوير زمن حرب الترنسفال فجمعت حينئذٍ خمس مئة الف مارك لهذا الغرض

ثالثاً مقاومة السياسة التي كان الكونت كبربفي جارياً عليها لانها كانت سياسة مسالمة لاهالي بولندا

و يضاف الى ذلك اولاً سعي الامبراطور الى توحيد الشعوب الالمانية وثانياً اهتمام ملتكي بتعميق مصبات الانهر الالمانية الكبرى لتدخلها السفن الكبيرة

فنتج عن مساعي الجامعة الالمانية انها قوّت في المانيا الاميال والاعمال الآيلة الى التوسع في التملك والاكتساب والى زيادة النفقات الحربية . وقوّت خارج المانيا مصالح الالمان بالقاء النفور والعداء بين سائر الممالك وجعلت المانيا على تمام الاهبة لانتضاء الحسام في اي وقت كان حاسبة ذلك من اقوى دعائم مجدها والزم لوازم السياسة التي جعلتها مرعية الجانب تخافها الدول كلها او تكرهها

ومن الالفاظ المأثورة التي يتشدق بها رجال الجامعة الالمانية قولهم « مصالح العالم » « الاعمال الكبرى » « الحرب الكبرى » « الخطر السلافي » « التهديد الانكليزي » « الاحتكار البريطاني » « الانتقام الفرنسوي » . وكانوا يعبّرون عن اغراضهم الجغرافية بقولهم « برلين كاله » « برلين ريفا » « همبرج سلانيك » « همبرج بغداد خليج فارس »

والضباط المتقاعدون من خطباء الجامعة وتدور خطبهم على موضوع واحد وهو « عز الحرب وذل السلم » وما يترتّب على ذلك من لزوم الحرب لاجل تحقيق اماني المانيا في العالم

واقدر النافخين في بوق الجامعة الالمانية والمعبرين عن افكارها الجنرال برنهاردي Bernhardi الذي كان من اركان الحرب . وكتاباتهُ وخطبهُ في المنزلة الاولى من الوضوح والانسجام والعداء لنوع الانسان. ولا محل لاطالة الكلام عليها هنا ولكن مفادها واحد وهو قولهُ « ان القوانين ليست الاّ واسطة للتسكين والعبرة كلها بالقوة . القوانين للضعيف والقوة للقوي »

والجنرال فون كيم اشد من برنهاردي وطأة واكثر منهُ ثرثرةً ولكنهُ اقل منهُ قوة في حجتهِ وامتلاكاً لطبعهِ وهو ايضاً من اعضاء اركان الحرب وقد طاف في المانيا كلها قبل سنة ١٩١٤ متنبئاً بقرب نشوب الحرب وحاثاً قومهُ على محاربة انكلترا وروسيا . ومن اقوالهِ المأثورة الدالة على منهاجهِ قولهُ

« ان السبيل للاتحاد الالماني والعظمة الالمانية لا يمهَّد بالكتابة والطباعة وقرارات مجالس النواب بل بالسيف والدم . والممالك تحفظ بنفس الاسباب التي تنشأ بها ولذلك لا بدَّ لنا من جيش كبير واسطول عظيم . ولا تتسع الدنيا الاّ للشعب الذي بثَّ في نفسهِ

حب الحرب . فعلينا ان نقول لكل فتىً ولكل فتاة من الالمان انهُ يجب علينا ان نبغض كل اعداء وطننا . فهيَّا بنا هيَّا بنا الى الحرب . يجب ان نربي انفسنا على البغض لنجرَّ من ورائهِ مغنمًا ومَن لا يبغض لغايةٍ ما لا شأن لهُ وما بسمارك الاَّ عنوان البغض »

وقد خطب الاميرال بروسنغ من اعضاء اركان الحرب في بازل بسويسرا سنة ١٩١٣ فحدَّد الزمن الذي تعلن فيهِ المانيا الحرب وقال انهُ صيف سنة ١٩١٤ وهو الزمن الذي حددهُ برنهاردي ايضًا لاعلان الحرب . ووصف الاميرال بروسنغ خطة الاسطول الالماني بالتفصيل فقال انها تدور على ارهاق الاسطول البريطاني في وقائع صغيرة الى ان تأْتي المعركة الكبرى وحينئذٍ يتغلب الاسطول الالماني على البريطاني بما امتاز بهِ من جودة مدافعهِ ومهارة بحَّارتهِ

والشعب الالماني لم يحكم نفسهُ بنفسهِ مطلقًا ومعلوم ان الشعب الذي لا يدبر امورهُ بنفسهِ بل يكل تدبيرهُ الى غيرهِ يحكمهُ غيرهُ وهذا ما تتوخاهُ الجامعة الالمانية

وقد قال بريلسفورد ان مهمة وزير المانيا ان يجعل نفسهُ آلة في يد غيرهِ . وكل وزير من وزراء الامبراطورية الالمانية من كبريفي الى بتمن هُلفيج عاملتهُ الجامعة الالمانية هذه المعاملة

واقوى الوزارات في كل بلاد اقدرها على الثبات في المحن الكبار ولكنها اذا لم يغل يديها مجلس النواب ولا القوانين والميزانيات كانت عرضة للدسائس الداخلية . ويقال ان اول ما يُطلَب من الوزارة القوية هو ان تعنَى بالمصالح الملكية والحربية والمالية ولكن تضارب هذه المصالح ينخر عظامها ويقوض اساسها . وما من وزارة تود ان تجعل سياستها في يد هذه المصالح ولكن مقدرتها على مقاومتها تضعف على نسبة ابتعادها عن الشعب

ولقد صارت الجامعة الالمانية مهيمنة على السياسة البروسية اي على السياسة الالمانية كلها لانها تعتمد على تحريك الاميال النفسية ولاسيما في ما يتعلَّق بالتفوق الالماني فتقدمت رويداً رويداً الى استخدام البلدان الضعيفة والدخول الى كل الاماكن بواسطة العالم الالمان وزيادة ثروة من عندها من الاشراف . وكانت الاراجيف الحربية من اقوى الوسائل التي لجأَت اليها . الاَّ ان تغطرسها وازدراءها غيرها وتباهيها بقوتها الحربية وكفاءتها البحرية اضطرت الدول الاخرى الى اطّراح ما بينهنَّ من المضاغنات والاتفاق على مقاومتها في سبيل الدفاع عن انفسهنَّ . ويمكن تحديد الجامعة الالمانية بانها وسيلة لنشر سطوة المانيا على قارة اوربا وسلطتها على المستعمرات وحمايتها على البلدان الكثيرة في آسيا وافريقية . وقد توسلت بوسائل مختلفة حتى صار لها اليد العليا في بلاط الامبراطور والدوائر الحربية وبين رجال

العلم في المدارس والجامعات وصار لها ايضاً شأن كبير في الصحافة وتمكنت بواسطة وزارة المعارف من ابعاد الطلبة الذين ميلهم جمهوري عن تولي مناصب التدريس وتنصيب الذين يؤيدون اغراضها اساتذة للتاريخ والعلوم السياسية. فهي لسان حال الذين يكرهون الحرية في المانيا سياسياً وحربياً واجتماعياً وحصنهم الحصين ولها اليد الطولى في جعل الحكومة الالمانية شركة تجارية غرضها الكسب المالي واعطاء اعضائها الاعانات المالية على اساليب مختلفة. وهم يعتنون بعالهم حتى ينالوا منهم اكثر ما يمكن من العمل باقل ما يمكن من النفقة. وقد تدرَّب الشعب الالماني بواسطتها تدريباً ينفي الاستقلال الذاتي ويغرس مكانهُ الطاعة والانقياد لما يؤْمر به فصارت المانيا بها مملكة قوية متحدة ترمي الى اجبار الممالك المجاورة او الخاضعة لها الى مسالمتها بما تراهُ فيها من القوة والتحفز للقتال والتفوُّق في الاعمال الصناعية والحربية والاتحاد في انجاز المقاصد المبني على كون حكم البلاد استبدادياً لا دستورياً. وعندهم ان الفائدة التي يجتنيها سائر العالم من السيطرة الالمانية تفوق الحزن والخراب اللذين قد يحدثان حينما تنتشر اساليب الالمان فيهِ. وتفوُّق الالمان يكسبهم قوة لا ينازعون فيها فان القوة توجب الحاجة والحاجة اساس الحق

ان مساعي الجامعة الالمانية تدلُّ على الحالة التي كانت فيها المانيا حينما نشبت الحرب. فان الامة الالمانية كانت قد صارت بمثابة شركة صناعية تجارية كبيرة استخدمت كل قواها الداخلية والخارجية لانجاح فريق من اصحاب الاملاك والمعامل والمتاجر والاموال. والى هذا الغرض اتجهت كل موارد البلاد وكل الهبات والمساعدات التي مكنتها من مزاحمة التجار الاجانب وبيع البضائع في اسواق العالم باقل من ثمنها الاصلي والاهتمام بالعمال ومنع كل شكوى تبدو منهم ولو بالقوة وقمع كل ثورة فكرية يقصد بها اطلاق الحرية. وقد بني هذا النظام على استقراض الاموال من البلدان الاجنبية للقيام بنفقاتهِ الباهظة ولذلك كان لا بدَّ من ان يتقوض من اساسهِ وقتاً ما فوقعت هذه الحرب لتقويضهِ

وهذه السياسة المالية الحمقاء كان لها مثيل في بلدان اخرى ولكن ما من بلاد تضافرت فيها كل القوى على تأييدها وخضعت لها حكومة البلاد كما تضافرت في المانيا وخضعت لها حكومتها

ولم يكن الشعب الالماني يعنى بمساعي هذه الجامعة قبل الحرب الاَّ قليلاً فلما كنتُ في باقاريا سنة ١٩١٣ وُصف لي برنهاردي بانهُ «ضابط ناقم على الحكومة لانهُ حُرم من الترقي» ولم يكن جمهور المتعلمين يهتم بهِ ولا بكتابهِ الذي عنوانهُ «المانيا والحرب المقبلة» وكانت

البلاد في فلاح ورخاء وسكينة لا تشكو الأَّ مما قد ينالها من مزاحمة تجار الانكليز لتجارها في انكلترا وتهديد اعدائها لها في فرنسا وروسيا . والامبراطور وهو من المحبين للتباهي بالمظاهرات الحربية وباظهار القوة لم يكن يرغب في دخول الحرب فعلاً وزير الامبراطورية ووزير الخارجية كانا من محبي السلام وكان المشهور حينئذٍ ان اصحاب الجامعة الالمانية حفنة من الرجال اصحاب الاوهام الذين يحلمون بالتسلُّط على العالم وقلما يستحقون ان يُعنَى بامرهم وما اعمالهم الأَّ من قبيل ما يجري عادة ولكن خفي على الذين كانوا يظنون هذا الظن ان ما كان يجري حينئذٍ انما هو من افعال هذه الجامعة فان كل عمل عدائي عملهُ الالمان كانت الجامعة المحركة لهُ والدافعة اليهِ . قال كرت ايسنر « ان فعل رجال الجامعة الالمانية في تكييف سياسة البلاد كان اقوى من فعل اعظم الشركات المؤلفة من كبار المالكين وكبار الماليين ولو اجتمعت كلها معاً . ولقد حرَّضت الحكومة دائماً على رجال الجامعة لكي تكبح جماحهم لكن رأس الحكومة تدرَّج في النسج على منوالهم حتى صار منهم وذلك لان الحكومة انقادت دائماً الى ما كانت تقاومهُ في اول الامر لانها اضطرَّت ان تجاري الرأي العام الذي هو صدى ما يقولهُ اهل السيادة في برلين . وكل المشروعات الحربية من اول مشروع لزيادة الاسطول الى آخر مشروع للدفاع الوطني وضعت في دوائر هذه الجامعة . والغرض الذي ترمي اليهِ الجامعة امتلاك المستعمرات الكبيرة حيث يستطيع الالمان ان يسكنوا ويستغلوا الارض ويستخرجوا منها المواد اللازمة لصناعتنا ويتمكنوا من بيع مصنوعاتنا . اي حيث يكون لبضائعنا سوق لا يزاحمنا فيها مزاحم . هذه هي الامنية التي يتمناها اصحاب تجارة الصادرات

« ولا تنال هذه المستعمرات حسب رأي الجامعة الأَّ بتقوية مركز الامبراطورية الحربي في اوربا ولذلك تدعو الحال الى فرض الخدمة العسكرية على كل احد والى فتح اوسع الابواب لانشاء الاساطيل الحربية وايجاد الاماكن الصالحة للوقوف فيها ولتجهيزها بما تحتاج اليهِ من الفحم

« وزد على ذلك ان جماعة المتعلمين يعاونون الجامعة ولهم سطوة نافذة في كل مكان لانهم اكثروا من الاسفار ووقفوا على امور كثيرة يسهل عليهم نشرها في الجرائد والاحتجاج بها كلما دارت المناقشات السياسيَّة فيؤخذ الجمهور بها على غرة وينقاد اليها ولاسيما اذا حدثت حوادث توءيدهم وظهر ان حدوثها جاء اتفاقاً مع ان الجامعة تكون قد اشتغلت منذ سنين في إعدادها »

ستأتي البقية

أيام الحسوم وبرد العجوز

بحث تاريخي لغوي

يجد الناس في التقاويم المصرية تسمية ثمانية ايام من اول برمهات الى آخر الثامن منهُ باسم ايام الحسوم و برد العجوز . وهم يتطيرون من هذه التسمية كما يعتقدون باشتداد البرد والزمهرير في تلك الايام معها سبقها من اعتدال الجوّ او اشتداد الحرّ في بعض الاحيان . ثم يتساوى الليل والنهار بعد ١٣ برمهات بنزول الشمس الكبيرة و يعقب ذلك دخول الربيع بعد زوابع انتقالها الى برج الحمل وحلول الاعتدال الربيعي . وقد اهتمّ الباحثون بمعرفة اصل هذه التسمية فمنهم من نسبها الى المصريين القدماء ومنهم من نسبها الى غيرهم وقد اثبت الاثريون والمنقبون ان التقويم المصري الفرعوني لم يتغير عن وضعه القديم فالاشهر القبطية والسنة القبطية بقيت وتبقى حافظة لتقاليد السنة الفرعونية والتقاويم الفرعونية بغير تبديل عما نقش في منطقة فلك البروج على جدران الهياكل المصرية بدندره ومدينة هابو وادفو

ومن المعلوم ان التقويم الفرعوني المصري هو الذي حافظ عليهِ الاقباط للاستعانة بهِ في الاعمال الزراعية ورضخ لهُ الفاتحون فاتبعوهُ لان قوامهُ الحساب الشمسي الذي لا يتغير وقد جرت الاعمال عليهِ من عهد الفتح العربي الى الآن . فاذا وردت في التقاويم الحالية عبارة ما لم تكن واردة من قبل في التقاويم القديمة الفرعونية وجب البحث في مصدرها كمدة ايام الحسوم وبرد العجوز و كيفية تحديدها . والراجح ان هذا التحديد حادث على التقويم المصري الفرعوني ولعلي لا اخطئ اذا قلت ان تسميتها بايام الحسوم حدثت بعد الفتح العربي بناء على ما ذكر في الآيتين السادسة والسابعة من سورة الحاقة « اما عاد فأُهلكوا بريح صرصر عاتية سخرها عليهم سبع ليالٍ وثمانية ايام حسوماً » قرآن كريم

فيحسن الرجوع الى تحليل الالفاظ والاستدلال من قواميس اللغة وكتب التفسير لرد الشيء الى اصلهِ اذ البحث تاريخي لغوي بقدر ما يمكن لمعرفة سبب تسمية هذه المدة بايام الحسوم او برد العجوز[1] المعروفة عند العامة من المصريين والخاصة على السواء ووقوع البرد الشديد فيها . وقد لفقوا محاورة تدور عليها بين شهري امشير و برمهات اذ

---

(١) قال سعادة احمد زكي باشا في الخطبة التي القاها في مؤتمر المستشرقين بلندن في ٨ سبتمبر سنة ١٨٩٢ ان الازدي نظم قصيدة تكررت فيها كلمة عجوز اثنتين وستين مرة مع اختلاف المعاني وقد شرحها ابو حيان واضاف اليها ١٣ معنى جديداً فيكون لكلمة عجوز خمسة وسبعون معنى

يقول امشير لبرمهات اربعة مني خذ واربعة منك هات نطيّر العجوزة بين السفكات

وهذه الايام الثمانية قد حددها البيضاوي المشهور في تفسيره سورة الحاقة (٦٩ : ٦و٧) بانها من صبيحة يوم اربعاء الى غروب يوم الاربعاء الآخر قال بالحرف

« واما عاد فأُهلكوا بريح صرصر اي شديدة الصوت او البرد من الصر او الصرة عاتية شديدة العصف كأنها عتيت على خزانها فلم يستطيعوا ضبطها او على عاد فلم يقدروا على ردها . سخرها عليهم سلطها عليهم بقدرته وهو استئناف اوصفة جيء به لنفي ما يتوهم من انها كانت اتصالات فلكية اذ لو كانت لكان هو المقدر لها والمسبب سبع ليال وثمانية ايام حسوماً متتابعات جمع حاسم من حسمت كل خير واستأصلت او قاطعات قطعت دابرهم ويجوز ان يكون مصدراً منتصباً على العلة بمعنى قطعاً او المصدر لفعله المقدر حالاً اي تحسمهم حسوماً ويؤيده القراءة بالفتح وهي كانت ايام العجوز من صبيحة اربعاء الى غروب الاربعاء الاخر وانما سميت عجوزاً لانها عجز الشتاء او لان عجوزاً من عاد توارت في سرب فانتزعتها الريح في الثامن فاهلكتها » اه

وجاء في الجزء السابع من لسان العرب وجه ٢٣٨ في فصل العين حرف الزاي (عجز) وايام العجوز عند العرب خمسة ايام صِنٌّ وصِنَّبْرٌ وأُخيها وبِرٌّ ومُطفئُ الجمر ومُكفئُ الظعن قال ابن كناسة هي من نوء الصرفة وقال ابو الغوث هي سبعة ايام وانشد لابن احمر

كُسع الشتاء بسبعة غُبْرٍ صِنٍّ وصِنَّبْرٍ مع الوَبْر
وبآمر واخيهِ مؤتمـــــرٍ ومُعلِّلٍ وبمطفىءِ الجَمْرِ
فاذا انقضت ايامها وضت ايام شهلتنا [1] من الشهرِ
ذهب الشتاء مولياً عجلاً واتتك واقدةٌ من النَّجْرِ [2]

قال ابن بري هذه الابيات ليست لابن احمر وانما هي لابي شبل الاعرابي كذا ذكره ثعلب عن ابن الاعرابي اه

اما سبب التسمية وعدد الايام فقد اختلفت فيها الروايات نذكر اشهرها فالعامة لا يقولون ايام العجوز بل برد العجوز والمشهور على السنتهم ان عجوزاً كان لها سبعة اولاد فمن شدة برد تلك الايام مات لها في كل ليلة ولد فما انقضت تلك الليالي الا وقد ماتوا فسميت تلك الاوقات عند حلولها في كل سنة ببرد العجوز

(١) المراد بالشهلة العجوز (٢) وما النجر اول الشهر

ولذلك وضعوا جملة على لسان شهري امشير و برمهات تفيد ان الاربعة الايام الاخيرة من امشير ومثلها من برمهات هي من انحس ايام الشتاء خصوصاً للعجوز و يقال ايضاً ثلاثة مني خد وثلاثة منك هات لا تخلي الرايحات ولا الجايات

وقد زادوا في عددها فبعد ان كانت خمسة او ستة او سبعة او ثمانية كما تقدم جاء في رواية انها زادت الى العشرين وعليهِ قولهم :

امشير يقول لبرمهات عشرة مني خد عشرة منك هات نطير العجوزة بين السفكات

على ان التقاويم كلها تعين ايام الحسوم الثمانية من اول برمهات الى الثامن منهُ بلا اشتراك بينهُ و بين امشير وبعضهم بعينها سبعة ايام فيه

وجاء في الجزء الخامس عشر من لسان العرب صحيفة ٢٤ فصل الحاء حرف الميم في مادة حسم ما يأتي :

« والحسوم الشؤم وايام حسوم وصفت بالمصدر تقطع الخير او تمنعهُ وقد تضاف والصفة اعلى وفي التنزيل « سخّرها عليهم سبع ليالٍ وثمانية ايام حسوماً » وقيل الايام الحسوم الدائمة في الشر خاصة وعلى هذ فسر بعضهم هذه الآية التي تلوناها وقيل هي المتوالية قال ابن سيده واراه المتوالية في الشر خاصة . قال الفراء الحسوم التباع اذا تتابع الشيء فلم ينقطع اولهُ عن آخرهِ قيل لهُ حسوم وقال ابن عرفه في قولهِ « ثمانية ايام حسوماً » اي متتابعة قال ابو منصور اراد متتابعة لم يقطع اولهُ عن آخرهِ كما يتابع الكي على المقطوع ليحسم دمهُ اي يقطعهُ ثم قيل لكل شيء توبع حاسم وجمعهُ حسوم مثل شاهد وشهود و يقال اقطعوهُ ثم احسموهُ اي اقطعوا عنهُ الدم بالكي . والحسم كي العرق بالنار . وفي حديث سعد انهُ كواه في اكحلهِ (عرق في القلب) ثم حسمهُ اي قطع الدم عنهُ بالكي . الجوهري

« و يقال الليالي الحسوم لانها تحسم الخير عن اهلها قيل انهُ أُخذ عن حسم الداء اذا كوي صاحبهُ لانهُ يحمى يكوى بالمكواة ثم يتابع ذلك عليهِ وقال الزجاج الذي توجبهُ اللغة في معنى قولهِ حسوماً اي تحسمهم حسوماً اي تذهبهم تفنيهم . قال الازهري وهذا كقولهِ عز وعلا فقطع دابر القوم الذين ظلموا

« وقال يونس الحسوم يورث الحشوم وقال الحسوم الدؤوب قال والحشوم الاعياء . و يقال هذه ليالي الحسوم تحسم الخير عن اهلها كما حسم عن عاد في قولهِ عز وجل « ثمانية ايام حسوماً » اي شؤماً عليهم ونحساً » اه

والعامة ينعتون تلك الايام بايام النحس وقد يجمعونها بقولهم ايام الحسومات باعتبار لفظ حسوم فرد وحسومات جمعها

وسرى الاعتقاد عند العامة بشؤم تلك الايام وان من تحمل فيها تلد ولداً غريب الصورة في الخلقة مشوهها او يعد من عجائب المخلوقات لمخالفة للمواليد العادية فيقولون هذا من اولاد الحسومات

وجاء في الجزء الثامن من فخر الرازي صفحة ٢٨٠ و ٢٨١

وردت في تفسير الآية « وسخرها عليهم سبع ليال وثمانية ايام حسوماً » قال مقاتل سلطها عليهم وقال الزجاج اقامها عليهم وقال آخرون ارسلها عليهم

« هذه هي الالفاظ المنقولة عن المفسرين وعندي ان فيه لطيفة وذلك لان من الناس من قال ان تلك الرياح انما اشتدت لان اتصالاً فلكيًا نجوميًا اقتضى ذلك فقوله سخرها فيهِ اشارة الى نفي ذلك المذهب و بيان ذلك انما حصل بتدبير الله وقدرتهِ فانهُ لولا هذه الدقيقة لما حصل منهُ التخويف والتحذير عن العقاب وقوله

« واختلفوا في الحسوم على وجوه : احدها وهو قول الاكثرين حسوماً اي متتابعة اي هذه الايام تتابعت عليهم بالريح المهلكة فلم يكن فيها فتور ولا انقطاع وعلى هذا القول حسوم جمع حاسم كشهود وقعود ومعنى الحسم في اللغة القطع بالاستئصال وسمي السيف حساماً لانهُ يحسم العدو عما يريد من بلوغ عداوتهِ فلما كانت تلك الرياح متتابعة فاسكنت ساعة حتى اتت عليهم اشبه تتابعها عليهم تتابع فعل الحاسم في اعادة الكي على الداء كرة بعد اخرى حتى يحسم

« ثانيها ان تلك الرياح حسمت كل خير واستأصلت كل بركة فكانت حسوماً او حسمتهم فلم يبقَ منهم احد فالحسوم على هذين القولين جمع حاسم

« ثالثها ان يكون الحسوم مصدراً كالشكور والكفور وعلى هذا التقدير فاما ان ينتصب بفعلهِ مضمراً والتقدير يحسم حسوماً يعني استأصل استئصالاً او يكون صفة كقولك ذا حسوم . او يكون مفعولاً لهُ اي سخرها عليهم للاستئصال . وقرأ السدي حسوماً بالفتح حالاً من الريح اي سخرها عليهم مستأصلة وقيل هي ايام العجوز وانما سميت بايام العجوز لان عجوزاً من عاد توارت في سرب فانتزعتها الريح في اليوم الثامن فاهلكتها وقيل هي ايام العجز وهي آخر الشتاء » اه

ولحضرة السيد بك عزمي كتاب عنوانهُ الكنوز الذهبية في الزراعة العملية المصرية جاء في فصل مواسم الزراعة ما يأتي : « ومعلوم ان كل مزارع يلزمهُ قبل كل شيء معرفة اوان الزراعة ومواسمها في الاشهر القبطية وتواريخ العادات المصرية القديمة فنقول

بغاية الايجاز بدون تعرض للاسباب التاريخية خشية الخروج عن مواضيع كتابنا

« الحسوم وبرد العجوز تبتدئ من اول شهر برمهات الموافق ١٠ مارس او ١١ منهُ في الغالب وتنتهي في يوم ٧ برمهات (١٦ او ١٧ مارس) وقيل ان سبب تسمية هذه الايام بايام العجوز ان امرأة عجوزاً من الاعراب كانت تنصح قومها بتجنب جز اغنامهم قبل هذه الايام فعصوها فجاءت بعض السنين ببرد شديد فاماتت جميع اغنام القوم الاَّ اغنام العجوز فانها بقيت سالمة لاحتمالها مقاومة شدة البرد بواسطة وقايتها باغطيتها الطبيعية (اصوافها واشعارها) ولذلك نسبت لها هذه الايام » اه

وفي الشام ان ايام العجوز سبعة تأتي في آخر الشتاء ويشتد فيها البرد وهي ثلاثة من آخر شباط واربعة من اول اذار ويسميها العامة بالمستقرضات ولذلك لفقوا حديثاً جرى بين الشهرين المذكورين وهو :

« آذار يقول لشباط يا شباط يا ابن عمي ثلاثة منك واربعة مني تناخذ العجوز ودولابها »

وقد جاء في المقامة الخزرجية في مجمع البحرين ٦ : ٦ ٣ ١ : ايام برد العجوز هي الايام السبعة التي بين اواخر شباط واوائل آذار والعامة تقول لها المستقرضات وهي

الصنُّ والصنَّبرُ ثم الوبرُ وبعدهُ الآمر والمؤتمرُ
كذا معللٌ ومطفي الجمر هاتيك ايام العجوز فادرِ

وفي عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات للقزويني صحيفة ٧٣ و ٧٤ « وفي السادس والعشرين من شباط اول ايام العجوز وايام العجوز سبعة ايام ثلاثة من شباط واربعة من آذار قيل انها سميت ايام العجوز لان الله تعالى اهلك قوم عاد في هذه الايام فتخلفت منهم عجوز كانت تنوح عليهم كل سنة في هذه الايام . فهذه الايام لا تخلو من برد او رياح او كدورة فذهب بعضهم الى انها من الامور الطبيعية وان البرد يشتد في آخر الشتاء كما ان الحر يشتد في آخر الصيف وذلك يجري مجرى السراج الذي فنيت رطوبتهُ فان عند انطفائهِ يشتد ضوؤهُ دفعات . وفي الرابع من آذار آخر ايام العجوز . وذهب بعضهم الى انها انما سميت ايام العجوز لان عجوزاً كاهنة من العرب اخبرت قومها ببرد شديد في آخر الشتاء يسوء اثرهُ على المواشي فلم يكترثوا بقولها وجزّوا اغنامهم واثقين باقبال الربيع فاذا هم ببرد شديد اهلك الزرع والضرع فنسبوا تلك الايام اليها » انتهى

توفيق اسكاروس
بدار الكتب السلطانية

منظر مدينة بغداد من الثكنات العثمانية

مقتطف ابريل ١٩١٧
امام الصفحة ٣٧٣

بغداد الحاضرة

كأنْ لم يكن بين الحجون الى الصفا انيس ولم يسمر بمكة سامرُ
بلى نحن كنا اهلها فأبادنا صروف الليالي والجدود العواثرُ

لا اخوض في تاريخ بغداد من اول امرها فان هذا قد تكفلت به الكتب وانما اريد ان اقول كلمة عن بغداد الحاضرة واراني اولى بهذه الكلمة لان بغداد وطني وفيها نشأت · ولما رأيت كثيراً من الفضلاء يسألني عنها وعن الباقي من اثارها هممت ان اكتب عنها شيئاً يغنيهم عن سؤالي ولست ببعيد العهد عن وطني فقد خرجت منهُ اوائل سنة ١٩١٤

تقسيم بغداد

تنقسم بغداد الى جانبين شهيرين الجانب الشرقي وهو جانب الرصافة وهو الآن اعظم قسميها واهم في نظر اهلها والجانب الغربي وهو جانب الكرخ وهو اصغر من الاول واقل سكاناً واهلهُ من ابناء بغداد الاصليين لم يتبدلوا ولم يختلطوا بغيرهم وكلهم عرب مسلمون · وجانب الرصافة غالب اهلهِ من العرب البغداديين وفيهِ لفيف من العجم الفرس والكرد والهنود والفرنجة وفيهِ بقية من بقايا التتر قوم هولاكو تسميهم العامة الكرد الفَيْلية · والقاسم لبغداد نهر دجلة يخترقها فيجري بين جانبيها كل جانب مطل على النهر إطلال الجيزة على النيل الاعظم الاَّ انهُ ليس هناك شارع يفصل بين القصور والمنازل وبين ضفة النهر ولكن الماء يتصل بأسافل المباني فيستقي اهلها الماء بالدلاء والآلات الرافعة ويبنون سلالم ينزلون بها الى شط النهر وقد تهم الحكومة بفتح شارع يمتد على الضفتين · والموصل بين الجانبين جسر خشبي مبني على نحو عشرين سفينة بين كل سفينتين ثلاثة امتار او اكثر وهذه السفينة يسميها العامة (جَسَّارِيّة) · واذا طغت دجلة لا يقوى على تيار الماء فيغلق ايام الفيضان وربما يفاجئهُ الماء فيحطم ويغرق بعض سفنهِ او تنقطع حباله فينحدر بهِ الماء · وقد تطول ايام الفيضان فتنقطع المواصلات بين الجانبين وتتأخر المسائل الكثيرة فعند ذلك يعبر النهر بالزوارق والقفف (جمع القفة) والعامة ينطقون القاف كالجيم المصرية او الكاف الفارسية · وهذه القفف مما يختص العراقيون باستعمالهِ فينقلون عليها الحبوب و يعبرون الانهار وهي صغيرة وكبيرة تحمل الصغيرة عشرة رجال والكبيرة نحو خمسين او ستين رجلاً وقد يغلب عليها الماء فتغرق او تصطدم بشيء فتحطم ولهذا يمتنع الناس عن ركوبها الاَّ من كان لهُ امر ذو بال فيركبها تحت رحمة القدر · وهي ذات شكل مستدير

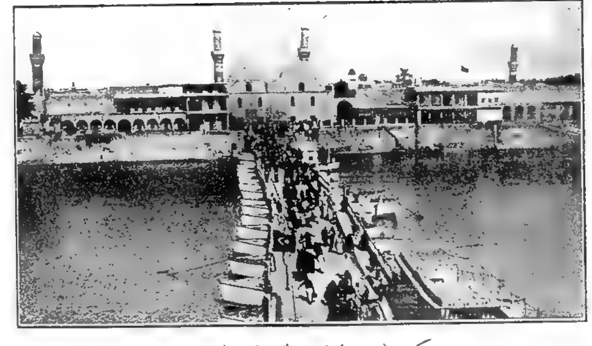
تنسج من اعواد شجر الرمان والخوص والحلفاء ويطلى ظاهرها وباطنها بالقار (الزفت) وظاهرها اكثر طلاء · تصنع في ايام الصيف والمحرك لها رجل او رجال يحركونها بمجداف يدفعون بهِ الماء مرة عن يمينهم ومرة عن شمالهم ويسمون المجداف (غرّافة) واذا اجتمع فيها جماعة من الصراة يجدف قسم منهم يمناً وآخر شمالاً فتسير سيراً بطيئاً وهذه القفف احد المواريث التي ورثها القوم عن آبائهم البابليين والكلدانيين فقد كانوا يستعملونها ووجدت موسومة على بعض آثارهم

جانب الرُصافة

كان هذا الجانب داراً للحكومة العباسية ولا يزال الى اليوم محلاً للحكومة · فيهِ ثكناتها العسكرية ومجلس الولاية ودائرة البلدية ودائرة المعارف والحسبة والمحاكم وغيرها من المحلات الرسمية · وفيهِ مدارس الحكومة العالية والابتدائية والثانوية كمدرسة الحقوق ومدرسة المعلمين والمدرسة السلطانية والمدرسة الحربية ومدارس اخرى سنذكرها في غير هذا المجال · وفيهِ جميع المحال التابعة للحكومة كمخبز الجيش ومصنع النعال والمنسوجات العسكرية وهذان الاخيران يعرفان (بالدباغخانه والعباخانه) الاول مصنع لدبغ الجلود والثاني لنسج الملابس وصناعة النعال وهما محلان مهمان يمدان للجيش ما يحتاج اليهِ من اللبوس وهناك محلات غير هذه · لهذا نال جانب الرصافة قسطاً من اهتمام الحكومة لم ينلهُ الجانب الغربي · وسوق التجارة فيهِ نافقة من كل تجارة تستبضع من الهند وفارس واوربا والشام والصين الاَّ التجارات الوطنية فان الكرخ يشركهُ في غالبها · وقد اخذ هذا الجانب يعمر لكثرة تزداد الاجانب اليهِ ومكثهم فيهِ وكل معتمدي الدول لهم فيهِ قصور عالية منهم من اتخذ لهُ قصراً على ضفة دجلة كانكلترا والمانيا ومنهم من لهُ في الداخل مبانٍ فخمة تجتذب الانظار

وقد فتحت فيهِ بعض طرق متسعة وطليت ارضها بالزفت على نحو ما يرى في طرق القاهرة وفي هذه المدة جاءت الاخبار ان الحكومة العثمانية فتحت شوارع عامة في الرصافة عرض الشارع من ١٥ الى ١٦ متراً وكان المرحوم ناظم باشا فتح فيهِ شارعاً يخترق الرصافة طولاً ففي الاخير خرقت الحكومة طريقاً آخر يقطعها طولاً رأسهُ من الميدان ونهايتهُ الباب الشرقي وشقت خمسة شوارع تقطعهُ عرضاً الاول رأسهُ من الميدان والثاني اولهُ من (الاكمكخانه) والثالث مبدأهُ من المصبغة والرابع من رأس القرية والخامس من جهة المتولي (انظر خارطة بغداد)

وفي هذا الجانب آثار عظيمة للعباسيين مساجد ومدارس واطلال منازل وقد بدلت



كبري (جسر) السفن الذي تعبر عليهِ دجلة

مقتطف ابريل ١٩١٧
امام الصفحة ٣٧٤

اسماؤها باسماء جديدة تغلب عليها العجمة وكذلك اسماء الشوارع والاسواق والجوامع والمدارس بدلت باسماء غير الاسماء التي كانت تعرف بها في العصر العباسي ولهذه الآثار باب خاص بها

جانب الكرخ

في هذا الجانب انشأ امير المؤمنين ابو جعفر المنصور مدينة سنة ١٣٣ وبنى فيهِ دار الخلافة وبيوت العائلة العباسية وقد بقي فيهِ آثار تدل على ما كان لهُ من الشأن في ذلك العهد المجيد وقد اصبح اليوم خرائب بالية وبيوتاً حقيرة تغيرت منهُ الرسوم وتهدمت القصور ودثرت المعالم وتبعثرت المنازل ومحيت الآثار وفني عمرانهُ فلو رآهُ ابو جعفر لانكرهُ ولو بعث الرشيد لقال ما هذه الخربات الخاوية وما هذه الدور البالية

ولم يبق من الكرخ الذي كان في ايام الخلافة العربية الأ هذا الجزء الحقير الذي يسميهِ العامة (صوب عقيل) وقد نسيت اسماء طرقهِ واسواقهِ وبدلت باسماء جديدة كما حدث في جانب الرصافة . وآخر ما بدل منها محلة كانت تسمى محلة العباسيين فسميت بمحلة سوق الجديد اظن ذلك كان نحو سنة ١٨٩٠ م وقد امرت الحكومة بتبديلهِ في هذا العهد وهي يهمها محو الآثار وتغييرها وقد فعلت هذا في كثير من الاطلال والرسوم العباسية في بغداد وغيرها

ولقد يكون لهذا الجانب عهد جديد في العمران والتقدم فان الحكومة تهتم بهِ فقد فتحت فيهِ سنة ١٩١٣ شعبة للبرق والبريد ولم يكن فيهِ برق وبريد بل كانا في جانب الرصافة فقط . والذي جعل الحكومة تهتمُّ بهِ ان محطة السكة البغدادية واقعة في جنوبهِ فانها انشئت في المحلة المعروفة (بالكرّادة) امام اثر عباسي على ضفة النهر يعرف بالسن وقد بنى الالمان هناك المباني الجميلة من قصور ومنازل وفنادق ومحلات لموظفي السكة ونظارها وكانوا سنة ١٩١٤ يحتفرون ميناء للبواخر النهرية التي تسير بين البصرة وبغداد على مقربة من المحطة وكانوا مسرعين في عمران تلك الجهة بالحفر والدفن والبناء وانشاء القناطر والجسور وسد المنافذ التي تفيض منها المياه اذا طغت دجلة وكان هذا الجانب قبل ذلك تحيط بهِ المياه كل سنة في مواسم الفيضان وفي بعض السنين تغرق الحقول والجنان والمزارع وتمكث المياه محيطة بهِ شهوراً . فاذ ذاك تنتشر الكوليرا ويفسد الجو بهِ فمن يوم جاء الالمان واصلحوا الارض لم يحدث حادث من غرق وطغيان

وهذا الجانب يختص بتجارة الحبوب من برٍّ وشعير وسمسم وذرة ويباع فيهِ الصوف والسمن وفيهِ تجارة الفحم المستخرج من الشوك والطرفاء وبعض انواع الخشب وكل ما يجلب

الى بغداد من الحبوب يرد الى هذا الجانب وكل ما يأتي من البلاد الشمالية يأتي اليهِ و يعرض فيهِ على تجار الحبوب والمحتكرين واثمان الاغذية فيهِ ابخس منها في الرصافة وكثير من اهل الرصافة يشترون اغذيتهم منهُ

و يتردد الى هذا الجانب كثير من تجار جزيرة العرب لاسيما النجديين الذين يتجرون بالخيل والابل وكفى بخيل العراق ونجد حسناً وجمالاً · وجميع اعراب العراق يترددون اليهِ ببضائعهم وتجاراتهم وفيهِ كثير من تجار الخيل يرسلونها الى الهند واوربا وليس في جانب الرصافة امثالهم

وفي الكرخ مسجد الجنيد والسري السقطي والبهلول ومعروف الكرخي والحلاج والسيدة زبيدة زوج الرشيد ولها قبة حسنة وفيهِ مساجد اخرى لغير هؤلاء من الاكابر · وسنأتي على ذكر مدارسهِ ومدارس الرصافة وذكر الاثار البانية فيهِ والمساجد

عمران بغداد

الجاهل لتاريخ بغداد من اول امرها لو رأى ما بقي فيها من الآثار العباسية لاهتدى بذلك وعلم ان لها سابقة في العمران فقد كانت احسن مدن الشرق واعظمها وليس هذا يفتقر الى بيان فانهُ معروف مشهور · وهي اليوم لا كما يرى و يقرأ في صحف التاريخ بل قد تغير منها كل شيء والتغيير يسرع اليها على مرّ السنين والقرون لما سنذكرهُ بعد وليس الخراب فيها جديداً بل هو قديم فان الرحالة ابن جبير وصفها وصف الحزين الاسيف وذكرها وذكر مجدها ايام كانت الخلافة العباسية في عنفوان شبابها · وما زالت ايدي الخراب تعثو فيها من يوم دخلت الدولة العباسية طورها الاخير الى ان دخلها هولاكو فدمرها تدميراً والذي يقرأ ما كتبهُ ابن جبير يجد ما يمثل لهُ حالة بغداد في عصره · وكان سمع عنها غير ما رآهُ فلم يصدق الخبر الخبر · واذا قسنا بغداد التي زارها ابن جبير ببغداد الحاضرة نجدها قد تغيرت واستنكرنا ان تكون هي وهكذا سنن العمران تارة تسير بانحطاط وتارة بارتقاء · على ان هذا التبدل الذي يحدث لدار السلام سريع لكثرة الحوادث التي تقع فيها من غرق وحرق وهدم و بناء وتعمير للديار والقصور فان القصر او الدار لا يعيش اكثر من ثمانين سنة · وقد كان البناء في عهد العباسيين ابقى على تداول الايام من البناء لهذا العهد بدليل ما بقي من آثارهم فهي اشد بناء واتقن وضعاً واطول عمراً · وربما يعيش البناء اكثر من ثمانين سنة وهو قليل والغالب ان لا يبقى اكثر من هذا وهذا بناؤهم عاش قروناً عدة والذي يزور المدرسة المستنصرية او القبة المضروبة على قبر السيدة زبيدة او معسكر ابي جعفر لا يظن انهُ يزور اثراً مضى عليهِ



قفة يعبر بها نهر دجلة



منظر آخر لمدينة بغداد

مقتطف ابريل ١٩١٧
امام الصفحة ٣٧٦

مئون من السنين لما يظهر على المباني من الجدة والرونق وهي قلما تحتاج الى ترميم ولولا ولوع الحكومة بهدم الآثار وتبديلها لبقيت قصور كثيرة من قصور الخلفاء كما بقي بعض المساجد والمدارس والاطلال

وانما يسرع الخراب للدور والقصور لاسباب منها جهل البنائين بالهندسة واصول البناء وهم ينشئون البيوت لا على علم وعرفان بل على ما يبلغ جهدهم من التحسين والوضع الجميل . ومنها كثرة ما يصيب المباني من الامطار في كل عام . ومنها انهم يبنون بالآجرّ المحرق وهو المعروف عندهم بالطابوق — الطاباق — وهو لا يعيش اكثر من المدة السابقة ومنهُ الطابوق الاحمر الذي يوضع في اساس الجدران . والاصفر وهو حسن المنظر مستوي الوجوه يحرقونهُ في اتاتين كبيرة مبنية بجوار بغداد في الصحراء . والطاباق من مواد البناء كثير في بغداد والبصرة وهو القرمد ويسمى في مصر الطوب وفي الشام قرميد وكان الكلدان والبابليون يستعملونهُ في البناء كما شوهد في اثار بابل . وحسن الهندسة وموافقة الموقع يجعلان البناء يعمر طويلاً ولما كانت تربة العراق صلصالية جصية هشة سهلة الكرات لما فيها من المادة الكلسية — فان فيها من ١٢ الى ١٥ في المائة منها — كانت سهلة العجن والتصوير واذا طبخت صلبت واشتدت فاتخذ منها القرمد ويضرب مربع الشكل وغالبهُ يساوي ٣٠ سنتيمتراً طولاً ومثلها عرضاً و ٦ سنتمترات في الثخن وكذلك كان طاباق بابل وكلديا . وكثيرون من البنائين يقسمون الطاباقة ويضعون نصفها في البناء اقتصاداً في موادهِ وتوفيراً على الباني وكل ٤٢٤ واحدة تساوي متراً مكعباً . تبنى المباني والقصور من هذا الطوب وليس هناك صخر ينحت لان البلاد سهل وهي بعيدة عن الجبال الحجرية . ينشئون الدار ذات الطبقة والطبقتين والثلاث ولا يزيدون عليها والفقراء والمتوسطون يقيمون ابنيتهم مما يسمى عندهم (الحجار) وهو القرمد المكسر القديم وبعضهُ جديد وهو ارخص من الاول ولا يعيش بناؤهُ كثيراً

شوارعها

لما بنى المنصور مدينتهُ وضع لشوارعها اسماء لم تبقَ الى اليوم بل بدلت وغيرت كما سبق ذكرهُ . وكيف لا تبدل وقد بدل كل شيء وجرت هناك حوادث وخطوب . ونذكر الآن ما في الرصافة والكرخ من الطرق المعروفة اليوم . فاطول شارع في جانب الرصافة الطريق الذي يبدأ من باب المعظم وينتهي الى الباب الشرقي وهو يمتد طولاً من شمال

الرصافة الى جنوبها · واهم منهُ الشارع الذي فتح جديداً وكذلك الشوارع التي تقطعهُ عرضاً اهمها ما حدث من الشوارع اخيراً · ومن الطرق الشهيرة الطريق الذي مبدأهُ الجسر ونهايتهُ مسجد الشيخ عبد القادر وليس لهذه الشوارع اسماء خاصة بل لكل قطعة من الدرب اسم تسمى بهِ · فالشارع مجموع طرق كثيرة تختلف اسماؤها فيقطع الرصافة طولاً شوارع اولها شارع الميدان من باب المعظم ويتصل بهِ شارع السراي ويتصل بهِ شارع جامع الوزير ويليهِ شارع سوق المرج فشارع الهنجية فشارع المصبغة فشارع القرية فشارع السيد سلطان علي المتصل بشارع الباب الشرقي وهو آخرها وهكذا كل الطرق الطويلة ولم يحدث تغيير في شوارع الكرخ واشهرها الدرب الذي اولهُ راس الجسر ومنتهاه باب الكاظم وفي هذا الشارع القداد (ترامواي) الذاهبة الى الكاظمية تجرها الخيل على سكة حديد انشأها المرحوم الطيب الذكر مدحت باشا يوم ولايتهِ لبغداد · ومن الشوارع الشهيرة الشارع الذي اولهُ من الكريمات ونهايتهُ محلة الجعيفر وفي الكرخ شوارع تقطعهُ عرضاً · منها درب اولهُ راس الجسر ونهايتهُ مسجد معروف الكرخي الزاهد الشهير وطريق اولهُ باب السيف ونهايتهُ محلة (علاوي الحلة) وهناك غير هذين وكان اعرض شارع لا يزيد على ثمانية امتار الى ثلاثة واثنين · ولم تهتم الحكومة باصلاح الشوارع الاَّ في المدة الاخيرة واذا امطرتها السماء تعسر السير فيها وسالت فيها المياه وكثرت الاوحال

اسواقها

اسواقها تعتبر اقساماً من الشوارع العمومية ولكل صناعة وتجارة سوق مشتملة على جملة من المحلات الصناعية والتجارية واسواق الحدادين في الجانبين خاصة بالحدادين وعمال الحديد المعروفون عند عامة بغداد (بالحداحدة) الواحد حداد وسوق النحاسين في جانب الرصافة لباعة النحاس المعروفون عندهم (بالصفافير) والواحد صفار وهو صانع الصفر بالضم وهو النحاس فالاشتقاق صحيح والجمع عامي · واسواق البزازين في الجانبين وهم تجار الاقمشة واسواق العطارين في الجانبين يبيعون التوابل والبزور والاصباغ وانواع السكر واشياء اخرى واشهر سوق لم السوق التي في جانب الرصافة في الشارع الذاهب الى مسجد عبد القادر الجيلاني وفيها اسواق بيع البقول واللحوم والفواكه وسائر الاكل واسواق لبيع الحبوب كالرز والبر والشعير والحبوب الباقية واسواق لبيع الحبال والغزل والقطن · ولجميع الحبوب اسواق خاصة ففي الكرخ شارع فيهِ سوق تسمى سوق (العلاوى) وهي جمع (علوة والعلوة بلغة العامة المحل الذي تباع فيهِ الحبوب وصاحبها (علوجي) ويسمون المحل الذي

تجلب اليهِ البقول وتعرض عليهم للبيع (علوة المخضّر) والمخضر يطلقونهُ على البقول التي يطلق عليها اهل مصر اسم الخضار ومن اشهر اسواق الرصافة سوق المرج يباع فيها اثاث البيوت والاسلحة والملابس وسوق الغزل يباع فيها القطن والاوطئة

وهذه الاسواق كلها مسقوفة وفيها اسواق مرفوعة عليها القبب بنيت في عهد مدحت باشا وبعض الاسواق سقفت بالصفيح . ويجتمع فيها الناس كل يوم وبعض منها جعل لايام الجمع . وهناك اسواق فيها انواع الصناعات وفنون الاشغال وفيها خليط من العمال ومنها سوق يباع فيها اخلاق الاثاث وقديم الادوات يكون في يوم الجمعة ومن اسواق الكرخ سوق اللبن وعلاوى الجص لبيع الجبر والبورق . واهم التجارة في ايدي اليهود فهم انجح سعياً واكثر ثروة وادنى الى الاقتصاد من غيرهم ولهذا ترى كثيراً من التجارات تكسد يوم السبت ولا تنفق ما دام اليهود في اعيادهم

دورها

تقدم لنا انا وصفنا المباني وصفاً اجماليًّا ونريد هنا ان نذكر كلمة عن الدور البغدادية لنأتي على البحث من اهم اطرافهِ . اما الدور المطلة على دجلة فهي جميلة المناظر حسنة المباني يغلب عليها ان تكون مواقعها صحية لطلاقة هوائها وسعة ابنيتها واحكام وضعها على شروط الصحة ويسكنها اغنياء الناس وبينها دواوين الحكومة وثكنات الجنود وبعض المدارس والمساجد ومنازل القناصل والقهوات والفنادق وهي احسن مواقع الرصافة والكرخ تزين بيوتها الاشجار والازهار وعروش الاعناب والنخل الباسقات . والمنحدر في دجلة يشاهد اجمل المشاهد الطبيعية وابهج المناظر العمرانية . وبهذه المواقع يلتذ الناظر اكثر مما يلتذ بغيرها من محلات الجانبين فان فيهما في الداخل شوارع ضيقة وحارات وازقة يحبس فيها الهواء الرديء والغالب ان تكون بعيدة عن الصحة لما يقع من الحكومة من اهمال النظر في النظافة وتسوية الطرق . ومن احقر الدور الدور التي يسكنها الوطنيون الفقراء والمتوسطون . ودور اليهود على اختلاف طبقاتهم احقر من غيرها واقل عمرانًا وابعد عن الصحة . والدور التي يسكنها الاجانب من الفرنجة في الباب الشرقي من الرصافة من اجمل البيوت وهي احسن بيوت بغداد على الاطلاق . اما دور الفقراء واهل الطبقة السفلى فلا تسأل عن حقارتها وسوئها

مساجدها

الف استاذنا العلامة المؤرخ محمود شكري الالوسي كتاباً بحث فيهِ عن مساجدها ومدارسها فذكر تواريخ المساجد وانشائها ووصفها . ولا تزال فيها مساجد من ابنية

العباسيين ومن بعدهم وقد أُحدث فيها مساجد فخمة كمسجد داود باشا ومسجد الميدان ومسجد السراي وجامع عبد القادر الجيلاني · واهم الجوامع في الرصافة وليست هي ذات شأن في الكرخ · · وفي غالب المساجد مدارس يدرس فيها علم الدين وعلوم العربية وفي بعضها مكتبات تشتمل على كثير من نفائس الكتب الخطية يتعسر الانتفاع بها والاطلاع عليها كالمكتبة الكهية في جامع الكهية والمكتبة المرجانية في جامع مرجان والمكتبة التي في جامع ابي حنيفة النعمان وفي هذه المساجد الائمة والمدرسون والخطباء والقيّمون والخدم والمؤذنون والقراؤن والمجددون يتقاضون رواتبهم من الوقف الحبيس الذي تستولي عليهِ الحكومة وتنفق منهُ عليهم واكثرها يفرش بالبسط النفيسة العجمية الناعمة تحتها الحصر والبواري الواحدة بارية وهي حصر تُتخذ من القصب (البوص) ويقال فيها بارياء وباريّ بتشديد الياء في الثاني وقد استعمل الكندي هذا اللفظ في كتاب القضاة والولاة واستعملهُ المسعودي وابن مسكويه في تجاربهِ

وفيها منابر تبنى بالطوب او الرخام · ومن اجمل المنابر المنبر الذي في جامع عبد القادر الجيلاني ولا تعرف صناعتها من الخشب · وفي كل مسجد تالٍ يتلو القرآن ويرتلهُ كل ظهر جمعة ويجتمع اليهِ اخرون يجوّدون معهُ يبدأون من اول القرآن حتى يختموهُ بخلاف العادة الجارية في مصر · وليس في منابرهم السلام كما هو معروف في مصر · وبلغت جوامع الجانبين بضعة وار بعين مسجداً للجمعة غير المساجد الصغيرة وبيوت الصلاة · وغالب المساجد فيها مقابر العلماء والاولياء عقدت على قبورهم القبب وتردد اليهم العامة بالزيارات والنذور ولهم في ذلك عادات تشبه عادات العامة في مصر في حسن الاعتقاد باهل المقابر وطلب البركة منهم والتوسل بهم

ويقيم في المساجد كثير من الغرباء والفقراء الذين يطلبون العلم ولهم بيوت وغرف في كثير من المساجد يمكثون فيها ويباح لكل طالب المكث فيها وفيها محلات للوضوء والطهارة على نحو ما يرى في مصر

مدارسها

كتب المستشرق الفاضل لويس ماسينيون كتاباً عن المدارس في العصر العباسي باللغة الافرنسية ضمنهُ ابحاثاً جليلة فبحث في تاريخ المدرسة النظامية والتاجية والمستنصرية والمرجانية والسليمانية والمرادية والعمرية وغيرها من المدارس التي بعضها باقٍ وبعضها

دارس. فمدارس الدين تكون في غالب المساجد وفيها المدرسون والعلماء يلقنون العلوم الدينية والعربية على الطريقة المتبعة في جميع البلاد الاسلامية وفي القطر المصري وهذه المدارس تفتح في اليوم بضع ساعات من اوله او آخره ولا يتردد اليها طلاب كثيرون فالمدرس لا يأخذ عنهُ اكثر من خمسة او ستة من الطلبة لكل واحد منهم درس يستقل بهِ وقد يشترك اثنان في درس وهذا يدل على قلة الطلبة واهمال شأنهم · وطلبة علم الدين قليلون ولا يزالون يقلون كأنهم شعروا بسوء طريقتهم في التعليم فلجأ بعضهم الى مدارس الحكومة · مع ان الحكومة لم توجه اليهم النظر في اصلاح شأنهم وتهذيب تعليمهم · وليس لهم جرايات ولا أعطيات ولا اوقاف تصرف عليهم كما يرى في القطر المصري في الازهر والمعاهد الاخرى· والباقون من الطلبة لا يزلون متأخرين في علومهم وآرائهم وافكارهم لا يهتمون الا بما لا ينفع من العلوم ولا يتعلمون العلوم الحديثة وعلوم الآداب والتاريخ واللغة · والمدارس كثيرة في الرصافة قليلة في الكرخ واشهر مدارس الرصافة المدرسة المرجانية والمرادية والقادرية والكهية ومدرسة الفضل· وفي الكرخ مدرستان شهيرتان المدرسة العمرية ومدرسة الخضر الياس· هذا ما يقال اجمالاً عن مدارس الدين في بغداد نفسها · واما مدارس الحكومة فكثيرة وكان في بغداد وتوابعها في عصر الاستبداد ٢٤ مدرسة رسمية و ٦ مدارس لغير المسلمين واليوم تبلغ المدارس في بغداد وتوابعها ١٠٣ مدارس منها ٨٣ مدرسة رسمية و٢٠ مدرسة اهلية او ٩٠ مدرسة للمسلمين و١٣ لغيرهم · وعلى صورة اخرى ٦٧ كتاباً و ٢٩ مكتبياً اي مدارس رشدية و٥ مدارس اعدادية و ٢ عاليتان وهما مدرسة الحقوق والمدرسة السلطانية ·وكان عدد تلاميذها ١٣٥٣٧ سنة ١٩١٣ هذا في بغداد وتوابعها · والمدارس التي في نفس بغداد لم اقع لها على احصاء · وفيها مدرسة للمعلمين ومدرسة للحقوق ومدرسة للجندرمة ومدرسة للضباط الصغار ومدرسة حربية والمدرسة السلطانية ومدارس ابتدائية ورشدية ·وكل المدارس في الرصافة الأمدرسة رشدية في الكرخ وبعض المدارس الابتدائية ومدرسة الضباط الصغار · ولسان التدريس في هذه المدارس كلها اللسان التركي و يتعلمون فيها ابناء العرب نحو اللغة العربية باللغة التركية و يتعلمون الفنون كلها بالتركية · فما تقدم يظهر تأخر العلم في بغداد مهد الحضارة العربية

آثارها

لا تزال الآثار في بغداد شاهدة لذلك العصر العربي بالعلم والفضل والمجد ولا يسعنا ان نتوسع في ذكر الآثار ووصفها فان ذلك يملأ مجلدات ونشر عنها المستشرق لويس باسيتون

ما يضيق عنهُ المجلدان . واهم الآثار الباقية المدرسة المستنصرية التي بناها المستنصر العباس وجعلها محط الرحال وغاية الطالبين تضرب اليها اكباد الابل و يقصدها طلبة العلم من الاقطار . وقد كادت آثارها تمحي فان الحكومة جعلتها ديوانًا للكوس (جمرك) وقسم منها جعل محلات تجارية ومنهُ ما جعل قهوة ولا تزال مكتوبًا عليها تاريخ بنائها وترميمها بخط لا تصل اليهِ الايدي . وغرف الطلبة باقية في الطبقة العليا والطبقة السفلى ،مكتوب على بابها تاريخ تعميرها وهي اكبر رحبة من الازهر واكثر غرفًا منهُ واحسن موقعًا . ومن الآثار ما بقي من طلل المدرسة النظامية ولم يبقَ الاَّ اسفل المأذنة التي كانت فيها وجعل يهود بغداد في موقعها دوراً يسكنونها وقد امحت كلها بتعاقب الايام عليها . وهذه المدرسة درس فيها ابو حامد الغزالي رحمهُ الله وكان فيها الخازن صاحب التفسير المشهور . ومن الآثار الباقية معسكر ابي جعفر المنصور شرقي الرصافة ويعرف اليوم (بالطوبخانة) وهو واسع الاطراف لم تنتقض اطلالهُ والحكومة عاملة على نقضها لولا ما في البناء من الصلابة والشدة وهو محل جيش الفرسان الذي في بغداد ومحل الذخائر والادوات الحربية . وفي جانب منهُ مسجد وسجن للجناة الذين يزيد سجنهم على عشر سنين والمحكوم عليهم بالتأبيد ولهُ ابواب عدة . ومن الآثار الاطلال الباقية من سور بغداد في الجانب الشرقي والباقي منهُ باب يعرف عندهم بالباب الوسطاني وهو الباب الذي دخل منهُ هولاكو التتري سنة ٦٥٦ . ومنهُ الباب المعروف عندهم بالطلسم وكان هذا السور محيطًا ببغداد كلها الى عهد مدحت باشا سنة ١٣٠٥ هـ وسنة ١٨٨٧ م فلما ولي بغداد امر بهدمهِ ولم يبقَ منهُ الاَّ الابواب حُفظت الى اليوم . اما السور الذي بناهُ ابو جعفر لمدينتهِ فانهُ لم تبقَ منهُ باقية وفي سنة ١٩٠٨ هدم الباقي ودفن خندقهُ على ما اتذكر . فقد كنا اطفالاً نذهب الى الصحراء ونجد اسس السور ظاهرة ثم انها هدمت ودفنت . ومن الآثار القبة المرفوعة على قبر زبيدة زوج الرشيد وهي في الكرخ على مقربة من قبر معروف الكرخي وهي جميلة لم ارَ مثلها في مصر ذات شكل مخروط يرتفع الى نحو خمسين مترًا ترى قبتها عن بعد . ومن الآثار جامع مرجان وجامع العاقولية وجامع القمرية في الكرخ واطلال تعرف عندهم بالسن والمنارة الباقية من المسجد الجامع المعروفة بمنارة سوق الغزل وهي الآن في خربة تطرح فيها الاوساخ والقامات

القاهرة محمد الهاشمي البغدادي

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيه كل ما يهم اهل البيت معرفته من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

تعديل الاسنان (الارثودنتيا)

تراكب الاسنان بعضها على بعض داء متفشٍ في كل طبقات الناس على اختلاف اجناسهم حتى في الحيوانات الدنيا . وقد ظهر من فحص بعض الجماجم انهُ كان موجوداً في الزمان القديم . الا انهُ ازداد تفشياً بازدياد وسائل التمدن . وقلما يُعنى الناس بامره او بتداركونهُ بالعلاج الا اذا كان ظاهراً للعيان مع انهم لو علموا ما ينجم عن اهمالهِ من الضرر فضلاً عن تشويههِ لهيئة الوجه لما اغفلوهُ الى هذا الحد ولما ضنُّوا ببعض دريهمات يبذلونها في سبيل شفائهِ

بعد ان أتممت درسي في الولايات المتحدة ذهبت الى سانت لويس لادرس فن تعديل الأسنان بنوع خاص على اكبر استاذ فيهِ وهو الدكتور ادورد انجيل . فبينما نحن نتحدث ذات يوم قال لي « ليس علم تعديل الاسنان الا فرعاً من فروع الطب ولكن مما لا ريب فيهِ انهُ من ادقها وأتمها إتقاناً لاننا بواسطتهِ نساعد الطبيعة على تحسين شكل وجوه المصابين بداء تراكب الاسنان »

ومما يدعو الى الارتياح وزيادة الاهتمام بامر هذا الداء ان شفاءهُ مضمون . فلا عذر للوالدين اذا اهملوا علاج اسنان اولادهم مع علمهم انهُ يؤَثر في نطقهم وصحتهم وجمال وجوههم ومضغهم للطعام

ومع ان هذا الداء كان موجوداً في الزمان القديم كما ذكر فانهُ لم يُنتبه لهُ ولا اهتم احد بالبحث فيهِ او في اكتشاف طريقة لعلاجهِ الا منذ عشرين سنة تقريباً حينما صار فن تعديل الاسنان فرعاً قائماً بنفسهِ ولهُ اختصاصيون لا يتعاطون سواهُ من فروع طب الاسنان بل صبح اولئك الاختصاصيون يعدُّون صناعتهم هذه فرعاً مستقلاً بذاتهِ لا علاقة لهُ بسائر فروع الطب . وقبل ان اخوض في هذا الموضوع يجدر ان اصف عضة الاسنان الطبيعية فاقول:

تكون الاسنان الست الامامية وهي ما يُعبّر عنها بالقواطع والانياب في شكل نصف

دائرة تقريباً . وتليها الاضراس متراصةً في خطٍ مستقيم فاذا أُقفل الفم وجب ان تغطّي هذه الاسنان في الفك الاعلى الاسنان التي تقابلها في الفك الاسفل مع بروز قليل في العليا وان يلامس الضرس الاول الكبير في الفك الاعلى الضرس الثاني الصغير الذي يقابله في الفك الاسفل والضرس الاول الكبير . فمن اراد ان تكون اسنانهُ في حالةٍ صحية جيدة وجب عليهِ ان يعتني بفكيهِ والسنخ السنّي وسقف الحلق وعضلات الشفتين والخدين واللسان والانف والحلق لان كل هذه تساعد الاسنان على القيام بوظيفتها

تكمل الطبيعة بناء جهاز الاسنان في عشرين سنة اي من الدقيقة التي يبتدئ فيها تكوُّن الجرثومة الاولى الى ان يتمّ نبت اضراس العقل . وهذا الجهاز هو هو لم يتغير من قديم الزمان . والاسنان خلقت متراصةً في شكلٍ هندسيّ عجيب يدعم بعضها بعضاً فلا تميل عن موضعها الذي وُجدت فيهِ وتعمل وظيفتها معاً بغاية الدقة

ومما اريد ان الفت النظر اليهِ هو ان الاضراس الاربعة الاولى لا تتبدَّل ولو زعم معظم الوالدين انها اذا قلعت نبت غيرها . وهي واحد في كل جهة من الفك تنبت في السنة الخامسة ونصف او السادسة . ولها اهمية كبيرة في مكانها نظراً لملاقتها بسائر الاسنان ولانها تعتبر كأساسٍ للفم . تنبت هي اولاً واذا تمَّ نبتها أُخذت الاسنان الامامية بالتبدُّل وتلتها الاضراس اللبنية . فوجودها في مكانها اذاً يكون ضامناً لبقية الاسنان ان تنبت في مواضعها الاَّ اذا طرأت عليها اسباب مرضيَّة حالت دون ذلك كما سيجيء . فلو خُلعت هذه الاضراس لمالت الاسنان الامامية الى الوراء والاضراس الخلفية الى الامام ولا يخفى ما في ذلك من الضرر لما ينجم عن هذا الميل من التأثير العظيم في شكل الاسنان وفي المضغ الخ

عدم انتظام الاسنان إمَّا ان يقع في الاسنان الامامية او في احدى جهتي الفم او في الجهتين معاً ويكون إما ببروزها الى الامام او بانحنائها الى الوراء او بتراكبها بعضها فوق بعض واسباب ذلك كثيرة أذكر جلّها : تضخُّم قيد الشفة . خلع الاسنان قبل الاوان . اعتياد الاطفال مصّ اللسان والاصابع . الوراثة . التنفس من الفم لانسداد الانف لعلّةٍ فيهِ . تأخُّر الفكين او عدم نموّهما نموّاً وافياً . تأخُّر سقوط الاسنان اللبنية او خلعها . ظهور الاسنان الاضافية (هي اسنان تنبت زائدة عن العدد الطبيعي) . تأخُّر نبت الاسنان

رأينا فيما سبق بيانهُ ان اسباب عدم انتظام الاسنان عديدة وانَّ معظمها مما يمكن تجنّبهُ اذا فطن الوالدون لها

لنأخذ مثلاً عادة مصّ الاصبع فهذه يمكن وقاية الولد منها بدهن اصابعهِ بصبغة المرّ او بمحلول الكينا . فاذا لم يمتنع لُفّت يدهُ بكيس . ويمكن اتقاء عادة مصّ اللسان بربط الفك برباط يحفظ الفم مقفلاً هذا اذا كان الانف سليماً من كل مرض والافضل استشارة طبيب قبل الاقدام على هذا الامر . وهذه الطريقة تفيد ايضاً الذين يتنفَّسون من الفم . ومسئلة تأخير سقوط الاسنان اللبنية يمكن تداركها بخلع الاسنان ومعالجة انسداد الانف عند الاطباء الاختصائيين . والاسنان الاضافية بخلعها

اما الاسباب الاخرى كتأخُّر نموّ الفك او تأخُّر نبت الاسنان الثابتة فلا يحمل علاج فيها والافضل تركها للطبيعة التي قد تكون في كثير من الاحيان خير علاج

انتهيت الآن من وصف هذا الداء واسبابهِ وبقي عليَّ ان اذكر شيئاً عن طريقة علاجهِ

من الثابت المقرَّر ان هذا الداء يشفى تماماً مهما كانت اسبابهُ او تشكَّلت حالاتهُ والافضل وقت لعلاجهِ حال ظهورهِ لانهُ كلما كبر الولد قسا عظمهُ واصبحت مهمَّة الطبيب اصعب . انما يجوز ايضاً علاجهُ بين السنة العاشرة والثامنة عشرة الى الثانية والعشرين وقد يجوز احياناً بعد هذه السن في احوال استثنائية وان يكن العظم يستوفي نموَّهُ بين السنة العشرين والثانية والعشرين

اما تأثير عدم انتظام الاسنان في الوجه فيشمل الوجه والذقن والخدين الى ثلثي الانف من الجهة السفلى . ويؤثر كذلك في النطق وعملية المضغ ويقف عقبة في سبيل نظافة الفم لان اللثة تكون حينئذٍ مريضة والاسنان عرضة للتسوس . وفي حالة النتوء تتضخَّم الشفتان بسبب كثرة تحريكها لتغطية الاسنان الناتئة . ولما كانت العلاقة كبيرة بين الفم والانف والحلق والرئتين فمتى كان سقف الحلق عالياً بسبب ضيق قنطرة الاسنان يضيق الانف ويصير التنفس صعباً فيضطر المريض ان يتنفَّس من فيهِ وذلك يعرّضهُ لالتهاب اللوزتين وضعف الرئتين . واذا تأثرت اللوزتان وتعاقبت عليها السنون أزمن الالتهاب فيها ونتج عن ذلك ثقل في السمع

نرى شباناً وشاباتٍ كثيرين مشوَّهي الوجوه بسبب عدم انتظام أسنانهم وقد يتفق ان يتعذَّر على الفتاة ايجاد زوج لها بسبب علةٍ في اسنانها كانت في بدء امرها بسيطة فأُهملت فاستعصت ولو تدوركت بالعلاج اللازم لشفيت تماماً

معدّل الاسنان

تصلح الاسنان بمعدّل يُدخل الى الفم فيضغط على الاسنان المطلوب تعديلها و يدفعها

الى الجهة المقصودة حتى تصل الى الموضع الذي يجب ان تكون فيهِ · والطرق المتَّبعة في ذلك متعددة كطرق الجراحة لانَّ لكل استاذٍ طريقةً خاصَّةً بهِ تعرف باسمهِ

أوَّلُ من بحث في هذا الفن وأخرجهُ من القوة الى العمل الدكتور فوشار الفرنسوي سنة ١٧٢٦ وتابعهُ الدكتور شانج — وهو فرنسوي ايضاً — مع بعض تعديل في طريقة العمل · ولما قام الدكتور دوِنْدِل الاميركي سنة ١٨٤٨ ادخل بعض التحسين على الطريقة التي كانت معروفة بان استنبط وسائط تسهّل جذب الاسنان ودفعها · وتلا هؤُلاء كثيرون غيرهم · امَّا في الوقت الحاضر فأشهر اخصائي بهذا الفرع هو الدكتور أنجل الاميركي لانهُ بنى طريقتهُ على قواعد طبية ميكانيكية سهَّلت عملية الجذب والدفع والدوران دون ان يحدث اقلّ ضرر للثة او تحول دون تنظيف الفم · اذ لا يخفى ان عدم معرفة طرق هذه المعالجة معرفة تامة او عدم الاعتناء اللازم باجرائها قد يؤدّيان الى عواقب وخيمة

قلت انهُ يجوز تعديل الاسنان الى آخر السنة الثانية والعشرين ولكن مما لا مشاحةَ فيهِ ان افضل وقت لذلك هو سن الطفولة حين يكون النسج السنّي حول الجذور اكثر اتساعاً وقبل ان تتكوّن الحواجز التي بين الاسنان · وزد على ذلك ان الغشاء السني يكون أسمك فيقوى على احتمال الضغط اكثر مما لو كان رقيقاً دون ان يتعرَّض للالتهاب لان اساس عملية تعديل الاسنان هو الضغط · وهذه العملية تستغرق في الغالب زمناً طويلاً لان الاسنان بعد ان تُعدَّل يجب ان تُربط في الموضع الذي ركزت فيهِ وان تظلّ كذلك الى ان تنمو الانسجة التي تسنّدها وتثبت في مكانها الجديد · ولا يمكن تعيين هذا الزمن بالضبط لانهُ يختلف باختلاف السنّ و يتوقف على كيفية العضّ وعلى شكل الاسنان وكثرة تحريكها او قلتهِ وعلى حالة اللثَة · وهذا الزمن يختلف من بضعة ايام الى سنة وسنتين · اما اذا حُرِّكت الاسنان فقد تدعو الضرورة الى ان تظلّ مربوطة الى زمن غير محدود ·

ولزيادة الايضاح اقول ان تعديل اسنان ولدٍ عمرهُ تسع سنوات يستغرق من الوقت ثلث ما يقتضي تعديل اسنان شاب عمرهُ عشرون سنة · على ان بعض الحالات قد يكون صعباً او تطرأ طوارئ لم تكن في الحسبان فيضطر الطبيب الى ايقاف العلاج لاسباب صحيَّة فتطول مدتهُ الى اكثر من سنتين ولاسيما اذا تكرَّر هذا الحادث اكثر من مرة

الأُرثوذُنتيا كلمة مركبة من كلمتين يونانيتين — ارثو ومعناها مستقيم ودنتيا ومعناها سن · قلت قبلاً ان هذا الفرع من طب الاسنان لم يُعنَ بهِ الاَّ من عهد قريب وانهُ أُختصّ

فيه أطباء كثيرون في اكثر الحواضر الكبرى في انحاء المعمور · وما ذلك الاَّ لما رأَوا من فوائده الجمَّة وضرورته لتحسين وجوه الذين ابتلاهم الله بهذا الداء · ولا اغالي اذا قلت انهُ قد يتوقف عليهِ سعادة كثيرين في هذه الحياة

عالجت مرةً صبيَّة في الثامنة عشرة من عمرها لا ازال اتذكَّر شكل فمها القبيح حين رأَيتها للمرَّة الاولى · واني لموقن انها لم تكن تجد من يخطبها لو لم تصلح اسنانها مع ما فيها من جمال ولطف · لان اقلَّ شائبةٍ في الوجه تكدّر صفاءهُ فكيف بهِ اذا كان الفم قبيح المنظر وهو اول ما يقع النظر عليهِ · لما زارتني في عيادتي للمرَّة الاولى وقلت لها انني استطيع ان اصلح اسنانها فينتظم عقدها و يتّسق نظامها ضحكت ضحكة يأْس وقالت « مش عاوزه اخلع اسناني » فضحكت انا اضحكها وقلت لها لا تخافي فلن اخلع لك سنًّا واحدة وشرطك عليَّ انك لا تشعرين بأَلم ولكن عديني انك لا تتبرَّمين ريثما انتهي من عملي وان طال الوقت الى بضعة شهور · فقبلت وعالجتها فشفيت · وقد كذَّب كثيرون ممن عرفوا تلك الصبية قبل العلاج ابصارهم عندما شاهدوها وقد تغيَّر شكل وجهها تغيُّراً كليًّا لان جمالها الطبيعي ظهر بعد احتجابهِ ردحاً وراء اعراض ذلك الداء · فبعد ان كانت شفتاها قصيرتين بسبب نتوء الاسنان طالتا وتلاصقتا · وبعد ان كانت انيابها عاليةً نائتةً ركزت في موضعها الطبيعي · وبعد ان كانت اسنانها متراكبةً يحتك بعضها باللسان ويتَّجه البعض الآخر جهة سقف الحلق وضع كلٌّ منها في المكان الذي وجد لهُ فانتظم شكلهُ · ومما لا ريب فيهِ ان تغيير وضع الاسنان يغيّر شكل عظم الفكين لان الضغط يحدث امتصاصاً في عظم الفك فالجهة التي تخلو من حركة الاسنان ينمو فيها عظم جديد ونتيجة هذا التعديل كما سبقت وابنت تظهر في الشفتين والخدين والذقن والانف وبالاجمال فان هيئة الفم تتغيَّر تغيُّراً كليًّا · وقد تدعو الضرورة في بعض الاحيان الى خلع ضرس او اكثر هذا اذا كانت الاسنان كبيرة وكان الفك ضيقاً وذلك نادر

ولا يسعني قبل ختم هذه المقالة الاَّ التشديد على الوالدين بوجوب معالجة اسنان اولادهم المصابة بهذا الداء بعد ما عرفوا من تأْثيره في جمال الوجه خصوصاً والصحة عموماً ومن امكان شفائهِ في هذا العصر الذي خفف الطب والعلم فيهِ كثيراً من مصائب بني الانسان

الدكتور
ادورد غرزوزي

الايبكاك والدوسنطاريا

نبات عرق الذهب (ايبكاك) ينبت في غابات غضة في البرازيل من اميركا الجنوبية طولهُ ١٠ سنتيمترات وقطر قصلتهِ ٤ مليمترات الى ٥ ومعظمهُ مجرد ملتوٍ لونهُ اشهب باهت واسود مجعد بحلقات غير منتظمة يتخللها شقوق . وقشرتهُ سميكة لكنها هشة سهلة الانكسار والانفصال عن الجزء الصلب الداخلي لهُ رائحة غريبة خاصة بهِ وهو مجشيء ومقيء وطعمهُ مرٌّ وحريف واهم ما يستخرج منهُ الامتين . وكان معروفاً عند الوطنيين وعم استعمالهُ بينهم من زمن بعيد قبل ان يحضرهُ الى اوربا بيزو Piso سنة ١٦٥٠ وبعد هذا التاريخ بمدة قصيرة وصل الى باريس رجل اسمه ادريان هايفيتوس نشر اعلاناً وزعهُ في عاصمة فرنسا وقال فيهِ انهُ يعرف علاجاً يشفي من داء الدوسنطاريا . وما بلغ خبرهُ مسامع الملك لويس الرابع عشر حتى استدعاهُ لمعالجة ولي العهد وكان مصاباً بهذا الداء ولم يكن هايفيتوس دجالاً صرفاً لان المريض شفي بعد بضعة ايام من توليهِ معالجتهُ ولما رأت الحكومة فعل العلاج بمرض ولي العهد اكبرت شأنهُ واشترت وصفة تركيبهِ بالف جنيه واباحت استعمالهُ للامة . وقال هايفيتوس انهُ تركيب طبيب من هولندا وكان الايبكاك الجزء المعول عليهِ فيهِ

ومن ذلك العهد الى يومنا هذا راج استعمال عرق الذهب في معالجة الدوسنطاريا ولكن لم تكن النتيجة وافية بالمرام تماماً فكان يفيد في اصابات ولا يفيد في غيرها لاسباب كانت غير معروفة وكان الذي ينجح في استعمالهِ يطنب في فوائدهِ ويمتدح تأثيرهُ بخلاف من فشل فانهُ كان يحذر زملاءهُ منهُ ومن الركون اليهِ كعلاج وانكر عليهِ كل ما قيل عنهُ من المزايا في شفاء المرضى بداء الدوسنطاريا . ولا ريب ان كونهُ مقيئاً اضرَّ كثيراً بشهرتهِ واضاع قسماً من منافعهِ ولا عجب فان الداء الذي نحن بصددهِ كان معروفاً باعراضهِ فقط وهي الزحير وظهور الدم والمخاط والصديد في البراز وضعف وهزال اما الآن فمعروف باسبابهِ وهي نوعان لذلك لقي الاقدمون في استعمال عرق الذهب ما لقوا من النجاح تارة والفشل طوراً لانهم كانوا يعالجون الاعراض غير آخذين بالسبب . والاعراض واحدة وان كان هناك سببان لها غير فارقين بينهما . وكثر استعمال الايبكاك في الهند لمعالجة امراض الكبد ايضاً

وفي سنة ١٨١٧ استخرج منهُ بالتير Pelletier الجوهر الفعال فيهِ اي الامتين وانتشر استعمالهُ بين فئة كبيرة من الاطباء في مداواة الدوسنطاريا ونجحوا الاَّ في حوادث قليلة

كان تأثير الامتين فيها معدوماً · وفي سنة ١٩١٠ اثبت فيدر Vedder في منيلا ببراهين قاطعة ان الامتين يقتل الاميبا بسهولة كلية · وفي المندمن عهد ليس ببعيد تمكن روجرس Rogers ان يشفي حوادث عديدة وحادة من الدوسنطاريا بواسطة الامتين بحقنهِ تحت الجلد · واليوم اصبح الامتين معروفاً في كل مكان انهُ العلاج الشافي لداء الدوسنطاريا الاميبية ويرجع اليهِ كل طبيب في مداواة المرضى بهذا الداء المضنك · وهو يقتل الاميبا في الحال بمحلول جزء واحد الى عشرة آلاف وبدقيقتين بمحلول جزء الى مئة الف · واثبتت التجارب ان استعمالهُ في اصابات كثيرة من اصابات الكبد جاء واقياً لها من خراجات اميبية وشافياً منها بعد ثبوتها · واحياناً يتعذر على الطبيب ان يفرق بين الدوسنطاريا الاميبية والدوسنطاريا المكروبية لعدم وجود الادوات اللازمة للفحص او لعدمِ عن المعمل الذي تجري فيهِ عمليات الفحص والتحليل ليثبت في تشخيصهِ الداء قبل ان يقدم على المعالجة ولكن ذلك لا يمنع استعمال الامتين في الحال اذا لم يكن للمداواة فيكون للتشخيص · وعادة تظهر علامات التحسن على المريض بعد يومين او ثلاثة ايام اذا كان مصاباً بنوع الدوسنطاريا الاميبية واذا مضت ثلاثة ايام على استعمال الامتين ولم تظهر اعراض التحسين على المريض فيكون مرضهُ من نوع الدوسنطاريا المكروبية وليس للامتين تأثير في هذا الداء

وقد جاء في تقرير للدكتور روس Rose انهُ يستعمل الامتين في جميع الاصابات التي تصيب الجيش المرابط على سواحل بحر الروم ولو كانت مشتبهة · ومع ما تقدم فالامتين لا يفيد في اصابات اهمل شانها وتركت بغير معالجة وقتاً طويلاً لان الاميبا تكون قد توغلت في نسيج الامعاء واتلفت جانباً كبيراً منهُ وربما خرقت جدار الامعاء واحدثت ما يعبر عنهُ بالدوسنطاريا الاميبية المضاعفة

واختبارنا يؤيد ما ورد عن هذا العلاج المدهش بتأثيرهِ في حوادث عديدة كانت اعراض التحسين تبدو على المريض من اول حقنة · وكثير منهم يشفى بعد الحقنة الثالثة وقليل من العقاقير نال ما نال الايبكاك من الشهرة التاريخية

الدكتور شخاشيري



استغلال الارض

(١٤)

تأجير الارض ايضاً

المعتاد ان تكون مدة التأجير سنتين اثنتين او ثلاث سنوات والمدة الاولى افضل اذا كانت الدورة ثنائية والثانية افضل اذا كانت الدورة ثلاثية وذلك ليتم الانتفاع باجزاء الارض في مَدَى مدة التأجير على التساوي شتويًّا وصيفيًّا ونيليًّا

وقد توجَّر الارض مدة سنة واحدة او زرعة واحدة شتوية كانت او صيفية او نيلية (١) في الجهات الجنوبية حيث يكثر الفلاحون من زراعة الحبوب الشتوية فيحتاجون الى جانب من الارض لزراعتهِ برسيمًا لمواشيهم او حيث يكثرون من زراعة القطن فيحتاجون الى زراعة الذرة سيما حيث يتوفر السماد عندهم (٢) في الجهات البحرية الواطية حيث تكثر زراعة البرسيم فتعوزهم الحبوب فيستأجرون جانباً من الارض لزراعة الشعير او الارز. وهاتان الحالتان حينما يكون المستأجر قادراً على فلاحة ارض اكثر من غيطهِ المعتاد (٣) بعض الاجراء الناشطين يحتاجون الى زراعة جانب برسيم للماشية التي يقومون على تربيتها ثم الى جانب ذرة حيث يمكنهم تسميدهُ من السماد المتحصل من زريبتها (٤) يرغب الفلاحون في زراعة القطن وحدها اما عقب تسميد الارض في الزرعة السابقة لهُ تسميداً وفيراً او عقب غسيلها وتحريشها بزرعة البرسيم لاسيما حيث تكون اسعار القطن مرتفعة

ويجري بعض الملاك مع مستأجري ارضهم على كتابة عقد التأجير لمدة سنة واحدة ولا يُجدَّد للسنة التالية الاَّ اذا قام المستأجر بجميع واجباتهِ نحو الارض ومالكها فاذا لم يقم بها كما ينبغي سهل على المالك اخراجهُ منها بلا تقاضٍ ولا يكون ذلك الاَّ حيث يكثر عدد المستأجرين

وفي غير هذه الاحوال يُفضِّل الملاك غالباً والمستأجرون دائماً ان لا تكون مدة التأجير قصيرة (١) ليتم الفلاح الانتفاع بنتائج الفلاحة المتقنة التي تستديم منفعتها بعد الزرعات

التي اجريت فيها تلك الاجراءات تسميداً كانت او تحسيناً فان الفلاح الذي سمد الذرة بكمية وفيرة من السماد او بوّق الارض بزراعة البرسيم او حسنها بزراعة الارز لا يهون عليه تركها عقب ذلك مباشرة بل يتمسك بان تبقى الارض معهُ بعدها ليجني ثمرة تلك الاعمال النافعة التي اجراها (٢) لان استقرار المستأجر في الارض أدعى لاطمئنان المالك والمستأجر معاً

والغالب ان يظل المستأجر المستقيم النشيط في الارض بتجديد استئجاره لها مدةً بعد مدةٍ اذ يكون ذلك افضل لهُ وللارض وللمالك معاً وتحافظ الادارة الزراعية الحسنة على هذه الحالة جهد المستطاع فلا تزعزع مستأجراً من ايجارتهِ الاَّ لسبب كافٍ وتفضل المستأجر المستقر في ايجارتهِ على من يبغي مزاحمتهُ فيها لا عند تساوي الظروف بينهما فقط بل ولو عرض المزاحم زيادة في اجرة الارض يمكن التسامح فيها للمستأجر المستقر كمكافأة على حسن عنايتهِ واستقامتهِ وبذلك ينشط هو وسائر المستأجرين على انتهاج الخطة المثلى في فلاحتها ومعاملتهم باطمئنان حاضراً ومستقبلاً

واغلب الملاك يعتمدون في ضمانة حقوقهم قِبَل المستأجر على الزراعة التي تغلها الارض ثم على ما يمكن من الكفالات العقارية او المالية ان تيسرت وبعضهم يجعل جلَّ اعتمادهِ على الكفالات ويشدد في ذلك كل التشديد وكلهم يحافظ على غلة الارض حتى يستوفي منها حقوقهُ قبل تصرف المستأجر فيها

وبما ان القطن (ومثلهُ القصب والارز في مناطقها) هو اهم محصول يمكن تسديد الايجار من ثمنهِ يحافظ عليهِ الملاك بنوع خاص حتى لا يتمكن المستأجرون من جنيهِ او من مبيعهِ الاَّ عن يدهم او بعد اخذهم ايجار ارضهم فاذا لم يفِ ثمنهُ بالايجار كلهِ يأخذون محصول النيلي (الذرة ونحوهُ) كلهُ او بعضهُ

اما محصولات الحبوب الشتائية كالقمح والشعير والفول فقد جرت العادة ان يفرض عليها قيمة ربع الايجار او خمسهِ في الارض الجنوبية اذا كانت دورتها الزراعية ثنائية او اكثر من ذلك اذا كانت دورتها ثلاثية

اما في الجهات البحرية حيث الارض احسن ما تغل القطن دون الحبوب فلا يفرض على زراعة الحبوب الاَّ جزء يسير من الايجار والجزء الذي يحصل من المزروعات الشتوية في الحالتين المتقدمتين يكون كذلك اذا كان المستأجر مسدّداً ايجار السنة السابقة اما اذا كان متأخراً فيأخذ المالك نصف المحصول او اكثر حسبما يراهُ

وغالباً لا يفرض على زراعة البرسيم جزء من الايجار لانهُ غذاء الماشية · والحبوب التي تخرج منهُ لا بد منها للتقاوي لاسيما وان زراعتهُ تحسن الارض فيجب ان ينشطها المالك

ويجري بعض المصالح على فرض جزء معين من الايجار على كل زرعة فيفرضون مثلاً على فدان البرسيم جنيهاً ونصف جنيه وعلى فدان القمح ٣ او ٤ جنيهات وعلى فدان الذرة ٣ جنيهات وعلى فدان القطن ١٠ جنيهات الخ فيأخذون ايجار كل زرعة من محصولها اولاً باول واذا جاء ثمن القطن زائداً زيادة كافية عن الايجار يحجز جزء من الزيادة كتأمين على سداد ايجار السنة التالية وفي ذلك حسن احتياط نافع للمالك والمستأجر معاً

اما طريقة ايفاء الايجار في ارض الملق وفي الارض المؤجرة زرعة واحدة فيكون من نفس محصول الزرعة

وحيث يُصاب المحصول او يرخص سعرهُ يتعذر على المستأجر سداد الايجار فاذا كان قدم كفالةً استوفى المالك حقهُ منها بعد تعب وارهاق لمستأجر ارضهِ وكفيلهِ واذا لم يكن هناك كفالة ضايق المالك المستأجر في محصول حبوب الارض التي لا بد منها لغذائهِ · وبما ان الفلاح حريص على اخذ قوتهِ من زراعتهِ فانهُ يجتهد في اخذ كل ما يمكنهُ منها باية طريقة وكثيراً ما يخسر الملاك في هذه المواسم الكاسدة خسارة قد لا تتعوض الاَّ نادراً في المواسم الخصيبة

والمقتطفات الآتية في هذا الموضوع منقولة عن المقتطف الاغر

جاء في ج ١ م ٣٧ بقلم محررهِ الفاضل في موضوع تأثير ثمن الحاصلات في المستأجر والمالك ما ملخصهُ :—

« وقد يُظن ان الخسارة من رخص الحاصلات واقعة على المستأجر لا على المالك بزعم ان هذا يأخذ ايجار ارضهِ كيفما كان الحال ولكن الامر ليس كذلك لانهُ اذا غلا السعر عن المتوسط فالربح من غلائهِ يبقى كلهُ للمستأجر ولا يستفيد المالك منهُ شيئاً واذا رخص السعر عن المتوسط فالخسارة تقع كلها على المالك لان المستأجر يعجز عن ايفاء الايجار ولا شيء عندهُ يأخذه المالك ولا من مصلحة المالك تجريد فلاح ارضهِ من وسائل فلاحتهِ لها كالماشية والتقاوي الخ و يصدق هذا على جمهور المستأجرين مع اكابر الملاك »

وفي الجزء المذكور ايضاً في موضوع دفع الايجار عيناً

« ابنا كيف ان المالك يخسر بهبوط الاسعار ولا يربح بارتفاعها ونرى ان علاج ذلك بجعل الايجار عيناً اي مقادير معينةً من كل الحاصلات التي تزرع بالارض واذا يشترك المالك والمستأجر في غلاء السعر ورخصهِ وخير من ذلك ان تجعل حصة المالك جزءا من المحصول بنسبة مئينية معينة مما تغلهُ الارض حتى يشترك ايضاً هو والمستأجر في خصب المحصول ومحلهِ » اه

وفي ج ١ م ٤٦ من مقالة بين المالك والمستأجر ما يأتي « ويمكن اصلاح هذا الخلل بان يقدر للحاصلات وقت ربط الايجار سعر ويربط الايجار بحسبهِ ويجب ان يكون هذا السعر معتدلاً اذا بيعت المحصولات بهِ كان ربح المستأجر معتدلاً لا زائداً ولا ناقصاً ويفرض على المالك ان يشتري المحصول كلهُ او بعضهُ بالسعر الذي ربط وقت الايجار وعلى المستأجر ان يبيعهُ اياهُ بهذا السعر » الى قولهِ

ويمكن تحديد سعر القطن فقط وربط الايجار بموجبهِ والاتفاق على ان المالك يأخذهُ كلهُ بهذا السعر واذا لم يفِ ثمنهُ بكل الايجار اتم الباقي من ثمن الحاصلات الاخرى وهذه الطريقة اسهل من الاولى واصلح ولاسيما حيث يزرع القطن في ثلث الاطيان الى نصفها وحيث يكفي القطن غالباً لتسديد الايجار الخ

وقال في انتقاد تطبيق قانون الخمسة افدنة على قيم الايجار ما ملخصهُ عن ج ٤ م ٤٢

« استأجر فلاح ارضاً باع قطنها في اول سنة بما اوفى الايجار وزيادةً ربحها مع ربح ثمن الحبوب والعلف فاشترى ماشية وثياباً لهُ ولعائلتهِ ولكن في السنة التالية عجز المحصول او رخص سعرهُ فلم يمكنهُ ان يفي بسداد الايجار افلا يجوز للمالك ان يحجز على الماشية ويبيعها ويأخذ ثمنها

ان القانون الذي وضعتهُ الحكومة يمنع ذلك ولكن المستأجر اشترى هذه الجاموسة بما زاد من ريع الاطيان في السنة الاولى فهل يجوز لهُ ان يتمتع بهذه الزيادة وحدهُ ويترك للمالك الخسارة من ظهور الدودة وهبوط لاسعار أوَ ليس من القواعد المرعية ان الذي لهُ الغنم عليهِ الغرم

ورب معترض يقول بندورة وقوع مثل هذا المثل وان مصادرة المالك للمستأجرين بالحجز على مواشيهم وبيعها اكثر وقوعاً فنجيب بان اختبارنا يرينا ان المالكين اعقل مما يظنهم واضعو هذا القانون وانهم يفتشون عن المستأجرين ويرغبونهم ويساعدونهم بكل واسطة

ممكنة ولا يفعل ما يناقض ذلك الاَّ المالك السخيف فتتضعضع احوالهُ في النهاية او المالك الذي رأى مستأجر ارضهِ كسولاً فاسد الاخلاق واراد التخلص منهُ

و يظهر لنا ان النتيجة اللازمة عن هـذا القانون ستكون تقليل ريع الاطيان وثروة البلاد لانهُ اذا رأى المالكون صعوبة الحصول على ايجار ارضهم ابطلوا التأجير وجعلوا يزرعون ارضهم وسيةً و يستخدمون الفلاحين بالمياومة. والفلاح الاجير لا يعمل لغيرهِ نصف ما يعملهُ لنفسهِ فتكون النتيجة زيادة نفقات الزراعة وقلة المحصول. ويصدق هذا على اصحاب الاطيان · الواسعة وهم يملكون اكثر من نصف اطيان القطر» الخ

وفي ج ١ م ٤٦ من مقالة لكاتب هذه السطور ما يأتي «وعندي ان الامر الاهم لصالح الملاك ليس غلاء الايجار بل جعل ايفائهِ مقدساً لدى المستأجرين ولا يكون ذلك الاَّ بحملهم على ايفائهِ من المحاصيل اولاً فاولاً حتى اذا صادفتهم سنة نكدة كان لهم من تعوُّد الايفاء واطمئنان الامل ما يقصيهم عن الشطط في تقدير حقوقهم وعن المماطلة في اداء الواجب عليهم

وفيما احسب ان القانون المعروف بقانون الخمسة الافدنة ستنشأ عنهُ في المستقبل آثار سيئة على التأجير وذلك متى تحقق الفلاح الصغير بالاختبار كُنه هذا القانون وان الملاك لن ينالوا منهُ الاَّ ما يقدرون على الحصول عليهِ من محاصيل الارض حال قيامهِ هو عليهـا وان املاكهُ ومقتنياتهِ مصونة من الحجز كيفما كان سلوكهُ

ان استئجار الفلاحين للارض هو السبيل الوحيد لمعيشتهم معيشة مرتفعة عن معيشة الاجراء فلا مسوغ ابداً لان تسري عليهم احكام قانون يراد بهِ في الاهم حماية صغار الفلاحين من اشرار المرابين» اه

وهناك طبقة من المستأجرين وهي التي تستأجر المزارع الواسعة صفقةً واحدةً فتحل محل ملاكها في استغلالها بالطرق التي تروق لهم

والمختار عندهم غالباً استغلالها بطريقة التأجير القطاعي الى جمهور فلاحي المزرعة ومجاوريهم و يبذلون كل طرق التسويف والتسهيل لتأجيرها كلها وعدم بقاء شيء منها فلا يزرعون شيئاً منها لحسابهم الاَّ مضطرين وذلك لادراكهم تماماً ان اربح وجوه الاستغلال لهم هو طريقة التأجير

ولا يلجأ مالك الى تأجير مزرعتهِ صفقةً واحدةً الاَّ اذا كان عاجزاً عن استغلالها

كما يجب لقصوره او تقصيره في ادراك الوسائل اللازمة لادارتها واجرائها كما يجب

وبما ان المستأجر الذي يحل محل المالك لا يهمهُ الاَّ انتاج اعظم ربح لهُ باية وسيلة كانت من وسائل استغلال الارض في حاضره بدون نظر الى مستقبلها فان هذا التأجير كما يدل على عجز المالك يضر بالمزرعة قليلاً او كثيراً ويوقف تحسن ارضها الاَّ اذا كانت المزرعة رديئة في الاصل يقتضي استغلالها كما ينبغي اجراء تعديلات وتحسينات فيها وكان المستأجر قادراً اجراءها ولذا تكون المزرعة في يده افضل منها في يد مالكها على ان المستأجر لا ينفذ من هذه الاجراآت غالباً كما يجب الاَّ ما يتعلق بفائدته الوقتية واكثر ما يكون الضرر اذا لم يكن عليه مراقبة فعالة من قبل المالك

ومن فروق التأجير بين مناطق الارض ان تقل سيئاتهُ في الجهات الجنوبية حيث الارض اوفر خصباً وريعاً والاهالي اكثر عدداً وقدرة وليس كذلك الحال في الجهات البحرية الواطية حيث الارض رقيقة والاهالي قلائل وفقراء ولا يخفى ان مصاريف الفدان الواحد في المنطقتين واحدة اما المحصول فهو اقل في المنطقة الثانية منهُ في الاولى واي اهمال في الارض البحرية الواطية يسرع ظهور اثره في تقليل محصولها نوعاً وكمية وفي افساد تربتها

خاتمة البحث

حينما فكرتُ في كتابة موضوع استغلال الارض حسبتُ اني سأستوفيه في ثلاث مقالات او اربع وما كدتُ ابتدئُ كتابة بعض ابحاثه حتى كثرت لديَّ موضوعاتهُ وتشعبت فروعها حتى كنت اكتفي في بعضها بالايجاز وبالاشارة الى بعضها الآخر اذ ذكرها كلها ولو بايجاز فضلاً عن استيفائها كما ينبغي يقتضي من الوقت والمراجعة بل والمقدرة والاحاطة مالا يتيسر لفلاح مثلي لا يملك وقته لنفسه

فعسى ان يقدم بعض اخواننا الزراعيين الذين مارسوا الادارات الزراعية على ذكر ما يعن لهم في موضوعات هذا البحث المهم · ولعل معاهدنا الزراعية تُنشّط العمل في تدوين هذا البحث فانهُ من اهم اركان الفلاحة وعلى اتقانه يتوقف كثير من الفوائد المادية والادبية وليس من المناسب ان يظل رجال معاهدنا الزراعية سواء كانوا رؤساء او اساتذة او تلامذة غير عارفين به المعرفة اللائقة

احمد الالفي
مأمور زراعة

تربية دود الحرير

اطلعت على بيان الجلسة التي عقدها مجلس التجارة الزراعية للنظر والبحث في المسائل التجارية والاقتصادية المرتبطة بالزراعة والزرّاع المصريين ومنها مسألة تربية دود الحرير التي حول اليها احد اعضاء هذا المجلس الانظار ببيانهِ (امكان التجارب بمصر على الاتيا كاس شنتيا وهي دودة حرير هندية تغذى بنبات زيت الخروع)

ولما كنت قد درست فن تربية دود الحرير على انواعهِ المختلفة مدة تنيف على اثنتي عشرة سنة وأجريت بعض التجارب في القطر المصري وألّفت كتاباً باللغة العربية في هذا الموضوع سأبدأ قريباً بطبعهِ فقد رأيت ان لا بد لي من اصلاح الخطإ الذي ورد في ذلك البيان عن تسمية نوع دود الحرير الذي يتغذى بورق شجر الخروع وان اشرح بالاختصار الفرق بينهُ وبين ما سمي « بالاتيا كاس شنتيا » وذلك بقدر ما يسمح لي به المقام فاقول :

« الاتيا كاس شنتيا » موضوع بحث مجلس التجارة الزراعية صحة اسمهُ اتا كوس شنتيا (*Attacus Cynthia*) وهو احد انواع دود الحرير البرّي الاصل وطنهُ بلاد الصين ويربّى في الهند واليابان · وهو يفضّل الغذاء بورق شجرة الأيلانتوس (*Ailante*) (اي الشجرة الباسقة ذات الرائحة الشديدة الكريهة المعبّر عنها بلسان العامة بشجرة الورنيس اليابانى وفي اللغة اللاتينية باسم إيلانتوس جلاندولوزا (*Ailanthus Glandolosa*)) على باقي ورق الاشجار · ولكنهُ مع ذلك قابل للتغذية بورق شجر التوت · وتربيتهُ سهلة سواءٌ كانت في المنازل او مباشرة على الاشجار بحيث لا تدوم مدتها اكثر من ٢٥ يوماً الى ٣٠ يوماً · وهذا النوع من الدود يفقس مرتين في السنة الواحدة عادة الآن بعض فصيلاتهِ يفقس مرة واحدة والبعض الآخر ثلاث مرات سنوياً · اما جسمهُ المغشى بالوبر فلونهُ رماديّ حين فقسهِ وازرق بخضرة عند تمام نموهِ و يكون طولهُ ٤ مليمترات حين ولادتهِ ثم يكبر شيئاً فشيئاً الى ان يبلغ ٨ سنتمترات طولاً ونحو سنتمتر ونصف عرضاً في اواخر عمرهِ · ولهذا الدود طريقة خاصة في عمل فيلجتهِ تميزهُ عن غيرهِ من اجناس دود الحرير فانهُ يفرش طبقة من الخيوط الحريرية على سطح احدى الورقات التي يتغذّى بها ثم ينسلّ الى ساق هذه الورقة فيجمع اطراف تلك الخيوط و يربطها بهِ فتتألف منها كتلة حرير يتعلق حينئذٍ بها ثم ينسج حول جثمانه فيلجة طولها ٣٣ ملمتراً وقطرها ١٣ ملمتراً تقريباً تشبه بشكلها ثمر الزيتون · اما لونها فرمادي او اصفر باهت وحريرها خشن الملمس و يبلغ طول خيطها نحو ٥٠٠ متر الأ

ان لمعانهُ اقل جدًّا من لمعان حرير دود شجر التوت . وحيث انها تبقى مفتوحة على الدوام من احد طرفيها بكيفية لا تظهر معها للعين لذا كان من الصعب جدًّا حلها في الفور يقات الاوربية بالطرق المألوفة لحل فياالج دود الحرير الذي يتغذَّى بورق التوت . على ان اهل البلدان الاسيوية الذين يستغلُّونها يتوصلون بالرغم مما يعانونهُ من الصعوبات الجمة في حلها الى حل حريرها بالطريقة المعروفة عندهم ثم يغزلون خيوطها بالمغازل على النمط المشهور بالشرق و ينسجونها بعد ذلك بواسطة الانوال في منازلهم و يتخذون الثياب منها لانفسهم وما هذا الاَّ لان اسعارها اقل من غيرها في اسواق تجارة الحرير . اضف الى ما تقدم ان فراش هذا الدود يمتاز عن باقي اجناس فراش دود الحرير بلونهِ الاصفر الباهت الضارب الى السمرة و باجنحتهِ الكبيرة المنقطة بالسواد والبياض

اما دود الحرير الذي يتغذَّى بورق شجر الخروع (ولعلهُ هو المقصود بابحاث مجلس التجارة الزراعية) فاسمهُ بونبيس اريندي (*Bombyx arrindia*) اي الدود الهندي الاصل او بونبيس ريشيني (*Bombyx Ricini*) اي دود شجر الخروع وهو فصيلة من نوع دود الحرير المسمى انتيريا ميليتا (*Antheræa mylitta*) الهندي الاصل الذي يستغل منهُ الحرير المسمى توساه (*Tussah*) من افضل اجناس حرير الدود البرّي واهمها في التجارة . اما الغذاء الصالح لهُ فمن المؤكد انهُ ورق شجر الخروع ولكنهُ مع ذلك قد يتغذَّى بورق اشجار الاجاص او البرقوق الاسود (*Rhamnus ou nerprun*) على اختلاف انواعهِ . وهو في بلادهِ الاصلية يعيش حرًّا على الاشجار عادةً الاَّ انهُ لما ادخل الى اوربا ربَّاهُ بعضهم في المنازل واتبع البعض الآخر طريقة معيشتهِ الطبيعية فكانت النتيجة حسنة في الحالين . و يفقس هذا الدود في الهند ثلاث مرات في السنة يعيش في كل دفعة منها شهرين في درجة حرارة لا تقل عن الاربع والعشرين بميزان سنتجراد . اما فيالجهُ الحريرية فمؤلفة من طبقات العليا منها رمادية اللون والسفلى صفراء او بيضاء او صفراء تضرب الى الخضرة و يتراوح حجمها بين ٣٥ و ٦٥ مليمتراً على الاكثر او بين ٢٣ و ٣٥ على الاقل . ولكل واحدة منها كتلة في احدى قمتيها شبيهة بالتي ذكرت آنفاً يختلف طولها من ٣٥ الى ٧٠ مليمتراً . ومن الجانب الموجودة في هذه الكتلة يخرج الفراش وهو كبير الحجم بقدر الفراش الذي سبق الكلام عليهِ او اكثر منهُ قليلاً وانما يفوقهُ ببهاء منظرهِ وجمال لونهِ الرمادي الذي يخالطهُ اللونان الاحمر والاخضر على هيئات بديعة التنسيق . غير ان هذه الفيالج بعد حلّها

بالطرق الخاصة يستعمل حريرها في صنع فرش اثاث المنازل او بطانة الملابس على ان قيمتهُ واسعارهُ في التجارة لا تضاهي ما يساويهِ منها حرير فيالج الدود المتغذي بورق التوت

وسأردف هذه النبذة بنبذ أخرى عن تربية دود الحرير موضحة بصور الدودة في ادوارها المختلفة التي تنقلب عليها من البيضة الى الدودة فالزيز فالفراشة

الفونس خلاط
اختصاصي بفن تربية دود الحرير

صباغ مصري جديد

اخبرنا جناب المستر ددجن المستشار الزراعي في وزارة الزراعة انهُ اهتم منذ ست سنوات بالبحث عن المواد التي يصبغ بها الجلد المعروف بالمراكشي صبغاً احمر . ثم رأى انهُ يمكن استخراج هذا الصباغ من ورق الذرة المعروفة بالشيرو التي تزرع احياناً علفاً للمواشي وقد استخرج بعضهُ بالماء السخن وبعضهُ بالسبيرتو وسخن امامنا قليلاً من الماء ووضع فيهِ قطع ورق الذرة وقليلاً من مادة قلوية مثل كربونات الصودا فصار الماء احمر قانياً

واعدنا نحن هذا الامتحان فأغلينا قليلاً من الماء ونقعنا فيهِ ورق الذرة الضارب الى الحمرة ثم اضفنا اليهِ قليلاً من كربونات الصودا وصبغنا بهِ قليلاً من القطن وخرقة من الكتان وقطعة من جلد الكفوف الابيض فانصبغ القطن بلون احمر والكتان والجلد بلون وردي

ولا يخفى ان ورق الذرة يحمر من نفسهِ احياناً كثيرة ولا سيما عند غمدهِ وكذلك ورق قصب السكر . والذرة نفسها قد تحمر حبوبها او تصير خمرية وكذلك قشر قصب السكر يصير احمر او خمريًا مما يدل على وجود مادة تتحول الى لون احمر او خمري . فلا غرابة اذا استخرجت هذه المادة وكان منها صباغ صالح لصبغ الجلد والصوف والقطن والكتان

وبعد نشر ما تقدم في المقطم كتب الينا حضرة صاحب الامضاء يقول :

اطلعت في المقطم على نبذة بعنوان « صبغ مصري جديد » عن التجارب التي اجراها جناب المستر ددجن المستشار الزراعي في المواد التي يصبغ بها الجلد المعروف بالمراكشي صبغاً احمر . وقد رأى جنابهُ ان في الامكان استخراج هذا الصباغ من ورق الذرة وورق قصب السكر بالماء الساخن وبعضهُ بالسبيرتو ممزوجاً بكربونات الصودا فصار الماء احمر فرأيت ان اقول كلمة في هذا الشأن

كنت منذ زمن مفتشاً في ولاية ماتوجروسو بالبرازيل فالفيت مزارعاً المانيًا هناك

يستخرج صباغاً من ورق الموز وشجر الموز فان ورق الموز الصغير لا الكبير حين طلوعه يبتدئ يحمرُّ احمرار عيدان الذرة حين ابتداء طلوعها · وشجر الموز بعد الطرح او قبل الطرح اذا قطع نزل منهُ حليب (لبن) مصمغ نحو كيلو غرامين والعادة المتبعة في البرازيل انهُ اذا جرح احد او لدغتهُ عقرب او لسعتهُ حية يشقون الجرح و يضعون عليهِ الموز فينقطع الدم في الحال لان الحليب يلصق الجرح ثم يندمل · ولقد وجدت ذلك الالماني يضع حليب الموز في اناء على نار شديدة الانقاد بعد ما يصب عليهِ قليلاً من الماء وكربونات الصودا فيصير لون الحليب احمر قانياً وفي استطاعته ان يغير و يبدل اللون كما يشاء وليست العبرة بالالوان بل بالصمغ وقوتهِ · ووضع امامي ورق الكاكاو في الماء الساخن واستخرج منهُ صبغاً احمر عظيم القوة وقال ان في امكانهِ ان يستخرج صبغاً هكذا من قصب السكر الاحمر ولكن لا تكون فيهِ القوة التي تكون في الصبغ المستخرج من الموز · وهو يستخرج ذلك من غير سبيرتو

هذا وجميع الاشجار في البرازيل يخرج منها صمغ · ولا يخفى ان ورق الجميز في القطر المصري اذا قطع خرجت منهُ مادة صمغية لزجة جداً وكذلك اغصانهُ الطرية · وفي البرازيل شجر يحاكي النخل في بر مصر ولكنهُ دقيق السوق يسمونهُ جوساره يحمل حبًّا صغير الحجم كحب العنب او النبق لونهُ بنفسجي وهم يستخرجون منهُ مشروباً بدلاً من النبيذ يضعون عليهِ سكراً ولهُ رائحة ذكية · جاءني يوماً تاجر بلجيكي في ولاية باراه فرأى هذا الصنف فاشترى منهُ كمية وارسلها الى بلادهِ ثم غاب ثلاثة اشهر وعاد اليَّ واشترى كل ما وجدهُ منهُ عند الاهالي · وكنت قد اجريت تجربة منهُ من غير سبيرتو فاستخرجت صبغاً بنفسجيًّا مصمغاً · و بعد شهر من الزمان تهافت التجار جميعهم على شراء هذا الصنف مع ان ثمن الكيلو غرام منهُ الف ريس اي ستة قروش ونصف قرش بالعملة المصرية · فاستفهمت عن سبب تهافتهم على مشتراهُ فاتضح لي انهم يستخرجون منهُ صباغاً عظيم الفائدة · وقد اهتمت وزارة الزراعة في البرازيل بهذا الامر اهتماماً عظيماً

رمل الاسكندرية ابرام · جبريل

ضربة العصفر

العصفور او العصفر طائر صغير معروف معيشتهُ من الحبوب وهو مغرم باكل حبوب الحنطة ولا يأكل الحشرات فكلهُ ضرر ولا نفع منهُ وقد منعت الحكومة المصرية حمل السلاح وحسناً فعلت ولكن زاد العصفر في بعض الاماكن بسبب ذلك زيادة فاحشة ·

حتى ان الغيطان التي فيها اشجار يقف المصفر فيها ينقص محصول الفدان منها القريب من الاشجار اردبين فاكثر عمَّا اذا كان بعيداً عنها · و يظهر لنا ان المسألة مهمة جدًّا لا يصح الاستخفاف بها فاذا تعذر صيد هذه الطيور بالبارود فلا بدَّ من صيدها بالشباك او بالاشراك او بواسطة اخرى

قرأنا الآن في جريدة زراعية انكليزية ان المصفر كثر في ناحية من بلاد الانكليز فألَّف فلاَّحوها جمعية لصيده جعلوا قيمة الاشتراك فيها ١٢ غرشاً عن كل خمسين فداناً يدفع هذا المال جوائز للذين يقتلون المصفر فيعطى منها غرش لكل من يقتل عشرة عصافير فلم تمضِ ثلاث سنوات حتى قلَّت العصافير جدًّا في تلك الجهة و بقي عند الجمعيَّة نحو عشرين جنيهاً · و يظن امين صندوقها انهُ لا تمرُّ بضع سنوات أُخرى حتى تصير العصافير نادرة جدًّا في تلك الجهة

زراعة الرز في الدنيا

تقدر زراعة الرز في الدنيا هذا العام و يقدَّر محصولهُ بما يأتي

	المساحة	المحصول
في القطر المصري	٠٠ ٣٠٠ ٠٠٠ فدان	٠٠٧ ٠٠٠ ٠٠٠ قنطار
في ايطاليا	٠٠ ٣٧٥ ٠٠٠ »	٠١٠ ٠٠٠ ٠٠٠ »
في الولايات المتحدة	٠٠ ٦٦٥ ٠٠٠ »	٠٠٨ ٨٠٠ ٠٠٠ »
في جاوى	٠٦ ٠٠٠ ٠٠٠ »	١٠٥ ٠٠٠ ٠٠٠ »
في اليابان	٠٧ ٥٠٠ ٠٠٠ »	٢٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ »
في الهند	٦٥ ٠٠٠ ٠٠٠ »	٨٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ »
والمجموع	٨٩،٨٣٥،٠٠٠ »	١١٣٠،٨٠٠،٠٠٠ »

والهند تشمل برما وسيلان · وجاوى تشمل مادورا

و يزرع في الصين نحو ٠٠٠ ٠٠٠ ٢٥ فدان وفي الجنوب الشرقي من اسيا ٠٠٠ ٠٠٠ ٥ فدان وفي ارخبيل ملقا عدا جاوى ٠٠٠ ٠٠٠ ١٠ فدان وان كان متوسط محصول الفدان منها ١٣ قنطاراً بلغ محصولها ١١٠٠ مليون قنطار و يضاف الى ذلك محصول اسبانيا وهو نحو ٤ ملايين قنطار ومحصول روسيا وهو خمسة ملايين قنطار فيكون محصول الرز في الدنيا كلها نحو ٢٢٤٠ مليون قنطار او نحو ٨٠٠ مليون اردب



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان ولكنّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براءٌ منهُ كلهِ. ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي: (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق. فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلّ ودلّ. فالمقالات الوافية مع الايجاز تستقار على المطوَّلة

اصلاح خطإٍ

حضرات العلماء الافاضل اصحاب المقتطف

تحية وسلاماً: وبعد فقد رأيت في مقتطف مارس صحيفة ٢٢٩ حيث ذكرتم ترجمة الدكتور شبلي شميل انهُ افتتح كتابهُ (الحقيقة) ببيتين من قول حكيم العرب وابلغ شعرائهم ابي العلاء المعري وهما

بربك ايها الفلك المدارُ ... اقصد ذا المسير ام اضطرارُ
مسيرك قل لنا في اي شيءٍ ... ففي افهامنا منك انبهارُ

وهذان البيتان ليسا للشاعر الاعمى بل هما لابن شبل البغدادي الحكيم الفيلسوف وهو من ادباء القرن الخامس للهجرة. وهما من قصيدة طويلة لهُ وبعدهما

وفيك نرى الفضاء وهل فضاءٌ ... سوى هذا الفضاء بهِ تدارُ
وعندك ترفع الارواح ام هل ... مع الاجساد يدركها البوارُ
وموجٌ ذي المجرة ام فرندٌ ... على لجج الدروع لهُ اوارُ
وفيك الشمس رافعة شعاعاً ... باجنحة قوادمها قصارُ

ثم قال

لقد بلغ العدو بنا مناهُ ... وحلّ بآدم وبنا الصغارُ
فيا لك اكلة ما زال منها ... علينا ذلة وعليهِ عارُ
نعاقب في الظهور وما ولدنا ... ويذبح في حشا الام الحوارُ
وننتظر البلايا والرزايا ... وبعد فبالوعيد لنا انتظارُ
ونخرج كارهين كما دخلنا ... خروج الضب احوجهُ الوجارُ
فماذا الامتنان على وجود ... لغير الموجدين بهِ الخيارُ

[المقتطف] لقد احسنتم بتنبيهنا الى هذا الخطإ فانتانسبنا البيتين بعيدين عن كتبنا ثم سهونا عن التحقيق وقت تصحيح المسودَّة . اما قصيدة ابن شبل البغدادي فقد رأيناها غير مرة في عيون الانباء واعجبنا بناظمها لانهُ جرى مجرى اللاادريين المخلصين . ولا اشرف من الشك اذا اقترن بالاخلاص . ولكن الذاكرة غلبت عليهِ المعري لان المعري اشهر عندنا والاثنان ينقران على وتر واحد . والظاهر ان ابن شبل اكثر سياسةً من المعري اذ قال في خاتمة قصيدتهِ

ولكن كل ذا التهويل فيهِ لذي الالباب وعظ وازدجارُ

فحسب المتعظين بالتهويل المزدجرين بهِ من ذوي الالباب ولو جاري سائر ما قالهُ قبلاً لعدم من السذَّج . ولكم الشكر على كل حال

الى ابناء العربية

قصيدة الدكتور احمد زكي ابي شادي في الحثّ على معاضدة مشروع « جمعية آداب اللغة العربية بلندن »

ندايَ نداءٌ للنفوس الابيَّةِ وبثي عتابٌ للجيوب السخيَّةِ
دعوتُ وما للوهم ادعو وانما لأصدق ما تُملي عليَّ حميَّتي
الى العلَم الخفَّاق في كلّ نهضةٍ ومطلع غايات النهى الألمعيةِ
فوا اسفي ان ادهش القوم صيحتي ولم يفقهوا نصحي ازاء البليَّةِ
دُ فنّامع الاموات احياء وانقضت لنا ما لنا من نخوةٍ عربيةِ
وغايةُ ما نأتي من الجهد خوفُنا من الجهد او نشكو لعدل البريةِ
تقسَّمنا الاعذارُ شتَّى وتنتحي وساوسنا منحى الشعوب الشقيةِ
وراحتْ مساعينا هباء وأُنبِتَتْ عناء وغبنا ميتاً اثرَ ميِّتِ
فلا لغةٌ تُرعَى ولا العلم يُرتجى ولا سمعةٌ تُفدَى فهل من بقيةِ
فيا امتي هبّي الى العزّ هبةً كفى ما مضى في حيرةٍ لا رويَّةِ
دُعيتِ من الساعين للنصر والعلى مراراً وذا دوري يحيي تحيتي
فما النفعُ الاَّ ما اردتُ بناءهُ وما النبلُ الاَّ من وراء سجيتي
هممتُ بقصدي مفصحاً في بيانهِ وأرفعُ قدري عن مرامٍ خفيةِ
فما كنتُ باسم الدين صاحبَ سلعة ولا حيلةٍ خدَّاعةٍ طائفيةِ

ولا مَنْ رأى باب السياسة مجدياً … وقد اورثَ الدنيا أشقَّ رزيةٍ

ولا مَنْ سعى في فتنةٍ او دسيسةٍ … ولا مَنْ مشى في ثورةٍ دمويةٍ

يعظّمني ذمّي على موقفٍ سما … ويقتلني مدحُ النفوس الدنيةِ

مناي بلادي حرةٌ مستقلةٌ … بسلمٍ وفي ظلِّ العلوم الغنيةِ

وما عُمْدتي الا الصراحة والهدى … وحسبي نصيرٌ من حياتي النقيةِ

جميعُ (بني مصر) مدى العمر اخوتي … سواء لدى حسّي وروحي الوفيةِ

فداء لهم عقلي ومالي وصحتي … على ايّ حالٍ ذاك عهدي ونيّتي

أرى في ائتلاف الشعب كلَّ فضيلةٍ … وما شمتُ في التفريق من وطنيةِ

لقد باعدتنا الشمسُ من فرط سقمها … فاكرمها اهلُ البلاد القصيةِ

فاحرى بنا ان نستردَّ شعاعها … فليستْ بذيّاكَ النوى بالحريةِ

أليستْ ديارُ الشرق أولى بمشرقٍ … وقد وُضعتْ في رتبةٍ قُدُسيةِ

هيا كلُها لا تملأُ العينَ بهجةً … اذا ما خلتْ من فسحةٍ ذهبيةِ

فيا دارَ مَنْ سادوا وشادوا خلودهم … على العلمِ صوني العلمَ أرقى مزيةِ

هو الأسُّ للباني هو السيفُ في الوغى … هو الحِلُّ للعاني واكرمُ حليةِ

لسانكِ ديوانٌ لكلِّ سنيةٍ … من الأدب الغالي وكلِّ زكيةِ

وجمعُ تمدينٍ ومجدٍ مؤثّلٍ … وعلمٍ واخلاقٍ حسانٍ رضيةِ

وفن جميلٍ يملأُ الكونَ نورُهُ … ثمينٍ بآياتٍ لهُ علويّةِ

تشعُّ بهِ أبقى القرونِ التي خلتْ … وقد سُبِقَتْ بالظُّلْمةِ العجميّةِ

وتذكرُهُ الأمصارُ بالفخر والغنى … من الحرم الأقصى الى البندقيّةِ

تداعتْ بهِ اركانُ كلِّ جهالةٍ … وقامتْ عليهِ دولةُ العبقريّةِ

يكرّمهُ الأعلامُ من كلِّ امةٍ … وان لم ينلْ ودَّ العقولِ الغبيّةِ

فهل كنتُ مَنْ ينعى عليهِ ولوعهُ … بحرْمتهِ في الأزمةِ الأجنبيّةِ

وفي لغتي يومي وماضي عشيرتي … ومَظهرُها الباقي وراء منيّتي

وفيها من الآمالِ كلُّ مقدَّسٍ … ومن نُخَبِ العرفانِ كلُّ صفيّةِ

اذا نُشرتْ في امةٍ كان حظُّها … هناء وان عزّتْ سمتْ بالرعيّةِ

اذا عُدّتِ الاسبابُ للبأسِ لم تكنْ … بآخرِها شأناً وللمدنيّةِ

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم يدرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكرّرهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ.

(١) اساس الاحكام الانكليزية

مصر . محمد افندي سعفان بمدرسة القضاء الشرعي . على ماذا يستند القاضي الانكليزي في حكمهِ اذا كانت القوانين الانكليزية غير مقررة كما يقال

ج . على العقل والعرف ولوائح الحكومة وقراراتها والاحكام القديمة التي اصدرها مشاهير القضاة والقواعد الكلية المستنتجة منها ومن مباحث الفلاسفة الذين بحثوا في الحقوق الطبيعية

(٢) اقدم جريدة مصرية

ومنهُ . ما اقدم جريدة صدرت في مصر

ج . جريدة كانت تصدر في عهد الاحتلال الفرنسوي

(٣) الجمعيات الماسونية

مصر . الخواجه ايلي بلتنر . ما فائدة الجمعيات الماسونية

ج . الغرض الاول من الماسونية التعاون على البر فاذا قام اعضاؤُها بما يطلب منهم وتعهدوا بهِ عاشوا عيشة فاضلة وساعدوا بعضهم بعضاً في كل ما ينفعهم ولا يضرُّ غيرهم

(٤) سلك الماسونية

ومنهُ . سمعت ان في بلدان اوربا ينتظم في سلك الماسونية كثيرون من ذوي المقامات كبعض اعضاء العائلات المالكة فهل ذلك صحيح وما الداعي لاشتراكهم فيها

ج . ذلك صحيح وفي الماسونية مرغّبات اخرى للاشتراك فيها غير ما تقدم مثل الرتب والنياشين وحفلات الانس . والملوك واصحاب المقامات اميل من غيرهم الى هذه الامور فلا عجب اذا اشتركوا في الماسونية بل العجب اذا لم يشتركوا فيها

(٥) النساء والماسونية

ومنهُ . هل تقبل النساء في الجمعيات الماسونية او هي خاصَّة بالرجال

ج . ان بعض الجمعيات الماسونية يقبل النساء بين اعضائها ولكنها قليلة والغالب انها خاصة بالرجال

(٦) علاج السل والزهري

مصر . زايد افندي عبده . نرجو افادتنا

في مجلتكم عن معالجة السل والزهري والرمد وهل تشفى هذه الامراض بطرق العلاج الحديثة وهل ثبت انها كلها من الامراض المعدية

ج · لقد نشرنا مقالات كثيرة في المقتطف في معالجة هذه الامراض وغيرها ولكن مقالات المجلات مهما اتسعت لا تغني عن الطبيب الذي يشاهد المريض ويرى سير المرض وكل الاحوال الخصوصية في سنهِ وبنيتهِ ووراثتهِ واحوال معيشتهِ وتأثير العلاج فيهِ فان هذه الاحوال تختلف باختلاف الاشخاص فيجب ان ينوَّع العلاج بحسبها · والسل يشفى غالبًا اذا كان لا يزال في درجتهِ الاولى وقد يشفى في الدرجة الثانية ايضًا وقلما يشفى في الثالثة · والزهري يشفى غالبًا في كل درجاتهِ ولكن قلما يزول تأثيرهُ من الجسم · والرمد يشفى دائمًا اذا عولج العلاج المناسب وهذه الامراض مُعْدية كلها

(٧) تعلم لغة اجنبية

المرابعين · احمد افندي الالفي · اريد ان اتعلم لغةً اجنبيةً بطريقة توفر عليَّ كل ما يمكن توفيرهُ من الجهد والوقت فما هي الطريقة الفضلى لذلك

ج · ان تعلُّم لغة اجنبيَّة يتوقف على ثلاثة امور الاول ان يكون في المرء ذاكرة قوية وميل الى تعلُّم اللغات الاجنبيَّة· والثاني ان يكون في سعة من الوقت ليدرس ساعات عديدة كل يوم · والثالث ان يجد مدرّسًا يعرف كيفية تدريس اللغة ويرغب في تدريسها · فاذا كنتم ترغبون في درس لغة اجنبية وانتم في سعة من الوقت لتعلمها فلا يبقى الاَّ ان تجدوا المدرس الذي يعرف اساليب التدريس ويرغب فيهِ · ولا يسهل ان تجدوا مدرسًا كذلك وقلما تجدون مدرسةً تصلح للتدريس وترضى ان تنقطع لتدريسكم

(٨) الكفاءات الالمانية

ومنهُ · ألا ترون ان الكفاءات الالمانية التي اشتهرت الآن اكبر من ان توصف بالوصف الذي وصفها بهِ مؤلف سر تقدُّم الانكليز السكسونيين

ج · لا يمكن الحكم على الكفاءات الالمانية الاَّ بعد انتهاء الحرب جريًا على المثل الانكليزي القائل ان الذي يضحك حقيقة هو الذي يضحك اخيرًا · او كما نقول نحن الامور بعواقبها والعاقبة للمتقين · ومن المرجح عندنا انهُ لا ينقضي هذا العام حتى يثبت ان الكفاءات الالمانية دون غيرها · نعم ان الكفاءة الالمانية لا تنكر ولكن ظهر اولاً انها اقوى من غيرها لحيلة كان يجب ان يترفع الناس عنها وهي التستُّر التام في الاستعداد للفتك بالغير واخذ العدو على غرَّة فان كبار النفوس حتى في زمن البداوة كانوا يترفعون عن هذه الخلَّة ويأتون عدوهم جهارًا في رائعة النهار لا في الخفاء ولا في الظلام

(٩) ثدي الرجل

الاسكندرية · ابرهيم افندي راشد · ما الفائدة من وجود الثدي في صدر الرجل

ج · لا فائدة منهُ ويقول علماء البيولوجيا انهُ عضو اثري يدل على انهُ كان للرجل ثديان للرضاع كثديي المرأة ثم صغرا رويداً رويداً حينما اختصت المرأة بارضاع الطفل فصارا اثريين في الرجل · واذا صحَّ لنا ان نبدي رأينا في هذه المسألة ارتأينا ان وجود الثدي (او الثندوة) في صدر الرجل ناتج عن كون دقائق البيضة الملقحة تحتوي جراثيم من كل الاصول التي في جسم الاب وفي جسم الام وينشأ منها الجنين ذكراً او انثى حسب كون اكثرية الجراثيم المميزة آتية من الاب او من الام· لكن كون اكثرية الجراثيم المميزة للذكر آتية من ابيهِ لا تمنع ان يكون فيهِ بعض الجراثيم المميزة من امهِ وفي جملتها جراثيم من الثديين غير انها لا تكوّن ثديين كبيرين اما لضعفها او لان سائر الجراثيم المميزة للذكر تحول دون نموها

(١٠) الفائدة من بناء الاهرام

ومنهُ · ما الفائدة من بناء الاهرام على هذه الحالة من المتانة

ج · يظهر ان الذين بنوها قصدوا التباهي بجندهم وقوتهم فارادوا ان تكون مدافنهم اعظم من مدافن الملوك الذين كانوا قبلهم او من اعظم ما يستطيعون انشاءهُ وامتنهُ كما يفعل الناس الآن في بناء مدافنهم · ومن المحتمل انهم قصدوا ان تكون خالدة تقي اجسادهم من غيَر الزمان لاعتقادهم بخلود الاجساد وعود النفوس اليها او بشعورها بما يصيبها بعد الموت

(١١) الحيوانات الثديية التي تبيض

الزقازيق · ما هي الحيوانات الثديية التي تبيض

ج· هي الأرنيثورنكس Ornithorhynchus اي ذو المنقار الطائري لان لهُ منقاراً مثل منقار البط والاخدنا Echidna وهي حيوان صغير يأكل النمل· فالحيوانات التي من هذين النوعين تبيض بيضاً وبيضها شبيه ببيض الطيور والزحافات ولها اثدٍ ترضع اجنتها منها مثل اثدي باقي ذوات الثدي· وسنعود الى وصفها في فرصة اخرى

(١٢) اختيار الزوجة

ومنهُ · شاب امامهُ فتاتان الاولى جميلة لم تتعلم تربت في وسط ريفي طيبة الاخلاق يميل اليها قلبهُ · والثانية اقل من الاولى جمالاً متعلمة ولا تقل عن الاولى في طيبة الاخلاق وهي من بيت مدني يؤدي تزوجهُ بها الى رفعهِ الى طبقة اعلى من طبقتهِ يميل اليها عقلهُ · فايهما ترون انهُ يسعد بتزوجها هو وذريتهُ

ج · لقد تركتم من الوصف امرين جوهريين الاول ميل الفتاة والثاني صحتها فان

رغبة الفتاة وصحتها يجب ان تحسب من اهم دعائم السعادة البيتية فاذا تساوت الاخلاق والصحة والميل وكان الفرق بينهما محصوراً في الجمال والعلم والوجاهة فالعلم والوجاهة يفوقان الجمال على شرط ان يكون الشاب متعلماً ووجيهاً او متعلماً وقادراً على مجاراة الوجهاء والأصغر في عيني زوجته وترجح ان لا يعيش معها عيشة الهناء

(١٣) مرض بط

الاسكندرية ط ر . لي اخ في التاسعة من عمره مرض في اوائل يناير سنة ١٩١٦ بمرض في الاعصاب ظُن في بادىء الامر انهُ روماتزم فعولج بالاسكندرية فلم يشفَ فسافرنا بهِ الى حلوان في شهر ابريل سنة ١٩١٦ ومكث بها نحو اربعة اشهر فلم يشفَ ايضاً ولم يمكنهُ المشي فعرضناهُ اخيراً على حضرة الدكتور سليمان عزمي بك فقرر انهُ مريض في آخر عظمة من عظام العمود الفقري تسبب عنهُ ضغط في النخاع وهذا هو السبب في تألمهِ وعدم قدرتهِ على المسير واشار بتجبيسهِ ولا علاج لهُ سوى ذلك او وضع الجزء الاسفل من جسمهِ في صندوق يصنع خصيصاً لذلك فعدنا بهِ الى الاسكندرية موطننا وعملنا لهُ لجنة استشارية دفعتين فقرروا كما قرر حضرة الدكتور عزمي بك

وقد مضى على هذا الغلام اكثر من عام وهو طريح الفراش لا يقوى على الجلوس او المشي وصحتهُ العمومية جيدة

فهل تتكرمون حضراتكم بنشر ذلك والافادة على صفحات مجلتكم الغراء عن اصل هذا المرض وعن علاجهِ

ج اذا كان الاطباء الذين رأَوا اخاكم وفحصوهُ قد قرروا انهُ مصاب بهذا المرض المسمَّى مرض بُط Pott فيجب الاعتماد على علاجهم . ولولا قرارهم هذا لظننا ان اخاكم مصاب بالتيبُّس المعروف بالمباجو lumbago وعلاجهُ بسيط

(١٤) البيرة والشعير

براغشتا بالبرازيل . الخواجات نون وخوري . تقولون ان البيرة تصنع من الشعير المخمَّر . ومرَّة سألت صاحب معمل ليعطيني انموذجاً من الشعير الذي عندهُ لاستورد منهُ من سورية فاعطاني ولكنهُ كان محمصاً وقال من هذا نصنع البيرة فهل تصنع من الشعير غير المحمَّص ايضاً

ج . ان الشعير المحمَّص كان غير محمص فانهُ ينقع اولاً في الماء حتى يبتل جيداً ويكاد يفرخ أي حتى يتحوَّل بعض النشا الذي فيهِ الى سكر ثم يجفف في فرن حتى يتحمص وبعد ذلك ينقع وتصنع البيرة منهُ . والظاهر ان الذي سألتموهُ لم يشأ ان يخبركم عن كل عملية البيرة او ان العملية هناك مقسومة بين معملين الواحد يبل الشعير ويحمصهُ والآخر يصنع البيرة منهُ



اوجه القمر في شهر ابريل

	يوم	ساعة	دقيقة	
البدر	٧	٣	٤٩	مساء
الربع الاخير	١٤	١٠	١٢	«
الهلال	٢١	٤	١	«
الربع الاول	٢٩	٧	٢٢	صباحاً
القمر في الاوج	٢	٩	١٢	«
« « الحضيض	١٨	٥	١٢	«
« « الاوج	٣٠	٤	١٢	«

السيارات

عطارد والمشتري كوكبا مساء
الزهرة لا تشاهد
المريخ لا يشاهد في اول الشهر ثم يصير كوكب صباح في آخرهِ
زحل يغرب نحو الساعة ١ صباحاً

مدرسة الدروس الشرقية البريطانية

انبأتنا التلغرافات انهُ احتفل في ٢٣ فبراير الماضي بافتتاح مدرسة اللغات الشرقية البريطانية التي أُنشئت في مدينة لندن وحضر الافتتاح جلالة ملك الانكليز والملكة وابنتها البرنسس ماري . فافتتح الاحتفال السر جون هوت بخطبة اجابهُ عليها الملك ومما قالهُ الملك في خطبتهِ انهُ يسرني جداً ان أُحسب حامياً لمدرسة الدروس الشرقية وانا على غاية السرور لاني شاركتكم اليوم في افتتاح هذا البناء الجميل الذي ستدار المدرسة فيهِ من الآن فصاعداً . ولا ابالغ مهما اطنبت في اهميتها لانها ستمهد للرجال الذين كان منهم روّاد حسن الادارة ومقومات النجاح في الهند ومصر فرصاً جديدة للدرس والبحث وتجهز بمعارف فنية جديدة روّاد الصناعة والتجارة الذين يأخذون على انفسهم جيلاً بعد جيل الاحتفاظ بشهرة بريطانيا الصناعية والتجارية في البلدان الشرقية . وسيأول عملها الى توثيق عرى الصداقة القائمة الآن بين رعاياي وبين اليابان حليفتي في اقصى المشرق . وينتظر من هذه المدرسة اكثر من ذلك ايضاً وهو انها اذا فازت في حمل الطلبة الذين يرسلون الى البلدان الشرقية كمعلمين يعلمون الحكام ان يحكموا بالعدل والتجار ان يتاجروا لنفع الناس — على فهم حقيقة افكار الشعوب الشرقية المختلفة وعاداتهم ففوائد هذا الفوز تمتد الى ابعد من النجاح المادي القريب

ان لعلوم الهند وفنونها شأناً كبيراً في تاريخ البشر وانا اتوقع من هذه المدرسة ان تبث في نفوس شعبي ميلاً شديداً الى الامور العقلية التي اختصت بها تلك البلاد العظيمة وان تؤيد العلماء المشتغلين بالبحث فيها الفائدة البلادين

وابدى الملك اسفهُ الشديد لان المنية عاجلت لورد كرومر قبلما رأى هذا الاحتفال بافتتاح هذه المدرسة لاسيما وانهُ كان يقدر لها الشأن الاكبر وكان يقول ان الامبراطورية البريطانية اجدر كل الممالك بالاهتمام بالدروس الشرقية و لافتخار بها

ثم خطب اللورد كرزن (حاكم الهند الاسبق) فقال ان لورد كرومر قد وجه الى انشاء هذه المدرسة من الهمَّة والمواظبة وحسن الادارة ما امتازت بهِ اعمالهُ كلها فانهُ ما من شيء كان اصغر من ان يستحق اهتمامهُ او اكبر من ان يعجز عن الاحاطة بهِ. ثم قال لقد زعم البعض ان الشرق والغرب لا يلتقيان اما هو فيرى ان الفاصل الذي بينهما سيزول واذا لم تتمكن هذه المدرسة من الوصل بين نفوس الشرقيين ونفوس الغربيين خاب اعتقادهُ فيها

حقائق في ارضاع الاطفال

ظهر حديثاً مؤلف انكليزي بقلم الدكتور لاين كلايبون عنوانهُ اللبن وصحة الجمهور نشر بعناية لجنة المباحث الطبية. وخلاصة ما جاء فيهِ عن ارضاع الاطفال بالطبيعة والصناعة (١) ان الارضاع الطبيعي يفوق الصناعي فوقاً ظاهراً. (٢) ان لا فرق على ما يظهر بين اطعام الطفل لبناً مغلًى واطعامه لبناً غير مغلًى. (٣) ان التغيير الذي يطرأ على اللبن بعد اغلائهِ مدة وجيزة لا يضرُّ بهِ من الوجهة الغذائية. (٤) قد يكون ثمة علاقة بين مرض بارلو (اسكربوط الاطفال) واغلاء اللبن مرتين ولكن تلك العلاقة غير واضحة. (٥) ليس هناك دليل ثابت على ان شرب الاطفال اللبن المغلى يولّد فيهم الكساح

اسعار الحبوب في المستقبل

طُلب من الفلاحين في هذا القطر ان يكثروا من زرع الحبوب اي من زرع القمح والذرة ووعدت مصلحة الري ان تقدم لم الماء الكافي لزراعة الذرة الصيفية اذا ارادوا زرعها. وهو ترغيب حسن قد يعمل بهِ الفلاحون ولكن المرغّب الاكبر للفلاحين في توسيع نطاق الزراعة واتقان خدمتها هو الربح منها فاذا ارتفعت الاسعار حتى تحقق الفلاح انهُ يربح من زراعتهِ ربحاً يفي بنفقاتهِ ويسدد منهُ ايجار الاطيان بسهولة ويبقى لهُ ما يقوم بمعيشتهِ فانهُ يرغب في الزرع والخدمة والاَّ فلا. فلو شُفع ترغيب الفلاحين في زرع الحبوب بوعد من الحكومة انها تشتري

منهم اردب القمح مثلاً بمئتي غرش على الاقل واردب الذرة بمئة وخمسين غرشاً لزادت الرغبة في الزرع والخدمة اضعاف ما تزيد الآن بهذا الترغيب البسيط ولنا اسوة بالحكومة الانكليزية التي وعدت فلاحي بلادها ان تشتري منهم كوارتر القمح بستين شلناً على الاقل سنة ١٩١٧ وبخمسة وخمسين شلناً على الاقل سنة ١٩١٨ و١٩١٩ وبخمسة واربعين شلناً على الاقل سنة ١٩٢٠ و ١٩٢١ و ١٩٢٢ . والكوارتر نحو اردب ونصف . ووعدت الحكومة الانكليزية ان تشتري طن البطاطس بستة جنيهات على الاقل

التحكم في نمو الجسم

روت الدايلي مايل الانكليزية ان الدكتور روبرتسن استاذ علم الكيمياء المختصة بالاجسام الحية (والمعروفة باسم بيوكيميا او الكيمياء الفسيولوجية) في جامعة كليفورنيا استخلص من الغدة النخامية (الواقعة في اعلى الانف من الداخل متصلة بالدماغ) مادة تؤثر في نمو الجسم وتتحكم فيهِ . والمعروف منذ سنة ١٨٨٦ ان مفرزات هذه الغدة تؤثر في نمو الجسم وذلك حينما اكتشف الدكتور ماري المرض المنسوب اليهِ او المعروف باسم اكروميجاليا وهو مرض مزمن اظهر اعراضهِ تضخم عظام اليدين والرجلين والوجه . وفي سنة ١٨٩٥ استخلص الطبيبان اولفر وشايفر من الغدة المذكورة مادة تؤثر اعظم تأثير في انسجة العضلات غير المخططة وفي جدران الاوعية الدموية اما المادة التي تحكم في نمو الجسم فلم تكتشف قبل اكتشاف الدكتور روبرتسن لها اذا صحت رواية الدايلي مايل

الحروب والامراض

كان قتلى الامراض في معظم الحروب القديمة اكثر من قتلى السلاح . وفي بعض الحروب الحديثة كحرب الترنسفال مثلاً بقي فتك الامراض شديداً مع كل ما بذل من العناية في اتقائها . اما في الحرب الحاضرة فلا يكاد قتلاها يذكرون في جنب قتلى المدافع . فقد خطب السر الفرد كيو المدير العام للمصلحة الطبية في الجيش الانكليزي خطبة في المجمع الملكي للصحة العمومية في ١٤ فبراير الماضي فقال ان عدد اصابات التيفويد حينئذٍ في الجيش الانكليزي الذي في الميدان الغربي خمس فقط واصابات الباراتيفويد ثماني عشرة اصابة وهناك ٧٠ اصابة او ٨٠ اصابة مشتبهاً فيها . وقال ان سبب قلة الاصابات بالتيفويد هو التلقيح الواقي منها وسبب قلة سائر الامراض هو الطعام الجيد والعناية بالوسائل الصحية . ومما قالهُ ايضاً ان صحة الجيوش في جميع الميادين احسن منها في زمان السلم

وجاء في بيان تلي في مجلس النواب الانكليزي ان عدد اصابات التيفويد بين

رجال الجيش الانكليزي في جميع الميادين بلغ من اول الحرب حتى اول نوفمبر الماضي ١٦٨٤ واصابات الباراتيفويد ٢٥٣٤ . اما في حرب الترنسفال فقد بلغت الاصابات بهما ٦٠ الفاً والوفيات ٨٢٢٧

ومما يدلُّ على فعل التلقيح الواقي من التيفويد ان عدد الذين اصيبوا بهاولم يلقحوا بلغ ١٥ ضعف الذين اصيبوا بها بعد التلقيح. وعدد الذين توفوا بها من اهل الفئة الاولى سبعون ضعف الذين توفوا بها من اهل الفئة الثانية

اهتداء الطيارات الى اماكن نزولها

استنبط الالمان طريقة لاهتداء الطيارات الى اماكن نزولها ليلاً وذلك انهم وضعوا في الساحة التي تنزل فيها الطيارة مصباحاً كهربائياً ابيض ساطعاً جدًّا جعلوهُ في حفرة في الارض وغطوهُ بلوح ثخين من الزجاج ووضعوا الى الشرق والغرب والشمال والجنوب منهُ اربعة مصابيح كهربائية حمراء وكل منها يبعد عن المصباح الاوسط ٢٥٠ قدماً وهو متصل بعمود فيهِ دليل للريح فلا ينير المصباح الا اذا كانت الريح تهبُّ من تلك الجهة فيرى الطيار المصباح الاوسط فيعلم اين يجب ان ينزل ويرى احد المصابيح الحمراء فيعلم جهة مهب الريح ويعرف كيف يتجه في نزولهِ

المقاييس الانكليزية

ارتأى كثيرون من الكتاب الانكليز من عهد طويل ان يلغى نظام المقاييس المتبع في انكلترا من موزون ومكيل وممسوح ويقتبس مكانهُ النظام العشري او المتري المتبع في فرنسا على ان منهم من لا يستصوب هذا الابدال بل يقول بوجوب ابقاء النظام الحالي بعد ادخال بعض التغيير عليهِ . ومما اقترحوهُ زيادة الرطل الانكليزي بحيث يساوي نصف كيلو غرام اي زيادتهُ ١٠ في المئة وزيادة الجالون الحالي ١٠ في المئة ايضاً بحيث يساوي ٥ لترات وبذلك لا يتغير التعريف الرسمي للجالون وهو عشرة ارطال من الماء المقطر . ولكن مجلة نانشر ترى انهُ اذا كان لا بدَّ من تغيير نظام المقاييس الحاضر فخير الامور اقتباس النظام العشري كلهِ

الاشربة الروحية

بلغ ثمن الاشربة الروحية التي بيعت في بلاد الانكليز في العام الماضي اكثر من مئتي مليون جنيه وكانت سنة ١٩١٤ نحو ١٦٤ مليون جنيه فقط مع ان ثلاثة ملايين من رجال الانكليز هم الآن خارج بلادهم . ولكن المرجح ان هذه الزيادة في ثمن ما شرب من الاشربة الروحية ناتجة عن غلائها لا عن زيادة مقدارها

مصائب الحرب

انشأ الدكتور ديماس من مشاهير اطباء فرنسا مقالة في مجلة « رفودي باري » عن تأثير الحرب في اعصاب الجنود وانواع الخبل الذي يعتري فريقاً منهم فقال ان الخبل الذي شاهدتهُ في معظم الجنود في مستشفيات المجاذيب نشأ عن ارتجاف عصبي سببهُ الاضطراب والذعر. فالمصابون بهذا النوع من الخبل يستولي عليهم الرعب وتصيبهم نوبات عصبية شديدة من سماعهم اقل دوي يذكرهم بدوي المدافع في ميدان القتال. وقد فحصت ٣٤٨ مصاباً منهم في الاشهر الماضية فوجدت ان بينهم ٦٥ جندياً فاقدي النطق لا يستطيعون الاجابة عن الاسئلة التي تلقى عليهم الا كتابة وهم يستغربون كيف يتفاهم الناس بالكلام. واذا امر احدهم بان ينطق وفهم الامر فتح فمهُ وزفر زفيراً شديداً ولكنهُ لا يحرك لسانهُ ولا شفتيهِ وعبثاً كنا نحاول ان نحملهُ على الاقتداء بنا في تحريك الشفتين واللسان

ومن اهم الاعراض التي شاهدتها ان بعض المصابين بالاضطراب العصبي تلتوي ظهورهم و يقولون انهم لا يستطيعون الوقوف منتصبين لشدة الالم. وقد وصف احد تلامذة السوربون الاعراض التي اصابتهُ فقال للدكتور ديماس: « انفجرت قنبلة على مقربة مني فاحدثت دوياً شديداً افقدني رشدي ولم اعد الى صوابي الا بعد دخولي المستشفى فبقيت فيهِ ثلاثة ايام لا استطيع التفكير ولا النطق وكنت ارى نوعاً من الحشرات حولي واسمع ازيزاً اخالهُ دوي المدافع فيعتريني الخوف و يأخذ مني الذعر مأخذهُ فاغيب عن صوابي واعود لا اشعر بشيء »

ومن انواع الخبل الذي يعتري الجنود عادة نسيانهم كل ما جرى في حياتهم وقد قال الدكتور ديماس في مقالتهِ المشار اليها انهُ رأى ضابطاً لا يستطيع القراءة ولكنهُ يستطيع ان يرسم الكتابة رسماً بديعاً متقناً لا يفرقهُ الناظر عن الاصل

ومن رأي الدكتور ديماس ان هذه الاعراض قد لا تزول تماماً في المستقبل وانهُ ينبغي للحكومات ان تنظر في شؤون هؤلاء المساكين لتعولهم بعد الحرب

الحديد في كندا

سبكت بلاد كندا ١٠٤٦١٨٥ طناً من الحديد سنة ١٩١٦ وسبكت ٨١٥٨٧٠ طناً سنة ١٩١٥ و ٦٩٩٢٥٦ طناً سنة ١٩١٤ فالحرب زادت مقدار المسبوك لغلاء سعرهِ وكثرة الطلب عليهِ. وقد صنعت من الصلب ١٢٧٠٩٦٩ طناً سنة ١٩١٦ ولم تصنع سوى ٨٧٦٥٦١ طناً سنة ١٩١٥

القرض الانكليزي الحديث عنوان الثروة

طلبت الحكومة الانكليزية من شعبها مالاً جديداً لمواصلة الحرب دعتهُ قرض النصر وجعلت فائدتهُ ٥ في المئة سنويًّا فبلغ المال الذي قُدّم لها اكثر من الف مليون جنيه من ذلك ٨٢٠ مليون جنيه اموال جديدة اكتتب بها الجمهور بواسطة بنك انكلترا و٣١ مليون جنيه اكتتب بها بواسطة مصلحة البوستة و١٩ مليون جنيه بواسطة شهادات التوفير الحربية و١٣٠ مليون جنيه سندات قديمة ابدلت بسندات جديدة من سندات هذا القرض

اصنام المصريين القدماء

نشر الاستاذ فلندرس بتري مقالة في مجلة « مصر القديمة » موضوعها آثار الموتى . وقد قال فيها ان المصريين القدماء كانوا يحفظون بعض آثار موتاهم في منازلهم واهمُّ هذه الآثار رؤُوسهم اقتبسوا هذه العادة عن بعض متوحشي افريقية . على انهم حرصاً على مصلحة الاموات انفسهم رأَوا ان يعيدوا رؤُوسهم فيما بعد الى قبورها معتاضين عنها باحجار نقشت على اشكال الرؤُس وهيئات الوجوه فكانت من ذلك الاصنام . وغرضهم من هذه الاصنام المحافظة على صورة الميت اذا فقد رأْسهُ الحقيقي

مثل من طوال الاعمار

توفي حديثاً رجل انكليزي عمرهُ ١٠٥ سنوات . فانهُ ولد سنة ١٨١٢ وهي السنة التي غزا نابليون الاول فيها روسيا حتى اذا بلغ موسكو احرقها اهلها وكان من امره ما كان . وبقي هذا الرجل يستخرج الذهب من مناجم كليفورنيا واوريجون في اميركا حتى بلغ السادسة والثمانين من سنهِ ثم انقطع للبحث عن الذهب في ولاية كولمبيا الانكليزية وبلاد يوكون الشمالية المعروفة بشدة بردها وجدها فالفح كثيراً وذلك بعد مجاوزته العقد الثامن اي ضعفي السن التي صاح فيها الشاعر العربي مستغيثاً معتذراً عن كلال حدّ مخيلته ونضوب معين قريحته فقال

وماذا تبتغي الشعراء مني
وقد جاوزت حدّ الاربعين

اهتزاز الهواء

يهتز الهواء بالصوت اهتزازات يبلغ اكثرها في الصوت المسموع نحو ٦٠٠٠٠ اهتزازة ولكن لا شبهة في انهُ يهتز اهتزازات اسرع من هذه لا تشعر بها اذن الانسان وقد ارتأى بعضهم الآن ان تبذل الهمَّة لعمل آلة تمكن الانسان من ان يشعر باهتزازات الهواء ولو بلغ عدها مليون اهتزازة في الثانية من الزمان

الطيور والزراعة

الطيور على ثلاثة انواع نوع يأكل الحشرات والمواد الحيوانية لا غير ولا يأكل الحبوب مطلقاً وهذا النوع مفيد للزراعة الاَّ اذا اكل الحشرات التي تفترس غيرها لكن فائدتهُ اكبر من ضررهِ من هذا القبيل . ونوع يأكل الحشرات والحبوب فيكون نفعهُ او ضررهُ على نسبة الاكثار من اكل الحشرات او الحبوب ونوع يأكل الحبوب فقط وهو ضار حتماً فيجب صيدهُ واستئصالهُ ان امكن

السمك الذهبي

اقام رجل ياباني اسمهُ مورانا في سان فرنسسكو باميركا وجعل يربي فيها السمك الذهبي ويبيعهُ للسكان ويقال ان عندهُ الآن من هذا السمك ما يساوي ثلاثين الف جنيه وان ربحهُ السنوي يبلغ اربعة آلاف جنيه وعندهُ نوع من السمك رأسهُ يشبه رأس الاسد وهو يبيع السمكة منهُ بثلاثين جنيهاً

الجاذبية والحرارة

كان المظنون حتى الآن ان حرارة الاجسام المتجاذبة لا تؤثر في ما فيها من قوة الجذب بعضها لبعض ولكن ظهر من تجارب حديثة جرَّبها الدكتور شو ان للحرارة تأثيراً في قوة الجذب التي في اكبر الجسمين المتجاذبين . الاَّ ان هذا التأثير طفيف جدًّا

نقص المواليد في المانيا

بلغت المواليد في برلين في الاسبوع الذي آخرهُ ٣٠ دیسمبر الماضي ٣٧٦ مقابل ٣٣١ مولوداً في امستردام اكبر مدن هولندا اي ان مواليدهما تكاد تكون متساوية مع ان سكان برلين يبلغون نحو ثلاثة اضعاف سكان امستردام . وبلغت المواليد في مدينة ليبتسك نصف مواليد امستردام مع ان سكان الاولى يزيدون ٥٠ الف نفس على سكان الثانية . وقد صحب نقص المواليد في برلين نقص الزواج وزيادة الوفيات

الاعتقاد بالارواح الشريرة

ربما كان اهل كوريا اشدَّ الناس اعتقاداً بالارواح الشريرة فهم يعزون اليها كل شرّ ونحس وخسارة نقود او منصب وخصوصاً كل مرض ولذلك كثر عندهم الرقاة والسحرة والمشعوذون والمشعوذات والنفاثات في العقد والضوارب بالحصى . وكثير من السحرة عميان ولعل سبب الاعتماد على العميان في مثل ذلك اعتقاد الامم المتوحشة او التي تمدنت قليلاً بان الذين حرموا بصرهم اعطوا بدلاً منهُ بصيرة شديدة

وفاة طبيب شهير

نعت صحف اسوج الدكتور ادوارد فيلندر الطبيب الشهير المختص بالامراض الزهرية ومعالجتها بالزئبق . وقد بلغ من عنايته وتدقيقه انهُ لقح ساعدهُ مرة بمستحضر من الزئبق وجعل يتتبع سيرهُ في جسمهِ بواسطة صور فوتغرافية اخذت باشعة اكس . وحارب هذه الامراض ايضاً بانشاء مستشفى لتربية الاولاد الذين ابتلوا بالزهري بجناية آبائهم ثم حذت العواصم الاوربية حذوهُ في ذلك

زراعة القصب واتقان الزراعة

تزرع بلاد الهند ٢٥٠٠٠٠٠ فدان من قصب السكر ولا تستغل منها الا ٢٦٠٠٠٠٠ طن من السكر اي ان غلة الفدان فيها نحو طن فقط مع ان غلتهُ في جاوي اربعة اطنان وفي القطر المصري نحو خمسة اطنان وفي جزائر هواي تسعة اطنان

مجموعة اسلحة اللورد كتشنر

كان عند اللورد كتشنر اسلحة شرقية قديمة جمعها من الهند وايران والصين واليابان والسودان وغيرها . وقد أعارها اوصياه تركتهِ لمجلس كونتية لندن ليعرضها في معرض ينوي اقامتهُ قريباً

النار اليونانية

بعث الاستاذ زنغلس الى اكادمية العلوم بباريس رسالة عن النار اليونانية قال فيها ان موادهذه النار كانت ملح البارود وبعض المواد القابلة الاشتعال كالكبريت والفحم والقلفونة والزيت . وان اول من ذكرها ثيوفانوس المؤرخ سنة ٧٥٠ للميلاد اذ قال ان كلينيكوس البعلبكي استخدم هذه النار في دفع سفن العرب عن القسطنطينية في عهد الامبراطور قسطنطين الرابع سنة ٦٧٢ وقال ان كلينيكوس كان يقذف المواد المشتعلة من انبوب في مقدم سفينتهِ فتبقى مشتعلة ولو غاصت في الماء

بلوغ القطب الشمالي بالطيارة

ينوي امندصن الرحالة النروجي الشهير محاولة بلوغ القطب الشمالي بالطيارة وسيبدأُ رحلتهُ هذه في صيف السنة القادمة فيقصد القطب من شمال اوربا و يقصدهُ رحالة آخر انكليزي اسمهُ بارتلت بطريق بوغاز بيرين فيلتقيان فيهِ اذا اسعدها الحظ

اقوى المصابيح الكشافة

صنع الاميركيون مصباحاً كهربائيًّا كشافاً نورهُ يعادل نور مليون وخمس مئة الف شمعة والغرض منهُ اكتشاف الطيارات والبلونات اذا كانت طائرة في ظلام الليل

فهرس الجزء الرابع من المجلد الخمسين

صفحة

المقتطف

الجزء الخامس من المجلد الخمسين

١ مايو (ايار) سنة ١٩١٧ — الموافق ١٠ رجب سنة ١٣٣٥

الحياة بعد الموت

ومناجاة الارواح (تابع ما قبلهُ)

لم يكتفِ السر اوليفر لدج بتناول اخبار ابنهِ من الوسطاء الذين كانت زوجتهُ تستخبرهم بل استعان هو بهم على التكلم مع ابنهِ لشدَّة اقتناعهِ بصدقهم. ففي ٢٩ اكتوبر ذهب الى بيت وسيط اسمهُ بيترس ولم يكن بيترس يعرف مَن هو على قولهِ بل اخذهُ اليهِ صديق لهُ اسمهُ هل لكي يوسطهُ في الكلام مع رجل ميت. فوقعت الغيبوبة على بيترس حسب العادة واذا بشاب تجلَّى لهُ وجعل يكلمهُ. ولبيترس هذا مرشد اسمهُ مونستون فقال ان الذي تجلَّى لهُ هو ابن السر اوليفر لدج. وهاك ما دار من الكلام بين بيترس الذي كان يتكلَّم بلسان مرشدهِ وبين السر اوليفر لدج على ما كتبهُ لدج

بيترس للدج — ان الاسلوب المعقول الذي تناولتَ بهِ هذا الموضوع قد شجعهُ لكي يعود اليك كما فعل ولو لم يعلم ما اخبرتهُ بهِ لتعذَّر عليهِ ان يأتي اليك. وهو كثير التروي فيما يقول و يعلم ما يقول انعرف F. W. M. (وهي الحروف الاولى من اسم الاستاذ ميرس)

لدج — نعم اعرفهُ

بيترس — اني ارى هذه الاحرف الثلاثة وهل تعرف S. T. المرسومة بعدها نعم S. T. ثم نقطة ارانيها ابنك

لدج — نعم فهمت (اردت اني فهمت اشارتهُ الى قصيدة ميرس عن سنت بول (مار بولس)

بيترس — يقول لي انهُ ساعدهُ كثيراً اكثر مما تظن اي F. W. M.

لدج — بارك الله فيهِ

بيترس — يضحك ابنك وهو يقول ان لهُ غرضاً آخر ابعد من ذلك. لا تظن ان الامر مقصور على ذكر مساعدته لهُ كلاً بل هو يريد انك تتمكن ببسالتك الادبية من التغلب على هزء الجهلاء وتجعل الجمعية مفيدة للناس. افهمت (يريد جمعية المباحث النفسية)

لدج — نعم

بيترس — و يقول الآن هكذا «لقد ساعدني لانهُ يستطيع بواسطتك ان يهدم السد الذي اقامهُ الناس وبعد ذلك ستكلمهم انت. وهذا امر مقرَّر وستزيل انت الحاجز بسببي». ثم قال «بالله عليك يا ابي افعل ذلك لانك لو عرفت ورأيت ما ارى. فان مئات من الرجال والنساء شقَّت مرائرهم ولو نظرت الجنود عندنا وقد بعدوا عن ذويهم لتناولت هذا العمل بكل جهدك وانت قادر عليهِ» اراهُ يتكلم بجدة. وهو يرغب — كلاً لا بد من منعهِ لا اريد ان يتحكم في وسيطهِ لا يقدر ان يقوم بالعمل الذي يريد عملهُ لئلاً يمرض الوسيط ولا بدَّ لي ان اقيهُ لان التهييج يزيد على احتمالهِ وعلى احتمالك ولذلك لا بدَّ لي من ان امنعهُ من التحكُّم فيهِ. هو يفهم ولكنهُ يطلب مني ان اخبرك بذلك لقد شعر بالفشل التام لما ذهب ولم يكن الموت ليخطر لهُ ببال وهذا الفشل احزنهُ حزناً شديداً. قال ذلك وصمت هنيهة ثم قال هذا زمن شقَّت فيهِ القشور عن الرجال والنساء. قشور العُرْف وقلة الاكتراث شقَّت وصار كل احد يفكر ولو كان البعض مغترّين بانفسهم

ولنمدْ اليهِ ما اصبرهُ. لم يكن قبلاً صبوراً كما هو الآن. بعد اليأس بارقة الامل لانهُ رأى انهُ يستطيع العودة اليك لان جدَّتهُ جاءت اليهِ ثم أتي باخيهِ وعرّف بهِ ثم جاء غيرهُ. ميرس. قال ميرس اتفهم معنى ذلك. ميرس جاءهُ فعلم انهُ يستطيع الرجوع. نعم علم ذلك والآن طلب مني ان اقول لك انهُ منذ موتهِ الذي هو واحد من الوف العمل الذي — عليَّ ان اعبّر عن افكارهِ بالكلام لانني لا اسمع منهُ كلاماً ملفوظاً — العمل الذي تطوّع لهُ. كلاً ليس هذا المراد. العمل الذي انتظم في الجيش لاجلهِ هذا ما يقولهُ انهُ كان واحداً فقط وظهر كأنهُ فُقِد لكن موتهُ سيكون وسيلة للسير في عملهِ. هذا هو المراد اي ان مئات كثيرين سينتفعون بموتهِ. انتهى باختصار

وقد فهم السر اوليفر لدج من ذلك ان الاستاذ ميرس برَّ بوعدهِ لهُ وساعد ابنهُ وخفف المصاب بهِ حسب اشارتهِ الى قصة فونس والشاعر. ثم انتقل الى حادثة قال ان فيها دليلاً قاطعاً على إنباء الوسيط بما لم يكن يعلمهُ هو ولا احد من الحضور معهُ وذلك دليل قاطع على ان روح ريمند اخبرتهُ بهِ. والحادثة هي ان ريمند تصوَّر مع جماعة من الجنود

رفاقهِ صورة فوتوغرافية قُبَيل وفاتهِ ولم يرسل منها شيئاً الى اهلهِ ثم اشار اليها احد الوسطاء ووصفها وصفاً بيّناً من غير ان يكون قد رآها او رآها احد من الذين معهُ . قال السر اوليفر واول مَن اشار الى هذه الصورة الوسيط بيترس في بيت مسز كندي في ٢٧ سبتمبر سنة ١٦١٥ فانهُ قال للادي لدج عن لسان مرشدهِ مونستون « عندكم صور كثيرة لهذا الفتى عندكم صورة حسنة منهُ قبلما ذهب صورتان كلاّ ثلاث صور . صورتان تصوّر فيهما وحدهُ وواحدة مع جماعة غيرهِ وقد طلب مني ان انبهكم الى ذلك بنوع خاص . ترون عصاهُ في واحدة منها » قال ذلك واشار كأَن عصاً تحت ابطهِ

ثم قال السر اوليفر لدج ان عندنا صورة فوتوغرافية لهُ وحدهُ بثيابهِ العسكرية ولم نكن نعلم انهُ تصور صورة اخرى فوتوغرافية مع جماعة فارتابت لادي لدج في صحة هذا الكلام حاسبةً ان بيترس ذكرهُ على سبيل الحزر . اما انا فاستوقف نظري قول بيترس ان ريمند طلب منهُ ان ينبهنا الى ذلك بنوع خاص فبحثت عن هذه الصورة فلم اسمع شيئاً عنها الاَّ بعد شهرين فانهُ جاءنا كتاب في التاسع والعشرين من نوفمبر من مسز تشيفس ام الكبتن تشيفس الذي كان يعرف ريمند وقد اخبرنا عن الجرح الذي اصابهُ وقضى عليهِ وهذا نص كتابها

عزيزتي لادي لدج — ارسل الينا ابني صورة جماعة من الضباط صُوّرت في اغسطس ولا اعلم هل عرفت بهذه الصورة وهل عندك نسخة منها فان لم يكن عندكِ منها فهل تسمحين لي ان ارسل اليك نسخةً لان عندنا ست صور مع اسماء الضباط الذين فيها وارجو ان تعذريني على تطفلي هذا لانك كثيراً ما خطرت على بالي بعد ما اصابك ما اصابك بفقد عزيزك

المخلصة ب ب تشيفس

فكتبت اليها لادي لدج حالاً تشكرها وترجو منها ان ترسل اليها الصورة سريعاً ولكن الصورة تأخر وصولها وقبلما وصلت كنت عند مسز ليونارد في بيتها في ٣ دسمبر استنبئها عن ابني فسألتها عن الصورة لكي استوضح وصفها قبلما اراها . وهاك مسائلي واجوبتها عن لسان فدى مرشدتها

لدج — لقد ذكر قبلاً صورة فوتوغرافية تصوّر بها مع غيرهِ ونحن لم نرَها حتى الآن فهل يريد ان يقول شيئاً آخر عنها

الوسيطة — نعم ولكنهُ لا يظن انهُ اشار اليها هنا ونظر الى فدى وقال لها لم اقل ذلك لكِ

لدج — نعم اصاب ليس هنا . ولكن ايقدر ان يقول اين اشار اليها

الوسيطة — قال انهُ لم يشر اليها بواسطة المائدة

لدج — كلاَّ

الوسيطة — ليس هنا مطلقاً ولا يعلم بواسطة من اشار اليها وكانت الاحوال غريبة وكان البيت غريباً

لدج — هل تتذكر الصورة

الوسيطة — يظن ان كثيرين تصوروا معهُ لا واحداً ولا اثنين بل كثيرون

لدج — أكانوا اصدقاءك

الوسيطة — يقول ان بعضهم كانوا اصدقاءهُ وهو لا يعرفهم كلهم جيداً ولكنهُ يعرف بعضهم وسمع عن البعض . لم يكونوا كلهم اصدقاء

لدج — ايتذكر كيف منظرهُ في الصورة

الوسيطة — كلا لا يتذكر كيف كان منظرهُ

لدج — الم يكن احد واقفاً

الوسيطة — لا يظن . كان البعض جالسين في دائرة مرتفعة اما هو فكان جالساً تحت والبعض كانوا مرتفعين وراءهُ وهو يظن ان البعض كانوا واقفين والبعض كانوا جالسين

لدج — اكانوا كلهم جنوداً

الوسيطة — يقول نعم وهم خليط وكان واحد منهم اسمهُ C وواحد اسمهُ R واسمهُ ليس مثل اسمهِ لم يكن R اخر ,K, K, K وقال شيئاً عن K وذكر رجلاً يبتدئ اسمهُ بحرف .B ولفظ لفظاً غير واضح مثل بري او برني

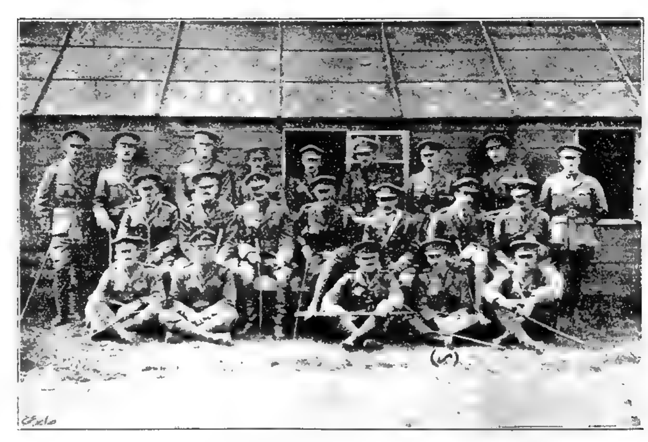
لدج — اني سألتهُ عن الصورة لاننا لم نرها حتى الآن وسترسل الينا قريباً وكل ما نعلمهُ من امرها انها موجودة

الوسيطة — يظن انهم كانوا اثني عشر او اكثر تظن فدى ان الصورة كبيرة اما هو فلا يظن ظنها بل كانوا محشورين بعضهم مع بعض

لدج — أ كان معهُ عصاً

الوسيطة — لا يتذكر بل يتذكر ان واحداً اراد ان يتكئ عليهِ ولكنهُ لا يتذكر هل صورت الصورة وهذا متكئ عليهِ وانما يتذكر ان واحداً حاول ان يتكئ عليهِ . والذي اعطاك هو الاخير وكان B موجهاً في الصورة الاخيرة ولم تصوَّر في محل التصوير العادي

لدج — أصورت خارجاً



صورة ريمند مع جماعة من الضباط وتحتهُ حرف (ر)

مقتطف مايو ١٩١٧
امام الصفحة ٤٢٠

الوسيطة — نعم تقريباً (ثم قال) ماذا تعني بقولك · نعم تقريباً · اصورت خارجاً ام داخلاً اتعني نعم · فدى تظن انهُ اراد نعم لانهُ قال تقريباً

لدج — قد يكون التصوير في سترة

الوسيطة — قد يمكن اجتهد لتري فدى صورة المكان · اراني وراء الصورة خطوطاً كأنَّ هناك حائطاً اسود عليهِ خطوط (وجعلت فدى ترسم خطوطاً في الهواء) انتهى

وكانت لادي لدج تنظر في يومية ريمند في ٦ دسمبر فرأت انهُ كتب فيها في ٢٤ اغسطس انهُ تصور صورة فوتوغرافية · اي انهُ تصور قبل وفاتهِ بواحد وعشرين يوماً ولا بدَّ من مضي ايام قبل طبع الصورة فيحتمل انهُ رآها قبل موتهِ ولكن من المؤكد انهُ لم يشر اليها في كل مكاتيبهِ الينا وكنا نجهل امرها كل الجهل ولم تذكر لنا الاَّ حديثاً ولم تصل الينا الاَّ في ٧ دسمبر · (وكان لدج قد بعث بخلاصة ما سمعهُ من الوسيطة الى جمعية المباحث النفسية قبلما وصلت الصورة اليهِ لكي يقابل بها حين وصولها)

ووصلت الصورة بين الساعة الثالثة والرابعة بعد ظهر السابع من دسمبر وهي كبيرة طولها ١٢ بوصة وعرضها ٩ بوصات وكانت مكبرة من صورة اصغر منها طولها ٧ بوصات وعرضها ٥ بوصات وفيها صور واحد وعشرين شخصاً خمسة منهم في الصف المقدَّم وهم مقرفصون على العشب وريمند منهم وهو الثاني من الطرف الايمن · وسبعة في الصف الثاني الذي وراء الصف المقدم وهم جلوس على الكراسي وتسعة وراءهم وقوف امام بناء خشبي يشبه ان يكون سترة مستشفى او شيئاً من نحو ذلك · وكل ما ذكرهُ ريمند ينطبق على هذه الصورة فمعهُ عصاهُ وقد القاها امامهُ وفي سقف السترة التي وراءهُ خطوط كما اشارت فدى · والمصوَّرون خليط من اورط مختلفة · والشخص الموجه في الصورة هو الضابط الواقف الى اليمين لان النور مشرق عليهِ واسمهُ يبتدئ بالحرف B وهو الكبتن S. T. Boast · وليس بينهم احد يبتدئ اسمهُ بحرف K ولكن بينهم ضابطاً يبتدئ اسمهُ بحرف C الذي يلفظ هنالك كافاً · والبعض جلوس والبعض وقوف · والمكان خارج البيت

وادلُّ ما في الصورة ان واحداً جالساً الى يسار ريمند متكئ بيدهِ على كتفهِ · ويظهر على ريمند انهُ لم يكن مرتاحاً الى ذلك لانهُ اضطر ان ينحني الى جانبهِ الايمن · وليس في الصورة احد متكئ غيرهُ ولا يبعد ان هذا الامر اثر في ريمند وبقي في ذهنهِ

واورد السر اوليفر لدج نص ما كتبهُ الشهود الذين شهدوا ان الصورة لم تصل اليهِ

الاَّ بعد ما كتب وصف الوسيطة · ثم كتب الى الذين صوروا الصورة يسأَلهم عنها فاجابوهُ انهم ارسلوها الى الكبتن بوست وان الصورة السلبية ارسلها اليهم الكبتن بوست في ١٥ اكتوبر سنة ١٩١٥ · وكان الوسيط بيترس قد اشار اليها في ٢٧ سبتمبر اي قبلما وصلت الصورة السلبية الى انكلترا

وسئل الكبتن بوست عن هذه الصورة فاجاب في ٧ مايو سنة ١٩١٦ ان جماعة من الضباط طلبوا من مصور في الصيف الماضي ان يصورهم وكان بيت المصور قد ضرب بالقنابل فهجرهُ ولم يكن لديهِ المواد اللازمة لطبع الصور فارسلنا السلبيات الى انكلترا لتطبع فيها بعد ما رأَينا مسوداتها المطبوعة عنها

وكتب السر اوليفر لدج الى الكبتن بوست يسأَلهُ هل رأَى ابنهُ هذه الصور فاجابهُ ان المصور ارسل اليهِ مسودات الصور (البروفات) فوصلت بعد ما تصوروا بيومين او ثلاثة وهو يعتقد ان ابنهُ رآها ثم وجد ان ليس عند المصور ورق يطبع الصور عليهِ فابتاع السلبيات منهُ وارسلها الى مصور في محل للتصوير في انكلترا ليطبعها · وعاد ابنهُ الى الخنادق في ١٢ سبتمبر فالمرجح انهُ رأَى المسودات ولكنهُ لم يرَ السلبيات

ووجد السر اوليفر لدج ان السلبيات ثلاث فيها شيءٌ قليل من الاختلاف اهمهُ ان الرجل المتكئ بيدهِ على كتف رِيمند في احداها رفع يدهُ عن كتفهِ في صورة اخرى وقد عدَّ مسأَلة هذه الصورة دليلاً قاطعاً على صحة الانباء من عالم الارواح وانهُ لا يحتمل ان يكون قد وقع فيها غش بوجه من الوجوه لان الوسيط بيترس اشار الى الصورة ووصفها في ٢٧ سبتمبر قبلما وصلت الى بلاد الانكليز بثمانية عشر يوماً وان الاختلاف القليل في الصور من حيث وضع يد احد الضباط على كتف ريمند يفسر قولهُ لفدى انهُ لا يتذكر هل صُوّرت الصورة وهو متكئ عليهِ وانما يتذكر ان واحداً حاول ان يتكئ عليهِ

وعندنا انهُ يحتمل ان المصور اعطى نسخاً من هذه المسودات لبعض اصحاب الجرائد المصورة فصوروها او لبعض اصحاب الصور المتحركة فضموها الى صورهم · ويخطر لنا الآن اننا رأَينا هذه الصورة مطبوعة في جريدة فرنسوية مصورة او معروضة مع الصور المتحركة · وما اكثر الخادعين اذا وجدوا مَن يسهل عليهم خدعهُ ولا يبعد ان يكون قد حدث للسر اوليفر لدج وزوجتهِ ما حدث للستر ستد لما خدعهُ المصور وصوَّر معهُ رجلاً من الترنسفال فاعتقد ان صورة هذا الرجل لم تكن معروفة في بلاد الانكليز ثم ثبت انها كانت معروفة ومنشورة ايضاً · الاَّ ان ادلة السر اوليفر لدج لم تنتهِ كما سيجيء في الجزء التالي

الثورة الروسية

لم يقع في تاريخ البشر مثيل لهذه الحرب في اتساع نطاقها وهول حوادثها واستخدامها اكل العلوم الرياضية والطبيعية وكل ما انشأهُ الانسان من المعامل والمصانع في كل مراكز العمران ومشاركة النساء للرجال فيها في اشق الاعمال كسبك المدافع وحشو القنابل وسوق المركبات . وقد ترتب عليها حتى الآن حادثان من اعظم الحوادث واغربها الاول الثورة الروسية التي ثلَّت عرش بيت رومانوف او كادت تثلهُ والثاني دخول جمهورية الولايات المتحدة الاميركية في حرب اوربية كما سيجيء

اما بيت رومانوف قياصرة الروس فقد نشرنا تاريخهُ بالتفصيل في المجلد السابع والثلاثين من المقتطف في فصول متوالية عن حرب القرم ضمَّناها خلاصة تاريخ روسيا السياسي والاجتماعي من اول عهدهِ الى هذا العصر وما ينطوي عليهِ من الحسنات والسيئات . ولم يكن في حسباننا ولا في حسبان احد فيما نظن ان يكون من اول نتائج هذه الحرب ثل عرش ذلك البيت المجيد او نقض الحكم المطلق وابدالهُ بحكم نيابي مقيد جمهوري او غير جمهوري

ويظهر من الاخبار المقتضبة التي جاءت حتى آخر مارس عن هذه الثورة انها عامَّة اشترك فيها الجيش ومجلس النواب (الدوما) والشعب ولا يستثنى منهم الاَّ المتطرفون من حزب العمال الذين يقال انهم فوضويون . وحتى الآن كانت الثورة سلمية على نوع ما لم يسفك فيها الاَّ القليل من دم الابرياء . ابتدأت في بتروغراد في العاشر من شهر مارس ففي ذلك اليوم وهو يوم سبت اجتمع جمهور كبير من العمال شاكين من قلة الخبز الذي يعطى لهم ومن عدم الانصاف في توزيعهِ فحاول رجال البوليس تفريقهم بالسلاح فقتل كثيرون منهم ومن الشعب المتفرج عليهم . ورأى بعض جنود الحامية ذلك وهم يعلمون ان الشعب جائع والطعام موجود ولكن لا وصول للشعب اليهِ لانهُ محتكر اما لان الذين احتكروهُ تجار يقصدون الربح بارتفاع اسعارهِ او لانهُ محجوز لغرض سياسي حجزهُ صنائع الالمان من وزراء الروس لكي تعلو شكوى الشعب و يثور على حكومتهِ فتضطر روسيا الى الاستسلام وطلب الصلح — رأى الجنود ذلك وأُمروا ان يطلقوا الرصاص على الشعب فابوا وشاركوا الثائرين وشاع ما فعلوهُ في العاصمة كلها فانتشر انتشار النار في الهشيم واشتركت الحامية كلها في الثورة وانضمت الى مجلس النواب وشاركها اكثر الجنود المحاربة . فجمع رُدزينكو رئيس مجلس النواب اثني عشر من الزعماء وألَّف منهم حكومة وقتية برياسة البرنس لافوف قالت

انها ستدعو الامّة كلها للاقرار على نوع الحكومة التي تختارها . ثم كلّفت القيصر التنازل عن عرشهِ فتنازل . ونشرت الحكومة الوقتية منشوراً على الشعب الروسي خلاصتهُ

اولاً العفو العام حالاً عن كل الجرائم السياسية والدينية وذلك يشمل الافعال العدائية التي يقصد بها الارهاب و يشمل ايضاً الفتن العسكرية والجرائم المتعلقة بالزراعة

ثانياً اطلاق حرية اللسان والقلم ومنع كل حجر على حرية الاجتماعات وجمعيات العمال والمتعصبين منهم . واشراك الضباط والجنود في هذه الحرية على قدر ما تسمح بهِ القوانين العسكرية

ثالثاً الغاء كل الفوارق او القيود الاجتماعية والدينية والجنسية

رابعاً المبادرة الى اعداد المعدات اللازمة لجمع جمعية عمومية دستورية تقرر الشكل الذي تختارهُ لحكومة البلاد والدستور الذي تختارهُ لها و يكون ذلك على مبدإ الانتخاب العام

خامساً ابدال البوليس بجند محلي ينتخب ضباطهُ انتخاباً و يكون خاضعاً للمجالس المحلية

سادساً يكون الانتخاب المحلي مبنيًّا على قاعدة الانتخاب العام

سابعاً ان الجنود الذين اشتركوا في الثورة لا تنزع اسلحتهم منهم ولكن لا يسمح لهم بمغادرة بتروغراد

ثامناً تلغى كل القيود التي تحرم الجنود من الاشتراك في الحقوق الاجتماعية الممنوحة لغيرهم من السكان واما النظامات العسكرية المرعية فلا يلغى شيء منها

هذا ولا شبهة ان الحكم الروسي القديم كان حكماً مطلقاً او استبداديًّا محضاً ثم تدرَّج نحو الحكم المقيَّد ولكن تدرُّجهُ هذا لم يكن سريعاً كما يطلب الذين تعلموا وتهذبوا من الروس وهم فئة كبيرة فكانت هذه الفئة تطلب المزيد . والظاهر انها كانت ارقى من اكثر ولاة الامور فلم يستطيعوا مجاراتها ولا استطاعت هي ان ترضخ لاساليبهم فصمتت او نُفيت او هاجرت . ومن هذه الفئة البرنس كروبتكن الكاتب الروسي الشهير المعروف لدى قراء المقتطف بمقالاتهِ العلمية والادبية التي كان ينشئها باللغة الانكليزية و ينشرها في مجلة القرن التاسع عشر . وقد اخبرنا الذين لقوهُ من اولادنا في البلاد الانكليزية انهُ شيخ جليل القدر رحب الصدر واسع العلم لا يتوقع لبلادهِ فلاحاً الاَّ اذا قُوّضت دعائم الحكومة المطلقة منها وأُبدلت بحكومة دستورية . ولعلَّ امثالهُ كثيرون في البلاد ولكن مهما كان عددهم كثيراً فانهم لا يزالون اقل من القليل في بلاد سكانها ١٨٠ مليوناً من شعوب وامم مختلفة لا تجمعها جامعة واحدة لا جنسية ولا دينية ولا لغوية



قيصر روسيا وابنهُ وبناتهُ الاربع وهو وابنهُ وسائر الرجال الذين معهم بثياب القوزاق الروسية

مقتطف مايو ١٩١٧
امام الصفحة ٤٢٤

طرائف من ادب العرب

من الكشكول للعاملي

(٢)

هرون الرشيد بين الكحل والطيب

« قال مسلم بن الوليد يمدح ابن مزيد الشيباني

تراهُ في الامن في درع مضاعفةٍ لا يأمن الدهر ان يدعى على عجَلِ
لا يعبق الطيبُ خديهِ ومفرقهُ ولا يمسّح عينيهِ من الكحلِ

و يقال ان هرون الرشيد لما سمع هذا البيت وفهم انهُ لمن وفيمن طلب ابن مزيد فأحضر وعليهِ ثياب ملونة ممصّرة [١] فلما نظرهُ الرشيد في تلك الحال قال أكذبت شاعرك يا مزيد . قال فيم يا أمير المؤمنين . قال في قولهِ في الامن الخ . فقال لا واللهِ ما اكذبتهُ وان الدرع عليَّ ما فارقتني وكشف ثيابهُ فاذا عليهِ درع . فامر الرشيد بحمل خمسين الف دينار الى مزيد وخمسة آلاف دينار الى مسلم . و يقال انهُ لما سمع البيت قال منعتني الطيب وامرهتني [٢] باقي عمري فما رئي بعد ذلك ظاهر الطيب ولا مكحلاً . و يقال انهُ كان اعطر الناس في زمانهِ وكان يقول الله بيني و بين مسلم حرمني احبَّ الاشياء اليَّ » انتهى

مطارحة الشعراء

اقول : ومسلم هذا من معاصري ابي نواس . يحكى انهُ لما انشد يزيد بن مزيد البيتين المذكورين لم يعجباهُ فقال لهُ ألا قلت كما قال اعشى بكر في عمرو بن معديكرب

واذا تجيءُ كتيبة مكروهة ملمومة يخشى العدوّ نزالها
كنت المقدَّمَ غيرَ لابس جبةٍ بالسيف تضرب مُقْدِماً ابطالها

فقال مسلم قولي أحسن من قولهِ انهُ وصفهُ بالخرق وانا وصفتك بالحزم

وعلى ذكر مسلم لا باس ان انقل ما حدَّث بهِ دِعبِل الشاعر قال انهُ اجتمع هو ومسلم وابو الشيص وابو نواس في مجلس . فقال لهم ابو نواس ان مجلسنا هذا شهر باجتماعنا فيهِ ولهذا اليوم ما بعدهُ فليأتِ كل واحد منكم باحسن ما قال فلينشدهُ . فانشد ابو الشيص قولهُ

(١) اي حمراء او صفراء (٢) اي منعتني الكحل وليست في التاج وكلُّ ما فيهِ مرهت العين اي خلت من الكحل فجعل الرشيد من ذلك فعلاً متعدياً كما عدَّى رؤْبة فعل كرث وفي القاموس أكرث

وقف الهوى بي حيث انت فليس لي   متأخَّر عنهُ ولا متقدَّمُ
اجد الملامة في هواك لذيذةً   حبًّا لذكرك فليلمني اللوَّمُ
واهنتني فاهنت نفسي صاغراً   ما من يهون عليك ممَّن يكرمُ
اشبهت اعدائي فصرت احبهم   اذ كان حظي منك حظي منهمُ

قال فجعل ابو نواس يتعجب من حسن الشعر حتى ما كاد ينقضي عجبهُ ثم انشد مسلم ابياتاً من شعرهِ الذي يقول فيهِ

فأُقسم أنسى الداعيات الى الصبا   يميناً وقد فاجأْت والستر واقعُ
فغطّت بايديهـا ثمارَ نحورها   كايدي الاساري اثقلتها الجوامع (١)

قال دعبل فقال لي ابو نواس هاتِ ابا عليّ وكأَني بك قد جئتنا بام القلادة فانشدتهُ

اين الشبابُ وايةً سلكا   ام أين يطلب ضلَّ ام هلكا
لا تعجبي يا سلمَ من رجل   ضحك المشيب برأسهِ فبكى
يا ليت شعري كيف صبركما   يا صاحبيَّ اذا دمي سفكا
لا تطلبا بظلامتي احداً   قلبي وطرفي في دمي اشتركا

ثم سأَلناهُ ان ينشد فانشد ابو نواس ابياتاً منها

فالخمر ياقوتة والكاس لؤْلؤَةٌ   في كفّ جارية ممشوقة القدِّ
تسقيك من عينها خمراً ومن يدها   خمراً فما لك من سكرين من بدِّ
لي نشوتان وللندمان واحدة   شيءٌ خصصت بهِ من بينهم وحدي

فقاموا كلهم فسجدوا لهُ فقال أفعلتموها اعجمية لا كلمتكم ثلاثاً ولا ثلاثاً ولا ثلاثاً . ثم قال تسعة ايام في هجر الاخوان كثير . وفي هجر بعض يوم استصلاح للفساد وعقوبة على الهفوة . ثم التفت فقال أعلمتم ان حكيماً عتب على حكيم فكتب المعتوب عليهِ الى العاتب « يا اخي ان ايام العمر اقل من ان تحتمل الهجر »

ودعبل هذا كان شاعراً مجيداً لكنهُ كان هجّاءً هجا الرشيد في مماتهِ بابيات اهونها

هيهات كل امرىءٍ رهن بما كسبت   لهُ يداهُ فخذ ما شئت او فذرِ

وهجا ثلاثة من الخلفاء بعدهُ وهم المأمون والمعتصم والواثق . وكان يقول « انا احمل خشبتي على كتفي منذ خمسين سنة لست اجد احداً يصلبني عليها »

وغريب من اصحاب ابي نواس ان يسجدوا لهُ في ابيات هي وراء ابيات ابي الشيص

(١) القيود والاغلال

وابيات دعبل بمراحل في حسن ديباجتها ورقة معناها . فان ابا نواس على علوّ كعبهِ في الخمريات لا نعدُّ ابياتهُ هذه في الطبقة الاولى بل لا أُغالي اذا قلت ان بعض ما قال ابن الفارض في الخمر على قلة جيّدهِ احسن منها كقولهِ من قصيدتهِ المشهورة :

شربنا على ذكر الحبيب مدامــة سكرنا بها من قبل ان يخلق الكرمُ
ولولا شذاها ما اهتديت لحـانها ولولا سناها ما تصوّرها الوهمُ

وغنيٌّ عن البيان ان كلام ابن الفارض مجازيٌّ في شربهِ ومدامتهِ وسكرهِ وسائر ما هنالك لانهُ انما اراد خمرة الروح لا الخمرة الحقيقية التي ارادها ابو نواس والتي هاجرها فتى ومعاقرها مجنون كما قال ابن الوردي

نفي الشيء بايجابهِ

هذا وبيتا مسلم المذكوران آنفًا يستشهد بهما البديعيون على نوع من انواع البديع المعنوي يسمونهُ نفي الشيء بايجابهِ . وتعريفهُ ان ينفى متعلق امر عن امر فيوهم اثباتهُ لهُ والمراد نفيهُ عنهُ ايضًا كما نفي عن متعلقهِ نحو « يُسبّح لهُ فيها بالغدوّ والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله » . فان قولهُ لا تلهيهم تجارة الخ يوهم ان لهم تجارة غير انهم لا يلتهون بها . والمراد انهم لا تجارة لهم ليلتهوا بها . ومن ذلك قولهُ لا يسألون الناس الحافًا اي لا سوءال منهم اصلاً فلا الحاف

وقول دعبل :

لا يعبق الطيب خديهِ ومفرقهُ ولا يمسّح عينيهِ من الكحلِ

يوهم ان ممدوحهُ يتطيب ويتكحل والمراد انهُ ليس كذلك لانهُ غنيٌّ بريحهِ الطبيعية وكَحَلهِ عن الطيب والكُحل الصناعيين

ومثل ذلك قول المتنبي :

افدي ظباء فلاة ما عرفن بها مضغ الكلام ولا صبغ الحواجيب
ولا خرجن من الحمّام مائلةً اوراكهنّ صقيلات العراقيبِ

وهذان البيتان في تفضيل البدويات الرعابيب ساكنات البادية على الحضريات ساكنات المدينة . فقولهُ في البدويات انهن لا يخرجن من الحمام صاقلات عراقيبهنّ يوهم ان عندهن حمّامات ولكنهن لا يخرجن منها على تلك الحال . والحقيقة ان لا حمامات عندهن كما هو معلوم

الدعوة المستجابة

« نوف البكالي — قال رأيت امير المؤمنين عليًّا كرم الله وجههُ ذات ليلة وقد خرج من

فراشهِ فنظر الى النجوم فقال يا نوف أَراقد انت ام رامق قلت بل رامق يا امير المؤْمنين. قال يا نوف طوبى للزاهدين في الدنيا الراغبين في الآخرة اولئك قوم اتخذوا الارض بساطًا وترابها فراشًا وماءها طيبًا والقرآن شعارًا والدعاء دثارًا ثم قرضوا الدنيا قرضًا [١] على منهاج المسيح عليهِ السلام · يا نوف ان داود النبي عليهِ السلام قام في مثل هذه الساعة من الليل فقال انها ساعة لا يدعو فيها عبد إِلا استجيب لهُ الاَّ ان يكون عشَّارًا او عريفًا او شرطيًّا او صاحب عرطبة او صاحب كوبة · العشار الذي يعشر اموال الناس · والعريف النقيب والشحنة · والشرطي المنصوب من قبل السلطان · والعرطبة الطبل · والكوب الطنبور »

الموسيقى والغناء

« علم الموسيقى علم يعرف منهُ النغم والايقاع واحوالها وكيفية تأْثير اللحون واتخاذ الآلات الموسيقية · وموضوعهُ الصوت من جهة تأْثيرهِ في النفس باعتبار نظامهِ · ولا مانع شرعًا من تعلُّم هذا العلم وكثير من الفقهاء كان مبرّزًا فيهِ · نعم الشريعة المطهرة منعت من عمليتهِ والكتب المصنفة فيهِ انما تفيد امورًا علمية فقط · وصاحب الموسيقى العلمي يتصور الانغام من حيث انها مسموعة على العموم من اي آلة اتفقت وصاحب العملي انما يأخذها على انها مسموعة من الآلات الطبيعية · هذا وما يقال من ان الالحان الموسيقية مأخوذة من نسب الاصطكاكات الفلكية فهو من جملة رموزهم اذ لا اصطكاك في الافلاك ولا قرع ولا صوت » انتهى

وممَّا قرأتهُ في هذا المعنى

قال النبي (صلعم) لعائشة أَهديتم [٢] الفتاة الى بعلها قالت نعم · قال فبعثتم معها من يغني قالت لا · قال او ما علمت ان الأنصار قوم يعجبهم الغزل · ألا بعثتم معها من يقول

أَتيناكم أَتيناكم فحيّونا نحييكمْ
ولولا الحبّة السمرا ء لم نحلل بواديكمْ

وقال لأَبي موسى الاشعري لما اعجبهُ حسن صوتهِ لقد اوتيت مزمارًا من مزامير آل داود · قال عاصم ويقال انهُ كانت لداود النبي معزفة يضرب بها اذا قرأَ الزبور لتجتمع عليهِ الجن والانس والطير فيبكي ويبكي من حولهُ واهل الكتاب يجدون هذا في كتبهم

(١) اي عدلوا عنها وتنكبوها (٢) الغالب فيما نقل الينا من احاديث العرب في الجاهلية وصدر الاسلام ان يحذفوا همزة الاستفهام وهل الاستفهامية فيسألوا من غير أن ينطقوا بها كأَنهم يعتمدون على نغمة الصوت في الاستفهام

وجاء في المحاضرات : قال صاحب الموسيقا [1] السماع كالروح والخمر كالجسد فباجتماعهما يتولد السرور . وقيل حق الصوت الحسن ان يعاد اربع مرات الاول بديهة والثاني تفهّم والثالث للشرب والرابع للشبع »

وكان اليونان القدماء يعتقدون بوجود تسع الاهات للشعر والموسيقى وسائر الفنون الجميلة هنّ بنات زفس من زوجهِ نيموسين . وكان لهنّ غناء يأخذ بمجامع القلوب ويخلب الالباب ووحي في الشعر يفعل فعل السحر حتى استعان بهنّ ملتن في مطلع « فردوسهِ المفقود » واستنزل وحيهنّ . وكذلك كان الرومان القدماء يعتقدون بوجود ثلاث الاهات مغنيات يقطنّ سواحل صقلية فاذا مرّ بهنّ بحريّة في سفنهم شنفوا آذانهم بالحانهنّ المطربة المشجية حتى نسوا اهلهم واوطانهم وبقوا حيث هم يسمعون الغناء المطرب ولا يأكلون ولا يشربون فيفضي بهم ذلك الى الموت جوعاً . وهنّ يصوّرن بشكل النساء في نصف ابدانهنّ الفوقاني وشكل السمك في نصفها التحتاني

فوائد لغوية

« مما جاء مخففاً والعامة تشدده الرباعيّة للسنّ وصحيحها رباعَية وكذا الكراهَية والرفاهَية وفعلت كذا طاعيةً في معروفك . ومن ذلك الدُّخان والقَدُوم يقولون دخّان وقدُّوم . ومما جاء ساكناً والعامة تحرّكهُ حلْقة الباب وحلْقة القوم وليس في كلام العرب حلَقة بفتح اللام الاَّ حلَقة الشَعْر جمع حالق نحو كفرة جمع كافر . ومما جاء مفتوحاً والعامة تكسره الكَتّان والعَقّار والدَّجاج وفَصّ الخاتم . ومما جاء مكسوراً والعامة تفتحهُ الدِهليز والإنفحة والضِفدع . ومما جاء مضموماً والعامة تفتحهُ طُلاوة . ومما جاء مفتوحاً والعامة تضمهُ الانمَلة بفتح الميم واحدة الانامل . ومما جاء مضموماً والعامة تكسرهُ المُصران جميع مصير » انتهى

وفي القاموس الدجاج مثلثة الدال والفتح افصح . وفي مصر يقولون فراخ مكانها و يلفظون فَص صحيحة بفتح الفاء . اما لفظة طُلاوة فيفتحها العامة والخاصة في احاديثهم . واما الأنمَلة فليست مما تتداولهُ أَلسن الخاصة فضلاً عن العامة في ايامنا ولعلها كانت متداولة في زمانهِ . وهكذا الرباعية والكراهية بخلاف رفاهية ودخان وقدوم وحلقة وكتان وعقار فانها كثيرة التداول . اما المصران (جمع مصير اي المعي) فيستعملهُ اهل الشام مفرداً جمعهُ مصارين والحقيقة انهُ جمع مصير كما تقدم ومصارين جمع الجمع . ولو شاء كاتب هذا الزمان ذكر كلّ ما يلحن بهِ الخاصة دع العامة في كلامهم ما وسعتهُ بطون الاوراق

(1) وردت في المحاضرات مذكرة ومكتوبة كذا كما وردت موسيقى في الكشكول

الملك الاديب

«حكي ان عبد الملك بن مروان جلس يوماً وعندهُ جماعة من خواصهِ واهل مسامرتهِ فقال ايكم يأتيني بحروف المعجم في بدنهِ ولهُ عليَّ ما يتمناهُ . فقام اليهِ سويد بن غفلة فقال انالها يا امير المؤمنين فقال هات قال : انف بطن ترقوة ثغر جمجمة حلق خد دماغ (وعدَّها الى الياء فنكتفي بما تقدم) والسلام على امير المؤمنين . فقام بعض اصحاب عبد الملك وقال يا امير المؤمنين انا اقولها في جسد الانسان مرتين فضحك عبد الملك وقال لسويد اما سمعت ما قال قال نعم انا اقولها ثلاثاً فقال لهُ لك ما تتمنى فقال انف اسنان اذن . بطن بصر بز (وعدَّها الى الآخر) ثم نهض مسرعاً وقبل الارض بين يدي عبد الملك فقال والله ما تزيد عليها اعطوهُ ما تمنى ثم اجازهُ وانعم عليهِ وبالغ في الاحسان اليهِ»

وعبد الملك هذا خامس خلفاء بني امية واديب عصرهِ لم يبزَّهُ في الادب الاَّ الحجاج احد عمّالهِ وهو في الأُموِيين كالمأمون في العباسيين . قال الشعبي احد كبار علماء الكوفة المعاصرين لهُ ما جالست احداً الاَّ وجدت لي عليهِ الفضل الاَّ عبد الملك بن مروان فاني ما ذاكرتهُ حديثاً الاَّ وزادني فيهِ ولا شعراً الاَّ وزادني[1] فيهِ» . ومن قرأ كتاب الزجر والانذار الذي بعث بهِ الى الحجاج رأى من آيات البلاغة ما لم يرَ مثلهُ في كتاب الاَّ كتاب الحجّاج ردًّا عليهِ . ومع بعد غورهِ في الادب رأى — ورأيهُ الموفق — ان تعد امامهُ اعضاء البدن على حروف المعجم مثنى وثلاث !

اللسان بين الجوارح

«ان لسان ابن آدم يشرف على جميع جوارحهِ كل صباح فيقول كيف اصبحتم فيقولون بخير ان تركتنا الله الله فينا و يناشدونهُ و يقولون انما نثاب ونعاقب بك» اه

وليس بين جوارح الانسان اي اعضائهِ جارحة اطال كتاب العرب في وصفها اطالتهم في وصف اللسان الاَّ ان يكون القلب . ومن اقوالهم المرء باصغريهِ قلبهِ ولسانهِ . اما كتّاب الغرب فبوأوا العين مقعد اللسان بعد القلب . ومن ابلغ ما قال كتاب الانكليز «العين مرآة النفس» اي انها تنمُّ على ما وراءها في مخادع نفس المرء ومطاوي جبلّتهِ من شيم واخلاق (لقيب)

---

(١) والمشهور زادني بلا واو لان الجملة الفعلية الماضية الواقعة حالاً بعد الاَّ تجرد من الواو وقد وجوباً الاَّ نادراً . قال الامام عليّ «ان الكوفة لقبة الاسلام ليأتينها يوم لا يبقى مسلم الاَّ وحنَّ اليها»

العدوى بالحيوانات

من المسائل التي اتجهت اليها افكار الاطباء في هذا العصر علاقة الحيوانات بالامراض . فالحيوانات من الوجهة الطبية ذات منافع للناس اذ تستخدم في كثير من التجارب لمعرفة تأثير السموم والامراض مثلاً وفي التشريح للمقابلة بينها وبين الانسان . وكذلك يستخرج منها المستحضرات الواقية والشافية كالمصل واللقاح مما كان لهُ شأن كبير في الطب الحديث . ثم انها ذات مضار عظيمة لانها تنقل المكروبات الى الناس فتعديهم بها وما زال هذا شأنها منذ القدم كما يؤْخذ من البيان التالي

ذكر فلوطرخس « ان سكان سواحل البحر الاحمر يصابون بداء عقام ينشأ عن افعى صغيرة تسعى من تحت الجلد لتقرض الذراعين والساقين ثم تعود من حيث اتت اذا حدث ما يقلقها . وهي تسوم صاحبها المًا مبرحًا » ولعلهُ اراد الدودة المعروفة بالعرق المدني التي ورد وصفها في الصفحة ٩٧٥ من المجلد ٣٧ من المقتطف

وكان الاقدمون يعرفون دود الامعاء بوجه خاص فسحوا لهُ مجالاً واسعاً في طبهم . وعرف داء الكَلَب منذ نحو الفي سنة . وقال فرّو الايطالي من علماء القرن الثاني قبل المسيح ان الحمّى الملارية تنقل بواسطة بعض الحشرات

ثم جاء جنر في القرن الثامن عشر فبحث في علاقة الحيوانات بامراض الانسان وكان من ذلك بحثهُ المشهور في علاقة جدري الانسان بجدري البقر . وكثير من اهم المباحث الطبية الحديثة كالعدوى والمناعة والوقاية والتلقيح ابتدأ من ذلك الوقت

وفي عهد باستور زادت علاقة امراض الحيوانات بامراض الناس وضوحاً فبحث مباحثهُ المشهورة في البثرة الخبيثة والكَلَب . وبحث فيلمن في التدرن . وكوخ في البثرة الخبيثة والتدرن . ولفلر في السقاوة وبولنجر في بعض امراض المواشي التي تصيب الناس . وكان هذا العهد موسوماً بالمكتشفات العظيمة في البكتريولوجيا (علم المكروبات) فوضع فيهِ اساس المبادئ التي جرت بهذا العلم شوطاً بعيداً حتى بلغ مكانتهُ الحالية

وتلا عصر البكتريولوجيا عصر علم البروتوزوى[1] . بدأ هذا العصر يوم اكتشف ثيو بولد سمث سنة ١٨٨٩ المكروب الذي كان سبباً لحمى المواشي في تكساس فقرر هو وكلبورن

(١) اي الحيوانات الدنيا المؤلفة من حويصلة واحدة او حويصلات قليلة

بعد ذلك بقليل ان هذا المكروب ينتقل من جسم الى جسم بواسطة قراد المواشي · وكان باستور قد اثبت سنة ١٨٦٤ ان وباء دود القز في فرنسا مسبَّب عن نوع من انواع البروتوزوى فكان ذلك اول اكتشاف عظيم في هذا الباب · واكتشف لاڤران سنة ١٨٨٠ مكروب الملاريا فظنهُ من اصل نباتي · والذي جعلهُ يظن هذا الظن اشتهار علم البكتريولوجيا في زمانهِ حتى ساد اذهان العلماء ولاسيما ان معرفتهم للاحياء المكرسكوبيَّة التي من اصل حيواني كانت ضئيلة

واهمية اكتشاف سمث وكلبورن قائمة بالمبدإِ الذي تنطوي عليهِ طريقة انتقال المكروبات بالقراد وبالادوار التي مرّت فيها في اجسام القراد والتغيرات التي طرأَت عليها بواسطة المكروبات قبلما صارت اجسامها صالحة لنشر العدوى · وهذه المشاهدة فتحت باب بحث جديد في علاقة الحيوانات بامراض البشر مما افضى الى بعض الاكتشافات العظيمة الشان كعدوى الملاريا والحمى الصفراء وغيرها من امراض الاقاليم الحارة بوجه خاص

وهاك جدول اشهر الامراض التي تنتقل الى الناس بواسطة الحيوانات كبيرةً كانت ام صغيرة فيرى منها كثرة هذه الامراض وخطرها وبالتالي اهمية البحث الذي يدور عليها

﴿ الكلاب ﴾ : تنقل داء الكَلَب وداء الفم والظلف وبعض امراض الديدان المعوية والكبدية والدموية · والدودة الوحيدة وتضخم الطحال في الاطفال (وهو ينتقل بواسطة براغيث الكلاب) والقوباء والقرَع وغير ذلك

﴿ البقر ﴾ : تنقل السلّ (التدرن) والجمرة وجدري البقر والتتنوس (بواسطة اللقاح) وداء الفم والظلف · والكَلَب · وحمّى الباراتيفويد

﴿ الخيل ﴾ : تنقل السقاوة · والكَلَب · والتتنوس

﴿ الخنازير ﴾ : تنقل التريخينا · والسلّ · والجمرة

﴿ الغنم ﴾ : تنقل الجمرة · والسلّ

﴿ المعزى ﴾ : تنقل حمّى مالطة · والسلّ

﴿ الغزلان ﴾ : تنقل داء النوم

﴿ القطط ﴾ : تنقل الكَلَب · والقرع

﴿ الجرذان ﴾ : تنقل حمّى عضة الجرذ · والطاعون الدبلي (بواسطة البراغيث) والتريخينا

﴿السناجيب﴾ : تنقل الطاعون الدبلي

﴿الببغاء﴾ : ينقل انفلونزا الببغاء

﴿السمك﴾ : ينقل الدودة الوحيدة

﴿البعوض﴾ : ينقل الحمّى الصفراء · والملاريا · وحمى الدنج

﴿البراغيث﴾ : تنقل الطاعون الدبلي · وتضخم الطحال في الاطفال

﴿القراد﴾ : ينقل عدة انواع من الحمى

﴿القمل﴾ : ينقل التيفوس · والحمى الراجعة

﴿البق﴾ : ينقل الحمى السوداء (الكالازار)

﴿الذباب﴾ : ينقل داء النوم · والتيفويد · والرمد وغيرها

﴿الحمار﴾ : ينقل التيفويد

﴿الحلزون﴾ : ينقل البلهارسيا

هذا وان علاقة الحيوانات الدنيا بامراض الانسان على نوعين فاما ان تكون على منتهى البساطة واما ان تكون على منتهى التنوّع والاختلاط · والجسم يعدى بطريق الجلد والرئة والفم · ومن الامراض ما لا يدخلهُ الاَّ باسلوب واحد ومنها ما يدخلهُ باساليب مختلفة · ولنبحث الآن في اساليب الإعداء او انتقال المكروبات من جسم الى جسم ويمكن جمعها تحت ستة بنود وهي :

(١) قد يعدى الانسان من حيوان مريض بمجرد لمسهِ والعدوى قد تكون مباشرةً من مفرزات جرح في الجلد او مفرزات الفم والرئة والامعاء كما يرى في السقاوة والجمرة وجدري البقر · وقد لا تكون مباشرة اذ كثيراً ما يتفق ان يحمل المكروب من مسافات بعيدة متدرجاً من الحيوان الى الانسان · فقد حدثت عدة اصابات بالجمرة في احدى مدن انكلترا حديثاً وبعد البحث والتحقيق وجد انها جاءت من استعمال فرشات مصنوعة من شعر حيوانات كانت مصابة بالجمرة

(٢) قد ينتقل المكروب المعدي من انسان الى انسان او من حيوان الى انسان بالطعام او بواسطة حيوان وسيط كما في التيفويد والدوسنطاريا والكولرا · والحيوان الوسيط فيها هو الذباب وقد يكون الحمار واسطة لنقل مكروب التيفويد · ويقال ان داء الفم والظلف ينتقل بواسطة الكلاب من مسافات بعيدة

(٣) قد ينتقل المكروب بالعض كما في الكَلَب والامراض الحادثة من لدغ الحشرات كالتيفوس الحادث من لسع القمل وداء النوم الحادث من لسع الذبابة المعروفة بهِ

(٤) قد ينتقل المكروب الى الانسان من اكل حيوان مصاب بمرض معدٍ. ولا يبعد ان ينتقل المكروب من بقرة مصابة الى الانسان بهذه الطريقة ولكن ذلك نادر . والثابت ان الانسان يصاب بالدودة الوحيدة بواسطة بعض الحيوانات الدنيا

(٥) قد ينتقل المكروب المعدي الى الانسان بواسطة مفرزات الحيوانات المصابة . وتحت هذا البند يدخل بعض اشهر الامراض التي تصيب الانسان . فالحمّى المالطية تنتقل اليهِ بواسطة لبن المعزى المصابة وبولها. ومكروب الملاريا ينتقل اليهِ بطريق الغدد اللعابية في بعوض الانوفيل . وكثيراً ما ينتقل مكروب التدرن الى الناس وخصوصاً الاولاد من بقرة مصابة بهِ بواسطة لبنها . ومما يذكر في هذا الصدد مرض الحلْق الوافد فقد تفشى اكثر من ثلاثين مرة وظهر للباحثين ان سبب تفشيهِ في بعض الاحيان تلوُّث اثداء البقر الحلوب بمكروبهِ منتقلاً اليها من ايدي حالبي البقر . وقد وجد بعض الباحثين مكروب الدفثيريا في ثدي بقرة مقرَّح وكان يشرب لبنها بعض العائلات فتفشت الدفثيريا فيهم . ولما كان اللبن من اكثر الاطعمة شيوعاً فقد كان سبباً في نقل كثير من الامراض المعدية من الحيوانات الى الناس

(٦) قد يدخل المكروب المعدي بدن حيوان من الحيوانات الدنيا فتمرُّ عليهِ فيهِ ادوار معلومة ثم ينتقل الى جسم انسان بواسطة عضة او لدغة من الحيوان المشار اليهِ . وطريقة العدوى هذه تشمل كثيراً من الامراض الناشئة عن البروتوزوى ويمكن قسمتها الى قسمين (١) الاحياء (او المكروبات) التي تنتقل من الانسان الى انسان بواسطة حشرات صغيرة كانتقال مكروب الملاريا بواسطة بعوض الانوفيل ومكروب الحمى الصفراء بواسطة نوع آخر من انواع البعوض . (٢) المكروبات التي تنتقل من حيوان الى انسان بواسطة هذه الحشرات كانتقال التريبانوزوم من الغزال او الكلب او السعدان بواسطة نوع من الذباب وكانتقال مكروب البلهارسيا الى الانسان بواسطة الحلزون . فقد ثبت من مباحث الكولونل ليبر في هذا القطر ان الدودة المعروفة علميًّا باسم Schistosoma hæmatobium والتي هي سبب البلهارسيا تخرج من الانسان المصاب بجامع بولهِ وتدخل بدن حلزونة وتنقلب فيهِ على ادوار معلومة قبلما تبيت قادرة على اصابة انسان آخر . فاذا مرَّت بتلك الادوار

فالغالب ان تدخل جسم انسان آخر مع ماء الشرب وقد تدخلهُ بطريق الجلد . وثبت ايضاً ان استئصال هذه الآفة يتوقف على ابادة الحلزون الذي تقيم فيهِ . وهذا مناقض لمذهب لوس المشهور

ومما يستحق الذكر في هذا الموضوع اربعة امور اخرى عظيمة الشأن في مقاومة كثير من هذه الامراض

(١) ان الحيوانات الدنيا قد تكون الوسيلة الوحيدة لتفشي بعض الامراض . ففي الملاريا تدلُّ جميع الدلائل على ان بعوض الانوفيل وحدهُ هو الذي ينشر هذه الحمى في حين ان بضعة اصناف منهُ تنزل مكروب الحمى على الرحب والسعة في ابدانها . ومثل هذا يقال في الحمى الصفراء فان بعوض الستيجوميا هو وحدهُ الموكل بنشرها فيما يعلم

(٢) ان نقل مكروبات مرض ما قد يكون منوطاً ببضعة انواع من الحيوانات الدنيا لا نوع واحد فقط . فالكَلَب مثلاً ينتقل بواسطة الكلاب والقطط والذئاب والخيل وغيرها من الحيوانات . والجمرة بواسطة الغنم والبقر وغيرها . والطاعون الدبلي بواسطة الجرذان والسناجب

(٣) قد يكون الحيوان واسطة لنقل مرض ما من غير ان يصاب بهِ اي ان مكروب هذا المرض قد يكون شديد الفتك بالانسان ولا يؤْذي الحيوان الذي ينقلهُ . خذ مثالاً لذلك حمى مالطة فان هذه الحمى كثيرة الشيوع في سواحل بحر الروم تنتقل الى الناس من شرب لبن المعزى . والغالب ان تكون المعزى صحيحة الجسم لا عرض عليها من اعراض المرض ومع ذلك ترى لبنها و بولها ودمها مشوبة بمكروبات هذه الحمى . وكذلك قد تعيش مكروبات التيفويد في امعاء الذباب فيُعدِي الناس بها ولا يُعدَى . وتعيش مكروبات التتنوس شهوراً في امعاء الفرس فيعدي الانسان بها ولا يعدى

(٤) قد يكون الحيوان واسطة لنقل مرض ما ويصاب هو بهِ . فالفرس يصاب بالسقاوة و ينقلها الى الانسان والكَلْب بالكَلَب والخروف بالجمرة و ينقلانهما الى الانسان ايضاً . وكلما اشتدَّ الداء بالحيوان الناقل للمكروبات تحت هذا الباب وافضى بهِ الى الموت العاجل كان ذلك خيراً للناس ودفعاً للبلاء عنهم لانهُ يزيل مصدر الخطر باسرع ما يمكن . لذلك كانت حمّى مالطة صعبة المراس يعسر استئصالها لعدم ظهور اعراضها في المعزى الناقلة لها . وهذا القول يصحّ في الامراض المستعصية المزمنة . فالسقاوة الحادة في الخيل اهون مراساً من المزمنة لانها تستأصل مصدر الخطر وتقلل فرص العدوى . وزد على هذا كلّهِ

انهُ يغلب في الامراض الحادة القتالة ان تموت المكروبات الشديدة السمّ العظيمة الخطر بموت الحيوان المصاب وتبقى الضعيفة التي لا يخشى كثيراً منها

والغالب ان تكون امراض الحيوان التي تصيب الانسان مضرّة بهِ على ان منها ما ينفعهُ اذ استخرج منهُ لقاحاً واقياً لهُ كما في جدري البقر والكلَب . وقد يصاب الملقحون احياناً بما سمي مرض المصل وهو ردّ فعل يعقب الحقن بالمصل مدة او بضع مرار في الاشخاص الشديدي الاحساس وقد يقف عقبة في سبيل استعمال المصل مدة طويلة في الامراض المزمنة فتبطل بذلك مناعة المصل . والمعروف ان نجاح المعالجة بالمصل اقتصر حتى الآن على الامراض الحادة التي لا تقتضي معالجة طويلة فلا خوف فيها من رد الفعل المذكور

وهناك امراض مشتركة بين الانسان والحيوان اي ان الفريقين يصابان بها على حدّ سوى وليس ثمة دليل كافٍ يدلّ على ان الحيوان يعدي الانسان بها . منها مرض الفم والظلف فلم نعرف حتى الآن حادثة واحدة من هذا الداء اصيب الانسان بها بالعدوى من الحيوان

واذا بحثنا في الامراض التي يعدي بها الانسانُ الحيوان او الحيوان بعضهُ بعضاً وجدناها قليلة في جنب ما يعدي بهِ الحيوانُ الانسان . فالفرس يُعدى بالكلَب من الكلب . وبالجمرة احياناً من الغنم والبقر ولا يكاد يصاب بالسلّ . وفي الاقاليم الحارة يصاب بامراض ينقلها اليهِ الذباب والقراد ولكنها ليست كثيرة كامراض الانسان التي تنقلها هذه الحشرات . ويظهر ان البقر اكثر عرضة للامراض من الخيل واقلّ من الناس . ولكلّ من الكلب وسائر الحيوانات التي ذكرت آنفاً امراض خاصة بها لا تتوقف في انتقالها اليها على هذا الحيوان او ذاك . ولا نعلم هل هذا القول صحيح على اطلاقهِ او انهُ صحيح ظاهراً لا باطناً لاننا نعرف عن ادواء الانسان اكثر مما نعرف عن ادواء الحيوان

اما كون الانسان يصاب بكثير من امراض الحيوانات فسببهُ اختلاطهُ بها اما لمعالجة امراضها واما انهُ يجد لذة ومنفعة في تربيتها كالخيل والكلاب والقطط والماشية . ثم انهُ يأكل لحوم بعضها ويشرب ألبانها وكثيراً ما يأكل لحمها نيئاً او غير مطبوخ طبخاً جيداً فتنتقل اليهِ الامراض التي قد تكون مصابة بها . هذا في الدواجن واما الحيوانات البرية فمعلوم انها لا تصاب بكثير من الامراض ولكن حفظ الانسان لها في المعارض يجعلها شديدة القابلية للامراض فتبيت مصدر خطرٍ عليهِ

ومن الامراض ما لا ينتقل من الانسان الى الحيوانات على ما يعلم كالكَلَب فلم يسمع ان كلباً عدي بالكَلَب من انسان . ومثل الكَلَب كثير من الامراض وبعض السبب في ذلك شدة عناية الانسان بمرضاهُ وما يبذل من التحوط لمنع نقل العدوى

ومما يجب ذكرهُ في صدد الكلام على الامراض والعدوى ان النبات على كثرة امراضهِ المكروبية والفطرية التي تفوق امراض الحيوان لا يُعدي الانسان بواحد منها ولا الانسان يعدي النبات على ان هناك نوعاً واحداً من المكروب يظهر انهُ يصيب الفريقين . فان شجر الكوكو (الشكولاته) في كوبا يصاب بمرض حادث عن مكروب يشبه المكروب الذي يصيب الانسان وهو المعروف باسم Bacillus coli فقد طعّم الكوكو بهذا المكروب بعد اخذهِ من اصل حيواني فاصيب باعراض تشبه الاعراض التي ظهرت عليهِ بعد تطعيمهِ بمكروب المرض المشار اليهِ اي الذي من اصل نباتي . على ان هذا المرض ليس بذي شأن يُخشى لان هذا المكروب لا يضرُّ الانسان ولو دخل امعاءهُ

على ان كثيراً من النباتات تحمل على سطوحها مكروبات امراض يصاب بها الانسان كالتيفويد والدوسنطاريا وغيرها وحملها اياها ميكانيكي اي انهُ حاصل من القاء شيء ملوث بمكروبات تلك الامراض على اوراق النباتات وغصونها وجذوعها وهذه المكروبات تبقى حية مدة طويلة فتعدي الانسان بتناولها كما يعديهِ الذباب مثلاً الاَّ اذا عني بغسلها جيداً قبل اكلها

وهناك مسئلة تجدر بنا الاشارة اليها وهي مسئلة اهتمَّ بها علماء البكتريولوجيا منذ زمان طويل وخصوصاً باستور نعني بها مسئلة المطابقة بين المكروب والبيئة التي ينزلها . ولبيان ذلك نقول ان مكروباً مفروضاً خاصاً بحيوان معيّن قد يوسّع دائرة اختصاصهِ بالمعيشة في جسم حيوان آخر والمطابقة بين احوالهِ الخاصة بهِ والبيئة الجديدة التي يوجد فيها . وقد رأينا فيما تقدم ان بعض المكروبات موهّل بفطرتهِ للمعيشة في ابدان انواع مختلفة من الحيوان وبعضها خاصٌ بنوع واحد او بتنوع واحد من تنوعات هذا النوع . ولكن هذه الاخيرة اي الخاصة بتنوع واحد قد توسع دائرة اختصاصها بالتجربة والتربية . فمكروب التيفويد لا يعيش في الارنب عادة ولكن بعضهم تمكّن من تربيتهِ فيها حتى صارت تحملهُ وتُعدي بهِ

ومن اصعب الصعاب ان نحصل بالتجارب وبغيرها على حقائق مقررة تمتدُّ الى زمان طويل وتبين لنا بالبرهان اهمية هذا المبدإ في انتقال الامراض من حيوان الى حيوان ومن

الحيوان الى الانسان. على انهُ ليس لدينا الآن مذهب افضل من هذا المذهب لتعليل اصل العدوى و بقائها . فالمكروبات قديمة جدًّا وهناك ادلة ثابتة على انها وجدت في امعاء حيوانات ونباتات عاشت منذ ١٢ مليون سنة والمرجح انها كانت سبب الامراض فيها ايضاً . والتغيرات التي طرأت على المكروبات منذ ذلك العهد الى الآن هي اقل بكثير مما طرأ على الحيوانات الكبرى

و بين الامراض المعدية كثير مما لم تعرف حتى الآن طرق عدواهُ وقد يظهر متى عرفت ان سببها بعض الحيوانات الدنيا التي لا تزال مجهولة لدينا . خذ مثلاً لذلك الحمى المعروفة في اميركا باسم حمّى قراد الجبال الصخرية فان هناك دلائل تدلُّ على ان لها علاقة بحيوان يحمل ذلك القراد . وقد تمكن البعض بالتجارب من اثبات كون الذباب ينقل شلل الاطفال من حيوان الى حيوان ولكن لم يثبت بالتجارب ان للذباب شأناً كبيراً في نشر مكروب هذا الداء بين الناس . ومن الصعب كذلك ان نبين ما للذباب من الشأن في نقل مكروبات بعض الامراض المعدية

وفي الكتب القديمة اخبار كثيرة عن نقل الكلاب والقطط وغيرها من الحيوانات الاليفة لمكروبات الامراض وإعداء الناس بها، وخصوصاً الاطفال مما بني اكثرهُ على الظن والتخمين لا على البحث والتجربة . وقد ظنَّ ايضاً ان القمل والبقّ والذباب وغيرها من الحشرات التي تمتصُّ الدم تنقل مكروبات الزهري والحصبة والحمى القرمزية والجدري وغيرها . وقد يكون ذلك صحيحاً او على القليل ممكناً ولكن كثيراً مما كتب في هذا الصدد فرض لا قيمة علمية لهُ

ولا يمكن وضع قاعدة واحدة للعمل بها في حلّ المسائل المتعددة المتعلقة بمنع عدوى الامراض بين الانسان وسائر الحيوان بل يجب اولاً ان يدرس كلّ مرض على حدتهِ درساً دقيقاً و يعلم ثانياً انَّ حلّ معظم هذه المسائل يتوقف كثيراً على مقدار عنايتنا بالنظافة والطعام واللباس والسكن وعلاقتنا بالحيوانات التي تحمل مكروبات تلك الامراض . وغنيٌّ عن البيان ان اكثر الامراض مما يسهل اجتنابهُ وعدم التعرض لهُ متى عرف مصدرهُ وطريق سيرهِ . فالمسئلة هي في الحقيقة مسئلة تنوير اذهان الجمهور واطلاعهِ على كلّ ما يختصّ بماهية الامراض المختلفة وطبائعها وطرق مقاومتها قبل وقوعها ومعالجتها بعد وقوعها

الشيخوخة واماليُّ حيوية

نقلاً عن العلامة متشنيكوف

(٧) هل يمكن ان يُطال العمر (١)

الانسان وهو اطول عمراً من كل ذوات الثدي يشكو على الدوام من قصر عمرهِ . وهو الوحيد من بين الحيوانات الذي ترتسم صورة الموت في ذهنهِ ويعلم صريحاً انهُ صائر اليهِ لا محالة فشكواهُ من دنوهِ مرة واما الحيوانات فتجهل ذلك واذا حاذرت الخطر فانما تحاذرهُ بغريزة الاحتفاظ بنفسها . ولهذا يجب ان يعطى البحث في هذا الموضوع حقهُ من الاهمية لنعرف هل تزيد سعادة الانسان باطالة العمر عن حدودهِ الحالية ام لا

يرتئي بعض المفكرين ان اطالة العمر لا تزيد سعادة الانسان بل قد تكون شؤماً عليهِ لان الشيوخ يحتاجون الى مَن يعولهم فهم وهق على الامَّة

اذا اقتصرت الغاية على اطالة عمر الشيوخ بدون تحسين حال الشيخوخة نفسها كان هذا الاعتراض صحيحاً وجديراً بالنظر وانما الغاية هي ان يسير العمر مع العقل والقوة سيراً واحداً . وقد ذكرنا في ما مضى امثلة كثيرة تدل على امكان القيام بالعمل المفيد ولو في سن الشيخوخة فاذا قلَّت او زالت الاسباب التي تجلب الشيخوخة الباكرة لم تبقَ حاجة لمساعدة الشيوخ الذين يبلغون الستين والسبعين وقلت نفقاتهم عن عاتق غيرهم بدلاً من ان تزيد

ينكرون على الطب محافظتهُ على اصحاب الاسقام والعاهات الوراثية ويقولون ان ذلك يؤُول الى اضعاف الجنس البشري فلو تركوا للانتخاب الطبيعي لانقرضوا وحلَّ محلهم اشخاص اقوى بنيةً واوفر عملاً . ويسمي هكل هذه المحافظة بالانتخاب الطبي ويقول انها طريقة لانحطاط الانسانية

على ان البنية الضعيفة قد تكون كبيرة الفائدة للانسانية اذ وجد بين المسلولين والمصابين بالزهري المكتسب والوراثي وبين اصحاب العاهات من كل نوع من قام باعمال كبيرة لنجاح الجنس البشري وحسبنا ان نذكر منهم فرسنل وليوباردي وو بر وشومان وشوبين وكثيرين غيرهم . ولا نعني بذلك انهُ يجب ان نحافظ على الامراض وان نترك

(١) اقتطفنا هذه المقالة من بحث مستفيض للمؤلف في هذا الموضوع واقتصرنا في النقل على ما منه فائدة لجمهور القراء . واما المقالات السابقة فتكاد تكون ترجمة حرفية

للانتخاب الطبيعي حفظ الاشخاص الذين يقوون عليها بل ان نزيل الامراض عموماً وعيوب الشيخوخة خصوصاً بكل الوسائل الصحية والدوائية وان نعتبر الانتخاب الطبي الذي يقول بهِ هكل مضاداً لسعادة الجنس البشري . فيجب ان نسعى بكل استطاعتنا لنسهل للناس ان يكملوا ادوار حياتهم وان نمكّن الشيوخ من القيام بوظيفتهم المهمة كمستشارين وقضاة محنكين باختبارات حياتهم الطويلة

وقد جرّب الناس في كل عصر كل نوع من الوسائط للحصول على الغاية التي ينشدونها من طول العمر وليس منهم من نظر في هذه المسئلة النظر الذي توجبهُ الغاية الجوهرية التي نطلبها في بحثنا هذا . فانصرفوا الى تركيب العقاقير المتعددة وقاعدة اكثرها الصبر ومنها الاكسير لطول العمر الذي لا يزال اسمهُ محفوظاً الى الآن في المادة الطبية . وكان اكثر الناس سعياً لذلك اهل الصين يؤيدهم ملوكهم الاَّ ان الاطباء القانونيين كانوا يسفهون هذه المساعي و ينكرون فائدتها فقلَّ الاهتمام بها على توالي الايام خلا عقَّاراً واحداً ظهر حديثاً بحثوا فيهِ بحثاً علمياً صحيحاً وهو السيكارين نسبة الى العلامة برون سيكار الذي اكتشفهُ وجربهُ بنفسهِ وقال بفائدتهِ وهو سائل يستحضر من عصير خصية الحيوان كالكلب والكوباي و يستعمل حقناً تحت الجلد وقد استعملهُ برون سيكار وعمرهُ ٧٢ سنة واكد انهُ شعر برجوع قوتهِ وشبابهِ وعلى اثر ذلك شاع استعمالهُ كثيراً ثم قلت اهميتهُ اذ لم تحقق فائدتهُ فاهمل في كثير من البلدان ما عدا فرنسا حيث لا يزال استعمالهُ شائعاً

ثم ظهر عقَّار اخر من نوعهِ يعرف بالسبرمين استحضرهُ بوهل الروسي وشهد كثيرون من العلماء المحققين بفائدتهِ وقالوا انهُ ينهض القوى التي تنحط بالشيخوخة او بعد العمل الشاق . والسبرمين لا يدل اسمهُ على مسماهُ لانهُ يستحضر من المواد الكيماوية التي في الخصية والبروستاتا والمبيض والبنكرياس والغدة الدرقية والطحال فهو اذاً مركب من مواد كثيرة الانتشار في اعضاء ذوات الثدي من النوعين . ويقول الذين جربوهُ في الشيوخ الضعفاء الذين فقدت قابليتهم وقل نومهم انهم استفادوا منهُ واستمرت الفائدة عدة اشهر . على ان الاهمية في علاج ضعف الشيخوخة لا تتوقف على السيكارين او السبرمين بل على الوسائط الصحية التي يسير عليها الانسان في شبابهِ و كهولتهِ سيراً منظماً وهي باجماع الآراء كما يأتي : المحافظة على قوة كل عضو من اعضاء الجسم . ومقاومة الاميال المرضية المكتسبة او الموروثة . والاعتدال في الطعام والشراب وفي كل ملذات الجسم . واستنشاق الهواء النقي في البيت وخارجهُ . والرياضة اليومية . والنوم باكراً واليقظة باكراً . ونوم لا يتجاوز سبع

ساعات ٠ والاستحمام يومياً بالماء البارد او السخن حسب استعداد الشخص وميلهِ ٠ والشغل المرتب ٠وعيشة يخالطها الرجاء ويمازجها السرور بالحياة ٠ ومقاومة الشهوات والانفعالات المصبية ٠والامتناع عن المشروبات الروحية ٠ واجتناب المخدرات والمواد المسكنة ٠ والذين يسيرون على هذه القواعد يجاوز كثيرون منهم المئة ٠فالوسائط الصحية هي التي يعول عليها في اطالة العمر وفي جعل الشيخوخة قليلة العناء

ولا ريب في ان علم الصحة كان واسطة لاطالة العمر في الاعصر الاخيرة لان الوفيات في الشعوب المتمدنة نقصت عما كانت عليهِ في الاعصر السابقة ٠ويرجع بعض السبب في ذلك الى النقص في وفيات الاطفال ففي القرن السادس عشر كانت وفيات الاطفال في جنيف ٢٦ في المئة ونزلت في بداءة القرن التاسع عشر الى $\frac{1}{2}$ ١٦ في المئة ٠ وحصل مثل ذلك في برلين وهولندا والدانمارك وغيرها ٠ وطالت ايضاً اعمار الشيوخ لان قسس البروتستانت في الدانمارك كان متوسط اعمارهم في القرن الثامن عشر يتراوح بين $\frac{1}{2}$ ٧٤ و$\frac{1}{2}$ ٨٩ سنة وكانت وفياتهم ٢٢ في المئة ونزلت في القرن الثامن عشر الى ١٦٫٤ في المئة ٠ومثل ذلك يقال عن قسس انكلترا وعن افراد البيوت المالكة في اوربا ذكوراً واناثاً وعن افراد الشعب في كل بلد من البلدان المتمدنة ٠ولا ينفي ذلك كون الذين عمروا في الاعصر السابقة اكثر من الذين يعمرون في الاعصر الحاضرة لان اولئك عمروا في ظروف واحوال خصوصية وشيوخ هذه الايام يعمرون اكثر منهم ومما لا ريب فيهِ ان العمر عموماً قد طال عما كان عليهِ في الماضي

وقد كان علم الصحة في القرن الثامن عشر واكثر التاسع عشر قاصراً قليل الانتشار لكنهُ كان مع ذلك وسيلة قوية لاطالة العمر لان قواعد النظافة وحسن المعيشة ساعدت عليهِ ٠ قال ليبغ ان تمدن الامة يقاس بكمية الصابون الذي تستعملهُ ٠ وقال احد الجراحين الشهيرين ان السرطان قلَّ كثيراً عن ذي قبل الاَّ ان سرطان الجلد ولاسيما الجلد المكشوف الذي تطالهُ اليد قد زاد وانهُ ينمو بنوع خصوصي على القروح والندوب وعلى الاقسام التي تتوسخ بسهولةٍ ولهذا يندر السرطان في الفئات التي تعتني بالنظافة

وللتلقيح بلقاح الجدري شأن كبير في تقليل الوفيات ففي النصف الثاني من القرن الثامن عشر اي قبل اكتشاف جنر طريقة التطعيم كانت الوفيات بالجدري في برلين ٩٫٨ في المئة من كل حوادث الموت ويموت بهِ ٦٫٢ في المئة ممن عمرهم ١٥ سنة و٩٩٫٣ في المئة من سنهم اقل من ذلك ٠ واما الشيوخ فقل من كان يموت منهم بهِ اذ يرجح انهم اصيبوا بهِ في صغرهم فسلموا منهم في كبرهم

فاذا كان علم الصحة على ضعفهِ وعدم انتشارهِ في تلك الايام قد افاد في اطالة العمر فمن الضرورة ان تزيد فائدتهُ في هذه الايام بعد تقدم المعارف الطبية وزيادة انتشارها بين العامة . فاصبح اتقاء الامراض العفنية والسارية كالزهري وذات الرئة والتيفويد والهواء الاصفر اسهل مما كان سابقًا . وصار في الامكان تحسين الامزجة والاميال المرضية بترتيب المعيشة والسير على القواعد الصحية

وقد اتضح مما سبق في المقالات السابقة ان العناصر الشريفة متى ضعفت في جسم الشيوخ شرع المكروفاغوس يفترسها فدعا ذلك الى الظن ان اتلاف المكروفاغوس او اضعافهُ قد يكون وسيلة لاطالة العمر ولكن المكروفاغوس ضروري لمقاومة العوامل المرضية وخصوصًا العوامل التي تسبب الامراض المزمنة كالسل فمن الضروري ان نحافظ على سلامتهِ وان نسعى لايجاد دواء يقوي العناصر الشريفة ويجعلها اقل عرضة لان يفترسها المكروفاغوس

تكلمنا في كتابنا « دروس في الطبيعة الانسانية » على مسئلة مصل الحيوان الذي يذيب الكريات الدموية من حيوان آخر من غير نوعهِ ثم اتسع نطاق البحث في هذا الموضوع واكتشف علماء البيولوجيا انواعًا كثيرة من المصل واخصها المصل المعروف بالسيتوتوكسيك اي الذي يسم العناصر الحويصلية

فمن الحيوانات ما يفعل دمها ومصل دمها فعل سم بعد ادخالها الى جسم حيوان آخر كدم الحنكليس والافعى لاننا اذا حقنا حيوانًا من ذوات الثدي كالارنب والكوباي والجرذ بكمية من دم الافعى فالحيوان المحقون يموت بعد مدة قصيرة ولو كانت الافعى غير سامة

ومن ذوات الثدي ما لهُ هذه الخاصة ولكن باقل درجة من الافعى فاذا حقنا حيوانًا من ذوات الثدي بدم حيوان من غير نوعهِ ظهرت في الحيوان المحقون اعراض التسمم . ودم الكلب يمتاز بقوة سمهِ عن دم بقية ذوات الثدي وعكسهُ دم الغنم والمعزى والخيل لان الحيوانات والانسان تحتملهُ بسهولة ولهذا يفضلونها لتحضير انواع المصل التي تستعمل في الطب

ثم ان مصل الدم غير سام يتحول الى مصل سام اذا اخذ من حيوان بعد حقنهِ بدم حيوان من جنس غير جنسهِ . مثال ذلك اننا اذا حقنا الخروف بدم الارنب ثم اخذنا مصل دم الخروف وحقنا بهِ الارنب اذاب الكريات الحمراء فيهِ اي ان دم الخروف اكتسب من دم الارنب قوة على تذويب الكريات الحمراء ولكن هذه القوة ينحصر تأثيرها في الارنب ولا تؤثر في الحيوانات الاخرى . فحقن الخروف بدم الارنب يكسبهُ خاصة جديدة لا تظهر الا على الكريات الحمراء في دم الارنب فيحصل فيهِ ما يماثل فعل المصل في الامراض العفنة اذ يحصل من

الحصان بعد حقنهِ بمكروبات الدفثيريا مصل يشفي الدفثيريا ولا يفعل في التتانوس او الطاعون

وقد ظهر في سير هذه الابحاث ان المصل يكون سماً بقدرٍ معين فاذا نقص عنهُ فعل فعلاً معاكساً اي انهُ بالكمية الكبيرة يذيب الكريات الحمراء ويقلل عددها في الدم وبالكميات الصغيرة يزيد عددها . وبعد ان ثبت ذلك بالتجارب في الحيوانات ظهرت فائدتهُ بالتجارب في المصابين بفقر الدم فزادت فيهم الكريات الحمراء وظهر اللون الاحمر على وجوههم بعد حقنهم بكمية صغيرة من مصل الدم . ثم حسَّن بعضهم هذه الطريقة فاعدَّ مصلاً من دم الحيوانات بعد حقنها بدم الانسان وجرب هذا المصل في عدة اشخاص مصابين بفقر الدم من اسباب مختلفة وقد خابت في بعضهم العلاجات السابقة فكانت النتيجة باهرة اذ زادت الكريات الحمراء فجأةً زيادة كبيرة بعد حقنهم بكميات صغيرة منهُ

تنطبق هذه الاحوال على القاعدة العمومية المعروفة في الطب وهي ان السموم بالجرعات الصغيرة تقوي العناصر الحساسة وبالجرعات الكبيرة تهتكها وتميتها . ففي الطب يقوون القلب بجرعات صغيرة من السموم القلبية كالدجتالين وفي الصناعة يقوون فعل الخمير بكمية صغيرة من مادة تميتهُ بكمية كبيرة كفلوريد الصوديوم

يؤخذ من هذه المعلومات الثابتة مبدأٌ ثابت وهو ان العناصر الشريفة تقوى بالمصل السام (السيتوكسيك) الذي من نوعها الاَّ انهُ يتعذر الحصول على مصل لكل نوع من العناصر ودون تحقيق ذلك صعوبات جمة لاننا نستطيع ان نحصل على دم انسان ونحقن بهِ حيواناً فنحصل منهُ على مصل يقوي الكريات الحمراء ويزيد كميتها الاَّ انهُ يتعذر علينا ان نحصل على الاعضاء السليمة التي يجوز استعمالها لغاية عملية وعلمية لان القانون لا يجيز تشريح الجثة الاَّ بعد فوات الفرصة اي بعد ان تفسد وتنتن عدا عن ان الاعضاء كثيراً ما تكون مصابة بعلل تمنع استعمالها والفائدة منها . وافضل ما يمكن الحصول عليهِ من هذا القبيل اعضاء الاطفال الذين يموتون بعوارض الولادة اذ تكون اعضاؤهم سليمة وعلى الحالة الطبيعية الاَّ ان هذه العوارض نادرة وزادت ندرتها بتقدم علم الولادة

فاذا كان من الصعب ان نجد دواء لتقوية عناصرنا الشريفة المستضعفة فمن السهل ان نمنع حصول هذا الضعف الذي يقف عثرة دون تحقيق آمالنا في الحياة الطويلة وبما ان المولدات المكروبية هي التي تفسد انسجتنا في هذا السبيل يجب ان نبحث عن حلٍ لهذه المسئلة

عند ما يولد الطفل تكون امعاؤهُ خالية من المكروبات . والسائل الذي تحتوي بهِ يتألف من الصفراء ومن العناصر الواردة من الغشاء المخاطي المعوي فهو وسط صالح لاستنبات

المكروبات اذ بعد الولادة ببضع ساعات تظهر في برازهِ مكروبات عديدة من انواع مختلفة وهي تستطرق اليهِ مع الهواء بطريق الفم والاست وبعد ان يرضع لبن امهِ تقل هذه المكروبات ولا يبقى منها سوى مكروب واحد اكتشفهُ تيسيه وسماهُ باشيلوس بيفيدوس

والطفل الذي يغذى بلبن البقر تكثر المكروبات في برازهِ اكثر من الطفل الذي يغذى بلبن امهِ فالغذاء اذاً يؤثر في المكروبات المعوية وهي تختلف باختلاف التغذية وعلاقة التغذية بالمكروبات تدعو الى السعي للوقوف على الوسائل التي تتنوع بها المكروبات المعوية بحيث يحل محلها مكروبات مفيدة

عرفنا مما سبق بيانهُ في المقالات السابقة ان المعى الغليظ مستودع واسع لحفظ فضلات الطعام ومستنبت للمكروبات الكثيرة وانهُ كبير الفائدة للحيوانات التي تقتات بالنبات وعديم الفائدة للانسان وقد اثبتت المشاهدات انهُ اذا استؤصل قسم كبير منهُ او اذا فقد وظيفتهُ بقيت صحة الانسان جيدة وبقي جسمهُ سليماً · ولا يلزم من ذلك ان يستأصل المعى كما تستأصل الزائدة الدودية بل ان تقتل المكروبات او يخفف ضررها وقد استعملوا لهذه الغاية العقاقير التي يسمونها بمضادات الفساد وهي كثيرة كالبانزونفتول والسالول والثيمول والنفتالين وغيرها ومثلها المساهل وخصوصاً الكالومل وقد ظهر منها بعض الفائدة ولكنها لم تفِ بالغرض لانها لا تقتل المكروبات بالجرعات الصغيرة وتضر المعى بالجرعات الكبيرة ولان المساهل لا يجوز الاستمرار عليها طويلاً

وافضل ما جرى عليهِ الانسان من بداوتهِ الى الآن اخذهُ الغذاء مطبوخاً على النار · ولا تدخل المكروبات الى الامعاء إلاَّ مع الاطعمة النيئة فاذا لم يؤخذ الغذاء الاَّ مطبوخاً ولم يتناول الشراب الاَّ بعد إغلائهِ امكن اتقاء شر المكروبات الاَّ ما شذ وندر · ولا يتوهمنَّ احد ان تعقيم الاغذية يضعف قيمتها ويعسر هضمها لان رواد القطب الشمالي يعيشون مدة طويلة على الاغذية المعقمة بدون ان ينالهم ادنى ضرر والطفل الذي يغذَّى بالحليب المعقم اقل عرضة للالتهابات المعوية من الذي يغذى بغير المعقم · وقد اثبتت المراقبات ان الشعوب التي تغتذي باللبن الرائب كالبلغار والبدو يعمرون طويلاً ويتمتعون بصحة جيدة حتى في اقصى الشيخوخة لان الحامض اللبني من مطهرات الامعاء وقد اشتهر اللكتوباسيلين في مداواة الامراض المعوية وهو العقار الذي حضرهُ متشنيكوف من خميرة اللبن وقوامهُ مكروبات الخمائر اللبنية · وقد عرفنا ان تسمم الاعضاء بالمكروبات المولدة من التعفن المعوي هي من اكبر دواعي الشيخوخة الباكرة فاذا سار الهضم سيراً حسناً ومنع التعفن المعوي قلَّ

لمرض الاعضاء للتسمم واستطاع الانسان ان يسير سيراً حسناً في كل ادوار حياته واصبح اكثر اهلية لبلوغ شيخوخة كبيرة قليلة التعب والنصب. ولهذا يجدر ان يبحث في كل ملاجئ العجزة عن المكروبات المعوية في العجائز وعن الاغذية التي توافقهم · والى ان نصل الى نتيجة هذا البحث ننصح لمن يرغب في طول العمر مع سلامة العقل ان يعتدل في معيشته ويسير على القواعد الصحية التي ذكرناها آنفاً · انتهى الدكتور امين ابو خاطر

في بادية الشام

هالتني وانا في الشهباء من الجبروت الجنكيزي هولٌ أوجست منها في نفسي خيفة واستشعرت من شرورها المستطيرة في العرب خشية · ولما ايقنت بان حكومة الترك التورانية قد عزمت عزماً شديداً ان تقضي على الروح القومية العربية قضاء مبرماً في طامّة هذه الحرب الكبرى وذلك بالقضاء على اعيان العرب وفتيان قحطان وعلمت بعد ذلك انهم امروا زبانيتهم بالقبض عليَّ فاستجرت من المعاطب بالسباسب ومن العوادي بالبوادي ولذت من عقاب العجزة الاشرار باجتياز عقاب المفاوز والاوعار · وما زلت لابساً قبعة الاخفاء متوارياً عن العيون والرقباء يوماً بجبل الشيخ او جبل الثلج على رأي حسان ويوماً على متون الصافنات الجياد تقطع مجهول حوران · ومن غرائب الاتفاق التقائي بصديقي جلال الدين البخاري فاراً من عدوان الاتراك فوافقني ورافقني حتى هبطنا البلقاء (موآب) والقينا عصا التسيار او الفرار في عرب بني صخر المخيمين قرب قرية الزرقاء · وحللنا ضيفين مستجيرين على شاهر الخريشة ابن عم حديثة شيخ هؤلاء الاعراب ولم ننزل في سرادق الشيخ لسفره الى دمشق لاستلام الصرَّة وهي الاتاوة التي يتقاضاها البدو مسانهةً من الترك

بنو صخر من الاعراب التي اتخذت البلقاء منازلها وهم ينقسمون الى قسمين الخرشان والفائز فالخرشان نسبةً لخريشة الأب الاول ويبلغ عددهم نحو ٥٠٠٠ نفس لا عيش لهم الاّ بابلهم التي ينقلون عليها الحمول بالاجرة صيفاً في عجلون وحوران ويحملونها عند تغريبهم وعودتهم من البادية ملحاً من قريّات الملح الواقعة في فاتحة وادي السرحان من جهة الشام · ويعيشون ايضاً بالغزو المستديم وهو حرفة الاعراب من القديم واكثر غزوهم للدروز وقد شاهدتهم يعيثون في قرى الشراكسة فساداً فيرعون مراعيهم ويقطعون من مغارسهم اشجار الصفصاف يتخذون منها اعمدة لخيامهم واوتاداً

واقنعني الاختبار الطويل بصدق ما ذكرهُ مونتسكيو العرب ابن خلدون عن هؤلاء العرب وانهُ لا يريد بهم الاَّ الاعراب وان التبس هذا على كثير من الباحثين فاساؤا الظن بفيلسوفهم العربي الكبير . فان من جاب جزيرة العرب اليوم وعاشر اعرابها وسبر روحهم البدوية علم علماً لا يشوبهُ ريب ان الحضرمي لا يقصد بالعرب كما ذكرت سوي اهل الوبر لا المدر ومن اتخذوا بيوتهم من الشعر لا الحجر . وقد اعدت مطالعة مقدمتهِ مراراً وانا ملابسهم في ظعنهم وحلهم وغزوهم ورعيهم وايرادهم واصدارهم فكنت كلما زدت بالبادية اقامةً زدت بابن خلدون اعجاباً وايقاناً بانهُ اعلم الناس بالبدو او على تعبيرهِ احياناً في مقدمتهِ بالعرب. ومن يقرأ الفصل الذي كتبهُ في « ان العرب اذا تغلبوا على اوطان اسرع اليها الخراب » وقولهُ فيهِ : والخشب ايضاً انما حاجتهم اليهِ ليعمروا بهِ خيامهم ويتخذوا الاوتاد منهُ لبيوتهم فيخربون السقف عليهِ لذلك فصارت طبيعة وجودهم منافيةً للبناء الذي هو اصل العمران » يشهد بان قولهُ هذا يحاكي قولي ان عرب الخرشان آفة الزراعة اليوم في البلقاء . ولم تختلف احوال العرب في معائشهم وعوائدهم عن زمن ابن خلدون الاَّ اختلافاً يسيراً نشأ عن اختلاف احوال المدن. وعلاقة اهل البداوة باهل الحضارة مستحكمة العرى في جميع الازمان

هؤلاء هم الخرشان واما ابناء عمهم الفائز فعددهم نحو ١٥ الف ورأسهم شيخهم فواز وهو رجل منور الفكر لدراستهِ في مدرسة العشائر المؤسسة عهد عبد الحميد شديد النزعة القومية معروف بين اخوانهِ باخلاقهِ الكريمة ولا يبعد ان يلعب دوراً خطيراً على مسرح الثورة العربية

بنو صخر ويقال لهم الصخور ايضاً ومنهم قسم يسكنون اليوم غور بيسان حجازيو الاصل لادعائهم القرشية والذي ذكرهُ القلقشندي في صبح الاعشى وفي نهاية الارب في اخبار العرب انهم من القحطانية بطن من جذام مساكنهم بلاد الكرك من الشام وتابعهُ الحمداني على ذلك ايضاً وهو اضرب في مفاصل الصواب

وقد اقمت والمرحوم[1] رفيقي بين ظهراني هؤلاء الصخور شهر ذي القعدة سنة ١٣٣٢ وفي الخامس من ذي الحجة انتقلنا لعرب السرحان الذين عزموا على التبدي وهو التشريق بلغة البدو

نزلنا في مضرب الشيخ خنيفس (تصغير خنفس) احد شيوخ السرحان وكان نازلاً بعربهِ على بعد مرحلة صغيرة من الزرقاء شرقاً في مراح يعرف بالادعم وهذا الاسم لم يذكرهُ ياقوت ومعنى الادعم في القاموس الفرس الذي في صدرهِ او لبتهِ بياض وكأنهُ كان في هذا المنزل بقعة كلسية بيضاء فسمي بالادعم تشبيهاً

(١) لانهُ القي عليهِ القبض بعد ذلك وشنق رحمهُ الله في دمشق بريئاً مظلوماً

على الحضريّ المتبدي سيما ان كان شريداً طريداً ان يتجلبب في البادية بجلباب الفقر والاعدام وان يعمل بنصيحة ذلك الرحالة المجرب القائل اذا سافرت فأخفِ ذهابك وذهبك ومذهبك ولهذا رأيت ورفيقي ان نطلع الشيخ على عوزنا لما سلبهُ متاعديو المروءة من البدو وباطلاعهِ على حالنا المؤلمة تأثر ووعدنا بمساعدته ايانا بقدر ما في وسعهِ وقد برَّ بوعدهِ جزي خيراً

وعدد عرب السرحان نحو خمسة آلاف وبهم يسمى وادي السرحان الآتي ذكرهُ ومنهم من توطن الجوف (دومة الجندل) وسكاكة ومن شيوخهم ابن بالي وابن رافع وحقهُ ان يدعى ابن خافض لانهُ باق[1] اي سلب ضيوفهُ المرحومين عبد الغني العريسي والامير عارف الشهابي وعمر حمد وتوفيق البساط وباق ايضاً شيخ جباثا الخشب وما جاورها في جبل الشيخ (حرمون) وهو الشهم الكريم والعربي الصميم احمد مريود رعاهُ الله

ومن عادة البدو اذا شرّقوا[2] ان يغلسوا في التحمل وهكذا لم يكد الصبح يتنفس حتى عكمت الاحمال وشالت الجمال الاثقال وشرقنا صباح الجمعة من الادعم وكنا نقطع يومياً مرحلة ست او سبع ساعات بمعدل ٢٥ كيلو متراً . وفي المرحلة الثانية جزنا بالازرق وهو اليوم خرابة بجانبها ماء تردهُ الاباعر . والازرق هذا احد قصور الامويين التي كان ملوكهم ينزلونها زمن التشريق . فقد روى صاحب كتاب العيون والحدائق (ص ١٢٠) ان الوليد بن يزيد كان يستوطنهُ في البرية . وذكر الاصفهاني في اغانيهِ انهُ كان ليزيد بن عبد الملك عدة قصور يتنقل اليها ويتصيد كالزيزاء وفدين والازرق والاغدف

---

(١) البوقة في عرف البدو مخالفة قواعد المروءة البدوية المعروفة وهي بمثابة خرق القانون في عرف المتمدنين والبائق يعاقب في قبائل البادية عقاباً صارماً يشبه الحرم الكهنوتي وهو لا يؤاكل ولا يجالس ولا يسلم عليهِ وهكذا نال ابن رافع جزاءهُ الشديد حتى رد الاسلاب واكد للعرب النازلين في المزيم انهُ ظن الذين باقهم قوماً اي عدواً باصطلاحهم واراد بالقوم الدروز لانهم حينئذٍ كانوا قوماً معادين . ولفظة بوقة اسم مرة من فعل عربي فصيح قال في القاموس : (باق جاء بالشر والخصومات وفلان تعدى على انسان او هجم على قوم بغير اذنهم كانباق والقوم سرقهم)

(٢) التشريق في عرف البدو هو الرحيل الى شرق بادية الشام اوائل الشتاء عند طلوع سهيل هرباً من البرد لقلة اثاثهم وخفة سرابيلهم الواقية ولان المياه تكثر في هذا الفصل للامطار فتكثر موارد ابلهم مما يساعدهم على الانتجاع والارتياد فاذا جاء الربيع اعشوشبت الارض وانبتت من كل زوج من البقول بهيج فيكثر الرمث والروثة والشيح والقيصوم فتسمن ابلهم وتغزر البانها وتنتج عشارها على مهاد من الرمال وغير ما لا يجدونهُ في ارياف الشام . ولا يزالون في البوادي متنقلين حتى يدهمهم الصيف بحمارّته ويتصوح النبت وبتولى البادية الجدب فيلوذون عندئذٍ بارياف البلقاء وعجلون ومزارع الغوطة وحوران والجولان وهذا ما يسمونهُ بالتغريب

والجرباء وقصر الابيض في الرحبة وعلى هذا يكون الوليد اقتدى بسكنى الازرق بابيهِ ومن يشابه ابهُ فما ظلم . وقال ياقوت «والازرق ماء في طريق حاج الشام دون تيماء» ولم يعين مقرهُ اذ بينهُ وبين تيماء مسافة كيلو متر . ومن الازرق للهزيم مرحلتان قصيرتان ومنهُ لبصرى مرحلة على الطريق الرومانية المستقيمة التي يرجح انها كانت طريق عبد العزيز في خروجهِ على الوليد كما ذكرهُ الرحالة دوسو (Dussaud)

واما انا فلقد شرّقت عملاً بقول الشاعر :

وغرّب فالتغرب فيهِ خيرٌ وشرّق ان بريقك قد شَرقتا

ولعمري لقد شَرِقتُ من فظائع التورانيين ايما شَرقٍ فشرّقت مع السرحان معبراً عن لسان حالي بلسان مقالي هذا :

فان السُّرى والليل يقرس بردهُ وسيري في البيداء معتسفاً يومي

وذرع الفلا ما عشت في غربة النوى وحيداً فلا اكلي يطيب ولا نومي

لأفضل لي والله يا عاذليَّ من مشاهدة التركي يقضي على قومي

وديدن هؤلاء العرب في التشريق قديم عهدهُ فقد كانوا ايام بني امية يشرقون في بادية الشام في شتاء كل عام وهو ما يسمونهُ بالتبدّي ولم يذكر ابن عساكر وصاحب الاغاني ملكاً امويًّا الاَّ ذكرا تبديهُ فكان خالد بن يزيد يسكن قصر فدين في البلقاء واظنهُ القصر الذي يجاور اليوم عين الزرقاء ويدعوهُ العرب قصر تبّع كعادتهم بنسبة كل بناء عبقري الى سليمان كما فعلوا بنسبة بناء تدمر بالصفاح والعمد وبنسبة الابلق الفرد

واخبرني بنو صخر ان بني هلال اجتازوا بهذا القصر وحاربوا ربهُ ايام هجرتهم من الحجاز للمغرب ومنعوهُ الماء ولهذا القصر الصالح للسكنى اذا رمّ مناظر طبيعية سبتني محاسنها وراعتني جدًّا كما راعت من قبلي خالد بن يزيد واولاد الخليفة عثمان . وفي الآثار عبرة لاولي الافكار

ذكرنا ان الوليد كان يتبدى الى الازرق وكان يقطن الزيزاء والقسطل في البلقاء التي يلقبها العرب اليوم بذيل البادية وكان معاوية يشتو بالصنّبرة في الاردن وبهِ اقتدى عبدالملك الاَّ انهُ كان بعد الصنبرة يقضي في الجابية شهر آذار وكان يبلغ بهِ التبدي احياناً ان يصل دومة الجندل المسماة بالجوف اليوم حيث كان لهُ من واحتها الغناء متنزه جميل يحاكي متنزه الامير نواف الشعلان حاكم دومة الجندل في يوم الناس هذا

عز الدين

آل علم الدين

«للبحث صلة»

الجامعة الالمانية

(تابع ما قبلهُ)

نشرنا في الجزء الماضي جانباً من مقالة الاستاذ داود ستار جوردان يتضح منهُ ان الحكومة الالمانية كانت ترمي الى جعل سياستها الخارجية سياسة عنف وشدَّة . وقال بعد ذلك ان سياسة العنف تستلزم ان تكون الحكومة مطلقة تعمل برأيها لا برأي عدد كبير من نواب شعبها لانهُ لا يحتمل ان يتفق هؤُلاء النواب على امر من الامور اتفاقاً تامًّا . والاختلاف بين النواب هو الذي يحفظ الحكومات الدستورية وهو الذي يمنعها عن ان تبادئ غيرها العدوان

فلو كانت اوربا كلها دستورية لتصافت شعوبها وبعدت عن الحرب جهدها . وحركة الجامعة الالمانية هي العائق الاكبر في سبيل الاتحاد الاوربي كما قال جول فروليش لان حكوماتها لا تأبى الاتفاق بعضها مع بعض ولكنَّ اصحاب الجامعة الالمانية وكل القائلين ببقاء القديم على قدمهِ لم يروا فائدة لهم من اتفاق الامم الاوربية على المساواة في الحقوق بل رأَوا ان السيادة المطلقة يجب ان تكون فوق حقوق الناس ومعاهداتهم وآدابهم وان لا تكون مسؤُولة لاحد . او كما قال ترتشكي ان الامَّة لا تخطئ الأَ خطيئة واحدة لا تغتفر وهي ان تبقى تحت رحمة غيرها . فالحرب بهذا المعنى لا صفة ادبية لها اي لا يقال انها شر ولا يقال انها خير وما هي الاَّ واسطة لغاية والغاية تبرر الواسطة . فاذا غزت دولة بلاداً وفازت صار امتلاك تلك البلاد من حقوقها ولذلك فالبلدان الصغيرة تدوم مستقلة الى ان تبتلعها البلدان الكبيرة

ولما كانت الحكومة المطلقة مضطرة ان تحفظ كيانها ضد مساوىء العصر اي ضد الدستور بين والاشتراكيين والداعين الى السلام والطالبين اتفاق الدول فلا بد لها من اثارة الحروب على غيرها لان الحرب هي العلاج السريع الفعال الذي يشفي من التخاذل الداخلي وضعف الوطنية كما قال ترتشكي

ويمكن اعتبار الجامعة الالمانية حيلة سياسية ورواية تمثيلية يراد بها التدليس على اصحاب المطالب الادبية حتى لا يفقهوا غرضها المادي القبيح . وما هي في الحقيقة الأَ حيلة على حرية الشعب الالماني لكي تضيق عليهِ قيود الاستبداد الحربي والصناعي فتنزع منهُ الحرية وتقدم

لهُ بدلاً منها الأمن وتنيلهُ شيئاً من الرخاء الحاضر بدل النجاح المقبل . ويراد بها ايضاً نزع حرية الامم المجاورة ببسط سلطة بروسيا على كل البلدان التي سكانها من اصل الماني وعلى البلدان الواقعة بين المانيا والبحر وبينها وبين التوسع شرقاً

ويمكن عد الجامعة الالمانية رواية تمثيلية من حيث اعتمادها على التقاليد القديمة فانها تدَّعي ان تواريخ العصور الوسطى تؤيد حق المانيا في التسلُّط على البلدان المجاورة لها التي يقطنها اقوام من اصل توتوني او اقوام كانوا خاضعين «للامبراطورية الرومانية المقدسة» ويمكن ايضاً عدها رواية تمثيلية بما تطمح اليهِ نفسها من امتلاك بلدان واسعة لا يسكنها في المستقبل الاَّ اناس من اصل الماني . فيجب ان تمتد املاكها في افريقية من الاوقيانوس الاتلنتيكي الى الاوقيانوس الهندي ويوصل بين طرفيها سكك الحديد ويكون حكامها من اعيان الالمان وهم يتولون ادارة زراعتها بواسطة سكانها الزنوج على اسلوب يعود بالفخر على الامَّة الالمانية كما قال الاستاذ دلبرك . الاَّ ان هذا الاستاذ قد اعترف ان ليس لالمانيا ربحٌ ماليٌّ من وراء ذلك فما الغرض منهُ الاَّ مجرَّد الجاه والتبجح بالملك الواسع . وهذا شأن المانيا في كل ما ترمي اليهِ . وقد كان للاغراض التي من هذا القبيل وتطلُّبها بالقوة والارهاب اثر سيّء في جعل الالمان يعتدُّون بانفسهم ويحسبون انهم قادرون على كل شيء . فاذا سلَّمنا بدقة علم الالمان ومهارتهم في تطبيق العلم على العمل وبسموّ بعض الفنون والآداب الالمانية يبقى فرق عظيم بين العظمة الالمانية التي يراها الناس والعظمة التي يدعيها الالمان انفسهم . ولذلك تجد الجامعة الالمانية تحتقر آراء غيرها وتقول ان الفرنسويين شعب منحط والايطاليين شعب مضمحل (الاَّ بعدما حالف المانيا) والروس شعب متوحش والبريطانيين شعب مراءٍ والاميركيين شعب يعبد المال . ولا تلتفت الى صراحة الفرنسويين ومهارة الايطاليين وتعشُّق الروس لما يعدُّ كمالاً وتمسك البريطانيين بالفضائل وصدق عزيمة الاميركيين . ومن ثم يُعلم جهل الالمان لغيرهم من الامم الذي هو العيب الاكبر في السياسة الالمانية والصخر الذي ستتكسر عليهِ قوة المانيا الحربية لان حكم العالم حصن حصين لا تستطيع الجنود ان تدكَّهُ مهما كثر عددها وقويت اسلحتها

ومما يذكر في هذا الصدد ان فلسفة الجامعة الالمانية تحرّف الحقائق عن وضعها مثال ذلك ان الدكتور منستربرج الالماني استاذ الفلسفة في جامعة هارفرد الاميركية وهو ليس من متخرجيها قال في كتاب لهُ نشرهُ حديثاً اسمهُ «الغد» «ان امتلاك المستعمرات والاستيلاء على المرافئ وتطلُّب البلدان الغنية بالمعادن كل ذلك لا يعدُّ اعتداء ولا طمعاً

من الغالب بالمغلوب ولا التاريخ يؤيد هذه الدعوى لان مطالب الامم التي يقصد بها غاية سامية يجب ان تحسب من قبيل القيام بواجب مقدَّس يفرضهُ التاريخ على الامم » . ولذلك لما اغتصبت المانيا كياوتشاو من الصين قامت بواجب مقدَّس على مذهبهِ دعتها اليهِ وطنيتها . وقال في تعريف الحق ما يأتي « يظن البعض ان الحق صورة فوتوغرافية لجسم موجود فعلاً وينسون ان كل ما يسمَّى حقًّا انما هو نتيجة تنوعت مرةً بعد اخرى او اختبار تكرر وتحوَّر او صورة اخترعها الذهن »

ومن ثم صارت الجامعة الالمانية مذهباً دينيًّا مدارهُ بغض الغير . وقد قال اتوفون غونبرج « ان رسوم هذا المذهب انما هي ان يحب الانسان اخوتهُ وبلادهُ وملكهُ ويتمنَّى النصر الذي ينتج السلام للاحياء والراحة للاموات . هذه هي تعاليم الوثنيين والمسيحيين ايضاً ولذلك فالحرب اسمى واقدس اعمال الانسان وهي الملكوت السموي لالمانيا الفتاة والسبيل لتقدمنا الى الله زلفى »

وقد اهتمت الجامعة الالمانية بالالمان الذين هاجروا من المانيا قاصدة ردهم الى الحظيرة الالمانية . ووضع فون بولو خطة لذلك وصفها برنهاردي بقولهِ « انها ترمي الى منع العنصر الالماني من التشتت في الدنيا وحفظهِ في مجاميع متضامنةٍ يكون منها حلقات سياسية حتى في البلدان الاجنبية ضلعها مع المانيا والى فتح الاسواق للمتاجر الالمانية والمعاهد العلمية لنشر الادب الالماني »

ويبلغ عدد الالمان الذين هاجروا من المانيا ويراد ردهم الى الحظيرة الالمانية ملايين كثيرة . وهم يدَّعون ان في الولايات المتحدة وحدها عشرة ملايين وفي غيرها من البلدان عشرة ملايين اخرى وهذا العدد على ما فيهِ من المبالغة لا يعود بالفخر على المانيا لان الذين رضوا منهم ان يكونوا عمالاً سياسيين لها باجرة او بغير اجرة قليلون جدًّا لا يزيدون على بضعة الوف ولم يخدموا المانيا خدمةً كبيرة ومع ذلك تقاضوا عليها اجوراً باهظة . ولكن لا شبهة في ان رجالاً تديرهم الجامعة الالمانية انتشروا في كل المسكونة وكان لهم اليد الطولى في تحقير اسم المانيا حتى قبلما نشبت هذه الحرب وطُلب منهم ان يقوموا بالاعمال العدائية فقد قال جون هاي[1] ان اعمالهم لم تبقِ لالمانيا صديقاً في الدنيا الاَّ النمسا المعتمدة على المانيا وتركيا المأجورة منها

ومن اعمال الجامعة الالمانية ايضاً اجبار الناس على استعمال اللغة الالمانية في كل مكان

(١) سياسي اميركي وكاتب مشهور كان وزيراً للداخلية في رياسة مكنلي

يصل اليهِ النفوذ الالماني ومنع استعمال الكلمات الاجنبية في البلاد الالمانية وابطال اللغات الاجنبية الفرنسوية والبولندية والدنماركية والفلمنكية من كل البلدان التي ضمتها المانيا اليها · وكان ما بذلتهُ من الجهد في نزع جنسية السكان في الالزاس واللورين مكروهاً لدى الالمان انفسهم سكان تينك الولايتين كما كان مكروهاً لدى الفرنسويين سكانهما

ولما نشبت الحرب الحاضرة ظهرت سطوة الجامعة الالمانية على اشدها فان الشعب الالماني لم تكن لهُ يد في الحرب مع ان خطتها وضعت في المانيا ومنها اوقدت نارها · ولا يزال اكثر الالمان يعتقدون حتى الساعة ان الامة الالمانية بريئة من اثارتها معتدًى عليها لا معتدية · ولقد سهل على الجامعة ان تقنع العوام ان روسيا وفرنسا وبريطانيا اتفقن على تضييق خناقهم للقضاء عليهم مستشهدة على ذلك بما في الصحف الاجنبية من اقوال العداء المشابهة لاقوال برنهاردي والكونت رفنتلو وبعض الصحف الالمانية · ولا تخلو بلاد من كتّاب متطرفين شأنهم بزر بذار العداء حتى لقد اجتمع جماعة من السياسيين من ممالك اوربا المختلفة في باريس في اوائل يوليو سنة ١٩١٤ للنظر في ما يجب عملهُ لتخليص اوربا من صحفها التي تتبجح بالوطنية

ان الاحزاب الاوربية التي تميل الى استعمال القوة والعنف لقيت ما غلّ ايديها ففي فرنسا لقي الحزب العسكري في مسألتي دريفوس وبولانجه ما قضى على غلوائهِ · وفي انكلترا لقي المحافظون في حرب البوير ما اضعف سلطتهم · واما في المانيا فطامع المستبدين لم تجد ما يقاومها منذ سقط نبوليون الى الآن · نعم ثار المقاومون لها سنة ١٨٤٨ ولكن انتهى الامر بالقضاء على زعمائهم

وقد ظهرت مضار سياسة الجامعة الالمانية بُعَيد حرب البلقان الاولى بخيبة المساعي لانشاء مملكة جديدة في البانيا التي سببت حرب البلقان الثانية · وبعدم انصاف شعوب البلقان وعدم تركهم لانفسهم وشل يد الحكومة الالمانية حينما اهتمت بامر السلم · كل ذلك سببهُ اعمال الجامعة الالمانية والى دسائسها ينسب ما فعلتهُ المانيا اذ رفضت ان تمنع النمسا عن تهديد السرب وابت ان تشترك في مؤتمر اوربي لحل هذه المشكلة · وهي التي جعلت اركان الحرب يضطر امبراطور المانيا الى اعلان الحرب على فرنسا لاسباب لم تثبت صحتها بل ثبت الآن انها مختلقة · ولما تجاسر الامبراطور ووزيرهُ على ارسال رسالة الى النمسا يشيران بها عليها ان لا تكدر صفاء السلم اوقف ڤون تشرسكي السفير الالماني هذه الرسالة ولم يوصلها الى الحكومة النمسوية او اوصلها على اسلوب يغير معناها لانهُ من اعضاء الجامعة

الالمانية . وقد نسب جنسكو وزير رومانيا السابق التهجم على سربيا الى ثلاثة من اعضاء الجامعة الالمانية وهم الكونت تسزا وزير المجر وفون تشرسكي سفير المانيا وفورغاش صنيعتها في النمسا . ثم لما كاد الاتفاق يتم بين روسيا والنمسا قبل اعلان الحرب قام اعضاء الجامعة واذاعوا في طول البلاد وعرضها ان روسيا شرعت في تعبئة جيشها وساعدتهم الجرائد الحربيَّة والجرائد الاكليريكية (الدينية) على جاري عادتها . فالجامعة الالمانية القت بالمانيا وباوربا كلها في اتون هذه الحرب الزبون معتمدة على الكذب والحماس الكاذب والتبجُّح بالوطنية . واضطر الامبراطور وحكومتهُ الى مجاراتها لانها كانت قد اعدَّت الافكار اعداداً تعسر مقاومتهُ فنودي بالتعبئة العامَّة وهي آلة فعالة لاعمال الجامعة لانها تستلزم ابطال كل سلطة غير عسكرية

وفي الثلاثين من يوليو اي قبلما أعلنت المانيا الحرب فعلاً باربعة ايام نشرت جريدة اللوكال انزيجر في كل مدن المانيا انهُ صدر الامر بالتعبئة العامة . وهو اختلاق منها ولكنها جريدة شبيهة بالرسمية يديرها ولي العهد ففلَّت يدي وزير الامبراطورية واثبتت لكل احد ان الحرب واقعة لا محالة . وأُرسل الخبر بالتلغراف الى روسيا حالاً فثبت للروس ان الحكومة الالمانية امرت بالتعبئة العامَّة فاضطربت روسيا من اقصاها الى اقصاها . وأُرسلت الى روسيا تلغرافات من برلين تكذب هذا الخبر ولكن مصلحة التلغراف اوقفتها ولم ترسلها الأ بعد ما شاع خبر التعبئة وعملت روسيا بما يستلزمهُ

والخلاصة ان الحرب نشبت باختلاق الاخبار الكاذبة عن فرنسا وبتأخير تلغرافات النفي عن روسيا . وكأنَّ كلاًّ من المانيا وفرنسا وروسيا وقفت حينئذٍ وقفة الحيرة وهي تقول ماذا افعل وكل امَّة من هذه الامم الثلاث شاكية السلاح الى النحر

حيلة اختلقتها الجامعة الالمانية كما فعل بسمارك لما حرَّف التلغراف في ايمس فدعا الى اثارة الحرب بين فرنسا وبروسيا سنة ١٨٧٠

وقد قام كاتب مبرّز في الوقاحة سمَّى نفسهُ يوليوس اولتر فطعن على الوزير بثمن هلفغ طعناً فاحشاً مصوّباً ما فعلتهُ اللوكال انزيجر بقوله

« لقد علمت المانيا كلها ان الساعة قد حانت الأ بثمن هلفغ فانهُ بقي يرجو ان يُحَل الاشكال حلاً سلميًّا او تنحصر الحرب في النمسا وسربيا . وواضح انهُ بذل كل جهدهِ حتى الساعة الاخيرة ليمنع وقوع ما لا بدَّ من وقوعهِ ولو كلَّفهُ ذلك مها كلفهُ غير ملتفت الى المقتضيات الحربية . وكثيراً ما قال لهُ اركان الحرب ووزير الحربيَّة ورؤَساء البحرية ان لا

بدَّ من التعبئة العامّة فلم يفلحوا ولم يقنعوا الامبراطور بوجوب ذلك الاَّ بعد الجهد الجهيد. ويوم الثلاثاء في ٣٠ يوليو جاء اعلان التعبئة في نشرات البوليس واللوكال انزيجر ولكن بتمن هلفغ نفاهُ وابطل فعلهُ حينئذٍ »

وقد ناقض رجال الحربية اوامر الحكومة في امر بلجكا قال بوليوس اولتر في هذا المعنى « ان مسألة ضم بلجكا الى المانيا صارت لدى وزير الامبراطورية كل مدة الحرب مثل الخرقة الحمراء لدى الثور في اسبانيا (اي مكروهة جدًّا) لانهُ لما خرق حياد البلجيك في ٤ اغسطس سنة ١٩١٤ وعد انهُ يكفر عمَّا فعلهُ فكيف يستطيع ان يضمها الى املاك المانيا بعد هذا الوعد. وقد نسي مصالح المانيا وحسبنا ذكر انڤرس للدلالة على اهمية هذه المصالح وهذا شأنهُ من اللين مع فرنسا ناسياً ما خسرناهُ في معارك الفوسج والموز وانهُ يجب علينا ان لا نبقي تلك الاماكن لغيرنا بل نحتفظ بها لكي نتمكن من مقاومة انكلترا — كل ذلك نسيهُ الوزير بتمن هلفغ على ما يظهر »

وهذه المطالب واشباهها مثل امتلاك بلجكا وهولندا واجتياح الولايات الشمالية من فرنسا وجعل بولون اكبر مرفإٍ بحريّ في اوربا واخذ غرامة فاحشة من باريس كانت من المواضيع التي يتناولها البحث دائماً في حلقات الجامعة الالمانية لما كان كاتب هذه السطور في المانيا سنة ١٩١٣. ولم يكن الجمهور يعلّق شأناً كبيراً عليها وكانت وزارات المانيا تناقضها ما عدا وزارة الحربية ووزارة البحرية لكن نجاح الجامعة في اثارة الحرب ولاسيما في استخدام الغواصات القت الشحناء بين وزير الامبراطورية ووزير البحرية

والظاهر ان الامبراطور أيَّد وزيرهُ اي أيَّد الحزب المعتدل كما يستدل من استعفاء ملتكي وتربتز وفلكنهين لكن الحزب المتطرف لم يضعف عزمهُ فبقي على سياسة الارهاب بالغواصات والبلونات للقتل والتخريب فخسرت المانيا ادبيًّا اكثر ممَّا كسبت ماديًّا

والمسألة المهمة الآن ليست ما هو السبيل لسحق المانيا بل ما هو السبيل لتخليصها من هذه الفئة الطاغية فئة الجامعة الالمانية. وتخليصها منها لا يكون الاَّ بيد الالمان انفسهم والظاهر انهم سيفعلونهُ فان سلطة الكونت رفنتلو وامثاله اخذت تنحط وجعلت اصوات طالبي الحكم الدستوري تزيد جلاء. فاذا تمكنوا من التغلب على آراء اصحاب الجامعة الالمانية ومطامعهم ونظروا الى مصالح بلادهم بعين العقل والتروي ودخلوا البيوت من ابوابها وانقاد خصومهم اليهم انعقدت الآمال بانحلال مشكل من اعقد مشاكل العمران. ولا يصلح العالم الاَّ اذا انفصلت القوة الحربية عن المصالح المالية انفصالاً تامًّا

وزير الامبراطورية الالمانية

ابان الاستاذ داود ستار جوردان في المقالة المنشورة آنفاً ما هو الدافع الاصلي لاثارة الحرب الحاضرة · وادلتهُ على ذلك من اقوى الادلة لكنهُ كاد يبرئُ الامبراطور ووزيرهُ من المسؤولية · وقد وقفنا على مقالة اخرى لكاتب سياسي من المحايدين نشرتها مجلة لندن يظهر منها انهُ من كبار رجال السياسة ومن عشراء وزير الامبراطورية الالمانية قال فيها ما خلاصتهُ

ان الدكتور بثمن هلفغ يُعدُّ الآن ثانياً لامبراطور المانيا ويُحسب لهُ شأن كبير فيما تطمح اليهِ انظار الالمان من الاستيلاء على المسكونة · وقد لقيتهُ اول مرة منذ ٢٥ سنة في مونخ حيث كنت ضيفاً مع بعض الرفاق وكان حينئذٍ موظفاً في وزارة المالية كاتباً براتب لا يزيد على ١٨٠ جنيهاً في السنة

كان في نحو الخامسة والثلاثين من عمرهِ طويل القامة كثير الحياء نفوراً من الناس كأن غرضهُ الاول ان يبقى بعيداً عنهم · قضى اكثر وقتهِ وهو في بيت مضيفهِ في مكتبتهِ بين كتبها الكثيرة وكان هذا شأني انا ايضاً اي اني اقمت اكثر الوقت معهُ في مكتبة مضيفنا فتمكنتُ من التغلُّب على ما بهِ من الوحشة فآنس بي بعض الشيء · وكنت اكبر منهُ سنًّا ولكنني رأيتُ انهُ يجد التكلُّم معي اسهل عليهِ من التكلُّم مع الضيوف الذين من سنهِ لان اكثرهم من الضباط الذين لا جامعة بينهُ وبينهم

وكان قد تلقَّى دروسهُ في جامعة بون وبرَّز على الاقران فيها ولو اتَّبع ميلهُ الطبيعي لانقطع للعلوم الفلسفية لكن والديهِ لم يرضهما الَّا انتظامهُ في سلك رجال الحكومة فعمل حسب مشيئتهما على جاري عادة الالمان

ولما لقيتهُ لم يكن يحسب انهُ يرتقي الى منصب عالٍ وكانت اعمالهُ في الديوان قليلة فانهُ كان يعمل من الساعة العاشرة صباحاً الى الرابعة بعد الظهر فيبقى في سعة من الوقت للدرس والمطالعة · وكان من المنتظر انهُ يرتقي الى اعلى منصب في المكان الذي هو فيهِ وراتب هذا المنصب ٦٠٠ جنيه في السنة

لما كان يدرس في جامعة بون كان الامبراطور الحالي وليًّا للعهد وكان يتلقى دروسهُ فيها ايضاً · وقد اخبرني ونحن في المكتبة المشار اليها آنفاً بامرٍ حدث لهُ وهو في السنة

الثانية في جامعة بون نبّه ولي العهد اليهِ ولعلهُ كان السبب لاختياره اخيراً وزيراً للامبراطورية الالمانية وما ترتب على ذلك من اثارة هذه الحرب. فانهُ كان من اعضاء جمعية للخطب والمباحثات في تلك الجامعة ولم يكن يحسن الخطابة فكان يحضر الجلسات ولا يشترك فيما يدور فيها من البحث والمناظرة لكن رئيس الجمعية (وهو الآن وزير المستعمرات) اقنعهُ ذات يوم ان يشترك في مباحثة موضوعها مستقبل الامبراطورية الالمانية وحضر ولي العهد تلك المباحثة فلما جاء دور هلفغ وقف والتفت الى الرئيس ثم الى الاعضاء وكأنهُ نسي كل ما كان عازماً ان يقولهُ مع انهُ كان قد كتبهُ واستعدَّ لهُ فقال «المانيا» ووقف ثم قال «المانيا» ثانية ووقف ثم قال «المانيا» ثالثة وحُصر عن الكلام وجلس خجلاً. فاستدعى الرئيس واحداً آخر طلق اللسان فنهض حالاً وتكلَّم مرتجلاً. ولما انتهت المباحثة استدعاهُ ولي العهد الى غرفتهِ. وهاءنذا مورد ما قالهُ لي في هذا الصدد بحرفهِ قال

«لما بلغني طلب ولي العهد لي ظننتُ انهُ يريد ان يوبخني لانني تجاسرت على الوقوف للتكلم في هذه الجمعية وانا لا استطيع الكلام وهي ذات مقام رفيع وكان ولي العهد يحسب لها شأناً كبيراً. ولما دخلتُ غرفتهُ وجدتهُ وحدهُ فحيَّاني بلطف زائد وجعل يتكلم عن المباحثة فحاولتُ ان اعتذر باني كنتُ اعلم قصوري وضعفي ولم اتجاسر على النهوض للكلام الاَّ طاعة لامر الرئيس وبسبب الحاحهِ. فقطعني وقال لي «اني اعلم ذلك كلهُ. ومرادي ان اقول لك ان الكلمات الثلاث التي قلتها اي المانيا المانيا المانيا هي ابلغ خطبة سمعتها هذا المساء لانها عبَّرت عن مستقبل المانيا احسن تعبير». ودعاني للعشاء معهُ تلك الليلة فتعشيت وبعد العشاء اريتهُ الخطبة التي كتبتها فرآها وقال ان كلماتي الثلاث اوقع في نفسهِ منها

والظاهر ان الامبراطور لم ينسَ ذلك لان ارتقاء هلفغ كان سريعاً جدًّا وصار الامبراطور يدعوهُ اليهِ من وقت الى آخر وينزلهُ عندهُ ضيفاً ولكن لما لقيتهُ انا في مونخ لم يكن يعلم شيئاً مما اضمرهُ لهُ. وكانت عرى الصداقة وثيقة حينئذٍ بين انكلترا والمانيا واتذكر اني ذكرتُ في الليلة الاخيرة من قيامنا هناك اسم انكلترا فقال «اني آمل ان ازورها قريباً» ثم قال كأنهُ يخاطب نفسهُ «لولم اولد بروسيًّا لوددت ان اولد انكليزيًّا»

ومن الغريب انهُ صار بعد اقل من ربع قرن آلة في يد الامبراطور للعمل بسياسة مقتضاها القضاء على الامبراطورية البريطانية

ثم لقيتهُ مراراً كثيرة بعد ذلك وعرفتهُ معرفة تامَّة وسأقتصر فيما يلي على ما سمعتهُ منهُ وما سمعتهُ عنهُ من اقرب المقربين اليهِ وما عرفتهُ بنفسي من امورهِ · وانا واثق انهُ لم يتطلَّب في اوليات ايامهِ صداقة الامبراطور فبعد ان لقيتهُ اولاً ببضع سنوات جاءتهُ دعوة من الامبراطور او امر منهُ ليتعشى معهُ ببرلين لحضر في الميعاد وجلس على مائدة مستديرة عليها الامبراطور والامبراطورة وبعض اعضاء البيت الامبراطوري · وقد قال لي في هذا الصدد ما نصهُ : « لا اظن انني قضيت في حياتي كلها عشيَّة تضايقتُ فيها اكثر مما تضايقت تلك العشية فانني كنت مضطرًّا ان اشرب الشمبانيا دواماً وانا اكرهها · وقد دهشتُ جدًّا من نوع القصص التي كان الامبراطور والذين معهُ يقصونها على مسمع الامبراطورة وظننتُ ان كل احد حسب اني في منتهى البلادة لانني لا اقصُّ قصصاً مثلها · ولما انتهى العشاء وكنت قد شربت من الشمبانيا الى حد السكر امر الامبراطور خادماً ان يملأ كأسي ثم رفع كاسهُ الى فيهِ وقال اليك يا هلفرج نشرب هذا على ذكر الجامعة التي تعلمنا فيها · فاضطررت ان اجاريهُ واشرب كأسي كلها فاصابني صداع شديد كل اليوم التالي »

هذا كان اول اجتماع اجتمع فيهِ بالامبراطور بعد مغادرتهما المدرسة · والتقيت انا بهِ مرةً في بيت البرنس فرستنبرج ببرلين وذكَّرتهُ بما اخبرنيهِ عن عشائهِ الاول مع الامبراطور فنظر اليَّ شزراً وقال « يستحيل ان اكون قد قلتُ هذا القول عن جلالتهِ » · والظاهر انهُ كان قد رأى من الامبراطور ما اوجب عليهِ ان لا يذكر اسمهُ الأ بالتجلة والاكرام حتى لاعز اصدقائهِ فان نِعمَ الامبراطور التي توالت عليهِ لجمت لسانهُ واستعبدتهُ والاحسان يستعبد الانسان ولولا ذلك ما انقلب هذا الانقلاب وصار يعمل من الاعمال ما كان يكرههُ او يتجنبهُ · مثال ذلك ان رجلاً اسمهُ البارون هوهنستين وهو من اصدقاء الامبراطور وانسبائهِ الابعدين كان غنيًّا جدًّا ومحبًّا للهذر والمزاح حتى يستحق ان يسمَّى ضحَّاك القصر الامبراطوري · وكان الامبراطور يسر جدًّا بحديثهِ ونكتهِ وقد اخبرني هلفرخ انهُ لم يكن يطيق هزل هذا البارون ولكنهُ اضطر ان يضيفهُ ويستضيفهُ مراراً كثيرة اكراماً لخاطر الامبراطور · وذات ليلة كان هلفرخ يتعشى عندهُ مع الامبراطور وبعض رجال حاشيتهِ ودار الحديث والهزل والضحك وهلفرخ جالس كالصنم لا يأكل ولا يتكلم فالتفت اليهِ البارون وقال لهُ مالك أمريض انت · فاجاب انا مثل صاحب الجلالة · فقال الامبراطور ان كنتَ مثلي فانت في اجود صحة · فقال اذا كنتم جلالتكم كذلك فلا يكون عبدكم الأ معافًى · فالتفت اليهِ البارون وقال لهُ اوضح لنا ما تقول · فقال الامبراطور انا فهمت مرادهُ

ثم التفت اليهِ وقال لهُ خير لك ان تمضي الى بيتك . فقام ومضى . وكان مرادهُ انهُ ان كان الامبراطور راضياً بهذا الهزل المعيب فهو مضطر ان يرضى بهِ (وكلمة مريض عندهم تحتمل معنى المرض ومعنى الكدر مثل كلمة غير مبسوط العاميَّة عندنا فاستعملت هنا بمعناها الوضعي ومعناها الاستعاري) . وقد قصَّ عليَّ هذه القصة رجل من رجال السفارات الاجنبية في برلين كان مدعوًّا للعشاء ايضاً

ولا شبهة ان هلفغ اضطرَّ ان يجاري الامبراطور ورجال الحزب الحربي والحزب السياسي مثل فلكنهين وهندنبرج والبرنس بولو وغيرهم بعد ان كان مناقضاً لجعل القوة الحربيَّة الدعامة العظمى للسلطنة

وكان رأي هندنبرج فيهِ ضعيفاً جدًّا وقد سمعتهُ مرةً يقول « ان هلفغ لا يصلح لغير الدرس والمطالعة فانهُ يفهم الكتب ولكنهُ لا يفهم الرجال وحصاني الذي نفق بالامس اقدر منهُ على فهم الرأي العام » وكان ذلك في وليمة اولمت بُعَيْد تعيين هلفغ رئيساً لبرمبرج سنة ١٩٠٢ ولا شأن لهذا المنصب لذاتهِ ولكن صاحبهُ يتدرَّج الى اعلى المناصب في الامبراطورية الالمانية

وذات يوم كان هندنبرج وهلفغ ضيفين عند ولي العهد في قصر مارمور ودار البحث وهم يتذمدون على اطالة المناورات الحربية اسبوعاً ولم يشترك هلفغ في البحث الاَّ بعد ما سألهُ ولي العهد عن رأيهِ فقال اني لا اعرف كثيراً عن هذا الموضوع ولكنني لا ارى سبباً موجباً لاطالة مدة المناورات

فقال هندنبرج « لا اظن ان هلفغ يرى سبباً موجباً لشيءٍ الاَّ قراءة كتاب لا يفهمهُ احد غيرهُ » فانكر ولي العهد ذلك على هندنبرج ولكنهُ تلطف في الانكار

ومن الغريب ان هلفغ وهو عالم وفيلسوف اقام سنين كثيرة مصافياً لولي العهد وهو جاهل مخمور مدَّعٍ . وقد يقال ان هلفغ سار في السبيل المؤدّي الى اسمى المناصب السياسية فاضطر ان يحاسن ولي العهد ولكن تدل الدلائل على انهُ كان يحاسن ولي العهد ويجاريهِ لمودَّة حقيقية بينهما . وقد تداولت الالسن قصة تدلُّ على ما بينهما من اواصر الوداد وذلك ان امرأةً في نحو الثلاثين من عمرها قتلت عشيقها في برلين لانهُ هجرها فحوكمت واعترفت بما فعلت فحكم عليها بالقتل وأُبدل العقاب بالاشغال الشاقة مؤبداً ثم أُطلق سبيلها بعد بضعة اشهر على شرط ان لا تقيم في المانيا . ويقال ان هلفغ كان حينئذٍ في وزارة الداخلية

وانهُ تولى النظر في امرها مرضاةً لولي العهد لان هذا كان يعرفها منذ كانت مغنية فاقنع الامبراطور بالعفو عنها . والظاهر ان تصرفهُ في هذه المسألة من غير « قيل وقال » رفع قدرهُ في عيني ولي العهد

والخلاصة ان بثمن هلفغ ارتقى الى اعلى منصب في الامبراطورية الالمانية لا لانهُ امتاز على غيرهِ بدهائهِ السياسي بل لان امبراطور المانيا اصطنعهُ . وقد تدرَّج في الارتقاء من منصب الى آخر من غير ان يشتهر اسمهُ او ترشحهُ الامة الالمانية فلم يكن لها يد في ارتقائهِ كما لا يكون لها يد في جعل الامبراطور يشتري هذا الفرس اذ ذاك الخروف . ومن ثمَّ يتضح كيف ان الحكومة الالمانية حكومة مطلقة زمامها في يد رجل واحد مطلق التصرُّف على ضد ما هي عليهِ الحكومة الانكليزية . والشعب الالماني خاضع لامبراطورهِ خضوع الولد لابيهِ وليس لهُ رأي سياسي خاص بهِ بل رأيهُ ما يريدهُ الامبراطور

وسنة ١٩٠٥ جُعل هلفغ وزيراً للداخلية في بروسيا وحينئذٍ عرف جمهور الشعب اسمهُ ثم جُعل مساعداً لوزير الامبراطورية وكان البرنس بولو . ولما كان هلفغ وزير الداخلية انطبع بطابع الحزب الحربي ثم تطرَّف في مذهب الجامعة الالمانية حتى فاق البرنس بولو . سمعتهُ يخطب في مونخ سنة ١٩٠٨ فقال انهُ لاشيءٌ يقلق بال المانيا الآن من حيث علاقاتها الخارجية ولكن حاضرها ومستقبلها كدولة عظيمة يجب ان يتعلقا على قوة ذراعها . وذراعها الآن اقوى مما كانت في اي وقت كان ومع ذلك يجب ان تزيد قوةً

وكانت تلك الخطبة من الخطب التي يسرُّ بها الامبراطور في الفخر والتحدّي . والواقع ان الامبراطور اعدَّها لهُ وامرهُ ان يتلوها لتكون درساً للبرنس بولو فان الامبراطور لم يكن راضياً عنهُ حينئذٍ . ومَن يطّلع على الحوادث التي حدثت بعد ذلك الحين يرى فيها بوادر الشر والاسباب التي انتجت هذه الحرب فان البرنس بولو رأى حينئذٍ ان الامبراطور انقاد الى الحزب الحربي انقياداً تامًّا ولم يكن هو على رأيهِ ومن المحتمل انهُ لو بقي وزيراً للامبراطورية لما نشبت الحرب وكانت الدوائر السياسية في برلين تعلم ان البرنس بولو يصد الامبراطور عن الانقياد الى الحزب الحربي وهو الذي طلب منهُ سنة ١٩٠٨ ان لا يفوه بخطبة ما لم يرَها هو اولاً ويصادق عليها . لانهُ كان يتكلم من وقت الى آخر بما يخطر لهُ فيقيم اوربا و يقعدها . وقد طلب البرنس بولو ذلك منهُ كتابةً فاستدعاهُ الامبراطور اليهِ ولا يُعلَم ما دار بينهما من الحديث حينئذٍ ولكن البرنس فورستنبرج اخبرني

انهُ لما رأى الامبراطور ان البرنس بولو مصمم على ما كتبهُ وعازم على الاستعفاء اذا لم يجبهُ الامبراطور الى طلبهِ وضع يدهُ على كتفهِ وقال لهُ « اني اذا جلدتك الآن كما اجلد فرسي وامرتُ خدمي ان يخرجوك من هنا رفساً باقدامهم فيكون ذلك مما تستحقهُ ولكنني عازم ان ابقيك في منصبك الى ان اطردك منهُ طرداً في الوقت المناسب »

وهذه آخر مرة قابل فيها البرنس بولو الامبراطور منفرداً . لكن ما طلبهُ من الامبراطور اوقعهُ في حيرة لانهُ لم يجد من يعينهُ وزيراً للامبراطورية بدلاً منهُ ويرضى ان يكون آلة في يدهِ و يد الحزب الحربي يتكلم بلسانهما ويعمل حسب مشيئتهما الاَّ بتمن هلفغ . ولم يكن مقتنعاً انهُ كفوء لهذا المنصب فاضطرَّ ان يعمل بما طلب منهُ البرنس بولو وصار يعرض خطبهُ كلها عليهِ قبلما يفوه بها فاستراحت اوربا برهة من الزمن وكان الراسخ في الاذهان ان هذا الامر لا يطول لانهُ يتعذر على الامبراطور ان يرضخ لحكم وزيرهِ طويلاً فلا بدَّ لهُ من عزلهِ ولولم يكن احد يصلح للقيام في مكانهِ ولكن رسخ في الاذهان ايضاً انهُ اذا عُزل البرنس بولو زال آخر قيد يقيد الامبراطور عن الجري على مقتضى طبعهِ وحبهِ للحرب وطمعهِ في التسلُّط على العالم

ولما تلا هلفغ الخطبة المشار اليها آنفاً قدَّم البرنس بولو استعفاءهُ الى الامبراطور فلم يقبلهُ اما لانهُ كان يريد ان يعزلهُ عزلاً او لانهُ لم يكن واثقاً ان هلفغ يعمل حسب مشيئتهِ تماماً بلا سؤَال ولا خوف ولا تردُّد

وكان امام هلفغ حينئذٍ سبيلان الواحد ان يستعفي من خدمة الحكومة فينُسى اسمهُ ولا يبقى لهُ ذكر يذكر . والثاني ان يستمر في الخدمة ويرتقي الى اسمى المناصب ولكن ذلك يضطرهُ الى اثارة حرب عوان لا تذكر في جنبها كل الحروب الماضية . فلا عجب اذا تردَّد في اول الامر لان السلم من طبعهِ والحرب من أكره الاشياء لديهِ . واني لاعجب من اختيارهِ الخطة التي اختارها وهي على ضد طبعهِ . تعشيت عندهُ في تلك الاثناء عشاء عائليًّا انا وثلاثة غيري وهم الدكتور فردرك هلفغ ابن عمهِ وفون كينج وزوجتهُ وهي اخت بتمن هلفغ . وفون كينج هذا من اظرف الناس وافكههم حديثاً ولا سيما في ما يرويهِ من القصص الهزلية ومن القصص التي قصَّها علينا ان بتمن هلفغ ضعيف الذاكرة جدًّا حتى لقد يرى اخاهُ وينسى انهُ اخوهُ دخل يوماً دكاناً منفرداً حيث يشرب الشاي حاسباً انهُ لا يجد هناك احداً يعرفهُ ولما شرب فنجان الشاي دفع ثمنهُ للابنة التي تقبض الثمن من الزبائن فشكرتهُ وسمتهُ باسمهِ فاستغرب ذلك وقال لها كيف عرفتِ ان هذا اسمي فقالت لهُ لقد كنت خادمةً في بيتك

سبع سنوات ولم اخرج من عندكم الاَّ منذ سنة . ولما قص القصة التفت الى هالفْغ وقال لهُ كذبني ان لم تكن القصة صحيحة فاشار هلفْغ برأسهِ اشارة التصديق فقلت انا للكبنج كيف عرفت انت هذه القصة فقال اني كنت جالساً معهُ على المائدة التي كان جالساً عليها ولكنهُ لم يعرفني . فضحكنا كلنا وشاركنا هلفْغ في الضحك

وبعد مضي ثلاثة اشهر على هذا العشاء عزم هلفْغ ان يستسلم للامبراطور جسداً ونفساً على قول ابن عمهِ فردرك هلفْغ وبعد ذلك عُزل البرنس بولو ونُصّب هلفْغ في مكانهِ وزيراً للامبراطورية الالمانية وذلك سنة ١٩٠٩ ومن ثم صار آلة في يد الحزب الحربي ولساناً ناطقاً بمقاصدهِ ومن اقوى الايدي المنظمة لقوى الامبراطورية الالمانية حتى تتغلب على المسكونة كلها حينما تأزف الساعة

ومرّت سنتان على تربعهِ في هذا المنصب لم يبدُ فيها منهُ شيء يستوقف نظر الجمهور ولكنهُ كان كثير العمل فيها لان المانيا كانت تستعد للحرب استعداداً متصلاً وهو يرشدها في ذلك ويحرص حتى يكون استعدادها سرًّا وعلى اتم السرعة والكتمان . ولم التقِ بهِ حينئذٍ الاَّ قليلاً لكنني كنتُ ارى آثار الهم والتعب بادية على وجههِ وقلت لهُ مرةً اراك كثير التعب فلماذا دمتَ على هذا المنوال رزحتَ تحت حملك فقال « اصبتَ وانما يقتلُ الانسانَ همهُ وانشغال بالهِ لا عملهُ وتعبهُ » ولا شبهة في انهُ كان مهموماً جدًّا حينئذٍ ولو لم اكن اعلم سبب همهِ

وبعد ستة اشهر وقعت حادثة اغادير في المغرب الاقصى وذلك في اغسطس سنة ١٩١١ وكادت المانيا تعلن الحرب على انكلترا . وتفاقم الخطب لان الامبراطور والحزب الحربي كانوا يطلبون الخروج الى الحرب حالاً . وكان هلفْغ يتوقع ذلك منذ اشهر وقد بذل جهدهُ في تأجيلهِ لانهُ كان يعلم ان استعداد المانيا لم يكن قد صار على اتمهِ . وقد بلغني انهُ في الليلة التي كان الناس ينتظرون ان تعلن المانيا الحرب فيها قابل هلفْغ الامبراطور وتوسَّل اليهِ ان يؤجل اعلان الحرب الى فرصة اخرى لان المانيا لم تكن على تمام الاستعداد لها . فاستدعى الامبراطور ترپتز وفلكنهين وهندنبرج قُبَيْل نصف الليل وتذاكروا في الامر مليًّا وبعد اربع وعشرين ساعة علم في الدوائر السياسية ان المانيا بلعت الموسى ونكصت على عقبها ولا خوف من اعلان الحرب حينئذٍ

وبعد نحو شهرين التقيت بضابط كبير من ضباط البحرية الالمانية كان نازلاً في بيت

كان فيه بتمن هلفغ ضيفاً فاخبرني ان واحداً من الحضور عنّف هلفغ لنكوصهِ في حادثة اغادير فاجابهُ اشكرْ ربك لانني تمكنتُ من النكوص حينئذٍ ولكن كن على ثقة ان المانيا ما عادت تنكص بعد الآن بل تضرب حالما تُتحدَّى

ولقد حققت الايام قولهُ . ولا اعلم الى اي حد كان يمتد نظرهُ حينئذٍ ولا كم كان استعداد المانيا للحرب ولكنني اعلم علم اليقين انهُ صار بعد حادثة اغادير الدّ اعداء انكلترا واشد الناس تأييداً لمطالب الجامعة الالمانية . فقد اضطر ان يبذل جهدهُ لمنع الحرب لما رآهُ من عزم انكلترا وحزمها فتمكنت كراهتها منهُ وصار يكرهها مثل اشد تلامذة ترتشكي كرهاً لها ولكنهُ لم يكن يجاهر بذلك الاَّ بين اخص اصدقائهِ . وبعد حادثة اغادير بنحو سنتين كنتُ مسافراً من مونخ الى برلين واتفق انهُ هو كان مسافراً ايضاً ونزلنا في مركبة واحدة وحدثنا فدار الحديث على مواضيع مختلفة الى ان اتصلنا الى السياسة الخارجية وكان حذوراً في كل ما يقول الى ان وصلنا الى حادثة اغادير فصمت ولم يقل شيئاً الى ان قلت انا ان تلك الحادثة مضت وانقضت وصارت في خبر كان . فاخذتهُ الحدة وقال كلاَّ لم تمضِ ولا يمكن ان تمضي ما لم .... ثم توقَّف وقال متمهلاً ما لم تأخذ المانيا بثارها من الدولة التي اهانتها

ان تاريخ هلفغ من سنة ١٩١١ فصاعداً تاريخ رجل عائش لغرض محدود يرمي اليهِ في كل اعمالهِ وتدابيرهِ وهو ان تصير المانيا قادرة على قهر غيرها اي ان تحارب عدوها وتقهرهُ غير حاسب حساباً لتأثير تلك الحرب في بلادهِ وفي غيرها من البلدان فانَّ قهر الخصم غايتهُ والحرب هي السبيل الى ذلك فلا بدَّ منها ولا مردَّ لها ولا تردُّد في ذلك

كان ترنتز (وزير البحرية) يعتمد على التنكيل بالعدو لاجل ارهابهِ مثل سائر رجال الحزب الحربي واما هلفغ فلم يكن كذلك في اول عهدهِ فقد سمعتهُ مرة يقول ان التنكيل بالسكان غير المحاربين قصد ارهابهم عمل وحشي . ثم غيَّر رأيهُ بعد ذلك منقاداً الى ترنتز على ما يظهر وسلم بآراء الحزب الحربي . ويظهر مقدار تغييرهِ لآرائهِ من بعض الخطب التي خطبها فلما اتقن الكونت تسبلن بلونهُ بحثت الدوائر الحربية والبحرية في مقدار فتكهِ فخطب هلفغ في وليمة بوزارة الخارجية ببرلين كنت مدعوًّا اليها ومدح المخترع لما اظهر من المهارة والهمة واشار الى منافع هذا البالون ثم قال « ولكن لا يحتمل مطلقاً انهُ يستعمل في وقت من الاوقات لقتل غير المحاربين في زمن الحرب بالقاء القنابل عليهم » . وبعد سنين قليلة رحَّب بهذا البالون كواسطة لتهديد مدن العدو حتى يسلم او يخربها على رأسهِ

وبعد ما تربّع في دست وزارة الامبراطورية صار الناس يصغون الى كل ما يقولهُ في مجلس النواب لاعتقادهم انهُ لا يتكلم الاَّ ويأتيهم بامر مهم · وهو غير ماهر في الخطابة فلا يستطيع ان يمتلك قياد سامعيهِ بفصاحتهِ وهذا عيبهُ الوحيد في عيني الامبراطور · وكل خطبهِ الحربية تعرض على الامبراطور فينقحها لهُ · ويظهر لي ان كل ما فيها من العبارات المقعرة هي من انشاء الامبراطور لا من انشائهِ لاني اعرف جيداً اسلوبهُ في الانشاء مثال ذلك قولهُ في ابريل الماضي « اننا لا نخشى الجوع ولا الموت ولا الشيطان » (وفي الكلمات الاصلية شيء من الجناس اللفظي)

وقد قابلتهُ بعيد غرق الباخرة لوزيتانيا فقال لي ان اغراقها جاء اتفاقًا مثل كثير من الكوارث الحربية فلا اهمية لهُ · ثم قابلهُ رجل آخر من رجال السياسة فقال لهُ « ان العالم سيندهش من هذه الفظائع التي ترتكب في هذه الحرب » · وقبل الشروع في ارتكاب هذه الفظائع عرض ان يعقد الصلح مع الدول التي تحاربهُ والمرجح ان الامبراطور خاف من ان تصل هذه الفظائع اليهِ والى بيتهِ وشعبهِ فامرهُ ان يطلب عقد الصلح

وهو من الجبرية الذين لا يقدرون العواقب ولذلك عمل برأي والديهِ لمَّا ارادهُ ان ينتظم في سلك رجال الحكومة وقبل بما طلبهُ منهُ الامبراطور وجارى الجامعة الالمانية في كل مطالبها غير حاسب للنتائج حساباً

ولا اظن ان احداً يستطيع ان يقنعهُ ان المانيا اساءت في عمل عملتهُ اوخالفت شرائع الامم المتمدنة لانهُ اذا رأى غاية واعتقد انها حسنة تستحق ان تطلب برَّر كل واسطة تستعمل لنيلها قائلاً ان الامور بمقاصدها اي انهُ لا يعد العمل صالحاً او طالحاً لذاتهِ بل بالاضافة الى ما يرمي اليهِ فيجب ان نستخدم كل وسيلة ممكنة لنيل الغاية المطلوبة فاذا نيلت فبها والاَّ فلا مهرب من الفشل · وكل ما يحدث في سبيل الوصول اليها من الضرر والالم والشقاء لا شأن لهُ عندهُ ولا يستحق ان يُعنَى بهِ

وهو قوة هائلة في المانيا ما دام الامبراطور وراءهُ يحمي ظهرهُ فاذا تخلَّى عنهُ يوماً ما مُحي اسمهُ ونسي ذكرهُ كما جرى لرجال اخرين كانوا اعظم منهُ

القَدَرية والجبرية

المسؤولية

طبيعة فكرتها وكيفية تكونها في النفس

(٣)

كلمة المسؤولية من الكلمات المعقدة الدقيقة . ذلك لان مدلولها ليس شيئاً محسوساً فنحيط بجميع نواحيهِ ونستطيع الوقوف بالدقة على ظواهرهِ وخوافيهِ . ولا هو معنى بسيطاً قائماً بالذهن كما يقوم بهِ معنى كلمة الصدق مثلاً . ولكنهُ اثر ونتيجة لاحساساتنا وعقائدنا واعمالنا فيما بيننا و بين انفسنا وفيما بيننا و بين سوانا بل فيما بين غيرنا ممن نعول ونفسهِ وفيما بينهُ و بين سواهُ . فالواحد منا يحس بمعنى المسؤولية ان ارتكب خطيئة امام ربهِ وكان متديناً . ويحس بهذا المعنى اذا اساء ظنهُ بغيرهِ من الناس من غير حق . ويحس بهِ ان رأى بائساً يستطيع تقديم المعونة اليهِ ثم يحجم عن اعانتهِ . ويحس بهِ ولكن على شكل آخر ان هو اوصل الاذى الى غيرهِ . ويحس بهِ على شكل ثالث اذا اتى ابنهُ او اخوهُ او صديقهُ امراً نكراً . يحس بالمسؤولية امام ضميرهِ في الاحوال الاولى وامام الناس ايضاً في الاحوال الثانية . يحس بها و يعتقد ان جميع الناس مثلهم في ذلك مثلهُ ولذلك فهو يحملهم تبعة اعمالهم على نحو ما يظن انهم يحملونهُ تبعة اعمالهِ

ومع تشعب معنى هذه الكلمة وامتدادهِ فانك ترى احساس الناس بهِ احساس ايمان وتسليم بحيث لا يكاد يتسرب الى انفسهم شك في وجود هذه المسؤولية ولا في كمها وكيفها . وليس ذلك بغريب فيهم . فانهم كانوا ولا يزالون يسرعون الى الحكم على اشد الاشياء دقة واكثرها تطلبًا للبحث والنظر بسهولة مدهشة في حين تراهم يترددون اذا دعوتهم للحكم في مسألة بسيطة يمكنهم البحث في كل اجزائها والوصول الى معرفة ما جل وما دق منها . فمسائل الدين كلها : وجود الله . وخلود النفس والعقاب والثواب . والنظريات الاجتماعية والاقتصادية العليا كفكرة العائلة . وحق العقاب . وفكرة الملكية ونحو ذلك — هذه المسائل المعقدة الدقيقة لا تحتمل لديهم مناقشة ولا جدلاً بل هم يرون من السخف النظر او البحث فيها و يطلقون على هذا السخف انواعاً من الاسماء فيسمونهُ التجديف مرة والهرطقة اخرى والسفسطة ثالثة . اما ما انحط الى اسفل من هذه المسائل بدركات فهو

يستدعي تفكيرهم و بحثهم لامكان الحكم فيهِ ككون زيد رجلاً طيباً او رجلاً خبيثاً · وكون عمل من الاعمال يستحق المدح او الذم · وجمال حيوان او قبحه · وغير ذلك من المسائل البسيطة

وظاهر ان هذا تناقض غريب · لان التردد في الحكم يزداد كلما ازدادت المسألة المطلوب الحكم فيها دقة وتعقيداً · فيجب من اجل الوصول الى حكم مقنع تذليل جميع المصاعب وحل كل العقد واستظهار كل الدقائق حتى تصبح المسألة مجموع مسائل بسيطة تحل كلها على طريقة واضحة مقبولة فكيف يسوغ اذن حل مسألة دينية او اجتماعية او اقتصادية بكلمة في حين اننا ندقق ونبحث اذا اردنا الحكم في اصغر الامور واضعف الاعمال · افليس هذا هو التناقض بعينهِ ؟

لو كان صحيحاً ما يقال من ان الانسان حيوان مفكر وطالبنا جميع الناس بالتفكير لكان هذا تناقضاً من غير نزاع · لان مطالبتنا جميع الناس بالتفكير في كل مسألة تعرض عليهم مطالبة بالمستحيل · ولو وقف كل فرد منهم حياتهُ على التفكير لوقف دولاب الاعمال في العالم ووقف بذلك ما يدعو للتفكير · وانما يعيش المجموع الاعظم في كل الامم وغذاؤهُ الفكري الايمان · يعيش على وهم انهُ فكر ووصل من تفكيرهِ الى نتائج معينة اتخذها قواعد في الحياة في حين انهُ وجد هذه القواعد محضرة لهُ بواسطة افراد اعدتهم الطبيعية بما وهبتهم من الملكات الخاصة للقيام بوظيفة الفكر في العالم · هؤلاء الافراد يضعون قواعد الحياة لا اعتباطاً ولا نتيجة شهوة من شهواتهم الفكرية بل يضعونها محكومين بماضي الانسانية الطويل · والقواعد التي يضعونها هم او يضعها المتشبهون بهم ولا يكون لها بالماضي لحمة نسب انما هي قواعد ضيقة محكوم عليها مقدماً بالبوار والفناء لان حياتها انما تكون بدخولها في كتاب ايمان العالم · وفصول هذا الكتاب متناسقة فما كان دخيلاً عليها لا يبقى بينها لانها تلفظهُ وتنفيهِ

ولا شيء اشد تنافياً مع الايمان من التحليل والتنسيب (ايجاد النسب بين الاجزاء المختلفة من الشيء الذي تحللهُ) ذلك لان اول ما يستدعيهِ التحليل والتنسيب هو امكان الشك في مجموع ما تحللهُ او في نسبة شيء منهُ لشيء آخر · والشك والايمان نقيضان لا يجتمعان · لذلك كان من اول خصائص الايمان التسليم بالشيء جملةً او نفيهُ جملةً

وهذه النظريات الكبرى الدينية الاجتماعية والاقتصادية تستدعي من اجل تناول الفهم إياها تناولاً دقيقاً تحليلاً طويلاً وملاحظة كثيرة يستلزمان الشك المرة بعد المرة حتى

يمكن الوصول فيها الى نتيجة تقنع العقل · وهذا التحليل وهذه الملاحظة هما من شأن المفكر لا العامل · والنتائج الاخيرة التي يصل اليها المفكر هي وحدات ايمان كل فرد من افراد المجموع يأخذها مقياساً للاعمال التي يستلزمها وجوده في الحياة

هذه الوحدات الايمانية يزداد عددها او يقل بانحطاط الوسط او رقيهِ وبكثرة المفكرين وقلتهم · فكلما ارتقى الوسط قلت الوحدات الايمانية وكلما زاد المفكرون امكن المجموع ان يرقى الى مكانة من العقل تسمح لهُ ان يشك في عدد اوفر من النظريات · وهذا هو السبب في « تطور » فكرة البطولة والالقاب التي كانت تعطى للعظماء والابطال في متعاقب الدهور · فبينما كنت ترى لقب الالوهية يطلق على مفكرين وعظماء امثال (اودن) الاسكندناقي وامثال الآلهة وانصاف الآلهة الكثيرين الحافل بهم تاريخ اثينا ترى هذا اللقب يضعف و يتلاشى من عالمنا الارضي ، ويبقى وقفاً على الاله الاعظم الذي لا تراهُ العيون ولا تحيط بكنون كنههِ العقول · و يحل محل الآلهة وانصاف الآلهة الذين كانوا يشرفون الانسانية في التاريخ الاول الانبياء والرسل عليهم السلام

وهكذا ترى هذه الوحدات الجليلة التي كانت موضع القداسة والاجلال في الازمان الاولى ازمان قصر العقل الانساني يرضى بعضها بالخلود في مستودع الماضي معززاً مكرماً في حين لا تستطيع الاخريات الوصول الى هذا المركز من الاعزاز و يكون كل نصيبها ان تذكر في تاريخ الانسانية كوجود عقلي اخذ دورهُ على الزمان ثم هرم وتلاشى

وهذه « التطورات » تسير في حصولها على سنة معينة · تلك السنة هي الضرورة الاجتماعية · فما دامت فكرة معينة لازمة لبقاء الجمعية وتوازنها فهذه الفكرة تدخل حتماً في مجموع الوحدات التي يتكون منها القانون العام لبقاء الجمعية · لهذا كان الناس اكثر ايماناً بما وراء الطبيعة و بالقوى المصرفة للكون حين كانوا يعتقدون لهذه القوى اثراً فعالاً في نزول المطر وفي حركات الرعد والبرق وفي الصواعق وفي غير ذلك مما يؤثر في حياة الاجتماع بالخير والشر · فلما بدت تباشير العلم وابتدأوا يوقنون ان الصواعق والمطر والخسوف والكسوف كلها ظواهر تسير على قوانين ونواميس معينة قل ايمانهم الاول بما وراء الطبيعة واصبحوا يحسون بان الصلات التي كانت تربطهم بتلك القوى تتلاشى شيئاً فشيئاً حتى جاء مذهب الوضعيين (les positivistes) في النصف الاخير من القرن التاسع عشر واساسهُ درس السنن والقوانين التي تحكم الطبيعة وتصرف حياة الاجتماع من غير تعرض

بخير او شرّ احترام او تحقير للقوى الاصلية التي يقول بعضهم بوجودها في حين ينكرها آخرون انكاراً تاماً

ولهذا ايضاً « تطورت » الفكرة المسيحية في قداسة الزوجية · فبعد ان كان الزواج عقداً بين شخصين لا انفصام لهُ ما بقيا على اعتبار ان هذه الوسيلة هي الوحيدة التي تضمن توازن الاجتماع تطورت هذه الفكرة بتطور الزمان وبحكم الضرورة الاجتماعية واضطرت الكنيسة ان تدخل الى شريعتها فكرة الانفصال بين الزوجين · ثم ادخلت القوانين المدنية نظرية الطلاق وكذلك قضي على الفكرة الاولى بعد اذ كانت آية من آي الاجتماع في العصور الماضية · ولقد صاحب هذا التطور في الايمان بفكرة العائلة تطور آخر يختص باعتبار المرأة وتقديرها ذلك انهُ لما كانت رابطة الزوجية الاولى عقدة لا انفصام لها تقضي بوجود المرء وزوجه معاً طول الحياة عمل في هذه الرابطة قانون الطبيعة العام قانون التنافس وسيادة الاصلح والاقوى فدخل الى النفوس اعتبار المرأة متاعاً للهو الرجل وشهوته وتكونت في النفس الاجتماعية فكرة تحقير المرأة · والنفس الاجتماعية تشمل نفوس الرجال والنساء معاً · لذلك كانت المرأة المسيحية في الازمان الاولى محتقرة في عين الرجل وفي عين نفسها · فلما بدأ احساسها بوجودها يتكون بدأت ايضاً فكرة القداسة المطلقة لرابطة الزوجية تتجزّأ وتتطاير فلم يبقَ الاّ ذكراها في الاذهان والعقول

مثل هذه التطورات حصلت في كل الوحدات الايمانية وهي كما قدمنا النظريات التي يحسّ بها الضمير العام كضرورات اجتماعية لا غنى عنها لحفظ كيان الجمعية وحسن توازنها · والتطور تقدم او تأخر وليس سكوناً لان السكون والحياة لا يجتمعان · اذن فمحل كل وحدة ايمانية تتطور تحل وحدة اخرى تصل لتكون جزءا من مجموع النظريات التي يؤمن بها المجموع · ولكن على مقدار رقي هذا المجموع وانحطاطه يترتب بقاء هذه النظريات جامدة اجيالاً من الدهر او يتسرب الشك اليها بين حين وحين

وهذه الوحدات الايمانية تدخل الى نفس الفرد من يوم وجوده وسط الجماعة وتتكون معهُ وتبلغ اشدها متى بلغ هو اشدهُ وتصبح بذلك قسماً منهُ يسميهِ الناس ضميرهُ · فضمير الفرد هو انعكاس الوحدات الايمانية اللازمة لحياة الجماعة على نفس الفرد · وهذا الانعكاس يحصل حتماً لان حياة الفرد واغتباطهُ معلقان على اغتباط الجماعة في حياتها · فهو مكره على احتمال كل ما تتصوَّرهُ الجمعية من ضرورات الوجود بالنسبة اليها

هذا الانعكاس لقواعد حياة الجماعة في نفس الفرد يكوّن عندهُ احساساً خاصًّا بأن مخالفتهُ لهذه القواعد تجر عليهِ جزاء محتوماً · وهذا الاحساس ناتج من ايمانهِ بضرورة هذه القواعد لحفظ كيان الجمعية وانهُ هو قسم من هذه الجمعية يتأثر بما تتأثر هي بهِ في جهة الخير او الشر · فلما كانت الجمعية تؤمن بالقوى التي فوق الطبيعة وتعتقدها مصرفة للمطر والبرق والرعد والصواعق انعكس ايمانها هذا في نفوس الافراد واصبحوا يحسون امام هذه القوى بعبودية خاصة تستتبع استرضاء كل فرد لها وإلاَّ حلَّ بهِ الجزاء · كذلك لما كانت فكرة العائلة والزوجية احدى وحدات ايمان الجماعات كان هناك في نفس كل فرد شعور خاص بان مخالفة هذه الفكرة يجر حتماً اوصاباً ومصائب لا نهاية لها · وهكذا كانت كل وحدة ايمانية اجتماعية تبعث الى نفس كل فرد نوعاً من العبودية امامها والتقديس لها والاعتقاد بان مخالفتها تؤدي الى بوار كبير · وهذا هو الاساس الذي بنيت عليهِ فكرة المسؤولية في نفس الافراد

هذا التحليل لفكرة المسؤولية يوضح السبب الذي يجعل هذه الفكرة معقدة ودقيقة · فانها ترتكز على ادق مظاهر النفس الانسانية نعني بهِ الضمير الفردي القائم كما بينَّا على اساس وحدات الايمان التي تكونها ضرورات الحياة الاجتماعية · فمن اجل تفهم فكرة المسؤولية يجب تفهُّم معنى الضرورات الاجتماعية وطريق انعكاسها في نفس الفرد وكيفية تكوينها لضميرهِ الذي هو مصدر احساسهِ بالمسؤولية · ولما كانت فكرة الضرورات الاجتماعية التي هي اساس كل هذه النتائج تحتاج في تفهمها الى التدقيق وتحليل الوحدات الايمانية وكان هذا التحليل يستدعي افتراضات وشكوكاً تتنافى مع طبيعة الايمان لجأ الاكثرون الى نعيم الاغتباط والاستسلام وضلَّ آخرون في تيهاء الشكوك المنطقية وجعلوا يتلمسون لفكرة المسؤولية اسساً غريبة ترجع الى طرق تعاليمهم فبينا يقول جماعة ان اساس المسؤولية حرية الارادة واختيار الفرد لاعمالهِ في الحياة يقول آخرون انها مظهر من مظاهر الضمير على اعتبار ان الضمير وحدة قائمة بذاتها تخلق مع الفرد يوم يُخلق · و يقول البعض انها فكرة العدالة · و يقول غيرهم انها منعدمة وانما اوجدتها الضرورة الاجتماعية · و يقول غير هؤلاء واولئك اقوالاً يشعر الانسان انها لم تصدر عنهم يريدون بها الوصول لتحليل الفكرة بالذات مخلصين لها بحثهم ولكنها قيلت كمقدمة لفرض ثابت في نفوسهم يريدون الوصول اليهِ · وذلك شأن الكتَّاب الدينيين وشأن بعض علماء القانون الجنائي الاقدمين

وشأْن فلاسفة المنطق المجرد . ولكن التعمق في البحث والتحليل واتخاذ الوقائع والحوادث الاجتماعية ومظاهر الوجود الفردي مواضع للملاحظة والاستنتاج تبين لنا ما تحويهِ هذه الافكار من نقص او خطإٍ وتدلنا دلالة واضحة ان المسؤُولية اثر ونتيجة للقوانين الطبيعية التي تحكم حياة الجماعات وتصرّف حياة الافراد فلا وجود لها في الحياة بذاتها . وانما هي فكرة مجردة معلق قيامها على تفاعل هذه القوانين واحداً بعد الآخر طبق النظام الذي سبق بيانهُ

والذي يوضح ما سبق و يؤَيدهُ ما نلاحظهُ في العالم الحيواني . فان الحيوانات الانفرادية كالذئاب الضارية والاسود لا يدخل في طبيعة تركيبها شيء من معنى المسؤُولية امام الموجودات الاخرى . وادنى ما عندها الفتك بكل ما يقترب منها ولو كان من بني جنسها . اما الحيوانات الاليفة والحيوانات التي تعيش اسراباً فان فطرتها الاجتماعية تدخل الى نفسها شيئاً اشبه ما يكون بالمسؤُولية . وذلك ظاهر كل الظهور في بعض الدويبات الصغرى اذ يشعر كل واحد من افرادها كأَن لهُ حقوقاً على الاخرين وعليهِ واجبات نحوهم . فهناك في خلايا النحل يلاحظ الناظر شبه مملكة يقوم كل فرد من الافراد فيها بعمل خاص يقتضيهِ نظام حياة الجماعة فكما ان وظيفة ملكة النحل[1] التناسل ووظيفة ذكر النحل تلقيحها فوظيفة النحل العامل استجلاب الشمع والعسل لبناء الخلية ولغذائها . وفي كل خلية ملكة واحدة يقوم بتلقيحها ذكر النحل فاذا اتم واجبهُ من ذلك قتلتهُ فاذا صادف وجود ملكة اخرى هناك اقتتلتا حتى تقضي واحدة منها على الاخرى و يبقى النحل العامل امام هذه المعركة الناشبة بين الملكتين متفرجاً لا مدخل لهُ فيها بشيء مطلقاً . ذلك لانهُ يشعر بفطرة الحياة فيهِ ان من الواجب لوجود الجمعية التي هو منها قيام ملكة واحدة في المملكة التي هي الخلية . وهو يشعر ايضاً ان الملكة الغالبة هي الاصلح لحياة جمعيتهِ فيجب اذن ترك الملكتين تقتتلان كما تشاءان حتى تموت احداها . وكل واحدة من النحل العامل تقدم على الاشتراك في المعركة تلقى من غيرها ما لا تحب . وظاهر ان هذا نوع من الاحساس بالمسؤُولية قريب الشبه باحساس جماعة البربر من بني آدم

وما يلاحظ على النحل يلاحظ على النمل . فان طبقاتهِ المختلفة تحس بما عليها من الواجبات وبما لها من الحقوق احساساً مرتبطاً كل الارتباط بحياة الجمعية التي هي منها .

(١) وهي ما يسميه العرب اليعسوب وقد اخطأُوا اذ ظنوها ذكراً

فالنمل العامل يجدُّ الصيف في اكتناز القوت لنفسهِ وللانثى التي تعمر القرية . و بعضهُ يقوم بوظيفة تربية ديدان النمل والمحافظة عليها مخافة الخطر . وهو يضحي من اجل ذلك كثيراً من راحتهِ بل قد يضحي حياتهُ حتى لقد شوهد بعض النمل حاملاً ست ديدان ومسرعاً يطلب قراهُ وذلك رغم انفصام ظهورهِ ولم يشعر بالألم الذي جر عليهِ حتفهُ الأ بعد ان قام بالواجب الذي تطالبهُ بهِ حياة الجمعية التي هو منها

واذا نحن ارتقينا في السلم الحيواني الى درجة اعلى من النحل والنمل تبين لنا ما نقررهُ بشكل جلي واضح . فبعض الحيوانات التي تعيش مع الانسان كالفيلة مثلاً يتكون عندها احساس الالفة لشخص دون آخر و يخيل للانسان حين يراها مع صاحبها كأنها تشعر بانها جزء من مجموع المنزل الذي تقيم فيهِ عليها واجبات ولها حقوق . ولقد بلغ من شعور الناس بذلك حتى قرروا عليها جزاءات توقع حين ارتكابها هفوة من الهفوات كما يوقع الجزاء على مذنب من بني آدم . ومعنى ذلك قطعاً ان هذه الحيوانات تعتبر مكلفة اتباع النواميس التي تكون في النفس العامة اعتقاد ضرورتها للاجتماع

على ان هذا المعنى الذي بيناهُ يتضح ايضاً من اعتبارات الناس لدرجات المسؤولية فان اختلاف الاشخاص في درجات المسؤولية يرجع الى مقدار صلاحيتهم او عدم صلاحيتهم لحياة الجمعية . فالمجرم الذي يُقصى عن الناس طول حياتهِ هو ذلك الشخص الذي ارتكب ما يجعلهُ غير اهل للمعيشة بين الناس من قتل او قطع طريق او سطو او نحو ذلك . واما الاشخاص القليلو الخطر على الجمعية فتوقع عليهم جزاءات توازي مبلغ خطرهم كثرة وقلة . وتقدير هذا الخطر راجع دائماً الى ما يضعهُ الرأي التام من القواعد لحسن نظام الجمعية . وهذه القواعد هي الوحدات الايمانية التي وصفناها

ولو انك افترضت شخصاً يعيش عيشة الوحدة منقطعاً في جزيرة يجد فيها ما يعولهُ لما استطعت ان تفترض لهُ شيئاً مما نسميهِ نحن الضمير ولا امكنك ان تصورهُ شاعراً بآية مسؤولية فان كل ما تكلفهُ اياهُ فطرتهُ انما هو الاحتفاظ بحياتهِ فاذا لم يكن على هذه الحياة خطر ولم يكن في المحيطات بهِ ما يطالبهُ مطالبة خاصة بعمل خاص فانهُ يقضي ايامهُ في سكينة البله ونعيم الغفلة راتعاً وسط السعة التي حبتهُ اياها الطبيعة . ولا تحسبهُ حينذاك مفكراً في شيء أو حاسباً حساب امر من الامور . ولكن في اليوم الذي يجد لهُ مشاركاً يناقشهُ الحساب و يقول لهُ ذلك لك وهذا لي وكما اعتديت عليَّ يجب ان ادفع العدوان بالعدوان في ذلك

اليوم يبدأ يفكر في طريقة تضمن له طمأنينته الاولى من غير احتياج للنزاع الدائم مع جاره وشريكه . وهذه الطريقة هي قواعد حفظ الامن والنظام . وهي هي اساس حياة الجمعية والاصل الذي تبنى عليه في النفس فكرة المسؤولية . فالمسؤولية اثر ونتيجة لحياة الفرد في الاجتماع وليس لها وجود مستقل في نفسه

قد يظن البعض من قولنا ان فكرة المسؤولية يستمد اساسها من الضمير الفردي الذي تكونهُ الوحدات الايمانية الاجتماعية بانعكاسها فيه ومن مَثَل الشخص الذي يعيش عيشة الوحدة فلا يكون له ضمير ولا يشعر بالمسؤولية — ان فكرة المسؤولية فكرة صناعية خلقها الاجتماع وليست طبيعية في الفرد من حين خلقه . ولكن هذا الاعتراض لا يكون وجيهاً الأعند الذين يحسبون الفرد وجد وجوداً مستقلاً وانهُ اتفق مع امثاله على ما سماه روسو العقد الاجتماعي فخلقوا الجمعية . وهذه الفكرة الاخيرة فكرة تصورية بحتة تخالف نواميس الطبيعة اشد المخالفة . لان الانسان مدني بطبعه وليست الوحدة والانفراد من غرائزه مطلقاً . والشخص الذي يستوحش ويخرج عن الجماعات و يعيش متبتلاً منقطعاً لشخص مختل التوازن العقلي قطعاً وهو حيوان نادر الوجود . لذلك فلا يمكن ان يبنى عليه حكم مطلقاً . اما الانسان الطبيعي فهو مخلوق اجتماعي فيه كل الصفات والقوى اللازمة لتؤهلهُ للحياة مع بني جنسه . و يظهر هذه الصفات والقوى رويداً رويداً على نسبة اشتباكه مع الحياة الاجتماعية واخذه منها بنصيب . وعلى ذلك تكون جرثومة المسؤولية وبذرتها موجودة مستكنة في النفس الانسانية من يوم خلقها ومنتظرة احتكاكها بالعوالم الخارجية و بنظام الجمعية لتظهر و يشعر الفرد بها . لكن هذا الاحتكاك بالذات هو الذي يوجه فكرة المسؤولية وجهتها ويرسم لها الطريق الذي تسير فيه تحكم صاحبها بعد ذلك على نمط معين . وهذا هو السبب في اختلاف فكرة المسؤولية كمّاً وكيفاً في الشعوب المختلفة والازمان المختلفة . وعلى الاخص فيما يتعلق بتطبيقات هذه الفكرة العملية بل انك تجد في مثل البلاد المستحدثة مدنيتها التي تضرب فيها الفوضى وتجملك ترى في المدينة الواحدة بل في القرية الواحدة انواعاً شتى من المدنيات المختلفة ميداناً فسيحاً للملاحظة في هذا الباب . فان فكرة المسؤولية تختلف في الافراد انفسهم من جهة كمها و كيفها بشكل غريب . فانت اذا وقفت على باب مسجد من المساجد في احدى مدائن مصر وكلفت نفسك مؤونة محادثة شيخ من اهل الورع الداخلين بيت الله يؤدون له الفريضة وكان هذا الشيخ من اكبر علماء عصره رأيته ينكر اشياء ويقر

أخرى ويخي باللائمة على قوم ويرطب لسانهُ بالثناء على قوم غيرهم وهو في كل ذلك يحكي لك عن عقيدة وايمان . فاذا تركتهُ وتركت المسجد وانحدرت الى حان نظيف وقابلت بعض المتعلمين من اخوان المدنية الاوربية وحادثتهُ في المواضيع التي حادثت فيها صاحبك الشيخ رأيت بينهما بوناً بعيداً رأيت الثاني يذم ما مدح الاول ويمدح ما ندد بهِ. وليس ذلك الأ ان صورة الجمعية انطبعت في نفس كل منهما بشكل خاص فكونت فيهِ وحدات ايمانية خاصة جملتهُ الشخص الذي رأيت وكونت في نفسهِ فكرة المسوُولية على النحو الذي رأيت. فكأن هذه البذرة الاولى الموجودة في النفس الانسانية بفطرتها المدنية انما يكيف ظهورها ونموها وشكلها العقائد الاجتماعية التي توضع في النفس التي تحوي البذرة في وسطها

بل ان الشكل الذي تأخذهُ فكرة المسؤولية في نفس الفرد يحور تحوراً عظيماً بانتقال الفرد نفسهِ من وسط الى وسط آخر . وكم رأينا من شيوخ كانوا مثل التقوى انطبعت في نفوسهم وحدات الدين الايمانية انطباعاً فلما انتقلوا الى اوربا والى وسط آخر تختلف عقائدهُ عن عقائدهم تداعت في نفوسهم مبادئ وحدات قديمة وصرت ترى فكرة المسؤولية التي هي مجتمع عقائد كل فرد وعاداتهِ تغيرت تغيراً سمح لهم بمناصرة ما كان في نظرهم من قبل جرماً واثماً

من هذا يظهر واضحاً ان الوسط الاجتماعي هو العنصر الاقوى والمكون الاول لفكرة المسؤولية في النفس الانسانية . وان طبائع الانسان وغرائزهُ الاجتماعية تتشكل بالشكل الذي يريدهُ لها الاجتماع مكرهاً صاحبها على اتخاذ هذا الشكل المعين . وان الجرثومة الاولى الموجودة في نفس الفرد لا تعمل بذاتها بل تعمل متأثرة بذلك الوسط ولولاهُ لاضمحلت وفنيت فبقي الانسان اشبه الاشياء بالحيوانات التي تكتفي من كل ما في الحياة بالاحتفاظ بالحياة ودفع ما من شأنهِ ان يلاشيها

محمد حسين هيكل المحامي
دكتور في الحقوق

مصر منذ اربعمائة سنة

(٤)

المقابلة الثالثة

وفي ٣٠ مايو سنة ١٥١٢ ذهب السفير لمقابلة السلطان المرة الثالثة وكانت هذه المقابلة سرية مكان يدعى الميدان . وكان السلطان قانصوه جالساً على دكةٍ مرتفعة ومتردياً بثوب ابيض « ازار » وكل اتباعهِ ومماليكهِ لابسون مثلهُ وعلى رأسهِ عمامة كالتي كانت في المقابلة الاولى ذات قرنين بارزين . واما السفير فكان مترديا بثوبهِ المزركش وحواشيهِ من القصب الذهبي فادناهُ السلطان اليهِ وبالغ في اكرامهِ حتى صار على بعد اربع اقدام منهُ . وقد صحبنا في هذه المقابلة قنصلنا الاسكندري كونتاريني المار ذكرهُ ووفد من تجارنا البنادقة في الاسكندرية . وكان القنصل مترديا بثوبهِ الدوقي الرسمي من المخمل القرمزي والاكمام الضيقة وكان السفير يكلم السلطان بصوتٍ عالٍ وترجمانهُ يعيد الكلام باللغة العربية وكان الحديث هامًّا يتعلق بمهمة السفير وتقرير السلام والصلح بين حكومتي مصر والبندقية واعادة الصلات التجارية . فامر السلطان ان يؤْتى من السجن بيتروزان قنصلنا في دمشق فحضر وهو مكبل بالحديد[1] وحدث جدال عنيف بين السفير والسلطان بشأن هذا القنصل فالسلطان يثبت عليهِ الخيانة والتجسس لعلاقاتهِ السرية مع عدوهِ والسفير يبرئهُ مدعيًا بانهُ لم يقصد الخيانة بل كان يكاتب اسماعيل شاه بنية سليمة واخيراً رأى السفير من مصلحة حكومتهِ الانقياد لرأي السلطان فدنا من القنصل زان ووضع في عنقهِ القيد الحديدي وبذلك هدأَ غضب السلطان وارتضى ان يسجن في قصر السفارة الى ان يحقق السفير التهمة عليهِ ويحاكمهُ واستمرت هذه المقابلة نحو ثلاث ساعات والسفير واقف على قدميهِ

---

(١) ذكرنا فيما سبق ان نائب السلطان في برجيك فوق حلب قبض على رسول فبرسي آتٍ من العجم ومعهُ كتب ورسائل من اسماعيل شاه صاحب الدولة الصفوية باسم هذا القنصل في دمشق وباسم تومازو كونتاريني قنصلنا في الاسكندرية وارسلها الى السلطان الغوري فاشتد غضبه وامر ان يؤْتى بالقنصل زان من دمشق الى مصر مكبلاً بالحديد واتهمهُ بالخيانة والتجسس لعلاقاتهِ السرية مع عدوهِ اسماعيل شاه الذي اجتاح بعض المدن في بلاد بين النهرين التابعة للسلطنة المصرية واما كونتاريني فتنصل من التهمة واطلق سبيله

وقبعتهُ في يدهِ. ثم خرج من لدن السلطان مع اتباعهِ والتجار والقناصل وذهب الى قصرهِ (١)

المقابلة الرابعة

وفي اول يونيو ذهب السفير مع اتباعهِ ورجال السفارة والتجار البنادقة لمقابلة السلطان المرة الرابعة . وكانت هذه المقابلة سرية تختص بشؤُون سفارتهِ وفي اثنائها سمح بفتح كنائس بيت المقدس لجميع الزوار الافرنج . وفي ٦ منهُ ذهب السفير مع اتباعهِ وصحبهُ كثيرون من التجار الافرنج بين فرنسويين و بنادقة وانكليز للتفرج على اهرام مصر وارسل السلطان بعض الفرسان والمماليك لحراستهِ

---

(١) وهذا ما جاء في رحلة السائح تنود بشان هذه المقابلة الهامة نقلاً عن رسالة كتبها مارك انطونيو تريفيزان ابن السفير وارسلها الى حكومة البندقية فقال : اشتد الجدال العنيف بين السلطان والسفير بشأن قنصل دمشق بترو زان الذي كان مسجوناً في القلعة لاكتشاف مراسلات لهُ مع اسماعيل شاه وكان السفير يدافع عن القنصل دفاعاً قوياً مثبتاً سلامة نيتهِ وانهُ لم يقصد الخيانة . وان دوقية البندقية تتبرأ من هذا القصد . وكان السلطان اثناء هذا الجدال يرتجف غضباً وتهديداً واخيراً تفرس في السفير وقال لهُ بحدة « اني اعلم بسلامة نية حكومتك ولكن الخيانة ثابتة على قنصلك هذا » . ثم اشار باصبعهِ نحو القنصل زان .قال للسفير وهو متقد غضباً « ان هذا الكلب الخائن كان يراسل عدوي ويتحد معهُ للايقاع بي واجتياح سلطنتي » وكان السفير يهدئ غضبهُ ويستعطفهُ بلطف وخضوع فاجابهُ السلطان بحدةٍ « اعلم ايها السفير. انك اذا كنت حضرت الى بلادي كسفير تخلص من لدن حكومة صديقة مصافية لتقرير الحقيقة والصلح والسلام فاهلاً بك واما اذا كنت حضرت قاصداً تخليص هذا الخائن والاتحاد مع اعدائي وحماية الخونة واللصوص فاخرج من بلادي انت وكل تجارك البنادقة » فعند هذا التهديد الصريح اجاب السفير « انك لعالم يا حضرة السلطان المعظم باخلاص حكومتي لشخصك السامي واني لم آت الى مصر ولم اقف بين يديك الاّ لتقرير الصلح والسلام بينها و بين سلطنتك فها ان روحي وارواح جميع مواطنيَّ بين يديك فافعل ما انت فاعل . ولكن ان شئت فسمح لي ان تولى تحقيق التهمة الملقاة على عاتق قنصلنا تحقيقاً عادلاً دقيقاً فاذا ثبتت عليهِ الخيانة وسوء النية فان حكومتي لا تغفل عن مجازاتهِ ومعاقبتهِ باشد العقاب . لان دوقية البندقية العادلة تأبى الاشتراك في عمل مغاير لصالحها ولحقوق سلطنتكم السامية » فعند هذا الكلام هدأ غضب السلطان وقال : اذا كان الامر كذلك فخذ هذا الرجل وحاكمهُ واذا كانت دولتك عادلة صادقة مصافية لي كما قلت فلتحكم عليهِ بالاعدام لانهُ جاسوس خائن لبلادهِ و بلادي . فتقدم حينئذٍ السفير من القنصل ووضع في عنقهِ القيد الحديدي واخذهُ معهُ الى قصرهِ (انتهى كلام تنود) . وكانت نتيجة هذه الحادثة كما ذكر هذا السائح في رحلتهِ ان السفير تولى تحقيق التهمة فظهر لهُ ان القنصل زان لم يقصد بعلاقتهِ مع اسماعيل شاه ومراسلاتهِ لهُ سوى اتحاد حكومة البندقية مع الحكومة الصفوية الفارسية ضد سلطان الاتراك . فلما عرف السلطان قانصوه الحقيقة عفا عن بترو زان وانعم عليهِ بخلعةٍ وسمح لهُ ان يرجع قنصلاً لحكومتهِ في دمشق

سفير فارس في مصر

ولما تقرر الصلح بين السلطان قانصوه الغوري و بين عدوهِ اسماعيل شاه الصفوي ارسل هذا الى مصر سفيراً لمقابلة السلطان . وقد ذهبت مع بعض رجال السفارة الى القلعة لاتفرج على هذا السفير الفارسي فكان مترديًا بثوب على الزيّ العجمي منسوج كلهُ بالذهب وحواشيه مطرزة بالقصب ومرصعة بالحجارة الكريمة وعلى رأسهِ قبعة عليها ريشة ثمينة طولها نصف ذراع منضدة باللؤلؤ ومثبتة بجوهرة كبيرة من الماس . وصحبهُ في مهمتهِ هذه مائة وخمسون فارساً من جنود الدولة الصفوية وكلهم بالالبسة الفاخرة المنسوجة بالذهب والاسلحة الثمينة وكان دخولهم الى مصر بموكب حافل عظيم واحضر السفير الى السلطان هدايا ثمينة فاخرة في ستة وثلاثين صندوقاً بين اثواب حريرية وذهبية وحجارة كريمة وجواهر نادرة وجلود الفرو الثمين والاسلحة العجمية والسيوف المرصعة والسجاجيد الفاخرة

سفير جورجيا في مصر

وفي اليوم نفسهِ وصل الى مصر سفير من ملك جورجيا وهي مملكة مسيحية في جبال القوقاس وكان هذا السفير مترديًا بثوب مزركش بالقصب وعلى رأسهِ قبعة من فرو السمور ومعهُ ثلاثون فارساً من بلادهِ واحضر للسلطان هدايا كثيرة ثمينة من الفرو والسجاد الفاخر . وللجورجيين كنيسة في القدس وهيكل في كنيسة القيامة اقفلت بامر السلطان منذ بضع سنين فحضر هذا السفير يرجوهُ باسم ملكهِ ان يأمر بفتح الكنيسة واسترداد هيكل القبر المقدس . فاستقبل السلطان هذين السفيرين معاً وهو جالس في مقعدهِ ولم يقف لهما

زيارة شجرة العذراء

وفي ٢٧ منهُ ذهب السفير لزيارة شجرة العذراء في المطرية واقام هناك رئيس رهبان القبر المقدس قداساً حافلاً حضرهُ رجال السفارة وكل التجار الافرنج ورأينا ينبوع العذراء والبيت الذي التجأت اليهِ مع ابنها وهناك بستان كبير من شجر البلسم والسلاطين يستخرجون منهُ عطراً زكيًّا ثمينًا ويرسلونهُ هدايا الى الملوك والسلاطين [1]

وعند الينبوع المذكور شجر العذراء وهي من نوع يقال لهُ الجميز غير معروف عندنا و يقال لهُ ايضاً « تين فرعون »

---

(١) انقرضت هذه الشجرة من مصر منذ ثلاثمائة سنة وسنتكلم عليها تفصيلاً عند وصف النباتات المصرية وسنرسم صورة شجرة منها نقلاً عن كتاب رحلة ماليت قنصل جنرال فرنسا في مصر على عهد لويس الرابع عشر

المقابلة الخامسة

وفي ٣٠ منهُ ذهب السفير لمقابلة السلطان المرة الخامسة وكان هذا في قاعة داخلية من قسم المسكن السلطاني الخصوصي وهي مزخرفة بالنقوش والرسوم البديعة على جدرانها وسقوفها ومموهة بالذهب فادخلنا الترجمان ورأينا السلطان في صدر القاعة جالساً على مقعد مرتفع ومستنداً الى حافة نافذة مطلة على فسقية كبيرة يندفع الماء منها بشكل بديع ويسقط رشاشهُ على قصاري من الرياحين والازهار حولها ومياه هذه البركة من النيل يجري بالقنية فوق قناطر عالية من الخليج الى القلعة · وكان السلطان جالساً على دكة مقاعدها ومساندها من الدمقس القرمزي وبجانبهِ سيفهُ وترسهُ · ورأينا في احدى زوايا القاعة ثلاثة هوادج بديعة الصنع ملبسة بالمخمل ومطرزة بالنقوش والشريط الذهبي المرصع بالحجارة الكريمة وهي معدة لركوبهِ وركوب حرمهِ في الاسفار

وكانت هذه المقابلة في غاية الود والاخلاص والصفاء واستمرت نحو ساعة ثم استأذن السفير ورجع الى قصرهِ بعد ان تفرج على القلعة ومتاحفها ومعامل الاسلحة فيها · وصحبهُ في هذه الزيارة نائب القلعة

وفي ٩ يوليو ذهبت مع بعض اصدقائي لزيارة دير القديسة كاترينا وهو للاروام وفيهِ مطران يتولى شؤُون املاك دير طور سينا

المقابلة السادسة

وفي ٢٥ منهُ ذهب السفير لمقابلة السلطان المرة السادسة وكانت هذه المقابلة ودية سرية فجلس بجانب السلطان وعند ختامها قبل يدهُ وخرج

المقابلة الاخيرة

وفي اليوم التالي كانت المقابلة السابعة الاخيرة الوداعية فودع السفير السلطان واستأذن في السفر وصحبهُ في هذه المقابلة رجال السفارة وقنصلانا الدمشقي والاسكندري زان وكونتار يني فلبسوا كلهم اثوابهم الرسمية الدوقية وهي من الديباج المقصب الحواشي اكمامها ضيقة وعلى صدر السفير وسام القديس مرقص الدوقي السامي وكانت هذه المقابلة في قاعة الميدان الكبرى · فشكر السفير تعطفات السلطان لما لاقاهُ مدة اقامتهِ بمصر من الاكرام وحسن الضيافة واستأذنهُ في السفر والرجوع الى بلادهِ لانتهاء مهمتهِ · وفي اثناء ذلك تقدم المهمندار من السفير ونزع وشاحهُ الخارجي الملتف بهِ وهو مطرف واسع بلا اكمام يلبس فوق الثوب والبسهُ جبة من الديباج القرمزي على الزي العربي مبطنة بفرو السمور

الثمين على ياقتها واكمامها وهي خلعة السلطان دلالةً على المبالغة في الاكرام كما انهُ خلع ايضاً على كونتار بني القنصل وعلى السنيور الشريف ماركو انطونيو ابن السفير جبة من الفرو القرمزي الاَّ انها اقل قيمة من خلعة السفير والبسني ايضاً خلعة من الحرير الاسود وكذلك ترجمان السفارة . فشكر السفير السلطان على هذه الخلع السنية وخرجنا من عنده بعد ان قبلنا كلنا يديهِ ولثمنا الارض احتراماً لهُ . واستقبلنا في الخارج حرس السلطان ومماليكهُ بالموسيقى السلطانية اي الطبول والزمور وسرنا في شوارع مصر بهذا الموكب الحافل ونحن لابسون الخلع السلطانية الى ان وصلنا الى منزلنا وهناك استقبلنا كل التجار البنادقة والنزلاء الافرنج وهنأوا السفير بنجاح مأمور يتهِ

حفلة قطع الخليج

وفي اليوم عينهِ دعينا لحفلة قطع الخليج حيث كان مهرجان عظيم حضرهُ نائب السلطان وكل امراء وعظماء السلطنة واقيمت الملاعيب والزينات البديعة (١)

السفر من ميناء بولاق

وفي اليوم الثاني من شهر اغسطس ذهب السفير مع اتباعهِ الى ميناء بولاق وقد أمر السلطان ان تجهز لنا المراكب السلطانية لنقلنا الى دمياط وارسل ترجمانهُ الخصوصي لمرافقتنا . فاقلعنا بعون الله وتوفيقهِ ومخرنا في النيل العظيم

الوصول الى دمياط

و بعد يوم وليلة وصلنا الى مدينة دمياط عند شروق الشمس وكان في مرفإها كثير من المراكب التجارية لكل طوائف الافرنج . وكان الاسطول البندقي راسياً في البوغاز . فنقلنا امتعتنا وصناديقنا الى مركب السفارة وتهيأنا للسفر الاَّ ان حاكم دمياط اعترضنا ومنعنا من الخروج من دمياط لان بعض مراكب فرسان مار يوحنا في رودس اسرت في عرض البحر بعض المراكب التجارية المصرية والحاكم طلب من السفير ان يرسل بعض مراكب من اسطولهِ لاستخلاصها من هؤلاء القرصان . فابى السفير وقال انهُ لا سلطة لهُ على مطاردة مراكب حكومة رودس وان دولة البندقية غير مسئولة عنها واخيراً بعد جدال عنيف بين الحاكم والسفير تداخل ترجمان السلطان في المسئلة فاجيز لنا السفر

---

(١) عند ذكر الحفلات المصرية سننقل صورة مهرجان قطع الخليج كما رسمها بيدهِ السائح نوردن الدنماركي الرحالة والمصور الفني الموفد من قبل ملك الدنمارك لزيارة مصر سنة ١٧٣٧

السفر من دمياط

وفي اليوم السابع من اغسطس ركبنا من البوغاز واقلع بنا المركب في ريح موافقة معتدلة وخرجنا من بوغاز دمياط وجزنا في طريقنا جزر قبرس ورودس والارخبيل الرومي وكريت (وهنا ذكر صاحب السياحة كل البلاد والجزر التي اجتازها السفير فلا حاجة الى اعادة ذكرها) والتقينا في طريقنا بالقرب من كريت بمركب صغير لقرصان الاتراك . الاَّ ان اسطولنا توارى عنهُ وتخلصنا من شرهِ بعون الله

العود الى البندقية

ثم دخلنا في البحر الادرياتيكي وفي اليوم الثالث والعشرين من شهر اغسطس وصلنا مدينة البندقية المحروسة من الله وكان لنا استقبال حافل من الشعب ورؤساء الدوقية وحكامها . انتهى

وقد وصف باغاني صاحب هذه الرحلة مصر واهلها وشوارعها ونساءها وتجارتها وما لاقاهُ فيها من الغرائب والنوادر وسنأتي على ذلك عند الكلام على المدن المصرية

الوزير اسماعيل باشا

يظهر مما تقدم ان مصر كانت في سعة في عهد الغوري آخر سلاطينها وان الاموال كانت تأتيها ثمناً للمتاجر التي كانت تصدر منها الى بلدان اوربا اما من حاصلاتها او من الواردات اليها من الهند والسودان وقد بقي لها شيء من السعة بعد ما استولى الاتراك عليها . فقد عثرت على فصل في كتاب قديم لدي ماليت قنصل فرنسا على عهد لويس الرابع عشر سنة ١٦٨٥ يدل على ما كان عليهِ الباشاوات حكام مصر من الابهة والغنى والاسراف وسعة العيش فقد اقام دي ماليت قنصلاً جنرالاً في مصر نحو ست عشرة سنة درس فيها اخلاق المصريين وعوائدهم وكان على جانب عظيم من الدعة واللطف ودماثة الاخلاق يحبهُ الاهالي عامة . وكان كل من ولي مصر من الحكام يحبهُ ويجلهُ و يصادقهُ واختلط بعلماء مصر ووزرائها واعيانها و بطاركتها فكانوا يزورونهُ وكثيراً ما كانت دار القنصلية بحي الافرنج مجتمعاً لهم . وكتب رحلة مطولة عن مصر ومدنها واهلها وعن نباتاتها وحيواناتها ومعادنها وتجارتها والنوادر الغريبة التي حدثت في عهدهِ بين الافرنج والحكام والاهالي وكتب تقريراً سريًّا عن بلاد الحبشة بعد ان صادق نائب السلطان في سواكن وكانت هذه المدينة محطة المواصلات بين مصر والحبشة كما سيأتي بيان ذلك في باب المدن المصرية

وكان الوزير اسماعيل باشا حاكم مصر ونائب السلطان على عهدهِ فاقام مهرجاناً عظيماً



صورة دي ماليت

قنصل فرنسا الجنرال في مصر في عهد لويس الرابع عشر سنة ١٦٨٥ · وعلى رأسهِ الشعر العارية الذي كانوا يلبسونهُ في زمانهِ وعلى احد ساعديهِ زرد كزرد الدرع

مقتطف مايو ١٩١٧

امام الصفحة ٤٧٨

ختان ابنهِ ابرهيم بك دعا اليهِ امراء مصر وحكام مديرياتها ورؤساء اجنادها وعلماءها وبطاركتها حتى ان عامة الاهالي اشتركوا في افراح هذا المهرجان . وهذا ما كتبهُ القنصل المذكور عن اسماعيل باشا ومهرجانهِ قال :

« كان اسماعيل باشا الوزير من رجال الدولة العظام واحد قواد الجنود التي ارسلها سلطان الاتراك لمحاربة النمسا فلما استولى المجريون والبافاريون على بودابست واستخلصوها من الترك أُخذ هذا القائد اسيراً مع ابنهِ البكر ثم تخلص من الاسر ورجع الى القسطنطينية وتقلب في مناصب الدولة . ولما تولى السلطان احمد الثالث كرسي المملكة عزلهُ فدخل في وجاقات الانكشارية او بالحري تحت حمايتهم فقربهُ السلطان اليهِ وارسلهُ حاكماً على جزيرة ساقز ثم ولاهُ ايالة صيدا والشام وفي صيدا مات ابنهُ البكر فغم حزناً عليهِ وبنى لهُ فيها مدفناً عظيماً . ثم ارسلهُ السلطان الى مصر نائباً عنهُ وحاكماً مفوض السلطة

« وللباشاوات مصر موارد كثيرة وتحت تصرفهم ثروة البلاد كلها وايرادات بيت المال ورسوم الكمارك وتحويل ملكية الاطيان والاراضي من اسم لآخر اذا توفي صاحبها بلا وارث او قبل اربعين يوماً من استلامها ولو كان ذا عقب فترجع الى بيت المال لان كل الاراضي المصرية معدودة من املاك السلطان ولذلك كان اسماعيل باشا متصرفاً في الايرادات المصرية بصفتهِ نائباً عن السلطان . وكان كريماً كثير الاسراف والبذخ حتى انهُ لما عزل حوسب على المال الذي استولى عليهِ في مدة ولايتهِ فوجد مديوناً بنحو ثمانمائة الف دوقة ذهب . ولما كان مقرباً من رجال الدولة في اسطنبول لم يؤْخذ بالشدة والتضييق بل ولي ولاية اخرى من ولايات السلطنة بعد ان وعد ان يجمع منها الاموال باية طريقة كانت و يوفي الديون التي عليهِ للخزينة السلطانية . ولما عزل ارسلت السلطنة عوضاً عنهُ رامي باشا الصدر الاعظم الشهير حاكماً على مصر . وكان القنصل ماليت صديقاً ودوداً لاسماعيل باشا وكثيراً ما كان هذا يستشيرهُ في اموره الخصوصية وشؤون الولاية . وكانت ايرادات السلطنة وتتنذر من الولاية المصرية الف ومائتي كيس[1] عدا الاموال والحاصلات والحبوب التي كانت مفروضة على باشاوات مصر لدار السلطنة والحرمين (مكة والمدينة)

سيأْتي البقية ديمتري نقولا

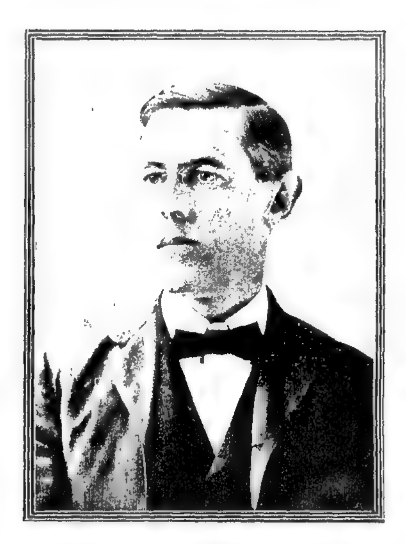
---

(١) تعادل قيمتها الآن نحو مليوني فرنك . وقال تفنوت في رحلتهِ سنة ١٦٥٠ ان ايرادات السلطنة من الباشاوية المصرية تبلغ قيمتها خمس خزنات . والخزنة ١٣٥٠ كيساً ترسل منها خزنتان لدار السلطنة خراج الولاية وخزنة الى مكة وخزنة لنفقات الباشا والخزنة الخامسة مرتبات الجنود والموظفين

اميركا والحرب

اشرنا في مقالة اخرى في اوائل هذا الجزء الى ان دخول الولايات المتحدة الاميركية في هذه الحرب من اعظم الحوادث التي حدثت في هذا العصر . وقد بيَّن الدكتور ولسن رئيس الولايات المتحدة الاسباب التي اوجبت عليهِ اعلان الحرب على المانيا في خطبة من انفس الخطب التي اطلعنا عليها فاقتطفنا منها ما يلي لانهُ من القواعد التي يجب حفظها في بطون التاريخ قال « اننا لا نخاصم الشعب الالماني بل نشعر بالعطف عليهِ والصداقة لهُ فان حكومتهُ لما خاضت غمار هذه الحرب لم تكن مدفوعة اليها بدافع منهُ ولا كان ذلك برضاهُ بل اثارت حرباً كحروب العصور الغابرة حينما كان الملوك يثيرون الحرب من غير ان يستشيروا رعاياهم ويخوضون غمارها لاجل مصلحتهم ومصلحة بيوتهم او مصلحة فئات صغيرة من ذوي المطامع الذين اعتادوا ان يستخدموا اخوانهم في البشرية آلات لادراك مقاصدهم وتنفيذ اغراضهم»

ثم قال ساخراً « ان الشعوب المتمتعة بالحكم الذاتي لا تملأُ البلدان المجاورة لها بالجواسيس ولا تدسُّ الدسائس في بلدان الغير لاحداث فتن يكون لها منها وسيلة للغزو والفتح . لان الدسائس والمؤامرات لا تفعل الأمة تيسّر كتمانها وراء ستار البلاط الملكي او الامبراطوري او وراء سجف من الاتفاق بين بعض الافراد اصحاب الامتيازات والمناصب . ولقد ثبت في مجالس القضاء ان الموظفين الالمان دسوا دسائس كادت تكدر صفاء السلم في الولايات المتحدة وتوقف دولاب الاعمال . وفي المذكرة التي ارسلتها المانيا الى معتمدها في المكسيك شاهد ناطق على دسائسها الشريرة . ولقد قبلنا دعوتها الى الحرب عالمين ان حكومة كحكومتها لا يمكن ان تكون صديقة بل هي خطر على جميع الشعوب الدمقراطية . ورضينا ان نقاتل هذا العدو المفطور على العداوة وسنبذل كل قوانا اذا اقتضت الحال لكبح جماحهِ وليس لنا من وراء ذلك مصلحة ذاتية ولا رغبة في الفتح او تقاضي الغرامات الحربية ولكننا سنبذل مالنا ودمنا عن طيبة خاطر دفاعاً عن حقوق الانسانية » الى ان قال « ان الضرورة قضت عليَّ ان اخاطب مجلس الامة بما خاطبتهُ بهِ ولكن هذا الواجب ثقيل على طبعي ومضايق لي . وان من الامور المخيفة قيادة هذا الشعب العظيم المسالم الى اعظم حروب الدنيا هولاً . ولكن سعادة الدنيا موضوعة الآن في كفة الميزان والحقُّ افضل من الراحة ونحن بخوضنا غمار الحرب سنجود بارواحنا واموالنا عن طيبة خاطر وسيكون من بواعث الفخر لنا اننا بذلنا دمنا دفاعاً عن المبادئ التي اوجدت في اميركا الراحة والهناء ولا يسعنا ان نختار سبيلاً غير هذا السبيل »



الدكتور ولسن رئيس الولايات المتحدة

مقتطف مايو ١٩١٧

امام الصفحة ٤٨٠



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب فتحناهُ ترغيبًا في المعارف وإنهاضًا للهمم وتشحيذًا للاذهان ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براءٌ منهُ كلهِ. ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي: (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق. فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيمًا كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ. فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوَّلة

حول الاكوات

حضرة منشئي المقتطف الاغر المحترمين

بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاتهِ. فقد وقع بيدي في هذه الايام الجزء الثاني من المجلد ٤٨ من مجلتكم الغراء فوقفت فيهِ على مقالة في «اكوات العراق» لوطنينا الاديب محمد الهاشمي البغدادي منشورة في ص ١٦٦ — ١٦٧. وبما ان الكاتب قد وهم في بعض ما قالهُ ومجلة المقتطف حجة ثبت في ما تنشرهُ احببت التنبيه الى ذلك ايضاحًا للحقيقة وخدمة للتاريخ فاقول:

قال الكاتب ان «كلمة كوت مشهورة متعارفة في ... نجد ... وبعض بلاد العجم والهند الساحلية» والصحيح ان كلمة كوت لا تستعمل الاَّ في الامكنة الواقعة فيها بين كوت الامارة[1] والناصرية والفاو ولا غير. ثم قال: «... يكون ذلك البيت (يعني الكوت) فرضة للسفن والبواخر وترسو عنده لتكمل منهُ ما ينقصها من الفحم والزاد الخ» والصحيح ان الكوت لا يختص بمكان معين بل قد يُبنى الكوت في البرية او على ضفة نهر اوشط. ولا يختص بما وصفهُ الكاتب من اكوات العراق الاَّ كوت الامارة واما غيرهُ فلا

والكوت في العراق يُبنى لجماعة من الفلاحين ليكون لهم مأوًى ومسكنًا وقد يُبنى وحدهُ او يُبنى حولهُ بعض الاكواخ من القصب والبواري او الجنوز[2] ويقابل الكوت

(١) الامارة جمع امير وهم رؤساء عشائر ربيعة وانما نسب اليهم لانهم اول من سكنهُ واسسهُ. وقد يتوهم بعضهم فيضيف الكوت الى العمارة البلدة الواقعة فيما بينهُ وبين البصرة وهو غلط فاضح فليتنبه له

(٢) جمع جنز وزن فعل وهو البيت المبني بالطين لا غير

« الجاعة » وزن تجارة عند فلاحي اطراف بغداد · وكوت الامارة الذي ذكرهُ الكاتب في مقالتهِ بُني على هذه الكيفية في بادئ الامر كما سنبينهُ فيما بعد

ثم قال الكاتب : « وقد تطلق الكوت (يعني لفظة الكوت) على النهر الصغير ايضاً ويسمى بهِ الآن بعض القرى في العراق توسعاً » والصحيح خلاف ذلك لان لفظة كوت المطلقة على النهر هي مضاف اليهِ لا مضاف · واظن حضرتهُ نقل اسماء تلك الانهر التي زعم ان اسماءها اكواتاً عن المجلد الثالث من لغة العرب ظاناً ان تلك الاكوات اسماء لانهر مخصوصة · وقد فاتهُ ان المجلة اشارت في الحاشية الى حذف المضاف واثبات المضاف اليهِ هرباً من التكرار الممل[1]

ومما فات الكاتب ذكرهُ بعض القرى المدعوة اليوم باسم كوت الواقعة في البصرة واطرافها: منها كوت الجلبي[2] في جنوبي البصرة بساعة وبناؤها بالطين والقصب وبيوتها نحو ٢٠ بيتاً · كوت البُزَيز (وزن زبير الساكنة الزاي) · كوت ثويني · كوت فويرس (بالتصغير) كوت سرحان · كوت رعيد (وزن جنيد باسكان الجيم) كوت الصبيخة[3] كوت الفريج (تصغير فرج) · كوت الحمداني · كوت القاضي · كوت الحساوية (اي الاحسائية نسبة للاحساء)[4]

ومنها : كوت الزين وهو واقع قبالة المحمرة على شط العرب والزين عند اعراب العراق الحسن الجميل لان سكانهُ اهل حسن وجمال فاضيف الى حسنهم وجمالهم وهم اعراب من طائفة الباوية (وزان شاميّة المنسوبة) وهم اخوال الشيخ خزعل خان حاكم المحمرة الحالي · وبناؤهُ (اعني كوت الزين) بالطاباق والطين وبعض بيوتهِ جنوز · ثم كوت بندر (لا بندرة كما ذكر الكاتب) وبناؤهُ بالطين وبعض بيوتهِ بالقصب والبواري · وفيهِ مسجد · ثم كوت عباس وبيوتهُ جنوز · وهذه الاكوات الثلاثة ملك آل راشد السعدون جد شيوخ المنتفق لا من الاسرة السعدونية المشهورة اليوم في العراق · ثم كوت ابن سيّاف

(١) راجع المجلد الثالث ص ٦٠ من مجلة لغة العرب البغدادية

(٢) مضاف الى مؤسسهِ عبد القادر جلبي دلاّل باشي احد تجار البصرة وقد مات في اواخر القرن الثالث عشر من الهجرة

(٣) هذه الاكوات جميعها تابعة لقرية حمدان في جنوبي البصرة على بعد ثلاث ساعات وبناء بعض بيوتها بالطين والبواري والبعض منها بالقصب والبواري وعدد اكواخ كل منها ما بين العشرة والعشرين كوخاً

(٤) هذه الاكوات تابعة لقرية ابي مغيرة الواقعة على شط العرب في جنوبي البصرة بثلاث ساعات ونصف ساعة · وهي مضافة الى المغيرة ابن ابي العاص الثقفي وقبرهُ هناك

(كشداد) واسمهُ بندر وكوت مطرود وبناء بيوتهما بالطين والبواري . ثم كوت الحجاج وهو قرية عامرة واقعة في شمالي البصرة على بعد نصف ساعة منها وبناء بيوتها بالطين والحجارة . ثم كوت سوادي . ثم كوتا السنّي نسبة الى احد ابناء السنة وبيوتهما اكواخ . ثم كوت ابن بادي وهذا في اطراف سوق الشيوخ من بلاد المنتفق وينزلهُ عشائر سوق الشيوخ يخرج منهُ نحو الف محارب

اما الانهر التي اضيفت الى اكوات ولم يذكرها الكاتب فهي : نهر كوت الكُمَرلي ونهر كوت القداع (كشداد) . ثم ستة انهر واقعة في جنوبي البصرة من شط العرب تعرف ايضاً بنهر الكوت

واعلم ان بناء البيت الذي يطلق عليهِ اسم كوت يكون مربع الاركان وقوامهُ من الطين والخشب والبواري وكذلك قل عن البيوت التي حولهُ ايضاً . وقد يخلص بعضها بالقصب والبواري فقط والبعض منها بالطين والحجارة والبواري

ثم قال الكاتب عن كوت الامارة : « انها اسست بعد خراب واسط » لقد صدق ولكنهُ لم يقل بكثير من الزمن ولم يعين الوقت الذي اسست فيهِ وهنا يجدر بنا ان نبسط الكلام في تأسيسها وتاريخهِ وسبب ذلك والساعين فيهِ مع ذكر الامكنة الواقعة فيما بينهـا وبين الشيخ سعد على ضفتي دجلة وذكر الاعراب النازلين فيها فنقول : —

كوت الامارة بلدة جميلة طيبة المناخ عذبة الماء عذبة الهواء كما وصفها الكاتب فيما سلف . واقعة على الضفة اليسرى من دجلة تجاه الجنوب الغربي نحو الدرجة ٢٠ وطولهـا يبلغ مسافة ٢٠ دقيقة ولها رصيف يمتد امتدادها في عرض ٣٠ متراً وخلف الرصيف مما يلي البلدة القهوات فالاسواق وسرايها واقعة في الطرف الشمالي الغربي منها . وفيها جامع للسنة ذو مأذنة رفيعة واقع في الطرف الشمالي الغربي منها . ومسجد للشيعة حقير البناء واقع في الطرف الشرقي منها . وتحفها من الشمال النخيل والاشجار والنسبة اليها كيتاوي (وزان هميان المنسوبة) ويقابلها في الجانب الغربي من غربيها بعض البيوت من الطين وحولها معمل سوس . وفي الطرف الشرقي من الجانب الغربي خان كبير مهجور يبعد عن الشط مسافة خمسين دقيقة للماشي وقد كان هذا الخان قبل سنين منزلاً للركب الذين يسلكون الطريق التي تؤدي الى الغراف والشطرة وتلك الجهات . وفي السنين الاخيرة تركه المسافرون الى تلك الاطراف استغناء عنهُ فاصبح خراباً تسكنهُ البوم والوحوش . وفي شرقيهِ بقليل

فوهة نهر الغرّاف الكبير او شط[1] الحي . ثم اسفلهُ بقليل الجادرية وهي ارض واقعة في الجانب الشرقي من دجلة ثم جسر الكوت وهو معقود على ٢٣ جسارية (اي سفينة) ويذهب من الجنوب الى الشمال وعلى بعد مسافة خمس دقائق من جنوبيهِ في الجانب الغربي قبة امام يدعى « محمد ابو الحسن » معقودة بالجص والطاباق ولها بهو ويزور هذا الامام اهل تلك الاطراف وينذرون لهُ النذور ثم اسفل الجسر ارض تعرف « بمقاطعة ابو حِلاّنة » وهي في الجانب الغربي ثم اسفل ابي حلانة القارضية (ويلفظون قافها كافاً فارسية) وهي في الجانب الشرقي . ثم اسفلها المدحي (منسوب الى مدحت باشا الشهير) وهو

---

(١) الغرّاف (وزن شداد) او شط الحي نهر كبير عرض فوهتهِ نحو ٦٠ متراً وقد اشتق اسمهُ من الغرف وشدد للمبالغة كقولهم كرار وجبار وغدار وما اشبه . واما تسميته بشط الحي فهو مضاف الى قرية تدعى الحي اقيمت على انقاض مدينة واسط التي بناها الحجاج بن يوسف الثقفي وهي تبعد عنهُ شرقاً مسافة نصف ساعة وواقعة على جانبهِ الشرقي

والنهر قديم الحفر لا يعرف تاريخ شقهِ على التحقيق وهو يأخذ من دجلة ويصب الآن في الفرات وقسم منهُ يصب في بطيحة الحمار (وزن شداد)

وقد كان مجراهُ القديم يذهب الى الجنوب الشرقي مجارياً دجلة في مجراها حتى يصب فيها على مقربة من العمارة وكان اذ ذاك يدعى بشط « المسرهد » (وزن مدحرج بفتح ما قبل الآخر) وهو الاسم الكثير الورود في سجلات الحكومة المعروفة « بالدفتر الخاقاني » ثم بعد ذلك بدل اسمهُ « بالشيب » (وزن كيس المكسورة الاول) وقد قرنت عشائر الديوانية الى هذا الاسم اسماً آخر وهو « الحمر » (وهو تخفيف الاحمر) وسموهُ كذلك لحمرة غرين مائهِ

وقد كانت السفن تجري في هذه الشعبة الى امد غير بعيد . وفي اواخر القرن الثالث عشر الهجري كَلم الغرين عتبتهُ وعاد الماء لا يصعدهُ ابداً فتحول مجراهُ منحرفاً الى الجنوب قليلاً في محل يبعد عن الحي مسافة كيلو مترين ونصف جنوباً وصارت مياههُ تصب في الفرات بقرب الناصرية . ولما يبس مجراهُ الاصلي وتحولت مياههُ الى الرمال دعاهُ اهل تلك الاطراف شط الاعمى

وفي اثناء ذلك شق احد امراء السعدون نهراً تعلو فوهتهُ شطرة المنتفق مسافة نصف ساعة غرباً . ودعى ذلك النهر الحديث الحفر (البدعة) والبدعة عند العراقيين النهر الواسع الغزير المياه والذي لا يسعهُ الاّ الشط . ثم اتسعت هذه البدعة مع الزمان حتى صارت تبتلع ثلاثة ارباع مياهه وتصب بقية مياهها في بطيحة الحمار السالفة الذكر في الجنوب الشرقي من الناصرية . وقبل مصب البدعة في بطيحة الحمار يدعى مجراها بشط الازيرق (تصغير ازرق) وتلفظ الازيرج وذلك على بعد ٤٠ كيلو متراً من الناصرية غرباً . والازيرج عشيرة من عشائر المنتفق وهي اشجعها

ثم يتفرع من جانب البدعة الشرقي فرعان الاول يدعى (شط سويق عيدى او الطبرية) وسويق تصغير سوق وتلفظ سويج . والفرع الثاني يدعى (ابو جحيرات) جمع جحر وينزلهُ عشيرة آل نصر الله من المنتفق وينزل ما بينهما (اعني شط سويج وابو جحيرات) بدر الرميض وعشيرته . وهم من المنتفق

دورة [1] من دورات الشط · ثم اسفلهُ قبيّب السيد [2] وهي قبة مبنية باللبن والطين على قبر شريف من آل السيد نور روّساء تلك الاطراف والقبة واقعة في الجانب الشرقي من دجلة تبعد عن الجرف مسافة خمس دقائق وينزل مقابلاً لها في الجانب الغربي من دجلة اعراب المقاصيص · ثم بقربهِ موضع يعرف بالمدق [3] (وزن مجن ويلفظون قافهُ كافاً فارسية) وهو موضع يكمن فيهِ قراصين المقاصيص للمراكب السائرة في دجلة ليلاً ويهجمون عليها فجأة وينهبون منها ما يقع بايديهم ويرجعون باسرع من لمح البصر · وقد صادف ان جرى مرة في المركب الذي كنت راكباً فيهِ امثال ذلك فاختطف صندوق لاحد الركاب · ثم اسفل المدق قلعة عزيز المشعل وهو من روّساء المقاصيص في الجانب الغربي · ثم نبعة وهي ارض واقعة في الجانب الشرقي والنبعة عند العراقيين الشجيرة الحديثة النبت الزاهية الاوراق ويدعى الطرف الشرقي من تلك الارض (ابو نخل) وانما دعي بهذا الاسم لنخلات مغروسة هناك يزعم اهل تلك الاطراف ان تحتها مرقد امام فهي تزار من اجلهِ · ثم السن الصغير وهو رابية مستطيلة واقعة في الجانب الغربي · ثم الدهلاية [4] وهي ارض في الجانب الشرقي ثم السن [5] الكبير وهو اثر عظيم بشكل تلّ مستطيل من اللبن وفي بعض الامكنة الحجارة والبورق واقع في الجانب الغربي وفي مخناهُ دورة تعرف بالهوي (بالتصغير) وقد كان السن قبل الحرب منازل المقاصيص ثم قلعة عيسى الشريدل مضافة الى رجل من شيوخ المقاصيص وهي قلعة مربعة الاركان ذات ابراج واقعة في الجانب الغربي · ثم غثيرات وهي اسم دورة من الشط وارض واقعة في الجانب الغربي ينزلها اعراب من بني تميم · ثم ابو نخل وقد مرّ ذكرهُ · ثم صدر الدجيلة وهو اثر نهر عظيم قديم مهجور واقع في الجانب الغربي · ثم الصناعية او الصناعيات وهي ارض واقعة في الجانبين ينزل في الجانب الغربي منها اعراب من بني تميم شيخهم اسمهُ عوده · ثم الكحيلة (ويلفظون كافها جيماً فارسية) وهي ارض واقعة في

(١) الدورة عند العراقيين المنحني من الشط ويجمعونها على دورات (وزن عورات بالسكون)

(٢) القبيب باسكان اولهِ هو عندهم تصغير قبة ويلفظون قافهُ كافاً فارسية

(٣) المدق عند العراقيين الموضع الذي يكمن فيهِ قطاع الطرق لنهب القوافل فهو مكمن لهم

(٤) الدهلاية او الدهلة بكسر الدال المهملة عند العراقيين هي الغريل في اللغة الفصحى ولا يخفى سبب تسميتها بهذا الاسم

(٥) السن عند العراقيين هو البناء من الطابوق والكلس والذي يكون على حافة نهر او شط او في وسطها

الجانب الغربي ينزلها اعراب من المقاصيص بيوتهم من الشعر رئيسهم يدعى السيد عباس. ثم رأس ام الحنه (وزن منة) ينزل في الجانب الشرقي منها اعراب بني تميم بيوتهم اكواخ من القصب والبواري والبردي و بعضها جنوز و يقابلهم في الجانب الغربي السيد عبد الكريم وعربهُ . ثم الشيب وهو اسم « دورة » ثم الشط العتيق وهو واقع في الجانب الشرقي وقد كان قبل اربعين سنة حيًّا تسلكهُ السفن والمراكب السائرة بين البصرة و بغداد ومع الزمان مات بتحول مجراهُ الاصلي عن محلهِ . ثم ابو رمانة وهو اسم « دورة » وارض واقعة في الجانب الغربي . ثم المفاتيل[1] وهي ابراج واقعة في الجانب الشرقي لاعراب المقاصيص ثم العوجة وهي ارض واقعة في الجانب الغربي ثم الكبابات (وزان شدادات و يلفظون كافها جيماً فارسية) وهي ارض واقعة في الجانب الشرقي . ثم ام العروق وهي اسم دورة وارض يكثر فيها عرق السوس فكنوها بهِ واقعة في الجانب الشرقي ينزلها اعراب بيوتهم في القصيب والبواري اكواخهم نحو ١٠٠ كوخ . ثم السورة (وزان عورة باسكان العين) وهي ارض واقعة في الجانب الشرقي . ثم ابو شعير وهو نهر واقع في الجانب الغربي يصب بقية مياههِ في الفرات (او شط الحي) . ثم العورة (باسكان العين) وهي ارض واقعة في الجانب الغربي من دجلة . ثم اليوسفانية وهي نهر واقع في الجانب الشرقي و ينزل ارضهُ اعراب من بني لام اسم رئيسهم جنديل . ثم ابو صيخاية وهو ارض واقعة في الجانب الغربي ينزلها اعراب من بني لام بيوتهم من الشعر ولهم بيوت من الطين مهجورة يعرفون بربع (اي اصحاب) موسى الفريج (تصغير فرج) يبلغ عدد بيوتهم نحو ١٠٠ بيت . ثم النعيسة وهي ارض واقعة في الجانب الشرقي تقابل قرية الشيخ سعد (او سوق جنديل) . ثم شيخ سعد (كذا يلفظونهُ بحذف ال التعريف) و بعضهم يدعوهُ سوق جنديل وجنديل احد رؤساء بني لام وهو اول من بنى فيهِ سوقًا فاضيفت اليهِ ثم توسع هذا الاسم حتى تبعتهُ القرية عند بعضهم

الشيخ سعد قرية واقعة على عدوة دجلة اليمنى تجاه الغرب تمامًا تشمل نحو ٤٠٠ بيت من الطين و ٥٠٠ صريفة[2] مبنية في طرفها الجنوبي واكثر اهلها اكراد من جبل حسين قلي خان

---

(١) هي جمع مفتول والمفتول عند اعراب العراق برج مستدير الاطراف صاعد في السماء وبناؤهُ من الطين فقط . ويصعد اليهِ بدرج لولبية الشكل يتخذهُ الاعراب في حروبهم لرمي قذائفهم منهُ وللاشراف على العدو فهو عندهم بمنزلة البرج والمرقب معًا . وكان يسمى في الجاهلية (البقيل) (وزن سكيت) راجع لغة العرب المجلد الاول ص ٢٨١ من الحاشية

(٢) الصريفة عند اعراب العراق الكوخ المشيد بالقصب والبواري فقط و يجمعونها على صرايف

او بوشتكوه وهو قسم من جبل حمدين . وقبر الشيخ سعد فيها (اعني القرية) وعليهِ قبة معقودة بالجص والطاباق وهو من روَساء عشائر تلك الاطراف وقد مات منذ نصف قرن ولا يحترمهُ اهل تلك الاطراف كل الاحترام كما انهم لا يستخفون بقدرهِ . و ينزل حولهُ اعراب من بني لام روَساوُهم بدعوں (بيت جنديل) ومنازلهم تمتد الى ما قبل علي الغربي بقليل[1]

ولنعد الى ذكر الكوت فنقول : كان سكان الكوت قبل ١٣٠ سنة عشيرة بيت شاوي من ربيعة وهم بطن من المياح (وزان شداد) من طائفة البو بدر من فخذ البو برشي (وزن شرقي) وكانت بيوتهم اذ ذاك جنوزاً وكانت الاعراب التي في اطرافهم تغزوهم وتنهب مواشيهم فكانوا يضطرون في بعض الاحيان الى السكن في بيوت الشعر

وفي سنة ١٢٥٢ هـ = ١٨٣٦ م غزا علي رضا[2] باشا والي بغداد المحمرة فمرّ في طريقهِ على موضع الكوت اليوم فشكا اليهِ اهلهُ حالهم وما يقاسونهُ من غزاة الاعراب المجاورين لهم فبنى لهم قلعة[3] ورتب فيها من عسكر عقيل ٥٠٠ فارس لاجل المحافظة على ذلك المحل والطرق الموَدية اليهِ من شن الغارات . فبقي اولئك الفرسان حرساً للكوت وجباة للضرائب التي على اهل العمارة والمنتفق وكان يومئذٍ رئيس اهل الكوت بزون آل شاوي فخصص لهُ الوالي جرايات سنوية يتقاضاها من ابناء الحكومة بواسطة ضابط مندلي وهي ٢٠ طغاراً حنطة و٣٠ طغاراً شعيراً . وسمح لهُ ان يأخذ جوازاً من كل سفينة تمر بالكوت ومقدار ذلك خمسة شاميات[4] وبقيت هذه الحالة جارية حتى ايام مدحت باشا الشهير

---

(١) انما ذكرنا هذه الامكنة الواقعة في ما بين الشيخ سعد وكوت الامارة لكثرة ورودها في الجرائد والمجلات والكتب الحربية خصوصاً في هذه الايام التي اصبحت فيها متجاذبة الاطراف بين الفريقين وكثيرة الترداد في صحف الفيلقين . ولاننا رأينا اكثر الذاكرين لها يغلطون فيها غلطاً فاحشاً حتى اهل البصرة انفسهم فبادرنا بنشرها في هذه العجالة لتكون مرجعاً للصحة . اما ترتيب منازل الاعراب النازلين في ما بين الشيخ سعد وكوت الامارة فعلى هذا النسق . بنو لام ينزلون حول الشيخ سعد ثم فوقهم غرباً اعراب المقاصيص . ثم فوقهم غرباً اعراب من بني تميم فاعراب من المقاصيص فاعراب عتبه فاعراب ربيعة ومبدأ منازلهم الكوت ومنتهاها البغيلة (تصغير بغلة) الواقعة في غربي الكوت بنحو سبع ساعات على الجانب الغربي من دجلة (٢) علي رضا باشا هو خلف الوزير داود باشا على بغداد وقد ولي بغداد من سنة ١٢٤٦ هـ الى سنة ١٢٥٢ هـ — ١٨٣٠ — ١٨٣٦ م (٣) قد صارت هذه القلعة بعد بنائها محلاً للحكومة التركية و بقيت الى ان سقطت بلدة الكوت بيد الانكليز (٤) الشامي نوع من نقود العراق المتروكة وقد كان اذ ذاك يساوي ستة قروش مصرية

وفي سنة ١٢٨٣ هجرية ذهب نامق باشا الكبير والي بغداد الى البصرة وكان بصحبته السيد علي افندي نقيب بغداد وحينما شاهدا موقع الكوت استحسناهُ ولتوسطهِ بين العمارة وبغداد والمنتفق وقربهِ من حدود ايران مما يلي جبل حسين قلي خان امر نامق باشا المشار اليهِ رئيسي الكوت حين ذاك وهما الحاج سبع وابن عمهِ علي اليوسف بانشاء ناحية هناك فامتثلا امرهُ واعطاهما ٢٥ الف قرش صحيح مساعدة لهما وارسل لذلك معماراً خصيصاً من بغداد فبنى لهما ولاقاربهما دوراً ومنذ ذاك الحين اخذت بلدة الكوت بالترقي والعمران والتوسع الى ان استردها الاتراك من الانكليز في يوم السبت ٢٩ نيسان سنة ١٩١٦ م وعند ما استولى الاتراك عليها وعلى الجنود الانكليزية التي حوصرت فيها أمسكوا الحاج عباس العلي السبع زعيم اهل الكوت واولادهُ وابناء عمهِ وبقية اشرافها وشنقوهم واحداً بعد واحد زاعمين ان هؤلاء الابرياء هم الذين ساعدوا الانكليز على سقوط الكوت بايديهم في المرة الاولى . وكان شنقهم في اليوم الثاني من سقوط الكوت بيد الاتراك . وقد بلغ ما شنقوهُ في ذلك اليوم نحو ٣٥ رئيساً ثم بعد شنقهم ساق رجال الاتراك نساءهم وذراريهم الى بغداد ومنها الى الموصل وديار بكر

وفي الحقيقة ان هؤلاء المظلومين ليس لهم ذنب ولا مصلحة مع الانكليز . ومما يؤسف عليهِ منهم الحاج عباس العلي السالف الذكر فقدكان من افاضل القوم وعليتهم كرماً ومعرفة وحنكة وحزماً وتدبيراً . وقد كان رحمهُ الله بحاثة نسابة اخباريًا . اعرف الناس باحوال العراق وتاريخهِ واخبار قبائلهِ وبلادهِ والخلاصة ان العراق قد خسر بقتلهِ خسارة عظيمة

اما بلدة الكوت اليوم فعلى ما رواهُ الشاردون منها في هذه الايام ان المدافع من الطرفين هدمت اغلب بيوتها وحولتها الى تل من تراب وشوه الجنود ارضها بحفر الخنادق للقتال . وقد تركها اهلها المساكين فارين منها باعمارهم الى البوادي والقفار . وعاد لسان حالها يقول :

بالامس كانوا معي واليوم قد رحلوا وخلفوا في سويدا القلب نيرانا
نذر عليَّ لئن عادوا وان رجعوا لازرعن طريق الحي ريحانا

هذا ما اردت بيانهِ عن اكوات العراق وكوت الامارة وفوق كل ذي علم عليم

البصرة كاظم الدجيلي

[المقتطف] كتبت هذه المقالة قبل سقوط كوت الامارة ثانية في ايدي الانكليز

خلود في التجارب

وكم ساعة كالخلد فزت بخيرها ... هو الروح حر لا يذل لتحكيم
بلغت بها اقصى منى النفس كلها ... كأن قضاء الدهر ليس بمحتوم
نفوس تود العيش نزهة لاعب ... فتحسب ان العيش اضغاث محموم
ترجي سني العمر كالحلم ضمنا ... لعيش كرؤي الحلم ليس بموهوم
ترجي خلوداً والخلود عناؤها ... واي بقاء خالد غير مسؤوم
وما الخلد الاّ ساعة أقنع الحجى ... وتسعد نفساً لا تدين لتهويم
وقالوا بان العيش فرض مبغض ... وذلك حرص منهم غير مكتوم
وعذر على حب الحياة ولهفة ... واي امرء في العيش ليس بمكلوم
يعيش شقي الناس من خير عيشه ... وان كان يسعى في الورى جد مهموم
يظل فتى في نفسه ذخر ذاخر ... وان كان محروماً كأن غير محروم
فما العيش الاّ حكمة وتهادن ... فيخلط مجهولاً لديه بمعلوم
ويخلط حلواً في الحياة بحنظل ... ويأخذ من عيش حميد ومذموم
وقد صح ان الجد يلهي عن الاسى ... وان كان صعباً لا يجيء بمقسوم
وكم نهزة بالحسن لم تخش خمرها ... حسوت بنفس تستقاد بتكريم
هو الروح مثل الحسن في كل لذة ... وليس نعيم نال روح بمعلوم
وطالمت في سفر الحياة كأنني ... ظفرت بسفر في التجارب مرقوم
فما خير ماتيك التجارب هديها ... وليس اخو التجريب فينا بمعصوم
ولكنها لذات نفس تمرست ... بوقع مرجى او مواقع مشؤوم
فمنها مصيف للنفوس ومربع ... ومنها كمام الحلم ليس بمرهوم

عبد الرحمن شكري

اصلاح خطاء

جناب المحترم صاحب مجلة المقتطف الغراء

ذكرتم في عدد مارس سنة ١٩١٧ من مجلتكم اني هندي الجنسية والحقيقة اني مصري الاصل كما تدل على ذلك شهادة جنسيتي المستصدرة من الدفترخانه المصرية فالرجاء التفضل بنشر كتابي هذا تصحيحاً لما ذكرتم

دوس محمد

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

السِمن

مضارهُ وطرق علاجهِ

لا يستطيع سمان الابدان ان يحافظوا على صحتهم طويلاً لان شدة السمن تجعل الرياضة متعذرة فتفضي هذه الحال بالسمين الى ارتخاء عضلاتهِ وضعف تغذيتها. ثم ان تجمع الدهن في الصدر والبطن قد يعوق حركة الاحشاء فيهما الى درجة الخطر واقرب شاهد على ذلك تجمع الدهن حول القلب وعرقلة حركتهِ مما يفضي الى المرض المعروف باسم الحؤول الدهني. والغالب ايضاً ان السمان الشديدي السمن يفقدون مضاء الذهن الاَّ ان لذلك شواذ مشهورة

والمعروف بوجه عام ان المادة التي يتألف منها بدن السمين ضعيفة سخيفة واقل ما يقال في السمان انهم عرضة للاصابة بالامراض الحادة كالنحاف ولكن النحاف اقدر منهم على احتمال الاصابة. وربما افادت الحمى او الامراض الشديدة القصيرة المدة السمان لانها تذهب بما في اجسامهم من فضلة الدهن التي تزيد على حاجتها فتساعدهم بذلك على استخدام الوسائل المتعددة لمنع تجمع الفضول الدهنية مرة ثانية. والسمان اكثر عرضة من النحاف للنقرس والبول السكري لان هذين المرضين نتيجة ضعف عملية التأكسد في الجسم كالسمن. وكثير من امراض الجلد كالاكزيما تصيب السمان اكثر مما تصيب النحاف

وقد توسل الناس بوسائل شتى لتقليل السمن كالفصد والكيّ والاكثار من شرب المساهل والجوع والتفنن في الحمامات بين حارة وباردة وفاترة وتناول ما لا يحصى من العقاقير ولكن ذلك كلهُ لم يأتِ بالغرض المروم في غالب الاحيان. ومما وصفوهُ لاذابة شحم الجسم شرب الخل حتى لقد زعموا ان قائداً مشهوراً بسمنهِ واسمهُ مركيز كورتونا اكثر من شرب الخل حتى فقد جميع دهنهِ وتكوَّن بين جلدهِ وهيكلهِ فراغ كبير مكَّنهُ من طي جلدهِ على جسمهِ والالتحاف بهِ كما يلتحف بالرداء. على ان نتيجة مثل هذه دليل على عظم الضرر الذي نال جسمهُ وخصوصاً جهازهُ الهضمي من الافراط في شرب الخل اذ ليس ثمة اقل دليل على

ان الخل يؤثر رأساً في ازالة الدهن وكل ما يعرف عنهُ ان الافراط في تناوله يضرُّ بالصحة

ومما وصفوهُ لعلاج السمن ماء البوتاس بناء على ما بين القلويات والدهن من الالفة الكيماوية الشديدة فحيثما وجد القلوي الدهن طلبهُ بشراهة . اما طريقة شربه فهي ان يؤْخذ منهُ ملعقتان او ثلاث ملاعق صغيرة كل يوم مع قليل من اللبن وان يقتصر في الطعام على بعض المواد دون الاخرى وان يكثر من الرياضة البدنية . وكثيراً ما اتت هذه الوصفة بالنتيجة المرومة ولكن لا يصحُّ القول انها علاج وافٍ للسمن

واستعملوا لمعالجة السمن عقاقير مختلفة اشهرها مركبات يودور البوتاس . ومنها الحديد وقد جاء هذا بنتائج حسنة في معالجة السمن الناشىء عن فقر الدم في الشابات بوجه خاصٍ . ومنها خلاصة الغدة الدرقية وهي ناجعة في الاوزيما المخاطية وفي حوادث السمن الذي يصحب هذا الداء على ما يظهر

على ان مسئلة تنظيم عادات المرء في طعامهِ ورياضتهِ ونومهِ اهم بكثير في معالجة السمن من شرب العقاقير الطبية . ففي سنة ١٨٦٣ ظهر منشور بعنوان « رسالة عن السمن الى الجمهور من وليم بانتنج » قصَّ فيهِ ما جرى لهُ من هذا القبيل فوصف اولاً اشتداد سمنهِ الى حدّ أن سبَّب لهُ تعباً والماً كثيراً وقال انهُ جرَّب كل عقَّار فلم يجدهِ التجريب نفعاً فوصف لهُ بعضهم الاقلاع بقدر ما يمكنهُ عن اكل المواد السكرية والنشوية والدهنية والاقلال من شرب السوائل والاقتصار على اكل اللحم او السمك والاثمار بكميات معتدلة وشرب شيء كل يوم من السوائل المضادة للحوامض . فجرى على هذه الوصفة فلم تنقضِ بضعة اسابيع حتى خفَّ وزنهُ ٤٦ رطلاً وتحسنت صحتهُ تحسناً كثيراً . وحذا كثيرون حذوهُ فانتفعوا انتفاعهُ ولكن البعض اصيبوا باضرار عظيمة فاضطروا ان يمتنعوا عن هذا العلاج

وكثيرون من الاطباء يشيرون بوجوب العناية بامر الطعام اي باتخاذ هذا ونبذ ذاك وبان يؤْخذ مع الماء العادي يوماً بعد آخر حبوب من املاح فيشي وكرلسبد . وقد نتج عن اتباع هذه الطريقة ازالة السمن في الغالب فضلاً عن انهُ يمكن الجري عليها مدة طويلة من غير ان تؤْذي الصحة . وعلى مثل هذا الاساس بنيت المعالجة المعروفة باسم علاج سلسبري ادخلها طبيب اميركي وخلاصتها الاقتصار على اكل اللحم الاحمر فيؤْكل منهُ يوميًّا ثلاثة ارطال الى مدة اسبوع او عشرة ايام ويكون اكلهُ مسلوقاً او مقلوًّا على حسب ذوق الآكل وفي ثلاث وجبات يسبق كل وجبة منها شرب جرعة كبيرة مقدار رطل من الماء السخن . وبعد انقضاء الاسبوع يعود المعالج الى طعامهِ العادي ولكنهُ يمتنع عن اكل

بعض المواد . وهذه الطريقة تنجع في الغالب ولكنها تضرُّ الذين فيهم ميل الى النقرس او المصابين بمرض بريط

وهناك طريقة اخرى اسمها طريقة «شروط» ادخلها فلاح الماني فسميت باسمهِ . ومآلها اكل الخبز القديم وشرب قدر معلوم من الماء وهي بمثابة تجويع المعالج وقد نجحت نجاحاً عظيماً ولكن لا يستطيع الانتفاع بها الأ اقوياء البنية

وفي اوربا حمامات كثيرة طبيعية لعلاج السمان ولكن يقال بوجه عام ان نجاح العلاج فيها قائم باتباع المعالجين للوصايا التي يوصون بها اتباعاً دقيقاً . ولو فعلوا مثل ذلك في منازلهم لنالهم فيها ما ينالهم في الحمامات . اما الاطعمة التي توصف للسمان فهي اللحم الاحمر والسمك والبنكرياس والشوربة الخالية من الدهن ولحم الدجاج وسائر الطير والبيض والجبن والبقول الخضراء والاثمار واللبن الذي نزعت قشدتهُ . ويجب ان يمتنع عن شرب الكحول ويقلل شرب الشاي والقهوة . وليكن الطعام كما يأتي :

طعام الفطور — شاي بلا سكر ولا لبن . خبز محمص اوقيتان . لحم احمر اوقية

طعام الغداء — شوربة نصف رطل . لحم احمر نصف رطل . بقول خضراء . خبز اوقية . كأس ماء او نبيذ او خمر ممزوجة بماء

طعام العشاء — لحم بارد نصف رطل . خبز محمص او بسكويت اوقية

ولتكن الرياضة كثيرة واللباس خفيفاً والطعام اقل مما يكفي المعالج . وليبكر في نومهِ ولتكن ساعات راحتهِ في اليوم سبع ساعات او ثمانياً في الاكثر . وليمتنع عن النوم نهاراً . وليغتسل بالماء الحار من آن الى آن على مثال الحمامات التركية

عمر الذباب

قامت في اميركا حرب لمكافحة الذباب تخلصاً من اذاهُ وخصوصاً في فصل الصيف . واعظم ما وجهّ المكافحون همهم وهمتهم اليهِ في مكافحتهِ زيادة تقتيلهِ في الربيع بدعوى ان ذلك يقلل نسلهُ في الصيف . وقد بنيت هذه الدعوى على فكرة فاسدة فحواها ان المدة التي تمرُّ على الذبابة بين بلوغها وبيضها البيض اطول مما هي حقيقة . ويؤْخذ من بعض التجارب ان اقصر مدة بين البلوغ والبيض $2\frac{1}{2}$ يوم والمدة المعتادة بين اربعة ايام وخمسة . وقد حبست ٣٠٠٠ ذبابة في مكان فوجد ان متوسط عمر الواحدة منهن بلغ ١٩ يوماً وان اطولهن عمراً عاشت ٧٠ يوماً

تكرير الزيت ببرمنغنات البوتاس

يكررون زيت الزيتون والكتان والخشخاش والسمك وغيرها من اصناف الزيوت في اسبانيا بالطريقة الآتية : يؤْخذ كيلو من بلورات برمنغنات البوتاس ويحلّ في عشرة لترات ماء فيخرج من ذلك سائل ارجواني غامق يمزج تدريجاً بثلاثين كيلو من الزيت الذي يراد تكريره ويحرَّك المزيج مهلاً رويداً عدة مرار على يومين. وفي نهاية اليومين يضاف اليهِ ٢ لتراً من الماء و ٥ لترات من الحامض الهدروكلوريك التجاري (روح الملح) على درجة ٢٠ الى ٢٢ بقياس بوميه ثم يحرك المزيج بشدة . و بعد ذلك ببضعة ايام يصفى ماء الحامض من الزيت ويضاف الى الزيت ماء حارّ نقيّ لازالة ما علق بهِ من الحامض ثم يصفى بمصفاة فيها فحم حطب

اكل لحم الخنزير نيئاً

من المشهور ان اكل لحم الخنزير قد يورث الآكل داء التريخينا وهي دودة توجد في لحم الخنزير النيء فاذا دخلت جسم الانسان حية كانت شديدة الخطر عليهِ . وقد اصدرت مصلحة الزراعة الاميركية منشوراً حذرت فيهِ الناس من اكل لحم الخنزير نيئاً وخصوصاً الذي اعتادوا ذلك في الاعياد سوالاكان ما يأكلونا لحماً مقدداً غير مطبوخ او محققاً نيئاً مصنوعاً من لحم جديد او لحماً مدخناً . اما اذا عرض اللحم لحرارة درجتها ١٤٠ بقياس فارنهيت فما فوق الى درجة الغليان او اكثر فان دود التريخينا يموت

وما يقال في لحم الخنزير يقال في لحم سائر الحيوانات التي يأكل الانسان لحمها والتي عرفت بانها تعديهِ ببعض الامراض من طريق اكل اللحم كالبقر والغنم والمعزى وغيرها

طريقة جديدة لعمل اللبن الصناعي

جاء في بعض الصحف العلمية انَّ انكليزيًّا اخذ امتيازاً بعمل اللبن الصناعي على الطريقة الآتية : يؤْخذ مئة رطل من الماء النقي ويسخن الى درجة ٨٠ بميزان سنتغراد ثم يحلّ فيهِ ٤٠٠ قمحة من فوسفات البوتاس او الصودا ويضاف اليهِ من السكر ما يجعل السكّر على نسبة ٤ $\frac{1}{2}$ في المئة من المجموع بعد الانتهاء من تحضيرهِ . ثم يضاف اليهِ ٤٠ رطلاً من خلاصة الفول السوداني وفول الصويا المبيض ويغلى المزيج بطريقة مخصوصة ويعالج بمستنبت من خميرة الحامض اللبنيك حتى يصير على درجة معينة من الحموضة ثم يعقم على درجة ٦٠ الى ٧٠ بميزان سنتغراد مدة ٢٠ دقيقة على القليل وبعد ذلك يبرَّد ويحرَّك بينما يضاف اليهِ ٠٫٠٥ الى ٠٫١١ في المئة من الحامض الشتريك (الليمونيك)

وهذا اللبن يمكن تجميده ويبعهُ في العلب او تجفيفهُ وسحقهُ وبيعهُ في الزجاجات . ويمكن عمل الجبن منهُ بزيادة حموضته بالحامض اللبنيك

الملاريا والناس والبعوض

من المعلوم ان الحمَّى الملارية قلما تظهر شتاء وان معظم فتكها يكون في غير فصل الشتاء من فصول السنة . ولا يعلم اين تشتي مكروباتها أفي ابدان الناس ام ابدان البعوض ام الفريقين معًا . وقد ظهر من مباحث بعض العلماء الاميركيين في ولايات المسسبي بين شهري فبراير و يونيو من سنة ١٩١٥ ما يكشف النقاب عن سرّ هذه المسئلة فقد امسك في خلال تلك المدة اكثر من الفي بعوضة فشرَّحها وفحصها فلم يجد فيها اثرًا لمكروبات الملاريا ثم فحص ١١٨٤ شخصًا فوجد في ٤٩٢ منهم تلك المكروبات من غير ان يصابوا بالملاريا اي ان وظيفتهم نقل المكروبات من شخص الى شخص . فتأيد بذلك رأي معظم الباحثين في هذا الموضوع وهو ان الانسان هو المسؤول عن بقاء الملاريا من سنة الى سنة لا البعوض

بيض العيد وفسادهُ

في ربيع سنة ١٩١٦ طلب مدير بوليس باريس من المسيو لنديه احد اعضاء مجلس الصحة فحص البيض المسلوق ليعلم كم يبقى صالحًا للاكل وغرضهُ من ذلك السعي في سنّ قانون تعيَّن فيهِ المدة التي يجوز بيع بيض العيد فيها . فوجد بعد البحث ان البيض النيّ ابقى من البيض المسلوق . واستشهد المسيو لنديه على ذلك بما جرى لبعض الجنود الفرنسويين الذين في اسر الالمان . فان اهلهم ارسلوا اليهم بيضًا نيئًا وبيضًا مسلوقًا فيما ارسلوا من الهدايا اما النيء فوصل سليمًا من الفساد واما المسلوق فوجد فاسدًا لا يصلح للأكل

وخلاصة التجارب التي جرَّبها انهُ جاء بعدد معلوم من البيض الجديد وقسمهُ قسمين قسمًا ابقاهُ نيئًا وقسمًا أغلاهُ ربع ساعة ثم وضعهُ في مكان حرارتهُ بين ٢٨ و ٣٠ سنتغراد فبقي فيهِ خمسين يومًا . وكان في خلال تلك المدة يأخذ بيضة اثر اخرى ويكسرها ليعلم مقدار ما تحويهِ من النتروجين والنشادر ومعلوم انهُ كلما زاد فسادها زاد مقدار هذا النتروجين فيها . فالبيضة الجديدة تحوي عادة ١٠ مليغرامات من النشادر في ١٠٠ غرام من مادتها وقد يهبط فيها الى ٦ مليغرامات او يعلو الى ١٤ مليغرامًا . اما البيض الذي حفظ خمسين يومًا فوجد النيء منهُ حاويًا ٢٦ مليغرامًا من النشادر ووجد المسلوق حاويًا ١٠٧ مليغرامات اي انهُ بات فاسدًا لا يصلح للاكل

باب الزراعة

تثبيت النيتروجين الجوي في جذور النباتات القرنية (١)

وجه العلماء ابحاثهم لحل مسألة تغذي النباتات القرنية بنيتروجين الجو ففي سنة ١٨٨٦ وجد كل من العالمين هلريجل ولفورث بعد تجارب عديدة ان النباتات غير القرنية كالقمح والشعير مثلاً تحتاج في نموها الى النيترات فان لم تجدها وقف نموها وماتت وان النباتات القرنية كالبسلة والبرسيم لا يتوقف نموها على وجود النترات الارضية فمن اين لها الحصول على عنصر النيتروجين في هذه الحالة وهو ضروري لحياتها

كان العالم فورونن Woronin في سنة ١٨٨٦ قد اشار الى ان جذور النباتات القرنية تحمل ادراناً تشتمل على مكروبات (شكل ١) ولكنهُ لم يهتدِ لوظيفتها فظن هلريجل ولفورث ان من الممكن امتصاص هذه النباتات لنيتروجين الهواء بواسطة مكروبات الادران فتستغني بذلك عن النيترات الارضية وبعد تجارب دقيقة ثبت لها صحة هذا الظن حيث وجدا اولاً ان نبات البسلة المزروع في رمل معقم وغير محتوٍ على نيترات لا تتكون على جذوره ادران وينمو ضعيفاً جداً مع انهُ ينمو كالنباتات غير القرنية

(شكل ١)

(١) من كتاب البكتيريولوجيا الزراعية لمؤلفهِ مصطفى افندي محمود الدمياطي

شرح شكل ١ (١) درنة على جذر نبات الترمس بحجمها الطبيعي (٢) قطاع طولي للجذر والدرنة معاً مبيناً فيهِ :— (١) حزم الجذر الوعائية منشعبة في اجزاء الدرنة (ب) و (ج) النسيج البكتيرويدي في الدرنة كما يشاهد تحت قوة المكرسكوب الصغرى (٣) احدى خلايا الدرنة مملوءة بالمكروبات ومكبرة ٦٠٠ مرة (٤) الشكل العادي لمكروبات الادران في الترمس (٥و٦) شكل البكتيرويدات في انواع من الفول والترمس وكل هذه مكبرة ١٥٠٠ مرة

اذا اضيف الى الرمل نيترات . ووجدا ثانياً انهُ ينمو جيداً وتتكون على جذوره ادران اذا اضيف الى الرمل المعقم المذكور مذوب من ارض خصبة . ووجدا ثالثاً ان نموهُ في الرمل غير المعقم الذي لم يضف اليهِ مذوب من ارض خصبة ولا يحتوي على نيترات يختلف بعضهُ عن بعض ففي احوال يكون حسناً وفي احوال اخرى يكون غير حسن . فقررا ان تعقيم الرمل في الحالة الاولى جعل نبات البسلة لا تتكون على جذوره ادران لخلو الرمل من المكروبات بالتعقيم وبما انهُ لم تتوفر طريقة لامداد النبات المذكور بالنيترات الارضية او النيتروجين الجوي كان نموهُ ضعيفاً . وقررا ان نموهُ كالنباتات غير القرنية كان بسبب عدم حرمانهِ من النيترات لاضافتها الى الرمل هذا في الحالة الاولى اما في الحالة الثانية فقد كان نموهُ جيداً اذ حصل تكوين الادران من تلقيح الرمل بمكروبات مذوب الارض الخصبة فكان وجود الادران سبباً في حصول النبات على النيتروجين الجوي . واما في الحالة الثالثة فقد كان نمو النبات مختلفاً بين حسن وغير حسن لان الرمل وان لم يضف اليهِ مذوب من ارض خصبة ولم يحتوِ على نيترات الا انهُ كان غير معقم وكون الرمل غير معقم يكفي لامداد النبات بنيتروجين الجو كثيراً او قليلاً

بعد ان وقف هلريجل وولفورث على علاقة مكروب الادران بالنباتات القرنية كما تقدم واثبتاها حاول كثير من العلماء فصلهُ في البيئات العادية فلم يوفقوا وتمكن اخيراً بيرنك في سنة ٨٨٨ . من فصلهِ واطلق عليهِ اسم بكتيريوم راديسيكولا Bacterium Radicicola وذلك بان زرعهُ في بيئة حمضية قليلاً ركبها من ٧ جرامات جلاتين و ٠٫٢٥ جرام اسبراجين و ٠٫٥ جرام سكر مذابة في ١٠٠ جرام من منقوع اوراق البسلة فكانت هذه البيئة صالحة لنموهِ وتكاثرهِ

البكتيريوم راديسيكولا — ووُصف البكتيريوم راديسيكولا بعد فصلهِ بانهُ مكروب عصوي الشكل يكون متحركاً او غير متحرك فالاول طولهُ ٠٫٩ مكرون[1] وعرضهُ ٠٫١٨ مكرون و يعتبر من اصغر المكروبات حجماً اما الثاني فيتراوح طولهُ بين ٤ — ٥ مكرون وعرضهُ ١ مكرون وهو بنوعيهِ المتحرك وغير المتحرك من المكروبات الهوائية حتماً يموت في حرارة تتراوح بين الدرجة ٦٠ — ٧٠ سنتيجراد ولا يكون جراثيم وجودهُ في الارض معروف الا انهُ لم يستطع احد فصلهُ منها الى الآن بل يفصل عادة من الادران

(١) المكرون جزء من مليون جزء من المتر

تنوع مكروب الادران — وقد اختلف العلماء في مكروب الادران هل هو نوع واحد منتشر في الارض يسكن جذور النباتات القرنية على اختلاف انواعها ام هو انواع عديدة تختلف باختلاف النباتات التي تعيش في جذورها ففريق يحسبهُ نوعاً واحداً وفريق يحسبهُ انواعاً عديدة والظاهر يرجح رأي الفريق الثاني فقد ثبت بالتجارب ان نباتات البرسيم والبسلة والجلبان مثلاً اذا زرعت في رمل معقم لا تظهر على جذورها ادران ولكن عند ريها بمنقوع من ادران البسلة شوهد تكون الادران على جذور البسلة والجلبان فقط او انها تتكون على جذور البرسيم ايضاً الاَّ انها تكون قليلة جداً و يفهم من هذا ان هناك نوعاً خاصاً بالبسلة والجلبان ٠ وكذلك شوهد ان مكروب البرسيم لا تتكون ادرانهُ على جذور البسلة والجلبان اي العكس ٠هذا وقد توصل نوبي وهلتنر بما اجرياهُ من التجارب الى القول بامكان انتقال هذا المكروب من نبات الى آخر من النباتات القرنية بشرط ان تكون النباتات من جنس واحد فالمكروب الذي يعيش في جذور نوع من البرسيم يمكن نقلهُ الى جذور انواع اخرى منهُ ولا يمكن نقلهُ الى جذور الفصوليا والترمس والفول والبسلة من الاجناس الاخرى

تكون الادران — يتطرق البكتيريوم رادبسيكولا الى جذور النباتات القرنيـة من التربة ومن الخطإ ان يظن ان تطرقهُ اليها كان بواسطة البذور اذ البذور لا تحتوي عليهِ وهو يعمل في الجذور النباتية و يكوّن الادران ٠ و يتم ذلك في نبات البسلة على رأي برازموفسكي باصابة في اطراف الشعيرات الجذرية (شكل ٣) يسببها المكروب المتحرك على الارجح فتكون مجموعة مكروبية منهُ داخل جدار كل شعيرة

(شكل ٣)

جذر يتم لتكاثر المكروبات بسرعة عظيمة نظراً لتوفر مواد الغذاء داخل الشعيرات وتنتشر الى الداخل في اتجاه الجذر فيتكون عنها في كل شعيرة جذرية انبوبة مكروبية رفيعة تعرف « بخيط المدوى » Infection Thread لشبهها بالخيط ٠ و يمتد خيط العدوى تدريجاً

شرح شكل ٣ (ا) طرف شعيرة جذرية من نبات البسلة تطرق اليهِ المكروب وكون فيه ما يعرف بخيط العدوى (ب) خلية من خلايا جذر البسلة تشاهد فيها النواة وخيط العدوى

الى الداخل حتى يثقب خلايا الجذر و يتفرع فيها فيحدث تضخم في بعض خلايا الجذر السطحية تكون منهُ الادران ذات النسيج البكتيرويدي Bacteroidal Tissue

على ان بعض العلماء ينكر تكون خيط العدوى على هذه الطريقة و يقول ان المكروبات لا دخل لها في ذلك وان خيط العدوي ينشأ من مادة النبات نفسهِ لا من المكروبات لتكونهِ من بروتوبلازم محاط بجدار سليلوزي كما هو الحال في خلايا النباتات الراقية ولو كان من المكروبات لوجب ان يكون جدارهُ مركباً من مادة بروتينية على ان الخلاف في ذلك لم ينتهِ بعد

ان مكروبات الادران بعد تطرقها عادة لخلايا الجذور تحيط نفسها بمادة لزجة و بعد ان يكون شكلها عصوياً لا تلبث طويلاً حتى يصير شكلها كحرف Y في الانكليزي فتسمى حينئذٍ بكتيرويدات وهذه البكتيرويدات هي التي تمثل نيتروجين الجو وتثبتهُ في جذور النباتات القرنية ومن عادتها ان تكون نشطة قوية بادىء بدء ولكن بتقادم عهدها تفقد نشاطها وتذوب بواسطة انزيم يفرزهُ البروتوبلازم المجاور لها ثم تنقل مادتها تدريجاً من الجذور الى الازهار والثمار لتغذيتها و بعد ذلك يتحلل ما يبقى منها في الجذور فتخرج منهُ المكروبات الى الارض لتصيب نباتات اخرى وهكذا

تبادل النفع — تتبادل مكروبات الادران النفع مع النباتات القرنية وهو ما يعبر عنهُ بالمعيشة المشتركة Symbiosis لان المكروبات المذكورة تعيش في جذور النباتات القرنية فتستمد منها ما تحتاج اليهِ من الغذاء وعلى الاخص المواد الكربوهيدراتية اللازمة لها في تمثيل النيتروجين الجوي وفي مقابل ذلك تستفيد النباتات القرنية من النيتروجين الذي يثبت في جذورها على ان بعض العلماء يعتبر هذه المكروبات متطفلة في بعض الاحيان تنتفع من النباتات ولا تنتفع النباتات منها بشيء

وقت تثبيت النيتروجين الجوي وكيتهُ — يحصل تثبيت النيتروجين الجوي عادة في وقت تكامل نمو البكتيرويدات في الجذور وهذا يوافق عادة وقت تكون الازهار والثمار فتنتقل المركبات النيتروجينية من الادران بعد ذوبانها الى الازهار وقد استدل على ذلك بتجربة اجراها استكلازا حيث وجد ان ادران الترمس التي بلغت غاية نموها تحتوي على ٢,٥ في المائة نيتروجين كان معظمهُ في حالة مواد بروتينية غير ذائبة وانها تحتوي على ١,٧ في المائة فقط بعد تكون الازهار والثمار مباشرة

رأي ماز به وجولدنج — يرى ماز به وجولدنج انهُ ليس من الضروري لمكروبات الادران ان تربى في الطبيعة لتثبت النيتروجين الجوي بل يمكنها تثبيتهُ قليلاً اذا زرعت نقية في بيئات صناعية ولم تكن لها ادنى علاقة مع النباتات القرنية · والمدار في ذلك على ان يتوفر لديها الغذاء وعلى الخصوص المواد الكربوهيدراتية فتثبت النيتروجين · على ان العلماء يهتمون بحياتها في التربة وعلاقتها بالنباتات القرنية

تلقيح التربة — كانت الطريقة القديمة لتلقيح التربة تنحصر في اضافة كميات من التراب من حقل اشتهر بجودة حاصلاته القرنية كالفول والبرسيم الى التربة الضعيفة او الى التربة المراد زرعها بمحصول قرني لاول مرة والسبب في ذلك واضح اذ من المستحسن عند زرع النباتات القرنية على الخصوص ان تكون التربة مشتملة على عدد كثير من مكروبات الادران المشهورة بفوائدها العظيمة للزراعة ولكن نوبي وهلتنروجها عنايتهما لهذه المسألة وارادا ان يطبقا نظريتهما المعروفة في تنوع مكروبات الادران بجعلها عملية محضة فتوفقا لاكتشاف مادة تعرف بالنيتراجين Nitragin صنعاها في معامل هكست الكيماوية بالمانيا وهي عبارة عن المكروبات المذكورة مرباة بشكل نقي في الجلاتين اشارا باضافتها مع البذرة وقت زرعها او الى التربة كسماد · وقد صنعا من هذه المادة نحو الثمانية اصناف كل صنف منها ملائم لمحصول قرني خاص فجعلا مثلاً نيتراجيناً للبسلة وآخر للترمس وثالثاً للفول وهلمَّ جرًّا · ويقال ان هذه الاصناف قد صادفت نجاحاً عظيماً بين المزارعين خصوصاً عند زرع المحاصيل القرنية في الاراضي البكر لاول مرة وفي الاراضي الضعيفة الاخرى التي لم تزرع فيها المحاصيل المذكورة منذ سنين عديدة · وعلى كل فلا يمكن القول بان النتائج كانت على الدوام حسنة اذ ثبت في تجارب اجراها الدكتور مور بامريكا في سنة ١٩٠٤ ان النيتراجين لا يعطي الفائدة المطلوبة في كثير من الاحوال بسبب تأثير البيئة الجلاتينية في قوة نشاط المكروبات لطول مدة حفظهِ قبل الاستعمال · لذلك لجأ الدكتور المذكور الى طريقة اخرى ربى بها المكروبات في بيئة سائلة تشتمل على مقادير قليلة من المركبات النيتروجينية ثم غمر في هذه البيئة قطعاً من القطن لتلتصق بها المكروبات وبعد ذلك جففها فامكنهُ بهذه الطريقة ان يحفظ قوة نشاط المكروبات سنة او اكثر قبل استخدامها في التلقيح · وقد اكتشفت مواد اخرى مثل النيتروبكترين Nitro-bacterine تلقح بها التربة لهذه الغاية تباع في الاسواق ويستخدمها المزارعون كالاولى ولكنها لا تزال موضع بحث العلماء ويستحسن ان لا يلجأ لتجربتها الا في الاحوال الآتية : —

اولاً في ارض لم تسبق زراعتها بالحاصيل القرنية او زرعت فيها هذه المحاصيل فلم تنجح . ثانياً في ارض يكون الجير موجوداً فيها بكثرة . ثالثاً في ارض لم تتوفر فيها كمية النيتروجين الصالح للتغذية النباتية انتهى

الديدان الخيطية

زرع بعض المزارعين براس الخليج في فارسكور فدانين قمحاً من القمح الهندي وكانت زراعتها في مرأى العين نامية فاخذ بعض السنابل وفركها فرأى حبوباً سوداء غريبة الشكل

وقد ارسل الينا مكاتبنا هناك نموذجاً من هذه الحبوب فاذا هي سوداء صغيرة تشبه حبوب الحلبة في حجمها وحالما وقع نظرنا عليها علمنا انها مصابة بالدود الخيطي فنقعناها في الماء نحو ساعة من الزمان ثم اخرجنا قليلاً من المادة النشوية التي في حبة منها ووضعناه على زجاجة المكرسكوب مع نقطة ماء فاذا هو مملوء بالديدان الخيطية

وهذه الآفة شديدة الفتك جدًّا بالقمح وقد رأيناها في بعض القمح ووصفناها في مقتطف يوليو سنة ١٩١٥ وقدرنا ان في الحبة الواحدة من الديدان نحو مئة الف دودة

والرجاء ان وزارة الزراعة تبادر حالاً الى هذا القمح المزروع وتحرقهُ كلهُ في غيطهِ قبل جمعهِ لئلا تنتشر هذه الآفة منهُ في البلاد

الاسمدة الصناعية ومكروبات التربة

جرب عالم فرنسوي تجارب عديدة ليعلم تأثير الاسمدة المعدنية في مكروبات التربة وهل تحول المادة النتروجينية فيها الى نتروجين نشادري فوجد فصفات البوتاس في الحرارة العادية تزيد عدد المكروبات زيادة كبيرة وتزيد مقدار الامونيا (النشادر) اما تأثير فصفات الجير فاقل من ذلك . ورأى ان سلفات الجير او البوتاس تؤَثر في التربة تأثيراً نافعاً ولكنهُ اقلُّ من تأثير الفصفات . ثم ان فصفات البوتاس تعجل تكوُّن الامونيا اكثر من سلفات البوتاس بكثير . فاستدل من ذلك ان البوتاس لا يؤَثر تأثيراً ظاهراً في حل النيتروجين من مركباتهِ الآلية لادخالهِ في النبات . وان بعض السبب في فعل الاسمدة المعدنية في التربة راجع الى انعاش المكروبات التي في التربة . وهذه المكروبات تدخل على التربة تغيرات كيماوية ذات شأن كبير في الزراعة فاذا اضيفت الاسمدة اليها انعشتها فزادت تلك التغيرات قوة

ذبابة الاثمار

تسطو على بساتين بلاد بحر الروم ذبابة يسمونها ذبابة الاثمار لشدة فتكها بالاثمار التي تنبت في تلك البساتين على انواعها . وقد سطت حديثاً على بساتين بتراس في بلاد اليونان فآذت اشجارها كثيراً ولا سيما البرتقال والطنجرين والخوخ والكمثرى والتفاح وتركت اشجار الليمون الحلو والحامض والسفرجل وشأنها . واشتد فتكها بالطنجرين والخوخ والكمثرى فاتلفت مواسمها تماماً . والطنجرين هذا نوع من البرتقال الفاخر الصغير الحجم سمي بذلك لانهم جلبوا بذرتهُ من طنجه في المغرب الاقصى . وهذه الذبابة صغيرة جداً كاصغر انواع البعوض يطلق عليها في بلاد الشام اسم البرغش و يتولد منها دود التين ودود المشمش

موسم القطن المصري

بلغ الوارد من القطن الى الاسكندرية حتى ٢٠ ابريل ٤٧٩٦٦٥٣ قنطاراً يقابل ذلك في العام الماضي ٤٤٨٥٤٢٦ وفي الذي قبلهُ ٦٠٠٨٩٩٨ وعليهِ لا ينتظر ان يزيد الموسم الحالي على الموسم الذي قبلهُ الأ زيادة طفيفة خلافاً لما قدرتهُ وزارة الزراعة وشركة الحاصلات . بلغ الصادر حتى ٢٠ ابريل ٣٩٠٠٦٩٥ وكان في العام الماضي ٤٨٠٦٧٤٣ والذي قبلهُ ٥١٧٧٠٧١ ونقص الصادرات هذه السنة ناتج عن قلة وسائل الشحن ولا بدَّ من تغيُّر الحال قريباً بعد ما وصلت المدمرات اليابانية الى البحر المتوسط . وقد كانت الاسعار جيدة حوالي خمسين ريالاً تسليم مايو وحوالي ٤٢ ريالاً تسليم نوفمبر . وقد بلغ سعر البضاعة من السكلاريدس الجود ٦٠ ريالاً

وبلغ الوارد من البزرة ٢٧٢٧٨٩٣ اردبًا وكان في العام الماضي ٢٢٨٠٠٧٥ اردبًا والذي قبلهُ ٣٤٠١١٧١ اردبًا لكن الصادر هذا العام لم ينقص عن الصادر في العام الماضي كما نقص القطن فقد كان ١٦٦٦٦٥٧ اردبًا وفي العام الماضي ١٥٦٠٦٥٧ والذي قبلهُ ٢٦٩١٤٠٩ وزاد سعر البزرة زيادة كبيرة فبلغ ١٥٠ غرشاً من الصعيدي والفيومي و ١٤٨ غرشاً من المنفيني و ١٢٤ من السكلاريدس

باب التقريظ والانتقاد

المجلة الطبية المصرية

ليس من يشك بعد ان العلم اقوى العوامل في ترقية الممالك ورفع شأن الانسان والملمّ بشيء من تاريخ الامم وحالة العمران منذ بدء التاريخ يرى ذلك رأي العين فلا يحتاج الى دليل او برهان فان اليونان تقلّص مجدهم بتقلّص ظل العلم بينهم والرومان علا شأنهم بعلو شأنهِ فلما اهملوهُ دالت دولتهم وضاع ملكهم والامم الراقية في هذا العصر بذخ مجدها وعلا كعبها بارتفاع منارهِ ونشر اعلامهِ

وادلّ شيء على درجة الامة من الارتقاء ومبلغها من التمدن الحقيقي حالة العلم فيها. ومن يقابل حالة هذه البلاد حينما كان العلم فيها رسماً دارساً واثراً طامساً بحالتها بعد ان قيّض الله لها الاسرة المحمدية العلوية فاحيت مواتهُ يرى كيف تدرّج ارتقاؤُها بتدرج ارتقائهِ وكيف دبّت الحياة فيها منذ اخذ يدب وينمو وتشادُ لهُ المعاهد وتُنشأ المدارس ويُنفق عليهِ ببعض السخاء

وان اقدس واجب على المتولّين زمام الاحكام في البلاد الذين القيت اليهم مقاليد امورها وعلى قادة الافكار فيها الذين يغارون على مصلحتها والذين حياتهم الادبية مرتبطة بحياتها ومستقبلهم كامّة راقية متوقف على مستقبلها تشجيعهُ بكل ما في وسعهم ونشرهُ بما لديهم من الوسائل وعضد القائمين بهِ الذين وقفوا حياتهم لخدمتهِ لا الاغضاء عنهم والحط من قيمة ما ضحّوا في خدمتهِ العيون بالسهاد واذابوا في سبيلهِ النفوس والاجساد

ولا يخفى ما للجرائد والمجلات من الاهمية في هذا المجال فانها رائد العلم ومن افضل وسائل انتشارهِ واقوى عوامل احيائهِ فتنشيطها تنشيطهُ وترغيب الامة فيها وتربيتها على مطالعتها من اجلّ الاعمال واسهل السبل التي في وسع كل فرد خدمة وطنهِ وامتهِ بها. وقد انتبه الغربيون الى ذلك فسبقونا في هذا المضمار كما سبقونا في كثير غيرهِ فكثرت عندهم المجلات والجرائد حتى صار ما يطبع منها يباع بالملايين

وكما انقطع افرادهم الى مواضيع مخصوصة وقصروا درسهم عليها ليتهيأ لهم اتقانها والتبريز

فيها تخصصت مجلاتهم ايضاً حتى لم يبقَ فرع من فروع العلم الاَّ وفيهِ مجلات عديدة وقفت نفسها لخدمتهِ وفتحت ابوابها لنشر حقائقهِ وكل جديد فيهِ

اما نحن فاذا قيست مجلاتنا العلمية بجرائدنا السياسية والاخبارية كانت قليلة جداً والمجلات الاختصاصية تكاد تكون معدومة فاصبح جلّ اعتمادنا فيما نحتاج اليهِ من المعلومات في الامور الزراعية والصناعية والطبية مقصوراً على ما نراهُ في المجلات الاوربية يتناولهُ الخاصة الذين لهم المام باللغات الاجنبية ويبقى بابهُ موصداً دون السواد الاعظم من القرّاء فضلاً عن ان لكل بلاد من بلاد الدنيا مميزات خاصة في تاريخها ومعيشة اهلها وتأثير الاحداث الجوّية فيها والامراض التي تنتابها بحيث لا تنطبق حاجات بلاد على حاجات بلاد اخرى الاَّ بعد التعديل الذي تقتضيهِ حالة تلك البلاد وامزجة اهلها وعاداتها سواء كان من حيث الامور الطبية او الصناعية او الزراعية اوغير ذلك

ولولا بعض المجلات العلمية ولاسيما المقتطف اقدمها واوسعها والمباحث العلمية التي طرقها والابواب التي فتحها لاقلام الكتاب في معظم الفروع العلمية وفي الصناعة والزراعة لكانت حالة البلاد العربية ولاسيما المصرية على غير ما نراها فيهِ من النهضة العلمية والتقدم الزراعي والصناعي بخدمتهُ للامة والبلاد لا تثمن . ولا ازيد على ذلك في الكلام عليهِ اذ ليس هذا موضعهُ بل اكتفي بهذه الاشارة

ولكن المقتطف وما يكتب فيهِ هو لعامة القراء اكثر مما هو لخاصتهم فهو قلَّما يطرق المواضيع الطبية البحتة التي لا يفهمها غير الطبيب الاَّ في الاحوال الاستثنائية بياناً لاكتشاف ذي شأن في العلة او العلاج او تفصيلاً لمبدإٍ جديد في فروع الطب المختلفة يناقض المألوف بين الاطباء . وعليهِ فهو لا يفي بحاجة الطبيب ولا يسدّ الثلمة التي يفتقر اليها الطب والاطباء في هذا القطر

وعلم الطب وعملهُ من اهم دعائم العمران لان موضوعهُ شفاء الابدان عليلة ووقايتها واقويتها صحيحة لكي لا تكون سبباً لانحطاط العقل وسقمهِ بسقمها بل لتساعد على احيائهِ وانمائهِ وتمكنهِ من اكتشاف الغوامض والغوص وراء ما في الطبيعة من الاسرار

وقد خطا الطب في هذا العصر خطوة كبيرة في اوربا بحيث قلما يمرّ اسبوع لا يسمع فيهِ باكتشاف جديد او بحث مفيد واصبح الطبيب الذي لا يتبع حركتهُ ويطلع على كل جديد اهتدى اليهِ الاطباء في الغرب والشرق خطراً على البلاد والعباد . ولا سبيل الى هذا الاطلاع الآن الاَّ المجلات الطبية الاوربية وهذه كما سبق القول مقصور نفعها على

الذين يحسنون لغة اجنبية وهب انهُ امكن بعض اطبائنا الاطلاع على ما فيها فانهم يبقون مفتقرين شديد الافتقار الى خبرة الاطباء الذين مارسوا الامراض التي تكاد تكون خاصة بهذه البلاد كرض البلهارسيا او البول الدموي المنتشر فيها اكثر منهُ في سواها وكالانيميا المصرية او الانكلوستوما والبلاجرا والرمد الصديدي · او التي تختلف اعراضها عما شابهها من الامراض في سوى هذه البلاد نظراً الى اختلاف الاقليم وامزجة السكان وعاداتهم وعرفوا عنها ما لم يعرفهُ الغربيون ولم يدوّن في كتاب · فان هذه الخبرة الخصوصية اذا لم يكن هناك مجلة خاصة تنشر فيها نتائجها للعلم بها اذا كانت ثابتة الفائدة او للبحث والتمحيص والنقد بمعارضتها بحوادث وقعت للغير تطوى في صدور الاطباء الذين عرفوها وتموت في الغالب بموتهم ويبقى الطب من حيث ماهية هذه الادواء الخاصة حيث كان وتمرّ الايام والاعوام دون ان يخطو خطوة الى الامام

وقد حاول اطباؤُنا غير مرة سدّ هذا النقص فانشأُوا مجلة الطبيب في سوريا والطب الحديث وطبيب العائلة والشفاء والصحة في هذا القطر ولكن هذه المجلات كانت قصيرة الآجال لاسباب يطول شرحها وليس هذا موضعها فقضت وقضى معها ما كانت تُملّ بهِ البلاد من كبير الآمال · ومذ انقطعت عن الصدور اخذ الاطباء المصريون والمتمصرون الذين يهمهم شأن الطب ولاسيما ما يتعلق منهُ بالادواء السالفة الذكر يشعرون بالحاجة الشديدة الى مجلة طبية يرجعون اليها لمعرفة كل جديد ولاسيما الحوادث المرضية التي تقع في هذا القطر والمشاهدات الخصوصية التي تتهيأ للذين يمارسون صناعة الطب فيهِ وما توفقوا اليهِ من انواع العلاج او طرق الوقاية الى غير ذلك · وداموا على هذه الحالة المؤلمة سنوات دون ان يحرّك احدهم ساكناً في اصلاح هذه الحال او يمدّ يداً لمعالجة هذا السبات العميق نظراً الى ما يكتنف الاقدام على انشاء مجلة طبية في هذا القطر من الصعوبات · وفي ذلك من العار ما فيهِ حتى دفعت الغيرة جماعة من اطباء مدرسة الطب ومستشفى القصر العيني والاطباء الشرعيين الى دفع هذا العار وخدمة الشرق بسدّ هذه الثلمة فاصدروا المجلة الطبية المصرية وعقدوا العزيمة على القيام بما يتطلبهُ انشاؤُها من البحث والتنقيب ونشر كل جديد مفيد مذللين في ذلك كل ما يعترضهم من الصعاب · وقد ظهر العدد الاول منها حافلاً بالمقالات الطبية مصدّراً بمقدمة فيما كتبهُ العرب في الطب وبذكر مؤلفاتهم في هذه الصناعة مما كان نبراساً لاطباء الغرب في اول نشأتهم وذا اثر فعال في ترقية الطب

و يظهر ان القائمين بهذا المشروع عرفوا الداء المتأصل فينا نحن الشرقيين الذي ينخر كالسوس في حياتنا العلمية فاهملوا شخصيتهم ولم يشأوا الظهور او ان تختص المجلة بافراد مخصوصين منهم دون غيرهم فقالوا ان المجلة « ليست خاصة بافراد معدودين وانما هي مجلة الطب والاطباء جميعاً » وقد احسنوا صنعاً في ذلك حتى لا يبقى في سبيل النجاح عثرة وكي لا تُظن بهم الظنون وليعتقد الكل بصدق الغاية التي يرمون اليها ألاَ وهي خدمة هذا الوطن العزيز وخدمة الشرق باسره فيوآزروهم قلباً وقالباً . فالمجلة اذاً مجلة اطباء القطر المصري عامة لا مجلة فئة مخصوصة منهم وهي مفتوحة لاقلامهم وخرائد افكارهم والفضل في نجاحها يرجع اليهم كلهم

وقد ختمت المقدمة المشار اليها ببيان الاغراض التي حدت باصحاب هذه المجلة الافاضل الى انشائها . قالوا بعد الاشارة الى اللغة العربية ووقوف حركة التأليف بها واهمال ما فيها من الالفاظ الفنية ما نصهُ : —

« فنحن من هذه الوجهة امام ثلمة واسعة يجب ان نتضافر على سدها وحيال داء يجب ان نعالجهُ حتى ينحسم

« وهذا ما حملنا على انشاء هذه « المجلة الطبية المصرية » التي نرجو ان تكون وسيلة لتحقيق ثلاثة اغراض سياسية : —

الغرض الاول : هو ترقية لغة الطب وتخير الالفاظ الاصطلاحية الصحيحة وهذا يتطلب اموراً ثلاثة :

« اولاً — الرجوع الى كتب اللغة ففيها كثير من الالفاظ الاصطلاحية الفنية التي يجب ان ندخلها في كتاباتنا بدلا من تلك الالفاظ العامية الدخيلة التي كثر شيوعها فافسدت اللغة وهبطت بها الى الحضيض

« ثانياً — الرجوع الى كتب الطب التي الَّفها العرب واقتباس ما وضعوهُ من الالفاظ الاصطلاحية

« ثالثاً — وضع الفاظ اصطلاحية جديدة للتعبير بها عما استحدث في الطب من الاكتشافات والامراض والادوية وغيرها لان قاموس اللغة الطبية يجب ان يضاف اليهِ كل يوم كلمات جديدة وفاقاً لسنة رقي الطب نفسهِ لان هذا العلم من شأنهِ الأ يقف عند حد خاص فهو دائماً سائر الى الامام فيجب على اللغة التي يراد جعلها واسطة لدرس العلوم الطبية ونشرها ان تتمشى في هذا السبيل ايضاً حتى لا يقال عنها انها لا تصلح لدراسة علم

الطب. ولا مريّة في ان اللغة العربية تفسح صدرها لذلك كما كان شأنها في عصر النهضة العلمية العربية وكما هو شأن سائر اللغات الحية الآن

الغرض الثاني للمجلة هو نشر الابحاث الطبية الخاصة بمصر لان هناك امراضاً اختصت بها بلادنا (كالبلهارسيا) مثلاً فواجب كل طبيب مصري حيالها يقضي بان يدرسها درساً خاصًا و يقرر لها احكاماً بناء على مشاهداتهِ الشخصية لا ان يكون حكمهُ فيها حكماً تقليديًّا قائماً على ما كتبهُ الاجانب عنها لان الطب التقليدي لا يصلح في مثل هذه الاحوال

« و يوجد من جهة اخرى امراض يشاركنا الغرب فيها ولكنها تتشكل في مصر باشكال مباينة لما يعرفهُ عنها اطباء اوربا مثل الحميات وهذا التباين ناشيء عن اختلاف الجو والاقليم والاغذية وغيرها

« فمثل هذه الامراض في حاجة الى درس خاص ومعالجة خاصة ولا ينفعها الطب التقليدي وحدهُ

« وخلاصة القول في هذا الموضوع ان المجلة تريد ان تقف صفحاتها على ترقية هذا النوع من الطب الذي يصلح ان يسمّى بالطب المصري والذي لا يستطيع الاطباء غير المصريين ان يدرسوهُ هذا الدرس لان الوسائل المؤدية لذلك غير متوفرة لديهم

« بقي علينا ان نتكلم عن الغرض الثالث لهذه المجلة: وهو غرض خلقي اجتماعي يراد بهِ الاحتفاظ بكرامة الطب باعتبارهِ حرفة شريفة و بكرامة الاطباء باعتبارهم فئة لا يجوز ان ينسب الى احد افرادها امر معيب

« ليس للاطباء نظام يخضعون لهُ فيما لهُ مساس باعمال صناعتهم وقد دفع هذا النقص بعض الاطباء الى عمل امور لا نراها تتفق و كرامة الطب فمن ذلك ما ينشرونهُ عن انفسهم من الاعلانات المنافية لشرف الصناعة وما ينسبونهُ لبعض الادوية التي يركبونها من النتائج التي لا يقبلها عقل سليم ولا يقول بها طبيب يعرف كيف يحترم نفسهُ ويحترم حرفتهُ

« فمثل هذه الامور حقيقة بان نشهر عليها حرب قلمية حتى يقلع عنها الذين الفوا استعمالها

« ولنا رجاء في ان يؤدي عمل المجلة في هذا السبيل الى سن قانون يضع حدًّا لهذه الفوضى المعيبة

« و يدخل تحت هذا الغرض الاجتماعي نشر ما يؤدي الى توثيق عرى الاتحاد بين الاطباء وزيادة تضافرهم وتعاونهم وتحسين علاقاتهم بعضهم ببعض وتبادل واجب الاحترام بينهم ففي ذلك اكبر باعث على زيادة احترام الغير لهم وتقديرهم حق قدرهم

« هذه هي الاغراض الاساسية للمجلة

« وغنيٌ عن البيان انها لن تقتصر على ذلك بل ستحذو حذو المجلات الغربية في نشر الاكتشافات الحديثة والمشاهدات المفيدة وتعريب بعض الفصول والآراء التي تقضي مصلحة الطب بنقلها بقدر ما يسمح بهِ حجم المجلة

« ونحن مستعدون لنشر كل ما يرسلهُ الينا حضرات الاطباء من الابحاث والمشاهدات ونرجو الأ يضن علينا زملاؤُنا بما يرونهُ حريًا بالنشر لان المجلة ليست خاصة بافراد معدودين وانما هي مجلة الطب والاطباء جميعاً

« فيجب على كل طبيب ان يعنى بامرها ويعمل على ترقيتها ويسعى في ان تسير في طريق الكمال »

وفي هذا الجزء مقالة نفيسة في بلهارسيا الحالب للدكتور علي بك ابراهيم والدكتور انيس بك انسي وهي غزيرة المادة جزيلة الفائدة موضحة بالرسوم متضمنة مشاهدات عديدة في ادوار هذا المرض واشكالهِ المختلفة » وكفى بشهرة كاتبيها وطول ممارستهما للطب دليلاً على ما فيها من الفوائد الجديدة

وتليها مقالة في الحمل خارج الرحم للدكتور نجيب بك محفوظ تتضمن حوادث نادرة وملاحظات دقيقة . وبعد هاتين المقالتين ثلاث مشاهدات في معالجة مرض الطحال ذي الكرات النخاعية بالبنزين للدكتور عبد العزيز اسماعيل افندي وكلها من الاهمية بمكان

وهذا العدد من المجلة يقع في اثنتين وخمسين صفحة وهي بداءة حسنة في مثل هذا المشروع فاذا تلقاها اطباؤُنا بالترحيب وشجعها الادباء الذين يغارون على مصلحة البلاد واولو الامر الذين يهمهم تقدم الطب وتحسن الاحوال الصحية في القطر زاد حجمها وكثرت موادها وغزرت فوائدها وكان منها للبلاد نفع عميم ولكن اذا لقيت منهم ما لقيتهُ مجلتنا الشفاء والصحة خشينا ان يكون مصيرها كمصيرها واذا لاسمح الله وقعت هذه المجلة لم يكن اللوم فيها على الذين قاموا بهذا المشروع الجليل اذ لا يتيسر ان تتوفق البلاد الى من هم اطول منهم باعًا واعلى همة واكثر تضحية بالنفس في خدمة الوطن ولا مَن احوالهم او الوسائط التي لهم والوسائل التي بين ايديهم والموارد التي يمكنهم الاستقاء منها في مدرسة الطب ومستشفى القصر العيني اكثر ملاءمة لبلوغ المجلة درجة ليس وراءها مطمح لناظر او زيادة لمستزيد

فعسى ان تُتلقى بالاقبال وتجد من الحكومة والامة المؤازرة التي تستحقها وتدعو اليها حالة البلاد والله ولي التوفيق . س . ش

كتاب الرهن

كتاب كبير الفائدة بل هو كتاب الشهر الفهُ حضرة محمود افندي فهمي يوسف من قضاة المحاكم الاهلية وضمنهُ كل ما تجب معرفتهُ مما يتعلق بانواع الرهن وجمل الاصول متناً وعلّق عليها شروحاً مسهبة والحق الكلمات الاصطلاحية بما يقابلها من الالفاظ الفرنسوية حتى لا يبقى وجه للالتباس فاحسن في ذلك غاية الاحسان. مثال ذلك قولهُ في الكلام على الاموال الثابتة وما يمكن رهنهُ منها . الاموال الثابتة على اربعة انواع

(١) الاموال الثابتة بطبيعة حالها Par leur nature

(٢) الاموال الثابتة استعداداً او بصنع صانع Par destination

(٣) الاموال الثابتة عيناً من الشيء المتعلقة بهِ Par l'objet auquel ils sappliquent

(٤) الاموال الثابتة بنص القانون Par la loi

ثم فصّل كل نوع من هذه الانواع

و يظهر لنا ان هذا الكتاب ضروري لكل المحامين واصحاب الاطيان ولا يحسن ان تخلو منهُ مكتبة

ديوان العقاد

الجزء الثاني

عباس افندي محمود العقاد كاتب بحّاثة وشاعر نظمهُ جامع بين متانة الشعر القديم وسلاسة الجديد ويظهر لنا كأن اطّلاعهُ على منظومات الاوربيين في لغتهم بعد ما تخرّج في مختلف العلوم الطبيعيّة والاجتماعية سهّل على قريحتهِ الاتيان بمعانٍ جديدة . وقد افتتح هذا الجزء من ديوانهِ بمقدمة ناقض فيها من قال ان الشعر من الاعيب الصبيان التي لا تليق بعصرنا واستشهد على نقض هذا القول بما قالهُ فكتور هوغو في كتابهِ عن شكسبير حيث قال « ينادي كثير من الناس في ايامنا هذه بان الشعر قد ادبر زمانهُ . فما اغرب هذا القول .... كأن هؤلاء القوم يقولون ان الورد لن ينبت بعدُ وان الربيع اصعد آخر انفاسهِ وان الشمس كفت عن الشروق وانك تجول في مروج الارض فلا تصادف فيها فراشة طائرة وان القمر لا ينتظر لهُ ضياء بعد اليوم والبلبل لا يغرّد والاسد لا يزمجر والنسر لا يحوّم في الفضاء » الخ

والمقدمة حافلة بالادلة على ان الشعر حي لا يموت الاَّ اذا انتفت بواعثهُ من الطبيعة او اذا عمي الناس عن رؤيتها او صمت آذانهم عن سماعها · وعندنا ان سوق الشعر تكسد ولو بقي حيًّا اذا نطق الشعراء بكلام لا يفهمهُ الجمهور فلا يحرك اشجانهم وهذا ما يجب على شعرائنا ان يتحاموهُ

و يمتاز هذا الديوان بان ناظمهُ اضاف الى بعض قصائدهِ شيئًا من النثر توطئة لها فزاد معانيها وضوحًا كما ترى في القصائد التالية وهي هيكل ادفو · شبان مصر · الكون والحياة · الدنيا الميتة · المغنم المجهول · وقد ختم هذا الجزء بقصيدة عصماء ارسلها الى الشبان بالغ فيها في التنديد والتثريب ولكنهُ ضمنها كثيراً من الحكم من ذلك قولهُ

شبان مصر اتسمعون لناصح منكم فانشد بينكم اشعاري
انتم خلاصتها فليس لغيركم يتوجهُ الخلصاء بالانذار
للمرء اعمارٌ عداد عهودهِ وهي الشبيبة انفس الاعمار
وشبيبة الاقوام في شبانها ابدَ الزمان جديدة التكرار
فاذا سعيتم فالبلاد فتيةٌ واذا ونيتم فهي في إدبار
من لم يبع بالحمد ذخر حياتهِ باع الخلود بابخس الاسعار

الى ان قال

العلم ما كشف الحقائق نورهُ واراك كيف يكون صنع الباري
والعلم ما نفض الكرى عن اهلهِ فاقام بعد الليل ضوء نهار
والعلم نار في القلوب كانهُ حر المجيرة لا سنى الاقمار
والعلم علم الكون في صفحاتهِ لا في قراطيس ولا طومار
والعلم وصف الله فاعلم تستطع تصريف ما في الكون من اسرار
فاذا درستم في الكتاب فحققوا مصداقهُ في حكمة القهار

⁂

يا من يقول لمصر من شبانها لبيك حين تقول مصر بدار
فوحق مصر ما بمصر حاجة الاَّ الى العزمات والايثار
فتخلقوا فالخلق اوثق ما ابتني بانٍ واجمل زينة وشعار
وتحلوا فالارض دار لم يعش فيها الجهول بسرها من دار
وثقوا بانفسكم فليس لباخسٍ مقدارهُ حظ من الاقدار

من لم يكذّبهُ الزماع فما لهُ في الناس او في الحادثات ممار
واذا تطاولت الرقاب تجبرًا فحذار من خفض الرقاب حذار
ثبت القديم لكم بغير منازع فتداركوا المهدين بالآصار
ما غيّر الله السماء ولا الثرى والنيل في ارض الكنانة جار
والمجد كان ولا يزال غنيمة للعاملين اواخرَ الادهار

خريطة الممالك الاسلامية

عني حضرة الباحث المحقق امين بك واصف برسم هذه الخريطة البديعة ووضع معجم لها اي لاسماء الممالك الواردة في التواريخ القديمة وكتب الرحلات وقال في مقدمة هذا المعجم ما يأتي

« للمطالع في كتب التاريخ القديمة لابن خلدون وابن الأثير والطبري والمسعودي وابي الفداء وغيرهم حاجة كبرى لتعرُّف مواقع الاقاليم والبُلدان التي يرد ذكرها في هذه الاسفار الجليلة · فاذا رجع الى الخرائط العصرية لم يجد فيها طلبتهُ · لأن البُلدان تدول عليها الايام · فتغرب شمسها بشروق شمس غيرها · و يعفو رسمها بمرور الاعوام · شأن الدهر وتقلباتهِ · وحوادثهِ ودوراتهِ · لذلك وضعتُ هذه الخريطة التاريخية للممالك الاسلامية وهذا المعجم الوجيز · لأن المعاجم العصرية لا تذكر ما كان · والمعاجم القديمة لا تدل على ما هو الآن · وقد صرفتُ عناية خاصة في ضبط الاعلام معتمداً في ذلك على ما حققهُ الثقات من اهل العلم كياقوت وابي الفداء والفيروزابادي وغيرهم · والله تعالى وليّ التوفيق »

وقد اثبت في هذا المعجم اسماء بعض الاماكن بالحروف الافرنجية فاحسن في ذلك غاية الاحسان

والخريطة خاصة بالبلدان التي فتحها العرب في القرن السادس فتشمل بلاد العرب كلها والقطر المصري وطرابلس الغرب وتونس والجزائر والمغرب الاقصى واسبانيا والبرتغال وجانباً من فرنسا والجزائر الكبرى من بحر الروم كقبرس ورودس وكريت وسردينة وميورقة وبلاد الشام وفارس وارمينية وافغانستان وبلوخستان وخوارزم وبلاد الصغد والشاش الى فرغانة وكشغر · وحبذا لو الصقت هذه الخريطة على قماش ليسهل حفظها وحبذا ايضاً لو وضعت فيها الاسماء الحديثة لهذه البلدان حيث تختلف عن الاسماء القديمة · واضيف الى اسم كل مدينة في المعجم طولها وعرضها بالدرجات والدقائق لكي يسهل الاستدلال على موقعها

الصبيُّ

رواية ادبية فكاهية في الاخلاق والتربية العملية وضعتها الكاتبة الانكليزية الذائعة الصيت ماري كورلّي وهي من اشهر كاتبات الانكليز في هذا العصر وقل من يفوقها من الكتّاب . وقد عني بتعريبها حضرة عبد العزيز افندي صدقي وقدم لها مقدمة وجيزة ذكر فيها الغرض الذي رمى اليهِ في تعريبها قال

« عرَّبتها لا لتكون تتمة لعدد ناقص ولا لتكون تفكهة لقرائها ولا لتكون مسرحاً لتمثل فيهِ الغرائب . ولكني عرَّبتها لتملأ الفراغ الكبير الذي انتظر مثيلاتها زمناً طويلاً . فقد رأيت ذلك الفراغ خالياً فاردت ان املأ بعضهُ . اجل — اردت ان تكون هذه الرواية حادثة سعيدة في حياة الأسرة المصرية . ومَنْبَهَةً لها إلى امثل طرائق التربية العملية ففي رواية « الصبي » يجتلي القارئ سرًّا من اسرار شقاء الابناء . وفيها يرى موقف الجناة الابرياء

« ولولا ان مؤلفة الرواية لم تولد في الشرق ولم تخبر الحياة الشرقية ولم تخالط الشرقيين لظننت انها تصوّر حياة أسرة بعينها من الأسر الكثيرة الشقية في هذه الدنيا . ذلك ان الرواية تكشف الستار عن اعتلال التربية ذلك الاعتلال الذي هو في مردّ امور جناية عظيمة وإن لم يكن لهذه الجناية عقوبة مكتوبة في القانون

« الرواية تمثل والداً ووالدة لاخلاق لهما . وولداً نشأ في هذا الوسط الموبوء نشأة هي النتيجة اللازمة لتلك المقدمة السيئة . فترى فيها ما للقدوة السيئة من الاثر السيّئ في نفس الناشئ . وان معظم النار من مستصغر الشرر . وان وظيفة الأبوّة او الأمومة إذا لم تؤدّ كما ينبغي كانت مصدر شرّ يصعب او يتعذر او يستحيل تلافيهِ

« لقد رفعت مؤلفة الرواية الكاتبة الطائرة الصيت ماري كورلّي صوتها عالياً منبهة من يتولى طفلاً الى امثل ما يجب ان يؤخذ بهِ الطفل في طفولتهِ الاولى حتى لا يكون في صباهُ خزياً للصبا ولا في شبابهِ معرَّةً للشباب

« فالرواية من هذه الجهة وهي كل شيء مثلٌ سائر . بل صورة حية من صور النقص يتميز بهِ الكمال . إذ هي ترمي إلى إقامة دعم التربية الصحيحة على امتن اساس

« ففيها العبر الواضحة والعظات البيّنة تستنتج من مناظر القدوة السيئة وترك ازمّة الولدان في ايديهم وسوء اختيار المربية والرفيق والوسط وجعل امر الحياة بعد ذلك موكولاً الى المصادفة وحدها

« وسيلمَ القارئ لما بكثير من الخير وكثير من الشرّ معاً . ويرى صورتي الفضيلة والرذيلة متقابلتين . ويسير منها في خميلة فيحاء ومفازة جرداء »

جامع احمد بن طولون

محاضرة القاها حضرة يوسف افندي احمد المفتش بلجنة حفظ الآثار العربية بوزارة الاوقاف قال فيها انّ هذا الجامع هو ثالث جامع مبني للجمعة والجماعات شرع في بنائهِ الامير ابو العباس احمد بن طولون سنة ٢٦٣ للهجرة بناهُ لهُ مهندس مصري مسيحي وبلطهُ وبيضهُ وعمل فيهِ المنبر والمحراب والمناور الدقيقة الاشكال ونقش فيهِ سوراً وآيات قرآنية على ازار السقف وطيبهُ وفرشهُ وعلق فيهِ السلاسل والقناديل الحسان وحمل اليهِ صناديق المصاحف وعمل في مؤخرهِ من الجهة الغربية ميضأة وخزانة شراب (صيدلية) فيها جميع الشرابات والادوية وعمل منارة في مؤخرهِ . وبلغ جميع ما أُنفق عليهِ ١٢٠ الف دينار او نحو سبعين الف جنيه . وقد اوجد فيهِ هذا المهندس البارع العقود الدتينية وهي الاولى من نوعها او الثانية والاولى عقود الشبابيك التي يصل منها الماء الى قاعة النيل (المقياس) الذي بني قبيل بناء الجامع بسنوات . وبناء هذا الجامع هو الوحيد الذي بقي منذ الف وسبعين سنة لم يغيرهُ كرّ الدهور

والمحاضرة مسهبة وفيها صور رسوم كثيرة من رسوم الجامع قبل ترميمهِ وبعدهُ . وحبذا لو اضاف اليها المؤلف وصفاً لكل المساجد والمباني العربية القديمة وجمع ذلك في كتاب واحد

الدروس الصحية

هو احد الكتب الطبية المفيدة الكثيرة التي يصدرها حضرة الدكتور محمد عبد الحميد بك طبيب مستشفى قليوب وقد قال في مقدمتهِ انهُ ضمنهُ ثلاثين درساً في مبادىء علم الصحة وجعلهُ للتلاميذ الذين بلغوا العاشرة من سنهم ووعد ان يشفعهُ بثانٍ للذين بلغوا الثانية عشرة وبثالث للذين بلغوا الرابعة عشرة . ومن مواضيع دروس هذا الجزء جسم الانسان وسائر ما يتعلق بهِ والاكل والشرب واللبس والهضم والتنفس والدم والاعصاب والحواس والتعب والراحة والعادات الخ . وفيهِ كثير من الرسوم

شعار الخضر

في الاحكام الشرعية الاسرائيلية للقرائين

عرّب هذا الكتاب من العبرانية وشرحهُ حضرة الاستاذ مراد فرج بك المحامي واهداهُ الى ولدهِ توفيق مراد افندي المحامي . وقدمهُ بمقدمة بين فيها الغرض من تعريبهِ وهو ان ينتفع بهِ القراؤن ولاسيما الذين لا يعرفون العبرية او لا يجيدونها وكثير ما هم

ومن مشتملات الكتاب المحارم المنصوص عليها . واختلاف العلماء ومسالك التحريم والعقد على المرأة وشروط المهر وانواعهُ وابن الحرام والزانية وزواج المتعة والزواج والطلاق والوقف والهبة والميراث وما شاكل ذلك من المسائل الشرعية

والكتاب سهل المأخذ جيد العبارة حسن الطبع يستحق معربهُ عليهِ الثناء الوافر

المجلة السلفية

مجلة ادبية اخلاقية تاريخية اجتماعية تصدر مرة كل شهر لحضرة صاحبها ومديرها عبد الفتاح افندي قتلان . وفي الجزء الثالث الذي صدر في ابريل فصول من قيد الناظر في جيد الخاطر اكثرها في طلب العلم وفيهِ ايضاً فصل من كتاب الموازنة بين الطائيين اي ابي تمام والبحتري وهو مما لم يطبع قبلاً في مطبعة الجوائب . وحبذا لو قام في هذا العصر رجل كالآمدي صاحب هذا الكتاب وانتقد اشعار المعاصرين لكي يقل الركيك منها

الارشادات لداخلي الامتحانات

كتاب صغير الحجم كبير النفع وضعهُ حضرة الاستاذ محمد افندي سعيد احمدين ارشاداً للتلامذة حينما يدخلون دور الامتحان فاشار عليهم بما يحسن بهم ان يتبعوهُ في الاجابة عن المسائل التي يُسأَلونها في كل علم بانياً ذلك على ما علمهُ بالاختبار الطويل . وستكون منهُ فائدة كبيرة لتلامذة المدارس فيقل خطاؤهم و يكثر صوابهم

القول الانفس

في كفاية الكتاب المقدس

جمعهُ حضرة منسى القمص وضمنهُ ادلة كثيرة من اقوال ائمة اللاهوتيين والمفسرين على ان الكتاب المقدس الذي بين ايدينا اي العهدين القديم والجديد يشمل كل الاسفار الموحى بها وهو كافٍ لكل ما يحتاج اليهِ المسيحي ديناً

اجوبة تمارين الجبر الابتدائي

اصدر حضرة فريد افندي ظريفه مهندس شركة الري المصرية جزئين فيهما اجوبة المسائل الواردة في كتاب الجبر الابتدائي تأليف هول ونايت



اوجه القمر في شهر مايو

	يوم	ساعة	دقيقة
البدر	٧	٤	٤٣ صباحاً
الربع الاخير	١٤	٣	٤٨ «
الهلال	٢١	٢	٤٧ «
الربع الاول	٢٩	١	٣٣ «
القمر في الحضيض	١٣	٨	٣٦ مساء
« « الاوج	٢٧	١١	٢٤ «

السيارات

عطارد — يكون كوكب مساء في اول الشهر ثم يصبح كوكب صباح في آخرهِ

الزهرة — لا تشاهد في اول الشهر ثم تمسي كوكب مساء في آخرهِ

المريخ — يكون كوكب صباح

المشتري — لا يشاهد في اول الشهر ثم يصبح كوكب صباح في آخرهِ

زحل — يغرب نحو الساعة ١١ مساء

اصباغ الانيلين في الجراحة

اشتهرت المانيا باستخراج مقادير كبيرة من اصباغ الانيلين على انواعها حتى عدت هذه الاصباغ من اعظم الصادرات الالمانية. فلما نشبت الحرب الحاضرة وانقطع اصدارها بسبب الحصر البحري افضى ذلك الى بوار صناعة الصباغة في كثير من البلاد وتراكم الاصباغ في المانيا. وقد جاء في السينتفك اميركان ان جرّاحاً اسمهُ بومان يستعمل هذه الاصباغ في صناعتهِ وانهُ عالج بها حتى الآن جراح ٤٠٠ مريض عمل لهم العمليات الجراحية فشفوا كلهم. ومزيتها انها تقتل المكروبات الضارّة وتوقف نمو النواحي المؤْذية وان قوتها المضادة للفساد اعظم بكثير من قوة مضادات الفساد المعروفة. ومن مزاياها ايضاً انها سريعة الامتصاص ولا تخثر الزلال وليست سامة اذا استعملت بكميات صغيرة. ولما كانت سريعة الفتك بالمكروبات فانها

توقف تكوّن المدّة حالاً وتلاؤم الجروح وتخفض الحرارة . وكان الجرّاح المذكور يستعمل في بادىء الامر الميثلين الازرق ثم عدل عنهُ الى الميثلين البنفسجي سواءٌ كان ذلك في معالجة الحروق او الجروح او الخدوش او الدمامل او غيرها من آفات الجلد . كان يدهنها بمحلول من هذا الصبغ على نسبة ٤ في المئة فكان الجرح يلتئم سريعاً في الغالب . والجروح التي يسهل الوصول اليها كان يذرُّ عليها الصباغ مسحوقاً اما الجروح العميقة فكان يعالجها بمحلول من الصباغ يصنع منهُ معجون يضاف اليهِ بعض الغليسرين والكحول و يدهن بهِ الجرح . وان لم تفِ هذه الطريقة بالمرام كان يأخذ نسالة و يغمسها في محلول الصبغ ثم يتركها في ثنايا الجرح . او كان يرش الجرح بالمحلول بواسطة طلمبة اذا كان قعرهُ عميقاً متشعباً ولم يمكن الوصول اليهِ بالطريقة السابقة . فكان القيح ينشف والروائح الكريهة تنقطع بعد استعمال الصباغ مرة او مرتين

العود الى الدروع

اشار كاتب في مجلة « لاناتور » الفرنسوية باعادة عهد الدروع القديمة في الحروب الحديثة وحجتهُ في ذلك اولاً ان ٧٥ في المئة من الجروح في حرب الخنادق ناشئة عن اصابات بمقذوفات قليلة السرعة بحيث يمكن الدروع الخفيفة اتقاؤها . وثانياً ان هذه المقذوفات اشدّ خطراً على الاجسام من المقذوفات ذات السرعة الكثيرة لان هذه تصيب الجسم فتخرقهُ ثم تخرج منهُ . واما المقذوفات القليلة السرعة فتبقى فيهِ وتفسدهُ . وثالثاً ان موت الجنود من الجروح التي تصيب رؤُوسهم قلّ قلة عظيمة بعد استعمال خوذ الفولاذ (الصلب)

وقد بسط الكاتب رأيهُ موضحاً اياهُ بالرسوم والصور فمن هذه الرسوم درع تقي الصدر والعنق واخرى تقي البطن وتتفرع منها واقيات للوجه والكتفين والمرفقين والركبتين . فاذا نظرنا الى هذا الاقتراح من الوجهة الجراحية ما وجدنا عليهِ غباراً فان الجندي المتوسط القامة الذي يواجه العدوّ في ميدان القتال يكون هدفاً مساحتهُ ٠ ٢٧٤ سنتمتراً مربعاً . فالرأس والعنق ٩ في المئة من هذا الهدف . والصدر والبطن ٢٨ في المئة . والاطراف ٦٣ في المئة . بقي ان يبدي رجال العسكرية رأيهم في هذه الدروع و يقولوا هل تعوق حركات الجندي في ميدان القتال الى حدّ يرجح عندهُ ضررها على نفعها . فان كان ذلك انكروها والاَّ اقرُّوها

نقود الورق والعدوى

لما قلّت الفضة بسبب الحرب اصدر معظم الغرف التجارية الفرنسوية نقود ورق

للتعامل بها من فرنكين الى صولدين (الصولدي او السو يساوي ٥ سنتيمات او مليمين) ولكن لم تكد الايدي تتداول هذه الاوراق حتى كانت تسود من كثرة الوسخ العالق بها. وقد عنَّ لحكومة المحلية في مدينة روان ان تطلب من مدير معملها الكيماوي فحص الاوراق كيماويًّا وبكتيريولوجيًّا لتعلم هل في تداولها خطر على صحة الجمهور فظهر من الفحص انهُ تجمع على هذه الاوراق بعد تداولها ثمانية ايام الى عشرة ٢٠ في المئة من زنتها وسخًا وان هذا الوسخ مؤلف من مواد دهنية ونشادرية ونتروجينية وسكرية ومعدنية. وبعض هذه الاوراق نقع في الماء المعقّم حتى زال بعض ما فيهِ من الوسخ ثم فحص النقيع بالمكرسكوب فوجد حاويًا لكثير من مكروبات الامراض الشديدة الخطر والعدوى

سيارات مجهولة

يعتقد معظم الفلكيين بوجود سيّار او اكثر وراء فلك نبتون ومن هؤلاء المسيو بورلي الفرنسوي من مرصد مرسيليا. وقد اهتم منذ مدة طويلة باكتشاف هذه السيارات مستعينًا عليها بتلسكوب من النوع الذي يفتش بهِ على المذنبات وهو تلسكوب يري النجوم الى القدر الثاني عشر فلم يظفر منها بطائل. فارتأى لذلك ان هذه السيارات ان وجدت قد تكون من قدر اصغر وعليهِ اقترح ان يفتش عنها بتصويرمواقعها المظنونة ولكن تصويرها يختلف عن تصوير المذنبات مثلاً فانهُ لما كانت حركة المذنبات سريعة فان تصويرها يقتضي عرض الالواح الفوتغرافية مدة وجيزة. اما السيار المنشود واشباههُ فان حركتها ابطأ من حركة نبتون ضرورة فان كانت سرعتها نصف سرعة نبتون فان حركتها الظاهرة تكون درجة واحدة فقط في السنة او نحو ١٠ ثوانٍ في اليوم

البندقية العادية والبندقية الآلية

يقال في وصف البنادق التي يستعملها الجنود في ميادين القتال الآن انها تصيب هدفًا قطرهُ قدمان عن بعد ٣٠٠٠ قدم. وقد اطلقها مشاهير الرماة الاميركيين في ميادين التمرين على اهداف قطرها ثلاث اقدام من بعد ٣٦٠٠ قدم فطاشت رصاصة واحدة من ١٥ رصاصة. وهي تقتل على بعد ميل

هذا ما تستطيع البندقية فعلهُ في ميادين التمرين البعيدة عن ضوضاء الحروب الحقيقية. اما ما تستطيعهُ في ميادين القتال فيختلف كل الاختلاف عن الوصف المتقدم. فان اعظم ما عرف عن اصابة الجنود للاهداف هناك كان في حرب البوير عند ما كان الانكليز يحاولون عبور نهر توجلا. فقد

كان البوير يطلقون بنادقهم من خنادق ممدة من قبل احسن اعداد على اهداف قيست ابعادها من قبل بالضبط والدقة · وكانت الجنود الانكليزية تزحف متراصة في ارض مكشوفة ومع ذلك اصابت رصاصة واحدة من ٧٠٠ رصاصة

واعظم مثال لاخطاء المرمى كان عند اطلاق الجنود المغربية بنادقها على القامة التي كان الريسولي ممتنعاً فيها في حرب المغرب الاقصى الاخيرة · فانهم اطلقوا ٨٠ الف رصاصة طاشت كلها ولم تصب واحدة منها

ولهذا السبب اخذوا في الحروب الحديثة ولاسيما الحرب الحاضرة يحلّون البنادق الآلية محلّ بنادق المشاة · فان البندقية الآلية تطلق في الدقيقة الواحدة من الرصاص ما يطلقهُ ٦٠ جندياً ولا تحتاج في ادارتها الا الى ثلاثة رجال او اربعة · واذا كان مطلقها بارعاً امكنهُ تصويبها الى الغرض بدقة لا يحلم بها مطلق البندقية العادية · وهي بندقية تنصب على قائمة وتحشى من خزنتها بسلسلة من الخرطوش وتطلق بادارة عجلة او ضغط كباسة مئات من الرصاص في الدقيقة

ثلج المريخ وكلف الشمس

كان المسيو انتونيادي الفلكي المعروف أعلن انهُ وجد علاقة ظاهرة بين المدة التي تكثر فيها كلف الشمس ووجود الثلج في المريخ · ثم بسط ذلك بقولهِ انهُ كلما كانت كلف الشمس كبيرة وعديدة اسرع ذوبان الثلج في قطبي المريخ وكلما كانت صغيرة وقليلة أبطأ ذوبانهُ · وقد ايدت الارصاد المعروفة هذا القول ما عدا ارصاد سنة ١٨٦٢ وسنة ١٨٧٧ وقد علل هذا الشذوذ بقولهِ انهُ ربما حدثت على سطح المريخ في تينك السنتين حوادث ضادّت تأثير الاشعاع الشمسي فلم يذب الثلج فيهما من قطبي المريخ مع كثرة كلف الشمس وكبرها

مناظر السينما والبصر

في اميركا جمعية اسمها الجمعية الوطنية لمنع العمى · بحثت في تأثير مناظر الصور المتحركة في البصر فاتضح لها اولاً ان الصور المتحركة غير الواضحة او غير المتقنة في صناعتها قد تؤْذي البصر · وثانياً ان اجهاد العيون في تتبع الصور المتحركة قد يكون كاشفاً لما اي انهُ يُشعِر الناظر بعيب في عينيهِ لم يكن يشعر بهِ لولا الصور المتحركة وبالتالي يحملهُ على العناية بهما واصلاح خللها · ومن رأي الجمعية انهُ اذا كان لابدّ من روْية الصور المتحركة فخير ان يكون الجلوس في وسط قاعة الصور على بعد ٢٠ قدماً من الصور فاكثر · وكلما ابتعد الناظر الى الوراء كان ذلك اسلم لعينيهِ

الكرم الاميركي والعلم

يراد انشاء مدرسة جديدة لتعليم العلوم الطبيَّة في جامعة شيكاغو باميركا قُدّرت نفقاتها بثمانية ملايين ريال دفعت ادارة الجامعة مليونين منها ودفع المستر ركفلر مليوناً وديوان التعليم مليوناً فصار مجموع ما دفعهُ ركفلر لهذه الجامعة ٣٧ مليون ريال او سبعة ملايين ونصف مليون من الجنيهات · ويبقى لاتمام نفقات المدرسة الطبية اربعة ملايين ريال عزمت ادارة الجامعة ان تقدم منها ارضاً للبناء تساوي نصف مليون ريال وطلبت من الكرماء ثلاثة ملايين ونصف مليون من الريالات حتى يتم المبلغ المطلوب· وستكون هذه المدرسة من الطبقة الاولى بين المدارس الطبية في اميركا

ولم تكد رغبة الجامعة في انشاء هذه المدرسة تشتهر حتى جعلت الهبات ترد اليها فوهبها المستر فردرك روصن ثلثماية الف ريال لاجل انشاء معمل ووهبها شخص آخر مجهول الاسم ٢٥٠٠٠٠ ريال · ووهبها غيرهُ هبات اخرى فصار مجموع الهبات في آخر العام الماضي ٤٠٠٠٠٠٠ ريال وفي اول هذا العام وهبتها عائلة البستانيين ١٠٠٠٠٠٠ ريال لانشاء مستشفى

واعطت جمعية كارنجي في نيويورك ١٠٣٨٥٠٠ ريال لمعهد كارنجي الصناعي في بتسبرج من ذلك ٩٥٦٠٠٠ ريال للمعهد نفسهِ و ٥٢٥٠٠ ريال لاصلاح معرض الفنون والمكتبة و ٣٠٠٠٠ لسائر النفقات فصار مجموع ما وهبهُ كارنجي لهذا المعهد ٢٨٠٠٠٠٠٠ ريال اي خمسة ملايين وستمائة الف جنيه

واوصت مسز هنري هاركنس بمليون ومئة الف ريال للاعمال النافعة ومن ذلك ٣٠٠٠٠٠ ريال لجامعة يايل يعطى ريعها رواتب للاساتذة

ووهب شخص مجهول جامعة بوسٹن ١٠٠٠٠٠ ريال تذكاراً للاستاذ اغسطس بك استاذ اليونانية فيها

ووهب شخص آخر مجهول كلية مسكنجم باوهايو ١٥٠٠٠٠ ريال واوصى فرنسس بلدون بمبلغ ٦٧٥٠٠٠ لجامعة سنسنتي · ووهبت مس اناجي كلية فيلادلفيا الطبية ١٥٠٠٠٠ ريال ووهبها المستر دانيال بو ١٠٠٠٠٠ ريال · ووهبت مسز رسل ساج مدرسة اما ولرد ٢٥٠٠٠٠ ريال

واوصى المستر جون ارتشبلد بمبلغ ٥٠٠٠٠٠ ريال لجامعة سيراقوس

وعزم متخرجو جامعة هارفرد ان يجمعوا لها عشرة ملايين ريال

وتوفيت سيدة اسمها اليزابث جوسلن بولت فتركت لجامعة كليفورنيا ٢٠٠ الف ريال ينفق ريعها على منصب استاذ القانون

العلف من الخشب

لما قلَّ علف المواشي في بلاد الالمان بسبب الحرب عمدوا الى شجر الزان وقطعوهُ وسحقوا خشبهُ سحقاً في معامل الورق حتى صار ربّاً ناعماً جدًّا وغسلوهُ جيداً حتى لم يبقَ منهُ الأجدران خلاياهُ اي مادة السلولوس وخلطوهُ بانواع اخرى من العلف وعلَّفوا بهِ المواشي فاكلتهُ واغتذت بهِ . واطعموهُ للكلاب ايضاً مع قليل من اللحم فاكلتهُ واغتذت بهِ . ولكن يشترط في فائدتهِ ان يسحق سحقاً ناعماً جدًّا . ومن رأي بعض الالمان ان الانسان يستطيع ان يغتذي بدقيق الخشب اذا أُضيف الى دقيق القمح

فضل الآلات

في اميركا معمل لمركبات الاوتومبيل يستخدم ١٧ الف عامل يعملون الف مركبة كلَّ يوم . ومعنى ذلك ان كلَّ ١٧ رجلاً يتمون مركبة واحدة في اليوم باجرة ٨٥ ريالاً على فرض ان اجرة الواحد منهم ٥ ريالات في اليوم . ومعلوم انهم انما يتمونها بتعاونهم هم وسائر العمال وآلات المعمل على العمل . ولو ترك هؤلاء السبعة عشر وشأنهم ما اتموا مركبة واحدة في شهر . وهذا يبيّن عظم مقدار ما يقتصد الناس في الوقت والنفقة والعمل بتعاون الجماهير منهم توءيدهم الآلات

سلّ المعدّنين

تكثر بين المعدّنين الاصابات بنوع من السلّ يعرف ايضاً باسم «سيليكوسز» اي الناشيء عن استنشاق غبار الحجارة ودقائق الرمل . وقد ظهر من تقرير اصدرتهُ مصلحة الصحة في بعض ولايات اميركا الكثيرة المناجم ان هذا الداء من ادواء العمال الذين يستخرجون المعادن وان كل عامل يتعرض لاستنشاق الغبار المذكور خمس سنوات متوالية يصاب بهِ في الدرجة الاولى منهُ والغالب ان يموت بهِ بعد عشر سنوات من اول تعرضهِ للغبار . والمظنون ان ٣٥ في المئة من المعدّنين في مقاطعة المعادن المشار اليها مصابون بهذا الداء

الامية في اميركا

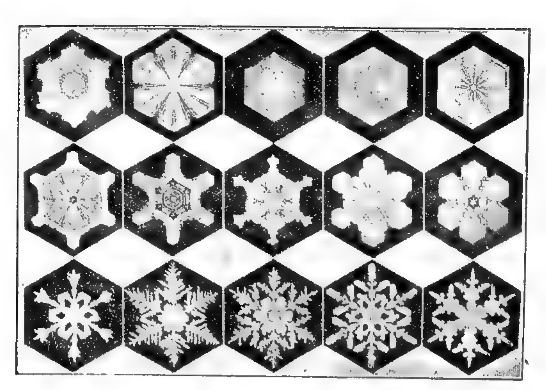
يبلغ عدد الاميين في الولايات المتحدة الاميركية الذين سنهم فوق العاشرة خمسة ملايين ونصف مليون اي انهم نحو ثمانية في المئة من السكان

الغذاء في الفول السوداني

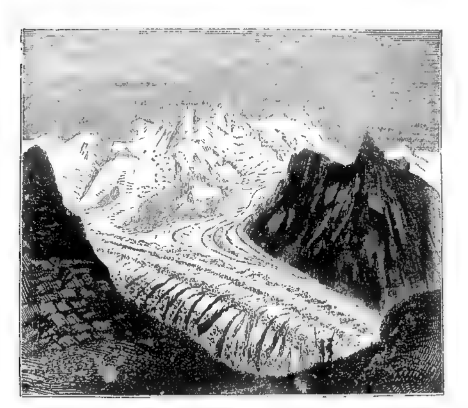
ظهر من البحث الكيماوي باميركا ان في الفول السوداني مقداراً كبيراً من المادة المسماة ديامين تتروجين وهي لازمة لغذاء الناس والحيوانات وقليلة في الحبوب

فهرس الجزء الخامس من المجلد الخمسين

صفحة



اشكال بلورات الثلج كما ترى بالمكرسكوب



نهر جليد منحدر من جبال الالب

مقتطف يونيو ١٩١٧
امام الصفحة ٥٢١

المقتطف

الجزء السادس من المجلد الخمسين

١ يونيو (حزيران) سنة ١٩١٧ — الموافق ١١ شعبان سنة ١٣٣٥

سياحة ذرَّة ماءٍ

نشر الاستاذ فيرشيلد من اساتذة مدرسة روشستر باميركا سلسلة مقالات في المجلة العلمية الشهرية وضعها على لسان ذرة ماءٍ وجعلها تاريخًا للادوار التي يمرُّ عليها الماءُ من حين تكوُّنهِ الى ان يقضي كل الاعمال التي يقوم بها في احوالهِ المختلفة كبخار وسحاب ومطر وثلج وجليد وما اشبه وبناها كلها على الحقائق العلمية المقررة فلخصناها فيما يلي · ويراد بذرة الماءِ اصغر جزءٍ يمكن ان يكون من الماءِ

بداءة امري

انا ذرة ماءٍ صغيرة جدًّا لا تراني عين انسان ولو استعانت على روءيتي باقوى النظارات المكبرة ومع ذلك فانا موجودة ولا شبهة في وجودي ومن امثالي تتألف الامطار والانهار والبحار وكل مجاميع المياه · وهي موجودة في اجسام كل الحيوانات والنباتات بل اكثر هذه الاجسام موءلف منها وموجودة ايضاً في كل المواد الارضية تقريباً حتى في الصخور والمعادن· وقد عشتُ انا حتى الآن الوفًا وملايين من السنين ودرتُ حول الكرة الارضية مراراً عديدة فاذا شئت ان تعرف شيئًا من تاريخي فأعرني سمعك

ولدت منذ دهور طوال فلا يسعني ان اقص عليك قصتي كلها لان قصها يستغرق سنين كثيرة · انت قصير العمر قلما تعيش مئة سنة وانا قد مرَّ عليَّ مئة مليون سنة على الاقل لقيتُ فيها من الغرائب ومرَّ عليَّ من العبر ما لا يكفي لوصفهِ الاَّ القرون الطوال · وزد على ذلك ان اشغالي كثيرة فلا اتفرَّغ لقص القصص

كان زمن لم اكن فيهِ ماءً ثم تكوَّنتُ على اسلوب غريب وقد كان ذلك منذ ملايين

كثيرة من السنين كما تقدَّم . تكوَّنتُ في عنق بركان اي جبل نار من جبال النار القديمة التي ظهرت في الارض حين جمودها ثم خمدت واندثرت

لم اولَد كما يولد النبات والحيوان من اب وام بل تكوَّنت تكونًا من اتحاد جوهرين من الهيدروجين بجوهر من الاكسجين . فانا اذاً جسم مركَّب تركيباً كيماويًّا ولَّدتني المادة والقوة باتحادها

والجواهر الثلاثة التي تكونتُ باتحادها وُجِدَتْ قبلي بادهار لا تحصى فتاريخها اطول من تاريخي ولا بدَّ من ان يكون مشحونًا بالغرائب ولو عرفناهُ لوجدنا فيهِ سبيلاً لمعرفة اصل الشمس وما اصاب النجوم في غابر الازمان . فان هذه الجواهر الثلاثة كانت في السديم او الغبار العالي الذي تكوَّنت الشمس منهُ ثم لمَّا انفصلت السيَّارات من الشمس كان نصيب هذه الجواهر مع الارض كأنها علمت ان الارض ستكون داراً للاحياء ففضَّلتها على غيرها من السيارات . وهي على صغرها كان لها يدٌ في تكوين الكرة الارضية ولما تكونتُ انا منها كانت هي في عنق بركان كما تقدَّم ولم يكن في الامكان ان تتحد معاً وهي في جوفهِ لشدة الحرارة والضغط هناك فلما صعدتْ الى عنقهِ وقلَّت الحرارة المحيطة بها تعانقت واتحدت وصارت جسماً واحداً وهو انا صاحبة هذا التاريخ . ولما تكوَّنتُ لم اكن وحدي بل كنت ذرة من ملايين لا تحصى وقد تكونتْ كلها كما تكونتُ انا وكانت حرارتنا شديدة جدًّا وكان الضغط علينا شديداً يزحمنا بعضنا مع بعض لكننا تمكنَّا من الصعود في عنق البركان فقلَّ الضغط علينا وانفرجنا بغتةً وصرنا بخاراً وكان لانفراجنا هذا انفجار شديد مزَّق قمة البركان تمزيقاً واطارها في الجو هباء منثوراً . فصعدنا في الجو عموداً من البخار ارتفاعهُ اميال كثيرة . ولعلَّ اكثر مياه الارض وبحارها تكون من الاكسجين والهيدروجين على هذه الصورة

طيراني في الجو

كنتُ من ذرات البخار التي نسفت قمة البركان كما تقدَّم فوجدتني طائرة في الجو يحملني الهواء السخن الى اعاليهِ . لم اقس الارتفاع الذي بلغتهُ لانهُ لم يكن في يدي مقياس ولكنني ارجح انني بلغت عشرة اميال من الارتفاع فوق سطح الارض ووقفت هناك تحيط بي جواهر الاكسجين والنتروجين التي يتألف الهواء منها وحولنا ملايين لا تحصى من ذرات الماء وهي تروح وتجيء بسرعة فائقة ويصدم بعضها بعضاً او تصدم جواهر الهواء . ولا اعلم ماذا كانت غايتها من حركاتها هذه بل لا أعلم ما هي الغاية من الوجود كلهِ

ثم عبثت بنا الرياح وساقتنا شرقاً لان الرياح في تلك الاعالي تهب دواماً من الغرب الى الشرق فدرت حول الارض مع غيري من ذرات الماء ودقائق الهباء العائم في الهواء

كان عيشنا حينئذٍ رغداً والزمان مساعداً فان الهواء كان لطيفاً ونحن ذرات الماء كنا في سعة ولو كنا اسرى نخطر ذهاباً واياباً لان السكون ليس من طبعنا وآيتنا « في الحركة بركة » لكن حركاتنا هذه كانت تستلزم تصادمنا بعضنا ببعض فتصدم كل واحدة منا غيرها ملايين صدمة في الثانية من الزمان لشدة مرونتنا

كان مقامنا فوق كل الغيوم والعواصف لانها انما تكون في طبقات الجو السفلى . وكنا نرى السماء فوقنا سوداء والشمس زرقاء وكنا ننظر النجوم في رائعة النهار . والهواء هناك لطيف جداً تبلغ كثافتهُ عشر ما هي على سطح الارض لكن لطافتهُ هذه جعلت اشعة الشمس شديدة الحرارة لانهُ لا يمتص شيئاً يذكر منها ولذلك كان بردهُ شديداً تحت درجة الجليد . فان اشعة الشمس كانت تخرقهُ فلا يكاد يسلب شيئاً منها يدفأ بهِ . لكن الحر لم يؤثر فيَّ لانهُ انما يؤثر فيما كان جسمهُ مؤلفاً من ذرات كثيرة متراصة فيحركها اما انا فجسمي ذرة واحدة

دخولي السحاب

مرَّ علينا زمان طويل ونحن على هذه الحال ثم برد جانب من الهواء حيث كنت فاجتمع الوف منا حول ذرة من الهباء الطائر في الهواء وصار من مجموعنا نقطة ماء جامد اي بلورة من بلورات الجليد ولكنها كانت صغيرة جداً فبقيت عائمة في الهواء وتكونت حينئذٍ بلورات كثيرة من الجليد كما تكونت بلورتنا وتألف من مجموعنا سحابة كبيرة بقيت طائرة في الهواء . ولقد كان ذلك قبلما وُجد الانسان على وجه الارض بل قبلما وجدت كل الحيوانات التي تتنفس الهواء . اما اسماك البحر فكانت موجودة ولو نظرت الى السماء حينئذٍ لرأتنا سحابة لطيفة طائرة في القبة الزرقاء

وكانت دقائق الهواء تزدحم احياناً حول بلوراتنا الجليدية وتهزنا وتفرقنا بعضنا عن بعض فلا يبقى للسحابة اثر ظاهر لان الحرارة تزيد حينئذٍ فتنبخر بها بلورات الجليد . وتكرر ذلك مراراً عديدة واخيراً اتفق اننا كنا في طبقات الهواء السفلى وكانت الدقائق كلها قد قربت بعضها من بعض وزادت سرعة اهتزازها الذي معناهُ ان حرارتها زادت فاتيح لنا ان نلصق بذرة من الغبار فتكوَّن منا قطرة ماء صغيرة وتكوَّن من غيرنا قطرات ماء اخرى مثل قطرتنا وصار مجموع هذه القطرات سحابة مائية صغيرة كما حدث من بلورات الجليد في طبقات الجو

العليا . وسحابتنا الثانية المتكونة من قطرات الماء زادت حجماً باضافة ذرات اخرى من الماء اليها حتى صار منها سحابة كبيرة سوداء تغطي وجه السماء وتحجب اشعة الشمس عن جانب من سطح الغبراء . كنا عرضة حينئذٍ لقوتين متضادتين الواحدة قوة الجاذبية وهي تجعل ذرات الماء تتجاذب حتى تتكون منها قطرات كبيرة والثانية قوة الدفع الكهربائي وهي تجعل ذرات الماء تتدافع وتتباعد ولكن هذه القوة الثانية ضعفت رويداً رويداً وزادت القوة الاولى اي قوة الجذب فزاد التئام قطرات الماء بعضها مع بعض حتى كبرت وصارت اثقل من ان يحملها الهواء فانحدرت منهُ ووقعت على الارض مطراً وهنا ضاع استقلالي لانني صرت جزءًا صغيراً من مياه البحر الخضم اي الاوقيانوس

في الاوقيانوس

لما دخلت الاوقيانوس رأيت تغيراً كبيراً فمن ذرة اصغر من ان تُرى سابحة في الفضاء او مشتركة مع غيرها في بلورة من الجليد او نقطة من الماء الى بحر خضم يجمع ملايين الملايين من الذرات امثالي فان النقطة الصغيرة التي تقف على رأس الابرة تحتوي على ملايين من هذه الذرات

لما كنتُ في الهواء كنت اسيرة على نوع ما والهواء قابض عليَّ اما الآن فصرت اقبض على غيري من المواد الذائبة في الماء . وهذه المواد كثيرة مختلفة ولها عند العلماء اسماء يعسر تذكُّرها واشهرها ملح الطعام الذي يسمى عندهم كلوريد الصوديوم او الكلوريد الصوديك ويتلوهُ كلوريد المغنيسيوم ثم كبريتات المغنسيوم والكلسيوم والبوتاسيوم والكربونات والبروميدات واليوديدات والفلوريدات . ومن هذه المواد ايضاً الذهب والفضة فان ماء الاوقيانوس لا يخلو منها . اي اننا ونحن ذرات سائلة في البحر اسرنا المواد الجامدة كما ان الهواء وهو غاز يأسر المواد السائلة . ولم نكتفِ بأسر الجوامد بل اسرنا جانباً من دقائق الهواء نفسهِ فكلنا لهُ بالصاع الذي كال لنا لكنهُ انتقم منا فجعل يعصف علينا ويقذفنا امواجاً تعلو وتهبط وتذهب وتجيء . وانصبَّت علينا اشعة الشمس المحرقة في بعض الاماكن فاختلف ثقلنا وجريُنا فكنتُ اراني تارة أُقذف على الشواطىء وطوراً تجري بي التيارات من خط الاستواء الى القطبين او تدور بي حول الارض كلها

والذرات التي اتفق وجودها على سطح البحر كانت دقائق الهواء تهجم عليها وتحاول اختطافها واسرها تساعدها في ذلك اشعة الشمس فأُسر العدد العديد منا الى ان جاء دوري

وانا احسب ذلك من النعم لان الامر في الهواء حرية في جنب البقاء في الماء فانتُشلت من البحر وأُصعدت الى اعالي الجو وأُطلق سبيلي هناك فجريت على وجهي لا عمل ولا عناء ولا شغل الأ التطلُّع الى ما تحتي من البر والبحر

في نهر من الجليد وجبل منهُ

ومرَّ عليَّ زمان طويل وانا اجول على هذه الصورة مرة منفردة ومرة مشتبكة في سحابة من البخار الى ان اشتد عليَّ البرد يوماً فدخلتُ بلورة صغيرة من الجليد في شكل موشور مثلَّث صافي الاديم شفاف وبقيتْ هذه البلورة هي وغيرها في الهواء البارد تكسّر اشعة النور فتكوّن منها هالات حول الشمس والقمر. ثم كبرت بلورتي رويداً رويداً فصار منها رقعة من الثلج مسدسة الجوانب وجرى مثل ذلك لغيرها من البلورات وتكوّن من مجموعنا سحابة ثلج طفت في الجو ومرّت فوق جبل شاهق من الجبال القديمة التي لم يكن لي معرفة بها فأضفنا الى الثلج الكثير الذي كان ذلك الجبل معتمًّا بهِ. ثم وقع فوقنا غيرنا من رقع الثلج فدُفنتُ تحتها. وشتّان بين اقامتي هناك والثلج الشديد البرد يحيط بي من كل جانب وبين سيري في البحار الاستوائية تدفئني اشعة الشمس. الاَّ ان الثلج الكثير الذي كنت مطمورة بهِ لم يحلُ لهُ السكون فجعل يزلق عن جوانب الجبل زلقاً مستمرًّا ولكنهُ بطيءٌ جدًّا. واشتد الضغط عليهِ من تراكم الثلج فوقهُ فحوَّلهُ الى جليد فصرت جزءًا من جسم صلب شفاف كالزجاج وجرى مجموعنا على سفح الجبل نهراً من الجليد. سبحان من يغير من حال الى حال فقد كنت بالامس ذرة من البخار مطلقة العنان فصرت الآن جزءًا من جسم جامد صلب تصعب عليَّ فيهِ الحركة التي خُصّت بها الجواهر كلها. لما كنتُ في الهواء كنت اتحرَّك كما اشاء. وبقي لي شيءٌ من الحرية وانا في الماء. اما الآن فصرت في سجن ضيق بارد حُجر عليَّ فيهِ قروناً كثيرة لا ارى النور ولا اقوى على العمل. ظلام دامس وسكون يخمد الانفاس وحياة هرأها البرد فزالت آثارها

ومرّت القرون ونهر الجليد يسير الهوينا في تحدرهِ الى ان فرغ صبري واخيراً ظننت ان النهر وصل الى منتهى سيرهِ فاحمد السرى عند الصباح ولكن كانت خاتمة المطاف في البحر الخضم ثانيةً فانقدّت قطعة كبيرة من ذلك النهر ووقعت في البحر جبلاً من الجليد وانا في قلب هذا الجبل فسار سيراً بطيئاً تتقاذفهُ الامواج الى ان تمزَّق وتكسر وذاب كلهُ فعدت الى البحر الذي صعدت منهُ. وسآتي على تتمة قصتي في الاجزاء التالية

حرب الطيارات والغوّاصات

غيَّرتْ هـذه الحرب اساليب الحروب فترك الجنود حصونهم المقامة فوق الارض وتحصنوا في خنادق حفروها تحتها لانهُ ما من حصن مهما كان منيعاً يقوى على الثبات امام المدافع الحديثة · وكانت الدول المحاربة تعيُّ عشرات الالوف ومئات الالوف من جنودها فصارت تعيُّ الملايين · وكانت تحسب نفقاتها الحربية بملايين الجنيهات وعشرات الملايين فصارت تحسبها بمئات الملايين والوف الملايين · ولم يكن للغواصات ولا للطيارات شأن يذكر فصار لها الشأن الاكبر

انبأتنا التلغرافات قبيل كتابة هذه السطور ان طيارة مائية ضربت سفينة تجارية بطربيد فاغرقتها · فهذه ثالثة الاثافي ان لم تكن آخر سهم في كنانة الدهر لان تسلُّح الطيارات بالطربيد لم يكن معروفاً فاذكرنا ذلك مقالة نشرت في الجزء الاخير من مجلة لندن عدَّد فيها كاتبها فعال الطيارات والغواصات فاقتطفنا منها الحوادث التالية

اما فتك الغواصات بسفن الصيد والسفن التجارية وسفن النقل وكل السفن غير المدرعة او التي دروعها غير منيعة فامثلتهُ صارت اكثر من ان تحصى واشهر من ان تذكر حتى لقد ظنَّ الالمان ان الغواصات ستكون سلاحهم الامضى في هذه الحرب · وقال الانكليز ان اكبر المخترعين منهم واشهر المستنبطين مهتمون باكتشاف اسلوب للقضاء على الغواصات او لدرء شرها وقال الاميركيون ان مخترعهم الاكبر المستر اديصن ومعهُ جماعة كبيرة من المهندسين ورجال الاختراع مهتمون باستنباط وسيلة تقضي على الغواصات

والمعارك التي دارت رحاها بين الغواصات والسفن الحربية قليلة · ومن السفن الحربية التي اشتبكت مع الغواصات في هذه المعارك النسَّافات · وهي والغواصات تقاتل خصمها بالطربيد · وللغواصة مزية على النسَّافة لانها تستطيع ان تدنو من خصمها وهي تحت الماء فتراهُ ولا يراها حتى اذا صارت على مقربة منهُ ارتفعت قليلاً ورشقتهُ بطربيدها · من ذلك ان الغواصة التي نمرتها ١٤ من الغواصات الانكليزية هاجمت مرةً نسَّافة ونقالة عثمانيتين في بحر مرمرا وكانت النقالة مسلحة وفيها ٦٠٠٠ جندي ببنادقهم لكن الغواصة استطاعت ان ترمي النقالة بطربيد فاغرقتها وكانت مدافع النقالة ومدافع النسَّافة قد أُطلقت عليها مراراً فاتلفت عيناً من عينيها وخافت ان تتلف العين الثانية فلاذت بالفرار بعد اغراق النقالة

وحدث مثل ذلك للغواصة الروسية تيولن فانها التقت بنقالة مسلحة في ١٢ اكتوبر

قرب البوسفور وكان قبطان النقالة المانيًا فدنت الغواصة منها واطلقت مدافعها عليها بغتةً فاجابتها النقالة بمدافعها . ودام اطلاق النار من الطرفين ساعةً ولكن الغرض الذي امام الغواصة اكبر جدًّا من الغرض الذي امام النقالة فتسهل اصابتهُ فاضطرت النقالة ان ترفع راية التسليم لان النار اضطرمت في اماكن كثيرة منها من مدافع الغواصة وكان قبطانها قد وقع في البحر فصعد بحارة الغواصة اليها واطفأوا النار منها واستلموها وقادوها بمن فيها الى سفاستوبول

ان كانت المعارك التي دارت رحاها بين الغواصات والسفن الحربية قليلة فالمعارك التي وقعت بين الغواصات والطيارات اقل منها. واولى هذه المعارك دارت بين غواصة انكليزية وبلون من نوع تسبلن وذلك في الرابع من شهر مايو سنة ١٩١٦ . فان ذلك البلون ارسلهُ الاسطول الالماني للاستطلاع في معركة جتلند البحرية فرآهُ طرادان خفيفان من طرادات الانكليز واطلقا النار عليهِ ليسقطاهُ او ليمنعاهُ من رمي القنابل لان القنبلة الواحدة اذا وقعت على سفينة فقد تقضي عليها فاصابتهُ قنبلة من قنابل الطرادين وكادت تعطلهُ فلاذ بالفرار ورأتهُ حينئذٍ غواصة انكليزية وكان قد اضطرَّ ان ينخفض من علوهِ الشاهق فاطلقت عليهِ قنابل مدافعها واتلفتهُ فوقع في البحر وغرق اكثر الذين كانوا فيهِ وانقذت الغواصة الباقين وهم سبعة وعادت بهم الى انكلترا. ورآها طراد الماني وهي راجعةُ واطلق النار عليها فاضرَّ بها ولكنهُ لم يغرقها فوصلت باسراها سالمةً وهي اول غواصة اصطادت مركبًا هوائيًا

وقد تقع الحرب بين غواصة وغواصة كما حدث في بحر الادرياتيك في ١٧ يونيو سنة ١٩١٥ اذ التقت الغواصة مدوزا الايطالية بغواصة نمسوية وكانت الغواصتان غائصتين في الماء لا يظهر منهما الاعيناهما فكانت كلٌّ منهما تجهل وجود الاخرى على مقربة منها. واتفق ان الغواصة الايطالية صعدت الى وجه الماء لتغير هواءها فرأتها الغواصة النمسوية بعينيها واطلقت عليها طربيدًا فاغرقتها ووُجد خمسة من بحارتها احياء فأُنقذوا وجيءَ بهم الى پولا وانقطع خبر الغواصة النمسوية فلم يعلم حينئذٍ ماذا جرى لها . وبعد حين كان الغواصون يبحثون عن الغواصة الايطالية في قاع البحر فوجدوا الغواصة النمسوية الى جانبها . واتضح حينئذٍ ان الغواصة الايطالية نطحت الغواصة النمسوية وهي هابطة فاغرقتها معها

ويشبه ذلك ما حدث لغواصة نمسوية اخرى ومدمرة ايطالية فان المدمرة كانت تخفر نقالة ايطالية فيها ٣٠٠٠ جندي فلما رأت الغواصة هجمت عليها مسرعة لكي تنطحها وتغرقها لكن الغواصة غاصت في الماء حالاً فرمتها المدمرة بالقنابل فاصابتها وعطلتها حتى اضطرت

ان تعود الى سطح الماء وتمكنت حينئذٍ من رمي المدمرة بطربيد ولم تمضِ الأ دقائق قليلة حتى غرقت الغواصة والمدمرة معاً ونجا ١٣ من بحارة الغواصة فوجدوا قارباً ساروا بهِ نحو ساحل البانيا ونجا بحارة المدمرة ايضاً وتبعوا بحارة الغواصة واسروهم

ومن الطيارات نوع يطير في الهواء ويسبح على وجه الماء اطلقنا عليهِ اسم الطيارات المائية . وهذه الطيارات تحمل القنابل وتطارد الغواصات وتغرقها كما تطاردها الطيارات الهوائية وتغرقها ويسهل عليها ذلك لان الانسان اذا كان محلقاً في الجو استطاع ان يرى ما تحت الماء

ومما ذكر من المعارك التي دارت بين الطيارات والغواصات معركة ٢٦ اغسطس سنة ١٩١٥ فان طياراً انكليزيًّا كان طائراً قبالة استند فرأى غواصة المانية فعزم ان يوقع بها وكان وحدهُ في طيارتهِ فهبط الى علو ٥٠٠ قدم فوق الماء ورمى القنابل على الغواصة فاصابتها واغرقتها حالاً وقد فعل ذلك والمدافع تطلق عليهِ من البر ومن الغواصة ولكنهُ لم يحفل بها . وفي ٢٨ نوفمبر سنة ١٩١٥ كان طيار انكليزي وضابط فرنسوي في طيارة امام شاطئ بلجيكا فشاهدا غواصة المانية وطرحا عليها قنبلة واحدة فاغرقتها . وفي ذلك اليوم عينهِ التقى طيار انكليزي باربع طيارات مائية المانية ومعها مدمرة المانية امام ساحل بلجيكا فهجم على اقرب الطيارات اليهِ وانزلها الى البحر بنار مدفعهِ فغرقت حالاً ثم هجم على المدمرة لكن المدمرة قابلتهُ بنار مدافعها ورآهُ رجال المدفعية من البر فسددوا اليهِ مدافعهم وقابلوهُ بنار حامية فاضطر ان يلوذ بالفرار

وفي الثلاثين من نوفمبر الماضي كانت طيارتان مائيتان تطيران قرب بُرنا في مكدونية فرأتا قطاراً بلغاريًّا سائراً فطارتا فوقهُ ورشقتاهُ بالقنابل فجرحت السائق ورمتهُ من القطار وظل القطار جاريًا وحدهُ باشد سرعتهِ من غير سائق ولا يُعلَم ما حلَّ بهِ

وقد استخدمت الغواصات لنزع الالغام البحرية . من ذلك ان الغواصة بابين الفرنسوية طافت في بحر الادريانيك لكي تنظفهُ من الالغام التي وضعها النمسويون فيهِ فاتلفت كثيراً من الالغام الطافية على وجه الماء باطلاق القنابل عليها ثم قطعت اسلاك مئة لغم آخر وربط ربانها (الملازم كوشين) اثنين من تلك الالغام وسار بهما الى اقرب مرفإٍ ايطالي كشاهد على ما فعل . وكثيراً ما اشتغلت الطيارات الالمانية بالتقاط الالغام من البحر واتلافها

ومن المحتمل ان تكون الطيارات المائية انجع دواءٍ لداء الغواصات فتنجي السفن التجارية منها اذا طارت على جوانبها في اسفارها

طرائف من ادب العرب

(٢)

عمر الخيّام وحجة الاسلام

«كان عمر الخيامي مع تبحرهِ في علوم الحكمة سيئ الخلق لهُ ضنّة بالتعليم والافادة . وربما طوّل الكلام في جواب ما يسئل عنهُ بذكر المقدمات البعيدة وايراد ما لا يتوقف المطلوب على ايرادهِ ضنة منهُ بالاسراع الى الجواب . دخل عليهِ حجة الاسلام الغزالي يوماً وسألهُ عن المرجّح لتعيين جزء من اجزاء الفلك للقطبية دون غيرهِ مع انهُ متشابه الاجزاء . فطول الخيامي الكلام والخوض في محلّ النزاع كما هو دأبهُ وامتدّ كلامهُ الى ان اذن الظهر فقال الغزالي جاء الحق وزهق الباطل وقام وخرج »

وعمر الخيامي او عمر الخيام وهذه اشهر شاعر فارسيّ ومن اشهر اهل زمانهِ في الفلسفة والفلك والرياضيات . وقد نظم في العربية ايضاً ومن شعرهِ فيها قولهُ :

اذا رضيت نفسي بميسور بلغةٍ … يحصلها بالكدّ كفي وساعدي
امنت تصاريف الحوادث كلّها … فكن يا زماني موعدي ومواعدي
أليس قضا الافلاك في دورها بان … تعيد الى نحسٍ جميع المساعدِ
فيا نفس صبراً في مقيلك انما … تخرّ ذراه بانقضاض القواعدِ

والف في العربية ايضاً ومن اشهر مؤلفاتهِ فيها كتابهُ في الجبر . ومربّعاتهُ او رباعيّاتهُ الصوفية اشهر من ان تعرّف . قالت السيكلوبيديا البريطانية في وصفها : ومع ان بعض رباعياتهِ صوفية فان معظمها افكار مفكر حرّ مستقلّ الفكر يرفع عقيرتهُ محتجاً على ضيق صدر العلماء المحافظين وغلاة الصوفية المتطرفين . وقد قاتل هؤلاء بسلاحهم فلجأ الى الصوفية في شعرهِ للقضاء على الصوفية نفسها ففاز بأربهِ اذ جعلها مضغة في الافواه ووقراً في الآذان بتعريضها للتهكم والسخرية . وهو يشبه حافظاً (شاعر فارسي آخر مشهور) كلّ الشبه من هذا الوجه ولكنهُ اعلى كعباً منهُ وارفع مقاماً بلا خلاف . ولطالما لقبهُ المتأخرون بفولتير الشرق لما رُمي بهِ من الالحاد والتعطيل ولاخفاء زندقتهِ وراء ستار الصوفية . وعندنا انهُ يشبه فولتير من حيث سلامة ديباجتهِ وظرف مجونهِ وتهكمهُ القاتل لتعصب اهل زمانهِ وحسن انعطافهِ الى بني الناس عامة واحساسهُ بما يحسّون في سرّائهم وضرّائهم . وهنا تنتهي

اوجه الشبه . فان فولتير الفيلسوف الفرنسوي الكبير لم يكتب شيئاً يوازي شعر عمر الحكيم وبيانهُ الساحر في مدح الخمر والحب وكل الملاذ الارضية وتبرمهُ من الاقدار التي قضت على كل عظيم وطيّب وجميل في هذا العالم بالانحلال البطيء او الموت السريع وبالنسيان الابدي . ولتجدنَّ في شعرهِ ما تجد في شعر بيرون وسو ينبرن وشوبنهور من التطيّر والتشاؤم والنظر الى الوجه القاتم من هذه الحياة الدنيا مما يدلُّ على ان التشاؤم الحديث ليس ابن ساعتهِ ولا هو بدعة من بدع الفكر الفلسفي والخيال الشعري »

وقد عاش الخيام في اواخر القرن الحادي عشر واوائل الثاني عشر للمسيح وكان معاصراً لابي حامد الغزالي الملقب بحجة الاسلام والمعدود من اشهر علماء الكلام اي « الحجاج على العقائد الدينية بالادلة العقلية والرد على المبتدعة المنحرفين عن مذاهب السلف » . واشهر موَّلفاتهِ كتاب البسيط والوسيط والوجيز واحياء علوم الدين . وقد قيل في هذا الاخير « لو ذهبت كتب الاسلام وبقي الاحياء لاغنى عمَّا ذهب » (١)

والمشهور عن لفظ اسمهِ انهُ بالزاي المشددة نسبة الى الغزل كأنهُ كان غزّالاً هو او ابوهُ او جدهُ قبل ابيهِ . ولكن السيكلوبيديا البريطانية نقلت اسمهُ بالزاي الخفيفة وقالت في وصفهِ « انهُ فيلسوف عربي من علماء الكلام ولد في طوس وهو سليل اسرة من غزالة (قرب طوس) اشتهرت بعلومها الدينية » (٢) . ثم ذكرت تعيين نظام الملك وزير السلطان ملك شاه السلجوقي اباهُ مدرساً في المدرسة النظامية ببغداد فكتب يطعن في الاسماعيلية المعروفين بالحشاشين (وفي الانكليزية assassins اي السفّاحين والاصل واحد) وذكرت تركهُ التدريس فيها بدعوى تكاثر شكوكهِ وشبههِ الى حدّ ان باتت غول يقظتهِ وكابوس احلامهِ ولم تلبث طويلاً ان فسحت مجالاً للصوفية في صدرهِ

فوائد في اللغة

« القعود هو الانتقال من علوّ الى سفل ولهذا يقال لمن أُصيب برجليهِ مقعد . والجلوس هو الانتقال من سفل الى علو . والعرب تقول للقائم اقعد وللنائم او الساجد اجلس . ويقولون

---

(١) انظر تاريخ الآداب العربية للفريد

(٢) وفي الكشكول ما يؤيد ذلك . فقد جاء فيهِ « ونسبتهُ الى غزالة قرية من قرى طوس » . على ان ابن خلكان يورد الروايتين ولا يرجح واحدة على الاخرى . فقد جاء فيهِ ما نصهُ :

« والغزالي بفتح الغين المعجمة وتشديد الزاي المعجمة وبعد الالف لام هذه النسبة الى الغزّال على عادة اهل خوارزم وجرجان فانهم ينسبون الى القصار القصاري والى العطار العطاري . وقيل ان الزاي مخففة نسبة الى غزّالة وهي قرية من قرى طوس . وهو خلاف المشهور ولكن هكذا قالهُ السمعاني في كتاب الانساب »

للعليل هو معلول فيخطئون لان المعلول هو الذي سقي العَلَل [1] وهو الشرب الثاني . واما المفعول من العلة فهو مُعَلّ »

شيءٌ في الفلك

« رأيت في كتاب الفتوحات المكية في الباب التاسع والستين منهُ وهو الباب المعقود لبيان اسرار الصلاة ما يدلُّ بصريحهِ على ان انوار جميع الكواكب مستفادة من نور الشمس . وكذا في كتاب الهياكل للشيخ السهروردي ما يدلُّ على ذلك . فانهُ قال ان الشمس هي التي تعطي جميع الاجرام ضوأها ولا تأخذ منها . قال المحقق الدواني في شرحهِ لهذا الكلام هذا يدلُّ على ان انوار جميع الكواكب مستفادة من الشمس كما هو مذهب بعض اساطين الحكماء . وجامع الكتاب (اي صاحب الكشكول) يقول هـذا هو الحق . وفي المثنوي للعارف الرومي ما يدل على ما ذكرناهُ وانهُ الحق »

وكاتب هذه المقالة يقول ايضاً هذا هو الحق اذا اريد بالاجرام السيارات فقط ولم يرد الثوابت وان علم الفلك الحديث يؤيّد علم الهيئة القديم فيهِ . ومما يذكر في هـذا الصدد ان فلكيي العرب مثل ابناء شاكر والبتاني وغيرهم عرفوا عن الافلاك اموراً كثيرة يقرُّها علم الفلك الحديث . فقد ذكر عن ابناء شاكر (وكانوا معاصرين للمأمون) ان المأمون قرأ في كتب الفلك القديمة ان محيط كرة الارض اربعة وعشرون الف ميل وطلب منهم تأييد ذلك بالبرهان العملي بقولهِ « اريد منكم ان تباشروا اختبار ذلك بانفسكم حتى نبصر هل يتحرر ام لا » ففعلوا ولذلك حديث طويل يطاب في مواطنهِ فتحقق المأمون صحة ما ورد في كتب القدماء عن مقدار دور الارض

وقال المسعودي في كتاب مروج الذهب : وذكر خالد بن عبدالله المروزي وغيرهُ وقد كانوا رصدوا الشمس لامير المؤمنين المأمون في بريه سنجار من بلاد ديار ربيعة ان مقدار درجة واحدة من وجه الارض ٥٦ ميلاً فضربوا مقدار درجة واحدة في ثلثمائة وستين فوجدوا دور منطقة كرة الارض المحيطة بالبر والبحر عشرين الف ميل ومائة وستين ميلاً ثم ضربوا دور الارض في سبعة فاجتمع مائة الف ميل واحد واربعون الف ميل ومائة وعشرون ميلاً فقسموا ذلك على اثنين وعشرين وخرج القسم الذي هو مقدار قطر الارض ستة آلاف واربعمائة واربعة عشر ميلاً ونصف عشر بالتقريب والميل اربعة آلاف ذراع

(١) ومنهُ المثل عللٌ بعد نهلٍ اي شربة ثانية بعد الشربة الاولى التي اروت الغلة

بالاسود وهي الذراع التي وضعها امير المؤمنين المأمون للثياب ومساحة البناء وقسمة المنازل . والذراع مائة وعشرون اصبعاً »

وجاء في مكان آخر قولهُ : زعم بطليموس صاحب كتاب المجسطي ان استدارة الارض كلها جبالها و بحارها اربعة وعشرون الف ميل وان قطرها وهو عرضها وعمقها سبعة [1] آلاف وستمائة وثلاثون ميلاً . وان من كان مسكنهُ وسط الارضين وعند خط الاستواء استوت ساعات ليلهِ ونهارهِ ورأى المحورين اعني القطب الشمالي والقطب الجنوبي فاما اهل البلد التي مالت الى ناحية الشمال فانهم يرون القطب الشمالي و بنات نعش (الدب الاكبر) ولا يرون القطب الجنوبي » انتهى

والمعروف الآن ان دور الارض وهو ما يسمّى بحسب الاصطلاح الحديث محيطها نحو ٢٤٨٥٧ ميلاً وقطرها نحو ٧٩١٢ ميلاً والعرب نقلوا ما تقدم عن اليونان ولكن اقدام فلكييهم على تأييدهِ عمليًّا كما ورد في الروايتين المذكورتين آنفاً دليل على انهم قرنوا العلم بالعمل فلم يكونوا مجرَّد نقلة ونسَّاخ بل علماء درسوا وفهموا ولولا ذلك ما استطاعوا البرهان على القضايا النظرية بالعمل

وفي مروج الذهب كثير من الامور الفلكية الصحيحة ولكن كثيراً ما يُحشر بينها تخرصات ليست من علم الفلك في شيء . فبينا تراهُ يخبرك ان اهل النصف الشمالي من كرة الارض يرون القطب الشمالي وبنات نعش ولا يرون القطب الجنوبي وان الكوكب سهيلاً لا يرى بناحية خراسان ويرى في العراق في السنة اياماً اذا بهِ يقول في وصف هذا الكوكب « ولا تقع عين جمل من الجمال عليهِ الاَّ هلك على حسب ما ذكرناهُ وماذكر الناس من العلة في ذلك في موت هذا النوع من الحيوان » . وبينا تراهُ يصف انهاراسيا وافر بقية وصفاً صادقاً على الاجمال ويسفّه الجاحظ حيث زعم ان نهر السند من النيل مستدلاً على ذلك بكثرة التماسيح فيهِ ويصحح خطأهُ بقولهِ « اولم يعلم ان نهر السند يخرج من اعالي بلاد السند من ارض القنوج وارض قشمير » الخ تراهُ هو نفسهُ يقع في شرّ مما وقع الجاحظ فيهِ . فقد قال في وصف التمساح « يموت في دويبة تكون في ساحل النيل وجزائرهِ . وذلك ان التمساح لا دبر لهُ (كذا) وما يأكلهُ يكون في بطنهِ دوداً واذا آذاهُ ذلك الدود خرج الى البرّ فاستلقى على قفاهُ فاغراً فاهُ فينقض عليهِ طير الماء فيأكل ما ظهر في جوفهِ من ذلك الدود وتكون تلك الدويبة قد كمنت في الرمل تراعيهِ فتدب الى حلقهِ وتصير في جوفهِ فتخرقهُ وتقتلهُ » الخ

(١) في المطبوع عندنا تسعة والصواب سبعة كما ترى

وهكذا كان علماء النبات والحيوان وغيرهم يفعلون فيصفون هذا النبات وذاك الحيوان ويجيدون في الوصف احياناً ولكنهم يتطرقون من ذلك الى امور تضحك الجاهل فضلاً عن العاقل . فقد قال الدميري في كلامه على الضبع مثلاً « ومن عجيب امرها انها كالارنب تكون سنة ذكراً وسنة انثى فتلقح في حالــ الذكورة وتلد في حال الانوثة نقله الجاحظ والزمخشري في ربيع الابرار والقزويني في عجائب المخلوقات » الخ ومنهم من قال انها خنثى وانها تتولد من حيوانين مختلفين كالبغل الى غير ذلك من الترهات . ويكفي المحزون ان يفتح كتاباً كحياة الحيوان الكبرى للدميري ويقرأ خواص حيوان من الحيوانات من شعره الى شحمه فمرارته فجلده فاسنانه فدمه فكبده حتى ينتفي حزنه وينقلب بكاؤه ضحكاً

التهتك في الادب

« توهمهُ طرفي فآلم خدهُ فصار مكان الوهم من خده إثرُ
وصافحهُ كفي فآلم كفهُ فمن صفح كفي في اناملهِ عقرُ
ومرَّ بفكري خاطراً فجرحتهُ ولم أرَ خلقاً قطُّ يجرحهُ الفكرُ »

رأى صاحب الكشكول ان ينقل هذه الابيات وهذا لهُ ولكنهُ لما شاء التعليق عليها قال « يقال ان هذه الابيات لما بلغت الجاحظ قال .... » ويلي ذلك كلام سفيه ليس من الادب في شيء وهو من قلة الادب كلّ شيء . ولست ادرى ايهما احق بالملام القائل ام الناقل . على ان هذه شنشنة عرفناها من بعض الكتاب . فانك بينما تراهم محلقين في سماء الخيال الصافي والكمالات الصمدانية الخالية من كل شائبة اذا بك تراهم وقد تسفلوا بعد التصعد ودنسوا ذلك الخيال السامي بارجاس هذه الاقوال المخزية . حتى ان ابن الاثير المؤرخ على رزانته وعلى ان ليس في موضوعه مجال لامثال هذه المخازي لم يسلم منها . فانهُ عقد فصلاً تاريخيًا على بني تميم وسجاح وما كان من امر مالك بن نويرة معهم وختمهُ بحكاية وابيات يستحي الخليع ان يتفوه بها . وقد كان تاريخهُ عنها في غناء بل هي منهُ كالكلف في وجه الحسناء

والعادة عند كتاب الغرب اذا ارادوا اقتباس عبارة لا تدخل الآذان بلا استئذان ان يترجموها الى اللاتينية او اليونانية القديمة فلا يخدشوا بها اذهان الناشئة ولا يطلع عليها الأ من يهمهم ان يعرفوها اذ الغاية منها تقريرحقيقة لا التلهي بنكر القول وفحشه

وان لسان المرء ما لم تكن لهُ حصاةٌ على عوراتهِ لدليلُ

والقلم نائب اللسان في دولة الادب

شيءٌ من التشريح والفسيولوجيا

«كلُّ حيوان يتنفّس باستنشاق الهواء فهو انما يتنفس من انفهِ فقط الاَّ الانسان فانهُ يتنفس من انفهِ وفيهِ معاً · وسبب ذلك ان الانسان يحتاج الى الكلام بتقطيع حروف مخرج بعضها الالف[1] فيحتاج الى نفوذ الهواء فيهِ · وقد فتح بيطار فم فرس بآلة فسدت منخريهِ فمات على المكان · والانسان اضعف شمّاً من سائر الحيوان فهو يحتال على ادراك الرائحة بالتسخين تارة وبالحك وتصغير الاجزاء اخرى · وعند اعلى الانف منفذان دقيقان جدًّا ينفذان الى داخل العينين بحذاء الموق وفيهما تنفذ الروائح الحادة الى داخل العينين · فلذلك تتضرر العينان برائحة الصنان[2] وتدمع من شم البصل ونحوهِ · ومن هذين المنفذين تنفذ الفضول الغليظة التي في داخل العينين وهي التي تجهد عند الاندفاع بالدموع · واذا حدث لهذين المنفذين انسداد كما في الغرب[3] كثرت الفضول فكثرت امراض العين لذلك»

الصحيح من هذا التشريح ومن هذه الفسيولوجيا قولهُ ان الانسان اضعف شمّاً من سائر الحيوان او بعض سائرهِ ولكن الناس على اختلاف في ذلك فان الهنود الاميركيين يميزون الاشخاص برائحتها الخاصة وهذا نتيجة التربية · والمنفذان المذكوران هما القناتان الانفيتان ووظيفتهما حمل الدموع من العين بعد غسلها ومنهما تنفذ الفضول الغليظة التي في داخل العين كما قال · اما حكاية البيطار والفرس ففيها نظر لان الحيوان يستطيع التنفس من فيهِ كالانسان ولو لم تكن وظيفة الفم الاصلية التنفّس · ألم ترَ الكلب والهر يتثاءبان وتثاؤبهما بما يصحبهُ من شهيق وزفير انما يكون بطريق الفم · او لم تسمع الحمار ينهق بصوتهِ المنكر وليس الصفير الذي يصحب ذلك النهيق سوى الصوت الحادث من دخول الهواء الى انفهِ وفيهِ

ومن غريب توارد التعابير قولهُ «مات على المكان» وهي مثل قولهم بالانكليزية died on the spot ومعناها حالاً او في ارضهِ كما تقول العامة · فكأنها مترجمة عن الانكليزية او التعبير الانكليزي مقتبس من العربية

وامثال هـذا التعبير ليست قليلة فمنها قولهم اخذ على نفسهِ وفي الانكليزية to take upon one's self · ومنهـا قولهم حفنـة من الرجال وفي الانكلـيزية a handful of men فقد نقل عن ابي بكر قولهُ «وما نحن الاَّ حفنة من حفنات الله» اي شيءٌ يسير

---

(١) هكذا وردت والصواب الانف (٢) زفر الابط (٣) ورم الموق

شيءٌ من الفلسفة الطبيعية

« الخلاف مشهور في ان رؤْية الوجه مثلاً في الصقيل هل هو بالانعكاس عنهُ او بالانطباع فيهِ ٠ والادلة من الجانبين لا تكاد تسلم من خدش ٠ وجامع الكتاب دليل على انهُ بالانطباع لا بالانعكاس وهو ان التجربة شاهد برؤْية المستوي في المرآة معكوساً والمعكوس مستوياً ٠ مثلاً الكتابة ترى في المرآة معكوسة ونقش الخاتم (الذي يراد للامضاء) يرى مستوياً وهذا يعطي الانطباع كما ترسم الكتابة من ورقة على اخرى فترى معكوسة ويختم بالخاتم فيرى الختم مستوياً ٠ ولو كان بالانعكاس لرؤي على ما هو عليهِ اذ المرئي على القول بالانعكاس هو ذلك الشيء بعينهِ الاَّ ان الرائي يتوهم انهُ يراهُ مقابلاً كما هو المعتاد تأمَّل »

وكتب اللغة لا تنص على الانعكاس والانطباع والفرق بينهما فالبحث في ذلك من المباحث الجدلية العقيمة التي لانفع منها كبحث علماء القرون الوسطى في كم من الملائكة يستطيعون الرقص على رأس الابرة ٠ واذا اوقف حمار بين حزمتي حشيش وكان على بعد واحد منهما فالى ايتهما يميل وقس على ذلك ٠ والمعروف عندنا ان صورة الاشباح تنعكس عن المرآة معكوسة وتنطبع على لوحة المصوّر الفوتغرافي معكوسة مقلوبة وعليهِ سمّوا هذا اللوح بالسلبي ثم تطبع منهُ على الورق فتستوي وهي الصورة الايجابية ٠ ومثل ذلك يحصل في العين عند الابصار فان صورة المرئيات تنطبع عليها معكوسة مقلوبة عاليها سافلها ولكننا نراها مستوية اما بحكم العادة واما لان العصب البصري يتأثر باشعة النور وباتجاهها اليهِ فيجمعها في النقط التي تجمع فيها لو اخرجت على استقامتها

القروي الاديب

« قال الحجاج عند موتهِ اللهم اغفرلي فانهم يقولون انك لا تغفر لي ٠ وكان عمر بن عبد العزيز تعجبهُ هذه الكلمة ويغبطهُ عليها ٠ ولما حكي ذلك للحسن البصري قال أوَ قالها ٠ فقيل نعم ٠ فقال عسى »

والحجاج كما جاء في مقال سابق كان عامل عبد الملك بن مروان على العراق وقد بزَّ اهل عصرهِ في فصاحتهِ وسياستهِ وظلمهِ ٠ اما فصاحتهُ فقد قال ابو عمرو بن العلاء « ما رأيت افصح من الحسن البصري ومن الحجاج بن يوسف الثقفي » ٠ وقال آخر ان الحجاج افصح قروي [1] سمعتهُ ٠ واما سياستهُ فالحكايات عنها كثيرة ولا محل لها هنا فلتراجع في

(١) يراد بالقروي هنا وضيع الاصل كأنها ترجمة كلمة plebeian الافرنجية

اما كنها كالعقد الفريد لابن عبد ربهِ والبيان والتبيين للجاحظ . واما ظلمهُ فيكفي في الدلالة عليهِ قولهم انهُ كان في سجون العراق عند موتهِ نحو مئة وعشرين الف نسمة

واقل ما قالوا فيهِ قول عمر بن عبد العزيز « لو جاءت كل امة بمنافقيها وجئنا بالحجاج لفضلناهم »

وقول الشعبي — لمن قال له يزعم الناس ان الحجاج مؤمن — « مؤمن بالجبت والطاغوت(١) كافر بالله »

ويقال ان عبد الملك بن مروان قال للحجاج صف لي عيوبك . قال اعفني يا امير المؤمنين. قال لا بد ان تقول . قال انا لجوج حسود حقود . قال ما في ابليس شرٌّ من هذا »

اقول ان قول الحجّاج قولتهُ المذكورة آنفاً يدل على عظم إيمانهِ برحمة الله وسعة غفرانهِ والايمان باب النجاة . وهذا ما جعل عمر بن عبد العزيز يغبطهُ عليها بعد ان وصفهُ بالنفاق والحسن البصري يرجي ان يكون قالها

وقد ذكر ابن خلكان انهُ كان في مرض موتهِ يردد هذين البيتين

يارب قد حلف الاعداء واجتهدوا	أيمانهم انني من ساكني النارِ
ايحلفون على عمياء ويحهمُ	ما ظنهم بعظيم العفو غفّار

وكتب الى الوليد بن عبد الملك كتاباً يخبرهُ فيهِ بمرضهِ وقال في آخرهِ :

اذا ما لقيت الله عني راضياً	فان سرور النفس فيما هنالكِ
فحسبي حياة الله من كلّ ميّتٍ	وحسبي بقاء الله من كل هالكِ
لقد ذاق هذا الموت من كان قبلنا	ونحن نذوق الموت من بعد ذلكِ

والظاهر ان « المستشرقين » من علماء الغرب يرون ان ما ابدى الحجاج من البراعة في القيادة والمقدرة في الحكم يشفع فيما اجترح من السيئات وفيما ركب من الظلم . فهم لذلك ميالون الى الاغضاء والتجاوز عن تلك السيئات ضاربين عليها حجباً من الاعذار صفيقة كانت او سخيفة شفافة . ومنهم المستشرق الهولندي جان دي خيجي . فقد كلفتهُ السيكلوبيديا البريطانية قبل وفاتهِ بسنة ان يكتب لها مقالة في تاريخ الخلافة عند العرب لتنشرها في طبعتها الحادية عشرة (الاخيرة) فكتب مقالة ملأت ثلاثين صفحة . ومما جاء فيها عند ختام الكلام على الحجاج قولهُ :

---

(١) الجبت والطاغوت اسما صنمين في الاشهر

« وقلما استهدف انسان لمفتريات من همز ولمز استهداف هذا الحاكم الشرقي العظيم لماء فقد كان والحق يقال رجلاً ذا اقتدار عجيب فامضى المهمة التي انتدب لها بعزم وحزم · فهو الذي خضد فتنة ابن الاشعث بحسن ثباته ورباطة جأشه فلما اعيد الامن الى نصابه ظهرت كفاءتهُ على اتم مجاليها في كل وجهة ولّيها · فمن احياء موات الارض (في العراق) الى ترقية الزراعة بكل وسيلة وخصوصاً حفر الترع الى تنظيم الضرائب وجباية الاعشار مما كان فيه مبتكراً لا مقتبساً · واظهر حكمة فائقة في اختيار عماله وبلغ من هيبته ورهبة اسمه ان استتبّ النظام حتى في البادية فامن الناس فيها على ارواحهم ومتاعهم · ولا ريب ان معظم السبب في انتصاراته الحربية المتوالية شدة عنايته « ببعثات » جيشه من سلاح ومؤونة · ولقد كان الحجاج مسلماً صادق الاسلام ولكن هذا لم يمنعهُ من مهاجمة ابن الزبير وحصر مكة والايقاع بالعصاة من الشهداء وابناء الصحابيين » (نقيب)

استعمار السوريين بين العهدين

تمهيد

للسوري القديم — الفينيقي — في عالم الاستعمار والمهاجرة سفر مكتوب بماء الذهب على صفحات البحار ملؤهُ طلب العلاء ولو باقتحام الاخطار · وللسوريّ الحديث الذي ضرب في بلاد الله طولاً وعرضاً شمالاً وجنوباً شرقاً وغرباً سفر آخر خليق به كسليل الفينيقيين اسياد البحار · ولكن بين السفرين صفحة غير مكتوبة عن سوريي الاجيال القريبة من العهد المسيحيّ والاجيال الوسطى · ولدى البحث يتبيّن ان تلك الصفحة حلقة متصلة لا منفصلة في سلسلة المهاجرة التي ابتدأت بالفينيقيين وانتهت بمهاجري اليوم وان ذياك السوري تمّم في هذا السبيل ما اورثهُ لهُ السلف وشرع بما ورثهُ عنهُ الخلف

ولما كان تاريخ المهاجرة السورية بين عهد الفينيقيين — وامرهم معروف — وعهدنا الحاضر الذي لا يحتاج الى تعريف نسياً منسيًّا وصفحة مطوية كان لا بد من الاكتفاء بذكر حوادث مقتضبة غير متّصلة عثرنا عليها هنا وهناك · وهي القليل الذي يدلّ على الكثير والتي يجب اعتبارها ازهاراً القاها الينا التاريخ من فوق حائط نجهل ما يحيط به فجاءت خير دليل على ان هناك بستاناً كثير الرياحين

العصر السلوقي

دوّخ الاسكندر سورية عام ٣٣٢ ق٠م وتولأها بعدهُ خلفاؤهُ السلوقيون نحواً من ثلاثة قرون فتقاطرت اليها اقدام المكدونيين اليونان واسّسوا فيها مستعمراتهم ومدنهم ونشروا لغتهم وتمدنهم . والامر الذي قلّما ينتبه لهُ الكتّاب والمؤرخون ان المهاجرة لم تكن الى سورية فقط بل منها ايضاً وان المدنية اليونانية لم تؤثر في سورية بقدر ما أثرت المدنيّة السورية — بواسطة الوطنيين والمهاجرين — في اليونان ٠ والحقيقة ان كثيراً من الصنّاع والتجّار السوريين نزحوا في ذلك العصر الى المراكز التجارية في بلاد اليونان وانشأوا فيها معاملهم ومصارفهم ومخازنهم ٠ واشتهر من هذه المستعمرات السورية في القرن الثاني قبل المسيح مستعمرة في بيريس ميناء اثينا واخرى في رودس اصل سكّانها من جزيرة رواد كان لهم حاكم منهم . وكان اهمها المستعمرة السورية في جزيرة ديلوس اقام فيها المستعمرون هيكلاً عظيماً لعبادة الإلاهة السورية اطارغتس (وهي افروديت اوعشتروت) ولعبادة بعلهاهدد[1] ومن هذا الهيكل انتشرت عبادة هذين الالهين السوريين في بلاد اليونان ٠ وكان للسوريين فيها طريقة دينية ذات صولة وكانت ديلوس سوقاً للاتجار بالرقيق السوري وهؤلاء الارقاء انتهت بهم الحال الى هناك اما جملة بداعي الحروب او افراداً بسبب الدّين والافلاس او ارتكاب الجرائم ٠ وبعضهم كان النخاسون يسرقونهم او يشترونهم من ذويهم كما يشترون سلعة من السلع ٠ واذا تذكرنا ان الاسكندر نقل من صور وحدها ٣٠٠٠٠ اسير وان تيطس بعدهُ باربعة قرون اسر ٩٠٠٠٠ من سكان اورشليم هان علينا تصوّر عدد الارقاء السوريين خارج بلادهم

كثر عدد الرقيق السوري في سهول صقلية الزراعية واشتدّ عليهم ضغط اسيادهم من يونان ورومان ٠ حتى ان المحرّك الاول والزعيم الاكبر للحروب المعروفة « بحروب الرقيق » التي طار شرارها عام ١٣٥ ق٠م وتركت صقلية قاعاً صفصفاً كان شابّاً من حماه اسمهُ يونُس ادّعى ان الاهتهُ السورية المتعبّد لها جعلتهُ ملكاً وامرتهُ برفع لواء الثورة والعصيان فعمد الى اثبات دعواهُ باظهار مقدرتهِ على بلع النار ٠ كذلك ادّعى النبوّة سلڤيوس زعيم ثورة عام ١٠٣ ق٠م وسمّى نفسهُ تريفون Tryphon باسم احد الملوك السوريين

لم يكن الملوك السلوقيون من منشّطي العلم والادب ٠ ولم يجد شعراء سورية وعلماؤها

(١) سمي بهذا الاسم عدد من اشخاص العهد القديم ٠ انظر تكوين ٣٦ : ٣٦ والملوك الاول ١١ : ١٤

وخطباؤها من الاتباع والتلامذة والمريدين قدر ما ارادوا فنزحوا عنها وجعلوا يطوفون من مكان الى آخر في اسيا الصغرى وجزائر البحر و بلاد اليونان وايطاليا

فقد نشأ من مواليد جدَره [1] المشرفة على اليرموك (وهي اليوم خرابات ام قيس في حوران) الشاعر الانثولوجي مليغر Meleager وهو من ارومة سورية · وُلد حوالى سنة ١٣٥ ق·م واتقن الآرامية والفينيقية واليونانية ثم نزح الى جزيرة كوس حيث عكف على الدروس الفلسفية وألف كتاباً سماه بالاكليل "Anthologos" جمع فيهِ قصائد شاردة لستة واربعين شاعراً ممن سبقهُ واضاف اليها طائفةً من منظوماتهِ · وشبَّه كل شاعر من اولئك الشعراء بزهرة تناسب موهبتهُ وتمادى في ذلك الى وصف نباتات سورية ومنها القصب العَطِر الذي قال عنهُ انهُ ينمو في جوار لبنان و بحر الجليل · ومن مميزات هذا الشاعر اعجابهُ بالطبيعة ووصفهُ لمحاسنها — الامر الذي تمتاز بهِ الآداب السورية · فهو واضع العلم المعروف بعلم الانثولوجيا

وكان من معاصريهِ بوسيدونيُس Posidonius الفيلسوف الرواقي والمؤرخ الذي درس عليهِ جماعة من علماء الرومان ومهَّد السبيل للعصر الاوغسطي الذهبي · وُلد هذا الفيلسوف في حماه عام ١٣٥ ق·م وبعد ان تخرَّج في مدارس اثينا جال في اوربا يدرس التاريخ والجغرافية والفلسفة وترأس اخيراً المدرسة الرواقية في رودس حيث درس عليهِ شيشرون الخطيب · وكان شيشرون قبل ذلك تلميذاً لانطيوخوس العسقلاني رئيس احدى مدارس اثينا · ومن المشاهير الذين قصدوا بوسيدونيُس لزيارتهِ القائد پومپيوس الفاتح الروماني زارهُ في رودس مرتين

ومن مهاجري حماه النابغين الطبيب أرخيجنس Archigenes اشار اليهِ المؤرخ جوڤينال مراراً في عداد ممارسي الطب في رومية وميزهُ بانهُ كان من الاخصائيين بالامراض العقلية · ومن مؤلفاتهِ كتاب في « النبض » شرحهُ جالينوس

ثم اشتهر الشاعر أرخياس الذي وُلد عام ١١٨ ق·م في انطاكية فانهُ تقرَّب من كثير من اشراف الرومان واخصهم أسرة لكلُس العريقة في النسب · ثم هاجر الى البزنطية (القسطنطينية) حيث عُرف بالمقدرة على الخطابة ارتجالاً · ونافس لذلك معاصرهُ أنتيباتر Antipater الصيداوي الذي هجر بلادهُ — شأن اكثر مواطنيهِ النابغين — وجال في

---

(1) Renan "Mission de Phénicie" صفحة ٧٨٣

ايطاليا فجاءت اشعارهُ مثالاً يحتذى من عقبهُ من شعراء اليونان والرومان واشهرهم كاتولُس Catulus

وممَّن نبغ من السوريين في اوائل القرن الاول قبل المسيح الفيلسوف الابيقيوري[1] النحوي اندرونيخس Andronichus الذي اسَّس مدرسة في رومية ثم نقلها الى كومي . وكان من معاصريهِ ببليوس سيروس (اي السوري) واصلهُ من انطاكية . جيء بهِ الى رومية رقيقاً فحرّرهُ مولاهُ لما رآهُ فيهِ من دلائل النجابة والفكاهة وسرعة الخاطر . فألَّف روايات وجيزة وجال من مكان الى آخر يمثلها بنفسهِ . وفي الالعاب التي اقامها يوليس قيصر عام ٤٥ ق . م جرت منافسة امامهُ بين الممثلين فنال هذا الشاب السوري الجائزة الاولى وحرمها لابيرُس اعظم ممثلي رومية . وبقيت روايات ببليوس تمثَّل قرناً كاملاً بعد موتهِ ومنها ما وقع عليهِ الاختيار للتدريس في المدارس

العصر الروماني

الارقاء . اكتسح بمبيوس سورية عام ٦٣ — ٦٤ ق . م وعملاً بخطة تلك الايام نقل الرومان آلافاً من السوريين الى ايطاليا وولاياتها . وفي القرن الثاني بعد المسيح اخذ التجار يستوردون الارقاء من سورية ويبيعونهم في المدن البحرية بالمزاد العلني فتشتَّتوا في انحاء ايطاليا يحرثون اراضي فقدت سكانها بداعي الحروب ويخدمون في بيوت الاشراف والمتمولين ويسوقون المركبات ويحملون محفات مواليهم الى غير ذلك من الاعمال التي ذكرها المؤرخ الروماني جوفينال[2] . وانصرف بعضهم الى معاطاة السحر والتكهُّن وفن الصراع والعزف على آلات الطرب . واستخدم غيرهم كتَّاباً وعشَّارين في دوائر الحكومة ووكلاء على مزارع الاغنياء . كثر عدد الرقيق السوري حتى في طرَنس كان القوم يدعون كل رقيق يجهلون اسمهُ « سيروس » (Syrus اي سوري) وازداد نفوذ الرقيق السوري واشتهر بالمهارة[3] فحُرّر اكثرهُ واندمج في سكان البلاد التي هو فيها فكان ذلك طليعة جيش المهاجرين السوريين مع ان هجرتهم كانت الزامية

الجنود . بعد ان دخلت سورية في حوزة الرومان جعل الامبراطرة يجنّدون اهلها وينقلونهم الى ايطاليا واطراف المملكة فرساناً ورماة . فالفرقة الاوغسطية الثالثة

(١) من اتباع ابقيورس وأهم تعاليم ابقيورس ان غاية الانسان العظمى انما هي التمتع باللذات والمسرَّات (٢) جوفينال . جلد ٦ صفحة ٣٥١ (٣) ليفي . ج ٣٩ ص ٦

(Le G. III Augusta) التي اقامت في نوميديا (تونس) كان قوامها من شبان دمشق وحماه وطرابلس وبيروت وصور وصيداء . كذلك كانت الفرقة التراجانية الثانية التي اقامت في الاسكندرية . ولما انتخب اسبسيانس عام ٦٩ ب. م امبراطوراً نقل فرقتهُ السورية معهُ الى رومية . ومنذ ذلك الحين اصبحت جنود الفرق كلها من الولايات الآ ان الرومانيين كان يجوز لهم التطوُّع في فرقة الفرسان . ولما اتت الفرقة الغالية (من فرنسا) لنصرة هذا الامبراطور كانت جنودها تحيي الشمس لدن شروقها « وهي عادة السوريين » على ما لاحظهُ المؤرخ تاشِطُس[1] Tacitus . والجيش الذي جرَّدهُ اسكندر سفيرس (٢٢٢ — ٢٣٥ ب.م) على المانيا كان معظمهُ من المشارقة . ولما اخضع تراجانس داشيا (رومانيا) نقل اليها شعوباً من أدَسّا (الرها . اورفه) وتدمر[2] . وجاء في التاريخ ان سرية عددها الف من رماة حمص انتدبها احد القياصرة للاقامة في پانونيا وأُخرى من رماة دمشق في المانيا العليا وغيرها من تدمر في بلاد المغرب . فكتب رجال هذه السرايا كتابات كثيرة بقي بعضها الى الآن وهي تدل على غيرتهم الدينية واحتفاظهم الشديد بدين آبائهم . ففي شمالي انكلترا قرب سور هدريانس وُجد شعر نظمهُ ضابط في مدح إلاهته السورية . وآخر قرب نيوكاسل حيث في الراجح اقامت السرية الصورية . ولدى انتهاء الخدمة العسكرية كان بعض رجالها يعود الى بلادهِ وبعضهم يستقر حيث كان فينشر معتقدات بلادهِ وطُرق تفكيرها . ولقد عثر احد النقّابين على نصب في جنوبي فلسطين على تخوم بلاد العرب اقامهُ رجل تذكارًا لامرأَتهِ التي كان تزوّج بها في روان بفرنسا ورافقتهُ عند رجوعهِ الى بلادهِ وقال انها ماتت بعيدة عن وطنها[3] . واكثر هذه الكتابات بالسريانية واليونانية اما اللاتينية فهي وان كانت يومئذٍ لغة سورية الرسمية فلم يتكلم بها سوى الهيئة الحاكمة وقليل من الضباط والتجار . والظاهر انهُ لم يكن من وسائط لدرس اللاتينية سوى مدرسة الشريعة في بيروت التي نشأت في القرن الاول بعد المسيح وازدهرت في القرن الثالث

التجار . لم يكن الامن مستتبًا في زمن الجمهورية الرومانية ولكن لما انقرض القرصان من بحر الروم على عهد الامبراطورية الرومانية كثر التجار السوريون "Syri Negotiatores" في المراكز التجارية والمدن البحرية من الولايات اللاتينية وكان عددهم يزداد سنويًّا باعتناق

(١) تاشطس ج ٣ ص ٢٤ (٢) بوتروبيوس ٨ : ٦

(٣) Revue Archéologique سنة ١٩٠١ ج ٢ ص ٢٧٥

الاذكياء النشيطين من الارقاء السوريين وانتهاء خدمة الجنود منهم فشادوا المستعمرات على شواطىء ايطاليا وغاليا (فرنسا) واسبانيا كما شادها قبلهم اسلافهم الفينيقيون والقرطجنيون ولم تزل آثارهم في نياپولس (نابولي) وروميه وپالرمو وسيراكيوس (من اعمال سسليا) وترڤيري (في فرنسا) وتركو Tarraco (في اسبانيا) قائمة لليوم · ولقد اكتشف حديثاً في مالقه Malaga (من اعمال اسبانيا) كتابة تثبت وجود شركة سورية مساهمة فيها · واخرى في لبنان معنونة باسم تجارة في أرلس Arles (في فرنسا) يتعاطون شحن الحبوب · وعثر احدهم على تحرير يرتقي عهدهُ الى القرن الثالث كتبهُ رجل اسمهُ تيم بن سعد احد وجهاء بلدة القنوات [1] وصاحب معملين على ضفة الرون في فرنسا · وكان في پُتيولي Puteoli مستعمرة صورية غنية لم تزل آثار مبانيها الضخمة قائمة لليوم · ومن آثارها كتاب كتبهُ اهلها في القرن الثاني الى مدينة صور جاء فيه انعددهم قلّ الى درجة يصعب عليهم معها القيام بفروضهم الدينية علناً واستئجار المنتدى الذي كانت نفقاتهُ ٢٥٠ ديناراً في السنة · ويظهر ان بعض سكان هذه المستعمرة كانوا عرباً فقد جاء في كتابة ان احدهم قدَّم جملين من ذهب نذراً لالههِ العربي · وكان في أُستيا ميناء رومية مستعمرة سورية بقي منها لليوم آثار هيكل لمرنس Marnas اله المطر وشفيع مدينة غزّة

ولم يكتفِ هؤُلاء المستعمرون بالاماكن السهلة المنال ولكنهم اجابةً لدافع اخلاقهم القومية الموروثة وهي الاستهزاء بالاخطار والطموح الى المعالي توغلوا في داخلية اوربا عن طريق الانهر المعروفة · فساروا على ضفاف الدانوب حتى ابولُم في داشيا وعلى ضفاف الرون حتى ليون وعلى ضفاف الجيرُند Gironde الى بوردو · وكان نصيب غاليا (فرنسا) منهم عظيماً · ولم يقف المهاجرون عند هذا الحدّ بل تطوّحوا في الوهاد وبين الجبال الى القرى الصغيرة والمدن غير العامرة حيث المزاحمة التجارية على اخفها · وقد حفظت لنا جنيفا (في سويسرا) ولاباتي ولومي وغيرها من مدن الداخلية الصغيرة كتابات وهياكل وتماثيل لمثرا Mithra الاله الايراني الاصل والذي نشر عبادتهُ الرحّالون السوريون · فلا مبالغة اذا قلنا ان مستعمراتهم كانت يومئذٍ ترصّع خارطة اوربا كما ترصع النجوم قبة السماء

ولمَّا طمى جيش البربرية على شمال اوربا واغرق المدنية الرومانية في اواخر القرن الخامس وما بعد كانت هذه المستعمرات منائر للعلم والتمدن· حتى ان امواج الغزوات المتتابعة لم تكن

(١) باللاتينية « كنثا » · ذكرها يوسيفوس · قابل قناة في سفر العدد ٣٢ : ٤٢ وقنوات في دليل فلسطين وسوريا لبديكر

على شدتها وضخامتها لتطفئ مصباح هؤلاء المهاجرين او لتفتّ من عضدهم فانهم تحت حكم الدولة المروفنجية كانوا لم يزالوا يتكلمون لغتهم السامية ولما دخل كُنتران مدينة اورلين عام ٥٨٥ ب٠م استقبله وفد يترنم بمدحه « بلسان اللاتين واليهود والسوريين » على ما ذكر المؤرخ غريغوري ده تور[1]٠ والظاهر ان مستعمرة باريس كانت اهم هذه المستعمرات واشدها ساعداً يدلك على ذلك انها عام ٥٩١ ب٠م كان لها من السطوة ما مكّنها من ان تسيم احد ابنائها اسقفاً عامًّا على عاصمة الافرنسيس وتستولي على عدد كبير من المناصب الاكليريكية [2]

وانعكاف هؤلاء المهاجرين هذا على العمل واقتحامهم الاخطار حدا بالقديس اروفيموس الذي مات في اوائل القرن الخامس الى كتابة كلماته المأثورة وهي ان رغبة السوري في الاعمال التجارية التي من ورائها ربح تحمله الى اقاصي المعمور

وما زال سيل مهاجرة السوريين يتعاظم الى ان قضى العرب في القرنين السابع والثامن على الملاحة في البحر المتوسط وسدوا سبل التجارة البحرية

وقد شيّد المستعمرون السوريون المصارف « البنوك » واقاموا المكاتب للعمولة والسمسرة وشحن البضائع واسسوا المحلات التجارية بل احتكروا تجارة الشرق باسرها٠ وكانوا يستوردون البضائع الشرقية وهي الخمر والزيوت من لبنان ووادي العاصي وغزّة والزجاج واللؤلؤ والارجوان من صور وصيداء والحرير والصوف من مدن فلسطين والبضائع الكتانية والمصنوعات المعدنية من بيروت وجبيل والاثمار المقددة من دمشق ٠ وفي اوائل العهد الروماني كانت تجارة اوربا مع الشرق الاقصى عن طريق البحر الاحمر فالاسكندرية برًّا ومنها الى المدن الاوربية البحرية ٠ اما بعد ان دخلت بلاد العرب في القرن الثاني تحت السلطة الرومانية وبعد ان مهّد تراجنس وخلفاؤه الطرق التجارية في سورية اخذت البضائع من بلاد فارس والهند والصين ترد عن طريق خليج العجم فدجلة والفرات ثم برًّا الى مدن سورية البحرية فصبحت تلك المدن مستودعاً لاوربا تشحن منها الطيوب من شبه جزيرة العرب والجواهر والعاج من الهند والتحف والاقمشة من بلاد فارس ٠ وفي عهد يستنيانوس أُدخل دود القزّ وشجر التوت الى سورية فاستغنى بذلك عن حرير الصين واليابان٠ وعلى الجملة فقول حزقيال عن تجارة صور في عهده يصح على سورية في هذا العهد كما صح عليها في عهده

---

(١) غريغوري ده تور ١:٢٨ (٢) غريغوري ده تور ٧ ٠ ٣١

ولم يكن المستعمرون كلهم تجّاراً وعملاء بل كان بينهم كثيرون من اصحاب الفنادق والموسيقيين والنقّاشين وغيرهم من الصنّاع لاسيما من عملة الزجاج والصبّاغين . ولما عاد ڤيرس الامبراطور الخليع من حروبهِ في پارثيا (ارمينيا وما جاورها) عرَّج على اللاذقية واخذ منها جيشاً من الموسيقيين والممثلين والمازحين الذين كان لهم في ذوق البلاد الايطالية تأثير يُذكر

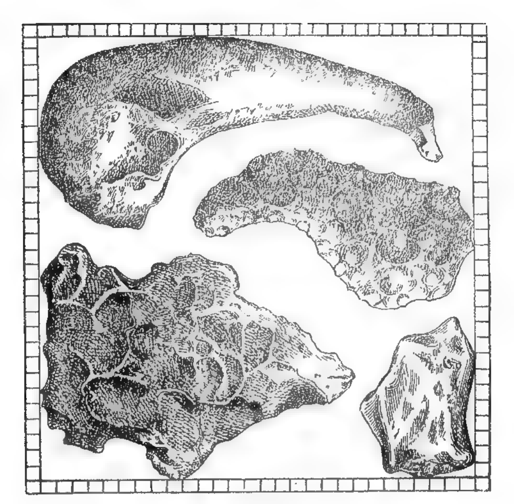
الكهنة . وكان بين المهاجرين السوريين رهط من الكهنة والسحرة والعرّافات والمتنبين والمتنبيات والمشعوذين يخدمون الهياكل في المدن التي كان فيها من المستعمرين عدد كافٍ لاقامة الهياكل ويجولون في الاقاليم الزراعية التي لم يكن فيها العدد الكافي منهم لتشييد المذابح اكراماً لآلهة آبائهم واجدادهم . والظاهر انهُ نشأ بين هؤلاء الكهنة المتجولين طغمة كانت تتنقل من مكان الى آخر وتجمع من المؤمنين النذور والمشور باسم الإلاهة السورية وتقاسم الارقاء حصصهم . ومما جاء في وصف رئيس لهذه الطغمة يدعى فليبُس Philebus انهُ كان شيخاً ابيض الشعر يسير واتباعهُ من قرية الى اخرى وراء دابة عليها تمثال الإلاهة السورية يغشاها الحرير . وهم يعزفون على الصنوج ويضربون على الدفوف والطبول ويرقصون بالفؤوس والسكاكين . وكانت وجوههم مدهونة ورؤُوسهم ملفوفة بالعمائم . وشاحهم من الحرير وفي ارجلهم احذية صفراء وقد يجلدون انفسهم ويجرحون ابدانهم علانية من باب التوبة والتقشف . وفي اواخر الجمهورية الرومانية كان للعرّافات السوريات شأن رفيع في رومية . ولقد روى فلوطرخس ان مستشار ماريوس القائد الروماني الكبير كان عرّافة سورية اسمها مرثا لم يقدم ماريوس على عمل حربي الاّ بعد الاطلاع على رأيها [1]

تأثيرهم

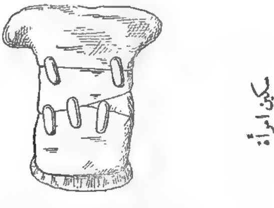
بهذه الطرق الاربع — الرقيق والجندي والتاجر والكاهن — وجد التمدن السوري سبيلاً الى الشعب الروماني ونفخ فيهِ روحاً جديدة سياسيًّا وفلسفيًّا وعلميًّا وادبيًّا وفنيًّا ودينيًّا اشترك فيهِ الرجال والنساء كما سيجيء

جامعة كولمبيا بنيويورك فيليب حتّي

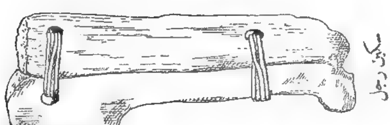
(١) حياة ماريوس لفلوطرخس صفحة ١٧



بعض اشكال الرجوم



سكين امرأة



سكين رجل

الرجوم

او الحجارة النيزكية [1]

الرجوم او النيازك كما نعرفها وكما تصل الارض من الفضاء على ثلاثة انواع الاول ما يسمّى سيدر يت وهو موءلف من حديد نكلي . والثاني اروليت وهو من مادة حجرية في الاكثر . والثالث سيدروليت وهو موءلف من الاثنين معاً

وقد اختلف علماء الآثار رأياً في مصدر الحديد الذي كان الانسان يستعملهُ قبل التاريخ اي قبلما عرف كيف يستخرج الحديد من معدنهِ . على ان الاكثرين يرون ان الانسان لم يعرف الحديد النيزكي اي حديد الرجوم بانين حكمهم هذا على اربعة اسباب الاول ان جميع العدد والادوات الحديدية التي وجدت من بقايا الانسان في العالم القديم هي كلها تقريباً من مصدر ارضي وفي جملتها القطعة التي وجدت في هرم الجيزة الاكبر . والثاني اعتقاد الانسان القديم بان الحديد النيزكي غير قابل للطرق والسبك . والثالث انهُ شديد الندرة . والرابع ان الانسان القديم لم يكن يستطيع بما لديهِ من الوسائل ان يقتطع قطعاً صغيرة من الحجارة النيزكية . وسنبين فساد هذه الاسباب او الحجج ولكننا قبل ذلك نقول

لاخلاف في ان ادوات الحديد كانت في العصور الاولى اندر من النادر بل اندر من حلى الذهب وربما كانت اثمن منها . فان كان الامر كذلك فلِمَ لم يحرص الانسان الاول عليها ويُعنَ بادخارها عنايتهُ بادخار الذهب . فقد ترك لنا فيما ترك كثيراً من الحلى الذهبية التي تزيّن بها صدور متاحفنا في حين انهُ لم يترك اداة مصنوعة من الرجوم . وسبب ذلك ان قيمة هذه الرجوم متوقفة على سبكها واستعمالها عدداً واسلحة وادوات مختلفة فادخارها وحفظها بطلان قيمتها . وهذا يبطل الحجة الاولى . ومما يذكر في هذا الصدد ان الادوات المصنوعة من الحديد النيزكي ليست نادرة في العالم الجديد (اميركا) ندرتها في العالم القديم وسبب ذلك ان الانسان في العالم القديم استخرج الحديد من معادنهِ منذ اكثر من ثلاثة آلاف سنة فلم يدخل هذا الحديد العالم الجديد الاّ بعد اكتشافهِ منذ نحو اربع مئة سنة . وظاهر ان الاشياء التي عمرها اكثر من ثلاثة آلاف سنة هي أندر في أيامنا من الاشياء التي لم يقم مقامها غيرها الاّ منذ اربع مئة سنة

---

(1) ملخص من مقالة في مجلة نالشر الانكليزية

وقد وضع بعضهم جدولاً بالرجوم المعروفة فاذا هي لا يزيد ثقلها كلها على ٢٥٠ طنّاً منها ٩٩ في المئة معدن قابل التطريق لانهُ مزيج من الحديد والنكل وهذا يبطل الحجة الثانية . ثم انها وجدت كلها في القرن الماضي وهذا يبطل الحجة الثلثة القائلة بان الحديد النيزكي شديد الندرة

ويدلُّ منظر هذه الرجوم على انها كِسَرٌ من حجارة اكبر منها كما يرى في الشكل الاول . اي انها ليست ككرات المدافع وحجارة مثل هذه يسهل قطع شظايا منها حتى على من لم ليس عندهُ ادوات وآلات تذكر كما كان الانسان الاول . وهذا يبطل الحجة الرابعة . فقد كان القدماء يكسرون الرجوم كما كانوا يكسرون قطع النحاس التي وجدت على شطوط البحيرة العليا في اميركا الشمالية ولكن مادة الرجوم اصلب من مادة النحاس كما لا يخفى . ومعلوم انهُ لما اكمل الاسبان فتح المكسيك وجدوا عند الاهالي الاصليين سكاكين وخناجر وادوات اخرى مصنوعة من الحديد . فحار الاسبان في مصدر ذلك الحديد . وكانوا اذا سألوا الاهالي يشيرون بايديهم الى السماء كأنهم يقولون انهُ هبط عليهم منها . ولكننا نحن نعلم الآن مصدرها ونعلم ان اهل المكسيك صادقون في اشارتهم لان حديدهم من حجارة الرجوم . وكذلك صنع الاسكيمو وبعض قبائل الهنود وشرق سيبيريا اسلحة وادوات من الرجوم

والرجوم المشهورة كثيرة هبطت من الجوّ الى الارض آناً بعد آنٍ منذ قديم الزمان . ومن اشهرها رجم سقط سنة ٤٠٣ قبل المسيح في عهد بندار الشاعر اليوناني . وآخر قيل انهُ سقط قبل حصار تروادة في عهد الملك ايتيوكليس . وذكر بلينيوس عدة رجوم وعدَّ لڤيوس المؤرخ ٢١ منها سقطت في ٥١ سنة من عمرهِ

وترى في الشكل الثاني سكينين من سكاكين الاسكيمو القدماء نُحتتا من رجم سقط قديماً ثم اكتشفهُ الاميرال بيري في خليج ملڤيل عند اكتشافهِ للقطب الشمالي . فالعليا منهما سكين امرأة واسمها عندهم « اودو » ومقبضها من العاج . والسفلى سكين رجل واسمها عندهم « ساڤك » طولها اربع بوصات ومقبضها مصنوع من الخشب والعظم

ويقال بالاختصار ان الانسان كان يستعمل الحديد قبل سنة ١٢٠٠ قبل المسيح وكان يستخرجهُ من الرجوم او البراكين او بقايا الحرائق او الصواعق او الحديد الممزوج بالتلوريوم وهو معدن ابيض لونهُ بين الفضة والقصدير

الدود المعوي

قلما يخطر في بال احد ان الدودة الاسطوانية الحمراء التي تظهر احياناً في البراز تعرّض المصاب بها الى مرض شديد الخطر على حياته . ولا عجب فان الآراء حتى النصف الاخير من القرن التاسع عشر انقسمت الى شطرين من حيث انها تسبب للمصاب بها داء الانسداد المعوي اذا اهمل شأنها وتركت بلا مقاومة . وكان في طليعة الفريق المخالف الاستاذان لايكانسترن Leichenstern وتريفز Treves فقد انكرا انها تورث هذا الداء او مضاعفاته وملحقاته وكان من الفريق المسلّم بانها تسد الامعاء في ظروف ملائمة وان تكن قليلة الاساتذة تروسو Trousseau وبريتونو Bretonneau وشتس Stutz وهم اول من اعلنوا عنها واذاعوا فعلها

وفي سنة ١٨٨٧ ظهر تقرير لبوردروني Bordoroni وستب Stepp عن اصابتين بداء الانسداد المعوي اثبت الفحص التشريحي ان سببهما الدودة الاسطوانية لا غيرها

وكان سيمون Simon يشرّح سنة ١٨٩٢ ميتاً مات باعراض الانسداد فوجد كتلة من الدود وقد احتبك الدود فيها واشتدّ تماسكهُ فسدت القناة الهضمية سداً محكماً

وجاء في تقرير بتوف Botoff ١٨٩٧ ذكر حادثة بالانسداد ومضاعفاته كثقب الجدار المعوي والتهاب البريتون وقد اثبت الفحص التشريحي وجود ٥٠٠ دودة في المعى اللفائفي في الجزء الذي ينتهي بالاعور . ثم ورد في تقرير زتوف Zotoff عن موسلر Mosler وبيبر Peiper ذكر حادثة فتاة عمرها ثلاث سنين ماتت باعراض هذا الداء وبالتهاب البريتون . وقد وجد ثقبان في جدار المعى اللفائفي يبعدان عن الاعور $\frac{1}{2}$ ١٧ البوصة وبرز من الثقب الواحد ٢٥ دودة ووجد القولون الصاعد والقولون المعترض ممتلئين دوداً وعدّ نحو ٥٠٠ منهُ

وذكر فن ميتر Von Meter اصابة ولد عمرهُ ثلاث سنين وبضعة اشهر بالانسداد وقد اجرى لهُ عملية جراحية في المعى اللفائفي اخرج منهُ كتلة كبيرة من الدود فشفي الولد . ودعي فيكاري Vichery لعيادة حامل فوجدها مصابة باعراض لا تختلف عن اعراض هذا الداء فوصف لها سنتونين واعقبهُ بجرعة من زيت الخروع وكانت النتيجة ان الامرأة نجت وزالت الاعراض التي كانت بادية عليها بسبب العلاج المتقدم ونقيأت اثنتي عشرة دودة من النوع الاسطواني وستاً من النوع الخيطي ولكنها اجهضت في اليوم التالي . واحصى فننغ Venning ٢٧٣ دودة اخرجها من المعى اللفائفي والاعور والصائم في حادثة ولد عمرهُ سنتان ونصف

ونشر بارت Perret رسالة في المجلة الطبية الاميركية عن حادثة عالجها وشيفت عن بدوٍ من غير عملية جراحية وخلاصتها ان فتاة عمرها ٨ سنين دخلت الى المستشفى في مساء ١٤ مارس سنة ١٩١٦ باعراض الانسداد المعوي مثل قيء وانتفاخ وتطبل في البطن. وجسّ كتلة قاسية بحجم برتقالة كبيرة في الجزء السفلي البطني لناحية اليسار وكان قد مضى على المريضة خمسة ايام وعالجها في منزل والديها طبيب العائلة بلا جدوى. ولما يئس من شفائها احضرها الى المستشفى وتولى علاجها الطبيب المذكور. وفي مساء ١٥ مارس اي في اليوم التالي لدخولها المستشفى وصف لها حقنة شرجية و بعد نصف ساعة زال الخطر عن الفتاة وشعرت براحة مما كانت تقاسيه اذ أُخرجت كتلة مؤلفة من اربعين دودة كما ترى في الشكل الاول

وهذه الحادثة ذكرتنا بفتاة من الجيزة عمرها ست سنين احضرتها امها للعيادة في شهر يوليو من السنة الفائتة للتداوي وقصّت علينا ما كانت تشكو منهُ ابنتها وتشاهدهُ في برازها من الدود الرفيع الخيطي فوصفنا لها سنتونين وكلومال وفي اليوم التالي حضرت الام ومعها علبة فيها بضع عشرة دودة من النوع الاسطواني الاحمر وقالت وهي مدهوشة ان ابنتها تقيأت ست دودات في مساء اليوم الذي حضرت فيهِ الى عيادتنا وفي اليوم التالي شاهدت في برازها سبع عشرة دودة وضعتها في العلبة وجاءت بها لاصدق روايتها

فيظهر مما تقدم ان هذه الدودة تقيم في المعى الدقيق ونشاهد في الاولاد من الثالثة الى العاشرة. وطول الدودة خمس بوصات الى عشر والانثى اطول من الذكر وشكل البيضة بيضوي وقطر الواحدة جزء من اربعمائة من البوصة. وهذا الدود يدخل الجسم من الفم مع الماء والخضر والفاكهة ولاسيما اذا كانت غير نظيفة. والغريب في هذه الدودة انها لا يطيب لها الاقامة وحدها فاذا لم تجد لها رفيقاً يؤانسها هجرت محل اقامتها الى المعدة فتخرج مع القيء او تظهر احياناً بارزة من الانف او الاذن. وليس ببعيد ان تدخل القناة الصفراوية وتسبب داء اليرقان او تدخل الكبد من القناة الصفراوية الصغيرة فتحدث في الكبد خراجات كبدية. وقد وجدت في البنكرياس والزائدة الدودية والوريد الطحالي وتكون احياناً سبب الناسور السري. اما الاعراض التي تدل على وجودها في الجسم في حال عدم ظهورها في البراز فمغص مصحوب بتطبل في البطن وسوء هضم وفقدان شهية الاكل واضطراب في حالتي اليقظة والنوم والميل الى حك الانف من الداخل والجرش بالاسنان في حالة النوم. وعلاجها السنتونين والوقاية افضل منهُ في كل حال

الدكتور شخاشيري



الدود المعوي الاسطواني الاحمر



(ا) انثى (ب) رأسها (ج) ذكر



(ا) انثى (ب) انثى غير بالغة (ج) ذكر

مقتطف يونيو ١٩١٧
امام الصفحة ٥٤٨

القَدَرية والجبرية

المسؤولية

طبيعة فكرتها وكيفية تكونها في النفس

(٤)

اذا كان الاجتماع هو المكوّن الاول لفكرة المسؤولية وكانت جرثومتها لا يقوم بناؤها الأ كما توجههُ وحدات الاجتماع الايمانية فهل هذه الجرثومة هي هي بعينها في كل النفوس. فاذا انت وضعت شخصين في وسط اجتماعي واحد وعرضت عليهما صوراً واحدة كانت كمُ فكرة المسؤولية وكيفها واتجاهها واحداً . وبكلمة اخرى هل فكرة المسؤولية امر اجتماعي بحت يتأثر بهِ الفرد من غير ان يكون لتكوينهِ هو الخاص اثر فيهِ . لقد سبق لنا فيما كتبنا عن الاختيار والاضطرار ان اظهرنا ان هناك عوامل كثيرة تعمل في تكوين حياة الفرد الخاصة كالوراثة وطوارئ الحوادث ونوع التربية وبينّا حينئذاك ان الفرد وان لم يكن لهُ وجود خاص وانما هو ذرة تصرّفها حياة العالم وهي تسير مكرهة في الطريق الذي يرسم لها . فان في هذه العوالم الخاصة ما يكفي للتفرقة بين الافراد في الوجهات التي توجّههم اليها الحياة . هذه العوامل نفسها واخصها الوراثة والطوارئ، واحداث الصدف ونوع التربية هي التي تجعل لصورة الحياة الاجتماعية في نفس الفرد لوناً خاصًا وتجعلهُ يتصور المسؤولية على نحو خاص . صحيح ان مجموع الوحدات الايمانية هو الذي يرسم الطريق الذي تتبعهُ هذه العوامل ولكن هذه العوامل قد تبلغ من نفوس بعض الافراد احيانًا فتطمس على الطريق وتأخذ صاحبها الى وجهة اخرى تجعلهُ اما مجرمًا أثيمًا او شاعراً كبيراً اونبيًّا كريمًا وفي الاحايين الاخرى والغالبة لا تصل الى هذا ولكنها تجعل دائمًا شيئًا من التضارب يقوم بين الوحدات الايمانية او البعض منها وبين الفرد. وهذا التضارب هو ما يدفع بهِ الى ما يسميهِ الناس الخطيئة. والشخص الذي تنطبق نفسهُ تمام الانطباق على الوسط الذي يعيش فيهِ هو الشخص الذي اتبعت وراثتهُ مجرى تطور الانسانية فلم تزد اطاعتهُ على ما يريد الاجتماع ان يجبرهُ اياهُ ولم يشعر بثقل حمل الواجبات التي يضعها الاجتماع على عاتقهِ

وهذا النوع الاخير من الافراد نادر جدًّا ان لم نقل معدوم كليةً . وكأن ذلك الخيال القديم الباقي خيال آدم وهو خارج على الوسط الذي عاش فيهِ مرتكب تلك الخطيئة

التي اخرجتهُ وابناءهُ من الجنة هو هو صورة كل واحد من بني آدم . وانما يجب ان نلاحظ ايضاً ان العوامل التي تؤثر في نفس الفرد لا تصل الى ملاشاة صورة الجمعية من نفسهِ الاَّ في احيان نادرة . فالمجرمون بالخلق والمجانين العظماء قلال في العالم جداً . واما ما عدا هؤلاء من الافراد الذين يكوّنون سواد الانسانية فهم مرآة لصورة الجمعية التي يعيشون فيها . وعلى مقدار دقتهم او عدم دقتهم في تلقي هذه الصورة يكون تكوُّن فكرة المسؤولية في نفوسهم . وهؤلاء الاشخاص الذين لم يصلوا بالتربية ليفكروا لانفسهم ولم تخرجهم عوامل خاصة كالوراثة والصدف عن طريق الحياة المعتاد تنطبع في نفسهم صورة الجمعية التي يعيشون فيها انطباعاً يكاد يكون تاماً ولذلك تقوم المسؤولية في نفوسهم وحدةً مكونةً متماسكةً مرتبطةً اتم الارتباط بالصورة المذكورة . من هذا ما لوحظ من ان بعض القبائل المتوحشة يبلغ الندم على الخطيئة من نفوس بعض افرادها حتى لتراهُ نائحاً منتحباً مهما قلَّت قيمة الخطيئة التي ارتكبها . وكأَن هذا الفرد يشعر بانهُ جزء متضامن مع الكل الذي هو الجمعية . ومن امثلة ذلك ان بعض قبائل استراليا تحرم على الشبان منها اكل نوع خاص من انواع الصيد النادرة التي يحتفظ بها لتقدّم للرجال والكهول تكريماً واعزازاً . ويبلغ من شأن ذلك التحريم ان من يتعداهُ يجازى بالقتل . ولقد شوهد من بين الشبان الذين انتهكوا حرمة ذلك القانون ولو تحت اثر الجوع من يقدمون انفسهم معترفين بذنبهم مظهرين اشد الندم عليهِ . وهذا الاعتبار للفرد كوحدة اجتماعية لا وجود لها بذاتها هو الذي سمح لقبائل العرب ولقبائل استراليا ان يحسبوا جريمة واحد من قبيلة اخرى تقع على قبيلتهم مستوجبة مسؤولية كل فرد من افراد تلك القبيلة الاخرى حتى لتهدأ ثائرة الانتقام في نفس من وقعت عليهِ الجريمة متى قتل اي فرد من افراد قبيلة واترهِ . وقد استمرت هذه الفكرة فكرة تضامن الفرد في المسؤولية مع الجماعة التي هو منها تتسلسل على العصور الى ما بعد المسيحية . وانا لنقرأ في هرودوتس ابي التاريخ قصص الملك كريسس (قارون) الذي ذهب يشكو الى الاله ابولون ما لاقى من هزيمة وذلّ في موقعة سرديس بعد ما افاض على هذا الاله من تحف وقرابين فيجيبهُ رسول ابولون بما يأتي : محال ان تنجو حتى الآلهة مما قدر لها . ويجب ان يذكر كريسس انهُ انما لاقى جزاء خطيئة جدهِ الخامس الذي كان فارساً في حرس كاندول احد ابناء المراقلة ثم ترك نفسهُ تتسلط عليها امرأة تدفعهُ آخر الامر لقتل سيدهِ الملك واغتصاب تاج لم يكن لهُ . ولقد جاهد ابولون رجاء ارجاء مصيبة سرديس حتى تقع على رأس اخلاف كريسس ولا تصيب ايامه فلم يُقبَل رجاؤهُ ولا استطاع اخلاف القدر .

وكل ما وصل اليهِ ان امتد خراب سرديس لسنين ثلاث مقبلة. وانما نال ذلك كره احكام المقادير» . وهنالك يعترف كريسس ان الذنب ذنبهُ الموروث لا ذنب الاله

ومن ذلك كلهِ يرى ان الفرد العادي يعتبر نفسهُ ذرة مماثلة لكل ذرات الجمعية الاخرى ويشعر في اعماق نفسهِ انهُ متضامن تضامناً تامًّا مع هاتيك الذرات حتى ليسأل هو عن التكفير عمَّا يقع منها . وليس شيءٌ ابلغ من ذلك في الدلالة على ان الجمعية تطبع الافراد بطابعها وتعدم شخصيتهم لتقيم في قرارة قلوبهم شخصيتها وتحملهم بذلك يسيرون على السنن التي تسنها هي لهم من غير ان يكون لهم في تلك السنن اي اختيار

ولكن الوف القرون التي مرت بالانسانية لم تترك فرداً من افرادها من غير ان تخلق لهُ ظروفاً خاصة تكوّن في نفسهِ شيئاً من الفردية الواقفة ظاهراً في وجه الجمعية البارزة ضد طابعها . فتعاقب الوراثات المختلفة وتنافس المدنيات المتناقضة وتناقض المذاهب والملل وقيام الحروب الشعواء من اجل مناصرة هذه المذاهب وتلك المدنيات كل ذلك وما سواهُ جعل الصورة الاجتماعية بداخلها في بعض المواضع شيءٌ من الابهام يسمح لقوى خاصة في نفس الفرد ان تقوم وتقوى وتصل من ذلك الى مناهضة الجمعية وقوانينها السائدة مناهضة يختلف مقدارها باختلاف الملكات والقوى وباختلاف الظروف التي قامت فيها تلك الملكات وتكونت وقويت. ففي نفوس هؤلاء الافراد تقوم فكرة المسؤولية على اساس يتفق مع طابع الجمعية الى الحد الذي تبدأ بعدهُ تلك القوى والظروف الفردية تناوئ الوحدات الايمانية السائدة . اما بعد هذا الحد فتكون فكرة المسؤولية مضطربة لا يحدها الا الجزاء القانوني المقابل لما يبعثها من الاعمال والحركات الفردية

وكلما ازدادت الظروف الخاصة وسمحت للفرد ان يقوم بكلهِ في وجه الجمعية تداعت في النفس فكرة المسؤولية وحلت محلها اعتبارات خاصة نرجئ بحثها الى ان نصل للمقارنة بين فكرتي المسؤولية والجدارة

هذه القواعد التي قدّمت تنطبق على الاشخاص الذين يتبعون فطرتهم ويسيرون مع عواطفهم سواء كانت هذه الفكرة وتلك العواطف اجتماعية أو ضد الاجتماع واما الاشخاص الذين يصلون من تربيتهم الى حد التفكير الفردي الخاص فاولئك يحللون مسؤلياتهم في كل صغيرة وكبيرة مما في الحياة . وذلك لا يمنع احساس بعضهم من ان يكون ميتاً امام الذنب الذي يرتكبهُ

بل ان اولئك الذين يصلون من تفكيرهم الفردي الى حد تحليل المسؤليات التي تكونت

في نفوسهم من نعومة اظفارهم يكونون في الغالب اقل احساساً بعظم الخطيئة كما يكونون اقل دهشة او اعجاباً او تقديساً امام الجميل العظيم · وسبب ذلك هو ما قدمنا من ان التحليل والتنسيب يستدعيان الاحتمالات والافتراضات التي هي اساس الشكوك · والشكوك اذا بدأت عملها في تحليل المسؤولية اضطرت حتماً ان تتناول الوحدات الايمانية التي هي اساس المسؤولية · وهذه الوحدات الايمانية هي الغذاء الروحي الذي يدخل القلب والنفس و يعطيها من القوة ما يعطيه الغذاء المادي للجسم · فاذا دخلها الشك ابتدأت النفس تتزعج و يعقب ذلك حتماً ازدراء للحياة وتقزز منها · ومتى داخل النفس التقزز صغر امامها كل شيء واحتقرت الوجود وما فيه · فتضاءل الاعجاب وتضاءل الاسف وخمد القلب وقلّت نزعاته الكريمة · ولولا ان فطرة استبقاء الحياة قوية جداً تغلب كل شيء لوصل المفكر الى نتائج أتعس من الرضوخ لاحتمال الحياة · ولكن هذه الفطرة القوية الفعالة تعيد كرتها عليه وتغالب فيه دواعي استنكار الحياة بانواع شتى من الحيل · ابسطها ان يسأل المرء نفسه وما نتيجة استنكار الحياة · هنالك يعاوده الامل و يرى وجوب الاخذ في الحياة العملية بواجبات قريبة من المتعارف تكوّن نظامهُ وطمأنينتهُ · ولكنهُ يبقى حاسًّا بشيء من الوحدة يدفعهُ ليجاهد في سبيل ادخال وحداته الايمانية الخاصة في كتاب الاجتماع ليجد في الناس اخواناً واصدقاء · وهذا الجهاد هو نوع خاص من انواع المسؤولية نبينهُ فيما سيأتي ونوضح سببهُ ونتيجتهُ

ولكن هذه الصور التي جئنا بها في طريق تحليلنا لفكرة المسؤولية كالشذوذ الفردي والمجانين العظماء وخمود حاسية المفكر بالمسؤولية اليست في ظاهرها تقف في وجه الفكرة الاولى فكرة انطباع صورة الجمعية في نفس الفرد وتكوينها بذلك ضميرهُ وادخالها مبادئها عليه وتركها اياهُ يقدر المسؤولية بمقدار هذه المبادئ · فكيف يكون ذلك مع ما عليه الجمعية من قوة تكاد تلاشي الفرد كل التلاشي ؟ ان اول القوانين الطبيعية التي تعمل في كل المخلوقات الحية قانون بقاء الاصلح وفناء الشاذ · وهذا القانون لا يحتمل اي استثناء · فهو يستخدم كل الوسائل ليكون نافذاً على كل المخلوقات · فهل اضمحل في الجمعية الانسانية · وهل معنى القوانين والانظمة محاربة الطبيعة ونواميسها · وان صح ذلك فكيف يكون النظام الاجتماعي طبيعيًّا وهو بنفسه يحارب الطبيعة

هذه مسائل واعتراضات يحار الذهن امامها اذا هو لم يستعن على حلها بمعلومات خارجة عن المنطق المجرد · واهم هذه المعلومات معرفة قانون التطور و كيفية عمله وتفاعله مع قانون

بقاء الاصلح . فان الجمعية الانسانية لم تكن من الف الف سنة ما كانتهُ من الف قرن ولا ما هي عليهِ اليوم بل هي تتطوَّر وتدخل فيها عناصر وتخل عناصر اخرى . وتنتقل بذلك من جيل الى جيل محمَّلة بماضيها مستمدة لانقلابات جديدة حاملة في جوفها بذور ثورات وانظمة واختراعات لاحد لها ولا نهاية . لكن حصول هذه الانقلابات ليس معناهُ فناء ما سبقها وقيام نظام جديد لا علاقةُ لهُ بالماضي . فان الطفرة مستحيلة استحالة تامة . ولكن الانقلابات معناها انهيار بناء متداعٍ نخر السوس في اصلهِ وظهور ابنية جديدة كانت اسسها موجودةً يشعر الناس بها ولكنها لم تكن قد ارتفعت بعدُ واعلنت نفسها . وحتى الابنية القديمة التي تنهار لا تفنى فناء مطلقاً . ومهما كان من شدة حنق الانسانية حين قامت فدكتها فان ذلك لا يمنع هذه الانسانية نفسها حين تراجعها سكينتها من ان تبني لذكرى ذلك الماضي اضرحةً جميلة من الرخام النقي وان تقيم حولها الازهار وتحلّها باشمار رائعة . ذلك لان في الماضي مهما نخر اصولهُ السوس ذكري ابائنا واجدادنا واعزة علينا . فيهِ ذكرى عظماء الانسانية الخالدين . فيهِ ذكرى فرعون وموسى والمسيح ومحمد وشكسبير ونابليون . والماضي هو فوق ذلك فترةٌ من عمر الانسانية ذات اثر خالد في حاضرها ومستقبلها . ومن ذلك يظهر ان التطور ليس استحالةً تامة ولكنهُ فروع جديدة تنمو على الجذع الاصيل مكان فروع اخرى ذبلت وسقطت وتركت في ذلك الجذع القديم الخالد الذي يعز كل جيل من اجيالهِ آثاراً مندملة لا يمكن ان تزول

وحدوث هذا التطور راجع الى ما يلقبهِ جماعة الذين ينظرون الى الحوادث الاجتماعية نظراً سطحيًّا للتضارب بين مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة . فهذه الحركة العظيمة التي يسعى اليها كل واحد من بني آدم للوصول الى مركز عالٍ او ثروة ضخمة او متاع بالحياة كبير مضحيًا في سبيل ذلك بعض الاعتبارات الخلقية واصلاً احيانًا في هذه التضحية الى ارتكاب ما تحرمهُ سنن الاجتماع الادبية بل قواعدهُ القانونية — هي السلّم التي تدرج عليها الجمعية من حالتها البربرية الاولى الى مدنيات مختلفة وصلت الى ما نراهُ اليوم من عظمة السلام وعظمة الحرب. وهي السلّم التي ينتظر ان تصل عليها الى ارقى مما نرى بكثير . لهذا فهما جاهدت الجمعية بقوانينها ووحداتها الايمانية واكراهها المادي والمعنوي تريد ان تخضع الافراد لسلطانها فسيبقى دائمًا في قرارة النفس الفردية شيء كأنهُ يثور على هاتهِ القوانين والقواعد والوحدات وعلى الرغم من هذا الاكراه . لأن هذا الشيء الكمين في النفس والاحساس الداخلي الذي يدفع الفرد مهما خضع لاوامر الجمعية التي هو منها ليثور عليها او ليفعل ما

قد يفسرها والموجود في كل الافراد بكميات مختلفة هو اساس تلك الظاهرة الاجتماعية التي يقوم عليها التطوُّر الانساني · هو نزعة الجنس الى الكمال والتطلع الكمين في نفس الانسانية مأخوذة كوحدة قائمة بذاتها وسط وحدات الكون وعوالمهِ الاخرى يريد بها ان تصل لتحتل مكان القلب والعقل والروح من نفس الوجود كلهِ · على ان هذا الاحساس الدقيق العظيم تخمد جذوتهُ في معظم النفوس وتحول في طريق لا يمكن ان يصل الى الغاية المرجوة في نفوس اخرى في حين هو يوفق كل التوفيق ويصل الى احسن النتائج في نفوس ثالثة · والخمود والتقهقر والنبوغ انما تكون بمقدار استعداد تيارات الجسم للتلقي والاصدار وللتفاعل مع الحوادث سلباً وايجاباً

محمد حسين هيكل المحامي

دكتور في الحقوق

الحياة بعد الموت

ومناجاة الارواح (تابع ما قبلهُ)

قلنا في مقتطف مايو ان السر اوليفر لدج قصد وسيطاً اسمهُ بيترس اكي بوسطهُ في الكلام مع روح ابنهِ وان بيترس هذا لم يكن يعرف مَن هو على قولهِ وكان ذلك في ٢٩ اكتوبر سنة ١٩١٥ مع ان لادي لدج استخدمت هذا الوسيط نفسهُ في ٢٧ سبتمبر اي قبل ذلك باكثر من شهر. وهاك خلاصة ما ورد في كتاب السراوليفر لدج عن هذه الجلسة

دعت مسز كندي لادي لدج ان تجرب وسيطاً يختلف عن الوسطاء الذين استنبأتهم قبلاً واتفقت مع رجل اسمهُ بيترس على ان يأتي بيتها ويغيب فيهِ لاجل صديقة لها لم تعيّنها لهُ · فاتى في الساعة الثالثة بعد الظهر من يوم الاثنين في ٢٧ سبتمبر سنة ١٩١٥ وذهبت لادي لدج وحدها الى بيت مسز كندي قبيل ذلك وانتظرت مجيئهُ ولما جاء لم تعرّفهُ مسز كندي بها · ولهُ مرشد اسمهُ مونستون كما تقدَّم ولم يكن هناك احد غيرهُ الاّ مسز كندي ولادي لدج فاخذت مسز كندي قلماً وقرطاساً وجعلت تكتب ما يقولهُ في غيبوبتهِ · و يعتقد السر اوليفر لدج ان هذه الجلسة مهمة جدًّا لان الوسيط لم يكن يعرف غرَض لادي لدج ولا اسمها · فان كان كما قال وكانت مسز كندي لم تتواطأ معهُ على غشها فالامر في حد الغرابة الاّ اذا غشاها عن غير قصد

قال السر اوليفر ولما جلس بيترس اعتراهُ الذهول حالاً وتجلَّى لهُ مونستون مرشدهُ وذكَّر مسز كندي بما انبأها بهِ قبلاً عن معركة كبيرة تقع في دفنسك بروسيا كانها معركة فاصلة ثم التفت الى لادي لدج وقال

« ما انفع السيرة التي سرتها ولا تزالين تسيرينها فقد كنتِ دائماً معيناً قويًّا. عاشرتِ كثيرين وانت ام الاولاد ودعامة البيت. ولكِ المام بمناجاة الارواح وقد اتصلتِ بها منذ زمنٍ. ارى انكِ ساكنة في غير لندن الى الشمال والشمال الغربي. تقابلين الرجال وانتِ والدة وليس في اللغة كلمة تعبر عن مرادي فانهُ لا يكفي ان يكون للبيت اربعة جدران بل لا بدَّ لهُ من شيءٍ آخر فانتِ عماد البيت. لقد أُصبتِ حديثاً برزيئة كبيرة بوفاة جاءت فجأة. ولم تكوني تتوقعين حدوث ما حدث

« هنا رجل من العالم الآخر ذهب من عالمكم بغتةً ربعة بين الرجال عريض الاكتاف اسيل الخد اقنى الانف غليظ الشفتين متنسق الاسنان فَكِه الحديث ضحوك محبٌّ مضى الى عالم الارواح مسرعاً ولم يكن الموت ليخطرلهُ ببال لانهُ لم يمرض. اتعرفين ماعلاقة الحرف L بهِ. ان ما ساقولهُ الآن اقولهُ عن لسان بولس فقد قال قُل لامي انهُ ليس هنا L واحدة بل اثنتان. قل لامي فهي تحب الاحاجي

« لا يخطر لهم ان يسهلوا الامر عليكِ فانَّ ما يسهل عليكِ يصعب عليهم

« الرجل جندي ضابط ذهب وقت الحرب

« انتِ امهُ أَليس الامر كذلك وهو لا يناديكِ بقولهِ Ma, او Mama او Mater بل Mother, Mother

« هو سكوت ولكنهُ اخبركِ بامور كثيرة جدًّا وانتِ امهُ وصديقتهُ ايضاً

« الم يكن كثير المطالعة اراهُ يضحك ويقول نعم كنتُ كذلك لانني ربيت معهم ولكنهُ لم يقصر اجتهادهُ على المطالعة

« كان يعرف شيئاً عن مناجاة الارواح قبلما مضى لكنهُ لم يكن كثير الثقة بها ولا كثير الاكتراث لها وقد طلب مني ان اقول لكِ ذلك

« ان موقف المستر ستد واضرابهِ حوَّل افكارهُ. فمن الجهة الواحدة كان يرى تطرُّفاً في تصديق كل ما يقال ومن الجهة الاخرى ازدراءً بما يقال لما فيهِ من السخائف

« امسكَ بيدهِ قبضةً من الزيتون رمزاً اليكِ وضحك ثم قال ان لكلمة رولند علاقة

بالزيتون[1] وهذه علامة لك لتعلمي انهُ هو نفسهُ المتكلم

« قبلما اتيتِ كنت في غم شديد . هل مرض ثلاثة اسابيع بعد ما أُصيب . اني ارى الرقم ثلاثة تكرَّر مراراً ولا اعلم ماذا يراد بهِ

فقالت لادي لدج لعلهُ اراد الاورطة الثالثة [2]

فقال « نعم ثم نُقل الى غيرها . وطلب ان تخبري اباهُ بذلك كلهِ ولا تنسي . للبيت الذي ربي فيهِ علاقة كبيرة بالكتب ففيهِ تقرأ وفيهِ تؤَلف . رو بدأ رو بدأ . ذكر كلمة لم افهمها جيداً بلى نُسَخ نُسَخ . وهوذا رسالة الى ابيهِ يقول لهُ فيها لا تاتِ الى هنا لمقابلة الوسيط لانهُ يخاف منك فلا تعلم منهُ شيئاً ولكنهُ لا يخاف منكِ فاذا اراد هذا الرجل ان يخبركِ بشيء فهو ينقل الخبر اليك . عندكم صور لهُ وقبلما ذهب الى الحرب تصوَّر صورتين او ثلاثاً صورتين وحدهُ وصورة مع جماعة (جاء الكلام على هذه الصورة في مقتطف مايو صفحة ٤١٩)

« لما كان صغيراً كان متعلقاً على لعب كرة القدم ونال جوائز لم تزل في بيتكم [3] . أُخبرتم بالتلغراف إما باصابتهِ او بموتهِ . لم يمت حالاً . جُرح ثلاثة جروح لا اظن ان التفاصيل اتتكم حتى الآن . لو طال اجلهُ لاشتهر في العمل الذي انقطع لهُ . ألم يكن لهُ علاقة بالكيمياء ان لم يكن فقد كان احد اقاربهِ متعلقاً بها لانني أرى كل شيء كانهُ في معمل كيماوي[4] وهو رجل لا يزال في الجسد . ويتصل بهِ رجل آخر شاعر وهو هنا ولهُ بهِ علاقة روحية وهو ماهر جداً ومن الذين غادروا انكلترا وقد تكلَّم معكم مراراً وهذا الرجل الذي ينظم الشعر اول اسمهِ حرف M وقد ساعد ابنكِ ان لم يكن ابنكِ قد عرف هذا الرجل فقد عرف عنهُ . ووراء هذا الرجل الشاعر جمهور كبير ولا تعجبي اذا جاءتك رسائل منهم ولو كنتِ لا تعرفينهم وما يأتي امر ضروري ولذلك سأتكلم متمهلاً حتى تسهل كتابة كل كلمة أقولها

---

(١) المقتطف كلمة زيتون بالانكليزية اولف Olive واسم اوليفر مركب منها ورولند اسم عائلة اخرى اقترن واحد منها حديثاً بابنة اوليفر لدج

(٢) كان في الاورطة الثالثة وهو يتمرَّن ثم نقل الى الثانية لما ذهب الى ميدان القتال

(٣) قال السر اوليفر لدج « ان ذلك غير صحيح » . واكثر شبان الانكليز مولع بلعب كرة القدم وينال بعضهم الجوائز فذكر الوسيط ما رجح وقوعهُ (٤) السر اوليفر لدج مشهور بانهُ من كبار علماء الطبيعة والكيماويين وقلَّ من لا يعرف ذلك من الانكليز

« ان الحاجز رقيق جداً حتى يُسمع ما يقال وراءهُ وليس ذلك فقط بل قد ثغر ثغرة واسعة »

هذه رسالة للرجل المشتغل في العمل الكيماوي

« والفتى (وانا اسميهم كلهم فتياناً لانهُ مضى عليَّ هنا اكثر من مئة سنة فكلهم فتيان بالنسبة اليَّ) يقول « كان الامر قبلاً متعلقاً بالراس اما الآن فصار متعلقاً بالقلب وزد على ذلك (وهنا نهض بيترس بغتةً وعض اصبعهُ وصاح قائلاً « بالله الآن صار ابي اقدر مما كان على المجاهرة بما يريد لان الامر يمس القلوب »

فقالت لادي لدج أيريد ان يجاهر أبوهُ بهذا الامر

فقال « نعم ولكن ليس الآن وستأتيكم بينات يستحيل نقضها . واسمهُ كافٍ لنفي كل هذه المقاومات السخيفة

« لم اتألم كثيراً ولقد رتَّبت كل اموري قبل ذهابي (١)

« ألهُ اخت عندكم واخت هنا . اختهُ هذه كانت طفلة حتى لا تُحسَب معهُ

« لهُ اختان واحدة على كل جانب واحدة في الظلمة وواحدة في النور (٢)

« ابنتك واقفة على احد جانبيهِ وبولس على الجانب الآخر وهو بينهما وقد انحنى وقبَّلك هنا (وأشار إلى جبينهِ)

« قبلما سافر عاد الى البيت هنيهة . ألم يأتِ ويقم ثلاثة ايام »

ثم جعل يصف ثلاثة بيوت سكناها البيت الذي نحن فيهِ الآن والبيت الذي كنا فيهِ في لفربول وبيتاً ثالثاً سماهُ بيت امهِ ولكن الكلام كان مشوشاً إما لان لادي لدج لم تفهمهُ جيداً او لان الكاتبة لم تستطع تتبع المتكلم . ثم استطرد الى امور طفيفة لا شأن لها . انتهى

التكلم بواسطة المائدة

يضع الوسطاء والذين يناجون الارواح بواسطتهم ايديهم على مائدة صغيرة ويتفقون على ان تحرّك المائدة احدى ارجلها اذا ارادت ان تقول كلمة نعم ورجلاً اخرى او اكثر اذا ارادت ان تقول كلمة لا . وعلى انهم يتلون عليها حروف الهجاء حرفاً حرفاً فتحرك احدى ارجلها عند تلاوة كل حرف ما عدا الحرف المراد ثم يجمعون هذه الحروف المرادة فيكون منها الكلام الذي تريد المائدة ان تقولهُ . ولا يدعي السر اوليفر لدج ان المائدة تحرك ارجلها

(١) قال السر اوليفر لدج ان ابنهُ كتب وصيتهُ ورتب كل اموره قبلما ذهب الى الحرب

(٢) قال السر اوليفر انهُ ولد لهُ ابنة قبل ريمند اسمها ڤيولت ولم تزل حية وولد لهُ ابنة اخرى بعد ريمند وماتت بعد ولادتها ببضعة اشهر وهو اصغر ابنائهِ والابن الوحيد لهُ الذي ولد بين ابنتين

من تلقاء نفسها ولا ان الروح تحركها بل ان يد الوسيط او يد احد الحضور تحركها . والفرق بيننا وبينهُ في تعليل حركة المائدة انهُ هو يعتقد ان روح الميت تحركها بواسطة يد الوسيط او يد احد الحضور لانها قد تنبئ باشياء لا يعرفها الوسيط ولا الحضور ونحن نقول ان الوسيط او الحضور يحركونها اما افتعالاً بارادتهم اذا كانوا خادعين او اعتباطاً على غير ارادتهم كما يفعل بعض الذين يمشون وهم نيام وكما يفعل المصابون بالبحران والذين يستهوَوْن . وتبقى مسألة انباء المرء بما لا يعلمهُ ونحن نعلل هذا الانباء اما بانهُ يعلمهُ ويدعي انهُ لا يعلمهُ خداعاً منهُ واما انهُ مرَّ بهِ فعلمهُ ونسيهُ ثم يذكرهُ وهو في حالة الذهول اي انهُ علمهُ بعقلهِ الباطن ولم يدرك انهُ علمهُ ثم يذكرهُ وهو في حالة الذهول لان قوى العقل الظاهر تذهل حينئذٍ وتتنبَّه قوى العقل الباطن . وقد شرحنا ذلك غير مرة وسنعود الى شرحهِ بالاسهاب في فرصة اخرى . واذ قد تمهَّد ذلك نذكر خلاصة ما كتبهُ السر اوليفر لدج عن بعض الجلسات التي جلسها هو واهل بيتهِ وكلموا فيها روح ابنهِ بواسطة المائدة

جلس السر اوليفر لدج وزوجتهُ حول مائدة في ٢٨ سبتمبر سنة ١٩١٥ في بيت مسز ليونارد وكان الدكتور كَنَدي حاضراً يكتب الحروف التي يقال ان المائدة دلت عليها . وكانت المائدة صغيرة من العيدان سطحها مربَّع طول كل ضلع من اضلاعهِ قدم ونصف قدم وقد جلس حولها السر اوليفر لدج ولادي لدج متقابلين وجلست مسز كَنَدي الوسيطة ومسز ليونارد متقابلتين وهاك الحديث الذي جرى حينئذٍ

الوسيطة — تخاطب الروح المرشد لها « اضرب ثلاث ضربات للدلالة على انك فهمت

فضربت المائدة ثلاث ضربات برجلها

الوسيطة — اتريد ان تذكر اسمك

فضربت المائدة ثلاث ضربات وهي كلمة نعم

الوسيطة — احسنت فاذاً نتلو حروف الهجاء

فتلتها مسز ليونارد وكانت المائدة تتحرك عند تلاوة كل حرف ووقفت اولاً عند الحرف P ثم عند الحرف A ثم عند الحرف U ثم عند الحرف L فاسم المرشد Paul اي بولس ابن مسز كندي المذكورة قصتها في مقتطف مايو

السر اوليفر — احسنت يا بولس نحن نعرف مَن انت . وانت تعرف مَن نحن ونعرف ايضاً انك اتيت بريمند لكي تساعدهُ

المائدة — نعم

لدج — نحن الذين هنا نعلم ذلك وقد اقمت لنا البيّنات الكافية ولكنني جئت الآن لتأتيني ببينات تقنع اهل بيتي

المائدة — نعم

لدج — اتريد ان تقول شيئاً قبل ان اسألك سؤالاً

سكوت

ثم اهتزت المائدة اهتزازاً مفهومهُ انها تريد ان تتلى عليها حروف الهجاء فتليت مراراً وكتب الدكتور كندي الحروف التي وقفت عندها فاذا مجموعها ما ترجمتهُ « ريمند يريد ان يأتي بنفسهِ » . وحينئذ صرخت لادي لدج قائلة يا حبيبي ريمند وتنهدت على غير ارادتها فقالت المائدة لا تتنهدي اي وقفت عند حروف الهجاء التي مجموعها لا تتنهدي وعلم من ذلك ان روح ريمند هي التي صارت ترشد الوسيطة في تحريكها للمائدة

لادي لدج — أتنهدتُ

لدج — نعم ويجب ان لا تبدي شيئاً من دلائل الحزن لانهُ لا يريد ذلك لاسيما وانهُ على غاية ما يرام وانا مسرور لان لنا ولداً هناك

المائدة — نعم

لدج — اطمأن بال امك يا ريمند الآن

المائدة — نعم

لدج — أأشرع اذاً في السؤال

المائدة — نعم

لدج — انتبه واجبني على مهلك ماذا كان الاولاد يسمونك

المائدة — Pap [1] ثم اهتزت كأَنها شعرت بخطإٍ في قولها

لدج — لا مانع جرّب ثانيةً

فوقفت المائدة عند الحروف Pap ولكنها اهتزت اهتزاز الريب . وتليت الحروف عليها فوقفت عند الحروف Pas

لادي لدج — اعطيتنا حرفين صحيحين يا حبيبي فاجتهد واعطنا الحرف الثالث صحيحاً وتليت الحروف فوقفت المائدة عند الحرف t

(١) هذه الكلمة تطلق غالبًا في البيوت الانكليزية على الولد الاصغر كأن الوسيطة كانت تعلم ان الولد الاصغر فحركت المائدة كذلك ولكن امهُ كانت تعلم انهُ كان يسمى باسم آخر فانكرت حركة المائدة

لادي لدج — نعم اصبت

(وقال السر اوليفر لدج ان هذا هو الصواب وهو وزوجتهُ يعرفانهِ ولكن الوسيطة لا تعرفهُ وفاتهُ ان الذي اوقف المائدة عند حرف t هو يدهُ او يد زوجتهِ لا يد الوسيطة)

لدج — احسنت أأسألك سوءالاً آخر

المائدة — نعم

لدج — اتذكر اسم اخ من اخوتك

وتليت حروف الهجاء فوقفت عند الحروف Norma

فظن السر اوليفر ان الحرفين r و m خطأ فقال مخاطباً روح ابنهِ لقد التبس الامر عليك فاذكر الحروف مرةً اخرى

فاعيدت تلاوة الحروف فوقفت المائدة عند الحروف Noel

فقال لدج — « اصبت » ثم اشارت المائدة الى انها تريد ان تتلى الحروف عليها فتليت ووقفت عند حروف ظن الدكتور كندي ان معناها اسرعوا في السوءال

لدج — اذا تريد ان نسألك ايضاً فاذكر لنا اسم ضابط من الضباط

فوقفت المائدة عند حروف Mip ثم اشارت الى ان ذلك خطأ وقال السر اوليفر ان الحرف الاخير ليس p فوقفت المائدة ثانية عند حروف Michell

لدج — فاسم الضابط اذاً متشل

المائدة — نعم

لدج — أكان في رتبة كبتن

فلم تتحرك المائدة — فقال — أكان في رتبة ملازم ثانٍ فترددت في الجواب بين السلب والايجاب

لدج — مرادي الآن ان اذكر اسماً ولي من ذكرهِ غرض . اتذكر اسم كاس Case

المائدة — نعم

لدج — اتريد ان تخبرنا شيئاً عنهُ

المائدة — نعم

لدج — اذاً نتلو حروف الهجاء . فتليت واذا معنى العبارة التي وقفت المائدة عند حرفها « ان امورهُ ماشية على ما يرام » ثم قالت هو ههنا

لدج — أهو عندكم

المائدة — كلاَّ . هو هنا تكلموا

وقالت مسز كندي ان المراد ان ريمند هنا و يطلب منكم ان تتكلموا

لدج — كيف رأيتهُ آخر مرة المائدة — نعم

لدج — اتريد ان تقول شيئاً خاصاً اوهل ابلغت كاس امراً خاصاً المائدة — نعم

لدج — وما هو

فارتبكت حركات المائدة وذكرت الفاظاً لا معنى لها . وقال لدج انهُ يظهر لي كأن ريمند نسي ما قالهُ لكاس وهو يبحث دماغهُ الآن ليتذكرهُ ولذلك ندمت على الدخول معهُ في هذا الموضوع فساقودهُ الى موضوع آخر يسرهُ الخوض فيهِ ثم قال اتريد ان تذهب امك وترى احد اصدقائك

وعلى اثر ذلك ذكرت المائدة اسماء كثيرة ولكن السر اوليفر لم يشأ ان يتكلم عنها لان الحضور كانوا يعرفونها فقال لابنهِ اترغب يار يمند في فورد (نوع من الاتوموبيل)

فقالت المائدة — نعم بعد ما توقفت مدة كأنها لم تدرك المراد

لدج — ألم تتعب المائدة — كلا (بصوت عالٍ اي تحركت حركة عنيفة)

لادي لدج — انا لا اعرف متشل يا ريمند المائدة — لا

لدج — اذاً هذا بينة كبيرة المائدة — نعم

لدج — اهذا هو سبب اختيارك لهُ المائدة — نعم Arr

الوسيطة — كلا هذا لا يحتمل ان يكون صحيحاً

لدج — قد يحتمل ان يكون صحيحاً فدعيهِ يتكلم

المائدة — oplane (صارت الكلمة اروبلان اي طيارة)

فلم تفهم لادي لدج المراد وقلت انهُ اخذ يمزح على جاري عادتهِ ثم قالت هل ترانا يا ريمند

المائدة — نعم

لادي لدج — ارأيت انني اكتب لك المائدة — نعم

لادي لدج — انستطيع ان تقرأ ما كتبتهُ لك المائدة — نعم

لادي لدج — كيف تقرأهُ . اتقرأهُ بالتطلع من فوق كتفي

فطلبت المائدة ان تتلى عليها حروف الهجاء ووقفت عند حروف معنى مجموعها انني اشعر بهِ شعوراً

لادي لدج — انستطيع ان تكتب بواسطة يدي يوماً ما سكوت

لادي لدج — على كل حال لا مانع لديك من ان اجرّب   المائدة — نعم

لدج — أانت مشغول جدًّا هناك   المائدة — نعم

لدج — اني عازم ان اسألك عن شخص آخر   المائدة — كلا

لدج — ألا تريد . لا بأس اني اسألك سؤَالاً آخر هل لقيت احداً من اصدقائي الاخصاء   المائدة — نعم

لدج — اذكر حروف اسمهِ   المائدة — ميرس وغرا

فظن لدج ان المائدة اخطأت وقال هل مرادك وغرني

المائدة — Grand father (جدي) اي جد ريمند

لدج — اتعني جدك اذاً   المائدة — نعم

لادي لدج — أهو مع ميرس وغرني   المائدة — كلا

لادي لدج — اي جدَّيك تعني اذكر الحرف الاول من اسمهِ   المائدة — W

لادي لدج . يا حبيبي يا أبي — لا بدَّ من انهُ يأتيك و يساعدك

لدج — اتفضّل التكلم بواسطة المائدة على التكلم بواسطة فدى   المائدة — نعم

لدج — اتذكر الجلسة مع امك امس   المائدة — نعم

لادي لدج — اتذكر كلمة اوليفز Olives   المائدة — نعم

لادي لدج — ماذا تعني بها   المائدة — اوليفر Oliver

لادي لدج — فهمنا الآن ان واحداً من بيت رولند يقترن بواحدة من بيت اوليفر   المائدة — نعم

لدج — اذاً لم تشر الى ايطاليا   المائدة — كلا

لدج — ولكنك تحب ايطاليا   المائدة — نعم

لدج — اتذكر احداً في ايطاليا بنوع خاص فاذكر اسمهُ   فذكر اسماً صحيحاً

لدج — اشرح لنا كيف تخاطبنا بواسطة المائدة

قال لدج فجعلت المائدة تتحرّك والحروف التي تقف عندها تجمع ولكنها كانت كثيرة فلم يستطع الجلوس ان يتتبعوها كلها ولكنهم تتبعوا ما ترجمتهُ « انتم كلكم تعطون المغنطيسية للوسيط فتذهب الى المائدة ونحن نستخدمها »

لدج — اني لا احسب ذلك مغنطيسية ولكن يظهر انهُ لا مانع عندك من اطلاق هذا اللفظ عليهِ على ما يظهر   المائدة — كلا

لدج — ان ام بولس تريد ان تتكلم انت بواسطتها حينما تشاء وهي تنقل كلامك الينا فاذا اردت ان تخبرنا شيئاً فكلم بولس وهو يكلمها المائدة — نعم

وسئل عن اسمي اختيهِ فذكر اسميهما ولكنهُ ذكر اسم احداهما هكذا Rosalind وبيت لدج يكتبونهُ Rosalynd كأن الوسيطة تعرف لفظ الاسم ولا تعرف تهجيتهُ وهذا وحدهُ يكفي للدلالة على ان المحرك لم يكن روح ريمند بل ارادة الوسيطة نفسها لكن السر اوليفر لدج لم ينتبه لمفاد ذلك

لادي لدج — اتقدر ان تراني يا ريمند ولو لم اكن مع الوسيطة المائدة — احياناً

لادي لدج — اظنك تعني انك تراني حينما افتكر بك المائدة — نعم

لادي لدج — اذاً تراني كثيراً لانك لا تبرح من بالي المائدة — نعم بصوت عالٍ

لدج — قل لميرس وغرني اني مسرور بما سمعتهُ عنها و بانهما يساعدانك

المائدة — نعم

لادي لدج — قدّم شكري الى بل لغرني لاجل الرسالة التي وصلتني منهُ منذ مدة

المائدة — نعم

لدج — حسبُك وقد صار عليك ان تستريح المائدة — نعم

لادي لدج — نم نومة من نوماتك المشهورة المائدة — نعم (بصوت عالٍ)

وعلّق السر اوليفر لدج على هذه الجلسة كلاماً يتعلق باسم متشل والاروبلان وقال انهُ لم يكن يعلم من هو متشل هذا ولا كان احد من الجلوس يعرف من هو . و بعد البحث والتحري علم في ١٠ اكتوبر من حافظ مكتبة لندن ان في فرقة الطيران رجلاً برتبة ملازم ثانٍ اسمهُ متشل فكتب السر اوليفر اليهِ فاتاهُ جواب منهُ في ٦ نوفمبر يقول فيهِ « اظنني لقيت ابنك مرةً ولكنني نسيت اين لقيتهُ وقد كادت جروحي تشفى وأُعدت الى انكلترا برتبة كبتن وقد تأخر كتابك عن الوصول اليَّ لانهُ ارسل الى فرنسا اولاً الخ »

نقول فان كانت روح ريمند قد ارادت متشل هذا حقيقةً ولم يكن احد من الحضور حول المائدة يعلم مَن هو فذكر اسمهِ ممَّا يعسر تعليلهُ بالامور المعروفة . ولكن لا دليل على انهُ هو المراد ولا دليل على انهُ لم يكن احد من الحضور يعلم هذا الاسم . ولا نرى ما هي الحكمة من ذكر اسم رجل لا يعرف ريمند ولا يكاد يتذكر انهُ رآهُ في حياتهِ . ولا شبهة ان ريمند تعرَّف بكثيرين من الذين لا يعرفهم الجلوس حول المائدة فلماذا اختار هذا الرجل دون سواهُ . وسنقتطف من جلسات اخرى ما ظاهرهُ ادلُّ على تأييد السر اوليفر لدج ممَّا تقدم

خطبتان نفيستان

للمستر لويد جورج رئيس الوزارة الانكليزية

ولد المستر لويد جورج رئيس الوزارة الانكليزية الحالي في منشستر سنة ١٨٦٣ وكان ابوهُ معلماً وامهُ ابنة قسيس . توفي ابوهُ وهو طفل فكفلهُ خالهُ ورباهُ حتى اذا بلغ الرابعة عشرة أنفق عليهِ لدرس المحاماة . فدرسها ونال شهادتها سنة ١٨٨٤ وانتخب سنة ١٨٩٠ في البرلمان واعيد انتخابهُ سنة ١٨٩٢ وسنة ١٨٩٥ وسنة ١٩٠٠ . واشتهر بدفاعهِ عن حزب وبلس الوطني وعن استقلال كنيستها . واشتهر في البرلمان بجسارتهِ وشدة اندفاعهِ في معارضة المحافظين . وبلغ ذلك منهُ غايتهُ في حرب البوير فعارض المستر تشمبرلن اعظم معارضة ودافع عن البوير بكلام مرّ قارص وجَّههُ الى رجال الوزارة فثارت خواطر الجمهور عليهِ حتى انهُ لما حاول الخطابة في برمنهام في انتخاب سنة ١٩٠٠ قاومهُ الحاضرون فاضطر ان يفرّ منهم ولكن اعيد انتخابهُ في بلدهِ وزادت شهرتهُ في البرلمان التالي بمقاومتهِ لمشروع قانون التعليم

ولما فاز الاحرار في انتخاب سنة ١٩٠٦ وتولى السر هنري كمبل بنرمن رياسة الوزارة جُعل وزيراً للتجارة . وبعد ذلك بسنتين توفي السر هنري وخلفهُ المستر اسكويث فجعلهُ وزيراً للمالية . ومن اشهر آثارهِ في وزارة المالية ادخالهُ مشروع القانون الخاص بمعاشات الشيوخ . على ان اشهرها والذي جعل اسمهُ حديث الانكليز في كل مكان مشروع القانون المسمّى بقانون البرلمان وخلاصتهُ ان المستر لويد جورج بصفة كونهِ وزيراً للمالية اراد سدّ العجز في ميزانية سنة ١٩٠٩ — ١٩١٠ وقدرهُ ١٦ مليون جنيه بضرائب جديدة يقع معظمها على اكتاف الاغنياء . فاقترح زيادة ضرائب الاشربة الروحية والدخان والرخص والاملاك والتركات والايراد زيادة كبيرة وفرض رسوم جديدة كبيرة على اراضي البناء في المدن مما ثمنهُ كبير ورسومهُ صغيرة . فقامت قيامة مجلس النواب على الميزانية الجديدة وكان المستر لويد جورج قد سماها « ميزانية الحرب » ولقبها انصارهُ « ميزانية الشعب » اشارة الى ما فيها من مبدإ تحميل الاغنياء حمل الفقراء . واخيراً وافق مجلس النواب عليها فارسلت الى مجلس الاعيان ليوافق عليها ايضاً حسب العادة وفي تقاليد البرلمان الانكليزي انهُ يجوز لمجلس الاعيان رفض اللوائح المالية اذا شاء ولكن لا يجوز لهُ تنقيحها . ولم يسبق لمجلس الاعيان من قبل ان رفض ميزانية ما ولكنهُ رفض هذه الميزانية باكثرية عظيمة .



الوزير لويد جورج وخالهُ

مقتطف يونيو ١٩١٧

امام الصفحة ٥٦٤

فاحتجّت الوزارة على عمله وعرضت الامر على الامة بان فضّت البرلمان واعادت الانتخاب لتقف على رأيها فيه ففاز الاحرار بمعونة حزب العمال والحزب الارلندي

وفي خلال هذا النضال توفي الملك ادوارد السابع ورقي الملك جورج الخامس سرير الملك فسنّ الاحرار قانوناً يقضي بانهُ اذا عرض مشروع قانون ماليّ على مجلس الاعيان ثلاث مرات في خلال سنتين يصبح قانوناً بعد موافقة مجلس النواب عليهِ ولو رفضهُ مجلس الاعيان . فبات مجلس الاعيان بذلك مغلول اليدين في الشؤون المالية وهي الغاية التي كان احرار الانكليز يسعون اليها منذ زمان طويل

ومما اشتهر بهِ المستر لويد جورج ايضاً تهديدهُ لالمانيا في مسئلة اغادير المشهورة . فانها ارسلت احد طراداتها الى ميناء اغادير من موانئ المغرب الاقصى على الاتلانتيكي في صيف سنة ١٩١٢ تمهيداً لعمل عدواني تقوم بهِ هناك . فدارت المفاوضات بين فرنسا وانكلترا وروسيا وكانت تسمَّى حينئذٍ دول الاتفاق الوديّ وكانت نتيجتها ان قام المستر لويد جورج خطيباً في لندن وافهم المانيا بصريح اللفظ ان انكلترا تقاوم بالقوة كلَّ عداءٍ يبدو منها ضدّ فرنسا . فاستدعت المانيا طرادها من اغادير وانتهت الحادثة ظاهراً عند ذلك الحدّ . وواقع الامر ان المانيا اسرعت من ثمَّ في استعدادها حتى اثارت الحرب الحاضرة

ولما نشبت الحرب كان المستر لويد جورج لا يزال وزيراً للمالية ثم جرى في الوزارة ما جرى من التغيير والتبديل للمرة الاولى فتألفت وزارة من الاحرار والمحافظين وبقيت تحت رآسة المستر اسكويث . وبقي اللورد كتشنر وزيراً للحربية . ثم لما استعفى المستر اسكويث جعل المستر لويد جورج رئيساً للوزارة ولا يزال يتولى هذا المنصب الى الآن

اما خالهُ المشار اليهِ فتوفي في آخر فبراير الماضي عن ٨٣ سنة فشهد المستر لويد جورج جنازتهُ هو وقرينتهُ وقبل الجنازة كتبت قرينتهُ كتاباً تعتذر فيهِ عن حضور حفلة كانت وعدت بحضورها وقالت في كتابها هذا مشيرة الى الفقيد « لقد كان لنا خيراً من أب والمستر لويد جورج مديون لهُ بكل ما لديهِ »

الخطبة الاولى

ولقد خطب المستر لويد جورج حديثاً خطبتين نفيستين الاولى خطبها يوم ١١ ابريل الماضي في النادي الاميركي المعروف باسم « اميركان لنشن » في لندن على اثر انضمام الولايات المتحدة الاميركية الى الحلفاء في محاربة المانيا وحليفاتها قال فيها :

« اضرم الجيش البروسي في العصر الاخير ثلاث حروب رمى فيها كلها الى تدويخ

البلدان وفحها وقد اختلب منظر الكتائب العسكرية التي تسير في شوارع مدن بروسيا وميادين الاستعراض فيها عقول البروسيين · ولما رأى الامبراطور هذا المنظر العسكري العظيم في ميادين الاستعراض ثمل منهُ فاخذ يسن الشرائع للعالم كأن بوتسدام صارت جبل سيناء او كأنهُ ينطق بالوحي من غمامة يقصف منها الرعد

« لا تظنوا ان اوربا كانت جاهلة معنى هذه الامور ومغزاها · وكل ما جهلتهُ منها موعد انقضاض الصاعقة · لقد صبرت اوربا على هذا الخطر والاستبداد خمسين سنة وشل هذا الخطر قوى الدول كلها وغل يدها وكان حقها ان تبذل قواها في ترقية شعوبها واسعاد حالهم · وماذا اقول عن فرنسا · ان الفرنسويين وحدهم يستطيعون ان يصفوا لكم ما تحملوهُ من هذا الاستبداد بصبر وشجاعة ورباطة جأش حتى حانت ساعة الخلاص وفيها وُجهت جميع قوى فرنسا الدمقراطية الى الدفاع عن نفسها ودرء الخطر الدائم · فهذه ايها السادة الحالة التي تعيَّن علينا ان نتلافاها

« ان من اهم ما ابتكر البروسيون ومن اعظم الامور دلالة على اخلاقهم ما يدعى « خط هندنبرج » فما هو خط هندنبرج هذا ? هو خط مرسوم في بلاد السوى كتب عليهِ ان اهل تلك البلاد اذا حاولوا اجتيازهُ يستهدفون للتهلكة · وقد رسم هذا الخط في اوربا منذ خمسين سنة · وبعد ما جرت اوربا على هذه الحال كل هذه المدة استقر قرارها اخيراً على ان يرسم خط هندنبرج على حدود المانيا الشرعية · هذا هو السبيل الوحيد الى تحرير اوربا وسائر انحاء العالم

« واخيراً أُكرهت اميركا على معاناة ما عانتهُ اوربا فأُبلغ الاميركيون انهُ يحظر عليهم عبور الاوقيانس الاتلنتيكي ذهاباً او اياباً واذا فعلوا استهدفوا للهلاك وان بواخرهم تغرق بلا إنذار وان رعاياهم يغرقون بها من غير اعتذار كأن ذلك حق من حقوق الالمان · ولم تكد اميركا في اول الامر تصدّق ما قيل لها وابت ان تعتقد ان شعباً فيهِ مسكة من العقل يتصرف هذا التصرف فصبر الاميركيون على هذه الحال مرة وسكتوا عليها مرتين ولكن تبين لهم ان الالمان ينوون حقيقة تنفيذ ما يقولون وحينئذٍ عمدت اميركا الى العمل وعملت بحزم وعزم · فان الالمان رسموا خط هندنبرج على سواحل اميركا وقالوا للاميركيين اياكم ان تجاوزوهُ فقالت اميركا « وما هذا ? » فاجابت المانيا « هذا خطنا الذي لا يجوز لكم ان تتخطوهُ » فردت اميركا قائلة « ان مكان هذا الخط ليس في الاوقيانس الاتلنتيكي بل على نهر الرين وسنساعدكم على اعادتهِ الى هناك » ثم شرع الاميركيون ينفذون قولهم

« ان لدينا حقيقتين عظيمتين تؤيدان ما يقال من ان هذه الحرب نزاع عظيم لاجل الحرية واولى هاتين الحقيقتين ان اميركا انحازت الى المدافعين عن الحرية وما كانت لتنحاز اليهم لولا ذلك . والحقيقة الثانية هي الثورة الروسية فان فرنسا كانت دولة مطلقة لما ارسلت جنودها في القرن الثامن عشر الى اميركا ليقاتلوا لاجل حرية تلك البلاد واستقلالها ولكن لما وصل الفرنسويون الى اميركا صارت الحرية غرضهم الاكبر وصاروا يتنشقون هواء الحرية وصار الهامهم الحرية فالفوا الحرية وصاروا يستطيبونها وعادوا بها الى اوطانهم فتحررت فرنسا . وهذا ما اصاب روسيا فقد خاضت غمار هذه الحرب العظيمة دفاعاً عن حرية سربيا والجبل الاسود وبلغاريا . حارب الروس دفاعاً عن حرية اوربا فراموا ان يحرروا بلادهم وقد فعلوا

« ان الثورة الروسية ليست نتيجة نزاع لاجل الحرية بل برهان على نزاع عظيم لهذا الغرض . واذا ادرك الشعب الروسي ان حفظ النظام الوطني لا يناقض الحرية الوطنية بل ان هذا النظام ضروري لسلامة الحرية الوطنية وتوطيد اركانها — اذا ادرك الشعب الروسي هذه الحقيقة فانهُ سيصير شعباً حرًّا حقًّا . وجميع الدلائل تدل على انهُ مدركها

« سألت نفسي قائلاً ترى لماذا احرجت المانيا اميركا عمداً في العام الثالث من اعوام الحرب وتحدتها حتى دفعتها الى اعلان الحرب — اقول عمداً واكرر هذا القول

« فقد عللوا ذلك بان المانيا كانت تعتقد ان في البلاد الاميركية عناصر تجعل اضرام الحرب من جانب الولايات المتحدة مستحيلاً وهو تعليل لا يقنعني ولا اصدقهُ . ولكن المرشال هندنبرج وافانا بالجواب في حديث غريب . فقد تبين من هذا الحديث ان المرشال هندنبرج معتمد على احد امرين الاول ان الغواصات ستفتك ببواخر الشعوب فتكاً يشل انكلترا قبل ان تتأهب اميركا حاسباً ان اميركا لا تستطيع التأهب في اقل من سنة فدل بذلك على انهُ يجهل اميركا . والامر الثاني انهُ متى تأهبت اميركا في آخر الحرب فلا يبقى في الدنيا بواخر لنقل جيشها (الى اوربا) وقد قال ان اميركا لا يعتد بها وعنى بذلك ان اميركا لا تملك البواخر اللازمة للعمل وهذا كان حسابهُ

« ولا يجدر بنا ان نعتقد ان هيئة اركان الحرب في الجيش الالماني اذا اخطأت فان خطأها جاء عفواً . فيحسن بالحلفاء والحالة هذه ولا سيما انكلترا واميركا ان يثبتوا الخلل في حساب المرشال هندنبرج هذا كما فعلوا بحسابهِ في خطهِ الشهير الذي خرقناهُ

« ان الطريق الى النصر وضمان النصر والنصر الاكيد تجمع في كلمة واحدة وهي

البواخر. وقد ادرك الاميركيون ذلك بدقة نظرهم وعزموا على انشاء الف باخرة حمولة كل الواحد منها ٣٠٠٠ طن للسفر في الاوقيانس الاتلنتيكي. وعندي ان الالمان ورجال العسكرية فيهم اخذوا يرون الآن وجه الخلل في حسابهم وان هذا الخلل سيؤدي بهم الى البوار والدمار وان الشعب البريطاني شعب بطيء كثير الخطإ ولكنهُ يدرك غرضهُ اما الاميركيون فاسرع منهُ الى ادراك غرضهم. وهذا هو الباعث على سروري بدخول اميركا فقد واصلنا الحرب ثلاث سنوات وكفَّرنا عن كل خطاء وقطعنا شوطاً كبيراً في سبيل النجاح ونحن الآن نسير في السبيل القويم

« وليسمح لي الاميركيون ان اقترح عليهم ان يتمموا النظر في الغلط الذي ارتكبناهُ ويبدأُوا حيث وصلنا الآن لا حيث كنا منذ ثلاث سنوات. ويسرني ان اميركا سترسل بعض رجالها العسكريين والبحريين من ذوي الخبرة الى بريطانيا العظمى لمفاوضة رجالنا الذين خبروا الحرب ومشاقها ومتاعبها في الاعوام الثلاثة الماضية »

وبعد ما جاهر بما لاميركا من الفضل على الحلفاء وتجهيزها اياهم بالمدافع والذخيرة قال « ان اليوم الذي تحدَّت فيهِ بروسيا جمهورية الغرب العظمى الكثيرة الخصب والعظيمة الموارد كان يوماً اسود على استبداد بروسيا العسكري فاننا نعلم ان اميركا ستضرم حرباً عظيمة مقرونة بالنصر وتكفل صلحاً دائماً . ويسرني ان اميركا ستكسب حق الجلوس في مؤتمر الصلح الذي يبت مصير الامم ومستقبل الجنس البشري لعصور لا يعلمها الاَّ علاَّم الغيوب . ولو امتنعت اميركا عن دخول الحرب لكان امتناعها نكبة على الانسانية

« اني ارى السلم المقبل ولكنهُ لا يكون فاتحة حرب اخرى بل يكون السلم الحقيقي الذي ينشدهُ العالم. ان العالم قديم الوجود ولكنهُ لم يتمتع بنعمة السلم قط بل كان يضطرب ويموج كامواج البحر وقد عاشت اوربا المسكينة كل عمرها تحت السيف المصلت

« لقد نشبت الحرب الحاضرة لان ثلثي اوربا كانا خاضعين للحكم المطلق اما الآن فقد انقلب الحال وصارت الدمقراطية عنوان السلام

« ان دمقراطية فرنسا لم تكن تبغي الحرب ودمقراطية ايطاليا ترددت كثيراً قبل ان خاضت غمارها ودمقراطية بريطانيا العظمى احجمت عنها وارتعشت وما كانت لتدخلها لولا غزو المانيا للبلجيك. فالدمقراطية طلبت السلم وجاهدت في سبيل السلم ولو كانت بروسيا دمقراطية لما وقعت الحرب ولكن هذه الحرب ولَّدت العجائب وستأتينا بما هو اغرب مما شاهدنا وهو آتٍ قريباً

« وفي التاريخ عصور يسير فيها العالم سيرهُ المقرر لهُ ببطء واتئاد حتى لقد يخيل الى الناس انهُ وقف قروناً برمتها في مكانهِ · وفيهِ عصور يسير فيها بسرعة مدهشة و يقطع في سنة ما يقطعهُ عادة في قرون ‑ فمنذ ستة اسابيع كانت روسيا حكومة مطلقة اما الآن فهي من اشد دمقراطيات العالم مبالغة في الدمقراطية · اننا اليوم نثير اعظم حرب عرفها العالم في فتكها ودمارها وغداً قد تمحى الحرب من جدول الجنايات البشرية وهذا يشبه اشتداد سورة الشتاء في آخر فصلهِ قبل ان يتغلب الصيف عليهِ

« قيل عن الابطال الذين احرزوا النصر وهم من كندا واستراليا وهذه البلاد التي اثبتت انها مع شيخوختها لم تنحط ولم تهرم — قيل عن هؤلاء الابطال انهم حملوا ساعة الفجر ليخرجوا من بقعة مساحتها اربعون ميلاً مربعاً من ارض فرنسا اولئك الاثام الذين دنسوها مدة ثلاثة اعوام · نعم هجم اولئك الابطال عند الفجر · ان في هذا القول لعبرة فان تباشير الفجر لاحت بالقضاء على الحكم التركي الذي ظل بضعة قرون كغمامة حجبت نور الشمس عن أبهى بلدان العالم وبتملص روسيا من الاستبداد الذي كفنت بهِ منذ زمان طويل وبالاعلان المعظم الذي جاهر بهِ الرئيس ولسن ودخول أُمة عظيمة في حرب الحرية — هذه كلها تباشير الفجر

« لقد هجم اولئك الابطال عند الفجر وهم يسيرون الى الامام بنور ذلك الفجر وعما قريب يخرج الفرنسويون والاميركيون والايطاليون والروس نعم والسربيون والبلجيكيون واهل الجبل الاسود والرومانيون — من نور الفجر إلى نور الشمس الساطع » انتهى ملخصاً

الخطبة الثانية

وخطب خطبتهُ الثانية في دار بلدية لندن في اواخر ابريل وذلك في الحفلة التي أُقيمت ابتهاجاً بمنحهِ حرية مدينة لندن · وهاك ملخصها :

ان التصربات مكفولاً لنا والمشكلة الكبرى التي يطلب مناحلها هي مشكلة الغواصات ونحن مصممون على حلها · فان المانيا تنوي ان تحول دون سير البواخر والسفن في البحار وبلوغ هذا الامر ضروري لانتصارنا اياكم والاستخفاف بخطر هذا الامر فاننا لا نستطيع تلافيهُ الأ اذا ادركنا مبادئهُ حق الادراك

لقد اقلقت هذه المشكلة بالنا عامين ونصف عام ولم يدرك الالمان في اول الامر مضاء هذا السلاح الذي بيدهم ولكنهم ادركوهُ بعد ذلك فوجهوا قواهم الى صنع الغواصات ·

ولما عقدوا النية على اغراق السفن والبواخر بلا قيد ولا تمييز تيسر لهم ان يزيدوا عدد ما اغرقوهُ منها ولكنهم بعملهم هذا حملوا اميركا على دخول الحرب · وهذه نتيجة لحرب الغواصات تبعثني على اتم الارتياح · فقد ايقنت اميركا في آخر الامر ان من العبث التلويح براية الحياد امام كلاب البحر

ان ابرع الناس واحذقهم في بلدان الحلفاء يشتغلون الآن بحل مشكلة الغواصات وحسبي ان اقول هذا فليس من الحكمة التوسع فيهِ ولكن صدقوني اننا مهتمون اشد اهتمام بحل المشكلة ولم ارَ في حياتي مشكلة بشرية يعجز البشر عن حلها ولست اعتقد ان مشكلة الغواصات تشذ عن هذه القاعدة

مشكلة الطعام

ثم وصف التدابير التي اتخذتها وزارات الحكومة ومصالحها لحل مشكلة الطعام فقال: ان فلاحي انكلترا يزرعون الآن من الاراضي ما يزيد عشرة في المئة عما كانوا يزرعونهُ قبل الحرب وقد ضمنت الحكومة للفلاحين وعمال الزراعة اموراً تختص بالاثمان والاجور واسفر الجهد الشديد الذي بذلناهُ في بضعة الاشهر الماضية عن زيادة المزروع من الاراضي مليون فدان وهي تنتج مليوني طن من الطعام

مدة الحرب

« لا اقول ان الحرب تدوم سنة ١٩١٨ بطولها ولكننا نأبى المجازفة والاعتماد على الصدفة والاتفاق فقد افرطنا في ذلك فيما مضى

« ان الالمان اذا علموا ان ثباتهم الى آخر سنة ١٩١٨ يتيح لهم النصر بتجويعنا فانهم يثبتون ولكنهم يعلمون ايضاً انهُ كلما طال ثباتهم ساء مصيرهم ولهذا فالصلح يعقد قبل ذلك ونحن الآن مهتمون باتخاذ التدابير لموسم ١٩١٨ قبل فوات الاوان وقد اخذنا نعدُّ ثلاثة ملايين فدان اخر للزراعة ومتى تم لنا ذلك فلا يعود في طاقة احد ان يجوعنا ولو انقطعت جميع الواردات عنا

« ولكن هذه الامور لا تتم لنا الاَّ اذا ساعد الجميع · لكم جرايات معينة فحافظوا عليها ولتكن المساعدة عامة في مطبخ المنزل وفي المصنع وفي خنادق الميدان

« ولو اتخذنا هذه التدابير لتوسيع نطاق الزراعة منذ سنة او سنة ونصف لامنَّا كل خطر على طعامنا · ويحتمل اننا لم نكن نجد الكفاية من القمح ولكننا كنا نجد الكفاية من القطاني · والشوفان والشعير من الاطعمة المغذية وقد ربيت عليها

الملاحة والواردات

ثم استطرد الكلام الى الملاحة والواردات فقال: ان ما تم في تخفيض الواردات لم يكن كافياً فقد اقتصدنا في السنة الماضية ما زنتهُ مليون ونصف مليون من الواردات ولكننا اتخذنا الآن تدابير اخرى تخفيض الواردات ستة ملايين طن اخر وسيبلغ مجموع ما تخفضهُ من وارداتنا في آخر الامر اكثر من عشرة ملايين طن في العام من غير ان تضعف صناعة من صناعاتنا الجوهرية

وسنجد حاجتنا من الخشب ونسعى الآن لحصول على معظم المعادن التي نحتاج اليها باستنباطها من مناجم بريطانيا العظمى · ولا يحل شهر اغسطس القادم حتى يزيد مقدار الحديد الذي نستخرجهُ في بلادنا اربعة ملايين طن وستعدل اتاتين الصهر التي عندنا لهذا الغرض · وليس فيكم من يجهل معنى اقتصاد عشرة ملايين طن في الواردات ولو اقتصدناها منذ سنة لكان لنا في مخازن بلادنا الآن من الفحم ما يكفينا عاماً كاملاً

« ان في كندا ٨٥ مليون بشل من القمح كان في طاقتنا ان نجلبها الى هنا وكان الواجب علينا ان نأتي بها اما الآن فان عشرين مليوناً او ثلاثين مليوناً منها سترسل الى الولايات المتحدة لعدم وجود سوق اخرى لها فعلينا ان نواصل تخفيض الطعام حتى نقف على اسلوب لقتل مكروب الغواصات الذي لوث الاوقيانس

« هذا احد الامور التي يتعين علينا عملها ولكن هنالك اموراً اخرى سواهُ فقد اخذنا ننشئ البواخر واتخذ وزير الملاحة من التدابير ما يمكننا ان نصنع في سنة ١٩١٧ ثلاثة اضعاف بل اربعة اضعاف البواخر الجديدة التي صنعناها في السنة الماضية وننظم ادارة جميع بواخر البلاد بحيث نجعلها خاضعة لادارة واحدة وسلطة واحدة · وهذه اول مرة حدث فيها هذا الامر · ومعنى ذلك ان بواخر هذه البلاد ستخصص للجوهري الضروري من تجارة هذه البلاد

« ومع ان خسارتنا من البواخر التي تغرقها الغواصات كانت كبيرة حتى الآن ومع ان الخسارة قد تستمر على هذا المنوال فقد نظم وزير الملاحة سير البواخر والسفن تنظيماً يمكنهُ من جعل واردات يوليو القادم اعظم من واردات مارس الماضي

اخلاق الانكليز

« ظن الالمان انهُ قضي علينا ولكنهم جهلوا الجيل الذي يحاربونهُ · فقد اثبت التاريخ ان بلادنا القديمة تعرف كيف تحرز النصر متى شدد الاعداء عليها وسنفوز هذه المرة ايضاً

بالوسائل التي ذكرتها . ان ما اراهُ واعرفهُ من مطالعة تقارير الحكومة اليومية ومن القاء نظرة عامة على الموضوع كلهِ من جميع اطرافهِ يحملني على ان اقول بلا تردد اننا اذا انفذنا بياننا وجرينا على خطتنا وادّى كلٌّ منا الواجب المفروض عليهِ فانَّ حرب الغواصات الالمانية مقضي عليها بالانكسار

« ولكن هذا يقضي على كل فرد من افراد الامَّة ان لا يتعدَّى الجراية المعينة لهُ وعلى الفلاحين والعمال ان يزرعوا الارض وعلى الصناع والعمال في دور الصنعة والمصانع ان يبذلوا مجهودهم في زيادة ما ينشأ من البواخر والسفن فاذا فعلنا هذا كلهُ بالصدق والاخلاص فليعمل العدو احمض ما عندهُ

« وقد توسعت في البحث في مسألة الغواصات هذه لان الجمهور اهتم بها اهتماماً شديداً ولكن الحكومة عاملة على نشرجميع الارقام لانها تريد ان يعلم الشعب انها لا تكتم شيئاً عنهُ . ان بريطانيا العظمى بلاد لا تخرج خير ما فيها حتى تقف على اسوأ الاخبار وهذا الحكم يصدق على كل بلاد في اهلها عزيمة واقدام واخلاق راسخة »

الحرب والسياسة والتجارة

ثم بحث في العبَر التي استخرجها الماليون والصناع والجنود والتجارة من الحرب فقال : « ان هذا الانقلاب العظيم الذي عم العالم غيَّر آراءهم في التجارة وفي صناعاتهم واقول ان مستقبل هذه البلاد يتوقف على مقدار ما تعلَّمهُ ساستها من الحرب . وقد سمعت بعض رجال السياسة يقول انهُ متى وضعت الحرب اوزارها فستعود المياه الى مجاريها السابقة وتعود الحال الى ما كانت عليهِ ويستأنف السير في اعمال الحكومة على الاساليب التي كانت عندنا . ان الذين لا يعرفون رجال السياسة يعتقدون انهم من دعاة الثورة ومن اشد غلاة الثورة بل من اشد دعاة الرجعة في الدنيا

«كان لنا قبل الحرب في هذه البلاد خمسة احزاب سياسية كلٌّ منها مستقل عن الآخر تمام الاستقلال وقد تبين للناس الآن انهُ لم يكن بين تلك الاحزاب حزب واحد انفرد بالحكمة او اوتي كل التعقل والحذق السياسي بل تبين للناس ان الاحزاب الخمسة لم تجمع في صدورها كل الحكمة والدراية وادركوا الآن ان في السماء والارض اموراً لا تدخل ضمن دائرة الفلسفة السياسية التي لكل حزب من هذه الاحزاب الخمسة . هذا احد الامور التي انكشفت لنا بنور لهيب الحرب الهائلة

« متى وضعت الحرب اوزارها فاني ارجو واعتقد وابتهل الى الله ان لا نعود الى ما كنا فيهِ من منازع الاحزاب واساليبها العتيقة وانظمتها التي اكل الدهر عليها وشرب بل نطبّق اعمالنا على خير الاساليب التي اظهرتها لنا الحقائق التي كنا نجهلها اتم الجهل قبل الحرب

« تقدمنا في السن والحكمة الف سنة منذ نشبت الحرب الحالية وازدحم اختبار الرجال في بضعة اعوام فاذا نبذنا الاختبار والحكمة والمعرفة التي تعلمناها في الحرب حرصاً على قواعد وضعناها من عهد عاد لم نكن جديرين بالمصير العظيم الذي اعدتهُ العناية للحال الحاضر

« ليس في عمل الامبراطورية البريطانية السياسي ما يحتاج الى التعديل والتنقيح احتياج خطتنا نحو مجموع الامم والشعوب الذي نعبر عنهُ بلفظة الامبراطورية البريطانية فقد كنا فيما مضى ننظر اليهِ كنظرية مجردة ولكن الحرب اثبتت لنا ان الامبراطورية حقيقة مادية وعامل من اعظم العوامل اليوم في دفاع البشر عن الحرية

معنى الامبراطورية

« أرسل الى فرنسا في اغسطس ١٩١٤ مئة الف رجل فغيروا اتجاه تيار التاريخ وقدمت المستعمرات والهند مليون رجل فعدل هذا المدد آراءها في حقيقة الامبراطورية البريطانية وفوائدها · ان العالم لا يسعهُ ان تتفرق هذه الامبراطورية ايدي سبا ولكننا مخيرون بين توثيق عرى الارتباط بين اجزائها وتشتيت شملها تشتيتاً نهائيًّا

« ان الامور لا يمكن ان تظل حيث كانت · ورب قائل يقول ان العلاقات المبهمة التي كانت بيننا وبين المستعمرات المستقلة وبلاد الهند العظيمة هي التي ادَّت الى هذا الارتباط الحقيقي · فهذا كلام كان يصح قبل ان بذلت تلك المستعمرات مع الهند البذل العظيم اما الآن فقد اثبتت حقها في الشركة معنا · ستكون قاعدة التعاون بيننا في المستقبل قائمة على مبدإِ الشورى الصحيحة فاذا كان قرارنا هذه المرة قد اتعب تلك البلدان وكلفها ملايين من نخبة رجالها كما حدث فعلاً فالواجب يقضي علينا بان نستشيرها قبل الاقدام على العمل وان انعم النظر في اساليب ادارة الامبراطورية والعلاقات بين اجزائها · نعم ان الحرب قد لا تكون خير الاوقات للبحث في الانظمة الجديدة ولكن يجب ان تكون امبراطوريتنا حقيقة فعلية ومجالسنا مجالس حقيقية وشاهدي على ذلك مجلس وزارة الحرب الامبراطوري فقد اثبت باعمالهِ قيمة هذه الشورى · ان زملاءنا من المستعمرات والهند لم يشتركوا في مؤتمر رسمي ولكنهم اخذوا قسطاً حقيقيًّا من مباحثنا وشؤُوننا وقراراتنا وكانوا مصدر قوة عظيمة لنا ومنبع حكمة في مفاوضاتنا

« أتانا هؤلاء المندوبون بآراء جديدة وعقول مستريحة ونظروا الى حرب العالم من مواقف مختلفة . ولا يخفى عليكم ان العقول اذا سارت في سبيل واحد زمناً طويلاً تصدأ وكما عظمت هذه العقول تراكم صدأها وكثر خطأها وفي هذه الحالة تبدو الحاجة الى عقول جديدة « لانتشال المركبة من الحفر التي تسقط فيها » وقد اتيح لنا هذه العقول فوضعنا قرارات بعيدة الغور وساعدنا في وضعها زملاؤنا من وراء البحار . وقد بحثنا في امور ومشاكل عظيمة الشأن تتعلق بالغواصات والملاحة والطعام وتناقشنا في قرارات عظيمة الشأن في الامور الحربية شاركونا فيها ولكن يتعين علينا ان نفعل اكثر من ذلك . كشفت لنا هذه الحرب قيمة الامبراطورية فيجب ان يكون في مقدمة مهام رجال الدولة والسياسة في المستقبل اتخاذ ما يلزم من التدابير لترقية الموارد العظيمة التي لنا فنجعل هذا الامر قبلة انظارنا وموضوع فخرنا ونتخذه قاعدة لامانينا . ويجب علينا ان نرقي البلدان التي تخفق عليها رايتنا . ولو وجهنا عقولنا وقوانا ونفوذنا الى هذا الغرض منذ خمسين سنة لكان عدد سكان المستعمرات المستقلة الآن ضعفي ما هو ولحوّلنا تيار المهاجرة الى تلك المستعمرات بدلاً من سيره الى بلدان اخرى وحولنا اليها ايضاً جانباً من مهاجري شعوب اوربا المتصفين بالرجولية

« لقد استقر قرارنا على ان تعنى الحكومة البريطانية وحكومات المستعمرات في المستقبل بتوثيق عرى الارتباط بين اجزاء الامبراطورية بالتجارة والاخذ والعطاء والملاقات العمومية في الاعمال والاشغال

« وقد امعنّا النظر والبحث في هذه القضية ورأينا ان ترقية تلك المستعمرات الواسعة الاطراف تقضي بتنشيط حاصلات كل جزء من اجزاء الامبراطورية . ومن رأينا ان في حكم الطاقة انشاء نظام من المراعاة والتفضيل لا يقضي بفرض ضرائب على الطعام ونعتقد ان ذلك مستطاع من غير فرض هذه الضرائب اما والطعام قليل وغالٍ الآن فليس الزمان الحالي زمان البحث في زيادة هذا العبء

« ان المراعاة المقصودة تتم من غير فرض رسوم على الطعام فان هناك طرقاً اخرى تؤدي الى هذه الغاية بالجري على الاساليب التي جرت عليها البلدان الاخرى لتحسين المواصلات بين مستعمراتها وبهذا يتاح نقل حاصلات جزء من الامبراطورية الى اسواق جزء آخر بسهولة واقتصاد

« ان في الامبراطورية موارد لا تفنى من الثروة والمعادن والطعام والخشب وسائر ما يحتاج اليه البشر فترقية هذه الموارد الى اقصى ما يستطاع مفيد للبلاد التي تنتج الحاصلات

ولسائر انحاء الامبراطورية في جملتها المملكة البريطانية فان هذا يزيد ثروة الامبراطورية كلها ويوثق عرى الاتحاد بينها

مشكلة ارلندا

وتكلم الوزير عن ارلندا فقال : ان الواجب يقضي بجعل هذه الجارة الخطرة المشبعة بالريب والشبهات وسوء الظن والواقفة موقف المعاند صديقة موالية مفعمة بشراً وسروراً هذا اذا شئنا ان تكون امبراطوريتنا قوية وثيقة العرى وسلام العالم وطيد الاركان فان ارلندا هي منبع الخطر الوحيد في افقنا . واذا ناشدتُ الامة البريطانية ان تسوي مشكلة ارلندا فانا افعل ذلك بما اطلع عليهِ من الحقائق كل ساعة وهو ان الجميع في اميركا واستراليا وسواها يعتقدون ان تسويتها من اركان النصر المعجل فانا اناشد كل ذي وطنية صادقة ان يغضي عن كل شيء رغبة في حل هذه المشكلة

ولاء الهند

« ويجب علينا ان نوحِّد جميع قوانا لكسر شر عدو قاتلناهُ . وقد كانت الهند منبع اعظم خيبة لآمال الدنيا في هذه الحرب مع كثرة الخيبات التي خابتها فيها فقد كان الالمان يتوقعون في الهند الفتن والخيانة والاستياء وعدم الولاء ويعتقدون ان قوة بريطانيا العظمى ستستغرق في قمع هذه الامور في الهند . فماذا وقع حقيقة ؟ ابدت الهند حماسة شديدة وولاء عظيماً وبذلت العون للامبراطورية فحق لها ان تطلب الاَّ يشعر عشرات الملايين التي تقطن فيها انهم جيل محكوم بالامبراطورية بل انهم احد الشركاء فيها فجميع هذه الامور تقتضي ان تكون سياستنا سياسة حزم واقدام

« ان الاحجام والتردد والوهن صفات ممقوتة في السلم ولكنها قتالة في الحرب وقد قابلت بريطانيا العظمى مشكلة الحرب بشجاعة عجيبة فلنقابل مشاكل السلم بمثل هذه الشجاعة

« اني اشكر محافظ لندن ومجلس هذه المدينة العظيمة على الشرف الذي اولوني اياهُ وليس على ذلك فقط بل على ما أُتيح لي من تشديد عزيمتي برؤيتي رجالاً تقاتلوا فيما مضى وهم يعملون الآن معاً لاعظم الغايات واسماها . فعسى هذا التعاون ان يدوم لا في احراز النصر فقط بل بعد ما تلتئم جروح الحرب في ترميم الخراب الذي احدثتهُ وجني ثمار النصر المجيد »

وقال بعد المأدبة ما نصهُ : لا اريد ان يفهم السامعون انهُ لم يبقَ علينا ما نعمل لان الامور صارت على ما يرام فان هذا احد المصاعب الحقيقية التي نعانيها اذ المبالغة

تولد الذعر ولكن اذا ذكرنا الحقيقة مجردة من كل شيء وقلنا اننا سنخرج فائزين ببذل الهمة والنشاط فقد يقول الواحد « ليبذل غيري اما انا فاني اشترك في الخروج بالفوز » · ان الفوز مضمون اذا قام كلٌّ منا رجالاً ونساء بنصيبهِ · لقد نكَّبنا عن طرق السياسة المألوفة في ابَّان الحرب لان الحرب العظيمة كالمرض الشديد اذا أُصيب بهِ الواحد تخلَّى عن جميع اعمالهِ العادية فعلينا ان نوحِّد قوانا لقتال العدو الهائل الذي يطعننا في صدورنا · وقد تبين لي بالاختبار في اثناء رياستي للوزارة منذ خمسة اشهر ان الحكومة لقيت المعونة من الافراد من جميع الاحزاب · ان الافراد الذين يقدمون في اعتبارهم انتصار الاحزاب على الانتصار في الحرب قليلون ولكن المرء قد لا ينسى وجود الاحزاب · ولا احاول تطبيق هذه النظرية الآن وحسبي ان اقول للذين يعتقدون ان الشعور بوجود الاحزاب قد زال وان في طاقتهم ان يسيروا بسفينة السياسة في بحر امين انهم اذا فتحوا عيونهم ابصروا هنا موجاً خفيفاً ورأوا هناك بعض الصخور وسنسعى لاجتناب هذه المواضع اما اذا تبين لنا انها ستعرقل سير سفينة الامة فاعلموا ان في هذه البلاد من المتفجرات الفكرية ما يكفي لنسفها والسير بالسفينة الى بر الامان

« وما ننس لا ننس أيام الذعر المالي في بدء الحرب ولكن الثقة المالية التي لبريطانيا العظمى فازت وتغلبت مع كل ما تنبأ بهِ المتنبئون مما يناقض ذلك »

وأشار الى الجيش الانكليزي الاصلي فقال : « واني لا ازال اذكر الايام السود لما كان ابطالنا مرابطين في خنادقهم المدمرة يحملون في الليل والنهار هزء الالمان وتعزيتهم · ان ثبات المشاة البريطانيين امام مدافع نبوليون في احدى معارك ذلك الزمان من أعظم الفعال الخالدة في تاريخ الحروب ولكن سلالة اولئك الجنود ثبتوا امام مدافع أعظم من مدافع نبوليون نهاراً وليلاً أسابيع وأشهراً فلم ينكصوا · وهذه أعظم رواية وردت في تاريخ العالم ان اولئك الابطال لم ينكسروا ولا يستطيع امرؤٌ ان يحقق ما فعلوهُ الاَّ اذا سمع اقوالهم · ان قصتهم خالدة ونحن مديونون لذلك الرجل القصير القامة الشجاع الذي كان يقودهم في تلك الاشهر السود من غير ان يتولاهُ الخوف والوجل واعني بهِ اللورد فرنش · ولما توليت تنظيم موارد انكلترا فعلت ذلك لامكِّن اولئك الابطال من الحرب واني أحمد الله على ما تم فقد أُتيح لم الفرصة للحرب بهمة أصحاب المصانع والعمال · ولا انسى النساء فقد تقاطرن بمئات الالوف الى المصانع وكن يسألن عما يستطعن القيام بهِ لمساعدة اخوتهنَّ الابطال في ميادين القتال وقد فعلت كلٌّ منهنَّ ما في طاقتها فانقلب الامر وتغيرت الحال في تلك الميادين الآن »

مصر منذ اربعمائة سنة

(٥)

المهرجان

قلنا ان اسماعيل باشا عزم ان يصنع مهرجاناً عظيماً لختان ابنهِ ابرهيم بك وكان ذلك في شهر نوفمبر سنة ١٦٩٥ وانهُ دعا اليهِ جميع حكام البلاد وعظمائها وامرائها وعلمائها واعلن الاهالي عموماً انهُ يسمح لهم بالاشتراك في هذا الاحتفال مدة عشرة ايام متوالية . وهاك وصف هذا الاحتفال نقلاً عن القنصل دي ماليت قال :

سمح لمئة غلام من ابناء العظماء والعلماء والامراء ان يتطهروا مع ابن الباشا في حفلة الختان . فاقبل الوف من الناس من مصر والريف والصعيد لمشاهدة هذا المهرجان ونصبت المضارب والسرادقات الكبيرة في ساحة الميدان الخارجية والساحة الداخلية واقيمت الزينات البديعة والملاعب والملاهي المختلفة . واشتغل مئات من العمال باقامة معدات الاحتفال مدة شهر كامل . بدأ الاحتفال بسباق الخيل والجمال ولعب السيف و « الحَكَم » والمصارعات المختلفة وقتال الديكة والثيران مدة ثلاثة ايام في ميدان القلعة الخارجي . واحضر الباشا من دمشق الشام مصارعاً شهيراً يقاتل الثور ويصرعهُ . واحضر كثيرين من الراقصين والبهلوانية الذين يمشون ويرقصون على الحبال في الهواء وبينهم بهلوان شهير نصب لهُ حبل طويل من رأس منارة جامع القلعة الى عمود عالٍ نصب في ساحة الميدان الخارجي وطول الحبل نحو اربعمائة ذراع اسند بحبال متعارضة ليكون متيناً . فصعد هذا الرجل الى الحبل من وسط الميدان ومشى عليهِ حتى وصل الى اعلى المنارة على دهشة ورهبة من الناس وكان الباشا وابنهُ مع عظماء البلاد حاضرين هذا المشهد فاجاز اللاعب بجائزة كبيرة

وفي اليوم الثاني ٢٣ نوفمبر اقبل الباشا مع ابنهِ الى الميدان وكان حولهما الاربعة والعشرون اميراً وهم البكاوات الكبار حكام المقاطعات المصرية الاربع والعشرين وكذلك وكلاء المديريات المعروفون بالبكاوات الصغار وعددهم ثمانية واربعون واقبل قواد الجيوش وكبار الاغوات ورؤساء فرق الجنود السبعة يتقدمهم اغاوات الانكشارية والمتفرقة والعزبية . واغاوات اسطنبول ورتبتهم هنا اعظم من رتبة الامراء . واقبل قاضي القضاة المعروف بقاضي عسكر وحولهُ العلماء وكل اشراف البلاد يتقدمهم اشراف اشرفي البكرية والسادات وهؤلاء من سلالة النبي . ثم اعيان التجار المصريين والافرنج والقناصل و بطرك

النصارى (الاقباط) و بطرك الروم ومطران دير جبل سينا · فعند وصول الباشا وابنهِ الى الميدان اطلقت المدافع من القلعة وقرعت الطبول والصنوج وعزفت الزمور وكان في الميدان الخارجي نحو الفي فارس من فرسان العرب والحرس وفرسان السباق ممتطين الجياد المطهمة من اجود الخيول العربية والمصرية وعليها السروج الثمينة الذهبية والفضية وخصوصاً سروج الامراء وكلها مرصعة بالحجارة الكريمة والياقوت والماس واللؤلؤ

وفي وسط هذا الميدان نصب صيوان الباشا وعلى مقربة منهُ صيوان الموسيقيين والطبالين والزمارين · وكان كلما اقبل وفد او فئة من هؤلاء المدعوين عزفوا وقرعوا الطبول اكراماً لها · وكان في مقدمة المدعوين رجال القصر واتباع الباشا وحرسهُ وقوادهُ وجندهُ وخدمهُ بعد ان خلع على كلٍّ منهم بذلتين جديدتين والبذلة من الجوخ الانكليزي مؤلفة من دامر او جبة قصيرة تحتها سراويل واسع مبطنة بالفرو المسكوبي الثمين ومن قبعة او قاووق على دائرهِ شريط ذهبي عرضهُ اربع اصابع وهو من المخمل او الجوخ الانكليزي · واما الخدم والمماليك والغلمان (الايشوغلان) فسراويلاتهم من القطيفة الحمراء المطرزة حواشيها بالقصب · واما ملابس القواد والاجناد الكبار وعظماء القصر فمن القطيفة الخضراء المطرزة على زي الباشا وجببهم مبطنة بالفرو الغالي الثمن · واثواب الغلمان والخدم والحاشية المخصصين لخدمة ابرهيم بك كانت مبطنة بفرو السمور وسراويلهم مطرزة بالقصب

وكان ابرهيم بك محاطاً باتباعهِ وخدمهِ ومعلميهِ وقوادهِ وحرسه ومتردياً بسراويل قصير من الجوخ الابيض البندقي المنسوج بالذهب فوقهُ دامر من المخمل القرمزي المطرز بالقصب الذهبي وعلى دائرهِ شريط مرصع بالحجارة الكريمة فوقهُ جبة او (كرك) من فرو السمور مبطنة بالحرير الاخضر الزاهي وظاهرها منسوج بالذهب ومرصعة كلها بمئات من حبال اللؤلؤ المنضد الكبير الحجم · وهذه الجبة تضم عراها عند العنق بقفل من الذهب الابريز عليهِ جوهرة كبيرة من الماس · وعلى رأسهِ قبعة او قاووق عالٍ من المخمل على لون ثوبهِ مغشى كلهُ باللؤلؤ الثمين تعلوهُ ريشة سوداء غالية الثمن معقودة بجوهرة كبيرة من الماس · وكان يبدل ثيابهُ في اليوم ثلاث مرات او اربعاً على ازياء والوانٍ مختلفة يظهر في كل حفلةٍ بشكل يختلف عن الآخر

وكان صيوانهُ لا يقل عن صيوان ابيهِ زخرفة وفخامةً وزينةً صنع من الدمقس الاحمر وفرش بالطنافس العجمية الثمينة وجدرانهُ موشاة بالاقمشة الحريرية المنسوجة بالذهب وفي اعلاهُ هلال كبير من ذهب يسطع بهاء وكذلك المساكن المخصصة لهُ بالقلعة فكلها

مفروشة بالمقاعد الحريرية والطنافس الفاخرة والرياش الثمينة والاواني الذهبية وستائر النوافذ من القماش الرفيع المنسوج بالذهب من صنع البندقية . واما سرير نومهِ فمقعد (ديوان) عريض مغطى بقماش المخمل القرمزي اللون المطرز بعروق الذهب من صنع بروسه قائم في وسط مخدع كبير ومزين بانواع الرياش الفاخر يعلو عن الارض وفوقهُ فراش من الحرير الاخضر عليهِ ملاءة بيضاء بديعة الزركشة والتطريز من صنع الهند تتدلى من اطرافها السجف الذهبية بعرض اربع اصابع . وهذا السرير الملوكي مغطى بكلّة (ناموسية) من التول الثمين من صنع رودس يعلوها هلال من ذهب مرصع تفتح وتضم من الاعلى الى الاسفل بازرار من حجارة كريمة بين زمرد وياقوت . وحول هذا السرير سريران آخران لا يقلان عنهُ فخامة لبعض الغلمان من اولاد الامراء المختتنين رفقاء ابن الباشا لكي يأتنس بهم

ولنصف الآن الملاعب والمآدب التي اقيمت في هذا المهرجان : كان الراقصون نحو مئة شخص ولهم في كل يوم من الايام العشرة ثياب مخصوصة فاخرة بالوان مختلفة وكلها من القماش المنسوج بالذهب وكل من زار استانبول عاصمة السلطنة وعاشر الاتراك عرف ميلهم الكثير الى مشاهدة المراقص والملاعب واحياناً يمثلون في خلال الرقص نوعاً من التمثيل الهزلي الخلاعي والروايات المجونية . ولم ينقطع الرقص والتمثيل ليلاً ولا نهاراً كل مدة المهرجان فكان الراقصون يتناوبون العمل فيما بينهم في صواوين الميدان وفي قاعات القلعة لتسلية الحريم

وكانت تقام في كل يوم المصارعات البدنية والالعاب الرياضية والمبارزات بالسيف والحكم بين المصارعين المشهرين حتى ان مماليك الامراء اشتركوا في هذه المصارعات واحياناً كان يشتد القتال فيما بينهم ولولا الباشا ومهابتهُ في قلوبهم لكانوا فتكوا بعضهم ببعض . وكل منهم كان يبدي مقدرتهُ في المهارة والفروسية في المصارعات والمبارزات ليفوز بالجائزة لان الباشا كان يعطي الفائزين جوائز كبيرة بين نقود واسلحة وحلّي واقمشة . واحياناً كان يعهد الى ابنهِ ابرهيم بك في توزيع هذه الجوائز على المصارعين

واما الزينات والانوار فكانت كثيرة فائقة الحد فنصب في الميدان نحو مائة الف مصباح كبير تضيء بانوار ساطعة حتى صار الليل نهاراً وهذه المصابيح منظمة تنظيماً بديعاً بالوان مختلفة وحول الميدان مشاعل كبيرة يتقد فيها خشب الأرز (الشراق) من المساء حتى الصباح فصار كانهُ شعلة من نار . ومن غرائب هذا المهرجان نخلة باسقة قامت من الارض

بجذورها ونقلت الى الميدان وغرست فيهِ والتفت حولها المصابيح والشموع والانوار كانها شجرة ساطعة وكتب عليها باحرف من نور هذه الكلمات « لا انمو الاّ بالختان » وفي هذه الجملة نكتة بديعة اي كما ان النخلة لا تنمو الاّ بتقليم اغصانها وقطعها هكذا المرء لا يتطهر الاّ بالختان · وازاء سرادق الباشا وابنهِ قوس كبيرة كتب في اعلاها هذه الكلمات على انوار المصابيح « فليكن اسم اسماعيل مجداً واسم ابنهِ ابرهيم معظماً »

وكانت الاسهم النارية والمفرقعات تطلق في كل ليلة على اشكال بديعة مختلفة وتظهر امام المشاهدين على شكل اشجار وحيوانات من نار تجري بين ارجل الجوع ولم يحدث منها ضرر لاحد · ومن مدهشات المهرجان مركب مصنوع بمهارة عجيبة يسير بقوةٍ آلية في بحيرة الماء و يطلق المفرقعات في الهواء

وكانت ابواب القلعة في اثناء الاحتفال تحت حراسة عدد عظيم من الانكشارية المسلحين وكذلك ميدان الصواوين والمضارب لحفظ النظام وصيانة الامن ووكل الباشا الى اربعة من قوادهِ برتبة « كيخيا » ترتيب المآدب وحفظ النظام بين المدعوين · ورتبة الكيخيا تعادل عندنا رتبة الكولونل في الجيش وتحت امرهم مئات من الخدم وغلمان المماليك

واما المآدب فكانت فخمة عظيمة مدة العشرة الايام لم يسمع بمثلها قط فكانت تذبح فيها يوميًّا الوف من الخراف والعجول والدجاج والاوز وقسمت الموائد الى ثلاثة اقسام كبيرة فمائدة الباشا يجلس عليها سبعمائة مدعو من العظماء والامراء والعلماء والاعيان · ومائدة ابنهِ يجلس عليها اربعمائة من ابناء هؤُلاء العظماء يخدمهم غلمان المماليك · والمائدة العمومية للاهالي يجلس عليها ثلاثة آلاف نفس وهذه المائدة اقيمت في قاعات القلعة الكبرى والوليمتان الاوليان جعلتا على موائد مستطيلة قصيرة القوائم والوليمة العمومية على حصر مفروشة بالارض وكل مرة توضع على شكل مختلف عما قبلهُ فيوماً مستطيلة و يوماً مربعة و يوماً مثلثة وتقام هذه المآدب مرتين في اليوم ظهراً ومساء · واما الاطباق والصحون والاواني التي كانت على هذه الموائد فكانت بعد ان تملأ من المأكولات تنضد بعضها فوق بعض على ثمانية او عشرة صفوف حسب اختلاف اشكال الاطعمة فاذ انتهى فوج من الآكلين يخرجون وفي الحال يأتي مئات من الخدم و يرفعون الطباق الفارغة و يضعون غيرها ملآنة كالتي قبلها ثم يدخل الفوج الثاني وهكذا الى ان تنتهي المآدب وفي آخر الجميع يدخل المماليك والخدم فيأكلون

ولرؤساء الجند واتباع الباشا ورجال قصره مائدة خصوصية ايضاً وذلك عدا الموائد التي تقام في داخل منازل الحرم لازواج الباشا ووصيفاتهن وجواريهن وللاغاوات . ولم يحرم النساء شيئاً من انواع الملاعب والمراقص والملاهي في ذلك المهرجان فقد خصص الباشا قسماً في داخل القلعة لاقامة هذه الملاعب يتفرجن عليها من وراء الستائر والنوافذ

وقد اشترك اهالي مصر عموماً والفقراء خصوصاً في هذه المآدب ونصبت لهم الموائد في ارض الميدان الخارجي وكانت توزع الاطعمة ضمن ارغفة كبيرة على الوف منهم في اليوم مرتين . وبالاجمال بلغ الذين اكلوا على موائد الباشا في مدة هذا الاحتفال عشرة آلاف نفس في كل يوم

وعدا ذلك نصب صيوان كبير عظيم الاتساع في الميدان الخارجي وصفت فيه موائد كثيرة وعليها الآنية والقوارير الكبيرة تملأ ماء مبرداً معطراً ومشروبات محلاة بالسكر او بعصير القصب وعطر الورد وهناك مئات من الخدم يقدمون لكل طالب وقادم ما يطلب من المشروبات في كل وقت اراد . وبالاجمال اقول ان السلطان مصطفى مع كل مجده وابهته في عاصمة سلطنته لم يكن المهرجان الذي عمله في استانبول عند ختان اولاده اكثر بهجة ورونقاً وفخامة واسرافاً من هذا المهرجان . فقد بذر فيه الباشا اكياساً كثيرة من المال وكان يوزع النقود والذهب في كل ساعة من ساعات النهار على اللاعبين والراقصين والمصارعين وكان ابرهيم بك يجيز من يقدم له شعراً او زهرة او دمية نادرة بقبضة من المال وكانت اكياس النقود مرصوفة بجانبه بعضها فوق بعض وكذلك الباشا كانت حوله اكياس كبيرة من النقود الذهبية والفضية تفرغ وتملأ في كل ساعة واحياناً كان يأمر بعض مماليكه فيأخذون الاكياس و ينثرون ما فيها من النقود على الجموع فيتزاحمون لالتقاطها

وقد احصي الغلمان من ابناء الاهالي الذين ختنوا اثناء هذا المهرجان على نفقة الباشا فبلغوا خمسمائة غلام في كل يوم عدا ابناء الامراء والعظماء ولا يقل مجموعهم عن ستة او سبعة آلاف غلام ووزع على كل ولد مختتن قطعة من نقود الذهب ليحفظها تذكاراً عنده وعلى قول العارفين بلغ مجموع ما انفقه الباشا على ختان هؤلاء الغلمان نحو خمسين الف ابكوس (الايكوس ريال فضي تعادل قيمته الآن ثلاثة فرنكات)

وفي اليوم الاخير من المهرجان احتفل بختان ابرهيم بك وكان ذلك في اليوم الاول من شهر دبسمبر فخرج من القلعة لابساً حلة ثمينة فاخرة وعلى رأسه قاووق قرمزي من لون ثوبه فوقه ريشة طويلة معقودة بجوهرة كبيرة الحجم من الماس تسطع بهاء فركب جواداً مطهماً

كل سرجهِ وعدتهِ من الذهب الخالص المرصع بالحجارة الكريمة من ماس و ياقوت وفيروز وزمرد وتقدم الموكب جوقة من الزمارين وقارعي الطبول والصنوج وخرج معهُ كل قواد القصر ورجال الباشا وحاشيتهُ واتباعهُ وركب معهُ فرقة من الحرس والانكشارية والفرسان والرماحة يتقدمهم فارس حامل شارة الباشا وطغراءهُ وهي رمح طويل يعلوهُ ذيل جواد معقود عليهِ علم الهلال الاحمر التركي وسار في ركابهِ ايضاً جميع العظماء والامراء واعيان البلاد والحكام وتبعهُ الوف من الجماهير يتفرجون على هذا الموكب الحافل

وركب حول الغلام اربعة من ابناء الامراء بثياب زاهية من الجوخ الاحمر المنسوج بالذهب وامامهم اكياس النقود الذهبية ينثرونها وهم سائرون على الجموع عن اليمين واليسار فيتزاحمون و يتقاتلون لالتقاطها و يملأُ ون الفضاء بصراخهم المتواصل داعين لابن الباشا بالخير والبركات وطول العمر

وكان الباشا يتفرج من نافذة قصرهِ بالقلعة على الموكب وهو خارج من الرميلة الى الخلاء بطريق مصر القديمة وفي هذا اليوم لم تبقَ امرأَة في بيتها فكل نساء مصر خرجن وتبعن هذا الموكب وكان الفرح عامًا شاملاً جميع طبقات الاهالي حتى ان الباشا في هذا اليوم اصدر عفواً عاماً عن المذنبين والمجرمين واخرجهم من السجون ما عدا القتلة وقطاع الطرق . وأَوفى ديون كثيرين من التجار المفلسين المسجونين

وختن مع ابرهيم بك في ذلك اليوم ستة من ابناء الامراء وعشرة من غلمان المماليك رفاقهِ وكان ذلك في جامع اثري قديم بالقرب من مصر القديمة (جامع عمرو) ولما تمت حفلة الختان خرجوا ورجع الموكب الى القلعة . ولما وصل ابرهيم بك ادخل الى قصرهِ ووضع في سريرهِ وجعلت اسرَّة فاخرة حولهُ للغلمان الذين اختتنوا معهُ لكي يؤْانسوهُ . وفي ذلك اليوم وزع الباشا على قوادهِ ورجال قصرهِ مبالغ كبيرة من النقود الذهبية ووهب خدمهُ جوائز مالية وعين معاشات يومية وجرايات لبعض خواصهِ واتباعهِ يقبضونها من الخزينة يوميًا ما بقوا احياء . ولم تحرم نساء الباشا ووصيفاتهن وحرم القواد ونساء القصر من الاشتراك في هذا الفرح العام فاقيمت لهن في قسم الحرم المآدب والمراقص والملاهي ووزعت عليهن الحلى الثمينة والمصوغات ونقود الذهب عن سعة و كرم جاوز الحدود

والعادة عند الشرقيين عموماً والمصريين خصوصاً انهم عند اقامة حفلات الولادة والزواج والختان او غير ذلك يقبلون الهدايا التي تقدم لهم من المدعوين او الاصدقاء غير

أن الباشا اعلن انهُ لا يقبل من احد ولو كان عظيماً هدية ما ولو قبل لكان جمع من الامراء وعظماء البلاد وحكام المقاطعات هدايا كثيرة من نقود وحلى وامتعة ومأكولات مما يسد نفقات هذا الاحتفال التي قد بلغ مجموعها مع ما وزعهُ من النقود نحو الف ومئتي كيس . والكيس تعادل قيمتهُ عندنا خمسماية ايكوس فجملة النفقات ستماية الف ايكوس (تبلغ قيمتها بحسب النقود الدارجة الآن نحو مليون وثمانمائة الف فرنك او ٧٢ الف جنيه)

فلم يقبل الباشا هدية سوى الهدية التي قدمتُها لهُ لكونها تحفة اثرية نادرة ثمينة وهي مرآة مثمنة الزوايا من البلور الحجري الثمين النادر واطارها ومقبضها من الذهب المرصع بالحجارة الكريمة . وكانت هذه المرآة من امتعة حرم السلطان مصطفى اخرجت من السراي السلطانية في استانبول اثناء الفتنة التي حدثت وخلع فيها هذا السلطان المرة الاخيرة فانتقلت هذه التحفة الثمينة من يد وزير الى يد سفير الى ان وصلت الى يدي فحفظتها كاثر ثمين ورأيت ان اقدمها هدية الى صديقي اسماعيل باشا لمناسبة ختان نجلهِ فقبلها شاكراً وقال لي علناً « اني لم اقبل من احد هدية ما كما تعلم غير انهُ لا يسعني ان ارفض هديتك الثمينة هذه اكراماً لك يا صديقي القنصل وتأكد اني اقدرها حق قدرها »

السلطنة المصرية

ان كل السياح الافرنج الذين اموا مصر في ازمنة وعصور مختلفة كتبوا في رحلاتهم عن حدودها ومدنها وثغورها وقواتها واحوالها الداخلية وتجارتها ونقودها وجماركها واهلها وتعدادهم واجناسهم واوصافهم . فرأيت اتم فائدةً واسهل منالاً ان اقسم المقالات التالية الى مواضيع مختلفة فنقلت كل ما قالهُ كل منهم في ذلك الموضوع وجمعت الحوادث التاريخية والغرائب النادرة التي لقيها كل منهم في سياحتهِ في باب مخصوص

وهذه اسماء السياح الذين نقلت عنهم واوصافهم وتاريخ رحلاتهم

(١) جيهان تنود . سائح الماني الجنس فرنسوي التابعية ارسلهُ لويس الثاني عشر ملك فرنسا ملحقاً وسكرتيراً لفرنسوى دي بوجيهان ثم انتدب سفيراً مفوضاً مع حاشية كبيرة لدى قانصوه الغوري سلطان مصر سنة ١٥١٢ لتقرير السلام وحل المشاكل التجارية والسياسية وفتح كنائس بيت المقدس . فكتب رحلة مطولة مدققة عن مصر وسوريا طبعت في البندقية سنة ١٥٢٠ وفي فرنكفورت سنة ١٥٩٠

(٢) دلا فالله . امير روماني من اغنى الاسر النبيلة في رومية تزود بتوصيات من

البابا والامراء الى سفير فرنسا في القسطنطينية وقناصلها في مصر وحلب والقدس وبغداد فحضر اولاً الى القسطنطينية ومكث فيها مدة سنة ضيفاً على سفير فرنسا وكتب عنها وعن سلاطين تركيا ووزرائها واوصاف اهلها ثم حضر الى مصر سنة ١٦١٤ ومكث فيها مدة وجيزة واسهب في وصف القدس و بلاد فلسطين وحلب و بغداد وزار خرائب بابل ونينوى ٠ وفي بغداد تعرَّف برجل من اغنياء السريان الارثوذكس هجر من ماردين مسقط رأسهِ فراراً من ظلم الحكام ٠ وكان لهذا الماردبني ابنة بديعة الجمال محلية بالعلوم والآداب والكمال تدعى « معاني » فاحبها الامير واقترن بها ولما رجع من سياحتهِ الى رومية توافد الامراء والعظماء والسفراء والكرادلة لتهنئتهِ وكتب رحلة مطولة ٠ ولما سافر من حلب الى بغداد استأجر خمسين جمالاً وهودجاً لحمل امتعتهِ وصناديقهِ ومؤُونتهِ يحرسهُ اربعون جندياً مدججون بالاسلحة وكان يشتري التحف والعاديات والكتب العربية القديمة و يرسلها الى رومية بطريق القسطنطينية

(٣) سيزار لامبرت ٠ سائح فرنسوي كتب رحلة سنة ١٦٢٧ قصر فيها الكلام على الاسكندرية ومصر وتجارتها ودخلها وخرجها وجماركها وعلاقاتها التجارية والسياسية مع استانبول و بلاد الافرنج

(٤) جاك البرت ٠ كتب عن مصر واحوالها الداخلية سنة ١٦٣٤

(٥) تفنوت ٠ سائح فرنسوي زار مصر وسوريا وجبل سيناء ولبنان سنة ١٦٣٥ وكتب رحلة مطولة عن العرب والمصريين

(٦) سانتو سيجورزي ٠ سائح ايطالي كتب عن حالة مصر المالية وعدد مقاطعاتها وخراجها سنة ١٦٣٧

(٧) فانسليب ٠ سائح الماني المولد فرنسوي التابعية حضر الى مصر سنة ١٦٧١ وكتب رحلتهُ بامر ملك فرنسا واقام بمصر مدة طويلة وتعلم اللغة العربية ولذلك كانت رحلتهُ اكثر تدقيقاً واقرب الى الحقيقة من غيرها ٠ وعاشر الاهالي واختلط بهم وحدثت بينهُ و بينهم نوادر كثيرة ٠ حضر الى مصر عن طريق سوريا فاقام بحلب ستة شهور ثم ذهب الى دمشق ومكث في صيداء شهرين ثم اعترتهُ الحمَّى ولبث طريح الفراش سنة ونصفاً بحمى الربع ولما شفي ركب من صيداء الى دمياط ثم حضر الى مصر وساح في بلاد الصعيد الاعلى وكتب رحلة قصيرة لكنها كثيرة الفائدة

(٨) دي ماليت · قنصل جنرال فرنسا على عهد لويس الرابع عشر (ذكرت رحلتهُ ونشرت صورتهُ في العدد السابق)

(٩) فريدريك دي نوردن · سائح دنماركي من ضباط البحرية كان بارعاً في التصوير والرسم والفنون الحربية حضر الى مصر بامر كريستيان السادس ملك الدنمارك سنة ١٧٣٢ فاقام فيها مدة طويلة وتعلم اللغة العربية وصور كل الموانع والبلدان والآثار تصويراً متقناً دقيقاً وكتب رحلة مطولة في ثلاثة مجلدات كبيرة رسم فيها كل البلاد المصرية من الاسكندرية الى الشلال في ثلاثين خارطة ووضع فيها كل اسماء القرى والعزب بحروف عربية وترجمت رحلتهُ الى الانكليزية سنة ١٧٥٧ والالمانية سنة ١٧٧٩ وتوغل في بلاد النوبة الى ان وصل الى الشلالات ورسمها في خرطهِ واما النسخة الاصلية من هذه الرحلة مع الواحها وصورها من رسم يد المؤلف فمحفوظة في لندن · ومن قولهِ في وصف آثار مصر وابنيتها وهندستها وفنونها « ليست آثار رومية شيئاً مذكوراً امام آثار مصر وفخامتها وعظمتها واتقان هندستها · فلتخرس اثينا اذا لم ترد ان تعترف صاغرة ان مصر ارقى منها حضارة وعلوماً وانها تعلمت منها الهندسة والفنون الجميلة · ولا ريب ان المصريين القدماء وصلوا الى درجة عالية في فنون الرسم والهندسة لم يصل اليها الرومان واليونان »

(١٠) بينوس · سائح فرنسوي زار مصر ولبنان سنة ١٧٧٦ وكتب رحلة قصيرة وصف فيها الثغور السورية وكتب عن اديرة لبنان

(١١) مارسل · كتب في اواخر القرن الثامن عشر كتاباً مستوفياً عن تاريخ مصر القديم والحديث واحوالها الداخلية وكان من اعضاء البعثة الفرنسوية العلمية

(١٢) ادوارد صموئيل من اعضاء الجمعية العلمية الفرنسوية كتب تقريراً مطولاً عن النقود المصرية وعياراتها وقيمتها من عهد الخلفاء الى القرن الثامن عشر

وفي حواشي هذه الكتب ورد ذكر المؤرخين القدماء الذين زاروا مصر وكتبوا عنها وهم بلينوس وهيرودوتس وسترابون واوسابيوس وتاشيتوس وبوسانياس وفيلوستراتوس ولوشيانو وديونيسيوس اليوناني وغيرهم

ديمتري نقولا

الجزرة العظمى

وبحرى صريع

رَفل العالم في ثوبِ السرور زَمناً وابتسمت فيهِ الثغور
وصفت بالسلم اوقاتُ المنا وسرت رُوحُ التصافي بيننا
فانا مثلُكَ بل انت انا

لم يكن ثمة صدٌّ ونفُور لا وَلا الانفسُ تغلي وتفور
قد تركنا كل ضغنٍ وعداء اقوياءٌ ما ترى او ضعفاء
كلُّنا في نظر العلم سواء

انفسٌ في عالم الحق تنيرْ مُلئت ارواحها ذرات نورْ
يتطايرن على وجه البسيطْ تلك لولاها لما شعَّ المحيطْ
أَفتدريها لماذا تستشيطْ

لم تجد من مصلح حرٍّ غيور يتلافى رأيهُ عقبى الامور
فهو اما طائش لم يعرفِ او خبيرٌ جائرٌ لم ينصف
او مليك لم يجد من يصطفي

خانهُ الجدُّ وحفتهُ الشرورْ وعليهِ فلك الدهر يدور
مثلما دارت رحى هذه الحروب واستوت في شرها كلُّ الشعوب
فمن الغرب الى اقصى الجنوب

ومن الشرق شمالاً ستثورْ وهي في البر سجالٌ والبحور
لم نشاهد اختها فيما مضى سُجِّرت براً وبحراً وفضا
الفضا؟ هي ام فوق القضا

عثرةٌ جاء بها الفكرُ العثورْ منجداً طوراً واحياناً يغُور
تائهاً ضلَّ ولمّا يهتدِ ما رأى فيها رأى من مرشدِ
فغدا في يومهِ مثل غدِ

هائمٌ فيهِ عشيًّا وبكورْ لم يجد للعثرةِ الكبرى غفُور
كبرت عثرتهُ من ان تقال وهو قد اوقدها حرباً سجال
انما غفرانها فرضٌ محال

عبراً نقرأ ام تلك سطور ادهشت كل سامي فكور
كيف لا تذهب في الريب العقول انها موضع شك وذهول
وقعةُ الغرب او اليوم المهول

أترى مرّت قرون ودهور مثلما مرت بنا هذي العصور
كانت الحرب اذا اشتد الكفاحْ بسيوف وقسيٍّ ورماح
ماتعدت غير ذياك السلاح

وهي لا تنقضُ بنياناً ودور ولها منا جزاء وشكور
أترى رمحاً وسيفاً ينتضى ام ترى ناراً وبرقاً اومضا
لا ترى اليوم سلاحاً ابيضا

عاد منسيّاً على مر العصور لا تراه او ترى اهل القبورِ
نسيت تلك ولما تذكر انما يذكرُ صنع «موزرِ»
ما عدا المخترع المبتكرِ

هكذا جاد بها رب الشعور وبدت سافرة بعد الستور
فغدا في الحرب صوت المدفعِ هاتفاً يا ايها الحصن اركعِ
وانزعي يا نفس او فادّرعي

ليس تحميك قلاع وصخور لا متاريس ولا يعصم سور
لم يكن بعدُ وفاق ووئام فلتطب «لاهاي» في قصر السلام
تنظر العالم مختل النظام

أفيقضي كل مختالٍ فخور ان تُرى النفس طعاماً للنسور
او تُرى طائفة فوق الجحور تخذوها بدلَ الاوح جسور
عبرة قد خلقت ام للعبور

انفسٌ ماجت كما ماج الاثير فهي لا تنفكُّ كالجرم المنير
مرة يخفى واخرى يظهرُ وهو يطوى مثلما ينتشرُ
فلماذا بهِ لا نعتبرُ

ومتى نسلمُ من فتك الغرور فلقد ضاقت وسيمات الصدور
كيف لا تحرجْ بالضيق النفوس او ما سُجِّرت الحرب الضروس
أفلا نخشى على الدنيا العروس

حسرات النفس من بعد النفير وذواء النبت من حر الزفير
وتعود الارض قاعاً صفصفا لا ترى ثمة قصراً مشرفا
لا ولا اندية او تحفا

اترى تهدمها ايدي الدثور بعد ما شيدت صروحاً وقصور
بنيت كلٌّ بشكل هندسي ما تراءت قبل في الليدُسِ
وتمالت كالرفيع الاطلسِ

أبروجٌ ضمت شموساً وبدور فهي كالارض حواليها تدور
لم تقف يوماً عن السير السريع تتحف العالم من كل صنيع
كيف قد فاجأها الخطب الفظيع

فغدت ثابتةً بعد المسير وتلاشت وهي ارسى من ثبير
ودهى العالم شرُّ الفتن فالقرى في الارض مثل المدنِ
قد تساوت في الشقا والمحنِ

تركتها الحرب في ادهى الامور انما تلك التجارات تبور
اترى كم عاملٍ او معملِ لم يجد ملتمساً للعملِ
كيف قد أُوقع السُّبلِ

وغدا الناس بشرٍّ مستطير شرَعٌ فيه غنيٌّ وفقير
من ترى سعَّرها حرباً زبون اكلت نيرانها دور الفنون
وهي لم تبقِ قلاعاً وحصون

لم تذرْ فرداً ولا جمعاً غفير لا فتًى كهلاً ولا شيخاً وقور
اكذا تقضي نواميسُ الاخاء تصبغُ الارض دماء الابرياء
اشقاءٌ بعد ذيَّاك الهناء

تلكُمُ الحرب او الشر الخطير افتطفى هي بالنوء المطير
فسرى القائد في اجناده واعتلى الطيارُ في منطادهِ
وطغى البحريُّ في طرادهِ
سابحاً يلثمُ افواهَ البحور ماضياً في عزمةٍ ما ان تخور

النجف الاشرف محمد باقر الشبيبي



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وإنهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان. ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براءٌ منهُ كلهِ. ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي: (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق. فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ. فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوَّلة

اكوات العراق

حضرات العلماء اصحاب المقتطف

تحية وسلاماً

و بعد فقد اطلعت على ما كتبهُ الاخ الاديب الشيخ كاظم الدجيلي فسرني كثيراً ما جاء في مقالتهِ من انتقاد بعض مقالتي اكوات العراق التي نشرها المقتطف في العام الفائت وهذا الانتقاد وان كان نشر في غير وقتهِ ولكنهُ قد نبهني الى اشياء لم يكن في امكاني التحري فيها لاني كتبتها بعيداً عن وطني ولم اجد من اسألهُ في هذه البلاد عمّا يشرح غامض هذه الكلمة ممن لهُ علم تام باحوال العراق — لذلك انا اشكر الشيخ كاظم على تحفتهِ هذه واشكر المقتطف الذي يهتم بنشر الحقائق . وحيث ان حضرة الشيخ لم يصب الحقيقة في جميع ما قالهُ فانا ارد عليهِ ما اخطأ فيهِ مراعياً جانب الاختصار فاقول

(١) جاء في انتقادهِ مقالتي قولهُ : والصحيح ان كلمة كوت لا تستعمل الاَّ في الامكنة الواقعة فيها بين كوت الإمارة والناصرية والفاو لا غير : وهذا ليس بصحيح ولعل الشيخ لم ينظر في المصور الجغرافي فيرى ان (الكويت) التي على ضفة خليج البصرة هي وراء الفاو بعيدة عنهُ وتسير السفن الشراعية من الفاو الى الكويت فتقطع المدة في اكثر من ١٢ ساعة وتمخر بحراً لا ريثاً ولا عجلاً . ثم انهُ انكر ان تكون كلمة كوت مستعملة في بعض سواحل الهند وفارس وهو انكار لا صحة لهُ لان هذا جاء في مجلة لغة العرب التي كان حضرتهُ مديرها والمجلة المذكورة اقتبستهُ عن مجلة المشرق (٧ : ٤٥٠) فكيف ينكرهذا. واظن حضرتهُ فهم ان قولي — كلمة كوت مشهورة متعارفة في . . نجد . . و بعض بلاد العجم والهند الساحلية — انها مستعملة استعمالها في العراق وهذا نظر غير نافذ وانما اريد

بذلك ان هذه اللفظة منطوقة عندهم ومعروفة في لغتهم وهذا اذا لم يقتنع بهِ حضرتهُ فان في ساحل الهند بعض القرى والبلاد المسماة بهذا الاسم منها البلد (كالي كوت) وهي قريبة من بمبي وتكتب في بعض المصورات الجغرافية (قالي قوط) وهو تصحيف فظيع وهي على ساحل البحر وفي نفس بمبي فرضة اسمها كوت بندر على ساحل البحر . وازيدهُ هذه المرة ان البلد الكبيرة المشهورة (كوتا) قريبة من قندهار . وعلى مقربة من كشمير قرية اسمها كوت وهناك قرى اخرى و بلاد تسمى بهذا الاسم مضافة ومجردة وفي جزيرة سومطرة بلد (راجا كوت) وفي نجد من جزيرة العرب قرية غير مشهورة اسمها كوت السقدونية وفي الهند قرى غير شهيرة اسمها كوت منها واحدة في كباد . فهل لهُ بعد هذا ان ينكر عليَّ وعلى مجلتهِ ما ذكر وليس لهُ الاَّ ان يقول ان استعمالها في هذه الجهات ليس كاستعمالها في العراق الاسفل ونحن قد نتساهل معهُ في هذا القول الاخير ونترك البحث فيهِ الى فرصة اخرى

(٢) ثم قال الكاتب : والصحيح ان الكوت لا يختص بمكان بل قد يبنى الكوت في البرية او على ضفة نهر او شط — هذا ايضاً مخالف لما جاء في مجلتهِ فان العبارة التي اقتبستها المجلة عن المشرق واثبتها في (٣ : ٦٢) تناقض هذا وتأباه كل الاباء وهذا يناقض ايضاً قولهُ الآتي : ان الكوت يبنى لجماعة الفلاحين ... ثم قال و يقابل الكوت الجماعة عند فلاحي اطراف بغداد — قلت الجماعة هي (العزبة) بلغة فلاحي القطر المصري ولم نرَ عزبة او جماعة بنيت في البادية بعيدة عن المياه والنبات بل لا بد ان تبنى على مقربة من الماء والزرع والفلاحون من اشد الناس حاجة الى الاقتراب من المياه التي يكثر ورودهم اليها وصدرهم عنها سواء كانت نهراً او بحراً او مستنقعة او غديراً او ينبوعاً او غيرها كترعة وجدول او سيل . ولا بد ان يكون الماء قريباً من عزبتهم او (جماعتهم) والذي جعل اخانا يتهافت في هذه المقالة انهُ رأى بعض الاكوات بنيت في البرية وهذا ظن بعيد لان هذه القرى التي في البوادي المسماة بكوت كانت مؤسسة على مقربة من الماء من جدول او ترعة او اضاة او غيرها ثم ان مجاري الماء تغيرت او نضبت او درست و بقيت الاسماء على مسمياتها المصطلح عليها بعد ما ذهب عنها الماء . ويجمل بنا هنا ان ننقل العبارة التي في مجلة المشرق البيروتية (٧ : ٤٥٠) والتي نقلها حضرتهُ في حاشية مجلتهِ (٣ : ٦٢) واليك حكاية ما قالت مجلتهُ

« والكوت في لغة اهل العراق وما داناهُ من ديار العرب و بعض العجم والهند البيت المربع المبني بهيئة القلعة او دونهُ تحصيناً يتخذ ملجأً عند الحاجة وحولهُ بضعة بيوت راجمة

الى البيت الاب ولا يطلق عليهِ هذا الاسم الاَّ اذا كان قريباً من الماء مهما كان هذا الماء نهراً او بحراً او بحيرة او مستنقعاً ثم توسعوا فيهِ حتى اطلقوهُ على كل قرية او مدينة كان اول منشاها هذا الكوت او بنيت قريباً من الماء وربما اطلقوها على كل ارض فيها زرع وخصب وجاورت الماء فاصبحت بمنزلة الريف عند فصحاء العرب — انتهى المراد منهُ —ومن النظر في شرح كلمة ريف يظهر ابطال قول الشيخ كاظم — قال المجد :

الريف ارض فيها زرع وخصب ثم قال والريف ما قارب الماء من ارض العرب (قال الزبيدي والاولى حذف العرب) او حيث يكون الخضر والمياه والزروع وراف البدوي يريف اتاهُ كاراف . فمن هذا يظهر لك صحة ما ذكرناهُ من قبل

(٣) ثم قال : ولا يختص بها وصفهُ الكاتب من اكوات العراق الا كوت الامارة واما غيرهُ فلا — ونسي حضرتهُ كوت الافرنجي الذي تبنى فيهِ المراكب ويصلح ما فسد منها ويرأب ما انكسر وتبنى فيهِ الجنائب « الدُوَبُ » على لغة العراق وهو اكبر محل في العراق لهذا الغرض واين هو من كوت الزين الذي ترسو عندهُ المراكب البحرية الذاهبة والآتية بين العراق والهند والجزيرة

(٤) ثم قال : ويقابل الكوت الجماعة وزن تجارة عند فلاحي اطراف بغداد — مع ان اهل بغداد والبصرة والبلاد الاخرى مشتركون في استعمال كلمة (الجماعة) بمعنى (العزبة) واما الكوت عند البصريين فهو البيت الكبير الذي يجمعون فيهِ التمر إبّان (الصِرَام) ويوعونهُ في اوعية معروفة عندهم بالكَيش (بكاف فارسية) والجِلاَل والصناديق والخصاصيف الواحدة خصافة وهذا البيت لا يكون الاَّ لكثير الغنى واسم الاجربة واما الجماعة عندهم فهي مساكن الزراع والعمال ومنازل عيالهم ونسائهم وهي كالعزبة في القطر المصري كما ذكرنا آنفاً ولا نعرف البصريين يستعملون الكوت استعمالاً يوافق ما ذكرهُ الكاتب وهو اليوم في البصرة وكتب هذا النقد فيها فهلاَّ نظر في صحة ما قال وهو اقرب منا الى تناول هذا

هذا ما عنَّ لي اليوم في بعض ما ذكرهُ واستميحهُ عذراً إن كنت اخطأت في الباقي فاني لم اتعمّد الخطاء والانسان قد يخطئُ وقد يصيب والاديب من قل خطاؤهُ وكثر صوابهُ واختم قولي هذا باهدائهِ تحياتي على بعد ما بيني وبينهُ واذكرها لهُ على لسان المقتطف الاغر

محمد الهاشمي البغدادي

استدراك

جاء في مقتطف ابريل: ٣٨٢ هذه العبارة (ومن الآثار الباقية معسكر ابي جعفر المنصور شرقي الرصافة) وصوابهُ ان تكون العبارة هكذا (ومن الآثار الباقية معسكر ابي عبد الله محمد المهدي بن ابي جعفر المنصور) ولذلك وجب التنبيه م · ه · ب

ايضاح

سيدي منشئ المقتطف

بعد التحية قرأت في مقتطف ابريل سنة ١٩١٧ نبذة عنوانها مثل من طول الاعمار جاء فيها — وذلك بعد مجاوزتهِ العقد الثامن اي ضمن السن التي صاح فيها الشاعر معتذراً عن كلال حد مخيلتهِ ونضوب معين قريحتهِ فقال

وماذا تبتغي الشعراء مني وقد جاوزت حد الاربعينِ

واذا سمحتم لي بابداء ملحوظة على هذا شكرت لكم سعة الصدر · ان هذا الشاعر وهو سُحَيم بن وَثيل بن أُعيفر بن حميرى ابن رياح الرياحي قد اراد من بيتهِ عكس ما اليهِ قصدتم وهو قوة حد المخيلة وغزارة معين القريحة و يبين ذلك من سبب قولهِ القصيدة ومن القصيدة نفسها

ارسل الى سحيم رجلان من بني رياح بهذا البيت

فان بُداهتي وجراء حولي لذو شِقٍ على الحطم الحرونِ

يعرّضان بسحيم بانهُ لا يبلغ غايتها لكبرهِ وعجزهِ فارسل اليها بكلمتهِ وهي

انا ابن جلا وطلاع الثنايا متى اضع العمامة تعرفوني
وان مكاننا من حميرىٍ مكانُ الليث من وسط العرين
واني لن يعود اليَّ قِرْني غداة الغبِّ الاَّ في قرين
بذي لِبد يصُدُّ الركبُ عنهُ ولا تؤْتى فريستهُ لحين
عذرت البزل ان هي خاطرتني فما بالي وبال ابني لبون
وماذا يبتغي الشعراء مني وقد جاوزت حد الاربعين
اخو خمسين مجتمع أشُدّي ونجّذني مداوَرة الشؤُون
فان علالتي وجراء حولي لذو شق على الضَّرع الظنون

كريم الخال من سلفيْ رياح كنصل السيف وضاح الجبين
متى احلل الى قطن وزيد وسلمى تكثر الاصوات دوني
وهمام متى احلل اليه محل الليث في عيص امين
ألفّ الجانبين به اسود منطّقة باصلاب الجفون
وان قناتنا مشِظ شظاها شديد مدّها عنق القرين

سحيم يريد ان يقابل تعريض ابن عمه به فافتخر ولم يَضْعُفْ — افتخر بنسبه وانهُ في محبوبة آل حميري . وافتخر بشدته وصلابة متنه وانهُ مما يمدر البزْل عند الخطار . ثم افتخر بحدة القريحة واجتماع الفكر وانهُ لا يؤْتى من غفلة

روى صاحب لسان العرب البيت

وماذا تدّري الشعراء مني وقال تدري تفتعل من درى الصيد اذا ختلهُ وهذا قريب من قول الشاعر

كيف يرجون سقاطي بعدما جلل الرأس مشيبٌ وصَلَع

وقد فسر سحيم مرادهُ واوضحهُ بقوله

اخو خمسين مجتمع اشدى ونجذني مداورة الشؤون

واجتماع الاشد عبارة عن كمال القوى في البدن والعقل — والتجنيذ التهذيب قال في الصحاح ورجل منجذ اي مجرب احكمتهُ الامور وهو من الناجذ آخر الاضراس . والمداورة المعالجة والمزاولة — فترون انهُ يريد وصف نفسه بتمام الشدة واستجماع الفكر — ثم اوضح الرد على ابن عمه بقوله

فان علالتي وجراء حولي لذو شق على الضّرع الظّنون

والعلالة بقية جرى الفرس والضّرع الضعيف والظّنون الضعيف والقليل الحيلة

ارجو ان اكون قد اديت واجباً للمقتطف الاغر وارجو ان تقبلوا فائق احترامي

محمد الخضري

[المقتطف] نشكر فضلكم على ما اتحفتم المقتطف به ولكننا لا نزال نرى غموضاً في البيت اذا لم يكن مراد الشاعر ان من بلغ الاربعين يضعف عادةً . اوَ ليس الاولى ان يقال انهُ سلَّم بهذه القاعدة وهي ان في الكبر عجزاً ثم استثنى نفسهُ منها ولو بلغ الخمسين ليكون ذلك ادعى لافتخاره لاسيما وانهُ حاول تأييد حجته بذكر نسبه وحنكته كأ نهُ قال « انا رجل من قوم اشداء معتادين معاركة الدهر فلا يضعفنا كبر السن كما يضعف غيرنا ولو جاوزنا

حد الار بعين او الخمسين» . ولكننا لا نتشبث بهذا التعليل بل نود ان نقف على رأي اكثر من واحد من اساطين اللغة مثل حضرتكم . ثم ان صحَّة هذا التعليل لا تصلح ما قيل من ان الشاعر اعتذر عن كلال حد مخيلتهِ ونضوب معين قريحتهِ لان القرينة التي اوردتموها لا تدل على ذلك فلكم الشكر على كل حال

باب الزراعة

علف المواشي والدواب

ان اكثر الفلاحين في هذا القطر لا يُعنى العناية اللازمة بتقديم العلف الى مواشيهِ ودوابهِ بل يطعمها ما تصل اليهِ يدهُ من الربيع والتبن والحبوب ولكن اصحاب الوسايا لا يكتفون بذلك بل يقدمون الى مواشيهم مقداراً محدوداً من العلف اليابس بعد ان تنقطع عن البرسيم والدريس وهذه هي القاعدة المرعية عندهم

للثور الشغال	٤	اقداح من الفول المدشوش	و ٨ اقات من التبن
« البطال	٢	« « « «	و ٨ « « «
للبقرة الحلوب	٢	« « « «	و ٥ « « «
للعجل	٢	« « « «	و ٥ « « «
للجاموسة الحلوب	١	« « « «	و ٦ « « «
للجمل	٤	« « « «	و ٥ « « «
للحمار	١	« « الحمص «	و ٤ « « «
للحصان	٤	اقداح من الشعير «	و ٤ « « «

وفي القطر المصري مواد اخرى لعلف المواشي غير الفول وهي كسب بزر القطن وكسب بزر الكتان او بزر الكتان نفسهُ ويحسن الاعتماد عليها اذا قلَّ الفول فلم يكفِ لعلف المواشي او اذا غلا ثمنهُ لكثرة الطلب عليهِ من الخارج . فاهالي سورية مثلاً يعلفون المواشي كرسنةً وجزة وهي بعر دود الحرير وفضلات ورق التوت الذي يأكلهُ . واهالي اوربا يعلفون مواشيهم حبوباً مختلفة فوق العشب الاخضر و اليابس اللذين يقومان مقام

البرسيم والدريس عندنا . ومن هذه الحبوب كسب فول الصويا وكسب بزر القطن المقشور وكسب بزر الكتان . وهاك ثمن الطن من هذه المواد كما كان في بلاد الانكليز في شهر فبراير الماضي وما في الطن من الغذاء الذي تهضمهُ المواشي وتستفيد منهُ

اسم العلف	مقدار الغذاء فيهِ	سعر الطن	شلن	جنيه
كسب بزر الصويا	١٢٢	.	١٥	١٧
كسب بزر القطن المقشور	١٢٦	.	٠٠	١٨
كسب بزر الكتان الهندي	١٢٣	.	٠٠	١٨
" " " الانكليزي	١٢٠	.	١٥	١٩
" " القطن الهندي	٠٦٥	.	١٧	١٤
" " " المصري	٠٧١	.	١٥	١٥
" الفول السوداني	١٤٥	.	١٥	١٩
الفول الانكليزي	٠٩٩	.	١٤	١٧
الفول الصيني	١٠١	.	١٩	١٧
الذرة الاميركانية	٠٩٤	.	١٧	١٥
الشعير الانكليزي	٠٨٣	.	٠٤	١٨
نخالة القمح	٠٧٧	.	١٥	١٣
بزر الكتان نفسهُ	١٥٤	.	١٠	٢٨
بزر القطن المصري نفسهُ	١٠٩	.		١٩

بحث في البرسيم

البرسيم اهم نباتات العلف في القطر المصري وقد وقفنا على بحث مستفيض فيهِ لمستر ميوز كيماوي وزارة الزراعة فاقتطفنا منهُ الفوائد التالية وهي مبنية على البرسيم الذي زرع في حقل التجارب الزراعية في الجيزة

(١) ان وزن الحشة الاولى من فدان البرسيم يختلف من ١٤١ قنطاراً الى ١٥٢ قنطاراً ووزن الحشة الثانية من ١٩٦ قنطاراً الى ٢٤٠ قنطاراً

(٢) ان مقدار الماء في البرسيم كثير جدًّا وهو في الحشة الاولى يختلف من ٨٤ وستة اعشار في المئة الى ٨٥ وعشرين في المئة ومتوسطهُ ٨٤ وتسعة اعشار في المئة . وفي الحشة الثانية

يختلف ايضاً ومتوسطة ٨٤ واربعة اعشار في المئة اي ان الماء اقل في الحشة الثانية منهُ في الاولى

(٣) ان الماء يقل في البرسيم شهراً بعد شهر كما ظهر من الامتحان في البرسيم الذي يزرع في ضواحي العاصمة فهو في برسيم ٢٥ نوفمبر ٨٨ وثمانية اعشار في المئة وفي برسيم ٢٧ دسمبر ٨٧ وعشر في المئة وفي برسيم ٢٨ مارس ٨٣ واربعة اعشار في المئة وفي برسيم ٥ مايو ٨٠ في المئة اي ان المادة الجامدة في الاول ١١ وعشران في المئة وفي الثاني ١٢ وتسعة اعشار وفي الثالث ١٧ وستة اعشار وفي الرابع ٢٠ في المئة

(٤) اذا صار البرسيم دريساً لم يبقَ من مائهِ الا ١٠ الى ١٥ في المئة وذلك يختلف باختلاف الوقت الذي يقطع فيهِ كما سيجيء

تحليل المواد الجامدة في البرسيم

	٢٥ نوفمبر	٢٧ دسمبر	٢٨ مارس	٥ مايو
دهن وشمع الخ	٣و٦ في المئة	٣و١ في المئة	٣و٤ في المئة	٣و٠ في المئة
الياف لا تهضم	٢٥و٠ «	٢٥و٦ «	١٨و٧ «	٢١و٠ «
كربوهيدرات ذوابة	٣٧و٣ «	٤٤و٩ «	٥٠و٦ «	٤٦و٥ «
بروتيدات	١٦و١ «	١٠و١ «	١٤و٨ «	١٧و٥ «
اميدات	٢و٧ «	٣و٩ «	٠و٦ «	١و٠ «
رماد	١٥و٣ «	١٢و٤ «	١١و٩ «	١١و٠ «
والجملة	١٠٠و٠	١٠٠و٠	١٠٠و٠	١٠٠و٠

تحليل المواد الجامدة في الدريس

	الحشة الاولى	الحشة الثانية	بالزهر	قبل التزهير
الياف	٢٢و٢ في المئة	٢٥و٦ في المئة	٣٠و١ في المئة	٢٥و٩ في المئة
كربوهيدرات ذوابة	٤٩و٤ «	٤٩و٣ «	٤٨و١ «	٥١و٩ «
بروتيدات	١٢و٩ «	١٣و٠ «	١٠و٣ «	١٠و٥ «
اميدات	١و٩ «	٢و٤ «	٢و٣ «	١و٥ «
رماد	١١و٦ «	٩و٧ «	٩و٢ «	١٠و٢ «

ويمكن تلخيص ما تقدم في ان كل الف رطل من البرسيم فيها ٨٤٦ رطلاً من الماء

و ١٥٤ رطلاً من المواد الجامدة وان نحو ستين في المئة من هذه المواد الجامدة مغذٍ اي في كل الف رطل من البرسيم نحو ٩٢ رطلاً من الغذاء

وان كل الف رطل من الدريس فيها ١٣٨ رطلاً من الماء و ٨٦٢ رطلاً من المواد الجامدة اي ان الطن من الدريس يقوم مقام ستة اطنان من البرسيم او ان ستة اطنان من البرسيم يحصل منها طن واحد من الدريس. وقد تقدم ان الحشة الواحدة من البرسيم تزن نحو تسعة اطنان فاذا جففت حتى صارت دريساً بلغ وزنها نحو طن ونصف ولكن لما كان الدريس يصنع من الحشة الاخيرة وهي قليلة المائية فلا يبعد ان يبلغ وزن دريسها طنين او اكثر

غلة الحبوب

قدرت غلة القمح والذرة والشعير وسائر الحبوب في فرنسا وانكلترا وايطاليا واسبانيا والدنمارك وهولندا ونروج ورومانيا وروسيا اوربا وسويسرا وكندا والولايات المتحدة والهند واليابان ومصر وتونس والجزائر فكانت كما يأتي

	سنة ١٩١٦	سنة ١٩١٥	
القمح	٠،٠ ٠٠٠ ٤٨٣ اردب	٠٠٠ ٨٩٣ ٦٣٩ اردب	فالنقص ٥،٢٤ في المئة
الذرة	٠٠٠ ١١٩ ٤٩٧ «	٠٠٠ ٢٣٩ ٥٧٤ « «	١٣،٤ « «
الشعير	٠٠٠ ١٧٥ ١٥٩ «	٠٠٠ ٠١٨ ٢١٣ « «	٠٨،١ « «
الراي	٠٠٠ ٧١٢ ١٧٦ «	٠٠٠ ٦٠٧ ١٨٦ « «	٠٥،٣ « «
الاوت	٠٠٠ ٦١٦ ٥٠٤ «	٠٠٠ ٣٣٣ ٥٧٩ « «	١٢،٩ « «

وكان النقص اكثر من ذلك في بلاد الارجنتين كما ترى في الجدول التالي

	سنة ١٩١٦	سنة ١٩١٥
القمح	٠٠٠ ١٢٥ ١٣ اردب	٠٠٠ ٣٤٠ ٣٢ اردب
الذرة	٠٠٠ ٢٠٠ ١٠ «	٠٠٠ ٩٠٠ ٢٧ «
الاوت	٠٠٠ ٠١٠ ٠٥ «	٠٠٠ ٨٨٧ ٠١١ «
بزر الكتان	٠٠٠ ١٠٢ ٠٠ طن	٠٠٠ ٩٩٨ طن

فنقص غلة الحبوب في البلدان المذكورة آنفاً كبير جداً يبلغ نحو ٢٠ في المئة ونقص بزر الكتان في بلاد الارجنتين لا مثيل لهُ فمن نحو مليون طن بلغ نحو مئة الف طن اي بنقص نحو تسعة اعشار

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

قبض الامعاء

نريد بقبض الامعاء هنا القبض المستحكم في بعض الاجسام استحكام العادات لا المصاحب لبعض الامراض او النذير بها ولا الحادث عن أكل مواد قابضة . ويمكن تعريفهُ بانهُ بلادة تصيب الامعاء فيقلّ ميل صاحبها الى قضاء حاجتهِ في اوقات منتظمة . ويكاد الاطباء يكونون مجمعين على القول ان جسم الرجل البالغ الصحيح يقضي حاجتهُ مرة في كل يوم . على ان من الناس من يتغوط مرتين في اليوم ومنهم من يفعل ذلك مرة في يومين او ثلاثة وتكون هذه الحالة طبيعية فيهم . واذا صحّ مذهب متشنيكوف وانصارهُ من ان الامعاء بيت الداء وان طول العمر او قصرهُ منوطان بصحتها او علّتها ظهر للقارىء اهمية هذا الموضوع

اما اسباب القبض فعديدة . ففي حالات كثيرة يكون ناشئاً عن العادة اي انهُ ينجم عن الاهمال منذ ايام الصغر . ولكن السبب الاكبر فيما نرى كثرة مشاغل المدنية الحاضرة بحيث لا يبقى للمرء وقت للاهتمام بامر طعامهِ ولا فرصة لقضاء حاجتهِ وخصوصاً في الصباح . وقد يزاد اذى القبض بكثرة استعمال الادوية المسهلة والملينة والحقن واهمال العناية بنوع الطعام وبالرياضة التي تعد من افضل الوسائل لتسهيل حركة الامعاء ومنع قبضها . اما الطعام فالواجب في اختيارهِ مراعاة هذه المبدإ وهو ان يكون حاوياً لمواد تترك في الامعاء بقية جامدة تكون منبهاً لجدران الامعاء على الحركة والعمل ومانعاً للبلادة والكسل كالخبز الاسمر والخضر والاثمار . ولكن الاطعمة الشديدة الجفاف تساعد على القبض وكذلك يساعد عليهِ كثرة افراز العرق من الجسم والتغير الفجائي في نوع المأكل والمشرب ومواعيدها والنحافة بعد السمن . ففي هذه الحالة الاخيرة يرتخي جدار الامعاء فيشتد القبض

ومن الامراض ما يساعد على القبض كالبول السكري وغيرهِ من الامراض التي

يصحبها بلادة الكبد وقلة افراز الصفراء ومعلوم ان الصفراء مفرز طبيعي غايتهُ تنبيه الامعاء على العمل . وكالبواسير وتضييق الامعاء من بثور تظهر عليها او غير ذلك . فان هذه جميعها تحدث ألماً لصاحبها عند التغوّط فيؤجلهُ كلما حانت ساعتهُ

والناس على اختلاف في قدرتهم على احتمال عواقب القبض . فمنهم من يتركهُ وشأنهُ ويحمل عواقبهُ الوخيمة الى ما لا حدّ لهُ من غير ان ينالهُ اذًى يذكر في حين ان غيرهم يشعرون بتعب كثير اذا مرّ يوم واحد ولم يقضوا حاجتهم . وهذا التعب ينجم في الاكثر عن امتصاص الجسم لبعض المواد المختلفة في الامعاء وجريان سمومها مع الدورة الدموية فيعقب ذلك بعض الاعراض المعروفة كالصداع وسرعة الانفعال والاغتمام وضعف الهمة وكراهة النفَس واكتساء اللسان بفروة بيضاء . ويكاد المرض المعروف باسم كلوروسز اي المرض الاخضر — وهو نوع من الانيميا او فقر الدم — يكون مصحوباً بالقبض على الدوام ان لم يكن مسبباً عنهُ . وغنيٌّ عن القول ان القبض يعرّض اصحابهُ لالتهاب الزائدة الدودية كما هو مشهور . وقد يفضي القبض احياناً كثيرة الى المغص اما البواسير فكثيراً ما تحدث من اهمال امر الامعاء فاذا جاءت زادت القبض شدة واستحكاماً لما تقدم من الاسباب

ولنأتِ الآن الى علاج القبض فنقول . ان المصابين بالقبض احوج في غالب الاحيان الى اصلاح طرق معيشتهم منهم الى الدواء كما هو الحال في كثير من الامراض . واذا احتاجوا الى الدواء فان احتياجهم اليهِ يكون وقتيًّا والغالب ان يكون ذلك في بدء معالجة القبض . اما اصلاح طرق المعيشة فيتناول اولاً تعويد المرء نفسهُ التخلُّف لقضاء حاجتهِ كلّ يوم في ساعة معينة سواءٌ قضى حاجتهُ ام لم يقضها . واحسن الساعات لذلك في الصباح بعد « الفطور » . ويحسن قبل ذلك ان يتمشى المصاب بالقبض بضع دقائق وليكن دوسهُ الارض سريعاً شديداً او يتروض بركوب الخيل او بلعب الجمنستيك او غير ذلك من الرياضة العنيفة والذين لا يطيقون ذلك اما لكبر سنّهم او لشدة سمنهم يحسن بهم ان يلجأوا الى دلك البطن باليد من اليمين الى الشمال تبعاً لحركة عقارب الساعة

وثانياً اكل اشياء معينة مع كل وجبة وهذه الاشياء هي الخبز الاسمر والفواكه والخضر غير المطبوخة كالتي تصنع منها السلطه . فاذا خيف ان يفضي اكلها الى عسر هضم او الى الاصابة بمرض فلتؤكل الخضر والبقول مطبوخة جيداً

وثالثاً كثرة شرب السوائل · ومن افضل الطرق لذلك ان يشرب المصاب بالقبض كاس ماء بارد وهو يلبس ملابسهُ صباحاً وليكن شربهُ الماء ارتشافاً · وليشرب شيئاً مع الطعام ايضاً والماء العادي يفي بالمراد في الغالب بشرط ان لا يكون شديد القساوة · والمراد بالماء القاسي الماء الذي يحوي شيئاً من املاح الكلسيوم او المغنيزيوم وعلامتهُ ان الصابون لا يُرغي فيهِ بسهولة · وليجتنب شرب اللبن في خلال الاكل فانهُ مجلبة للقبض · وليشرب الشاي والقهوة اذا شاء ولكن ليشربهما خفيفين والشاي الصيني افضل من شاي الهند وسيلان لانهُ اقل احتواء على المواد القابضة منها

والاطباء يصفون للقبض صنوفاً من الدواء ولكن خير ما يعالج بهِ اذا بات متملكاً للجسم تملك العادة شرب المياه المعدنية واسوغها شرباً الماء الذي فيهِ كبريتات الصودا · وطريقة شربهِ تختلف باختلاف الاشخاص ولكن من الطرق المستحسنة ان يؤْخذ ملءُ ملعقة صغيرة من الكبريتات او اكثر ويحل في نصف كاس ماء ويرتشف صباحاً

وافضل الملينات النباتية السنامكي والصبر والكسكارا والاول الطفها فعلاً ومن افضل الطرق لاعدادهِ ان تغلى بعض حبات منهُ مع الاثمار المقددة والسكر وتؤْكل الملاية بعد نزع هذه الحبوب منها · واذا طبخ التين بالسكر سواء كان اخضر ام مقدداً واكل لين الامعاء · والكسكارا اقوى من السنامكي وهي مقوية للجدار البطني · والصبر يصنع منهُ كثير من المستحضرات « الجاهزة » المختصة بتليين الامعاء وازالة القبض · واحسن وصفاتهِ قمحتان منهُ و $\frac{1}{4}$ قمحة من خلاصة جوزة القيء و $\frac{1}{4}$ قمحة من البلادونا تؤْخذ عند النوم

وفي معالجة القبض الحاد المستعصي تؤْخذ شربة زيت خروع · وقد وجدنا بالاختبار ان مزج زيت الخروع بشيء من القهوة الثقيلة الحلوة افضل الوسائل لاخفاء طعمهِ · ولكن يجب ان يقلل اعطاؤُهُ للاولاد ما امكن لما هو معروف من اشتداد القبض بعدهُ · ويصفون لعلاج قبض الاولاد الذين جاوزوا سن الطفولة معجون الكبريت يؤْخذ منهُ نصف ملعقة صغيرة الى ملعقة · ولا يجوز ان يعطوا الادوية التي يكثر فيها السكر لانهُ يختمر في المعدة فيولد التطبل وعسر الهضم · ومن الاغلاط الشائعة ان يقتصر في طعام الاطفال بعد الفطام على المواد النشوية والسكرية · ولا بأس من اطعامهم شيئاً من الخبز ولحم الدجاج والسمك والضاني والخضر المطبوخة والاثمار ولكن باعتدال كثير كما لا يخفى

اللعاب ومضغ الطعام

يحتوي الخبز على نشا وغلوتن وبعض الاملاح . والغلوتن في الدقيق « المقطَّف » اقل منهُ في غير المقطف فلذلك كان الدقيق الذي لم يبالغ في تقطيفهِ افضل من غيرهِ لعمل الخبز لاحتوائهِ على كثير من الغلوتن وبعض النخالة . واذا زادت النخالة في الخبز على قدر معين بات الخبز عسر الهضم على المعد الضعيفة او التي لم تعتد هضمهُ . ولا بدَّ لتسهيل هضم الخبز من امتزاجهِ باللعاب عند المضغ فلذلك يوصي الاطباء ضعاف المعدة والمصابين بعسر الهضم ان يتأنوا في مضغهم فمن الجهة الواحدة تمتزج اللقمة باللعاب جيداً ومن الجهة الاخرى تسحق تمام السحق وكلا الامرين يهوّن على المعدة عملها وبناء على ذلك يخمرون العجين بالخميرة او ما يقوم مقامها او بادخال الهواء اليهِ بواسطة آلة خاصة بذلك كما يصنعون بالخبز المسمَّى « بالخبز المهوّى » فان ذلك كلهُ يكثر مسامهُ فيسهل على اللعاب تخللهُ

والخبز البائت اسهل انهضاماً من الجديد لانهُ اجفّ منهُ فلذلك يمتص مقداراً أكثر من اللعاب . وكلما زاد جفافاً صار هضمهُ اسهل كما في اصناف البسكويت المختلفة . ولا تستطيع معدة الطفل هضم الخبز قبل تمام نصف السنة الاولى من عمرهِ لان لعابهُ لا يفرز قبل ذلك

ومن المعروف طبيّاً ان اللعاب يحوّل بعض النشا الذي في الخبز وغيرهِ من الاطعمة النشوية الى سكّر سهل الهضم او ما يسمونهُ « ملتوز » وهذا ايضاً بعض السبب في وجوب العناية بمضغ الطعام جيداً

زيت الخروع

زيت الخروع اسلم المسهلات عاقبة ولكن كراهة طعمهِ تجعل المريض يعافهُ ولو تأكد ان فيهِ الشفاء . وقد وصفوا طرقاً شتى لاخفاء طعمهِ منها ما اشرنا اليهِ في نبذة سابقة وهو شربهُ مع القهوة ومنها شربهُ مع الشاي او اللبن او ماء الانيسون الى غير ذلك فكانت النتيجة في غالب الاحيان ان يعاف شارب المسهل هذه المواد طول عمرهِ كما يعاف الزيت نفسهُ . وقد رأينا في بعض الكتب الطبية وصفة خلاصتها ان يشرب الزيت مع اللبن بعد تسخينهما ووضع شيء من الملح على اللسان ثم ينظف الفم بمضغ حبة زبيب . ويفضل مع الكبار استبدال اللبن بشيء من العرقي او الكونياك او غيرها من المشروبات الروحية .

ولا يزال زيت الخروع اعصى على الطبيب من الفالج فلا يزيل طعمهُ الأشربةُ في الكبسول . ولكن الاكثرين لا يستطيعون بلع الحبوب مهما صغر حجمها فما بالك بالكبسولة الكبيرة

الغلاء والاقتصاد

يشكو الناس من غلاء الاسعار في كل البلدان . ولهذا الغلاء سببان الاول كثرة النقود بين ايدي الناس لان تداولها زاد كثيراً بسبب الحرب اي بسبب كثرة الاخذ والعطاء التي اوجبتها الحرب والثاني نقص الحاصلات الزراعية في اكثر البلدان

لكن الحاجة تفتق الحيلة فاذا قلَّ الزاد وجب الاقتصاد فيهِ والاقتصاد واجب اذا لم يضر فاذا كان امام ربة البيت نوعان من الطعام احدهما غالٍ والآخر رخيص وكانا متساويين في مقدار ما فيهما من الغذاء سهل عليها الاقتصاد باختيار الطعام الرخيص وهذا يفعلهُ كل النساء المدبرات . ولحسن الحظ لا تجد غلاء المأكولات ورخصها مناسبين لكثرة غذائها وقلتهِ بل الغالب ان يكون الطعام الغالي اقل غذاء من الطعام الرخيص

اطلعنا في الجزء الاخير من مجلة العلم الاميركية على خطبة للاستاذ غرام لسك القاها في جمعية الاقتصاد المنزلي باميركا في ٢٣ مارس الماضي ذكر فيها الطعام الذي يستطيع بيت فيهِ رجل وزوجتهُ وثلاثة اولاد ان يعتمدوا عليهِ فتبلغ نفقتهم في اليوم ٢٣ غرشاً فقط مع ان الرجل يعمل اعمالاً شاقة وزوجتهُ تقوم بكل اعمال البيت . واسعار الحاجيات زادت اميركا نحو سبعين في المئة عما كانت عليهِ في العام الماضي وهاك خلاصة ما اشار بهِ

طعام الفطور

عصيدة من دقيق الذرة مع قليل من اللبن للاطفال او من عسل الذرة للبالغين . خبز . زبدة صناعية . قهوة للبالغين

طعام الغداء

فول مطبوخ بقليل من اللحم الكثير الدهن . خبز . زبدة صناعية . شاي وسكر ولبن للبالغين . لبن للصغار . موز مطبوخ بسكر

طعام العشاء

شوربة عدس . رز مسلوق او مكروني . صالصة طماطم . خبز . زبدة صناعية . شاي للبالغين . لبن للصغار . مربَّى التفاح وجبن للبالغين

وهاك اثمان هذه الاطعمة في اميركا

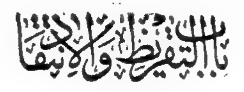
البن	٢٨ درهماً	٦ مليمات	سكر	¼ رطل	٤ مليمات
الشاي	٦ دراهم	٤ مليمات	رز او مكروني	١ »	١٦ مليماً
اللبن	٦ ارطال	٥٤ مليماً	فول	١٢٠ درهماً	١٤ مليماً
الخبز	٢ رطلان	١٨ مليماً	لحم مدهن او دهن	½ رطل	١٢ مليماً
حبوب	½ رطل	٨ مليمات	اثمان متعددة	١ »	٢٤ مليماً
زبدة صناعية	¾ الرطل	٣٨ مليم	دقيق وسمن لعمل الحلو		٣٠ مليماً
شراب الذرة	½ رطل	٤ مليمات	والجملة		٢٣٢ مليماً

واللحم المدهن رخيص في اميركا والفول غالٍ فاذا حسبنا ثمن ١٢٠ درهماً من الفول ٦ مليمات وثمن ½ رطل اللحم المدهن ٢٠ مليماً كان ذلك مماثلاً للاسعار عندنا وبقي المجموع على حالهِ لان اسعار سائر المواد مماثلة لاسعارها عندنا

والاساس الذي بُني عليهِ اختيار هذا الطعام هو ما فيهِ من الغذاء المقيس بوحدات الحرارة او الفيوح ففي رطل الخبز ١٢٥٠ من الحرارة وفي رطل الرز او المكروني ١٦٠٠ وفي رطل اللبن ٣٠٠ وفي رطل الزبدة الصناعية ٣٣٣٣ وفي رطل اللحم المدهن ٢٠٠٠ وفي رطل الفول ١٢٠٠ ومقدار الحرارة في الاطعمة المذكورة آنفاً ١٤٤٢٥ وهي تكفي بيتاً فيهِ رجل وزوجتهُ وثلاثة اولاد كما تقدم فيمكن ابدالها بغيرها حتى يبقى ما فيها من الحرارة نحو ١٥٠٠٠ مثال ذلك ان يؤلف طعام هذا البيت في اليوم من المواد التالية

خبز	٥ ارطال فيها	٦٢٥٠	من الحرارة تساوي	٥ غروش
فول	رطلان »	٢٤٠٠	» »	١½ »
لبن	» »	٢٦٠٠	» »	٢ »
زبدة صناعية رطل فيهِ		٣٣٣٣	» »	٤½ »
لحم	رطل فيهِ	٢٠٠٠	» »	٥ »
سكر نصف رطل فيهِ		٠٩٠٠	» »	½ »
الجملة		١٥٤٨٣	» »	١٨½ »

فهذا الطعام يزيد ما فيهِ من الغذاء على الطعام الكافي نحو الف من الحرارة ومع ذلك لا يزيد ثمنهُ على ١٨ غرشاً ونصف غرش بالاسعار الحالية



الاحكام العقلية

بحث سوري فلسفي في اميركا

الراسخ في الاذهان ان السوريين الذين هاجروا الى اميركا قصدوها طلباً للرزق او للعلوم والفنون التي تنيلهم الرزق كالطب والتصوير ولكن ظهر لنا الآن ان بعضهم قصدها للاشتغال بالفلسفة او العلوم النظرية المحضة. فقد جاءتنا الآن رسالة وضعها الدكتور سليم شحاده جورج تمهيداً لنيله رتبة دكتور في الفلسفة وهي تبحث في الاحكام العقلية بحثاً استقرائياً فانهُ استدعى بعض الاساتذة وغيرهم مثل الدكتور فوستر والدكتور يورنج وهما مدرّسان في الفلسفة العقلية والمستر بشوب وهو مساعد لمدرس الفلسفة العقلية والمستر رنش ومس النجاش وهما من طلاب الفلسفة وعرض عليهم بعض المسموعات والمنظورات ليقابلوها بعضها ببعض و يقولوا ما هي احكامهم فيها فيعرض عليهم صوتين مثلاً فيشعر البعض انهما متماثلان والبعض ان الاول اقوى من الثاني او الثاني اقوى من الاول وذلك بالتحقيق او بالترجيح او بالظن وتتكرر المعروضات والاحكام مراراً ثم يقابل بينها و بين المدة التي يقضيها كلٌّ منهم لابداء حكمهِ. وقد كرَّر هذه التجارب مراراً عديدة ووقف فيها على ٢٥٢٩ حكماً وحلَّلها كلها في رسالة طويلة تملأُ ٣٧ صفحة بحرف دقيق ويظهر لنا انهُ سيكون لهذا البحث شأن في تمرين القضاة وكل الذين يتولَّون التحقيق القضائي حتى يتمرنوا على الاسراع في احكامهم وتطبيقها على الواقع

ديوان الرشيديات

من نظم رشيد افندي سليم خوري من السوريين نزلاء برازيل. حيثما حلَّ السوريون اخذوا معهم آدابهم واخلاقهم وعاداتهم ونشأ منهم نوابغ الشعراء والكتاب ولو كانوا في بلاد لا يفهم احد من سكانها كلمة من لغتهم. واذا قرأُوا العلوم العصرية واطلعوا على منظومات شعراء الغرب اضافوا الى القديم شيئاً من بهجة الجديد كما ترى في بعض ما في هذا الديوان

من ذلك قول ناظمهِ في قصيدة عنوانها « من على تل كاشميو الى جبل صنين » قال فيها

ارانيَ في لبنان ما زلت ثاويا — فمالي بكاشميو ارانيَ ثاويا
رعى الله اياماً هناك قضيتها — وما كان غير الحب يشغل باليا
غداة الهوى العذري لامس مهجتي — ففجّر ينبوعاً من الشعر صافيا
قصائد ذاب اللفظ منهنّ رقةً — وسال على تلك الطروس معانيا
يقولون ان السعد يخدم ساعياً — ولم اشقَ الاّ بعدما صرتُ ساعيا
اذا ما الاماني كان يأساً ختامها — فاشهى الاماني ان تظلَّ امانيا

وقال مخاطباً الحلفاء في الدردنيل

اقلوا فما كثر الدوارع نافعٌ — وكم دونكم غوّاصة دونها لغمُ
ولا يدخلون الجبل في سمّ ابرة — فبوغازهم ضنك واسطولكم ضخمُ

وقال واجاد واصفاً نزولهُ بين سود اميركا الذين يلقبون السور يون تُركو

سفرٌ نهايتهُ سفر — مثل النسيم بلا مقر
شجر السرى والسير مني — والبواخر والقُطُر
الشمس تمطرني اللظى — والسحب تمطرني المطر
حتّامَ ابقى دائراً — حول البسيطة كالقمر
اصطاد اطيار السعادة — وهي من وجهي تفرّ
فكانني مثلٌ يقدمهُ — الزمان الى البشر
عبثاً تروم سعادةً — ان لم يساعدْك القدَر
ما غادرتني نكبةٌ — إلاّ ليعقبها أُخر
همٌّ يزول بمثلهِ — كالشوك ينزع بالابر
ايوب سلّمْ صولجانك — لست اعظم من صبر
لو ذقتَ يوماً ما اذوق — لكنتَ اول من كفر
وبزيد في الطنبور اني — بين ناس كالبقر
لا يفهمون من الحياة — سوى البطالة والبطر
كن بينهم رجل الزمان — تظل « توركو » محتقر
يا للهوان فقد غدونا — عبرة لمن اعتبر

حتى العبيد السود قد | تعقروا بنا مع من سخر
وطني ويا لك موطناً | قد مزقتهُ يد الغير
يشقى المقيم اليوم فيك | وليس يسلمُ من هجر
في ذمة الحرب الضروس | حياة هــذا المحتضر

وقال واجاد في عيد الكارنافال (المرافع) في سان باولو

قل هل رأيت شموس الغيد في العيدِ | تختال بالبيض من اجفانها السودِ
طوراً فُرادى على مهلٍ منظمةً | مثل العقود وطوراً كالمناقيد
طار الغرور بسيّاراتهنّ فلو | داست على الطفل لا تؤْذي ولا تودي
يرشقننا بسهامٍ غيرِ جارحةٍ | مصنوعة من عصير الندّ والعود
وتارةً ناثراتٍ فوقنا ورقاً | كانهُ مدمع المشتاق في الجود
او راميات بهِ شهباً مذنّبةً | تقتاد قلبي بحبل غير مشدود
ما زلت حتى انقضى عشر وواحدةٌ | من الدجى وكأني غير موجود
يقول صحبي لماذا انت مكتئبٌ | وكلنا بين تهليلٍ وتغريد
قلت أعذروني فان النوم يغلبني | قالوا انطلق انت مشتاق الى العود
فرحت عنهم وفي عيني وفي كبدي | ما ليس يدرون من همٍّ وتسهيد
امشي الهوينا واحشائي مقطعةٌ | على نصيب المساكين المناكيد
ارامل ويتامى يسلون على | أسدٍ يقضون هذا العيد في البيد
حيث السهام هي النيران آكلة | فلا يرى بينها سهمٌ لتبريد
حيث « الشير » كرات الموت ساقطة | مثل الرجوم على هام الصناديد
يأتي على الجيش لا يبقي لهُ اثراً | مستأثراً بنصيب الوحش والدود
اولئك الصيدُ في حوماتهم وهنا | نجوم نحن على اللذّات كالصيد
هذا حدادك يا غربيُّ تلبسهُ | على اخٍ بين تنكيلٍ وتنكيد
يا حبذا جهلنا نعمتْ بساطتنا | ام الدموع المغازير الجاويد
شرّ البساطة محدودٌ بصاحبها | والتمدن شرٌّ غير محدود
عمت مصائبهُ الدنيا وقد بلغت | الى السماء على جنح المناطيد

ديوان المازني

الجزء الثاني

صدر هذا الجزء من ديوان عبد القادر افندي المازني مفتتحاً بمقدمة تتناول اغراضاً كثيرة اهمها يخالف القول المأثور وهو ان الشعر اعذبهُ اكذبهُ و يناقض ما يتوخاهُ البعض من الاغراب حتى يقال ان شعرهم بدوي محل فقد قال فيهما « لقد طال استخفاف المتأدبين بضرورة الصدق والاخلاص حتى استخفَّ بهم الناس واشتد غلوهم في انكار مكان الحاجة اليهما حتى انكرنا عليهم ما تكلفوهُ من فضول القول ونفاية الكلام وما تجشموهُ من ضروب الاغراب الذي لا يغني عن الادب شيئاً وانواع المعاياة التي لا تعود بطائل ولا ترجع بفائدة . ولعمري لست اعرف شيئاً هو احلى واعذب ورداً من الشعر صدّقنا اهلهُ المقال وترفعوا عن التقليد الذي لا حاجة بنا اليهِ ولا ضرورة تحملنا عليهِ » .... الى ان قال « وما الشعر الأمعان لا يزال الانسان ينشئها في نفسهِ و يصرفها في فكرهِ و يناجي بهما قلبهُ و يراجع فيها عقلهُ . والمعاني لها في كل ساعة تجديد وفي كل لحظة تردد وتوليد والكلام يفتح بعضهُ بعضاً وكلما اتسع الناس في الدنيا اتسعت المعاني كذلك »

وفي هذا الجزء ٣٥٠ صفحة حافلة بالقصائد والمقاطيع . ولقد احسن في نسبتهِ ما ترجمهُ من اشعار الانكليز الى الشعراء الذين ترجم عنهم . والذي ترجمهُ من اشعار ملتن جارى فيهِ ملتن في انهُ لم يلتزم فيهِ قافية واحدة . ولا شبهة ان التزام القافية اوقع في النفس وهو في العربية اسهل منهُ في الانكليزية واذا كانت القصيدة طويلة كقصيدة ملتُن فلا مانع من قسمتها قصائد كثيرة او نظمها مربعات او مخمسات او موشحات

ومما يظهر اسلوب المازني قولهُ في وصف لوه البحر وظلام الليل

فيا لكَ من ليلٍ بهيم كأنهُ	حداد السموات على نسل آدمِ
ويا لكِ من ريحٍ كأن زفيفها	نواقيس دقت للمنايا الهواجمِ
و يا لك من بحر كان ضجيجهُ	صراخ اليتامى في وجوه المآتمِ
ورائي وقدامي وفي القلب ظلمة	فكيف فراري من ظلامٍ ملازمي

وقولهُ في المناجاة

الله في كلفِ الاحشاء مفتونِ	يجناحهُ الشوق من بادٍ ومكنونِ
باع الرجاء ولم يبتع بهِ بدلاً	سوى قنوط طرير الغرب مسنونِ

ان نام نغَّصتِ الاحلامُ رقدتهُ او قام ناجاهُ همٌّ غير مظنون
لا يخصب الظن في جدب الزمان ولا يضوع في قفرهِ عرف الرياحين

واكثر القصائد على هذا النسق كما ترى في قصيدة «الماضي الحي» الاَّ بما فيها من التعريض «بلمن الدين والملل». وقد يسأل قارئٌ هذه القصيدة هل خاطب ناظمها غادةً معلومةً ومن هي او معنًى قائمًا في نفسهِ. ومهما كان الحب عذريًّا فالاكثار من وصفهِ ووصف ملابساتهِ لا تحمد عواقبهُ ونحن احوج الى ما يهذب الاخلاق ويقوي العزائم منا الى ما يثير لواعج الحب والهيام. فليكثر المازني من مثل ذلك ولهُ منا شكر فوق شكر

كلمات في الاخلاق

للاستاذ محمد افندي مختار يونس ناظر مدرسة المعلمين الاولية الاميرية بالاسكندرية وهي طائفة كبيرة من الحكم والامثال وجوامع الكلم في كثير من المواضيع الادبية كالاقتصاد والشفقة والمثابرة ومحبة الوطن والصبر والصداقة والحذر والتعاون والعزيمة والعفو وقد الحق بهما ما يجب على المعلمين مما يتطلبهُ كل فصل منها لكي يكونوا قدوةً لتلاميذهم فيتمثلوا بالقدوة كما يتعلمون بالدرس والاستظهار وهو اسلوب حسن جدًّا. وحقيق بالطلبة ان يستظهروا كل ما في هذه الرسالة من النصائح والحكم وبالمعلمين ان يعملوا بما اشار عليهم بهِ مؤلفها

البكتيريولوجيا الزراعية

هو كتاب يبحث في البكتيريا او المكروبات المتعلقة بالزراعة سواء كانت مفيدة لها او ضارة بها. الفهُ حضرة محمود افندي مصطفى الدمياطي من اساتذة مدرسة الزراعة سابقًا ومساعد مفتش التعليم الزراعي بوزاعة الزراعة حالاً وقد وفى علم البكتيريولوجيا الزراعية حقهُ من البحث فكتب عن تاريخهِ ونشأتهِ وكبار المشتغلين بهِ وتجاربهم وزين كتابهُ بكثير من الرسوم. فنثني على همتهِ واجتهادهِ

تغذية الطفل الرضيع

لواضعهِ الدكتور حافظ عفيفي بك

هو كتاب كبير الفائدة جامع لكل ما تلزم معرفتهُ في امر تغذية الاطفال موضح بالرسوم الكثيرة يحسن ان توجد نسخة منهُ في كل بيت

لدينا كتب كثيرة للتقريظ سيأتي الكلام عليها في الجزء التالي

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيه مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائله باسمه والقابه ومحل اقامته امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمه عند ادراج سؤاله فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمه (٣) اذا لم يدرج السؤال بعد شهرين من ارساله الينا فليكرره سائله فان لم ندرجه بعد شهر آخر نكون قد اهملناه لسبب كافٍ

(١) النار الحمقاء

الخرطوم . عمر افندي عبد الله . يشاهد سكان قرية السيد بالجزيرة وما حولها من القرى في كل ليلة من قديم الزمان ناراً تشب وتخبو في جهة معينة وهم يروون عنها الغرائب منها ان القاصد لا يجدها الاَّ متى جاوزها حيث تظهر لهُ مجانبة او من خلف وانها لا تظهر في اغلب ليالي الجمع . فما هذه النار في نظر العلم

ج . لقد شاهد هذه النار اناس كثيرون في اماكن عديدة وازمنة مختلفة واسمها باللاتينية ignis fatuus اي النار الحمقاء . ووصفها الذين شاهدوها اوصافاً متباينة واختلفت آراؤهم في تعليلها فقال بعضهم انها صادرة من بعض الحشرات الفصفورية كالحباحب او من النور الفصفوري الذي يصدر من المواد الخشبية البالية . وقال غيرهم انها نور كهربائي كالنار المسماة نار سنت الموس وقال آخرون انها نار حقيقية وقد وضعوا فيها ورقاً فاشتعل وعللها البعض بانها من اشتعال غاز الضوء الذي يتولَّد فوق المستنقعات . وقال غيرهم انها لا تحرق ولا حرارة لها وقد وضعوا ايديهم فيها فلم يشعروا بها . ورجح البعض انها هيدروجين مفصفر وهو يشتعل لذاته بسهولة وهذا الرأي الاخير اقربها الى الصواب فيما نرى . وعندنا رأي آخر يعضدهُ ما روي لكم من ان القاصد لا يجد هذه النار الاَّ متى جاوزها حيث تظهر لهُ مجانبة وهو انها انعكاس نور القمر او نور كوكب من الكواكب عن صخر بلوري او عن شيء صقيل يعكس النور . فان النور المنعكس في الظلام يرى شديد اللمعان ولو كان ضئيلاً . ولو كنا على مقربة من المكان الذي اشرتم اليهِ لبحثنا بحثاً مدققاً عن مصدر هذا النور او هذه النار

(٢) النهضة

مصر . الخواجه ايلي بلتنر . بحثت في عدة قواميس عن ترجمة كلمة رينسانس Renaissance فلم اجدها فكيف تعربونها

ج . معناها الحرفي الولادة ثانية ويحسن

ان تترجم بكلمة نهضة او تجديد فتقول عصر النهضة او عصر التجديد للعصر الذي انتقلت فيهِ اوربا من القرون الوسطى المعروفة بالقرون المظلمة الى القرون الحديثة . و يطلق ذلك بنوع خاص على القرن الخامس عشر للميلاد الذي نهضت فيهِ العلوم والفنون في اوربا نهضتها الجديدة او بُعثت بعدما تولأها الجمود والخمول قروناً كثيرة

(٣) الجمعيات الاشتراكية

ومنهُ . ان الجمعيات الخارجة على الحكومة كالنيهلست والانركست توجد بالاكثر في الممالك غير الدستورية مثل روسيا قبل الانقلاب الحديث فلماذا ذلك وما غرضها

ج . ان النيهلست ومعناهُ العدميون اسم أُطلق في غرب اوربا على طائفة من الاشتراكيين الروسيين الذين غرضهم اعطاء الحرية للشعب ومنع حيف الحكام عنهم ولكنهم لا يسمون في روسيا بهذا الاسم . والانركست ومعناها الفوضوية (والمعنى الحرفي بلا رئيس) قديمة وصفها زينون الفيلسوف الرواقي الذي كان في القرن الثالث قبل المسيح . وهي الآن الفرع المتطرف من الاشتراكيين . ولا يبعد ان يكثر الفريقان في البلاد التي حكمها استبدادي اذا وُسّع فيها المجال للتعليم والتهذيب لان النفوس المضغوطة اذا زال الضغط عنها بعض الشيء اتسعت وطلبت المزيد واما التي لا يزول عنها شيء من الضغط فتبقى منكمشة خاملة

(٤) آداب الكشكول

الاسكندرية . احمد افندي عبد العال سلامة . لماذا انتقدتم على الكشكول في مقالة كتب العال بالمجلد الثلاثين

ج لقد اضعنا ربع ساعة في التفتيش عما ذكرتم في المجلد الثلاثين فلم نجدهُ فيهِ بل وجدناهُ في المجلد الحادي والثلاثين والصفحة ٦٤٩ . وفي الكشكول اشياء كثيرة حسنة جداً واشياء اخرى يستحي اكبر متهتك من الاطلاع عليها وان كنتم في ريب من ذلك فراجعوا مثلاً الكلام المنقول عن الجاحظ في الصفحة ٢٧١ والسطر ٢٣ من طبعة محمد افندي مصطفى وشريكهِ . ولا ندري كيف رضي العاملي ان يذكر مثل ذلك في كتابهِ والكشكول افضل من المستطرف من هذا القبيل ولم نخصصهُ بالذكر الاَّ لاننا ننتظر من العاملي غير ما ننتظر من صاحب المستطرف

(٥) الانكليزية وقريبتاها

ومنهُ . اي اللغتين اقرب الى الانكليزية الفرنسوية او الالمانية

ج . الالمانية وقد كانت المشابهة بينهما اتم في الزمن الغابر

(٦) سكن الكواكب

ومنهُ . قرأت مقالة عين العلماء في المجلد

الثلاثين فبالتي عظم الكون · افليس من المعقول ان هذه العوالم مسكونة وانها مراكز مدنيات عظيمة تفوق مدنية ارضنا

ج · قد يكون ذلك كذلك وقد لا يكون لانهُ ان كان العالم غير قديم اي ان كان قد وجد في وقت معين فيحتمل ان يكون قد وجد منذ مئة مليون سنة كما يحتمل ان يكون قد وجد منذ مليون مليون سنة وعلى الفرض الاول تكون الارض من اقدم الكواكب التي أُعدت لسكن المخلوقات العاقلة · ومن المؤكد ان الارض اصلح لوجود المخلوقات الحية من كل الكواكب السيارة حول الشمس ولا يستحيل ان تكون اصلح من سائر النجوم الاخرى لكن ذلك لا يؤخذ دليلاً قاطعاً على ان سائر النجوم والكواكب خالٍ من مخلوقات اخرى عاقلة في درجة الانسان او اسمى منهُ او ادنى

(٧) ثمن الاطيان في السودان

ومنهُ · كم ثمن فدان الارض في السودان وهل لا تزال الولايات المتحدة تهب الاراضي للمهاجرين بدون اجر

ج · ثمن الفدان يختلف كثيرًا باختلاف الاماكن ولكنهُ على كل حال ارخص من ثمنهِ في القطر المصري اذا كان مماثلاً لهُ · ولا تزال حكومة اميركا تعطي المهاجرين وغيرهم ١٦٠ فدانًا او اقل لكل من يطلب ذلك بشرط ان يكون رب عائلة او يكون عمرهُ ٢١ سنة على الاقل وتبقيها معهُ مدة معلومة حتى يصلح فيها ثم تملكهُ اياها بعد دفع ثمنٍ زهيد · وقد عدلت هذا القانون من وجوه كثيرة لمنع الغش ولكنها لم تلغهِ فيما نعلم

(٨) كيف تكوَّن الانسان الاول

مصر · عبد الحليم افندي الياس نصير · لم يوضح الدكتور شميل في كتابهِ النشوء والارتقاء كيفية تكوين اول انسان واين مادتهُ وكيف اندثرت فهل لكم ان تفيدونا عن ذلك

ج · لا الدكتور شميل ولا غيرهُ من علماء الارض الطبيعيين يدَّعي انهُ يعرف كيف تكوَّن الانسان الاول او اين مادتهُ او كيف اندثرت · وغاية ما نعلمهُ ان آثار الانسان التي وجدت حتى الآن تدلُّ على انها قديمة جدًّا

(٩) توحد اللغات وانتفاء الحروب

ومنهُ · هل من الممكن ان تتوحَّد اللغة في الدنيا ويحصل سلام لا قيام لحرب بعدهُ

ج · ان ذلك غير مستحيل لذاتهِ ولكنهُ بعيد الحصول لاختلاف مصالح الناس ولأن المنافسة مغروسة في فطرة الانسان يجري بهِ عليها هو واسلافهُ الوفًا من القرون · وما رسخهُ القرون الطوال لا يزول الاَّ اذا توفرت اسباب ازالتهِ قرونًا كثيرة



علاج الدوسنطاريا بالانزيم اوزون

اسم الشيء قد يفيده وقد يضره ولهذا يهتم المخترعون والمستنبطون بتسمية ما يخترعونهُ او يستنبطونهُ اسماء يسهل حفظها وتذكرها وترى فيها دلالة على حقيقة المسمّى او فائدته. ويظهر لنا ان الدكتور جبرائيل بك بجري مكتشف هذا الدواء الجديد الذي يشفي من انواع الدوسنطاريا لم يوفق التوفيق التام في وضع اسمهِ ولو دلَّ هذا الاسم عليهِ دلالة علمية. وعندنا انهُ كان الاجدر بهِ ان يضع لهُ اسماً يكون اسهل دوراناً على الالسنة مثل اسم اوزونجين اي مولد الاوزون فانهُ يسهل حفظهُ لان كلمة اوزون مشهورة والملحق بها مشهور لوجوده في الاكسجين والهدروجين والنتروجين

ثم انهُ مما يحسب على هذا الدواء فيؤخر اقبال الاطباء عليهِ كون مستنبطهِ ليس طبيباً ممارساً لصناعة الطب اذ الظاهر ان بعض الاطباء يحسبون من الفضاضة عليهم ان يتطفل احد على موائدهم ويستنبط العلاجات لهم ولاسيما اذا كان فيها امر يستحق ان يكون مبدأً جديداً في الطب يصح الجري عليهِ.

ولذلك لم يحفلوا بمكتشفات باستور في اول الامر فنشبت حرب السبعين ومات جرحى الفرنسويين بالالوف من تعفن الجروح وتسمم الدم والاطباء الفرنسويون غافلون عن اكتشاف باستور سبب التعفن والتسمم ولم يعملوا بهِ الا بعد ما سبقهم لستر في انكلترا الى العمل بهِ. وعسى ان يتم لاكتشاف بجري بك ما تمَّ لاكتشاف باستور اخيراً لاسيما وانهُ يشبههُ في انهُ يتضمن مبدأً جديداً يصح العمل بهِ والبناء عليهِ فان الدكتور بجري وجد بالامتحان انهُ يمكن اماتة المكروبات المرضية بالاكسجين المتولد حديثاً وان بعض الخمائر تولد مقداراً كبيراً جداً من الاكسجين متى اتصلت بالمكروبات المرضية. فاذا اثبتت التجارب ذلك اثباتاً ينفي كل ريب واثبتت ايضاً ان هذه الخمائر لا تضر ابداً بما تفرزهُ من الاكسجين فهذا الاكتشاف اسلوب جديد في العلاج يصح ان يذكر مع اسلوب باستور

والمكتشفات الجديدة لا تثبت فائدتها الا بالتجارب الدقيقة المتكررة وبقيام الخصوم لها حتى يبينوا عيوبها التي يغفل عنها صاحبها لشدة رغبتهِ فيها وعطفهِ عليها. ويظهر لنا

ان الدكتور بجري بك جارٍ في هذه الخطة وقد اسفرت تجاربهُ عن نجاح فوق ما انتظر فقد ارانا جدول ٤٢٠ مصاباً بالدوسنطاريا من الاسرى العثمانيين عولجوا بدوائهِ فشفي ٤٠٧ منهم وتوفي ١٢ فقط اي اقل من واحد وربع في المئة وبقي واحد لم يشفَ بعدُ . وكانوا مصابين بانواع مختلفة من الدوسنطاريا فالمصابون منهم بدوسنطاريا شيجا كانوا ١٨ شفي منهم ١٧ وبقي واحد مريضاً . والمصابون بدوسنطاريا فلكسنر كانوا ٣٢ شفي منهم ٣١ وتوفي واحد . والمصابون بدوسنطاريا لم يظهر نوع مكروبها كانوا ٢٧٥ شفي منهم ٢٦٤ وتوفي ١١ . والمصابون بالدوسنطاريا الاميبية كانوا ثلاثة شفوا كلهم . والمصابون بدوسنطاريا لم يعرف نوع مكروبها كانوا ٩٢ شفوا كلهم

فهذه نتائج باهرة . وسينشر بجري بك مقالة مسهبة في هذا الموضوع يضمنها خلاصة تجاربهِ كلها ويشرح كيفية اكتشافهِ لهذا العلاج والقواعد العلمية التي بناهُ عليها

ومما هو حريٌّ بالذكر ان المكتشف لم يطلب امتيازاً باكتشافهِ لكي ينتفع بهِ نفعاً ماليًّا كما فعل كوخ مثلاً لما اكتشف التوبركولين . ولعلهُ لو اخذ امتيازاً بهِ وغالى في ثمنهِ لزاد الاقبال عليهِ لان كل معروض مهان ولكن لا شبهة عندنا انهُ اذا اثبتت التجارب الكثيرة فائدة هذا العلاج والاسلوب العلمي المبني عليهِ نال مستنبطهُ منهُ فائدة ادبية تفوق كل الفوائد المادية

الدكتور بيرنج

نعت صحف اوربا الدكتور اميل فون بيرنج الالماني مكتشف معالجة الدفثيريا بالمصل . ولد في مدينة هنسدورف سنة ١٨٥٤ ودرس الطب في احدى مدارس برلين فحاز الشهادة سنة ١٨٧٨ . وفي سنة ١٨٨٩ عين مساعداً في معهد الهيجين ببرلين ثم نقل منهُ الى معهد كوخ الخاص بدرس الامراض المعدية سنة ١٨٩١ فشرع يبحث في الدفثيريا وعلاجها فوفق بعد تعب دام سنتين الى اكتشاف المصل المضاد لها وتحضيرهِ فكوفئ على ذلك بجوائز من اكادمية الطب الفرنسوية . وفي سنة ١٨٩٤ منح لقب بروفسور جزاء اكتشافاتهِ العلمية

ومن اهم الابحاث التي طرقها بعد الدفثيريا بحثهُ في التدرن فنسب معظم حوادث السل في الصغار الى العدوى من شرب لبن البقر المصابة بالتدرن فحضر نوعاً من التيوبركولين او المصل سمَّاهُ « تولاز » ولكنهُ لم يكن افضل من اصناف المصل التي اكتشفت قبلهُ كمصل كوخ وغيرهِ . والعلماء يحسبونهُ هو ولوفلر وارليخ اللذين توفيا مدة الحرب الحاضرة مثلهُ بين روَّاد علم البكتيريولوجيا الحديثة والمتانة

الدوسنطاريا في شرق بحر الروم

اصدر الدكتوران راشمان ووسترن من اطباء لجنة المباحث الطبية الانكليزية تقريراً في حوادث الدوسنطاريا التي اصابت الجنود الانكليزية في البلاد الواقعة شرقي بحر الروم مدة الحرب الحاضرة · ومما جاء فيهِ انهما فحصا مبرزات ٨٧٨ جنديًّا اصيبوا بامراض معدية فظهر لهما ان ٧ و٣٤ في المئة منهم كانوا مصابين بالدوسنطاريا الباشلسية و٣ و١٨ بالباراتيفويد · و١ و١٠ في المئة بالدوسنطاريا والباراتيفويد معاً · و٢ و٦ في المئة بالدوسنطاريا الاميبية · وحيثما وجدت الدوسنطاريا والباراتيفويد معاً كانت الدوسنطاريا هي السابقة

القرّاص مكان القطن

لما قلّ ورود القطن الى المانيا بسبب الحرب جعلت تفتش عن شيء يقوم مقامهُ فاشار بعضهم باحياء صناعة قديمة بالدة وهي معالجة نبات القرّاص لاستخراج الالياف منهُ ونسجها فشرعوا في ذلك في المانيا وسويسرا معاً · وذلك انهم يزرعون القرّاص في ارض خصبة في اواخر الشتاء فاذا جاء الربيع وبلغ طول النبت قدماً خضدوهُ واكلوا رؤوسهُ كما يؤكل السبانخ ورموا الباقي لضعف اليافهِ وانتظروا النوج الثاني اذ تكون شمرتهُ امتن وهو ينضج للحصاد في يونيو او يوليو اذ يبلغ طول سوقهِ نحو اربع اقدام فيستخرجون منهُ الالياف بطرق معروفة عندهم · وما تبقى يستعملونهُ للعلف

تذكار السروليم هجنز

احتفل في كنيسة سانت بول في لندن باقامة تذكار للسر وليم هجنز واللادي قرينتهِ · وهو من اعظم فلكيي الانكليز شغف بعلم الفلك ولكنهُ لم يشتغل بهِ ليعيش منهُ لانهُ كان تاجراً غنيًّا بل درسهُ درس مولع بهِ ثم انقطع لهُ وبنى مرصداً في لندن من جيبهِ

ولما توفي قام نفر من اصدقائهِ يعدّ العدة لاقامة اثر لهُ يذكر اعمالهُ فدرت قرينتهُ بذلك فتعهدت بالانفاق على الاثر من جيبها ولكنها لم تلبث ان توفيت وتركت في وصيتها مالاً لهذا الغرض · فرأى اصدقاه السر وليم ان يكون الاثر الذي يراد اقامتهُ مزدوجاً يكرم بهِ السر وليم وقرينتهُ معاً نظراً الى مشاركتها قرينها في اعمالهِ مشاركة فعلية والى ان بعض المؤلفات التي نشرها السر وليم واهمها انما نشرت باسميهما معاً · وعليهِ نقش تذكار لهُ وآخر اصغر منهُ لقرينتهِ ومتصل بهِ وكشف الستار عنهما بحضور جمّ غفير من العلماء وخطب السر جوزف طمسن رئيس الجمعية الملكية خطبة ابّن فيها الزوجين الكريمين وعدد مناقبهما

هبات روكفلر

بلغ مجموع الهبات التي وهبها روكفلر الغني الاميركي الكبير سنة ١٩١٦ في سبيل العلم والمروءة ١٦٤٩٨٢٠ جنيه اعظمها الهبة الخاصة بتخفيف بلايا الحرب وويلاتها ومقدارها ٥١٨٠٠٠ جنيه فبلغ مجموع ما وهبهُ لهذه الغاية منذ اول الحرب ٨٣٦٤٠٠ جنيه . ووهب ادارة الصحة ١٢٢٣٠٠ جنيه لمقاومة الدودة المعروفة باسم « هوك ورم » وهي دودة تسطو على الناس في ولايات اميركا الجنوبية وبعض ولايات اميركا اللاتينية والمستعمرات الانكليزية وتبلوهم بداء ينسب اليها . ووهب ٢١٣٦٣٠ جنيهاً لمجلس الطب الصيني لينفق على تعليم الطب في الصين

مجموعة أجنة

شرع الدكتور مول من مدرسة جونس هوبكنس الطبية المشهورة في اميركا ومدير قسم الاجنة فيها منذ ٣٥ سنة يجمع الاجنة البشرية من اسقاط واجنة غير متكاملة وجدت في ارحام امهاتها بعد مماتهن . فجمع في السنين العشر الاول مئة نموذج ثم تولى معهد كارنجي هذا العمل بعدهُ فزاد ما جمعهُ منها حتى بلغ متوسطهُ السنوي في السنين الاخيرة ٤٠٠ . واشتغل بجمع هذه النماذج اكثر من ٥٠٠ طبيب وجرّاح ومرسل في البلاد الاجنبية

الكبريت في البترول

ظهر من مباحث بعض العلماء انهُ حيثما وجدت منابع البترول وجد الكبريت فيها كثيراً كان ام قليلاً . ولا يعلم مصدرهُ بالتحقيق ولكن مهما يكن من امره فان وجود الكبريت في البترول مضرٌّ بهِ اذ يكسبهُ رائحة كريهة ويقلل لمعان نوره ويسوّد الآنية التي يوضع فيها

مقياس الراحة

تهتم مصلحة الصحة الاميركية بعمل آلة تسميها « كومفورتمتر » اي مقياس الراحة وهي عبارة عن ميزان لقياس المواد بالنظر الى راحة الانسان من حيث حرارتهُ ورطوبتهُ وحركتهُ وسائر ما يختص بهِ مما لهُ علاقة براحة الناس . وقد اكملت الآن وضع رسومهِ ويقال انهُ متى تم جاء وافياً بالغرض المروم منهُ

اصلاح خطاء

ورد في مقالة « في بادية الشام » التي نشرت في الجزء الماضي ذكر كتاب « نهاية الارب في معرفة اخبار العرب » والصواب « انساب » لا « اخبار »

فهرس الجزء السادس من المجلد الخمسين

صفحة

